

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

شرح
قصيدة الإمام ابن القيم

تأليف
أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

رفيع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

قصيدة الامام ابن القيم
رحمه الله

الموسومة بالكافية الشافية في الإنصار للفرقة الناجية

تأليف

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

الطبعة الاولى	١٣٨٢	دمشق
الطبعة الثانية	١٣٩٤	بيروت

المكتب الاسلامي

دمشق : ص.ب ٨٠٠ - هاتف : ١١١٦٤٧ - برقيًا : إسلامي

بيروت : ص.ب ٢٧٢١ - هاتف : ٢٨٥٨٢٢ - برقيًا : إسلاميًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّهِ نَسْتَعِينُ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
وب يسر وأعن يا كويم

حداً لك اللهم على ما منحت من الإلهام ، وفتحت من الأفهام ،
وأزحت من الشكوك والأوهام ، ولطفت بنا في ركوب أعناق الكلام
عن موجبات التوبيخ والملام ، وأوردتنا من مناهل كتابك الهدى وسنة
رسولك المصطفى منهلاً يشفي الأوام ويبرئ العلل والأسقام ، وأوضح
لنا في ظلمات الفلسفة نوراً نستضيء به في حنادس ذلك الظلام ، وحفظتنا
من خيالات المتصوفة ، وسطحاتهم الفظيعة ودعائهم الطويلة العريضة التي هي
كسراب بقيعة ، فعياداً بك اللهم من تلك المقالات ، وليأذاً بك من
تلك الضلالات التي هي رمد جفن الدين ، وكمد نفوس المهتدين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يسي بها العمل الصالح مرفوعاً ،
ويضحى بها الزلل الفاضح موضوعاً . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله
إلى الحق هادياً ، وبشيراً ، ونزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً .
فهداهم به إلى الحق وهم في ضلال مبين ، وسلك بهم مسلك الهداية حتى
أتاهم اليقين ، ﷺ وعلى آله البررة ، وصحبه الحيرة ،
مصابيح الأمم ، ومفاتيح الكرم ، وخلفاء الدين ، وحلفاء اليقين ، الذين
بلغوا من محاسن الفضائل الغاية ، ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهاية ،
وعلى من تبعهم بإحسان ، صلاة وسلاماً دائماً ما تناوب النيرات ،
وتعاقب الملوان (١) .

وبعد: فإن المنظومة المشهورة في الطريقة السنية ، والعقيدة الحنيفية ،

المسماة بـ « السكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » لم ينسج ناسج على منوالها ، ولم تسمع الدهور بشكلها وامثالها ، نظم الشيخ الإمام ، والعمدة القدوة المهام ، شيخ الاسلام والمسامين ، القائم ببيان الحق ونصر الدين ، العابد الناسك ، الورع الزاهد ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد المعروف بـ : ابن قيم الجوزية ، أسكنه الله الغرف العلية . ولكنها من عهد مؤلفها ، وهي عروس لم يطمئنا لها ، وخود^(١) بكر لم يفتض ختامها ، وليس يخفى ما تضمنته من أصول الفصول ، واشتملت عليه من قواعد العقائد التي هي الحاصل والمحصل ، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة ، والاقوال الباطلة المحالة ، والمحدثات المضلة المخدولة ، والخزعيلات المردولة ، كالوجودية والجهمية ، والمعتزلة والرافضة ، والحرورية والكلابية ، والمرجئة والمجبرة ، وغيرهم من أهل الضلالات ، والاقوال المحالات ، وقمع أباطيلهم ، وودع أضاليلهم بالحجج الظاهرة ، والبراهين الباهرة من صحيح المنقول ، وصريح المعقول .

وموضوعها : المحاكمة بين الطوائف ، واثبات صفات البارئ سبحانه على رغم كل مخالف ، ولما كنت نبت في هذه الفنون قديماً ، وصفت بها أديماً ، وكنت للكتب وأواباب العلوم مميّراً ونديماً ، وبرعت في تلك العلوم ، وكرعت من رحيقها المختوم ؛ عن لي أن أضع عليها شرحاً ، يفتح مغلقها ، ويقيد مطلقها ، ويكحل جفونها ، ويسهل حزونها ، وذلك مع تراكم الاشغال ، وتبليبل الافكار والبال ، وعدم معين في هذه الأمور الثقال ، ونزارة من يستدل به في مثل هذه المطالب العالية التي تقصر فيها الخطأ ، وبيته في مطاويها القطا ، وعدم شرح لها يستضاء بنبواسه في دجايي المشكلات ، ويبني على أساسه في الأمور المعضلات . ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبي عن كتبي التي هي رأس مالي ورعيتي ، إلا أن الله

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة ، أو الناعمة .

سببانه بفضلہ آعان ، وأمد بأسباب لم تخطر على الاذهان .
فدونك شرحاً يشرح الصدور ، وتضيء من غصونه شمس وبدور ،
وتتحلى بجواهره اللبات والنحور ، فهو كتاب جمع فأوعى ، وحوى من
من كل شيء جنساً ونوعاً^(١) ، ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفاً من السامة والملالة ،
وهذا حين الشروع في المقصود مستعيناً بالملك المعبود فأقول وبالله
أحول وأصول :

فصل

في ذكر ترجمة الناظم رحمه الله تعالى : هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله
محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه المفسر
النحوي الأصولي المتكلم الشهير ب : ابن قيم الجوزية . قال في « الشذرات » بل
هو المجتهد المطلق . قال الحافظ ابن رجب في « طبقات الحنابلة » في ترجمته :
ولد شيخنا سنة ٦٩١ ، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ عنه ،
وتفنن في كافة علوم الإسلام ، وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول
الدين ، واليه المنتهى فيها ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط
منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه والأصول والعربية ، وله فيها اليد الطولى ،
وبعلم الكلام والتصوف ، وحبس مدة لإنكار شد الرحيل الى قبر الخليل ،
وكان ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة الى الغاية القصوى ، لم أشاهد مثله في
عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن
لم أرفي معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه شيخ

(١) قال استاذنا ابن مانع : هذا تعديل لنفسه وتركيب لها ، سبقه إلى نفس
هذا اللفظ صاحب « القاموس »

الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والحوض في غوامضهم . وتصانيفه بمثلثة بذلك ، وحجج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة ، وأمشاء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات ، وانتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعي : ماتت أديم السماء أوسع علماً منه ^(١) . ودرس بالصدرية ، وأم بالجوزية ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم ، وحصل له من الكتب مالم يحصل لغيره .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » هو محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي امام الجوزية وابن قيسها ، سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، فبرع في علوم متعددة لاسيما علم التفسير والحديث ، والأصلين . ولما عاد الشيخ تقي الدين من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة ، لازمه إلى أن مات ، فأخذ عنه علماً جمياً مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابيه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الصلوات والابتهاال . وكان حسن القراءة والخلق مع كثرة التودد ، لا يحسد أحداً ، ولا يؤذيه ولا يستغيبه ، ولا يحقد على أحد ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب مالا يتنبأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف . وبالجمله فقد كان قليل النظير ، بل عديم النظير في مجموعته وأموره وأحواله ، والغالب عليه

(١) الظاهر أن هذا من الفلو الذي لا يرضى به ابن القيم . (ابن مانع)

الخير ، والأخلاق الصالحة ، وكان متصدياً للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وجرت له بسببها فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره . وقد كانت جنازته حافلة ، وشهداها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتراحم الناس على نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى . وقال غيره في ترجمته : ولد في سنة ٦٩١ ، وسمع على جماعة كثيرين مثل سليمان ابن خمزة الحاكم ، وابي بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعم وأبي نصر محمد بن كمال الدين الشيرازي ، وابن مكتوم والهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلي ، ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من « المغرب » .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة ، منهم الشيخ اسماعيل بن محمد الحراني ، قرأ عليه « مختصر أبي القاسم الخرقى » و« المقنع » لابن قدامة . ومنهم ابن أبي الفتح البعلي ، ومنهم الشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية قرأ عليه قطعة من « المحرر » تأليف جده ، وأخوه الشيخ شرف الدين ، وأخذ الفرائض أولاً عن والده ، ثم على الشيخ تقي الدين بن تيمية .

وأما الأصول فأخذها عن جماعة ، منهم الشيخ صفى الدين الهندي ، واسماعيل بن محمد ، قرأ عليه أكثر « الروضة » لابن قدامة ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، قرأ عليه قطعة من « المحصول » ومن كتاب « الإحكام » للسيف الأمدي . وقرأ أصول الدين على الشيخ صفى الدين الهندي مثل « الأربعين » و« المحصل » وقرأ على شيخ الاسلام ابن تيمية كثيراً من تصانيفه ، واستغل كثيراً ، وناظر واجتهد ، وأكب على الطلب وصنف ، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقهاً وكلاماً ، والفروع ، ولم يخلف الشيخ تقي الدين بن تيمية مثله .

ومن مصنفاته : « تذيب سنن أبي داود » وايضاح مشكلاته ، والكلام على ما فيه من الاحاديث المعلولة مجلد . كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخيم . كتاب « مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ^(١) » مجلدان ، وهو شرح « منازل السائرين » لشيخ الاسلام الانصاري ، كتاب جليل القدر . كتاب « عقد محكم الأحياء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » مجلد ضخيم . كتاب « شرح اسماء الكتاب العزيز » مجلد . كتاب « زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء » كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » أربع مجلدات ، وهو كتاب عظيم جداً . كتاب « جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام » وبيان أحاديثها وعللها مجلد . كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » . كتاب « نقد المنقول والحك المميز بين المردود والمقبول » مجلد . كتاب « اعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات . كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان « الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي القصيدة النونية في السنة مجلد ^(٢) . كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية والمعتزلة » في مجلدات . كتاب « حادي الأرواح الى بلاد الافراح » وهو كتاب صفة الجنة مجلد . كتاب « نزهة المشتاقين وروضة المحبين » مجلد . كتاب « الداء والدواء » مجلد . كتاب « تحفة الودود في احكام المولود » مجلد . كتاب « مفتاح دار السعادة » مجلد ضخيم . كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » مجلد « رفع اليدين في الصلاة » مجلد « نكاح المحرم » مجلد « تفضيل مكة على المدينة » مجلد « فضل العلم » مجلد « عدة الصابرين » مجلد كتاب « الكبائر » مجلد « حكم تارك الصلاة » مجلد . كتاب « نور المؤمن وحياته » مجلد . كتاب « إتمام هلال رمضان » « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » « جوابات عابدي الصلبيان وأن ما هم عليه من دين

(١) المشهور بين العلماء أن اسمه « مدارج السالكين » .

(٢) وهو هذا الكتاب الذي بين يدي الفارسي الكريم .

الشیطان » « بطلان الكیمياء من اربعین وجهاً » مجلد « الفرق بین الخلة والمحبة ومناظرة الخلیل لقومه » مجلد « الكلم الطیب والعمل الصالح » مجلد لطیف « الفتح القدسي » « التحفة المکیة » كتاب « أمثال القرآن » « شرح الأسماء الحسنی » « أیمان القرآن » « المسائل الطرابلسیة » ثلاث مجلدات « الصراط المستقیم فی أحكام أهل الجحیم » مجلدان . كتاب « الطاعون » مجلد لطیف . توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وخمسين وسبعائة ، وصلى عليه من الغد بالجامع عقیب الظهر ، ثم بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وشيعه خلق كثير ، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة ، رضي الله عنه ، وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في النوم ، وسأله عن منزلته ، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر ، ثم قال : وانت كدت تلحق بنا ، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة .

ثم قال ابن رجب : قرىء على شيخنا الامام العلامة أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب وانا أسمع هذه القصيدة من نظمه في أول كتابه «صفة الجنة» وذكر بعض المیمیة المشهورة^(١) . وقال الحافظ السخاوي في حقه : العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ، ومعرفة الخلاف ، وقوة الجنان ، المجمع عليه بین الموافق والمخالف ، وصاحب التصانيف السائرة ، والمحسن الجملة .

(١) وهي :

وما ذاك الا غیرة أن ینالها سوى کفوها هو الرب بالخلق أعلم
الخ ...

قوله : بسم الله الرحمن الرحيم .

ابتدأ الناظم رحمه الله تعالى بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » اقتداء بالكتاب العزيز ، وتأسياً بالنبي ﷺ في مسكاتباته للملوك وغيرهم ، وامثالاً لقوله ﷺ « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بـ : بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » رواه عبد القادر الرهاوي في « الاربعين البلدانية » وكذا الخطيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) . ومعنى ذي بال ، أي : حال شريف يحتفل له ، ويهتم به ، وبين يدي كل الامور المهمة ،

وقوله : أقطع أي : ناقص البركة ، وقد يكون غير معتد به . وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » اسناده صحيح ^(٢) . تنبيه : اختلف العلماء فيما اذا كان الكتاب كله شعراً ، فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك ، وعن الزهري رحمه الله قبال : مضت السنة أن لا يكتب في الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » وعن سعيد بن جبير رحمه الله جواز ذلك ، وتابعه على ذلك الجمهور . وقال الخطيب : وهو

(١) قال المناوي في « فيض القدير » : قال النووي في « الاذكار » بهدسياق هذا الحديث : روينا هذه اللفاظ في « الاربعين » للرهاوي ، وهو حديث حسن ، وقد روي موصلاً ومرسلاً ، قل : ورواية الموصول جيدة الاسناد .

(٢) قال السندي : قد حن هذا الحديث ابن الصلاح والنووي . وقال ابن حجر : اختلف في وصله وارساله ، ورجح الدارقطني ارساله . وأخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان ، ورجال اسناده ثقات ، سوى قرة بن عبد الرحمن ، فان الحافظ قال عنه في « التقریب » : صدوق له مناكير .

المختار انتهى . ولا سيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم . قال بعض العلماء : الراجع عند الجمهور طلب البسمة في ابتداء الشعر ما لم يكن محرماً أو مكروهاً . قال : واما ما تعلق بالعلوم فحل اتفاق . قوله : بسم الله ، أي : باسم مسمى هذا اللفظ الأعظم ، الموصوف بأوصاف الكمال ، فالباء متعلقة بمحذوف ، وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً ، أولى من تقديره اسماً عاماً مقدماً . أما أولوية كونه فعلاً ، فلأنه الاصل في العمل ، وحينئذ فحل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر . واما أولوية كونه خاصاً ، فلأنه أدل على المطلوب ، فتقديره : أولف عند التأليف أولى من ابتدائي ، وكذا عند القراءة ، ونحو ذلك ، فيقدر عند كل أمر ما يناسبه . واما أولوية تقديره مؤخراً ، فلأمرين .

أحدهما : الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً ، لانه تعالى يقدم ذاتاً ، يقدم ذكراً ، ليوافق الاسم المسمى

والثاني : لفائدة التخصيص ، كما في قوله تعالى : (اياك نعبد و اياك نستعين) الفاتحة : هـ . لا يقال : الأولى ملاحظة قول تعالى (اقرأ باسم ربك) العلق : ١ لاننا نقول : المطلوب الأهم ثم القراءة ، لانها أول ما نزل عليه ﷺ وأول ما طرق المسامع الشريفة من الوحي ، فكان الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام ، والله أعلم .

فائدة : الاسم في الخلق غير المسمى ، وفي حق الخالق تعالى لا غير ولا عين ^(١) . قال الامام المحقق ناظم هذه المنظومة في كتابه « بدائع الفوائد » : اسماء الله الحسنى في القرآن من كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق ، ولا يقال : هي غيره ، ولا هي هو . وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : اسماءه غيره ، وهي مخوفة . انتهى .

و« الله » علم على ربنا سبحانه . قال الكسائي والفراء : أحله الاله ، محذوفاً

(١) قوله : لا غير ولا عين يخالف ما استدلل به من كلام ابن القيم حيث قال : لا يقال : هي غيره ولا هي هو . (ابن مانع)

المهزة وأدغموا اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال الناظم في « بدائع الفوائد » زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق . ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ، ولا ألم بقلبه ، وإنما أراد أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى ، من العليم والقدير ، فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة ، والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء ، كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى . ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله . وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة ، فلا اشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً ، وإنما هو اشتقاق تلازم ، يسمى المتضمن فيه بالكسر مشتقاً ، والمتضمن بالفتح مشتقاً منه ، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى . انتهى .

وقال أبو جعفر بن جرير : « الله » أصله ، الإله ، أسقطت المهزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة ، وهي ساكنة ، فأدغمت في الأخرى ، فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة . انتهى .

وأما تأويل « الله » فانه على ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال : هو الذي يألمه كل شيء ، ويعبده كل خلق ، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله ابن عباس قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فان قال لنا قائل : وما دل على أن الألوهية هي العبادة ؟ وأن الإله هو المعبود ؟ وأن له

أَصْلَافِي «فعل» و«يقعل»؟ وذكريت رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المدة سيجن واسترجعن من تأله

يعني من تعبدني ، وطلي الله بعلمي^(١) . ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله . وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ فعل يفعل بغير زيادة ، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع ، وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ (ويدرك وإلا هتك) الأعراف ١٢٧ قال : عبادتك ، ويقول : انه كان يعبد ولا يعبد ، وذكر مثله عن مجاهد ، فقد تبين قول ابن عباس ومجاهد أن أله عبد ، وأن الإلهة مصدره ، وساق حديثاً عن أبي سعيد مرفوعاً أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال المعلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال عيسى : أتدري ما الله ؟ الله اله الآلهة .

الرحمن الرحيم

اسمان مشتقان من رحم يجعله لازماً ، بنقله إلى باب فعل بضم العين ، وبتنزيله منزلة اللازم ، اذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشق من متعدد ، والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً ، كما في قطع وقطع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة ، كحذرو حاذر ، فان «حذر» أبلغ من «حاذر» . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله ، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة .

قال الناظم في «بدائع الفوائد» : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فانها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه

(١) في الأصل : وطاب الله بعمل .

تعالى، ووصفه لاينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ، يعني كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن) (الرحمن : ١) (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٣ وهذا شأن الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن بجيئه منفرداً غير تابع ، كمجيئه اسمه الله كذلك ، وهذا لاينافي دلالة على صفة الرحمن ، كاسم الله ، فانه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً ، بخلاف العلم والقدير ، والسميع والبصير ، ولهذا لايجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع ، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، وكأن الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي : صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ؛ أي : صفة فعل له سبحانه ، فاذا أردت فهم هذا ، فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيماً) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) سورة التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم ، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته . قال رحمه الله : وهذه النكتة لا تكاد تجدوها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها . انتهى .

ورحمة الله تعالى جل شأنه ، وتعالى سلطانه ، صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام . وأما تفسيرها برقة في القلب ، تقتضي التفضل ، فالتفضل غايتها ، فيراد منها غايتها ، كما يقوله من يقول من المتكلمة ، كالزخشي في « كشافه » وغيره من النظار ، فهذا انما يليق برحمة المخلوق ، لا برحمة الخالق تعالى وتقدس ، وبينهما بون ، ونظير ذلك « العلم » فان حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق ، بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة

اليها هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق ، اذ هي في المخلوق ميل القلب الى الفعل أو الترك ، والله منزّه عن ذلك ، وكذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام والتفضل ؛ فان فعل العبد الاختياري إنما يكون جلب نفع للفاعل ، أو دفع ضرر عنه ؛ ولا كذلك فعله تعالى ، فما فر منه أهل التأويل موجود فيما فروا إليه من المحذور ، وبهذا ظهر أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى ، فإنه خلاف الاصل ، وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة ، ولا تعذر هنا كما لا يخفى . وأيضاً معيار المجاز صحة نفيه ، كما إذا قيل : زيد أسد أو بحر أو قمر ، لشجاعته أو كرمه أو حسنه ، فإنه يصح أن تقول : زيد ليس بأسد ، أو ليس ببحر ، أو ليس بقمر ، وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ، ولا يصح أن يقال : الله ليس برحيم ، فلو كانت الرحمة مجازاً في حقه تعالى لصح ذلك . ولا ريب أن الرحمة صفة كمال ، وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها ، واطلاقها عليه تعالى ، ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق ، مجاز في حق الخالق .

والحاصل أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي ، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى ، وليست الاعتبارات متماثلة ، إذ ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أنا ثبت ذاتاً ليست كالذوات ، فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق ، كما أشار إلى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره الناظم في « بدائع الفوائد » (١)

قوله : الحمد لله الذي شهد له بربوبيته جمع مخلوقاته ، وأقرت له بالمبودية جميع مصنوعاته ، وأدت له الشهادة جميع الكائنات أنه الله الذي لا إله الا هو ، بما أودعها من لطيف صنعه ، وبديع آياته ، وسبحان الله

(١) الشارح لم يشرح جميع ما ذكر هنا من هذه الجملة العظيمة ، وذلك - والله أعلم - خوفاً من التطويل .
(ابن مانع)

وبحمده ، عدد خلقه ، ورضي نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ،
ولا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ، ولا شبه له
في أفعاله ، ولا في صفاته ، ولا في ذاته ، والله أكبر عدد ما أحاط
به علمه ، وجرى به قلبه ، ونفذ فيه حكمه من جميع برياته ، ولا
حول ولا قوة إلا بالله ، تفويض عبد لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ،
ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، بل هو بالله وإلى الله في مبادئ أمره
ونهاياته .

الحمد لغة : هو الثناء باللسان على الجليل الاختياري على جهة التعظيم
والتبجيل . وعرفاً : فعل يبنى عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره .
والشكر لغة : هو الحمد اصطلاحاً . وعرفاً : صرف العبد جميع ما
أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله . فبين الحمد والشكر عموم وخصوص
من وجه ، يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة ، وينفرد الحمد
فيم إذا كان باللسان لافي^١ في مقابلة نعمة ، وينفرد الشكر فيما إذا كان
بغير اللسان في مقابلة نعمة . واختار الجلالة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت ،
على الجلالة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ، لانه مع كونه على نسق
الكتاب العظيم ، أليق بالمقام ، وتفاوتاً بذلك ، وهي وإن كانت خبرية
لفظاً ، فهي إنشائية معنى . و « أل » في الحمد للاستغراق أو الجنس أو
المعهد ، أى : كل الحمد مستحق ، أو جنسه مختص بملوك الله ، وعلامة
« أل » الاستغرافية أن يخلفها كل ونحوها و « أل » الجنسية إذا تعقبها
لام الاختصاص ، كان المعنى جنس الحمد مختص بملوك له تعالى ، فتفيد
ما أفادته « أل » الاستغرافية ضمناً ، وإن كانت « أل » للمعهد ، فالمعهد ثناء الله
على نفسه ، وثناء ملائكته ورسله وأنبيائه وخوائص خلقه ، ولا نظر
لغير ثنائهم . و « اللام » في لله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص . ولما
ابتدأ بالبسملة ابتداء حقيقياً ، وهو الايتان بها قبل كل شيء ، أعقبها

بالحمدلة ابتداء إضافياً ، أي : بالنسبة لما بعدها ، وهو ما يقدم على
الشروع في المقصود في الذات جمعاً بين حديثي البسمة والحمدلة ، ولم
يعكس لموافقة الكتاب العزيز ، فإن الصحابة افتتحوا كتابته في الإمام
الكبير بالتسمية ، والحمدلة تلاوها ، وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم
في جميع الأمصار ، سواء في ذلك من يقول : بآب البسمة آية ، ومن
لا يقول ذلك ، فكان أولى .

قوله : شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته الخ .

المخلوق : هو المصنوع ، ومعنى شهادة المخلوقات بربوبيته سبحانه : أن
العقل الصريح يقطع بأن المخلوق لا بد له من خالق ، والمصنوع لا بد
له من صانع ، والحادث لا بد له من محدث ، لاستحالة حدوث الحادث
بنفسه ، كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) الطور : ٣٥ يقول
سبحانه : أحدثوا من غير محدث ، أم هم أحدثوا أنفسهم ؟ ، ومعلوم أن
المحدث لا يوجد بنفسه ، وطريق العلم بذلك أن يقال : الموجود إما
حادث ، وإما قديم ، والحادث لا بد له من قديم ، فيلزم ثبوت القديم
على كل حال ، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث ويمكن وصف لازم
فهما ، فهي مفتقرة إليه دائماً ، حال الحدوث وحال البقاء ، ومن زعم
من أهل الكلام أن افتقارهما إليه في حال الحدوث فقط ، كما يقوله من
يقوله من المعتزلة وغيرهم ، أو في حال البقاء فقط ، كما يقوله من يقوله
من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم له وكلا القولين خطأ كما قال شيخ
الإسلام رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة شمس الدين الأصبهاني » فالإمكان
والحدوث متلازمان ، فكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ، والفقر
متلازم فهما ، فلا تزال مفتقرة إليه لاستغني عنه لحظة عين ، وهو الصمد
الذي يصمد إليه جميع المخلوقات ، ولا يصمد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه

الغني بنفسه ، المغني لما سواه . وله رحمه الله في هذا المعنى :
والفقير لي وصف ذات لازم أبداً كما الغني أبداً وصف له ذاتي
قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الاله أم كيف يحجده الجاحد ؟!
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وسئل أبو نواس عن وجود الصانع فأشدد

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع الملك
عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
قوله : وأدت له الشهادة جميع الكائنات الخ . . . في هذه البراعة ،
الإشارة إلى توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وسبأني بسط الكلام على
ذلك في توحيد الأنبياء والمرسلين .

قوله : الكائنات . قال في القاموس : الكون : الحدث ، كالكينونة ،
والكائنة كالحادثة ، وكونه أحدثه ، والله الأشياء أوجدها .

قوله : وسبحان الله الخ . . سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو
التنزيه ، وانتصابه بفعل متروك إظهاره .

قوله : ولا حول ولا قوة إلا بالله . أي : لا تحول من حال إلى
حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله ، وقيل : لا حول عن معصية الله
إلا بمعونة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، والمعنى الأول
أجمع وأشمل .

قوله : وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا كفء له ، الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى عليه أحد من جميع برياته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من بريته ، وسفيره بينه وبين عباده ، وحجته على خلقه . أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، ودروس من الكتب ، والكفر قد اضطربت ناره ، وتطايرت في الآفاق شراره ، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب ، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقد استند كل قوم إلى ظلم آرائهم ، وحكموا على الله سبحانه بمقتلهم الباطلة وأهوائهم ، وليل الكفر مد لهم ظلامه ، شديد قتامة ، وسبل الحق عافية آثارها ، مطموسة أعلامها ، ففلق الله سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان ، فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً ، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، فهدى الله به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة ، وبصر به العمى ، وأرشد به من الغي ، وكثر به بعد القلة ، وأغز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، واستنقذ به من الهلكة ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، وشرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين ، وقرن اسمه باسمه ، فاذا ذكر ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين .

فصلى الله وملائكته وأنبيأوه ورسله وجميع خلقه عليه كما عرفنا بالله ،
وهذاننا إليه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أي : أخبر أني قاطع بالوحدانية . قوله : وسفيره . قال في « القاموس »
وسفره تسفيراً : أرسله الى السفر . قوله : وطموس من السبل . الطموس
الدروس والإحياء ، يطمس ويطمس ، وطمسته طمساً : محوته ، والشئ استأصلت
آثره ، ومنه (فإذا النجوم طمست) المرسلات ٨ : قاله في « القاموس » قوله : قتاهه . القتام
كسحاب : الغبار : قاله في « القاموس » قوله : عافية آثارها . قال في
« القاموس » عفى شعر البعير : كثرو طال فغطى دبره ، وقد عفته وأعفته .
قوله : حنادس الظلم . في « القاموس » الحنّس بالكسر : الليل المظلم
والظلمة ، جمع حنادس ، وتحنّس الليل أظلم . قوله : الصغار . قال في
« القاموس » صغر ككرم وفرح صغارة وصغراً كغيب ، وكذا صغراً وصغارة
بفتحهما ، وصغراً وصغرناً بضمهما ، وأصغره : جعاه صاغراً . انتهى .
قوله : كما في الخطب والشهد والتأذين . هذا ظاهر ، وهذا كما
قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغر عليه للنبوّة خاتم من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الجنس المؤنّ أشهد
وشق له من اسمه ليحمله فأنو العرش محمود وهذا محمد

قوله : فصلى الله وملائكته الخ . الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن
الملائكة الاستغفار ، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير . هذا هو المشهور ،
والجاري على ألسنة الجمهور ، ولم يرتض هذا الناظم في كتابه « جلاء الأقيام »
و « بدائع الفوائد » وغيرهما ، ورده من وجوه ، منها : أن الله تعالى غاي

بينها في قوله تعالى: (صلوات من ربهم ورحمة) البقرة: ١٥٧ الثاني: ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم ، والصلاة تختص بالنبي ﷺ وآله ، فهي حق له وآله ، ولهذا المعنى منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره ، يعني : غير سائر الأنبياء والملائكة ، ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين . الثالث: أن رحمة الله عامة ، وسعت كل شيء ، وصلاته خاصة بخواص عباده . وقولهم : الصلاة من العباد بمعنى الدعاء ، مشكل أيضاً من وجوه : أحدها : أن الدعاء يكون بالخير والشر ، والصلاة لا تكون إلا في الخير . الثاني : أن «دعوت» يعدي باللام ، «وصليت» لا يتعدى إلا بـ «على» . ودعاء المعدى بـ «على» ليس بمعنى «صلى» ، وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء . الثالث : أن فعل الدعاء يقتضي مدعواً ومدعواً له . تقول : دعوت الله لك بخير ، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك . لا تقول : صليت الله عليك ، ولا لك ، فدل على أنه ليس بمعنى ، فأبي تباين أظهر من هذا ؟ ! قال : ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق ، فأياك والإخلاص إلى أرضه . قال في «البدائع» ورأيت لابي القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كلاماً حسناً في اشتقاق الصلاة ، فذكر ما ملخصه أن معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع إلى الخنو والعطف ، إلا أن ذلك يكون محسوساً ومعقولاً ، فالمحسوس منه صفات الاجسام ، والمعقول صفة ذي الجلال والاکرام ، وهذا المعنى كثير موجود في الصفات ، والكثير يكون صفة للمحسوسات ، وصفة للمعقولات ، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الأجسام ، وصفات الأنام ، فمهما يضاف إليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة ، فإذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا: حنو وعطف ، من قولك : صليت بـ أي حنيت صلاك وعطفته ، فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمي

عظفاً وحسناً ، تقول : اللهم اعطف علينا ؛ أي : ارحمنا . قال الشاعر :

وما زلت في ليني له وتعظفي عليه كما تحنو على الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب إذا وجدها الراحم من نفسه ؛ انمطف على المرحوم ، وانثنى عليه . ورحمة الله للعباد جود وفضل ، فإذا صلى عليه فقد أفضل عليه ، وأنعم ، وهذه الأفعال إذا كانت من الله ومن العباد ، فهي متعدية بـ « على » مخصوصة بالخير ، لا تخرج عنه إلى غيره ، فرجعت كلها إلى معنى واحد ، إلا أنها في معنى الدعاء والرحمة صلاة معقولة ؛ أي : انحناء معقول غير محسوس ، ثم هو من العبد الدعاء ، لأنه لا يقدر على أكثر منه ، وثرته من الله الإحسان والآنعام . فلم تختلف الصلاة في معناها ، وإنما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها ، والصلاة التي هي الركوع والسجود ، انحناء محسوس ، فلم يختلف المعنى فيها إلا من جهة المعقول . وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ، ولذلك تعدت كلها بـ « على » واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة ، ولم يجز : حليت على العدو ؛ أي : دعوت عليه ، فقد صار بمعنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة ، وإن كان راجعاً إليه ، إذ ليس كل راحم ينحني على المرحوم ، ويتعطف عليه من شدة الرحمة . انتهى . قوله : وسلم . السلام بمعنى التحية والسلامة من النقائص والردائل . وفي « المطلع » قال الأزهري في قولك : السلام عليك قولان : أحدهما : اسم السلام ، ومعناه : اسم الله عليك ، ومنه قول لبيد : إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر والثاني : سلم الله عليك تسليماً وسلاماً ، ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها . قال الحافظ ابن الجوزي في مفتاح « الحصن » وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الأولى والاكمل والأفضل ، لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليماً) الأحزاب : ٥٦

ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرى عليه جمع ، منهم مسلم في « صحيحه » خلافاً للشافعية . وفي كلام بعضهم : لا أعلم أحداً نص على الكراهة ، حتى إن الإمام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة « الرسالة » ، والله أعلم .

قوله : وقد نضر الجبار تبارك وتعالى الخ . يشير الى حديث عياض بن حمار المجاشعي الذي رواه مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم بما علمني في يومي هذا ، كل مال نخلته عبداً حلال ، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . . . » الحديث .

أما بعد فإن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته ، ويجمع قلبه على محبته ، شرح صدره لقبول صفاته العلى ، وتلقاها من مشكاة الوحي ، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول ، وتلقاه بالرضى والتسليم ، وأذن له بالانقياد ، فاستنار به قلبه ، واتسع له صدره ، وأمتلأ به سروراً ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله ، فإنه نزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغداء أعظم ما كان إليه فاقه ، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة ، فاستد بها فرحاً ، وعظم بها غناؤه ، وقويت بها معرفته ، واطمأنت إليها نفسه ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسأم عين بصيرته في رياضها وبساتينها ، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الاسماء الحسنی ، والصفات العلى ، وإن شرفه أيضاً

بحسب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ، ومحبتة وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلمنا كان العبد بها أعلم ، كان بالله أعرف ، وله أطلب ، وإليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ؛ كان بالله أجهل ، وإليه أكره ، ومنه أبعد . والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزل العبد الله من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبعوضاً ، وعنهما نافرأ ومنفراً ، فالله له أشد بغضاً ، وعنه أعظم إعراضاً ، وله أكبر مقتاً حتى تعود إلى قلبي : قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته ، ونعيمه وقره عينه ، لو فارقه ذكرها طرفة عين ، ومحبتها لحظات لاستغاث : بامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فلسان حاله يقول :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل^(١)
ويقول :

وإذا تقاضيت القواد تناسياً ألفت أحشائي بذاك مشاحاً
ويقول :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكراً حيناً فننتكس
ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته ، نافر من سماعها ، معرض بكايته عنها ، زاعم أن السلامة في ذلك ، كلا والله ، إلا الجهالة والخذلان والإعراض عن العزيز الرحيم ، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته ، وأفعاله وأسمائه ، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك ، وكفى بالعبد همى وخذلاناً أن يضرب على قلبه

(١) وعلى هامش الأصل : قوله : يراد من القلب نسيانكم الخ . هذا البيت المعنى من قصيدة . والطباع بالكسر السجية التي جبل عليها الانسان ، والطباع ماركب فينا من الطعام والمشرب وغير ذلك من الاخلاق التي لاتزالنا كالطباع كصحب ، قاله في « القاموس » .

مرادق الاعراض عنها والنفرة والتنفير ، والاستغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله ، والإيمان به وبصفاته وإسمائه . والقلب الثاني : قلب مضروب بسياط الجهالة ، فهو عن معرفة ربه ومحبه مـسـدود ، وطريق معرفة اسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود ، وقد قش شبهاً من الكلام الباطل ، وارتوى من ماء آجن غير طائل ، تعج منه آيات الصفات وإحاديثها إلى الله عجيبةً ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً مما يسومها تحريفاً وتمطيلاً ؛ ويؤول معانيها تحريفاً وتبديلاً ، قد أعد ^(١) لدفعها أنواعاً من العدد ، وهياً لردّها ضروباً من القوانين . قوله : من القوانين . القانون : مقياس كل شيء ، جمعه قوانين . قاله في « القاموس » . وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال : تلك أدلة لفظية لاتفيه شيئاً من اليقين ، قد أعد التأويل جنّة يترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن ، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسماً وتشبيهاً ، يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة . قوله : مزجي البضاعة . قال في « القاموس » : وبضاعة مزجاء ، أي . قليلة من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء ، لكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجدال والمراء . قوله : الجدال والمراء . قال ابن الأثير في « النهاية » في معنى حديث « ما أوتي قوم الجدال إلا ضلوا » ^(٢) : الجدال : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، والمراد به في الحديث : الجدال على الباطل ، وطلب

(١) وعلى هامش الأصل : أعد بفتح الهمزة وتشديد الدال ، أي : هيا .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢٥٦/٥) عن أبي امامة بلفظ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال » ثم قرأ (ماضربوه الك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

المغالبة . وأما الجدل لإظهار الحق فان ذلك محمود ، لقوله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل : ١٢٥ انتهى . وفي « مختصر الصحاح » القرطبي جدل : بالكسر جدلاً : أحكم الخصومة ، وجادله مجادلة وجدالاً : خاصمه . انتهى . والمرأ : الجدل والمخاصمة . قال القرطبي في « مختصر الصحاح » ماريته أماريه مرأ : جادلته . انتهى . وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » من المرأ والجدال ، وهو المخاصمة والمخاصمة وطلب القهر بالعلة ، والترهيب في تركه لئلا يفتق والمبطل . انتهى . فعلمنا أن الجدل والمرأ مترادفان ، وأن العطف فيهما عطف المترادفين . انتهى . خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل ، فهو يتهثر بأذيال التكفير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب ، يتكفف إربابها ، فانتفى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد ، وغاية الاحسان ، فابتلي بالوقوف على الابواب السافلة المليئة بالخبية والحرامان ، وقد لبس حلة من الجهل والتقليد ، والشبهة والعناد ، فاذا بذلت له النصيحة ، ودعي إلى الحق ؛ أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبس المهاد ، فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الايمان ، وما أشد الجنابة به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان؟! والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً) الفرقان : ٥٢ وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلاة عليهم ، مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى : (يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم

جهنم وبئس المصير) التوبة ٧٤ فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق ، و « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق » . وكفى بالعبد عمى وخذلاً أن يرى عبده كذا الإيمان ، وجمود السنة والقرآن ، وقد لبسوا للحرب لأمتهم ، وأعدوا له عدته ، وأخذوا مصافهم ، ووقفوا مواقفهم ، وقد حمى الوطيس ، ودارت رحى الحرب ؛ واشتد القتال ، وتنادت الأقران : النزال النزال ، وهو في الملجأ والمغارات ، والمداخل مع الحوالم كمين ، وإذا ساعد القدر ، وعزم على الخروج ، قعد على التل مع الناظرين ، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين ؛ ثم يأتهم وهو يقسم بالله جهداً أيمانه إني كنت معكم ، وكنت أعتنى أن تكونوا أنتم الغالبين . فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبجس الأثمان ، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الحزبي والهوان ، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان ، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن ، فكأن قد كشف الغطاء ، وانجلي الغبار ، وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة الضالة ، فوالله لفارقة أهل بواء والبدع في هذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل (احشروا بن ظهوا وأزواجهم) الصافات : ٢٢ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبغده الم أحمد : أزواجهم : أشباههم ونظائرهم ، قال تعالى (وإذا النفوس زوجت) التكاوير : ٧ قالوا : فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته ، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته ، هنالك والله بعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه ، (يقول : يا ليتني اتخذت

مع الرسول سبيلاً . ياويلتي ، ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن
الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً (الفرقان : ٢٧ - ٢٩). شرع
الناظم رحمه الله تعالى في حكاية مناظرة حصلت بينه وبين بعض المعطلة فقال :

فصل

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت
للصفات والعلو ، وبين معطل لذلك ، فاستطعم المعطل المثلث الحديث
استطعام غير جائع إليه ، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه ، فقال له :
ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء ؟ فقال المثلث : نقول فيها ما قاله
ربنا تبارك وتعالى ، وما قاله نبينا ﷺ ، نصف الله تعالى بما
وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ،
ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل ثبت له سبحانه ما أثبت له لنفسه من
الأسماء والصفات ، ونقي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات ، إثباتاً
بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد
ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه
به رسوله تشبيهاً ، فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد
يعبد إلهاً واحداً صمداً (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١٠ .
والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فكما أنا ثبت ذاتاً لا تشبه
الذوات ، فكذلك نقول في صفاته : إنها لا تشبه الصفات ، فليس كمثل
شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فلا نشبه صفات الله
صفات المخلوقين ، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة

المشنعين وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتسمية الروافض لنا نواب ، ولا نكذب بقدر الله ، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته ، لتسمية القدرية لنا مجبرة ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى ، لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية . ورحمة الله على القائل :

فإن كان تجسيمياً ثبوت صفاته فاني بحمد الله لها مثبت
إلى . . .

فإن كان تجسيمياً ثبوت صفاته لديكم فاني اليوم عبد مجسم
ورضى الله عن الشافعي حيث قال :

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي
وقدس الله روح القائل وهو شيخ الاسلام ابن تيمية إذ يقول :
إن كان نصباً حب صاحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصي

فصل

وأما القرآن فاني أقول : إن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ
واليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه منه جبريل حقاً ، وبلغه محمد
صلى الله عليه وسلم وحياً ، وإن (كهيعص) و (حم عسق) و (الـ)
و (ق) و (ن) عين كلام الله حقيقة ، وإن الله تكلم بالقرآن العربي
الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ ، وإن جميعه كلام الله ،
وليس قول البشر ، ومن قال : أنه قول البشر فقد كفر ، والله يضلّه

سقر ، ومن قال : ليس لله بيننا في الأرض كلام ، فقد جحد رسالة محمد ﷺ ، فات الله بعثه ليلغ عنه كلامه ، والرسول لما يبلغ كلام مرسله ، فاذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول . ونقول : إن الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب ، وتخرج الملائكة والروح إليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ، وإن المسيح رفع بذاته إلى الله ، وإن رسول الله ﷺ عرج به إلى الله حقيقة ، وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة ، فتعرض عليه ، وتقف بين يديه ، وأنه تعالى هو القاهر فوق عباده ، وهو العلي الأعلى ، وإن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وإن أيدي السائلين ترفع إليه ، وحواسنهم تعرض عليه ، فإنه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار . فلما سمع المعطل منه ذلك ، أمسك ثم أسرها في نفسه ، وخلي بشياطينه وبني جنسه ، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال ، وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال ، وعقدوا مجلساً يبتوا في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول ، والله بما يعملون محيط ، وأتوا في مجلسهم بما قدوا عليه من الهذيان واللفظ والتخليط ، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوه ، ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم مالفقوه من المكر وتموه ، فحبس الله سبحانه عن أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء إليه ، وخذله المطاع فزقوا ما كتبوه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر ، وأخرج الناس لهم من الخبآت كائناتها . قوله : الخبآت . خبأه كمنعه : ستره . كخبأه واختبأه . قاله في « القاموس » قوله : كائناتها . قال في « القاموس » .

كمن له كنز وسمع كمنناً : استخفى ، وأكمنه . والكمين كأمر : القوم
يكنمون في الحرب . وقوى الله جأش عقد الميث ، وثبت
قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى في عقد مجلس بينه وبين
خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين
وأئمتهم المتقدمين ، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب
ولا إنسان ، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلده ، ونصوص من على
غيره من الأئمة قدمتموه ، وصرخ الميث بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانهم
لقاضهم ، فلم يذعنوا لذلك ، واستعفوا من عقده ، فظالمهم الميث بواحدة
من خلال ثلاث : مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والانصاف ،
تحضر فيه النصوص النبوية ، والآثار السلفية ، وكتب أئمتكم المتقدمين من
أهل العلم والدين . فقليل لهم : لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا
الميدان ، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان ، فدعاهم إلى مكاتبته فيما يدعون
إليه ، فإن كان حقاً قبله وشكركم عليه ، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب
الميث وقبين لكم حقيقة ما لديه ، فأبوا ذلك أشد الإباء واستعفوا غاية
الاستعفاء ، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في موقف الابتهاال
حاسري الرؤوس ، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال ، وظن
الميث - والله - أن القوم يجيبونه إلى هذا ، فوطن نفسه عليه غاية التوطن ،
وبات يحاسب نفسه ، ويعرض ما يشته وينفيه عن كلام رب العالمين ، وعلى
سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ،
ويهيئ بصاحبه إلى أسفل صافلين ، فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً ، وأتوا من

الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار ، فحينئذ
شبر المثبت عن ساق عزمه ، وعقد الله مجلساً بينه وبين خصمه ، يشهده
القريب والبعيد ، ويقف على مضمونه الذكي والبليد ، وجعله عقد مجلس
التحكيم بين المعطل الجاحد ، والمثبت المرمي بالتجسيم ، وقد خاصم في هذا
المجلس بالله ، وحاكم إليه ، وبريء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة ،
وتحيز إلى فئة غير رسول الله ﷺ وما كان أصحابه عليه . والله
سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ، ولا إلى شيء مما لديه ، وأن
يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ، فإن أزمة الأمور بيديه ، وهو يرغب
إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه ، قاصد
لرضى مولاه ، ثم يقرؤها متفكراً ، ويفيدها ويبدئها متدبراً ، ثم يحكم فيها
بما يرضى الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل
الجاهلين والمجاندين ^(١) فإن رأى حقاً قبله وشكر عليه ، وإن رأى باطلاً
رده على قائله ، وأهدى الصواب إليه ، فإن الحق لله ورسوله ، والقصد أن
تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله ، والله عند لسان
كل قائل وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وما كان أهل التعطيل
أولياءه ، إن أوليائه إلا المتقون المؤمنون المصدقون ، (وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله المؤمنين وستردون إلى عالم الغيب والشهادة
فنبشركم بما كنتم تعملون) التوبة : ١٠٥ .

(١) قابلها أبو الحسن السبكي بالشم واللن برسالة يزعم أنه ردّها على الذونية ، ومن
قرأها ظهر له جبل السبكي وجراءته على أهل العلم بما لا يرضي الله .

فصل

وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبّه والموحد ، ذكرتها قبل الشروع في المقصود ، فان ضرب الأمثال بما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود ، وقد قال تعالى وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البواهي (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) . العنكبوت : ٣٥ وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً ، وكانت السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكائه ويقول : لست من العالمين . وسنفرد لها ان شاء الله كتاباً مستقلاً متضمناً لأمرارها ومعانيها وما تضمنه من كنوز العلم وحقائق الايمان ، وبالله المستعان وعليه التكلان (١) .

المثل الاول : ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف ، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل ، وثياب المشبه مضمخة بدم التشبيه ، وشرابه متغير بدم التمثيل . والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين .

المثل الثاني : شجرة المعطل مفروسة على شفا جرف هار ، وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ، وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون .

المثل الثالث : شجرة المعطل شجرة الزقوم ، فالخلق السليمة لا تبلمها ،

(١) قد وفقه الله للوفاء بوعده ، فألف فيها مجلداً متوسطاً . (ابن مانع)

وشجرة المشبه شجرة الحنظل فالنفوس المستقيمة لا تتبعها ، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها .

المثل الرابع : المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت ، والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلبجلب في أرض التشبيه الى الهموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً الى الحي الذي لا يموت .

المثل الخامس : مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل ، فطفئ وما أنار ، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عكر التشبيه ، فلا تقبس منه الأنوار . العكر بفتحين : دردي الزيت (١) وغيره ، وقد عكرت الممرجة من باب طرب : اجتمع فيها الدردي ، وعكر الشراب والماء والدهن : آخره وخاثره ، وقد عكر فهو عكر ، وأعكره غيره وعكره تعكيراً : جعل فيه العكر . قاله في « مختار الصحاح » ومصباح الموحد وقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار .

المثل السادس : قلب المعطل متعلق بالعدم ، فهو أحقر الحقير ، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد ن ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

المثل السابع : نقود المعطل كلها زبوف فلا يروج عندنا ، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا ، وتجارة الموحد ينادى عليها يوم العرض على رؤوس شهاد : هذه بضاعتنا ردت إلينا .

المثل الثامن : المعطل كنافخ الكبير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن يد منه ريحاً خبيثة . والمشبه كبائع الحُر ، إما أن يسكرك ، وإما أن ينجسك . الموحد كبائع المسك ، إما أن يحذيك وإما أن يبيعك ، وإما أن تجده راحة طيبة .

(١) دردي الزيت وغيره : ما يبقى في أسفله : « مختار » (ابن مانع)

المثل التاسع : المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها ، فأدركه الطوفان ، والمشبّه قد انكسرت به في اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح وقد صاح به الربان : (اركبوا فيها باسم الله بحريها ومرسأها أن ربي لغفور رحيم) هود : ٤١

المثل العاشر : منهل المعطل ، كمراب بقيعه يحسبه الظمان ماءً حتي إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فرجس خاسئاً حسيراً ، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغيراً ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً . وقد سميتها :

« الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية »

وهذا حين الشروع في المحاكاة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قوله : (أما بعد) أي : أما بعد ما ذكر من حمد الله ، والصلاة والسلام على رسوله (أما) نائبة عن (مهما) ولتضمنها معنى الشرط لزمّت الفاء في جوابها . و (بعد) من الظروف المبنية ما لم تضاف لفظاً ومعنى ، أو ينوي ثبوت لفظ المضاف إليها ، أو تقطع عن الإضافة رأساً ، فتعرب حينئذ في الثلاثة ، وإن حذف المضاف إليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم ، وهذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى غيره ، أي : بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات ، لأن النبي ﷺ كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم .

واختلف في أول من نطق بها ، ف قيل : داود عليه السلام . وعن الشعبي : أنها فصل الخطاب الذي أوتيها ، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد . وقيل : أول من نطق بها يعقوب . وقيل : أيوب . وقيل : سليمان ، عليهم السلام . وقيل : قس بن ساعدة الأيادي . وقيل : كعب بن لؤي . وقيل : يعرب بن قحطان ، والقول الأول ، وهو أن أول من نطق بها داود عليه السلام .

أشبهه ، كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره .

قوله : فإن الله جل ثناؤه النخ . الفاء في جواب (أما) النابذة عن (مهبها) لتضمنها معنى الشرط .

قوله : قد قمش . قال في « القاموس » . القمش جمع القماش ، وهو ما على وجه الأرض من فتاة الأشياء ، حتى يقال لردالة الناس : قمشاش . وما أعطاني إلا قماشاً ؛ أي : أردأ ما وجدته

قوله : آجن . الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، أجن كضرب وفرح ونصر أجنأً وأجنأً وأجونأً . قاله في « القاموس »

قوله : تعج منه آيات الصفات النخ . قال في « القاموس » : تعج يعج ويعج : كيمل ، عجباً وعجيجاً : صاح ورفع صوته .

قوله : وتضج النخ . قال في « القاموس » أضج (١) القوم إضجاجاً : صاحوا وجلبوا ، فإذا جزعوا وغلبوا ، ف : ضجوا يضجون ضجيجاً .

قوله : الوطيس . الوطيس هو التنور ، والآن هي الوطيس ، أي : اشتد الحرب . قاله في « القاموس » .

قوله : جنة . الجنة بالضم . قال في « القاموس » جنة الليل ، وعليه جنأً وجنوناً ، وأجته : ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك . وأجن عنه واستجن : استتر .

قوله : جأش المثبت . قال في « القاموس » : الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، ونفس الانسان ، وقد لا يهمز ، جمعه : جؤوش .

قوله : في مواقف الإيهال . قال ابن هشام في « تهذيب السيرة » (٢) : نبهل فنجهل لعنة الله على الكاذبين : ندعو باللعنة . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

(١) في الأصل : ضج ، وهو خطأ ، والتصويب من « القاموس » .

(٢) كذا الأصل ، وأمله يقصد السيرة نفسها .

لا تعقدن^(١) وقد أكلتها حطباءً نهوذ من شرها يوماً ونبتهل

يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلاناً ؛ أي : لعنه ،
وعليه بهلة الله ؛ أي : لعنة الله . ويقال : بهله الله ؛ أي : لعنه ، ونبتهل
أيضاً : نجتهد في الدعاء . انتهى .

وأما حكم المباهلة ، فقد كتب بعض العلماء رسالة في شروطها المستنبطة
من الكتاب ، والسنة ، والآثار ، وكلام الأئمة . وحاصل كلامه فيها أنها
لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعه إلا
بالمباهلة ، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة ، وتقديم
النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ، ومساس الضرورة إليها . انتهى .

وهذا حين الشروع في شرح « النظم » فأقول والله الموفق :
بحر هذه المنظومة المباركة هو الكامل ، وهو مبني من ستة أجزاء :
متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

حكم الحجة ثابت الاركان مالىصدود بفسخ ذاك يدان
إنني وقاضي الحسن نفذ حكمها فلذا أقر بذلك الحصان
وأنت شهود الوصل تشهد أنه حقاً جرى في مجلس الاحسان
فتأكد الحكم العزيز فلم تجد فسخ الوشاة اليه من سلطان
ولأجل ذا حكم العذول تداعت الـ أركان منه فخر للأذقان
وأنتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي حكموا به متيقن البطلان

(١) في الأصل : لاتبعدا ، والتصويب من « سيرة ابن هشام »

ما صادف الحكم المحل ولا هو اسه توفي الشروط فصار ذا بطلان
فلذا كقاضي الحسن أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والسلوانه
وحكى لك الحكم المحال ونقضه فاسمع إذا يامن له أذنان
حكم الوشاة بغير ما برهان ان المحبة والصدود لدان
والله ما هذا بحكم مقسط أين الغرام وصدذي هجران؟
شتان بين الحالتين فان ترد جمعاً فما الضدان يجتمعان

افتتح الناظم رحمه الله هذه المنظومة بشيء من النسيب ، وهو والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما التغزل فهو ألف النساء والتخلق بما وافقهن ، وليس بما ذكر في شيء ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة ^(١) وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

قوله : حكم المحبة ثابت الأركان ، ركن الشيء : جانبه الأقوى ؛ أي : ولتثبت أركانه وشدتها لا يطبق الصدود فسخه .

قوله : إني وقاضي الحسن ؛ أي : كيف يقدر الصدود على فسخه وقد ثبت وتوطدت أركانه ، وذلك ان قاضي الحسن نفذ حكمها ؛ أي . نفذ حكم المحبة . وفي بعض النسخ « نفذ حكمه » والمعنى واحد . وفي قوله . قاضي الحسن ، وهو الجمال : استعارة ، وذلك أنه شبه الحسن في قوته وسلطنته على المحبوب وقهره له بسلطنة القاضي الحسي ، وقهره للخصوم ونفاذ حكمه ، فكذلك حسن هذه المحبوبة حكم على محبها بالمحبة ^(٢) .

(١) هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي كاتب يضرب به المثل في البلاغة .

(٢) اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى شرح هذه الايات التي افتتح ابن القيم بها التوبة شرحاً إذا تأمله طالب العلم واجده غير مستقيم ، وبعيداً عن مقاصد ابن القيم . والعلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن شرح لاول هذا النظم ذكر فيه ان قاضي الحسن هو العقل ، لان أهل السنة يقولون بالتحسين والتقصيص العقليين ، ثم نبه شرحه على ذلك وهو شرح يقبله العقل ويليق بمقام الناظم ، رحم الله الجميع . (ابن مانع)

وفي قوله: حكم المحبة النخ . براءة الاستهلال ، وهو ان يكون الابتداء مناسباً
للمقصود ، لأن المنظومة المذكورة ، وفي المحاكمة بين الطوائف .

قوله : فلذا أقر بذلك الحصان ؛ اي : لما حكم قاضي الحسن بالمحبة
أقر الحصان بها .

قوله : وأنت شهود الوصل النخ ؛ اي : لما حصل وصل هذه المجبوبة
وشهدت به الشهود ؛ تأكد الحكم فلم يبق سبيل للوشاة إلى فسخه ، وهذا
معنى قوله : فتأكد الحكم العزيز .

وقوله : فسخ الوشاة هذا من الكلام المقلوب ، والمعنى : لم تجد
الوشاة إلى فسخه من سلطان ، هذا إن كان لفظ تجد بالتاء ، وإن كان اللفظ
يجد بالتحية . فهو ظاهر ، وفسخ فاعل يجد ، وفسخ مضاف ، والوشاة
مضاف إليه .

قوله : ولأجل ذا حكم العذول تداعت الأركان منه النخ ، اي :
لما شهدت شهود الوصل بثبوت حكم المحبة ، خر حكم العذول وسقطت
أركانها .

وقوله : وأتى الوشاة فصادفوا النخ ، لما أتى الوشاة صادفوا
حكمهم باطلاً ، وهو ما ذكره بقوله : حكم الوشاة النخ ؛ اي حكم
الوشاة أن المحبة والصدود لدان ؛ اي : سواء ، وذلك حكم جائز ليس بمقسط ،
وأشار إلى ذلك بقوله : أين الغرام ؟ وهو شدة المحبة ، وشدة المحبة والصدود
ليساً بسواء .

قوله : فلذا ك قاضي الحسن أثبت محضراً النخ . أي إن قاضي الحسن أثبت
محضراً بفساد حكم الهجر والساوان . والمحضر : السجل والمشهد ، قاله في «القاموس» .
اي : لما حصل الوصال ، حكم قاضي الحسن بفساد حكم الهجر والساوان .
قوله : شتان بين الحالتين النخ . أي افرقت الحالتان ، وشتان بينهما .

قوله : الصدود . هو اسم مصدر ، صد يصد صدوداً . قال في « مختار الصحاح »^(١) : صد يصد يضم الصاد صدوداً : أعرض عنه ، وصدّه عن الأمر : منعه وصرفه (عنه) من باب رد . انتهى .

قوله : يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء بسببه ، لأن القدرة هي تحريك اليد . يقال : فلان له يد في كذا وكذا ، ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ، والآخرى فارعة . قوله : الوشاة . جمع اش . يقال : وشى كلامه ؛ أي : كذب ، ووشى به الى السلطان وشاية ، أي : سعى « مختار الصحاح » قال العيني : الوشاة جمع واش من وشى به يشي وشاية ، اذا تم عليه وسعى به ، فهو واش .

قوله : لدان . اللدة كعدة : الترب ، جمع لدات ، قاله في « القاموس » والترب بالكسر : اللدة والسن ومن ولد معك ، قاله في « القاموس » .

قوله : والله ما هذا بحكم مقسط . القسط بالكسر : العدل . تقول منه أقسط الرجل فهو مقسط ، ومنه قوله تعالى : (إن الله لا يحب المقسطين) الحجرات : ٩ أي : ما هذا بحكم عادل .

قوله : الغرام . سمي الغرام لغريمه . ومنه سمي عذاب النار : غراماً للزومه لأهله وعدم مفارقتها لهم . قال الله تعالى : (إن عذابها كان غراماً) الفرقان : ٦٥ . قوله : فما الضدان . الضدان هما اللذان لا يجتمعان ؛ وقد يرتفعان كالسواد والبياض^(٢) .

قال الناظم :

يا واهماً هانت عليه نفسه إذ باعها غيباً بكل هوان
أتيسع من تهواه نفسك طائعاً بالصد والتعذيب والهجران

(١) في الأصل « مختصر الصحاح » وما أثبتناه هو الصواب ، وكذلك سيذكره المؤلف بعد قليل بالاسم الذي سماه به مؤلفه ،

(٢) الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالأخلاقين ، كائثال الذي ذكره .

أجهلت أوصاف المبيع وقدره أم كنت ذا جهل بذى الأثمان؟!
 واهأ لقلب لا يفارق طيره الد أغصان قائمة على الكثمان
 ويظل يسجع فوقها ولغيره منها الثمار وكل قطف دات
 ويبيت يبكي والمواصل ضاحك ويظل يشكو وهو ذو هجران
 هذا ولو أن الجمال معلق بالنجم هم إليه بالطيران
 لله زائرة بليل لم تخف عسس الأمير ومرصد السجان
 قطعت بلاد الشام ثم تيممت من أرض طيبة مطلع الايمان
 وأتت على وادي العقيق فجاوزت مقاتته حلاًبلاً نكران
 وأتت على وادي الأراك ولم يكن قصداً لها فالأبأن ستراني
 وأتت على عرفات ثم محسر ومنى فكم نحرته من قربان
 وأتت على الجمرات ثم تيممت ذات الستور وربة الأركان
 هذا وما طافت ولا استأمت ولا رمت الجمار ولا سمعت لقران
 ورقت على أعلى الصفا تيممت داراً هنالك للمحب العاني
 أترى الدليل أعارها أثوابه والريح أعطتها من الخفقان
 والله لو أن الدليل مكانها ما كان ذلك منه في إمكان
 هذا ولو سارت مسير الريح ما وصلت به ليلاً إلى نعمان
 سارت وكان دليلها في سيرها سعد السعود وليس بالدبران

وردت جفار الدمع وهي غزيرة فلذلك ما احتاجت ورود الضان
وعلت على متن الهوى وتزودت ذكرى الحبيب ووصله المتداني
قوله : واهاً هي كلمة يقولها المتعجب قال الجوهري : اذا تعجبت من
طيب الشيء قلت : واهاً له ، ما أطيبه ، وكذلك في التجميع واهاً ، وواه
أيضاً . انتهى .
قوله : لا يفارق طيره الاغصان . المراد بالاغصان : القدود ، كقوله :

أُغصان بان ما أرى أم شمائل ؟

قوله : قائمة على الكشبان ، أي الأرداف ، لأن ذلك يسمى الكشيب
والنقا^(١) واعلم أن للشعر ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية ، وان كانت
في الأصل مجازاً لكثرة دورانها في كلامهم ، وتعاطيهم استعمالها ، لأنهم
ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك الفصن إذا
أطلقوه فهموا منه القوام ، والكشيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف ،
والورد إذا أطلقوه فهموا منه الرجه ، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه
الشعر ، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق ، والنرجس إذا أطلقوه فهموا
منه العيون ، وكذا السيف والسهم والسحر والبنفسج والريحان ، العذار ،
كل هذه انتقلت عن وضعها الأصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح .
قوله : يسجع . قال في « مختار الصحاح » السجع : الكلام المقفى ،
وجمعه أسجاع وأساجيع ، وقد سجع الرجل من باب قطع ، وسجع أيضاً
تسجيعةً ، وكلام مسجع وأساجيع ، وسجعت الحمامة : هدرت ، وسجعت
النافقة : مدت حينها على جهة واحدة . انتهى .

() قوله الأراغب الى آخره ما أبر هذا تفسير وأبعده عن مقاصد ابن القيم
أي فائدة بذلك . وبجملته ما كتبه الشيخ عبد اللطيف يعرف مقصد ابن القيم (ابن مانع)

قوله : لله زائرة بليل الخ . قولهم : لله فلان . أصله : لله در فلان بفتح الدال ، وهو اللين ، فيحتمل أنه كناية عن فعل الممدوح ، أو يراد به لين ارتضاعه ، أي : ما أعجب هذا اللين الذي نشأ به مثل هذا المولود الكامل في هذه الصفة ، وعلى كل حال فإضافته لله للتعظيم ، لأنه منشيء العجائب .

قوله : عسس الأمير . قال في « مختار الصحاح » : عس من باب رد : طاف بالليل ، وعسماً أيضاً وهو نفذ الليل عن أهل الريبة ، فهو عاس ، وقوم عسس كخادم وخادم ، وطالب وطلب ، واعتس ، مثل عس . انتهى .

قوله : من أرض طيبة ، هي المدينة المنورة .

قوله : وادي العقيق . قال الشيخ محمد طاهر الفتني في « مجمع البحار » : هو واد من أودية المدينة ، وورد أنه واد مبارك ، ومنه : أتاني آت بالعقيق ، والآتي جبريل ، وورد أن العقيق ميقات أهل العراق ، وهو موضع قريب من ذات عرق ، وهو اسم مواضع كثيرة ، وكل موضع شققته من الأرض فهو عقيق . انتهى . وفي « منسك شيخ الإسلام » أن ذا الحليفة يسمى وادي العقيق .

وأتت على وادي الأراك ولم يكن قصداً لها فالأ باز ستراني

الأراك كالإراك بالكسر : شجر من الحمض يستاك به ، ولبل أراكية ترعاه ، قاله في « القاموس » أي : إن هذه العروس أتت على وادي الأراك ، وليس هو طريقاً لها ؛ ولكن فعلت ذلك تفاؤلاً^(١) بأن ترى محبوبها .

قوله : سارت وكان دليها في سيرها الخ . قال العلامة العيني في « شرح الشواهد الكبرى » في شرح قول الشاعر :

(١) وعلى هامش الأصل : قوله : فعلت ذلك تفاؤلاً ، فيه نظر ، فإن التفاؤل ليس ، قصوداً لها ، ولكنها أتته من غير قصد له فحصل التفاؤل .

إذا دبر ان منك يوماً لقيته أو مل أن ألقاك غدواً بأسعد

قال : دبران : علم على الكوكب الذي بدبر الثريا ، وهو خمسة كواكب في النور . يقال انها منامه . الى أن قال : والحاصل ان ذكر الدبران التي هي علم للكواكب الخمسة ، وكنى بها عن الإديار الذي هو ضد الإقبال والسعد ، وذكر الأسعد التي هي صعود النجوم ، وكنى بها عن السعد الذي هو ضد النحس ؛ والمعنى : اذا رأيت منك ادباراً يوماً - يعني شيئاً أكرهه - فلا أقطع رجائي منك ؛ ولكن أو مل حصول خيرك من بعد ذلك ؛ بأن ألقاك في سعد واقبال . انتهى . أي : لأن هذه العروس جاوت من الشام ؛ والجائي من الشام يتيسر جهة مطلع سعد السعود ، لأنه في جهة الجنوب ، ولو استدلل بالدبران لما اهتمدى . ويحتمل أن مراد الناظم التفاضل باسم سعد السعود ^(١) لأن النبي ﷺ « كان يعجبه الفأل » ^(٢) وكان يقول : « إذا بعثتم الي بريدأ فابعثوه حسن الاسم حسن الوجه » ^(٣) اركما قال . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعدت وكان بملتقى الأجفان	وعدت بزور تها فأوفت بالذي
خلة السطور بغير ما استئذان	لم يفجأ المشتاق الا وهي دا
بالصبر لي عن ان أراك يدان	قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما
صدقا وقد كذبت به العينان	فمتحدثت عندي حديثاً خلته
طمعاً ولكن المنام دهاني	فمحبت منه وقلت من فرحي به
فعليك إثم الكاذب الفتان	ان كنت كاذبة الذي حدثني
جحدوا صفات الخالق الديان	جهم بن صفوان وشيعته الا الى

(١) الذي ذكره العلماء أن الفأل لا يقصد . (ابن مانع)

(٢) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ، والحاكم عن عائشة بلفظ : « كان يعجبه الفأل الحسن » وقد حسن الحافظ ابن حجر في « الفتح » اسناده . وروى الشيخان : « لا طيرة وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسميها أحدكم » .
(٣) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » ورمز له بالضعف .

قوله : وعدت بزورتها فأوفت بالذي النخ ؛ أي : أنها وعدت بالزيارة فأوفت بها في المنام ، ولهذا قال : وكان يلتقي الاجفان . وكما قال قبل ذلك : لله زائرة بليل . . قوله : نقاب . قال في « القاموس » النقاب بالكسر : الرجل العلامة^(١) ، وما تنتقب به المرأة ، والطريق في الغلط . قوله : إن كنت كاذبة الذي حدثني النخ . . هذا يسمى حسن التخلص عند أهل البديع . قوله : جهنم ابن صفوان . هو علي ما قال الذهبي في « الميزان » : جهنم بن صفوان أبو بحر السمرقندي الضال مبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيماً . وقال البخاري في « رسالة خلق أفعال العباد » حدثني أبو جعفر قال : حدثني يحيى بن أيوب ، قال : سمعت أبا نعيم البلخي ، قال : كان رجل من أهل مرو ، صديقاً لجهنم ، ثم قطعه وجفاه فقبل له : لم جفوته ؟ فقال : احتملت منه ما لا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا ، أنسيها يحيى . فقال : ما كان أطرف محمداً ، فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (طه) فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ه . قال : أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حكمها لحكمتها من المصاحف ؛ فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (القصص) فلما انتهى إلى ذكر موسى قال : ما هنا ، ذكر قصته في موضع ؛ فلم يتمها ؛ ثم رمى بالمصحف من حجره برجائه ، فوثبت عليه . حدثني أبو جعفر ، قال : سمعت يحيى بن أيوب ، قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري ، فسأله رجل عن حديث الرؤية ، فلم يحدث به . قال : إن لم تحدثني به فأنت جهمي . فقال مروان : تقول لي : جهمي ، وجهم مكث أربعين يوماً لا يعرف ربه !؟ وقال البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » : بلغني أن جهماً كان يأخذ من الجعد بن درهم ، وكان خالد القسري أمير العراق خطب ، فقال : إني مضج بالجعد بن درهم ، لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم

(١) في الأصل : الرجل والعلامة ، وهو خطأ ، والتصويب في « القاموس » .

موسى تكليماً . ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال : قال عبد الله ابن المبارك :

ولا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً
وعن عبد الله بن شوذب قال : ترك الجهم الصلاة أربعين يوماً على وجه
الشك ، وذكر الطبري في « تاريخه » في حوادث سنة ثمان^(١) وعشرين (بعد المائة)
أن الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية ،
وحاربه ، والحارث حينئذ يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ، وكان جهم
حينئذ كاتبه ، ثم تراسلاً بالصلح ، وتراضياً بحكم مقاتل بن حيان والجهم ،
فاًتفقا على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم
بالعدل ، فلم يقبل نصر ذلك ، واستمر على محاربة الحارث إلى أن قتل الحارث في سنة
ثمان وعشرين (بعد المائة) في خلافة مروان الحمار . فيقال : أن الجهم قتل في المعركة
ومقاتل أسر ، فأمر نصر بن سيار سالم بن أحوز بقتله ، فادعى جهم الأمان
فقال له سالم : لو كنت في بطني لشققته حتى أقُتلك ، فقتله .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال : قال
سالم حين أخذه : يا جهم إني لست أقُتلك لأنك قاتلتني ، أنت عندي أحقر
من ذلك ، ولكنني سمعتك تكلم بكلام ، أعطيت الله عهداً أن لا أملكك إلا
قتلتك ، فقتله . ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي : بلغ سالم
ابن أحوز وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر أن الله كلم
موسى تكليماً ، فقتله . ومن طريق بكر بن معروف قال : رأيت سالم بن
أحوز حين ضرب عنق جهم ، فأسود وجه جهم .

وأُسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب « السنة » له أن قتل جهم كان في
سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، والمعتمد ما ذكره الطبري أنه كان في سنة
ثمان وعشرين (بعد المائة) .

(١) في الاصل : تسع ، وهو خطأ ، والتصويب من « تاريخ الطبري » .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد بن حنبل قال : قرأت كتاب داود بن هشام بن عبد الملك إلى نصرين سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له : جهنم ، من الدهرية ؛ فان ظفرت به فاقتله .

وقد ذكر الامام احمد رحمه الله بعض حال الجهنم ؛ كما سيأتي في شرح قول الناظم . ولذلك لم يقر الجهنم بالأرواح خارجة عن الأبدان .

وقال علي بن الحسن : سمعت ابن مصعب يقول : سكفت الجهنمية في غير موضع من كتاب الله ، قولهم : إن الجنة تفنى . وقال الله تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ص : ٦٤ فمن قال : انها تنفذ فقد كفر . وقال (لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٣ فمن قال : انها تنقطع فقد كفر . وقال بلغوا الجهنمية أنهم كفار ، وأن نساءهم طواقي .

وقال زهير الباني^(١) : سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول : الجهنمية كفار . وقال وكيع : أحدثوا ، هؤلاء المرجئة الجهنمية ، والجهنمية كفار . وقال ابن الأسود : سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهنميا بني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئا .

وقال يزيد بن هارون : الجهنمي أضرم مائتي شيطان . قال أبو عبد الله : ما أبالي صليت خلف الجهنمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى . ولا يسلم عليهم ؛ ولا يعادون ؛ ولا يناكحون ؛ ولا يشهدون ؛ ولا تؤكل ذبائحهم . وسئل وكيع عن مثنى الأنطاكي فقال : كافر . وقال عبد الله بن داود : لو كان لي على المثنى الأنطاكي سبيل لنزعت لسانه من قفاه ، وكان جهنميا . وحذر يزيد بن هارون من الجهنمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العباد فهو جهنمي . وقال ضمرة بن ربيعة عن صدوره : سمعت سليمان التيمي يقول : لو سئلت عن الله لقلت في السماء . فإن قال : فأين عرشه قبل السماء ؟ لقلت : على الماء . فان قال : فأين

(١) في الاصل : السخنياني وهو خطأ . والتصويب من كتاب «الرد على الجهنمية» .

كان عرشه قبل الماء ؟ قلت : لا أعلم . قال أبو عبد الله : وذلك لقوله
(ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) البقرة : ٢٥٥ يعني : الا بما بين .
وقال محمد بن يوسف : من قال : ان الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن
زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر . وقيل لمحمد بن يوسف : أدركت
الناس ، فهل سمعت أحداً يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان تكلم
بهذا ؛ ومن تكلم في هذا والجهمي كافر . وقال ابن المبارك : لا نقول كما
قال الجهمية : ان الله في الأرض ههنا ، بل على العرش استوى وقيل له : كيف
نعرف ربنا ؟ قال : فوق سمواته على عرشه . وقال لرجل منهم : أبطنك
خال منه ؟ فبكت الآخر . وقال سعيد بن عامر : الجهمية شر قولاً من اليهود
والنصارى ؛ قد اجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على ان الله على العرش
وقالوا هم : ليس على العرش . وقال حماد بن زيد : القرآن كلام الله ؛ نزل به
جبريل ، ما يحاولون الا انه ليس في السماء إله . وقال علي : ان الذين
قالوا : ان الله ولداً كفر من الذين قالوا : ان الله لا يتكلم ^(١) . وقال : احذر من
المريسي واصحابه ؛ فان كلامهم اشتمل على الزندقة ، وأنا كلمت استاذهم
جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً . وقال الفضيل بن عياض : اذا قال لك
الجهمي : انا أكفر برب يزول عن مكانه . فقل : انا أو من يرب يفعل ما يشاء .
وحدثني أبو جعفر ، قال : سمعت الحسن بن موسى الأشيب فقال منهم ، ثم
قال : دخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له : شمعة على المهدي فقال : دلني
على اصحابك . فقال : اصحابي اكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان
من ينتحل القبله : الجهمية والقدرية . الجهمي اذا غلا قال : ليس ثم شيء ،
وأشار الأشيب الى السماء ، والقدري اذا غلا قال : هما اثنان ؛ خالق خير
وخالق شر . فضرب عنقه وصلبه . قال وكيع : الرافضة شر من القدرية ،
والحرورية شر منها ؛ والجهمية شر هذه الاصناف ، قال الله : (وكلم الله
موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ .

(١) لعل صواب الجملة : ان الذين قالوا : ان الله لا يتكلم كفر من الذين قالوا : ان
الله ولد . وإلا لما كان لهذا الكلام معنى .

ويقولون : لم يتكلم . ويقولون : الايمان بالقلب : قال ابن عباس :
لما كلم الله موسى كان النداء من السماء ، وكان الله في السماء . وقال عن النبي
صلى الله عليه وسلم : إن الله على عرشه فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضه
مثل القبة . وقال ابن مسعود في قوله : ثم استوى على العرش . قال : العرش
على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه . وقال قتادة في قوله تعالى :
(وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤ . قال : يعبد في السماء ، ويعبد
في الأرض . وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة ، لأنهم شبهوا
ربهم بالصميم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر انتهى . ملتقط من
مواضع . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية الخ ما ذكره في « الجهمية » : (ثم
أصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال) (١)
الصائبين ، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الاسلام هو
الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة
الجهمية إليه . وقيل : أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سيمان ؛ وأخذها
أبان عن طالموت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي ؛ وأخذها طالموت عن
لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ . وكان الجعد بن
درهم هذا فيما قيل من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصائبة
والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين
في سحرهم . وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران . وأخذ عن فلاسفة
الصائبين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام وغيره لما
ناظر البسمية (عن) بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يمجدون من العلوم ماسوى
الحسيات ؛ فهذه أسانيد جهم ترجع الى اليهود والصائبين والمشركين ،
والفلاسفة الضالين ، إما عن الصائبين ؛ وإما عن المشركين . انتهى . والمقصود

(١) ما بين الفوسين سقط في الاصل . واستدركناه من « العقيدة الجهمية الكبرى »

الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : جهنم بن صفوان وشيعته الألى .
والألى اسم موصول بمعنى الذين جحدوا صفات الخالق الديان . المعنى أن جهنماً
وشيعته جحدوا صفات البارئ سبحانه وتعالى . والجهنم هو أعظم
الناس نفياً للصفات ، بل وللأسماء الحسنى ، وقوله من جنس قول الباطنية
القرامطة ، حتى ذكروا عنه أنه لا يسمى الله شيئاً ، ولا غير ذلك من
الأسماء التي يسمى بها الخلق ؛ لأن ذلك يزعمه من التشبه الممتنع ، وهذا
قول القرامطة الباطنية . وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد
عنده ليس بمقدر ولا فاعل ؛ إذ كان هو رأس المجبرة .

قال الناظم رحمه الله :

بل عطّلوا منه السموات العلى	والعرش أدخلوه من الرحمن
ونفّوا كلام الرب جل جلاله	وقضوا له بالخلق والحدثان
قالوا وليس لربنا سمع ولا	بصر ولا وجه فكيف يدان ؟!
وكذاك ليس لربنا من قدرة	وإرادة أو رحمة وحنان
كلا ولا وصف يقوم به سوى	ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامه	هو غيره فاعجب لذا البهتان
وكذاك قالوا ماله من خلقه	أحد يكون خليله النفساني
وخليله المحتاج عندهم ، وفي	ذا الوصف يدخل عابدو الاثنان
فالكل مفتقر إليه لذاته	في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بمحمد خالد القسري	يوم ذبائح قربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسى الكلم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخني قربان

قوله : وكلامه هو غيره . أي : ان كلامه مخلوق من جملة المخلوقات ، لأن كلامه غيره ، وما كان غيره مخلوق فهو مخلوق . قوله : وكذا قالوا مال من خلقه أحد النخ ؛ أي : أن الجهمية ينكرون الحلة والمحبة ؛ وإنما يثبتون الحلة بمعنى الفقر والحاجة ، فهم ينكرون أن الله سبحانه يحب أو يحب ، أي : فكل فقير لله ؛ فهو خليله بهذا المعنى ؛ ولهذا ألزمهم الناظم بهذا الالتزام ؛ أي : ان الناس كلهم فقراء الى الله تعالى ؛ كما قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية فاطر : ١٥ . فيلزم على قول الجهمية أن جميع الخلق أخلاه الله ، حتى عابدو الأوثان والأصنام . قوله : كلا ولا وصف يقوم به النخ ؛ أي : إن الباري تعالى وتقدس عندهم لا يوصف إلا بأنه الوجود المطلق ، والوجود المطلق إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان . قوله : وحياته هي نفسه ، أي : إن الصفات ترجع إلى مجرد الذات المقدسة ؛ فهذا حال الجهمية الأولين ؛ وهم الجهمية الذكور ؛ وأما الجهمية المتأخرون الذين سماهم شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري صاحب « منازل السائرين » الجهمية الاناث ؛ فقد قال شيخ الاسلام المذكور في كتابه « ذم الكلام » باب في ذكر كلام الأشعرية : ولما نظر المبرزون من علماء هذه الامة وأهل الفهم من أهل السنة طويلا كلام الجهمية ، وما أودعته من رموز الفلاسفة ولم تقف منهم إلا على التعطيل البحث ؛ وأن قطب مذهبهم ومنتهى عقيدتهم ما صرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم ، أن الفلك دوار ؛ والسواء خالية ، وأن قولهم : إنه تعالى في كل موضع ؛ وفي كل شيء ، مما استثنوا جوف كلب ؛ ولا خنزير ؛ ولا حشاً - فرار من الإثبات ؛ وذهاب عن التحقيق .

شرح الكافية - ٤

وان قولهم : سميع بلا سمع ؛ بصير بلا بصر ؛ عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ؛ إله بلا نفس ولا شخص ولا صورة ؛ ثم قالوا : لأحياءة له ، ثم قالوا : لاشيء ، فإنه لو كان شيئاً لأشبه الأشياء . حاموا^(١) حول مقال رؤوس الزنادقة القدماء ، إذ قالوا : الباري لا صفة ؛ ولا صفة ، خافوا على قلوب ضعفى المسلمين وأهل الغفلة وقلة الفهم منهم ؛ إذ كان ظاهر تعلقيهم بالقرآن ، وإن كان اعتصاماً به من السيف ؛ واجتناناً به منهم ؛ ولذا هم يرون التوحيد ؛ ويخاضون المسلمين ؛ ويحلمون الطيالة ؛ فأفصحوا بمعانيهم ؛ وصاحوا بسوء ضمائرهم ؛ وفادوا على خيابة نكتهم ؛ فباطل ما لقوا في أيامهم من سيوف الخلفاء ؛ وألسن العلماء ؛ وهجران الدهماء ؛ فقد شخت كتاب تكفير الجهمية من مقالات علماء الاسلام فيهم ، ودأب الخلفاء فيهم ؛ ودق عامة أهل السنة عليهم ؛ واجماع المسلمين على اخراجهم من الملة ؛ ثقلت عليهم الوحشة ، وطالت عليهم الذلة ؛ وأعيتهم الحيلة ، إلا أن يظهروا الخلاف لأولاهم ؛ والرد عليهم ؛ ويصبغوا كلامهم صبغاً^(٢) . يكون ألوح للأفهام ؛ وأنجع في العوام من أساس أولهم ؛ ليجدوا بذلك المساغ ؛ ويتخلصوا من خزي الشناعة ؛ فبجأت مخاريق تراهى للغبى بغير ما في الحشاياء . ينظر الناظر الفهم في جذورها ؛ فيرى مخ^(٣) الفلسفة يكسى طاء السنة ؛ وعقد الجهمية ينحل ألقاب الحكمة ؛ ويردون على اليهود قولهم : يد الله مغولة ، فيتكرون القل ؛ وينكرون اليد ، فيكونون أسوأ حالاً من اليهود ؛ لأن الله أثبت الصفة ، ونفى العيب ؛ واليهود أثبتت الصفة ؛ وأثبتت العيب ؛ وهؤلاء نفوا الصفة ؛ وكانفوا العيب ؛ ويردون على النصارى في مقالهم في عيسى وأمه ؛ فيقولون : لا يكون في المخلوق غير المخلوق ؛ فيبطلون القرآن ؛ فلا يخفى على ذوي الأبواب أن كلام أولاهم وكلام أخراهم كخط السحارة ؛ فاسمعوا يا ذوي الأبواب ، وانظروا ما فضل هؤلاء على أولئك ؟

(١) في الاصل : حاولو

(٢) في الاصل : ويصفوا كلامهم صبغاً . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » لشيخ

الاسلام الهروي ، وهو من مخطوطات الظاهرية .

(٣) في الاصل : خدرها فيرمخ ، والتصحيح من « ذم الكلام وأهله » .

أولئك قالوا قبح الله مقالتهن : إن الله موجود بكل مكان ؛ وهؤلاء يقولون : ليس هو في مكان ؛ ولا يوصف بأين . وقد قال المبلغ عن الله لجارية معاوية بن الحكم : أين الله ؟ وقالوا : هو من فوق ؛ كما هو من تحت ؛ لا يدري أين هو ؛ ولا يوصف بمكان ؛ وليس هو في السماء ؛ وليس هو في الأرض . وأنكروا ؛ أي : الجهة والحد . وقال أولئك : ليس له كلام ، إنما خلق كلاماً ، وهؤلاء يقولون : تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم ، لم ينقطع عن الكلام ؛ ولا يوجد كلامه في موضع ليس هو به ، ثم قالوا : ليس هو صوت ولا حروف ، وقالوا : هذا زاج وورق ، وهذا صوف وخشب ، وهذا لما قصد به النقش ، وأريد به النقر ، وهذا صوت القاري ، أما ترى أن منه حسناً ومنه قبيحاً ، وهذا لفظ ، أما تراهم يجازي به ، حتى قال رأس من رؤوسهم : أو يكون قرآن من لبد ؟ وقال آخر من خشب ، فراغوا فقالوا : هذا حكاية عبر بها عن القرآن ، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك ؛ ثم قالوا : غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، وهذا من فسخهم بصطادون به قلوب عوام أهل السنة ، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود ، لفظته الجهمية الذكور بجمرة ، والاشعرية الاناث بعشر مرات ، وأولئك قالوا : لا صفة ، وهؤلاء يقولون : وجه ، كما يقال : وجه النهار ، ووجه الأمر ، ووجه الحديث ، وعين كعين المتاع ، وسمع كأذن الجدار ، وبصر ، كما يقال : جدارهما يتراءيان ، ويد كيد المنة والعطية ، والأصابع ، كقولهم : خراسان بين اصبعي^(١) الأمير ، والقدمان ، كقولهم : جعلت الخصومة تحت قدمي ، والقبضة ، كما قيل : فلان في قبضتي . أي ؛ أنا أملك أمره . وقالوا : الكرسي العلم ، والعرش الملك ، والضحك الرضى ، والاستواء الاستيلاء ، والنزول القبول ، والمهولة مثله ، فشبهوا من وجه ، وأنكروا من وجه ، وخالفوا السلف ، وتعدوا الظاهر ، وردوا الأصل ،

(١) في الأصل : اصابع . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

ولم يشبوا شيئاً ، ولم ينفوا موجوداً ، ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة
بالألسنه . فقالوا : لانفسرها ، نجرها عربية كما وردت ، وقد نأولوا تلك
التأويلات الخبيثة ، أرادوا بهذه الخرقه أن يكون عوام المسلمين أبعد غياباً
وأعيا ذهاباً منها ، ليكونوا أوحش عند ذكرها ، وأشمس عند سماعها ،
وكذبوا ، بل التفسير أن يقال : وجه ، ثم يقال : كيف ؟ وليس كيف في
هذا الباب من مقال المسلمين . فأما العبارة فقد قال الله تعالى (وقالت اليهود
يد الله مغلوله) المائدة : ٦٤ وإنما قالواهم بالعبرانية ، فحكاها عنهم بالعربية ، وكان
يكتب رسول الله ﷺ (كتابه) بالعربية فيها أسماء الله وصفاته ، فيعبر بالألسنة عنها ،
ويكتب إليه بالعبرانية ، فيعبر له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية ، والله
تعالى يدعى بكل لسان بأسمائه ، فيجيب ويحلف بها فيلزم ، وينشد فيجاء
ويوصف فيعرف ، ثم قالوا : ليس ذات الرسول بحجة ، وقالوا : ماهر بعد
ماتات ببلغ ، فلا تلزم به (١) الحجة ، فسقط من أقاويلهم ثلاثة أشياء ، أن ليس
في السماء رب ، ولا في الروضة رسول ، ولا في الأرض كتاب ، كما سمعت
يحيى بن عمار (٢) يحكم به عليهم ، وإن كانوا (٣) موهرها ووروا عنها واستوحشوا من
قصر بحها ، فإن حقائقها لازمة لهم ، وأبطالوا التقليد ، فكفروا آباءهم
وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين ، وأوجبوا النظر في الكلام ، واضطروا
إليه (الدين) بزعمهم ، فكفروا السلف (وقالت الطائفة منهم : الفرض لا يتكرر)
فأبطلت الشرائع ، وسموا الاثبات تشبيهاً ، فعابوا القرآن وضلوا الرسول
ﷺ فلا تسكاد ترى منهم رجلاً ورعاً ، ولا للشريعة معظماً ، ولا للقرآن
محترماً ، ولا للحديث موقراً ، سلبوا التقوى ، ورقة القلب ، وبركة
التعب ، ووقار الخشوع ، واستفضوا الرسول ، فانظر إلى احدهم ، فلا هو

(١) في الاصل : فيلزم . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

(٢) يحيى بن عمار : هو الإمام الواعظ السجستاني نزيل هراة ، أثنى عليه في « الشذرات »

مات سنة ٤٢٢

(ابن مانع)

(٣) في الاصل : كان . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

طالب آثاره^(١)، ولا متبوع أخباره ، ولا مناخل عن سنته، ولا هوراغب في أسوته ، يتقلب بحرقة العلم وما عرف حديثاً واحداً ، تراه يهزأ بالدين ، ويضرب له الأمثال ، ويتلمب بأهل السنة ، ويخرجهم أصلاً من العلم ، لا تنقر لهم عن بطانة إلا خانتك ، ولا عن عقيدة إلا أرابتك ، ألبسوا ظلمة الهزة^(٢) ، وصلبوا هيبة الهدى ، فتنبو عنهم الأعين ، وتشتمز منهم القلوب انتهى . قوله : ولأجل ذا ضحى يجعد خالد القسري الخ . أي : ولأجل إنكار الخلة والكلام ، ضحى خالد بن عبد الله القسري بالجعد بن درهم يوم الأضحى ، ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

وهو خالد بن عبد الله القسري بفتح القاف . قال : في « تهذيب الكمال » خالد بن عبد الله بن يزيد بن كرز بن عامر البجلي القسري أمير مكة للوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك . وقال البخاري : كان خالد بن عبد الله القسري البجلي اليامي بواسط ، ثم قتل بالكوفة . وقال أبو المليح الرقي : سمعت خالد بن عبد الله يقول على المنبر : قد اجتمع من فيكم هذا ألفا ألف ، لم يظلم فيها مسلم ولا معاهد . وقال عبد الرحمن بن أحمد بن زيد : ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور ، ثنا الأصمعي ، قال : حدثنا عبد الله بن نوح قال : سمعت خالد بن عبد الله يقول : إني لأعشي كل ليلة قرأاً وسويقاً ستة وثلاثين ألفاً . وقال الأصمعي : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله فقال : إني قد أنشدت فيك بيتين ، ولست أنشدكما إلا بعشرة آلاف وخادم ، فقال له خالد : قل ، فأنشأ يقول :

لزمتم نعم حتى كأنك لم تكن سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم

(١) في الاصل : أثره ، والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

(٢) في الاصل : ألبسوا ظلمة الهوى . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » للبروي .

وأنكرت لاحتى كأنك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والامم
فقال خالد : يا غلام عشرة آلاف وخادم ، فحصل ما قال : ودخل
عليه أعرابي فقال : اني قد قلت فيك شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد اني لم أزرک حاجة سوي أني عاف وأنت جواد
أخالد ان الحمد والأجر حاجتي فأيهما يأتي وأنت عماد
فقال له : سل يا أعرابي . قال : قد جعلت المسألة لي أصلح الله
الأمير ؟ مائة الف درهم : أكرت يا أعرابي . فقال : أفأحطك أصلح
الله الأمير ؟ قال : نعم . قال : حططتك سبعين ألفاً ، فقال له خالد :
يا أعرابي ، ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ ! فقال : إنك لما جعلت
المسألة لي سألتك على قدرك ، وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطك
حططتك على قدري وما أستأمله . فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبنني ،
يا غلام مائة ألف ، فدفعها اليه . قال خليفة : قتل خالد سنة ست وعشرين
ومائة وهو ابن نحو ستين سنة . انتهى مختصراً . وقد تقدمت ترجمة الجهم .
وأما الجعد فهو ابن درهم قال بخلق القرآن ، وهو الذي كان ينسب
اليه مروان الجعدي ، أصله من حران . ويقال : إنه من موالي بني مروان ،
وسكن دمشق .

قال الحافظ ابن عساكر : وقد أخذ بدعته عن بيان بن سميان ،
وأخذها بيان عن طلوت بن أخت لبيد بن أعصم وزوج ابنته ، ثم لبيد
ابن أعصم الساحر لعنه الله ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الجريري .
وقيل : الترمذي ، وأقام يبلغ ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في
مسجده ويتناظران ، حتى نفى الى ترمذ ، ثم قتل بأصبهان . وقيل : مروان .

وقتلها نائبها مسلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر . وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية ، فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقية بها الجهم بن صفوان ، فتقلد عنه هذا القول ، ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحية بالكوفة . وقد روى البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » وابن أبي حاتم في كتاب « السنة » وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ، كالطبراني ، وابن أبي عاصم ، وعبد الله بن أحمد ، أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحية فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضج بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر . قال غير واحد من الأئمة : كان الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له : مروان الجعدي نسبة إليه . وذكره الحافظ ابن عساكر في « التاريخ » وذكر أنه كان يتروّد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول : إنه أجمع للعقل . وكان يسأل وهباً عن ماهية الله عز وجل . فقال له وهب يوماً : ويليك يا جعد أنقص المسألة إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك . قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتحرّك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرّك نائم وتحرّك الأشجار لليلان
والله يصليه على ما ليس من أفعاله حرّ الحميم الآن

لكن يعاقبه على أفعاله فيه تعالى الله ذو الإحسان
والظلم عندهم المحال لذاته أنى ينزه عنه ذو السلطان ؟
ويكون مدحاً ذلك التنزيه ما هذا بمعقول لذي الأذهان

أي : والعبد عند الجهمية ليس بفاعل ، بل هو مجبور على أفعاله ،
ولذلك قال الناظم : بل فعله كتحريك الرجفان ، أو تحريك الأشجار عند
عند هبوب الريح . وقوله : المحال لذاته ، وذلك كالجمع بين الضدين ،
وجعل الجسم الواحد في مكانين . وأما المحال لغيره ، فهو كإيمان من علم الله
تعالى أنه لا يؤمن ، وذلك لأن الله تعالى أنزل الكتب وبعث الرسل بطلب
الايان والاسلام من كل واحد ، وكلفهم ذلك ، وعلم أن بعضهم لا يؤمن .
وفي الحديث القدسي حديث أبي ذر في « صحيح مسلم » عن رسول الله
ﷺ فيما يروي عن ربه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي الخ » .
وفيه مسألتان : أحدهما في الظلم الذي حرمة الله تعالى على نفسه ، ونقاه عن
نفسه لقوله : (وما ظلمناهم) هود : ١٠١ . وقوله : (ولا يظلم ربك أحداً)
الكهف . ٤٩ وقوله : (وما أنا بظلام للعبيد) ق : ٢٩ وقوله (إن الله
لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠ فإن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعا
صاروا فيه بين طرفين متباعدين ، ووسط بينهما ، وخيار الأمور أوسطها ،
وذلك بسبب البحث ومجامعته للشرع ، وإذا انحوض في ذلك بغير علم تام ،
أوجب ضلال عامة الامم ، ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه ،
فذهب المكذوبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولم يرد أن
يكون إلا ما أمر بأن يكون ، وغلاتهم المكذوبون ، بتقديم علم الله وكتابته
بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم إلى أن الظلم منه غير نظير

الظلم من الآدميين بعضهم لبعض ، وشبهوه ومثلوه بالأفعال ، بأفعال عباده ، حتى كانوا بمثابة الأفعال ، وضربوا الله الأمثال ، ولم يجعلوا له المثل الأعلى ، بل أوجبوا عليه وحرّموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقيامه على العباد ، وإثبات الحكم في الأصل بالرأي ، وقالوا عن هذا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالماً له ، فالتزموا أنه لا يقدر على أن يهدي ضالاً كما قالوا : إنه لا يقدر أن يضل مهتدياً ، وقالوا عن هذا ، إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بأعنته على فعل المأمور كان ظالماً ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي هي من باب الفضل والاحسان ، جعلوا تركه لها ظلماً ، وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ، ومن لم يقم ، وإن كان ذلك الاستحقاق قد خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة ، وهذا الموضع زلت فيه أقدام ، وضلت فيه أفهام ، فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر ، فقالوا : ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها ، بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدوراً ، ولأن يقال : إنه تارك له باختياره ومشئته ، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين ، وقلب القديم محدثاً ، والحديث قديماً ، وإلا فيها قدر وجوده في الذهن وكان وجوده ممكناً والله قادر ، فليس بظلم ، سواء فعله أو لم يفعله ، وتلقني هذا القول عن هذه الطوائف من أهل الإثبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وربما تعلقوا بظاهر أقوال مأثورة ، كما رويناه عن إياس بن معاوية أنه قال : ما نظرت أحداً يعقلي كله إلا القدرية . قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : أن تأخذ ما ليس لك ، أو تتصرف فيما ليس لك . قلت : فله كل شيء ، وهذا من إياس ليبين أن التصرفات الواقعة في ملكه ، فلا يكون ظالماً بموجب حدّهم ، وهذا لا نزاع بين أهل

الاثبات فيه ، فانهم متفقون مع الايمان بالقدر على أن كل ما فعله الله فهو عدل ، وفي حديث الكرب الذي رواه الامام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب غمي وهمي ، إلا أذهب الله غمه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً » قالوا : يا رسول الله أفلا تتعلمهن ؟ قال : « بلى ينبغي لمن سمعن أن يتعلمن » فقد بين أن كل قضائه في عبده عدل ، ولهذا يقال : كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل . ويقال : أعطتك بفضلك والمنة لك ، وعصيتك بعدلك ، والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتني ، الا ما غفرت لي . وهذه المناظرة من إياس كما قال ربيعة بن عبد الرحمن لقيلان حين قال له غيلان : ناشدتك الله أترى الله يحب أن يعصى ؟ فقال : ناشدتك الله أترى الله يعصى قهراً ؟ فكأنما ألغى حجباً ، فان قوله : يجب ان يعصى ، لفظ فيه اجمال ، وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير الجملات ، خوفاً من لدن الخصم ، فيؤتى بالواضحات . فقال : أفتراه يعصى قهراً ؟ فان هذا إلزام له بالعجز الذي هو لازم القدرية ، ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم ، فكذلك إياس رأي أن هذا الجواب المطابق لحدهم خاصهم ، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول . وبالجملة فقوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) طه : ١١٢ قال أهل التفسير من السلف : لا يخاف ان يظلم فيجمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم فينقص من حسنه ، ولا يجوز ان يكون هذا الظلم هو شيء يتمتع غير مقدور عليه ، فيكون التقدير : ولا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج

عن الممكنات والمقدورات ، فان مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكناً حتى نقولوا : إنه غير مقدور ، ولو أراد خلق المثل ، فكيف يعقل وجوده ، فضلاً عن أن يتصور خوفه حتى ينفي خوفه . ثم أي فائدة في نفي خوف هذا ؛ وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم ، فعلم أن الظلم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير ، وأن الله لا يجزيه إلا بعمله .

المسألة الثانية : ان الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ، وما يجوز منه ، وما لا يجوز منه ، ثلاثة أقوال ، طرفان ، ووسط ، والطرف الواحد طرف القدرية ، وهم الذين حجبوا عليه أن لا يفعل إلا ما ظنوا بعقولهم أنه الجائز له ، حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجوين ، فأوجبوا عليه بعقولهم أموراً كثيرة ، وحرمو عليه بعقولهم أموراً كثيرة ، لا بمعنى أن العقل أمر له ونهيه ، فان هذا لا يقوله عاقل ، بل بمعنى أن تلك الأفعال علم بالعقول وجوبها وتحريمها ، ولكن أدخلوا في تلك المنكرات ما بنوه على تكذيبهم بالقدر ، وتوابع ذلك ، والطرف الثاني : طرف الغلاة في الرد عليهم ، وهم الذين قالوا : لا ينزه الله عن فعل من الأفعال ، ولا يعن وجه امتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله ، المطابق لعلمه أنه لا يفعله ، وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر من أنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرّم على نفسه الظلم . قال تعالى : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتبكم على أنفسكم الرحمة) الأنعام : ٥٥ وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً ، فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » أو لم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه ، إذ الفعل يطابق المعلوم ، فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه لا يفعل هذا ليس فيه تعارض ، لأنه

كتب هذا على نفسه ، وحرم هذا على نفسه ، كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا أو لا يفعل كذا ، لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ، ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا ، فإن الخبر الحض كاشف عن الخبر عنه ، ليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل ولا إلى الترك ، بخلاف قوله : كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، فإن التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية من الفعل ، وهذا بين واضح ، إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل ، وهو كتابة التقدير ، كما ثبت في « الصحيح » « أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » فإنه قال : كتب على نفسه الرحمة. ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة ، إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ، ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الإحسان ، كما حرم الظلم ففرق بين فعله سبحانه ، وبين ما هو مفعول مخلوق له ، وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه ، وإن كان بالنسبة إلى فاعله الذي هو الإنسان هو ظلم ، كما أن أفعال الإنسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزناً وصوماً ، والله تعالى خالقها بمشيئته ، وليس بالنسبة إليه كذلك ، إذ هذه الأحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل ، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به ، لا للمخالق الذي خلقها وجعلها صفات ، والله تعالى خالق كل صانع وصنعه ، كما جاء ذلك في الحديث ، وهو خالق كل موصوف وحفته .

ثم صفات المخلوقات ليست صفات له ، كالألوان والطعوم والروائح ، لعدم قيام ذلك به ، وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ، ولا أفعال له بهذا الاعتبار ، لكونها مفعولات هو خلقها . وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة ، والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء ، وهو

مقدس عن ترك هذا الذي لو تركه لكان تركه نقصاً ، وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه ، وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لأوجب نقصاً ، وهذا بين والله الحمد عند الذين أوتوا العلم والايمان ، وهو أيضاً مستقر في عموم المؤمنين ، ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم ، فقابلهم من قابلهم بنوع من الكلام الباطل ، كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمون به ، وذلك أن المعتزلة قالوا : قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم ، كما دل عليه الكتاب والسنة . والظالم : من فعل الظلم ، كما أن العادل : من فعل العدل ، هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعاً وعقلاً . قالوا : ولو كان الله خالقاً لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالماً ، فعارضهم هؤلاء بأن قالوا : ليس الظالم من فعل الظلم ، بل الظالم من قام به الظلم . وقال بعضهم : الظالم من اكتسب الظلم . وكان منهيّاً عنه . وقال بعضهم : الظالم من فعل محرماً عليه أو منهيّاً عنه . ومنهم من قال : من فعل الظلم لنفسه ، وهؤلاء يعنون أن يكون له ، والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته . ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعاً عندهم لذاته ، كاستناع أن يكون فوقه أمر له ومساو . ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب تعالى من أفعاله حكم لنفسه ، وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل ، بل سلموا ذلك لهم ، وإن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية ، والذي يكشف تلبس المعتزلة أن يقال لهم : الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وإن كان فاعلاً للظلم والعدل ، فذلك قائم به أيضاً ، ولا يعرف الناس من يسمى ظالماً ولم يقم به الفعل الذي صار به ظالماً ، بل لا يعرفون ظالماً إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالماً ، وإن كان فعله متعلقاً بغيره وله مفعول منفصل عنه ، لكن لا يعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك ، فكونكم

أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم ، وعنتم بذلك من فعله في غيره ، فهذا تليس وإفساد للشرع والعقل واللغة ، كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم : إ هو من فعل الكلام ولو في غيره ، فجعلتم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه قائماً بغيره متكبلاً وان لم يقم به هو كلام أصلاً ، وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ، ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه ، وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات ، ولا يفرق حينئذ بين نطقى وأنطقى ، وإنما قالت الجلود : إنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، ولم تقل ، نطق الله بذلك ، ولهذا قال من قال من السلف ، كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ، مامعناه : إنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حين قال (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ كالكلام الذي خلقه في الشجرة ، حتى قالت : (إني أنا الله لا إله إلا أنا) فإما أن يكون فرعون محققاً ، وإما أن تكون الشجرة كفرعون ، وإلى هذا المعنى تنحو الاتحادية من الجهمية ، وينشدون :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

والمقصود الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : والعبد عندهم فليس بفاعل ؛ وسأتي لهذا المقام زيادة بسط بحول الله تعالى في الكلام على قوله : وقضى بأن الله ليس بفاعل الخ .

فصل

وكذلك قالوا ماله من حكمة هي غاية للأمر والاتقان

ماثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان
هذا وما تلك المشيئة وصفه بل ذاته أو فعله قولان
وكلامه مذ كان غيراً كان مخ لوقال له من جملة الأكوان
قالوا وإقرار العباد بأنه خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن والاهم من عابدي الاوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك عبد المسيح مقبل الصليبان
واسأل ثوذوعاد بل سل قبلهم أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرفوا بخلاق أم أصبحت ذانكران؟
واسأل شرار الخلق أعني أمة لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذلك إمام كل معطل فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الرب العظيم مكون الأكوان
فليشروا ما فيهم من كافر هم عند جهنم كاملو الإيمان

أي : إن الجهمية نفت الحكمة في خلقه تعالى ، فعندهم أنه لا حكمة
في الأمر والنهي ، بل ماثم إلا الترجيح بمجرد المشيئة ، بل خلق المخلوقات ،
وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الإرادة ، وهذا قول جمهور من

يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم ، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه ، وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية ، كابن حزم وأمثاله .

قال شيخ الاسلام : لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثر على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أو فائئة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لم فيه أيضاً قولان . وهو يتسلسل الحكم ، أو لا يتسلسل ، أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟ فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) البقرة : ١٤٣ وقوله : (كيلا يكون دولة) الحشر : ٧ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم) البقرة : ١٤٣ ونظائرها ، ولأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٧ والاجماع واقع على اشتغال الأفعال على الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوباً عند المعتزلة ، فيفعل ما يريد بحكمته وقد أطل الناظم رحمه الله في كتابه « شرح منازل السائرين »^(١) « ومفتاح دار السعادة » وغيرهما ، فما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله تعالى : (أم حسب الذين اجتروا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) الجاثية : ١٢ فدل على أن هذا حكم بشيء يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة كونه أنه لا يكون ، ومن هذا إنكاره تعالى على من جوز أن يترك عباده سدى ، لا يأمرهم ولا ينهاهم ، ولا ينيهم ولا يعاقبهم ، وإن هذا الحسبان باطل ، والله متعال عنه لمنازاته لحكمته ، فقال تعالى : (أيجsb الانسان أن

(١) وهو المشهور بـ : « مدارج السالكين » .

يترك سدى) القيامة ٣٦ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجاناً ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى الحكم الحاكمين ، ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦ فنهى نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبه ومنافاته الحكمة ، وهذا يدل على إثبات المعاد بالعقل ، كما يدل على إثباته بالسمع . ثم إنه رحمه الله بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس . وفي « منهاج السنة النبوية » لشيخ الاسلام قال : أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ، ولكن تنازعوا في تفسير ذلك . فقالت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده ، ولم يشبوا إلا العلم والارادة والقدرة . وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم في خلقه وأمره ، والحكمة ليست مطلق المشيئة ، إذ لو كان كذلك لكان كل مرید حكيماً . ومعلوم أن الارادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة ، بل تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، والقول بإثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط ، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ، فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية ، وإنما تنازع في ذلك طائفة من نفاة القياس وغير نفاته ، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده معلوم ، وأصحاب القول الأول كجهم بن صفوان ، وموافقيه كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم يقولون : ليس في القرآن لام في تعليل أفعال الله ، بل ليس فيه إلا لام العاقبة . أما الجمهور فيقولون :

لام التعليل داخلية في أفعال الله واحكامه ، والقاضي ابو يعلى وابو الحسن ابن الزعفراني^(١) ونحوهما من أصحاب احمد وإن كانوا قد يقولون بالاول ، فهم يقولون بالثاني أيضاً في غير موضع ، وكذلك امثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما . واما ابن عقيل في بعض المواضع ، والقاضي ابو حازم ابن القاضي ابي يعلى ، وابو الخطاب ، فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من أهل النظر ، والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح ، والكرامية وامثالهم هم أيضاً من القائلين بالقدر والمثبتين خلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر وعثمان ، وهم أيضاً يقولون بالتعليل والحكمة ، وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة ، بل وبالتحسين والتقييح العقليين كأبي بكر القفال وأبي علي ابن أبي هريرة ، وغيرهم من أصحاب الشافعي ، وأبي الحسن التميمي ، وأبي الخطاب من أصحاب أحمد انتهى كلامه . قوله : وكلامه مذ كان الخ . أي : إن كلام الله غيره عندهم ، وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه خلقه الله في بعض الأجسام ، نحو ذلك الجسم ابتداء ، ولا يقوم عندهم بالله كلام بل ولا لإرادة قول . وقد حقق الناظم رحمه الله تعالى ذلك بما يزيل اللبس والابهام ، فقال في كتابه « بدائع الفوائد » اللفظ : المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً ، حقيقة متميزة متحصلة ، فاستحق أن يوضع له لفظ بدل عليه ، لأنه شيء موجود في اللسان مسموع بالآذان ، فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم ، عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً ، واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال ، عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان ، وهو المسمى ، والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم ، وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه ، فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس

(١) في الاصل : الزاغوني .

هو المسمى ، ولهذا تقول : سميت هذا الشخص بهذا الاسم ، كما تقول :
 حلته بهذه الحلية ، فالحلية غير المحلى ، فكذلك الاسم غير المسمى . وقد
 صرح بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا وادعى أن مذهبه
 اتحادهما . قال الناظم : وما قال نحوي قط ولا عربي أن الاسم هو المسمى ،
 ويقولون : أجل مسمى ، ولا يقولون : أجل اسم ، ويقولون :
 مسمى هذا الاسم كذا ، ولا يقول أحد : اسم هذا الاسم كذا ،
 ويقولون : بسم الله ، ولا يقولون : بسمي الله . وقال رسول الله ﷺ « إن الله
 تسعة وتسعين اسماً » ولا يصح أن يقال : تسعة وتسعون مسمى ، ونظائره كثيرة
 جداً . وقال : وإذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى ، فبقي هنا التسمية ،
 وهي التي اغتربها من قال باتحاد الاسم والمسمى . والتسمية عبارة عن فعل
 المسمى ، ووضعه الاسم للمسمى ، كما أثبت التحلية عبارة عن فعل المحلى ،
 ووضعه الحلية على المحلى ، فهنا ثلاث حقائق : اسم ، ومسمى ، وتسمية .
 كحلية ومحلى وتحلية ، وعلامة ، ومعلم ، وتعليم . ولا سبيل إلى
 جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحد ، لتباين حقائقهما ، فإذا جعل
 الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد . فان قيل :
 ما شبهه من قال باتحادهما ؟ فالجواب : شبهته أشياء : منها أن الله تعالى هو
 وحده الخالق وما سواه مخلوق ، فلو كانت مخلوقة للزم أن لا يكون له اسم
 في الأزل ولا صفة ، لأن أسماء صفات ، وهذا أعظم ما فاد منكلمي الإثبات
 إلى القول باتحادهما . والجواب عن كشف هذه الشبهة ، أن منشأ الغلط في
 هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين حق وباطل ، فلا يتفصل
 النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها ، ولا ريب أن الله تعالى
 لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسمائه منها ، فلم يزل
 بصفاته وأسمائه ، وهو إله واحد ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ،

وصفاته وأسماءه داخله في معنى اسمه ، وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق ، فليست صفاته وأسماءه غيره ، وليست هي نفس الإله ، وبلاء القوم من لفظة الغير ، فإنها يراد بها معنيان . أحدهما : المغاير لذلك الذات المسماة بالله ، وكل ما غير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقاً ، ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها . فاذا قيل : علم الله ، وكلام الله وغيره ، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام ، كان المعنى صحيحاً ، ولكن الإطلاق باطل ، فاذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره ، كان باطلاً لفظاً ومعنى ، وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن . وقالوا : كلامه تعالى داخل في معنى اسمه ، فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ، ومن تلك الصفات صفة الكلام ، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة ، وإذا كان القرآن كلامه ، وهو صفة من صفاته ، فهو متضمن لأسمائه الحسنى ، فاذا كان القرآن غير مخلوق ، ولا يقال : إنه غير الله ، فكيف يقال : إن بعض ما تضمنه وهو أسماءه مخلوقة وهي غيره ؟ ! فقد حصص الحق بحمد الله ، وانحسم الاشكال ، وإن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه ، وكلامه غير مخلوق . ولا يقال : هو غيره ولا هو هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : أسماءه غيره ، وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول : اسمه نفس ذاته لا غيره ، وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب . ثم ذكر حجة القائلين بأن الاسم هو المسمى ، وأجاب عنها وأطال وأطاب رحمه الله تعالى ، والله أعلم . قوله . وإقرار العباد بأنه خالقهم هو منتهى الإيمان . هذا بيان لمذهب جهنم وأتباعه في الإيمان ، وذلك أن مذهبهم أن الإيمان هو المعرفة والتصديق ؛ أي : الإقرار بالله تعالى ، وبأنه خالق العالم ، والأقوال والأعمار عندهم ليست من الإيمان ، وهذا مذهب الصالحين ، والشيخ أبي الحسن الأشعري في المشهور من قوله .

وعندهم أن إيمان الناس سواء ، وأن الإيمان لا يتفاضل ، بل إيمان أصدق الناس وأبرهم كإيمان أفسقهم وأفجرهم ، ولهذا قال الناظم :

والناس في الإيمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الأسنان

ثم قال على سبيل الإلزام : فأسأل أبا جهل وشيعته ، واسأل اليهود وثمود وعاد وقوم نوح وبليس وقوم لوط وفرعون وقارون وهامان . أي : إن جميع هؤلاء معترفون بالخالق سبحانه وتعالى ، فإذا كان الإيمان هو التصديق كما زعمت الجهمية ، فليبشر هؤلاء أن ليس فيهم كافر على مذهب الجهمية ، لأنهم مصدقون بالله سبحانه ، والله أعلم .

فصل

وقضى بأن الله كان معطلا والفعل مُتَمَتِّعٌ بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدورا له من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته قبل الحدوث وبعده سيات
قوله : وقضى النح . قال في « النهاية » : قد تكرر في الحديث ذكر
القضاء ، وأصله الفصل والقطع . يقال : قضى يقضي قضاء فهو قاض : إذا
حكم وفصل . وقضاء الشيء : إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى
الخلق . وقال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع
الشيء وإتمامه ، وكل ما أحكم علمه أو أمه أو حتم أو أدى أو أوجب أو أعلم
أو أنفذ أو أمضى . قال : وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث ،

ومنه القضاء المقرون بالقدر ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه . انتهى .

أي : وقضى جهنم وحكم بأن الله كان معطلاً في الأزل . تعالى الله عن ذلك ، لا يفعل شيئاً ، ثم فعل من غير أمر قام به سبحانه ، وذلك فرار من القول بدوام فاعليه الرب^(١) . ولنبسط الكلام على هذه المسألة بحول الله تعالى فنقول : قال شيخ الاسلام ابن تيمية في المسألة المصرية في القرآن : اعلم أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ، سلكوا في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع طريقة مبتدعة في الشرع ، مضطربة في العقل ، وأوجبوها ، وزعموا أنه لا يمكن معرفة الصانع إلا بها ، وتلك الطريق فيها مقدمات لها نتائج مجمة ، فغلظ كثير من سالكيها في مقصود الشارع ومقتضى العقل ، فلم يفهموا ما جاءت به النصوص النبوية ، ولم يحجروا ما اقتضته الدلائل العقلية ، وذلك أنهم قالوا : لا يمكن معرفة الصانع إلا بإثبات حدوث العالم ، ولا يمكن إثبات حدوث العالم ، إلا بإثبات حدوث الأجسام . قالوا : والطريق إلى ذلك هو الاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث ما قامت به الاعراض ، فمنهم من احتج بالحركة والسكون فقط ، ومنهم من احتج بالاكوان التي هي عندهم الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، ومنهم من احتج بالاعراض مطلقاً ، وبني الدليل على أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، لامتناع حوادث لا أول لها . فقال لهم المعارضون لهم من أهل الملل وغيرهم : أنتم أثبتتم حدوث العالم بطريقتين ، وحدوث العالم لا يتم إلا مع

(١) الشارح لم يوضح الايات . (ابن مانع)

نقيض ما أثبتوه ، فما جعلتموه دليلاً على حدوث العالم لا يدل على حدوثه ، بل ولا يستلزم حدوثه . والدليل لا بد أن يكون مستلزماً للمدلول ، بحيث يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول ، بل هو منافي لحدوث العالم ، منافي له ، وهو يقتضي امتناع حدوث العالم ، بل امتناع حدوثه شيء من الأشياء ، وهذا يقتضي بطلانه في نفسه ، وأنه لو صح لم يدل إلا على نقيض المطلوب ونقيض ما يقوله كل عاقل ، فان كل عاقل يعلم حدوث الحوادث في الجملة ، سواء قيل بقدوم الأفلاك ، أو لم يقل بذلك ، وذلك ان مبنى دليلكم على أن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وأن الإرادة الأزلية التي نسبتها إلى جميع المرادات على السواء ترجح مراداً على مراد بلا مرجح ، غير المرجح الذي نسبته إلى جميع المرجحات نسبة واحدة لا تتفاضل . ومن المعلوم أن ترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح ، أو ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بلا سبب يقتضي ذلك ، باطل في بديهية العقل . ولو قيل : إن ذلك صحيح لبطل الدليل الذي يستدل به على ثبوت الصانع وحدث العالم ، فان مبنى الدليل على أن المحدث لا بد له من محدث ، وذلك يستلزم أن ترجيح الحدوث على العدم لا بد من مرجح ، ولا بد أن يكون للمحدث مرجح قد حدث منه ما يستلزم وجود المحدث الذي جعله موجوداً ، وإلا إذا لم يلزم وجوده ، كان وجوده جائزاً ممكناً ، كان محتملاً للوجود والعدم ، فتوجيه الوجود على العدم لا بد له من مرجح محدث له ، وكل ما أمكن حدوثه إن لم يحصل له ما يستلزم حدوثه ، لم يحصل ، فما شاء الله كان لا محالة ، ووجب وجوده بمشيئة الله ، وما لم يشأ لم يكن ، بل يمتنع وجوده مع عدم مشيئة الله تعالى ، فما شاء الله حدوثه ، كان لازم الحدوث واجب الحدوث بمشيئته لا بنفسه ، وما لم يشأ حدوثه ، كان ممتنع الحدوث لازم العدم واجب العدم ، لأنه لا يوجد

بمشيئة الله المستلزمة لحدوثه . ثم إن الفلاسفة الدهرية القائلين بقدوم العالم قالوا : ما ذكرتموه من الدليل لا يدل على الحدوث ، بل يقتضي عدم الحدوث ، لأن حدوث الحوادث عن ذات لم تزل معطلة عن الفعل باطل ، فيكون العالم قديماً . وعبروا عن ذلك بأن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلاً إن وجدت في الأزل ، لزم وجود الفعل في الأزل ، والا لزم تخلف المقتضي عن المقتضى التام ، وحينئذ فإذا وجدت بعد ذلك لزم الترجيح بلا مرجح ، وإن لم توجد في الأزل ، فوجودها بعد ذلك أمر حادث ، فيقتضي أمراً حادثاً ، وإلا لزم الحدوث بلا محدث ، وحينئذ فيلزم تسلسل الحوادث ، فإن القول في هذا الحادث كالقول في غيره ، وهذا مما ينكره المعتزلة وموافقوهم المتكلمون . قالوا : فأنتم بين أمرين : إما إثبات التسلسل في الحوادث ، وإما إثبات التوجيع بلا مرجح ، وكلاهما ممتنع عنكم . ثم زعم هؤلاء الفلاسفة أن العالم قديم بناء على هذه الحجة ، ومن سلك سبيل السلف والأئمة ، أثبت ما أثبته الرسول من حدوث العالم بالدليل العقلي الذي لا يحتمل النقيض ، وبين خطأ المتكلمين من المعتزلة ونحوهم الذين خالفوا السلف والأئمة بابتداع بدعة مخالفة للشرع والعقل ، وبين أن ضلال الفلاسفة القائلين بقدوم العالم ومخالفتهم للعقل والشرع أعظم من ضلال أولئك ، وبين الاستدلال على حدوث العالم لا يحتاج إلى الطريق التي سلكها أولئك المتكلمون ، بل يمكن إثبات حدوثه بطريق أخرى صحيحة لا يعارضها عقل صريح ولا نقل صحيح ، وثبت بذلك أن كل ماسوي الله فانه محدث ، كان بعد أن لم يكن ، سواء سمي جسماً أو عقلاً أو نفساً أو غير ذلك ، فإن أولئك المتكلمين من المعتزلة وأتباعهم ، لمسا لم يكن في حجتهم إلا إثبات حدوث أجسام العالم ، قالت الفلاسفة ومن وافقهم من المتأخرين ، كالشهرستاني والرازي ، والآمدي وغيرهم : إنكم لم تقيموا دليلاً على نفي

ما سوى الأجسام ، وحينئذ فاثبات حدوث أجسام العالم لا يقتضي حدوث ما سوى الله إن لم تبينوا أن كل ما سواه جسم ، وأنتم لم تثبتوا ذلك ، ولهذا صار بعض المتأخرين كالأرموي ومن وافقه ، إلى أن أجسام العالم محدثة ، وأما العقول والنفوس فتوقفوا عن حدوثها ، أو قالوا بقدمها ، وإن كان حقيقة قولهم إنه موجب بالذات لها ، وإنه محدث للأجسام بسبب حدوث لبعض التصورات والارادات التي تحدث للنفوس ، فيصير ذلك سبباً لحدوث الأجسام ، وهذا القول كما أنه معلوم البطلان في الشرع ، فهو أيضاً معلوم البطلان في العقل ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى فنقول : الدليل الدال على أن كل ما سوى الله محدث ، يتناول هذا وهذا ، وأيضاً فلماذا كان موجباً بالذات ، كان اختصاص حدوث أجسام العالم بذلك الوقت دون ما قبله ، وما بعده يفتقر إلى مخصص ، والموجب بذاته لا يصدر عنه ما يختص بوقت دون وقت ، إذ لو جاز ذلك لم يكن موجباً بذاته ، ولجاز حدوث العالم عنه ، ولأن النفوس التي يثبتها الفلاسفة هي عند جمهورهم عرض قائم بجسم الفلك ، فيمتنع وجودها بدون الفلك ، وعند ابن سينا وطائفة أنها جوهر قائم بنفسه ، لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف ، وحينئذ فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً ، بل كانت عقلاً ، فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم ، فإذا قال هؤلاء : إن النفس أزلية دون الأجسام ، كان هذا القول باطلاً بصريح العقل ، مع أنه لم يعرف به قائل من العقلاء قبل هؤلاء ، وإنما ألبأ هؤلاء إلى هذا ظنهم صحة دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، وصحة قول الفلاسفة بوجود موجود ممكن غير الاجسام ، وإثبات الموجب بالذات ؛ فلما بنوا قولهم على الأصل الفاسد هؤلاء ول هؤلاء ، لزم هذا ، مع أنهم متناقضون في الجمع بين هذين ، فإن عمدة المتكلمين على إبطال « حوادث لا أول لها » وعمدة الفلاسفة على أن المؤثرية من لوازم

الواجب بنفسه ، فاذا قالوا بقدوم نفس لها تصورات وإرادات لا تنتهى ،
لزم جواز حوادث لا تنتهى ، فبطل أصل قول المتكلمين الذي بنوا عليه
حدوث الأجسام ، فكان حينئذ موافقتهم للمتكلمين بلا حجة عقلية ، فعلم
أنهم جمعوا بين المتناقضين ، وأبو عبد الله بن الخطيب وأمثاله كانوا أفضل
من هؤلاء ، وعرفوا أنه لا يمكن الجمع بين هذا وهذا ، فلم يقولوا هذا القول
المتناقض ، ولم يهتدوا إلى مذهب السلف والأئمة ، وإن كانوا
يذكرون أصوله في مواضع آخر ، ويثبتون أن جمهور العقلاء
يلتزمونها ، فلو تفتنوا لما يقوم بذات الله من كلامه وفعاله المتعلق
بشيئته وقدرته ودوام اتصافه بصفات الكمال ، خلصوا من هذه
المحاورات ، ونحن ننبه على بعض الطرق العقلية التي يعلم بها حدوث كل ما
سوى الله تعالى ، وهي أن يقال : لو كان فيها شيء سوى الله قديم لكان
صادراً عن علة تامة مرجبة بذاتها ، مستلزمة لمعلوها ، سواء ثبت له مشيئة
واختيار أو لم يثبت ، فإن القديم الأزلي الممكن الذي لا يوجد بنفسه ،
لا يتصور وجوده إن لم يكن له في الأزل مقتضى تام يستلزم ثبوته ، وهذا
كما أنه معلوم بضرورة العقل ، فلا نزاع فيه بين العقلاء ، فلا يقول أحد : إن
القديم الأزلي صادر عن مؤثر لا يلزمه أثره ، ولا يقول : أنه صادر عن علة
غير تامة مستلزمة لمعلوها ، ولا يقول : إنه صادر عن موجب بذاته لا يقاونه
موجبه ومقتضاه ، ولا يقول : أنه صادر عن فاعل بالاختيار يمكن أن يتأخر
مفعوله ، فإنه إذا أمكن تأخر مفعوله ، أمكن أن يكون ذلك القديم
الأزلي قديماً أزلياً ، فيكون ثبوته في الأزل ، فإن ثبوت الممكن الأزلي
بدون مقتضى تام مستلزم له ، يستتبع بضرورة العقل ، إذ قد علم بصريح
العقل أن شيئاً من الممكن لا يكون حتى يحصل المقتضى التام المستلزم
لثبوته ، ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم وقال : إنه لا ينتهي إلى

حد الوجوب بل يكون العقل بالوجوب أولى منه بالعدم ، فإنه لم ينازع في أن القادر المختار يمتنع أن يكون مقدوره المعين أزلياً مقارناً له ، بل هذا مما لا ينازع فيه لاهؤلاء ولا غيرهم ، فتبين أنه لو كانت شيء مما سوى الله أزلياً ، لزم أن يكون له مؤثر تام مستلزم له في الأزل سواء ، سمي علة تامة أو موجباً بالذات ، أو قدر أنه فاعل بالارادة وأن مراده المعين يكون أزلياً مقارناً له ، وإذا كان كذلك فنقول : ثبوت علة تامة أزلية ممتنع ، لأن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها ، لا يتخلف عنها شيء من معلولها ، فانه إن تخلف عنها لم تكن علة تامة لمعلولها ، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجباً بذاته ، وأن يتخلف عنه موجبه ، أو شيء من موجبه ، فان الموجب بالذات لشيء لا بد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارناً لذاته ، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها ولا يتأخر عنها شيء من معلولها ، فلو تأخر عنها شيء من معلولها لم تكن علة تامة ، كذلك المتأخرون من الفلاسفة يسلطون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، فان ذلك جمع بين التقيضين ، إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي ، وان شئت قلت : يمتنع أن يكون موجباً بذاته في الأزل لأمر حادث ليس بأزلي ، سواء كان ايجابه له بواسطة أو بغير واسطة ، فان تلك الواسطة ، إن كانت أزلية كان اللازم لها أزلياً ، وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في الحوادث بتوسطها ، وهذا الذي ساموه معلوم أيضاً بصريح العقل ، فالمقدمة برهانية مسلمة ، لكن يقولون : إنه علة تامة لما هو قديم ، كالأفلاك عندهم ، وليس علة تامة للحوادث ، وهذا أيضاً باطل ، وذلك أن كل ما يقال : إنه قديم كالأفلاك ، إما أن يجب أن يكون مقارناً للحوادث ، كما يقولون في الفلك : إنه يجب له لزوم الحركة ، وإنه لم يزل متحركاً ، وإما أنه لا يجب أن يكون مقارناً لشيء من الحوادث ،

فان كان الأول لزم أن يكون علة تامة للحوادث ، وكونه علة تامة للحوادث محال ، لأن ماقارنته الحوادث ولم يخل منها بل هي لازمة له ، امتنع صدوره عن الموجب بدونها ، ووجود المزموم بدون اللازم محال ، فالموجب بذاته الذي هو علة تامة للفلك ، يجب ان يكون علة تامة موجبة للوازمه ، وعلة تامة في الأزل بمرورته ، لكن العلة التامة الأزلية لا يجوز ان تكون علة تامة أزلية للحوادث ، لا الحركة ولا غيرها ، لأنه يجب وجود معلولها الذي هو موجبها ومقتضاها في الأزل ، وإن لا يتأخر عنها شيء من موجبها ومقتضاها ومعلولها ، والحركة التي توجد شيئاً فشيئاً هي وغيرها من الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، ليس كل واحد منها قديماً ، بل كل منها حادث مسبوق بآخر ، فيمتنع أن يكون شيء منها معلولاً للعلة التامة الأزلية ، لامتناع أن يكون حادث من الحوادث قديماً ، ويمتنع وجود مجموع الحوادث في الأزل ، ويمتنع وجود المستلزم للحوادث ، إلا مع حادث من الحوادث ، أو مع مجموع الحوادث ، وإذا كان كلاهما يمتنع أن يكون قديماً امتنع أن يكون شيء مما يستلزم الحوادث قديماً ، فامتنع ان يكون لشيء من الحوادث أو ما يستلزم الحوادث علة تامة قديمة ، فامتنع صدور الحوادث ، أو شيء منها ، أو من ملزوماتها عن علة تامة قديمة ، فامتنع أن يكون شيء لا يخلو عن الحوادث صادراً عن علة تامة أزلية ، فامتنع أن يكون الفلك المقارن للحوادث علة تامة أزلية قديمة ، ولو كان قديماً لصدر عن علة تامة قديمة ، فإذا لم يكن قديماً ، إلا إذا كان المقتضى التام ثابتاً في الأزل ، فثبت المقتضى التام له يمتنع ، كما أن قدمه يمتنع . وأما إن قيل : إن الممتنع شيء غير مقارن للحوادث ، ولا مستلزم لها ، مثل أن يقال : القديم أعيان ساكنة هي المعلول الاول ، فيقال : ذلك المعلول إما أن يجوز حدوث حال من الأحوال ، إما فيه أو عنه أو غير ذلك ، وإما أن لا يجوز ، فإن جاز حدوث حال من الأحوال له ، امتنع حدوث ذلك الحادث عن علة

تامة أزلية ، وهو الموجب بالذات كما تقدم ، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء ، فلا بد له من محدث ، والمحدث ان كان سوى الله ، فالقول في حدوثه إن كان محدثاً ، أو في حدوث ذلك الاحداث له بعد ان لم يكن ، كالقول في حدوث ذلك الحادث ، وان كان هو الله تعالى ، امتنع أن يكون موجباً بالذات له ، اذ القديم لا يكون موجباً بالذات لحادث كما بين ، فامتنع ثبوت العلة القديمة ؛ واذا لم يكن الصانع موجباً بالذات ، فلا يكون علة تامة ، امتنع قدم شيء من العالم ، لأنه لا يكون قديم إلا عن علة تامة . وإن قيل : إنه لا يجوز حدوث لما فرض قديماً معلولاً للاول ، فهذا مع أنه لم يقل به أحد من العقلاء فهو باطل لوجوه :

أحدها: ان واجب الوجود يحدث له النسب والاضافات باتفاق العقلاء ، فحدوث ذلك الغير أولى .

الثاني: ان الحوادث مشهودة في العالم العلوي والسفلي ، وهذه الحوادث صادرة عن الله اما بواسطة او بغير واسطة ، فان كانت بواسطة فتلك الوسائط حدثت عنها أمور بعد ان لم تكن ، فلزم حدوث الاحوال للقديم ، سواء كان هو الصانع او كان هو الوسائط للصانع ، وان قيل : القديم هو شيء ليس بواسطة في شيء آخر . قيل : لا بد ان يكون ذلك قابلاً لحدوث الاحوال ، فانه يمكن حدوث النسب والاضافات لله عز وجل بالضرورة واتفاق العقلاء ، فإمكان ذلك لغيره أولى ، واذا كانت قابلاً لها ، أمكن أن تحدث له الاحوال كما تحدث لغيره من الممكنات ، فان الله لا يمتنع حدوث الحوادث عنه ، اما بواسطة او بغير واسطة ، فاذا كان ذلك قابلاً وصدور ذلك عن الصانع ممكن ، أمكن حدوث الحوادث عنه أو فيه بعد ان لم يكن ، وحينئذ ، فالقول في حدوثها كالقول في حدوث سائر ما يحدث عنه ، وذلك محال من العلة التامة المستلزمة لمعلولها ، فقد تبين بهذا البرهان الباهر أن كون

الاول علة تامة لشيء من العالم محال ، لافرق في ذلك بين الفلك وغيره ، سواء قدر ذلك الغير جسماً أو غير جسم ، وسواء قدر مستلزماً للحوادث فيه أو عنه ، كما يقول الفلاسفة الدهرية ، كالفارابي ، وابن سينا ، وامثالهما وسلفهما من اليونان ، فانهم يقولون : الفلك مستلزم للحوادث القائمة به ، والمقول والنفوس مستلزمة للحوادث التي تحدث عنها ، وكل منها مقارن للحوادث ، لا يجوز تقدمه عليها ، مع كون ذلك جميعه معلولاً للموجب بذاته ؛ فاذا تبين أن الموجب بذاته يمتنع أن يصدر عنه في الأزل حادث أو مستلزم لحادث ، بطل كون صانع العالم علة تامة في الأزل ، ومتى بطل كونه علة تامة في الأزل ، امتنع أن يكون فيما سواه شيء قديم بعينه ، فهذا تبين أن كل ماسوى الله يحدث كائن بعد أن لم يكن ، سواء قيل بجواز دوام الحوادث ، أو قيل بامتناع ذلك ، وإن قيل بجواز دوام الحوادث ، لزم حدوث كل ما لا يخلو عن الحوادث ، وإن قيل بجواز دوام الحوادث ، فكل منها حادث بعد أن لم يكن مسبوقاً بالعدم ، وكل من العالم مستلزم لحادث بعد أن لم يكن مسبوقاً^(١) بالعدم ، وكل ما كان مصنوعاً وهو مستلزم للحوادث ، امتنع أن يكون صانعه علة تامة قديمة موجبة له ، فاذا امتنع ذلك امتنع أن يكون من العالم ما هو قديم بعينه والله اعلم . وإذا أحطت خبراً بهذا المقام ، واتضح لديك ما تقدم من الكلام ، فاسمع كلام بعض أئمة الفلاسفة في هذه المسألة ، وهي القول بجواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال أبو الوليد ابن الوليد ابن رشد في كتاب « تهاافت التهاافت » بعد ما حكى قول الامام أبي حامد الغزالي حاكياً حجة الفلاسفة في قدم العالم قال : قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلق ، لأننا لو فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلاً ثم صدر ، فانما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح ، بل وجود العالم ممكن عنه امكاناً صرفاً ،

فاذا حدث لم يخل أن يتجدد مرجح أو لا يتجدد ، فإن لم يتجدد مرجح بقي العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك ، وان تجدد مرجح انتقل الكلام الى ذلك المرجح ، لم رجح الآن ولم يرجع قبل ؟ ! فإما أن يمر الامر الى غير نهاية ، أو ينتهي الامر الى مرجح لم يزل مرجحاً . قال أبو حامد : الاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تنكروا على من يقول : إن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر عدمه الى الغاية التي يستمر عليها ، وأن يتبدى الوجود من حيث بدأ ، وأن الوجود قبل لم يكن مراداً ، فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة فحدث ، فما المانع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحيل له ؟ قال ابن رشد : قلت : هذا قول سفسطائي ، وذلك أنه لما لم يمكنه أن يقول بجواز تراخي فعل المفعول عن فعل الفاعل له ، وعزمه على الفعل اذا كان فاعلاً مختاراً ، قال بجواز تراخيه عن ارادة الفاعل ، وتراخي المفعول عن ارادة الفاعل جائز ، وإما تراخيه عن فعل الفاعل له فغير جائز ، وكذلك تراخي الفعل عن العزم على الفعل في الفاعل المرید ، فالتشكك باق بعينه ، وإنما كان يجب أن يلقاه بأحد أمرين ، إما لأن فعل الفاعل ليس يوجب في الفاعل تغيراً ، فيجب أن يكون له مغير في الخارج ، أو أن من التغيرات ما يكون من ذات المتغير من غير حاجة إلى مغير يلحقه منه ، وأنت من التغيرات ما يجوز أن يلحق القديم من غير مغير ، وذلك أن الذي يتمسك به الخصوم ها هنا هو شيان : أحدهما أن فعل الفاعل يلزمه التغير ، وأن كل تغير فله مغير . والأصل الثاني : أن القديم لا يتغير بضرب من ضروب التغير ، وهذا كله عسير البيان ، والذي لا يخلص للاشعرية منه ، هو انزال فاعل أول ، وإزالة فعل له أول ، لأنهم لا يمكنهم أن يصفوا أن حالة الفاعل من المفعول المحدث تكون في وقت الفعل هي بعينها حالته في وقت عدم

الفعل هنالك ، ولا بد من حال متجددة ، أو نسبة لم تكن ، وذلك ضرورة ، إما في الفاعل ، أو في المفعول ، أو في كليهما ، وإذا كان كذلك ، فتلك الحال المتجددة إذا أوجبنا أن لكل حال متجددة فاعلاً ، فلا بد أن يكون الفاعل لها إما فاعل آخر ، فلا يكون ذلك الفاعل هو الاول ، ولا يكون مكثفياً بفعله بنفسه ، بل بغيره ، وإما أن يكون الفاعل لتلك الحال التي هي شرط في فعله هو نفسه ، ولا يكون ذلك الفعل الذي فرض صادراً عنه أولاً ، بل يكون فعله لتلك الحال التي هي شرط في المفعول قبل فعله المفعول ، وهذا لازم كما ترى ضرورة ، إلا أن يجوز مجوز أن من الأحوال الحادثة في الفاعلين ما لا يحتاج الى محدث ، وهذا بعيد إلا على قول من يجوز أن ههنا أشياء تحدث من تلقائها ، وهو قول الأوائيل من القدماء الذين أنكروا الفاعل ، وهو قول بين سقوطه بنفسه . انتهى كلامه والمقصود من كلامه ، ما ذكره في رد حجة المتكلمين على جواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عدن بل هما عدمان
فاذا هما خلقا لنوم معادنا	فهما على الاوقات فانيتان
وتلطّف العلاف من أتباعه	فأتى بضحكة ^(١) جاهل مجان
قال الغناء يكون في الحركات لا	في الذات واعجباً لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد في جناتهم	وجحيمهم كحجارة البنيان ؟!

(١) وضحكة : يكثر الناس الضحك منه ، فهو من صفات الناس « مصباح »

(ابن مانع)

ما حال من قد كان يغشى أهله عندما نقضاء تحرك الحيوان ؟
وكذاك ما حال الذي رفعت يدا ه أكلة من صحيفة وخوان ؟
فتناهت الحركات قبل وصولها للقم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد منه إلى قنو من القنوات ؟
فتناهت الحركات قبل الأخذهل يبقى كذلك سائر الأزمان
تبا لها تيك العقول فانها والله قد مسخت على الأبدان
تبا لمن أضحى يقدمها على ال آثار والاختبار والقرآن

أي : وحكم الجهم بأن الجنة والنار لم تخلقا ، وإنما مخلقان يوم المعاد ، ثم إذا خلقتا يوم المعاد ، فهما لا بد فانيان ، وإنما قال هذا الجهم طرداً للدليل ، وهو الدليل المسمى بـ : دليل الأكوان ، إذ مبناه على قطع التسلسل ، وهو منع حوادث لأول لها ، فكذا يمتنع حوادث لا آخر لها . وفي « الغنية » للشيخ عبدالقادر ^(١) رحمه الله تعالى . وأما الجهمية فنسوبة إلى جهم بن صفوان وكان يقول : الإيمان : هو المعرفة بالله ورسوله وجميع ما جاؤوا به عن عنده فقط ، ويزعمون أن القرآن مخلوق ، وأن الله تعالى لم يكلم موسى ، وأنه تعالى لم يتكلم ، ولا يرى ، ولا يعرف له مكان ، وليس له عرش ولا كرسي ، ولا هو على العرش ، وأنكروا الميزان ، وعذاب القبر ، وكون الجنة والنار مخلوقتين ، وادعوا أنها إذا خلقتا تفنيان ، وإن الله تعالى لا يكلم خلقه ولا ينظر إليه يوم القيامة ، ولا ينظر أهل الجنة إليه ، ولا يروونه فيها ، وإن الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان ،

(١) وهو المعروف بالجيلاني : من كبار فقهاء الحنابلة ، وأحد شيوخ شيخ الاسلام

موفق الدين بن قدامة المقدسي .

وأنكروا جميع صفات الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قوله : وتلطف العلاف . هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري المعتزلي . قال الذهبي في «تاريخ الاسلام» أبو الهذيل العلاف البصري المتكلم ، واسمه محمد بن الهذيل ، كان من أجلاء القوم ورؤوسهم ، وأنكر الصفات المقدسة . يروى أن المؤمنون قالوا حاجبه : من الباب ؟ قال : أبو الهذيل العلاف ، وعبد الله بن أباض الخارجي ، وهشام بن الكلبي الرافضي . فقال : ما بقي من رؤوس جهنم أحد إلا وقد حضر . أخذ الاعتزال عن عثمان بن - لد الطويل صاحب واصل بن عطاء ، وقد طال عمره ، وصنف الكتب ونيف على التسعين ، مات سنة ٢٢٦ ، أي : وتلطف العلاف بأن قال : الفناء يكون في الحركات ، لا في الذوات ، وذلك لأجل التزام دليل الاكوان . ثم قال الناظم رحمه الله تعالى على طريق التهم بمقالة أبي الهذيل هذه : أيصير أهل الخلد في جناتهم وجحيمهم كحجارة البنيان ؟ إلى آخر كلامه . يقول : ما حال الذي ذكر تناهي الحركات يعشى أهله ، وكذا الذي رفعت يده أكلة من صحفة ، وتناهد الحركات قبل فراغه من أهله ، وقبل وصول يد الآكل لفمه ، وكذا تناهت الحركات للذي قدم يده إلى قنو من القنوات قبل الأخذ . أيصيرون هكذا أبد الأبد كالحجارة . قوله : وخوات الخوان ، كفراب ، وكتاب : ما يؤكل عليه . قاله في «القاموس» وله هذا قال الناظم : تباً لمن أضى يقدمها على الآثار والأخبار والقرآن . تباً بفتح التاء ، والتباب : الملاك ، ومنه قولهم : أمسابة أم قابة ؟ أي : هالك من الهرم والتعجز . قال في «القاموس» : التيب والتبيب : النقص والحسارة ، وتباً له . وتباً تيباً مبالغة ، وتبيه : قال له ذلك . قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه عدماً ويقلبه وجوداً ثان
العرش والكرسي والارواح والاملاك والافلاك والقمران
والارض والبحر المحيط وسائر الـ أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدأ الذي جهم وقد نسبوه للقرآن

هذا القول مبني على اثبات الجواهر . قال شيخ الاسلام في كلامه
على سورة (الإخلاص) بعد كلام سبق : والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا
أصلهم في ابتداء الخلق ، وهو القول باثبات الجوهر الفرد ، كان أصلهم في
المعاد مبنياً عليه ، فصاروا على قولين ، منهم من قال : تعدم الجواهر ، ثم
تعاد ، ومنهم من قال : تفرق الأجزاء ، ثم تجتمع ، فأورد عليهم الانسان
الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر ، فإن أعيدت تلك
الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائماً ، فما
الذي يعاد ؟ اهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل بذلك لزم أن يعاد
على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ما جاءت به النصوص ، وإن كان غير
ذلك ، فليس بعض الأبدان أولى من بعض ، فادعى بعضهم ان في الإنسان

أجزاء أصلية لا تتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ، والعقلاء يعلمون أن بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق ، فصار ما ذكره في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الأبدان ، وأوجب ان صار طائفة من النظائر الى أن الله يخلق بدنًا آخر ، تعود الروح اليه ، والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها ، سواء كان في هذا البدن ، أو في غيره ، وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة بإعادة هذا البدن ، وهذا المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل اصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة ، الذين بنوا على اصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والمبدأ والمعاد ، وكلا الطرفين فاسدة ، إذ بنوه على مقدمات فاسدة . والقول الذي عليه السلف ، وجهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال الى حال ، إنما يذكر عن الفلاسفة والأطباء هذا القول ، وهو القول في خلق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ، ويحيلها من جسم الى جسم ، هو الذي عليه السلف ، والفقهاء قاطبة والجمهور . انتهى . قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا الذي قاده ابن سينا والى	قالوا مقاتله الى الكفران
لم تقبل الاذهان ذا وتوهموا	أن الرسول عنه بالايان
هذا كتاب الله أنى قال ذا	أو عبده المبهوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع	لهم على الايمان والإحسان
بل صرح الوحي المبين بأنه	حقاً مغير هذه الاكوان

فيبدل الله السموات العلى والارض ايضا ذات تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني النيران عند النضج من نيران
وكذلك يقبض أرضه وسماؤه بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الارض التي كنسائها اخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي من فوقها قد احدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه لاشيء هذا ليس في الامكان؟!
لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ثم تبدل وهي ذات كيان
وتمد أيضاً مثل مد آدمنا من غير اودية ولا كسبان
وتقيء يوم العرض من اكبادها كالاسطوان نفائس الاثمان
كل يراه بعينه وعيانه مالا يرى بالأخذ منه يدان

أراد المصنف أن ابن سينا ، والذين قالوا مقالته ، وأنكروا المعاد ، وظنوا
أن هذا الذي اعتقد جهنم في المعاد هو ما جاء به الرسول ﷺ ، فلذلك
كفروا بالمعاد ، لأن هذا شيء لا تقبله العقول . ثم بين الناظم أمر المعاد على
ما جاء به في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ بقوله : بل صرح الوحي المبين
النخ . قال الله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)
ابراهيم : ٤٨ ، والتبديل قد يكون في الذات ، كما في بدلت الدراهم بالدنانير ،
وقد يكون في الصفات ، كما بدلت الحلقة ختمًا ، والآية تحتمل الأمرين .
وبالثاني قال الأكثر . وتبدل السموات غير السموات ، لدلالة ما قبله عليه .

على الاختلاف الذي مر ، وتقديم تبديل الأرض لقرابنها ، ولكون تبديلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا . وروى مسلم وغيره من حديث ثوبان ، قال : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال : أين يكون الناس يوم تبديل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله ﷺ « في الظلمة دون الجسر » وروى مسلم أيضاً ، وغيره من حديث عائشة ، قالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية قلت : أين الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي »^(١) ليس فيها علم لأحد ، وفيها أيضاً من حديث أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده... » الحديث . وقد أطال القرطبي في بيان ذلك في « تفسيره » و « تذكرته » وحاصله أن هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبديل وتزال ، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر ، وهو الصراط . قوله : وكذلك يقبض أرضه وسماءه الخ . دليله ما في الصحيح عن ابن عمر ، قال : لما قرأ النبي ﷺ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الزمر : ٩٧ قال : يقبض الله سمواته بيده والأرضين بيده الأخرى ، ثم يمجّد نفسه ، فيقول : أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ، ولم تك شيئاً ، وأنا الذي أعدتها ،

(١) النقي : الدقيق الحواري . وعفراء : بيضاء ال حمرة .

أين الملوك؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون^(١)؟ أو كما قال . وقوله :
وتحدث الأرض التي كُتِبَ بها . دليله قوله تعالى : (يومئذ تحدث أخبارها)
الزلازل : ٤ عن أبي هريرة ، قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث
أخبارها) قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال :
« فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، وتقول :
عمل كذا وكذا ، فهذه أخبارها » رواه أحمد والترمذي وصححه
والنسائي^(٢) . وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأرض لتجيء
يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ، وقرأ رسول الله ﷺ (إذا
زلزلت الأرض زلزالها) حتى بلغ (يومئذ تحدث أخبارها) » أخرجه ابن
مردويه والبيهقي . وقوله : وتقيء يوم العرض من أكبادها الخ . قال تعالى :
(وأخرجت الأرض أثقالها) الزلازل : ٢ ؛ أي : ما في جوفها من الاموات
والدفائن . والأثقال : جمع ثقل ، قال أبو عبيدة والأخفش : إذا كان
الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . قال
بجاهد : أثقالها : موتها ، تخرجهم في النفخة الثانية ، وقد قيل للجن
والانس : الثقلان . وإظهار الأرض في موضع الإضممار ، لزيادة التقرير .
قال ابن عباس : أثقالها : الموتى والكنوز . وروى مسلم والترمذي عن
أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ « تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال
الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل ، فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء

(١) رواه مسلم بلفظ « يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي

السما يمينته ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » ولفظ آخر أطول من هذا ، ولم
نره باللفظ الذي أورده الشارح في أحد « الصحيحين » .

(٢) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق ، فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » وهذا معنى قول الناظم : ما لا مرىء بالأخذ منه يدان . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا الجبال تفت فتاً محكماً فتعود مثل الرمل ذي الكشبان

وتكون كالهن الذي ألوانه وصباغته من سائر الألوان

وتبس بساً مثل ذلك فتتني مثل الهباء لماظر الانسان

قال الله تعالى : (إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بساً) الواقعة : ٤ ، ٥ ؛ أي : إذا حركت حركة شديدة ، يقال : رجه يرجه رجاً : إذا حركه ، والرجة : الاضطراب ، وارتج البحر وغيره : اضطرب . قال المفسرون : ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها ، وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها . وبست الجبال بساً . البس : الفت ، يقال : بس الشيء ، إذا فته حتى يصير فتاتاً ، ويقال : بس السويق ، إذا لته بالسمن أو بالزيت . قال مجاهد ومقاتل : المعنى : ان الجبال فتت فتاً وبه قال ابن عباس . وقال السدي : كسرت كسراً . وقال الحسن : قلعت من أصلها . وقال مجاهد أيضاً : بست كما يبس الدقيق بالسمن ، أو بالزيت ، والمعنى أنها خلطت ، فصارت كالدهن الملتوث . وقوله تعالى : (فكانت هباء منبثاً) الواقعة : ٦ ؛ أي : غباراً متفرقاً منتشراً بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه . وقال مجاهد : الهباء : الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار . وقيل : هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ، ثم يذهب ، وقيل : ما تطاير من النار إذا اضطربت .

قوله : وتكون كالعين الذي ؛ أي : كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف : عين إلا اذا كان مصبوغاً . قال الحسن : تكون الجبال كالصوف الأحمر ، وهو أضعف الصوف ، وقيل : العين : الصوف ذراألوان ، فشب الجبال به في تكونها ألوانا كما في قوله : (جدد بيض وجر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود) فاطر : ٣٠ فاذا بست ، وطيرت في الهواء ؛ أشبهت العين المنفوش اذا طيرته الريح ، وهذه الأقوال في معنى العين في اللغة . وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلآ ، ثم عنهاً منفوشآ ، ثم هباء منشورآ . قال الناظم : رحمه الله تعالى :

وكذا البحار فإنها مسجورة قد فجرت تفجير ذي سلطان
وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان يلتقيان
هذي مكورة وهذا خاسف وكلاهما في النار مطروحان
وكواكب الافلاك تنثر كلها كلالآ نثرت على ميدان
وكذا السماء تشق شقآ ظاهراً وتثور أيضاً أيما موران
وتصير بعد الانشقاق كمثل ه ذا المهل أوتك وردة كدهان

قال الله تعالى (واذا البحار سجرت) التكوير : ٦ أي : أوقدت فصارت نارآ تضطرم ، وقال الفراء : ملئت بأن صارت بجرآ واحداً ، وكثر ماؤها ، وبه قال الربيع بن خيثم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك . وقيل : أرسل عذبا على ما لحها ، وما لحها على عذبا حتى

أملتأت ، وقيل : فجرت فصارت بجرأ واحداً ، وقال القشيري : هو من
سجرت التنور أسجره سجرأ : إذا أحميته . قال ابن يزيد وعطية وسفيان
ووهب وغيرهم : أوقدت فصارت ناراً . وقال ابن عباس : تسجر حتى
تصير ناراً ، وقال أيضاً : سجرت . أي : اختلط ماؤها بماء الأرض . قوله
هذي مكورة وهكذا خاسف . التكوير : الجمع ، وهو مأخوذ من كور الهمامة
على رأسه يكورها . قال الزجاج : لفت كما تلف الهمامة .
يقال : كورت الهمامة على رأسي أكورها كوراً ، و كورتها تكويراً : إذا
لففتها . قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير الهمامة ، تلف فتجمع . قال
الربيع بن خيثم : كورت ، أي : رمي بها ، ومنه كورته فتكور ، أي :
سقط . وقال مقاتل وقتادة والكلبي : ذهب ضوءها . وقال مجاهد :
اضلعت . قال الواحدي : قال المفسرون : تجمع الشمس بعضها إلى بعض
ثم تلف ويرمى بها . فالحاصل أن التكوير لها معنى لف جرمها ، أو لف
ضوءها ، أو الرمي بها . قال ابن أبي حاتم : ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن
صالح عن أبي بكر ابن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في قوله (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ . قال : كورت في
جهنم (وإذا النجوم انكدرت) قال : انكدرت في جهنم ، وكل من عبد
من دون الله فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، فلو رضى أن يغدا
لدخلاها . قال الحافظ ابن رجب : غريب جداً ، وأبو بكر ابن أبي مريم
فيه ضعف . وروي أن الشمس والقمر يكوران في النار . رواه عبد العزيز
ابن المختار عن عبد الله الداج قال : سمعت أبا سلمة يحدث عن أبي هريرة عن
النبي ﷺ ؛ قال : « إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار يوم القيامة »
أخرجه البزار وغيره ، وخرجه البخاري مختصراً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

« الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » أخرجه البخاري . قوله : وهذا خاسف . خسف القمر : ذهب ضوؤه وأظلم . ويقال : خسف : إذا ذهب جميع ضوئه . وكسف : إذا ذهب بعض ضوئه . قوله : وكواكب الافلاك تنثر كلها النخ قال تعالى (وإذا النجوم انكدرت) التكويد : أي : تهاقت ، وتساقطت ، وانقضت ، وتناثرت ، يقال : انكدر الطائر من الهوى ، إذا انقض ، والأصل في الانكدار الانصباب ، قال الخليل : يقال : انكدر عليهم القوم إذا جاؤوا أرسالاً فانصبوا عليهم . قال أبو عبيدة : انصب كما ينصب العقاب . قال الكلبي وعطاء : تضر السحاب يومئذ نجوماً ، فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الارض ، وقيل : انكدارها : طمس نورها . وقال ابن عباس : تغيرت . قوله : وكذا السحاب تشق شقاً ظاهراً . النخ قال الله سبحانه (إذا السحاب انشقت) الانشقاق : ١ ، أي : انصدعت ، وتفتطرت . فيه حذف ، والتقدير : إذا انشقت السحاب انشقت ، لأن إذا الشرطية يختص دخولها بالمثل الفعلية ، وما جاء من هذا ونحوه فهو من محافظة على قاعدة الاختصاص ، والسحاب فاعل لفعل محذوف . قال الواحدي : قال المفسرون : انشقاقها من علامات القيامة ، ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الأبيض ، كما في قوله (ويوم تشق السماء بالغمام) الفرقان ٢٥ وقيل : تشق من الجرة ، وبه قال علي بن أبي طالب . والجرة باب السحاب ، وأهل الهيئة يقولون : انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس . واختلف في جواب إذا ، فقال الفراء : انه أذنت ، والواو زائدة ، وكذلك ألفت ، قال ابن الأنباري : هذا غلط ، لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى ، كقوله (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) الزمر : ٧١ ومع لما كقوله (ولما أسلموا وتلاه

للجبين وناديناه) الصافات ١٠٣ ولا تقحم مع غير هذين . وقيل : إن الجواب في قوله (فملاقيه) أي : فأنت ملاقيه ، وبه قال الاخفش . قوله : وتمور أيضاً أيما موران . قال تعالى (يوم تمور السماء موراً) الطور ٩٠ المور : الاضطراب والحركة ، قال أهل اللغة : مار الشيء يمور موراً : إذا تحرك ودار وجاء وذهب ، قاله الاخفش وأبو عبيدة . وقال ابن عباس : تحرك . وقال الضحاك : يموج بعضها في بعض . وقال بجاهد : تدور دوراً . وقيل : تجري جرياً ، وقيل تتكفأ ، قاله الاخفش . قال البهوي : والمور يجمع هذه المماني ، إذ هو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدورات والاضطراب ، ويطلق المور على الموج ، ومنه فاقة مواراة اليد ، أي سريعة تموج في مشيها موجاً ، ومعنى الآية أن العذاب يقع بالصاة ، ولا يدفعه عنه دافع في هذا اليوم ؛ الذي تكون فيه السماء هكذا ، وهو يوم القيامة . قوله : وتصير بعد الانشقاق كمثل هذا المهل الخ . . . قال الله تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) الرحمن : ٣٧ انشقت ، أي : انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ، وانفك بعضها من بعض ، لقيام الساعة . وقيل : انفجرت فصارت أبواباً ، انزول الملائكة ، لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض لتلايهم بعضهم من المحشر . وقيل : المراد منه خراب السماء ، وفيه تهويل وتعظيم للأمر . (فسكان وردة) أي : كوردة حمراء أو حمرة مثلها . قال سعيد بن جبير وقتادة : المعنى فكانت حمراء ، وقيل : فكانت كلون الفرس الررد . قال ابن عباس ، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة كالدهان . قال الفراء وأبو عبيد : تصير السماء كالأديم ، لشدة حر النار . وقال ابن عباس :

كالأديم الأحمر ، أي على خلاف العهد بها ، وهو الزرقة . وقال الفراء أيضاً :
 شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وشبه الورد في ألوانها بالدهن .
 واختلاف ألوانه . والدهان جمع دهن ، نحو قرظ وقراظ ، ورمح ورماح .
 وقيل : إنه اسم مفرد ؛ أي : اسم لما يدهن به ، كالخزام ، والادام .
 قاله الزمخشري . وقيل : المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها . وقال
 الحسن : كالدهان ؛ أي : كصيب الدهن ، فانك إذا صببته ترى فيه ألواناً .
 وقال زيد بن أسلم : تصير كمصير الزيت . وقال الزجاج وقتادة : إنها
 اليوم خضراء ، وسيكون لها لون أحمر . حكاه الثعلبي . قال الماوردي :
 زعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل والحواجز ،
 يرى الدم في العروق أزرق ، ولا هواء هناك يمنع من اللون الأصلي . ذكره
 الكرخي والمهادي والكازروني . والمهل : ما أذيب من النحاس والرصاص
 والفضة . وقال مجاهد : هو القيقع من الصديد والدم . وقال عكرمة وغيره :
 هو دردي^(١) الزيت ، وبه قال ابن عباس . قال الناظم :

والعرش والكرسي لا يفنيهما	أيضاً وإنهما لمخلوقان
والحور لا تنفى كذلك جنة الـ	مأوى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهنم إنها	عدم ولم تخلق الى ذا الآن
والانبياء فانهم تحت الثرى	أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلبل بلحومهم وجسومهم	أبدأ وهم تحت التراب يدان

(١) قال في « المختار » : دردي الزيت وغيره . ما يبقى في آخره .

(ابن مانع)

وكذلك عجب الظاهر لا يبلى بلى منه تركب خلقه الانسان
قوله : والعرش والكرسي الخ . . . المستثنى من الهلاك في قرأه تعالى
(كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ ثمانية أشياء ، نظمها الجلال
السيوطي فقال :

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم
وقد زاد الناظم على ذلك الحور في قوله : والحور لا تقنى الخ . . . قال
الامام احمد في رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والارض فقد زالتا ، لأن
أهلها صاروا الى الجنة والى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه
مقعد الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يهلك ولا يبيد . واما قوله :
(كل شيء هالك الا وجهه) وذلك أن الله تعالى أنزل (كل من عليها فان)
فقال الملائكة : هلك أهل الأرض ، فعلموا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل
السموات وأهل الارض أنهم يموتون ، فقال : (كل شيء هالك الا وجهه) .
يعني . كل شيء ميت الا وجهه ، لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند
عند ذلك بالموت . انتهى كلامه . وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر
ابن يعقوب الاصطخري : ذكره ابو الحسين في كتاب « الطبقات » قال :
قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم ، وأصحاب الأثر
وأهل السنة ، المتمسكين بعروفتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن
أصحاب النبي ﷺ الى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من العلماء أهل
الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن

فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وساق أقوالهم . . الى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ، خلقها الله عز وجل ، وخلق لهما أهلاً ، ولا يفنيان ، ولا يفنى ما فيها أبداً ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن . قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والصور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت . فمن قال خلاف ذلك ، فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل . وأطال الإمام أحمد رحمه الله الكلام . قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم بالـ	أرواح خارجة عن الأبدان
لكنها من بعض أعراض بها	قامت وذا في غاية البطلان
فالشأن للأرواح بعد فراقها	أبدانها والله أعظم شأن
إما عذاب أو نعيم دائم	قد نعمت بالروح والريحان
وتصير طير أسار حامع شكلها	تجني الثمار بجنة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بها	حتى تعود لذلك الجمعان
لكن أرواح الذين استشهدوا	في جوف طير أخضر ريان

فلهم بذلك مزية في عيشهم ونعيمهم بالروح والابدان
 بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم أجسام تلك الطير بالاحسان
 ولها قناديل اليها تنتهي مأوى لها كساكن الانسان
 فالروح بعد الموت أكمل حالة منها بهذي الدار في جثثان
 وعذاب أشقاها أشد من الذي قد عاينت أبصارها بهيان

قوله : ولأجل ذلك لم يقرأ الجهم النخ ؛ أي : أن الجهم بن صفوان يقول :
 إن الروح لا داخل البدن ، ولا خارجه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ،
 كما ذكر ذلك عنه الإمام أحمد رحمه الله في كتاب « الرد على الجهمية »
 قال : وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس الى المتشابه من القرآن والحديث ،
 فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً ، فكان مما بلغنا عن الجهم عدو الله
 أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ،
 وكان أكثر كلامه في الله تبارك وتعالى ، فلقب ناساً من المشركين يقال لهم :
 السمنية : فعرفوا الجهم ، فقالوا له : نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك
 دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حججتك علينا دخلنا في دينك ، وكان مما كلموا
 به الجهم أن قالوا له : ألست تزعم أن لك إلهاً ؟ قال الجهم : نعم ، فقالوا
 له : فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، فقالوا له : هل سمعت كلامه ؟ قال :
 لا ، قالوا : فشممت له رائحة ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له حياً ؟ قال :
 لا ، قالوا : فوجدت له لمساً ؟ قال : لا ، قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ قال :
 فتخير الجهم ، فلم يدر من بعد أربعين يوماً ، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة

الزنادقة من النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هي من روح الله ، من ذات الله ، وإذا أراد الله أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه ، فتكلم على بعض لسان خلقه ، ويأمر بما يشاء ، وينهى عما يشاء ، وهو روح غائب عن الأبصار ، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمي : ألسنت تزعم أن فيك روحاً ؟ فقال : نعم . قال : فهل رأيت روحك ؟ قال لا ، قال : فسمعت كلامه ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له حساً ؟ قال لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، فلا يكون في مكان دون مكان . قال : ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه ، قوله (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ . (وهو الله في السموات وفي الأرض) الأنعام : ٣ . (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الأنعام : ١٠٣ . فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ ، وزعم أن من وصف شيئاً بما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو حدث عنه رسول الله ﷺ كان كافراً ، وكان من المشبهة ، وأضل بشراً كثيراً ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية ، فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جهم ، إمام المتكلمين ، فإنه لما ناظر من ناظره من المشرّكين السنية من الهند ، وجدوا الإله ، لكون الجهم لم يدركه بشيء من حواسه لا بسمعه ولا ببصره ، ولا بشمه ، ولا بذوقه ، ولا بحسه ، كان مضمون هذا الكلام أن كل ما لا يحسه الإنسان بحواسه الخمس ، فإنه ينكره ولا يقربه ، فأجابهم بأنه قد يكون في

الوجود ما لا يمكن الإحساس به بشيء من هذه الحواس ، وهي الروح التي في العبد ، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة ، وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين . وحاصل هذه الآيات في شأن الأرواح بعد المفارقة بالموت ، وما لها من النعيم والعذاب ، وذكر أرواح الشهداء وما أعد الله لهم من النعيم المقيم . قال الله تعالى : (فأما إن كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم) الواقعة : ٨٨ - ٩٤ فقسم سبحانه الأرواح الى ثلاثة أقسام ، مقربين ، وأخبر أنها في جنة النعيم ، وأصحاب يمين ، وحكم لها بالسلام ، وهو يتضمن سلامتها من العذاب ، ومكذبة ضالة ، وأخبر أن لها نزلاً من حميم . وتصلية جحيم . وقال تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي) الفجر : ٢٧ - ٢٩ قال غير واحد من الصحابة والتابعين : إن هذا يقال عند خروجها من الدنيا ، يبشرها الملك بذلك ، ولا يتنافى ذلك قول من قال : إن هذا يقال لها في الآخرة ، فإنه يقال لها عند الموت ، وعند البعث ، وهذا من البشريات التي قال الله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت ٣٠ وهذا التنزل يكون عند الموت ، ويكون في القبر ، ويكون عند البعث ، وأول بشارة الآخرة عند الموت . وفي حديث البراء بن عازب أن الملك يقولها عند قبضها : أبشري بروح وريحان ، وهذا من الجنة . وروى مالك في « الموطأ » عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنه أخبره أن أباه كعب بن

مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر: واختلف العلماء في معنى هذا الحديث. فقال قائلون منهم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يجسبهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعمرة عنهم والرحمة لهم. واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيداً من غير شهيد، واحتجوا بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الأبرار في عليين، وأرواح الفجار في سجين. وعن عبد الله ابن عمر، ومثل ذلك قال أبو عمر، وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع في صحة نقله، وهو قوله «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالفداء والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار والعشي، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»^(١) وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم، لأن القرآن والآلة إنما يدلان على ذلك، أما القرآن فبقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله) الآية آل عمران: ١٦٩، ١٧٠. وأما الآثار، فذكر حديث أبي سعيد الخدري عن طريق بقي بن مخلد مرفوعاً: «الشهداء يغدون ويروحون، يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتموها؟ فيقولون: لا، غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

مرة أخرى فنقتل في سبيلك» رواه عن هناد عن اسماعيل بن المختار عن عطية، ثم ساق حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب اخوانكم - يعني يوم أحد - جمل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ اخواننا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا يتكلموا عن الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد؟ قال: فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران: ١٦٩ والحديث في «مسند الامام أحمد» و«سنن أبي داود»، ثم ذكر حديث لاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران: ١٦٩ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله فقال: «أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة في أيما شاءت، تأوي الى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا». والحديث في «صحيح مسلم»

قلت: وفي «صحيح البخاري» عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن مرقاة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ألا

تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب - فان كان في الجنة صهرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال : يأثم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى « ثم ساق ابن عبد البر من طريق بقي بن مخلد : ثنا يحيى بن عبد الحميد ، ثنا ابن عيينة ، عن عبيد الله ابن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة . ثم ذكر عن معمر عن قتادة قال : بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة . ومن طريق أبي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو : أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ، ويرزقون من ثمر الجنة . قال أبو عمرو : هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم . وفي بعضها : في صور طير . وفي بعضها : في أجواف طير . وفي بعضها : كطير خضر . قال : والذي يشبه عندي والله أعلم أن يكون القول قول من قال : كطير أو صور طير ، لمطابقته لحديثنا المذكور ، يريد حديث كعب بن مالك . وقوله فيه : نسمة المؤمن كطائر ، ولم يقل : في جوف طائر . قال : وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله : كطير خضر . قلت : والذي في « صحيح مسلم » « في أجواف طير خضر » قال أبو عمر : فعلى هذا التأويل فكأنه عليه السلام قال : « انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة » قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الروح » قلت : لاتنافي بين قوله عليه السلام : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » وبين قوله : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعدة بالقداء والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن

أهل النار » وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد ، كما أن قوله : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يتناول الشهيد وغيره ، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ترد روحه أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها . وأما المقعد الخاص به ، والبيت الذي أعد له ، فإنه إنما يدخله يوم القيامة . ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأري إليها أرواحهم في البرزخ قطعاً ، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش ، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ، ودخول الأرواح في الجنة في البرزخ أمر دون ذلك . ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدواً وعشياً ، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ ، فتنعم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء ، وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر ، فقضاء الروح من الجنة في البرزخ دو غذائها مع بدنها يوم البعث ، ولهذا قال : تعلق في شجر الجنة ، أي : تأكل . وأما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع ، فلأنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة ، فظهر أنه لا يعارض بهذا القول من السنة شيء ، وإنما تعاضده السنة وتوافقه . وأما قول من قال : إن حديث كعب في الشهداء دون غيرهم ، فتخصيص ليس في اللفظ ما يدل عليه ، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته ، فإن الشهداء بالنسبة إلى عموم المؤمنين قليل جداً ، والنبي ﷺ علق هذا الجزاء بوصف الإيمان ، فهو المقتضي له ، ولم يعلقه بوصف الشهادة . ألا ترى أن الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة ، كقوله في حديث المقدام

ابن معدي كرب : « للشهيد عند الله سبع خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الايمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » فلما كان هذا يختص بالشهيد قال : ان للشهيد ، ولم يقل : ان للمؤمن ، وكذلك قوله في حديث قيس الخزامي : يعطى الشهيد ست خصال . وكذلك سائر الاحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة ، وأما ما علق عيه الجزاء بالايمان ، فإنه يتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد . وأما النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة ، فكلها حتى ، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ، ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلانزاع بين الناس . فيقال لهؤلاء : ما تقولون في أرواح الصديقين ، هل هي في الجنة أم لا ؟ فإن قالوا : إنها في الجنة ، ولا يسوغ لهم غير هذا القول ؛ قيل : فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك ، وإن قالوا : ليست في الجنة ؛ لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة ، كأبي بكر الصديق ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي الدرداء ، وحذيفة بن اليمان ، وأشباههم ليست في الجنة ، وأرواح شهداء زماننا في الجنة ، وهذا معلوم البطلان ضرورة . فإن قيل : فإذا كان هذا حكماً لا يختص بالشهداء ؛ فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص ؟ قيل : الموجب لذلك التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها ، وإن هذا مضمون لأهلها ولا بد ، وإن لهم أوفر

نصيب ، فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم ، فله نعيم يختص به لا يشارك فيه من هو دونه ، ويدل على هذا أن الله سبحانه جهل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، فانهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه ، أعاضهم منها في البرزخ ابداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة ، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير . وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال : « نسمة المؤمن طير » فهذا يعم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهداء قال : « هي في جوف طير » ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير ، فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضاً ، ويدل على أنه حق من عند الله ، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى : أرواحهم كطير خضر ، بل الروايتان حق وصواب ، فهي كطير أخضر ، وفي أجواف طير خضر . انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى . قوله : حتى تعود لذلك الجنان . الجنان : هو الجسم . قال الجوهري : قال أبو زيد : الجسم الجسد ، وكذلك الجسمان والجنان . وقال الاصمعي : الجسم والجسمان : الجسد ، والجنان الشخص ، قال : وجماعة^(١) جسم الانسان أيضاً يقال له : الجسمان ، مثل ذئب وذؤبان . انتهى . وقول الناظم :

لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر ريات

(١) في الأصل : وقال جماعة . وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الذي جاء في «الصحيح»

يعني : أن الشهداء لهم خصوصية بأن أرواحهم تجعل في جوف طير خضر ، كما صرح بذلك في كلامه المتقدم بقوله . ثم خص الشهداء بأن قال : هي في جوف طير ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والقائلون بأنها عرض أبوا	ذا كله تبأً لذي نكران
وإذا أراد الله إخراج الورى	بعد المات الى المعاد الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها	والله مقتدر وذو سلطان
مطراً غليظاً أيضاً متتابعاً	عشراً وعشراً بعدها عشراً
فتظل تنبت منه أجسام الورى	ولحومهم كنسابت الرياح
حتى اذا ما الأم حان ولادها	وتخضت فنفاسها امتدان
أوحى لها رب السما فتشقت	فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود فأخرجت	أثقالها أنشئ ومن ذكران
والله ينشئ خلقه في نشأة	أخرى كما قد قال في القرآن
هذا الذي جاء الكتاب وسنة اله	ادي به فاحرص على الايمان
ما قال إن الله يعدم خلقه	طراً كقول الجاهل الحيران

قوله : والقائلون بأنها عرض . أي : إن القائلين بأن الروح عرض أبوا ذاكه ، لأنها عندهم تعدم وتلاشى ، وعندهم أنها عرض من أعراض

البدن ، وهو الحياة ، وهذا قول الباقلاني ومن تبعه . وكذلك قال أبو الهذيل العلاف : النفس عرض من الأعراض ، وقال غيرهم بأنه الحياة ، كما عينه ابن الباقلاني ، ثم قال : هي عرض كسائر أعراض الجسم ، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات ، عدت روحه كما تعدم سائر أعراضه المشروطة بالحياة . ومن يقول منهم : إن العرض لا يبقى زمانين ، كما يقوله أكثر الأشعرية ، فمن قولهم : إن روح الإنسان الآن هي غير روحه قبل ، وهو لا ينفك يحدث له روح ، ثم تغير ، ثم روح ، ثم تغير ، هكذا أبداً ، فيبدله ألف روح فأكثر في ساعة من الزمان فما دونها ، فإذا مات فلا روح تصعد إلى السماء ، وتعود إلى القبر ، وتقبضها الملائكة ، ويستفتحون لها أبواب السموات ، ولا تتمم ، ولا تعذب ، وإنما ينعم ويعذب الجسد ، إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه ، رد الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه ، وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة . وقال بعض أرباب هذا القول : ترد الحياة إلى عجب الذنب ، فهو الذي يعذب وينعم فحسب ، وهذا قول يردّه الكتاب والسنة ، واجماع الصحابة ، وأدلة العقول والفطرة ، وهو قول من لم يعرف روحه ، فضلاً عن روح غيره ، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل ، وتقبض وتمسك ، وترسل وتستفتح لها أبواب السماء ، وتسجد وتتكلم ، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة ، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة أو النار ، وأن ملك الموت يأخذها بيده ، ثم يتناولها الملائكة من يده ، ويشمها كأطيب نفحة مسك ، أو كأثنى جيفة ، وتشيع من سماء إلى سماء ، ثم تصاد إلى الأرض مع الملائكة ، وأنها إذا خرجت تبعها البصر حيث يراها ، وهي خارجة ، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها ، وجميع

ماورد من الأدلة الدالة على تلاقي الارواح وتعارفها ، وأنها اجناد مجندة... الى غير ذلك ، يبطل هذا القول . وقد شاهد النبي ﷺ الأرواح ليلة الإسراء عن بين آدم وشماله ، وأخبر النبي ﷺ أن نسمة المؤمن ط - سائر يعلق في شجر الجنة ، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون أنها تعرض على النار غدوً وعشيا . ولما أورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب وقال : يخرج على هذا أحد وجهين ، إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم ، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب حبة خردل ، وهذا قول في غاية الفساد من وجود كثيرة . وأي قول أفسد من قول من يجعل روح الإنسان عرضاً من الأعراض تبدل كل ساعة ألوفاً من المرات ، فإذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ، ولا تصعد ولا تنزل ، ولا تمسك ولا ترسل ، فهذا قول مخالف للعقل ، ونصوص الكتاب والسنة ، والفطرة ، وهو قول من لم يعرف نفسه ، والله أعلم . وقوله : وإذا أراد الله إخراج الوري النخ . أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قيل : أربعون يوماً ؟ قال أبو هريرة : أبيت ، قال : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينب البقل ، وليس من الانسان شيء إلا يبلى ، إلا عظم واحد ، وهو عجب الذنب ، منه يركب الخلق يوم القيامة » وفي رواية المسلم « إن في الانسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً ، فيه يركب الخلق يوم القيامة » قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال : عجب الذنب » رواه الإمام مالك وأبو داود ، والنسائي باختصار قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ؛

وفيه يركب » قال الحافظ المنذري كغيره : عجب الذنب . بفتح العين المهملة ، واسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم : هو العظم الذي يكون في أسفل الصلب . وأصل الذنب من ذوات الأربع . وقد روى الإمام أحمد وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه . قيل : ما هو يا رسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه تشؤون » . وروى الثعلبي في تفسير سورة (الأعراف) وابن عطية في تفسيره عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم : إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى ، يعني : نفخة الصعق ، أمطر عليهم أربعين عاماً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان ، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسادهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم ، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية ، قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم ، كما يجده القائم إذا استيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون : (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) يس : ٥٢ . وقول أبي هريرة رضي الله عنه : أبيت ، فيه ثلاث تأويلات ، أحدها : امتنعت من بيان ذلك . وقيل : أبيت أسأل النبي ﷺ عن ذلك . وقيل : نسيت . وقيل : إن سر ذلك لأنه لا يعلمه إلا الله تعالى ، لأنه من أسرار الربوبية ، لكن في حديث « إن بين النفختين أربعين عاماً »^(١) وقول الناظم : طرأ هو بضم الطاء ؛ أي : جميعاً . قال الناظم رحمه تعالى :

وقضى بأن الله ليس بفاعل فعلا يقوم به بلا برهان

(١) قال المناوي في «فيض القدير» ووقع لولي الله النووي في «مسلم» «أربعين سنة» قال ابن حجر : وليس كذلك .

بل فعله المفعول خارج ذاته كالوصف غير الذات في الحسبان
 والجبر مذهبه الذي قوت به عين العصاة وشيعة الشيطان
 كانوا على وجل من العصيان إذ هو فعلهم والذنب للانسان
 والوم لا يعمده إذ هو فاعل بإرادة وبقدرة الحيوان
 فأراحهم جهنم وشيعته من الا وم العنيف وما قضوا بأمان
 لكانهم حملوا ذنوبهم على رب العباد بعزة وأمان
 وتبرؤوا منها وقالوا إنها أفعاله ماحيلة للإنسان
 ما كلف الجبار نفساً وسعها أنى وقد جبرت على العصيان ؟!
 وكذا على الطاعات أيضاً قد غدت مجبورة فلها إذا جبران
 والعبد في التحقيق شبه نعامه قد كلفت بالحمل والطيران
 إذ كان صورتها تدل عليهما هذا وليس لها بذلك يدان

تضمن كلام الناظم رحمه تعالى مسألتين ، إحداهما في أفعال
 الله تعالى ، هل لله تعالى فعل يقوم به بمشيئته وقدرته ، أم الفعل هو المفعول ،
 والخلق هو المخلوق ؟ فالاول هو الذي ذكره الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة
 والشافعي وأحمد ومالك في كتبهم ، كما ذكره فقهاء الحنفية ، كالطحاوي
 وأبي منصور الماتريدي وغيرهم ، وكما ذكره البغوي في « شرح السنة » وكما
 ذكره أصحاب أحمد ، كأبي إسحاق ، وأبي بكر عبد العزيز ، والقاضي
 ذكره في الخلق : هل هو المخلوق أو غيره ؟ على قولين ، ولكن استقر قوله على

ان الخلق غير المخلوق ، وان خالف ابن عقيل . وكما ذكره أبو بكر محمد ابن اسحاق الكلاباذي في كتاب له ، وكما ذكره أئمة الحديث والسنة . قال البخاري في آخر « الصحيح » في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة : باب ما جاء في تخلق السموات والارض ونحوها من الخلاق . وهو فعل الرب وأمره ، فالرب بصفاته وفعله ، وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ، فهو مفعول مخلوق مكون ، وذهبت الجهمية والمعتزلة أو أكثرهم ، والكلابية والاشعرية إلى أن الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ، وليس لهؤلاء عند الرب فعل ولا صنع يقوم به . تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً . قوله : والجهنم مذهب الذي قرت به الخ . أي : إن مذهب جهنم هو الجبر ، ومعنى ذلك أن الناس اختلفوا في أفعال العباد هل هي مقدورة للرب والمبد أم لا ؟ فقال جهنم وأتباعه الجبرية : إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للمبد ، وكذلك قال الأشعري وأتباعه : إن المؤثر فيه قدرة الرب دون قدرة المبد . وقال جمهور المعتزلة : إن الرب لا يقدر على عين مقدور المبد ، واختلفوا : هل يقدر على مثل مقدوره ؟ فأثبتته البصريون كأبي علي وأبي هاشم ، ونفاه الكوفي وأتباعه البغداديون ، واحتج المعتزلة بأنه لو كان مقدوراً لهما للزم إذا أراد أحدهما شيئاً أو أمراً ، وكرهه الآخر ، مثل أن يريد الرب تحريكه ، ويكرهه المبد ، أن يكون موجوداً معدوماً ، لأن المقدور من شأنه أن يوجد عند توفر دواعي القادر ، وأن يبقى على العدم عند توفر صارفه ، فلو كان مقدور المبد مقدوراً لله لكان إذا أراد الله وقوعه ،

وكره العبد وقوعه ، لزم أن يوجد لتحقيق الدواعي ، ولا يوجد لتحقيق الصارف ، وهو محال . وقد أجاب الجبرية عن هذا بما ذكره الرازي ، وهو أن البقاء على العدم عند تحقق الصارف ممنوع مطلقاً ، بل يجب إذا لم يقم مقامه سبب آخر مستقل ، وهذا أول المسألة ، وهذا جواب ضعيف ، فإن الكلام في فعل العبد القائم به إذا قام بقلبه الصارف عنه دون الداعي إليه ، وهذا يمتنع وجوده من العبد في هذه الحال ، وما قدر وجوده بدون إرادته ، لم يكن فعلاً اختيارياً ، بل يكون بمنزلة حركة المرتعش ، والكلام إنما هو في الاختياري ، ولكن الجواب منع هذا التقدير ، فإن ما لم يرده العبد بأفعاله يمتنع أن يكون الله مريداً لوقوعه ، إذ لو شاء وقوعه جعل العبد مريداً له ، فإذا لم يجعله مريداً له علم أنه لم يشأه . ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن الإنسان لو قال : والله لأفعلن كذا وكذا إن شاء الله ؛ ثم لم يفعله أنه لا يحنث ، لأنه لما لم يفعله علم أن الله لم يشأه ، إذ لو شاءه لفعله العبد ، فلما لم يفعله علم أن الله لم يشأه . واحتج الجبرية بما ذكره الرازي وغيره بقولهم : إذا أراد الله تحريك جسم ، وأراد العبد تسكينه ، فإما أن يمتنع معاً ، وهو محال ، لأن المانع من وقوع مراد كل واحد منهما هو موجود مراد الآخر ، فلما امتنع معاً ، لوجد معاً وهو محال ، أو يمتنع أيضاً ، أو يقع أحدهما ، وهو باطل ؛ لأن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور الواحد ، والشيء الواحد حقيقة لا تقبل التفاوت ، فإذا القدرتان بالنسبة إلى اقتضاء وجود ذلك المقدور على السوية ، وإنما التفاوت في أمور خارجة عن هذا المعنى ، وإذا كان كذلك امتنع الترجيح فيقال : هذه الحجة باطلة على المذهبين أما أهل السنة فمنهم من يمتنع أن يريد الله

تحريك جسم ، ويجعل العبد مريداً ، لأن يجعله العبد ساكناً مع قدرته على ذلك ، فإن الارادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المقدور ، فلو جعله الرب مريداً مع قدرته لزم وجود مقدوره ، فيكون العبد يشاء ما لا يشاء الله وجوده ، وهذا ممتنع ، بل «إشَاء الله وجوده يجعل القادر عليه مريداً لوجوده ، لايجعله مريداً لما يناقض مراد الرب . وأما على قول المعتزلة فعندهم تمتع قدرة الرب على عين مقدور العبد ، فيمتنع اختلاف الإرادتين في شيء واحد ، وكلا الحجتين باطلة ، فإنها مبنيتان على تناقض الإرادتين ، وهذا ممتنع ، فإن العبد إذا شاء أن يكون «شيء» لم يشأ حتى يشاء الله مشيئته ، كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا شاء الله جعل العبد شائئاً له ، وإذا جعل العبد كارهاً له غير مريد له ، لم يكن هو في هذه الحال شائئاً له ، فهم بنوا الدليل على تقدير مشيئة الله له ، وكرهية العبد له ، وهذا تقدير ممتنع ، وهذا تناقض من تقدير ربين وإلهين ، وهو قياس باطل ، لأن العبد مخلوق لله ، وهو جميع مفعولاته ليس هو مثلاً لله ، ولا نداً ، والله أعلم . وقول الناظم رحمه الله تعالى :

كانوا على وجل من العصيان إذ هو فعلهم والذنب للانسان

أي : إن أفعال العباد غير اختيارية ، بل هم مجبورون عليها ، كحركة المرتعش ، وتحريك الهواء للأشجار ، ونحو ذلك ، فإذا كان أصل القدرة الجبرية أن ارادة الرب تعالى هي عين محبته ورضاه ، فكل ما شاءه فقد أحبه ورضيه ، وكل ما لم يشأه فهو مسخرط له مبغوض ، فالمبغوض المسخرط هو ما لم يشأه ، والمحبوب المرضي هو ما شاءه ، هذا أصل القدرة الجبرية ، المنكرين

للحكم ، والتعليل والاسباب ، وتحسين العقل وتقييده ، وأن الافعال كلها سواء لا يختص بعضها بما صار حسناً لأجله ، وبعضها بما صار قبيحاً لأجله ، ويجوز في العقل ان يأمر بما نهى عنه وينهى عما أمر به ، ولا يكون ذلك مناقضاً للحكمة ، اذ الحكمة ترجع عندهم الى مطابقة العلم الازلي لمعلومه والارادة الازلية لمرادها ، والقدرة لمقدورها ، فاذا الافعال بالنسبة إلى المشيئة والارادة مستوية لاتوصف بحسن ولا قبح ، فاذا تعلق بها الأمر والنهي صارت حينئذ حسنة وقبيحة ، وليس حسنهما وقبحهما زائداً على كونها مأموراً بها ومنهياً عنها .

قوله : والعبد في التحقيق شبه نعام الخ... أي : لأجل أن لها أجنحة فتشبه الطير من هذا الوجه ولها اخفاف تشبه اخفاف الناقة ، فلهذا قال : قد كلفت بالجل والطيران .

قوله : وليس لها بذاك يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء باسم سببه ، لأن القدرة هي تحريك اليد . يقال : فلان له يد في كذا وكذا .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فلذا قال بأن طاعات الورى	وكذا ما فعلوه من عصيان
هي عين فعل الرب لا أفعالهم	فيمصع عنهم عند ذا نفيان
نفي لقدرتهم عليها أولا	وصدورها منهم بنفي ثاب
فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا	زكوا ولا ذبحوا من القربان
وكذاك ما شربوا وما قتلوا وما	سرقوا ولا فيهم غوي زان
وكذاك لم يأتوا اختياراً منهم	بالكفر والاسلام والايمان

الا على وجه المجاز لانها قامت بهم كالطعم والألوان
 جبروا على ما شاءه خلاّقهم ما ثم ذو عون وغير معات
 والكل مجبور وغير ميسر كالميت أدرج داخل الا كفان
 وكذلك أفعال المهيمن لم تقم أيضاً به خوفاً من الحدّثان
 فاذا جمعت مقائليه أنتجا كذباً وزوراً واضح البهتان
 إذ ليست الأفعال فعل إلّٰهنا والرب ليس بفاعل العصيان
 فاذا انتفت صفة الإله وفعله وكلامه وفعائل الانسان
 فهناك لا خلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف عبد فان

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على القول بالجبر ، وذكر بعض
 ما يلزم أهله ، شرع أيضاً في بيان ما يلزمهم من وجه آخر من الشناعات ،
 فقال : وكذلك أفعال المهيمن الخ ... أي : أن مذهب الجهمية ومن
 وافقهم ، أن الرب تعالى لا تقوم به الأفعال الاختيارية ، بل الفعل هو المفعول ،
 والخلق هو المخلوق ، كما تقدم حكاية ذلك عنهم ، لأنهم على زعمهم إذا قالوا
 بذلك لزم قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى ، فيلزم حدوثه تعالى
 وتقدس ، كما أن ما قامت به الحوادث ، فهو حادث . والعبد عندهم أيضاً
 ليس بفاعل بالاختيار ، بل هو مجبور ، وغير ميسر ، وحر كته كحركة
 المرتعش ، أو كالميت أدرج داخل الأكفان ، فإذا كان فعل الرب تعالى غير
 قائم به عندهم ، بل المفعول هو المفعول ، والعبد عندهم ليس بفاعل ، فلذلك

قال الناظم : فاذا جمعت مقالتيه انتجاً ، اي : إذا كان الفعل ليس فعلاً
لرب ، والعبد مجبور لافعل له في الحقيقة ، بل تسمى أفعالا له مجازاً ، كان
نسبة ذلك إلى الرب تعالى كذباً ، لأن الرب ليس بفاعل للمعاصي ، وصار
نسبته للعبد أيضاً كذباً ، لأنه ليس بفاعل ، وإنما هو مجبور ، فاذا انتفت
صفة الفعل والكلام في حق الرب تعالى ، فهناك لاخلق ولا أمر ولا وحي
ولا تكليف ، كما ألزمهم به الناظم رحمه الله تعالى . قوله : الكل مجبور الخ ...
قال الناظم في « شرح منازل السائرين » مشهد أصحاب الجبر ، وهم الذين
يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير قدوتهم واختيارهم ،
بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة ، ويقولون : إن أحدهم غير فاعل في
الحقيقة ، ولا قادر ، وأن الفاعل فيه ، والمحرك له سواء وأنه آله محضة ،
وحركاته بمنزلة هبوب الرياح ، وحركات الأشجار ، وهؤلاء إذا أنكرت
عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر ، وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يغفلون في ذلك
حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ، لموافقها المشيئة والقدر ،
ويقولون : كما ان موافقة الأمر طاعة ، فموافقة المشيئة طاعة ، كما حكى
الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلاً على
أمره بها ورضاه بها قال : وهؤلاء شر من القدورية النفاة ، وأشدّ عداوة
لله ، ومناقضة لكتبه ورسوله ودينه ، حتى إن من هؤلاء من يعتذر عن
إبليس لعنه الله ، ويتوجع له ، ويقيم عنده بجهده ، وينسب ربه إلى ظلمه
بلسان الحال والقال ، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير
خالقه ؟ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه ، وأرادته منه ! ثم كيف يمكنه
السجود ، وهو الذي منعه منه ، وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك
سجوده لغيرك محسناً ؟ ولكن :

إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته الا ذنوب
قال رحمه الله : وهؤلاء أعداء الله حقاً وأولياء إبليس وأحبابه وإخوانه ،
وإذا نأح منهم نأح على إبليس ، رأيت من البكاء والحزن أمراً عجيباً ،
ورأيت من تظلم الاقدار واتهام الجبار ما يبدو على فلتات ألسنتهم ،
وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم التظلم والتوجع ما تسمعه من
الخصم المغلوب ، العاجز عن خصمه . قال : فهوؤلاء هم الذين قال فيهم
شيخ الاسلام ابن تيمية في تأنيته

ويدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طراً فرقة القدرية

يعني : الجبرية . انتهى . وقول الناظم رحمه الله تعالى : وغير ميسر
اشارة الى أنهم خالفوا ما ثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ ، أنه
قال : « ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ، ومقعده من النار .
قالوا يا رسول الله : أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال :
لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وفي « الصحيح » أيضاً أنه قيل : يا رسول الله
أرأيت ما يكدر الناس فيه اليوم ، ويعملون ، شيء ؟ قضي عليهم ومضى ،
أم فيما يستقبلون بما آتاهم فيه الحجة ؟ فقال : بل شيء قضي عليهم ، ومضى
فيهم . قالوا : يا رسول الله ؛ أفلا ندع العمل ، ونتكل على كتابنا ، فقال :
لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وقضى على أسمائه بحدوثها وبخلقها من جملة الأكوان

فانظر إلى تعطيله الأوصاف والافعال والأسماء للرحمن
 ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من نفى ومن جحد ومن كفران
 لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن
 وأتى الى الكفر العظيم فصاغه عجلاً ليفتن أمة الشيران
 وكساه أنواع الجواهر والحلى من لؤلؤ صاف ومن عقيان
 فراه ثيران الورى فأصابهم كصاب إخوتهم قديم زمان
 عجلان قد فتن العباد بصوته إحداهما وبجرفه ذا الثان
 والناس أكثرهم فأهل ظواهر تبدو لهم ليسوا بأهل معان
 فهم القشور وبالقشور قوامهم واللب حظ خلاصة الانسان
 ولذا تقسمت الطوائف قوله وتوارثوه إرث ذي السهان
 لم ينج من أقواله طراً سوى أهل الحديث وشيعة القرآن
 فتبرؤوا منها براءة حيدر وبراعة المولود من عمران
 من كل شيعي خبيث وصفه وصف اليهود محلي الحيتان

أي : إن جهماً وأتباعه ذهبوا إلى حدوث أسماء الرب تعالى وقالوا :
 أسماء الله تعالى غيره ، فان أسماء الله تعالى من كلامه ، وكلامه غيره ، ثم قالوا :
 وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه . وقول الناظم : فانظر إلى تعطيله
 الأوصاف والأفعال والأسماء للرحمن . أي : لأنه يقول بحدوث أسماء الله

تعالى ، وأنها مخلوقة . وتعطيله الاوصاف ، أي : أنه نفى صفات الباري سبحانه .
 وتعطيل الأفعال ؛ أي : بأنه يقول : الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق .
 فانظر إلى ما تضمنه هذا من الجحد والتعطيل والكفران . وقوله : لكنه
 أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن . أقول : قال العلامة تقي الدين
 أحمد بن علي المقرئ في كتاب « الخطط » بعد كلام سبق : ثم حدث بعد
 عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهنم بن صفوان ببلاد المشرق ، فعظمت
 الفتنة به ، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة ، وأورد على أهل الإسلام
 مشكوكاً ، أثرت في الملة الاسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاء كبير ، وكان
 قبيل المائة من سني الهجرة ، فكثرت أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل ،
 فأكبر أهل الإسلام بدعته ، ونالوا على انكارها ، وتضليل أهلها ، وحذروا
 من الجهمية ، وعادوهم في الله ، وذموا من جلس إليهم ، وكتبوا في الرد
 عليهم ما هو معروف عند أهلنا . انتهى كلامه . وقد تقدم في كلام الإمام
 أحمد والبخاري وعبد الله بن المبارك وغيرهم رضي الله عنهم أشياء من
 أحوال جهنم وأتباعه ، والتحذير من بدعهم . ولقد زرع هذا الخبيث في
 الإسلام شراً عظيماً لا يزول إلى قيام الساعة ، نعوذ بالله من الخذلان .
 قوله : فتبرؤوا منها براءة حميد . هو لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 والمولود من عمران : هو موسى عليه السلام . يعني : أن أهل الحديث
 والسنة تبرؤوا من مذهب الجهم وشيعته كما تبرأ موسى عليه السلام من
 بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ، وكما تبرأ علي رضي الله عنه من الشيعة
 الذين تبرؤوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، بل ادعى بعضهم فيه الإلهية ،
 فاستتابهم فلم يتوبوا ، فخذد لهم الأخاديد وأخرم فيها النار ، وأحرقهم فيها

قال :

إني اذا شاهدت أمراً منكراً أجهت ناري ودعوت قبراً

والقصة معروفة . قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

في مقدمة نافعة قبل التحكيم

يا أيها الرجل المريد نجاته	إسمع مقالة ناصح معوان
كن في أمورك كلها متمسكاً	بالوحي لا بزخارف الهذيان
وانصر كتاب الله والسنن التي	جاءت عن المبعوث بالفرقان
واضرب بسيف الوحي كل معطل	ضرب المجاهد فوق كل بنان
واحمل بعزم الصدق حملة مخلص	متجرد لله غير جبان
واثبت بصرك تحت ألوية الهدى	فإذا أصبت ففي رضى الرحمن
واجعل كتاب الله والسنن التي	ثبتت سلاحك ثم صح بجنان
من ذا يبارز فليقدّم نفسه	أو من يسابق يبد في الميدان ؟
واصدع بما قال الرسول ولا تحف	من قلة الانصار والأعوان
فالله ناصر دينه وكتابـه	والله كاف عبده بأمان
لا تخش من كيد العدو ومكرهم	فقتلهم بالكذب والبهتان

فجنود أتباع الرسول ملائكة وجنودهم فعمساكر الشيطان
 شتان بين العسكرين فمن يكن متحيزاً فليمنظر الفتان
 واثبت وقاتل تحت رايات الهدى واصبر فتصر الله ربك دان
 واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى لله در مقاتل الفرسان
 وادرب بلفظ النص في نحر العدى وارجمهم بثواب الشهبان
 لا تخش كثرتهم فهم همج الورى وذبابه أتخاف من ذبان ؟
 واشغلهم عند الجدال ببعضهم بعضاً فذاك الحزم للفرسان
 واذا هم حملوا عليك فلا تكن فرعاً لحمتهم ولا يجبان
 واثبت ولا تحمل بلا جند فما هذا بمحمود لدى الشجعان
 فإذا رأيت عصابة الاسلام قد وافت عمساكرها مع السلطان
 فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن بالعاجز الواني ولا الفرعان

هذا شروع في وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين
 الطوائف ، أوصى بها المصنف قدس الله روحه ، ونور ضريحه لمن يعقل عن
 الله ، وذلك أن الانسان لم يخلق سدى مهملاً ، بل خلقه الله لأمر عظيم ،
 وخطب جسيم ، خلقه الله سبحانه لعبادته الجامعة لمحبه وخشيه والذل
 والخضوع له ، وهيماً دارين دار جزاء للمحسنين ، ودار عقاب للمخالفين ،
 فيتعين على من طلب نجاته نفسه التهيؤ والاستعداد لما يقربه من رضى ربه ، وينجيه

من عقابه وعذابه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا متابعة الرسول ﷺ في الدق والجل ، وتقديم طاعته على طاعة غيره ، فلهذا قال : يا أيها الرجل المريد نجاته الخ ... وكما قال المصنف فيما يأتي : يا من يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران ، اتبع رسول الله في الأعمال والأقوال الخ . . . قوله : مقدمة بكسر الدال كمقدمة الجيش ، أول ما يتقدم منه ، وبفتحها على قلة ، وقوله : معوان . هو اسم فاعل . وعأونه معاونة وعواناً : أعانه . والمعوان : الحسن المعاونة أو كثيرها . قاله في « القاموس » قوله : اضرب بسيف الوحي . استعار اسم السيف للوحي إشارة إلى قطعه المنزاع ، لأن الوحي دليل قاطع مسمي عقلي ، والوحي هو العلم النافع والدليل القاطع ، لازخارف المستكلمين ، وهذيان الفلاسفة والمتصوفين ، القاطعة عن الله ورسوله . من تبعها وقدمها على الوحي المبين ، والمنهج الواضح المستبين ، وهو كتاب الله المتين ، وسنة رسوله الصادق الأمين ، فقد ضل سواء السبيل . والله در القائل :

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس خلف فيه
العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي سفاهة
كلا ولا نصب الخلاف جهالة	بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً	حذراً من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به	من فرقة التعطيل والتمويه

قوله : وادراً بلفظ النص في نحر العدى . الدرع : الدفع ، وبابه قطع

قوله : همج . الهمج بفتح الجيم جمع همجة ، وهي ذباب صغير كالبعوض ، يسقط على وجوه الغنم والحير وأعيانها ، ويقال للرءاع الحمقى : انما هم همج . « مختار الصحاح » قوله : ذباب . الذب : المتع والدفع ، وبابه رد ، والذبابة بالضم وتشديد الباء ونون قبل الهاء ^(١) واحدة الذباب . ولا ^(٢) تقل : ذبابة بالكسر . وجمع الذباب في القلة : أذبة ، والكثير : ذبان كغراب وأغربة وغربان « مختار الصحاح » قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتغر من ثوبين من يلبسها	يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المراكب فوقه	ثوب التعصب بثمت الثوبان
وتحل بالانصاف أفخر حلة	زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع	نصح الرسول فحبذا الأمران
وتسكن بحبله وبوحيه	وتوكن حقيقة التكلان
فالحق وصف الرب وهو صراطه	هادي إليه لصاحب الإيمان
وهو الصراط عليه رب العرش أرفع	ضأ ذا وذا قد جاء في القرآن
والحق منصور وممتحن فلا	تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذلك يظهر حزبه من حزبه	ولاجل ذلك الناس طانفتان
ولاجل ذلك الحرب بين الرسل وال	كفار مذ قام الورى سبجان

(١) في الأصل : قيل إنها

(٢) في الأصل : ولان .

لكنما العقي لأهل الحق إن فأت هنا كانت لدى الديان

قوله : تمر . فعل أمر من التعري . يقال : عري من ثيابه بالكسر عرياً بالضم فهو عار وعريان ، والمرأة عريانة ، وما كان على إعلان فهو نث بالهاء . قاله في « مختار الصحاح » قوله : الجهل المركب : هو تصور الشيء على غير ماهيته ، وذلك أن حكم العقل بأمر على أمر جازم غير مطابق في الخارج هو الاعتقاد الفاسد ، وهو الجهل المركب ، وتركه من عدم العلم بالشيء ، واعتقاد غير مطابق ، فهو أن يجهل الحق ، ويجهل جهله به . والجهل البسيط : عدم العلم ، وقيل : عدم معرفة الممكن بالفعل لا بالقوة . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي إليه لصاحب الإيمان . فما اشتقاق الصراط ، فالمشهور أنه من صرط الشيء أصرطه : إذا بلغته بلغاً سهلاً ، فسمي الطريق صراطاً ، لأنه يصتوّر المارة فيه . والصراط : جامع خمسة أوصاف : أن يكون طريقاً مستقيماً ، سهلاً ، مسلوكةً ، واسعةً ، موصلاً إلى المقصود ، فلا تسمي الطريق المعوج صراطاً ، ولا الصعب المشق ، ولا المسندود غير الموصل ، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين ذلك ، قال : أمير المؤمنين على صراط إذا أعوج الموارد مستقيم^(١)

وبنوا الصراط على زنة فعال ، لأنه يشتمل على سالكه اشتمال الحق على الشيء المسروط . وهذا الوزن كثير في المشتلات على الأشياء ، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراس . كذا أفاده الناظم . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي . إن الرب تعالى يوصف بأنه الحق ، كما في الحديث

(١) القائل : هو جرجر

الصحيح في «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن عباس «اللهم أنت الحق»
ووعدك حق، ولقاؤك حق . . . الحديث. وقوله : وهو الصراط عليه رب
العرش ، يشير إلى قوله تعالى : (إن ربي على صراط مستقيم) هود : ٥٦ ؛ أي : هو
على الحق والعدل .

قوله : وهو صراطه الخ . . قال الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الأنعام : ١٥٤ . قال ابن مسعود :
خط رسول الله ﷺ بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً
عن يمينه وشماله وقال : هذه سبل ، على كل سبيل شيطان يدعو
إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . وهذا لأن الطريق
الموصلة إلى الله واحدة ، وهو مابعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، لا يصل
إليه أحد إلا من هذه الطريق ، ولو أتى الناس من كل طريق ، واستفتحوا من
كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هذا
الطريق الواحد ، فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله . قال تعالى : (هذا صراط
علي مستقيم) الحجر : ١٠ قال الحسن : معناه : صراط إلى مستقيم ، وهذا يحتمل أمرين .
ان يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت
أداة (علي) مقام (إلي) ، والثاني أنه أراد التفسير على المعنى ، وهو الأشبه بطريق
السلف : ؛ أي : صراط موصل إلي . وقال مجاهد : الحق يرجع إلى الله ،
وعليه طريقه لا يعرج على شيء . ومثل قول الحسن ، وأبين منه ، وهو
من أصح ما قيل في الآية . وقيل : (علي) فيه للوجوب ؛ أي : علي بيانه

وتعريفه والدلالة عليه . والقولان نظير القولين في آية النحل ، وهي (وعلى الله قصد السبيل) النحل : ٩ والصحيح فيها كالصحيح في آية (الحجر) أن السبيل المقصد ، وهو المستقيم المعتدل يرجع الى الله ويوصل اليه . قال طفيل الغنوي :

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

أي مرورنا عليهم ، واليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو علي طريقها

أفاده المصنف في تفسير هذه الآيات . قال الناظم رحمه الله تعالى :

واجعل لقلبك هجرتين ولا تتم فهما على كل امرئ قرضان

فالهجرة الاولى إلى الرحمن با إخلاص في سر وفي إعلان

فالقصد وجه الله بالأقوال وا أعمال والطاعات والشكران

فبذلك ينجو العبد من إشراكه ويصير حقاً عابداً للرحمن

والهجرة الاخرى الى المبعوث با بحق المبين وواضح البرهان

فيدور مع قول الرسول وفعله نفيّاً واثباتاً بسلا ووغان

ويحكم الوحي المبين على الذي قال الشيوخ فعنده حكام

لا يحكمان بباطل أبداً وكل العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم فيه الشفا وهداية الحيران
والحاكم الثاني كلام رسوله ما ثم غيرهما لذي إيمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا سمعاً لداعي الكفر والعصيان
قل لا كرامة لا ولا نعماً ولا طوعاً لمن يدعو الى طغيان
واذا دعيت الى الرسول فقل لهم سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان
وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا فاثبت فصيحهم كمثل دخان
يرقى الى الأوج الرفيع وبعده يهوي الى قعر الحضيض الداني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر المهجرتين ، فالمهجرة الأولى الى الله تعالى باخلاص الاعمال والتوجه اليه ، بامثال أمره ، واجتناب نهيه .
والمهجرة الثانية الى الرسول ﷺ ، باتباعه ، وتقديم قوله في الدق والجل ، وترك قول غيره لقوله . وللمصنف رحمه الله تعالى كتاب سماه « سفر المهجرتين وطريق السعادتين » أتى بما لا مزيد عليه ، فراجع له إن شئت .
وقوله : إلى الأوج الرفيع . الأوج معرب أوك ، وهو كلمة أعجمية ، معناها : العلو . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . وفي الحديث انه أهدي إلى رسول الله ﷺ هدية ، فلم يجد شيئاً يضعه عليه ، فقال : « ضعه بالحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد »^(١) يعنى ضعه بالأرض .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

(١) في الاصل : العبد ، والتصحيح من « النهاية في غريب الحديث » لابن الاثير .
والحضيض : قرار الارض وأسفل الجبل .

أعمال لا بكتائب الشجعان	هذا وإن قتال حزب الله بالـ
أنى وأعداهم بلا حسابان	والله ما فتحوا البلاد بكثرة
آراء بل بالعلم والايمان	وكذلك ما فتحوا القلوب بهذه
نفس وذا محذور كل جبان	وشجاعة الفرسان نفس الزهد في
مد في الثامن كل ذي بطلان	وشجاعة الحكام والعلماء زهـ
شدت ركائبه الى الرحمن	فإذا هما اجتماعاً لقلب صادق
فالعز تحت مقاتل الاقران	واقصد الى الأقران لأطرافها
عند الوري من كثرة الجولان ^(١)	واسمع نصيحة من له خبر بما
أخذوه عمن جاء بالقرآن	ما عندهم والله خير غير ما
أوبحث تشكيك ورأي فلان	والكل بعد فبدعة أو فرية
في الله وأخشاه تفز بأمان	فاصدح بأمر الله لا تخش الوري
لا في هوائك ونخوة الشيطان	واهجر ولو كل الوري في ذاته
واصفح بغير عتاب من هو جان	واصبر بغير تسخط وشكاية
ان لم يكن بد من الهجران	واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى

(١) يقال : جال في الحرب جولاً وجولاناً

قوله : والله ما فتحو البلاد بكثرة الخ ... أي : ان الاسلام في بدايته كان غريباً كما قال ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » (١) وكما في حديث عمرو بن عبسة لما قدم على النبي ﷺ وهو مستخف بمكة ، فقال له : من معك على هذا ؟ قال : حمر وعبد ، يعني أبا بكر وبلا لا رضي الله عنهما ، ثم فتح الله عليه وعلى أصحابه من بعده ما هو معروف في كتب السير . والكتاب : جمع كتيبة ، وهي الجماعة من الحيل والجيش .

قوله : والكل بعد فبدعة أو فرية . البدعة هي : ما أحدث بما يخالف كتاباً أو سنة . والفرية : الكذب . يقال : فرى كذباً ، خلقه ، والاسم الفرية . وقوله تعالى : (شيئاً فريباً) مريم : ٢٧ اي : مصنوعاً مختلفاً . وقوله : الجولان . جال من باب قال ، وجولاناً أيضاً ، بفتح الواو . الجولان بسكون الواو جبل بالشام ، وتجاولوا في الحرب : جال بعضهم على بعض « مختار الصحاح » .

قوله : نخوة الشيطان . النخوة : الكبر والعظمة . يقال : انتخى فلان علينا ؛ أي : افتخر وتعظم ، قاله في « مختار الصحاح » .

قوله : واهجرهم المهجر الجميل الخ .. قال الناظم في « بدائع الفوائد » سمعت شيخ الاسلام يقول : ذكر الله الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجرج جميل . فالصبر الجميل : الذي لا شكوى معه ، والهجرج جميل : الذي لا أذى معه ، والصفح الجميل : الذي لا عتاب معه . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ « بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للقرناء » وفيه أيضاً عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها » .

وانظر الى الأقدار جارية بما قد شاء من غي ومن إيمان
 واجعل لقلبك مقلتين كلاهما بالحق في ذا الخلق ناظران
 فانظر بعين الحكم وارحمهم بها اذ لا ترد مشيئة الديان
 وانظر بعين الأمر واحملهم على أحكامه فيها اذا نظران
 واجعل لوجهك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيان
 لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن
 واحذر كمائن نفسك اللاتي متى خرجت عليك كسرت كسر مهان
 واذا انتصرت لها فانت كمن بغى طففي الدخان بموقد النيران
 والله أخبر وهو أصدق قائل أن سوف ينصر عبده بأمان
 من يعمل السوآى سيجزى مثلها أو يعمل الحسنى يفر بجنان
 هذى وصية ناصح ولنفسه وصى وبعد لسائر الاخوان

مراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الايات أن يبين الحكم الكوني
 القدري ، والحكم الديني الامري الشرعي ، فان جميع أفعال الخلق من
 الطاعات والايمان ، والكفر والايمان ، لا تخرج عن حكم الرب تعالى الكوني
 القدري ، فان جميع الأشياء خلقه تعالى بقدرته ومشيئته ، ولكن مع
 ذلك لا بد من النظر الى الحكم الديني الشرعي ، فمعنى كلامه : إنك إذا
 نظرت الى الخلق بعين الحكم ورحمتهم ، لأن مشيئة الله تعالى لا ترد ، وما شاء

الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولكن مع ذلك انظر الى عين الامر ، واحملهم عليها ، أي : فجد الزاني ، واقطع السارق ، واجلد القاذف ، واقتل القاتل ، ونحو ذلك بما امر الله ورسوله به . وهذا معنى قوله : فانظر بعين الحكم وارحمهم بها الخ .. ومعنى قوله : وانظر بعين الامر واحملهم على الخ .. قال المصنف رحمه الله تعالى في « شرح منازل السائرين » في منزلة الفكرة لما تكلم على الفناء الذي يذكره الصوفية . فصل : وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية وهو رؤية ، تقرد الله بخلق الاشياء وملكها واختراعها ، وأنه ليس في الوجود قط إلا ما شاء . وكونه ؛ فيشهد ما استوكت فيه المخلوقات من خلق الله ايها ، ومشيئته لها وقدرته عليها ، وشمول قيوميته وربوبيته لها ، ولا يشهد ما افتردت فيه من محبة الله لهذا ، وبغضه لهذا ، وأمره به ، ونهيه عما نهى عنه ، وموالاته لقوم ، ومعاداته لآخرين ، فلا يشهد التفرقة في الجمع ، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية ، وتفرقة موجب الالهية في جمع الربوبية ، وتفرقة الارادة الدينية في جمع الارادة الكونية ، وتفرقة ما يحبه ويرضاه في جمع ما قدره وقضاه ، ولا يشهد الكثرة في الوجود ، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، واقتضاؤه لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها ، فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته ، فهو الله لا اله الا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، وكل اسم له صفة وللصفة حكم ، فهو سبحانه واحد الذات ، كثير الأسماء والصفات ، فهذه كثرة في وحدة . والفرق بين مأموره ومنهيه ، ومحبوبه ومبغوضه ، ووليّه وعدوه ، تفرقة في جمع ، فمن لم يتسع شهوده لهذه الامور الأربعة فليس من خاصة أولياء الله العارفين ، بل لو ضاق شهوده عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص ، وإن جحد بها أو شيئاً منها ، فكفر صريح ، أو بتأويل .

مثل أن يججد تفرقة الأمر والنهي ، أو جمع القضاء والقدر ، أو كثرة معاني الأسماء والصفات ووحدۃ الذات ، فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضع حق التدبر ، وليعرف قدره ، فانه بجامع طرق العالمين ، وأصل تفرقهم . قد ضبطت لك معاقده ، وأحكمت لك قواعده ، وبالله التوفيق . وإنما يعرف قدر هذا من اجتاز القفار واقتبعم البحار ، وعرض له ما يعرض لسالك القفر وراكب البحر ، ولم يسافر ونجرح عن وطن طبعه ومرباه ، وما ألف عليه أصحابه وأهل زمانه ، فهو بمنزل عن هذا ، فان عرف قدره وكفى الناس شره ، فهذا يرجى له السلامة ، وان عدا طوره ، وأنكر ما لم يعرفه ، وكذب بما لم يحط به علماً ، ثم تجاوز الى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ، ويرضى بما رضى به لنفسه ؛ فذلك هو الظالم الجاهل الذي ماضر الا نفسه ؛ ولا أضع الا حظه . انتهى ؛ والله اعلم .

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم .

فاجلس إذا في مجلس الحكمين للرحمن لا للنفس والشيطان
 الاول النقل الصحيح وبعدها
 عقل الصريح وفطرة الرحمن
 واحكم اذا في رفقة قد سافروا
 يبغون فاطر هذه الأكنان
 فترافقوا في سيرهم وتفارقوا
 عند افتراق الطرق بالحيران

فأنتى فريق ثم قال وجدته هذا الوجود بعينه وعيان
ما ثم موجود سواء وإنما غلط اللسان فقال موجودان
فهو السماء بعينها ونجومها وكذلك الأفلاك والقمران
وهو النعام بعينه والثلج والامطار مع برد ومع حسيان
وهو الهواء بعينه والماء والترب الثقيل ونفس ذي النيران
هذي بسائطه ومنه تركبت هذي المظاهر ما هنا شيان
وهو الفقير لها لاجل ظهوره فيها كفقير الروح الأبدان
وهي التي افتقرت اليه لأنه هو ذاتها ووجودها الحقان
وتظل تلبسه وتخلعه وذا الابدان والاعدام كل أو ان
ويظل يلبسها ويخلعها وذا حكم المظاهر كي يرى بعينان
وتكثر الموجود كالأعضاء في ال محسوس من بشر ومن حيوان
أو كالقوى في النفس ذلك واحد متكثر قامت به الأمران
فيكون كلاً هذه أجزاءه هذي مقالة مدعي العرفان
أو أنها كتكثر الانواع في جنس كما قال الفريق الثاني
فيكون كلياً وجزئياته هذا الوجود فهذه قولان
حداهما نص «الفصوص» وبعده قول ابن سبعين وما القولان

عند العفيف التلمساني الذي هو غاية في الكفر والبهتان
إلا من الاغلاط في حس وفي وهم وتلك طبيعة الانسان
والكل شيء واحد في نفسه ما للتعهد فيه من سلطان
فالضيف والمأكول شيء واحد والوهم يحسبها هنا شيئين
وكذلك الموطوء عين الموطوء والوهم البعيد يقولان اثنين
تقسيم الكل الى أجزائه ، كانقسام السكجيين الى خل وعسل ، وتقسيم
الكل الى جزئياته كانقسام الحيوان الى انسان وفرس .

واربعا قالوا مقالته كما قد قال قولهما بلا فرقان
وأبى سواهم ذا وقال مظاهر تجلوه ذات توحد ومثان
فالظاهر المجلو شيء واحد لكن مظاهره بلا حسابان
هذي عبارات لهم مضمونها ماثم غير قط في الاعيان
فالقوم ما صانوه عن إنس ولا جن ولا شجر ولا حيوان
كلا ولا علو ولا سفلى ولا واد ولا جبل ولا كئيبان
كلا ولا طعم ولا ريح ولا صوت ولا لون من الألوان
لكنه المطعوم والملبوس والاشموم والمسموع والآذان
وكذلك قالوا انه المنكوح والامذبوح بل عين الغوي الزاني

والكفر عندهم هدى ولو إنه دين المجوس وعابدي الأوثان
 قالوا وما عبدوا سواه وإنما ضلوا بما خصوا من الأعيان
 ولو أنهم عموا وقالوا كلها معبودة ما كان من كفران
 فالكفر ستر حقيقة المعبود بالتخصيص عند محقق رباني
 قالوا ولم يك كافراً في قوله أنا ربكم فرعون ذو الطغيان
 بل كان حقاً قوله إذ كاره عي ن الحق مضطجعاً بهذا الشأن
 ولذا غدا تغريقه في البحر تط هيراً من الأوهام والحسبان
 قالوا ولم يك منكراً موسى لما عبده من عجل لذي الخوران
 الاعلى من كان ليس بعباد معهم وأصبح ضيق الأعطان
 ولذلك جرب لحيمة الأخ حيث لم يك واسعاً في قومه لبطان
 بل فرق الانكار منه بينهم لما سرى في وهمه غيران
 ولقد رأى إبليس عارفهم فأء وى بالسجود هوى ذي خضعان
 قالوا له ماذا صنعت فقال هل غير الإله وأنتا عيمان
 ما ثم غير فاسجدوا إن شئتم للشمس والاصنام والشيطان
 قال كل عين الله عند محقق والكل معبود لذي العرفان
 هذا هو المعبود عندهم فقل سبحانك اللهم ذا سبحان

يا أمة معبودها موطوؤها أين الإله وثغرة الطعان

يا أمة قد صار من كفرانها جزء يسير جملة الكفران

أقول وبالله التوفيق : شرع الناظم رحمه الله تعالى فيما وضع له الكتاب وهو المحاكاة بين الطوائف ، فبدأ بمقالة الوجودية الذين هم أكفر أهل الأرض ، نعوذ بالله من الزيف .

قوله : فيكون كلاً هذه اجزاؤه ؛ أي : إن أحد قولهم : إنه كالاعضاء في الصورة الحيوانية ، أو كالقوى المعنوية في النفس ، فيكون كلاً . وأجزاؤه الاعضاء ، أو القوى . وعلى القول الثاني لهم : إنه كتكثر الأنواع في الجنس . فتكون الموجودات جزئياته . وهو كالي لها . تعالى الله عما يقول الزائغون علواً كبيراً ، والأول نص «الفصوص» والثاني قول ابن سبعين ، ولكن عند العقيف التماسي القولان من الأغلاط . والكل عنده شيء واحد في نفسه ، وربما قالوا مقالته ، أي : ابن سبعين ، وابن عربي ربما قالوا مقالته ، وهو قد يقول قولهما ، نعوذ بالله من ذلك .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المسمى بـ «السبعينية» أقوال هؤلاء ، فذكر أن كلام صاحب «الفصوص» يدور على أصلين أحدهما : أن الأشياء كلها ثابتة في العدم ، مستغنية بنفسها ، نظير قول من يقول : المعدم شيء ، لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق ، وذات الخلق ، إذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذات الممكنة ، وإن كان قد يتناقض في ذلك قولهم ، فانهم كلهم يتناقضون ، وكل من خالف الرسل فلا بد أنه يتناقض . قال تعالى (إنكم لفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك) الذاريات : ٨ ، ٩ وقال : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء . ٨٢

الأصل الثاني ان الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة ، هو عين وجود الحق الواجب ، ولهذا قال في أول « الفصوص » الشيخية : ومن هؤلاء يعني الذين لا يسألون الله من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله ، هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ، ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل . وما ثم صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين ، منهم من يعلم ذلك مجملًا ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلًا ، والذي يعلمه مفصلًا أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملًا ، فانه يعلم ما في علم الله فيه ، إما بإعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة ، وانتقالات الأحوال عليها ، الى ما لا يتناهي ، وهو أعلى ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لأن الأخذ من معدن واحد ، هذا لفظه . وقد كشف شيخ الاسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الاتحادية ، وأوضح كلام كل واحد منهم في رسالته الى الشيخ نصر المنيجي ، قال فيها : وزما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع ، مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وان وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات ، فلا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم ، لأنه أمر مبهم الأول : أن يقولوا : ان الذوات بأمرها كانت ثابتة في العدم ، وإن ذاتها أبدية أزلية ، حتى ذوات الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والحركات ،

والسكنات ، وان وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق ، وذواتهم ليست ذات الحق يفرقون بين الوجود والثبوت ، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك ، ويقولون : ان الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ، ولا أغنى أحداً ، ولا أسعد ، ولا أشقا ، ولما وجوده فاض على الذوات ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولا تذم إلا نفسك . ويقولون : ان هذا هو سر القدر ، وان الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم ، خارجاً عن نفسه المقدسة ، ويقولون : ان الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم ، وأنهم قد يعلمون الأشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم ، وعلم الله تعالى من معدن واحد ، وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه ، لأنهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل ، ويقولون : إنهم لم يعبدوا غير الله ، ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى ، وان عباد الاصنام ما عبدوا إلا الله سبحانه ، وان قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الاسراء : ٢٣ بمعنى حكم ، لا بمعنى أمر ، فما عبد غير الله في كل معبود ، فان الله تعالى ما قضى بشيء إلا وقع ، ويقولون : ان الدعوة إلى الله تعالى مكر بالدعو ؛ فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ، وان قوم نوح قالوا : لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ، لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم ، لأن الحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، وينكره من أنكره ، وان التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد ، فان الجاهل يقول : هذا حجير وشجر ، والعارف يقول : هذا مجلى إلهي ، ينبغي تعظيمه ، فلا تقتصر ، وان

النصارى إنما كفروا ، لأنهم خصصوا ، وإن عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر ، والعارف يعبد كل شيء ، والله أيضاً يعبد كل شيء ، لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والاحكام ، وهو غذاؤها بالوجود وهو فقير اليها ، وهي فقيرة اليه ، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى . ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة وإضافة بين الوجود والثبوت ، وليست إلا أموراً عديمة . ويقولون : من أسمائه الحسنى (العلي) . عن ماذا وماثم الا هو ؟ وعلى ماذا وماثم غيره ؟ فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ، وما نكح إلا نفسه ، وما ذبح سوى نفسه ، والمتكلم هو عين المستمع ، وإن موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه . وإن موسى كاذب أو ساع في العلم ، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله ، وأن أعلى لماعبد الهوى ، وأن كل من اتخذ إلهه هواه ، فما عبد إلا الله ، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين ، وقد صدقه السحرة في قوله (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ وفي قوله : (ما علمت لكم من إله غيري) القصص : ٣٨ وكنت مخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء وأقول : إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الصانع حتى حدثني بعض الثقات عن كثير من كبارهم أنهم يعترفون ويقولون : نحن على قول فرعون ، وهذه المعاني كلها هي قول صاحب « الفصوص » والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه ، والله يقفر لجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

والمقصود أن هذا حقيقة ماتضمنه كتاب « الفصوص » المضاف الى النبي ﷺ أنه جاء به ، وهو ما إذا فهمه المسلم ، علم بالاضطرار أن جميع

الأنبياء والمرسلين ، وجميع الأولياء والصالحين ، بل وجميع عوام أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يبرؤون الى الله تعالى من بعض هذا القول ، فكيف منه كله ، ويعلم أن المشركين عباد الأوثان ، والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق البارئ المصور الذي خلق السموات والارض وجعل الطامات والنور ، ربهم ورب آبائهم الاولين ، رب المشرق والمغرب ، ولا يقول أحد منهم : إنه عين المخلوقات ، ولا نفس المصنوعات كما يقوله هؤلاء ، حتي إنهم يقولون لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله ، وهذا مركب من أصلين ، أحدهما : أن المعلوم شيء ثابت في العدم ، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة ، وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والإجماع . وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالتقاضي أبي بكر ، كفر من يقول بهذا ، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها ، وأنها مشبهة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى ، فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي ، وأنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها ، فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي وبين الوجود العيني الخارجي ، ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله ﷺ سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) العلق : ١ - ٥ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الذي خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه ، ولهذا ذكر التعليم بالقلم ، فانه مستلزم للمراتب الثلاثة ، وهذا القول أعني قول من يقول : ان المعلوم شيء ثابت في نفسه ، خارج عن علم الله تعالى ، وان كان باطلا ، ودلالته واضحة ، لكنه قد ابتدع في

الاسلام من نحو أربعين سنة، وابن عربي وافق أصحابه، وهو أحد أصلي مذهبه الذي في « الفصوص » .

والأصل الثاني أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانقر به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن عربي^(١) أقرهم إلى الإسلام وأحسن، أما في مواضع كثيرة، فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ماهي عليه، ويأمر في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكه، فينتفعون بذلك، وإن كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم وواقفه فقد تبين قوله، وأما صاحبه الصدر الرومي، فإنه كان متفلسفاً، فهو أبعد عن الشريعة والاسلام، ولهذا كان الفاجر التمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخني القديم متروحنا متفلسفاً، والآخر فيلسوفاً متروحناً، يعني الصدر الرومي، فإنه كاذب قد أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي، وهو في كتاب « مفتاح غيب الجمع والوجود » وغيره يقول: إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات. فإذا تعين لم يقل: إنه هو، ويفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لا يوجد في الخارج مطلقاً، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة، فحقيقة قوله أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة، ولا ثبوت، إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات، ولهذا يقول هو وشيخه: إن الله تعالى لا يرى أصلاً، وإنه ليس في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده، تعالى الله عما يقولون .

(١) في الأصل: ابن العربي، وهو الطائفي المعروف صاحب « الفصوص » و « الفتوحات المكية » والصواب تنكيره، فردد بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي صاحب « أحكام القرآن » و « العارضة » .

وأما الفاجر التمساني فهو أخبث القوم ، وإعمقهم في الكفر ، فإنه لا يفرق بين الوجود والشبوت ، كما يفرق ابن عربي ، ولا يفرق بين المطلق والمعين ، كما يفرق الرومي ، ولكن عنده ماثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه ، وأن العبد إنما يشهد السوى مادام محجوباً ، فإذا انكشف حجابُه ، ورأى أنه ماثم غير ، يتبين له الأمر ، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات ، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول : البنت والأم والأجنبية شيء واحد ، ليس في ذلك حرام علينا ، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم . وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا ، وكان يقول : أنا ما تمسك بشريعة واحدة . وإذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل الى الجنة ، وكلامنا يوصل الى الله تعالى ، وشرح الأسماء الحسنی على هذا الأصل الذي له ، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء ، وشعره في صناعة الشعر جيد ، ولكنه كما قيل : لحم خنزير في طبق صيني ، وصنف للنصيرية عقيدة ، وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر ، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه . وأما ابن سبعين ، فإنه في البدء والاحاطة يقول أيضاً بوحدة الوجود ، وأنه ماثم غير ، وكذلك ابن الفاراض في آخر نظم السلوك ، لكن لم يصرح ، هل يقول بمثل قول التمساني ، أو قول الرومي ، أو قول ابن عربي ، وهو الى كلام التمساني أقرب ، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التمساني ، وآخر يقال له : البلباني من مشايخ شيراز ، ومن أشعارهم .

وفي كل شيء له آية ندل على أنه عينه

وأيضاً

وما أنت غير الكون بل أنت عينه
ويفهم هذا السر من ذواتك

وأيضاً

وتلذذ إن هرت على جسدي يدي
لأنني في التحقيق لست سواكم

وأيضاً

ما بال عينك لا يقر قرارها
فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن
إلا إليك اذا بلغت المنزل
وأيضاً

ما الأمر الانساق واحد
وانما العادة قد خصصت
مافيه من حمد ولا ذم
والطبع والشارع بالحكم
وأيضاً

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمري
فان أطعك وأعص الوجدنات عمي
فعين ما أنت تدعوني اليه اذا
والوجد أصدق نهاء وأمار
عن العيان الى أوهام أخبار
حققته تره المنهي يا جار
وأيضاً

وما البحر الا الموج لاشي غيره
وان فرقته كثرة المتعدد
الى أمثال هذه الأشعار ، وفي النثر ما لا يحصى ، ويوهمون الجبال أنهم
مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة ،
مثل سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وهر بن عبد العزيز ، ومالك

ابن انس ، والأوزاعي ، وإبراهيم بن أدهم ، وسفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ومعروف الكرخي ، والشافعي ، وأبي سليمان الداراني ، وأحمد ابن حنبل ، وبشر الحافي ، وعبد الله بن المبارك ، وشقيق البلخي ، ومن لا يحصى كثرة ، إلى مثل المتأخرين ، مثل الجنيد بن محمد القواريري ، وسهل ابن عبد الله التستري ، وعمرو بن عثمان المكي ، ومن بعدهم إلى أبي طالب المكي . إلى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشيخ عدي ، والشيخ أبي البيان ، والشيخ أبي مدين ، والشيخ عقيل ، والشيخ أبي الوفاء ، والشيخ رسلان ، والشيخ عبد الرحيم ، والشيخ عبد الله اليونيني ، والشيخ القرشي ، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز ، والشام ، والعراق ، ومصر ، والمغرب ، وخراسان ، من الأولين والآخرين ، كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ، فإن الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه ، ولا جزءاً من خلقه ، ولا صفة خلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفسه المقدسة ، بآئن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية ، من التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ، وعليه فطر الله تعالى عباده ، وعلى ذلك دلت العقول ، وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار ، واندراس شريعة الاسلام ، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله ، فإن هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم ، أما على رأي صاحب « الفصوص » فإن بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لهظم ذاته الثابتة في العدم ، وأما على رأي الرومي ، فإن بعض المتعينات يكون أكبر ، فإن بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض ، وأما على رأي البقية ، فالكل أجزاء منه ، وبعض الأجزاء أكبر من بعض ، فالدجال عند

هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين ، وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد ﷺ ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى عليهم السلام ، فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية ، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى - الذي قيل فيه إنه الله تعالى ، وهو بريء من ذلك - على مسيح الضلالة الذي قال : « إنه الله » ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي ﷺ قال : « إنه أعور » (١) وصرّنه قال : « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي ﷺ قال هذا ، لأن ظهور دلائل الحدوث والنقض على الدجال ، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور . فإما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية ، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى الحلولية ، ظهر من دلالة النبي ﷺ لأتمه بهذه العلامة ، فانه بمث رحمة للعالمين ، فإذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر ، أو يقول : إنه هو البشر ، كان الاستدلال على ذلك بالعمور دليلاً على انتفاء الألوهية عنه . وقد خاطبني قديماً شخص من خيار أصحابنا كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه ، وذكر هذا الحديث ، فبينت له وجهه ، وجاء إلينا شخص كان يقول : إنه خاتم الأولياء ، فزعم أن الحلاج لما قال : أنا الحق ، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه ، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع ، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي ﷺ ، كان من هذا الباب ، فبينت له فساد هذا ، وأنه لو كان كذلك ، كان الصحابة بمنزل موسى بن عمران ، وكان من خاطبه من هؤلاء أعظم من موسى ، لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة ، وهؤلاء يسمعون من الحي الناطق ، وهذا يقوله قوم من الاتحادية ، لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب إليه الفاجر التمساني وذووه ، وبين الاتحاد الممين الذي يذهب إليه النصارى والغالية ، وقد كان سلف

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

الأمة ومادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود ، كما قال -
 عبد الله بن المبارك ، والبخاري ، وغيرهما ، وانما كانوا يلوحون تلويحاً ، وقل
 أن كانوا يصرحون بأن ذاته في كل مكان . وأما هؤلاء الاتحادية فانهم أخبت
 وأكفر من أولئك الجهمية ، ولكن السلف والأئمة أعلم بالاسلام وبحقائقه ،
 فان كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق
 نور الهدى ، فلما اطلع السلف على سر القول ، نفرأ منه ، وهذا كما قال
 بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون
 كل شيء ، وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد ، فهو يصف
 ربه بصفات العدم والموت . وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد ، والقلب
 لا يقصد إلا موجوداً ، لا معدوماً ، فيحتاج أن يعبد المخلوقات ، إما الوجود
 المطلق ، وإما بعض المظاهر ، كالشمس ، والقمر ، والبشر ، والأوثان ، وغير
 ذلك ، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم ويعم ، ولا يوحدون
 الله سبحانه وتعالى ، وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات ،
 فهم يبرهنهم يعدلون . ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى
 الهند ، وقال : إن ارض الإسلام لا تسعه ، لأن الهند مشرك كون يعبدون
 كل شيء ، حتى النبات ، والحيوان ، وهذا حقيقة قول الاتحادية . وأعرف
 ناساً لهم اشتغال في الفلسفة والكلام ، وقد تأهلوا على طريق هؤلاء
 الاتحادية ، فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا : ليس بكذا ، ليس
 بكذا ، ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات ، كما يقوله المسلمون ، لكن يوحدون
 صفات الاثبات التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، واذا صار لأحدهم
 ذوق ، ووجد له تأله ، وسلك طريق الاتحادية وقال : إنه هو المرجودات

كلها ، فاذا قيل له : إن ذلك النفي من هذا الاثبات ؟ قال ذلك عقدي ، وهذا ذوقي ، فيقال لهذا الضال : كل ذوق ووجد لا يطابق الاعتقاد ، فأحدهما أو كلاهما باطل ، وإنما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات ، فإن علم القلب وحاله متلازمان ، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والمحاك ، ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ، ووصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله ، واتبعوا طريق السابقين الأولين ، لسلكوا طريق الهدى ، ووجدوا برد اليقين ، وقرّة العين ، فإن الامر كما قال بعض الناس : إن الرسل جاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، والصابئة المعطلة جاؤوا بنفي مفصل ، واثبات مجمل . فالقرآن مملوء من قوله تعالى : (إن الله بكل شيء عليم) العنكبوت : ٦٢ و (على كل شيء قدير) الملك : ١ و (إن الله سميع بصير) الحج : ٧٥ (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر : ٧ ، وفي النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ (ولم يكن له كفواً أحد) الصمد : ٤ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ (سبحانه رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ انتهى المقصود منه . ونقل الحافظ الحجة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » عن العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله البعودي الحنفي أنه رفع سؤالاً الى العلماء على رأس القرن السابع عن كتاب « الفصوص » لابن عربي ، ونصه : ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، عن كتاب بين أظهر الناس ، زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس باذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام زعم أنه رآه ، وأكثر كتابه ضد لما أنزل الله من كتبه المنزلة ، وعكس رصده عن

عن قول أنبياء الله المرملة ؛ فيها قال فيه : إن آدم عليه السلام إنما سمي إنساناً لأنه الحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر . وقال في موضع آخر : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ؛ وسواع ؛ ويغوث ؛ ويعوق ؛ ونسر ؛ لجعلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء ؛ ثم قال : فإن للحق في كل معبود وجهاً ؛ يعرفه من عرفه ؛ ويجهله من جهله ؛ فالعالم يعلم من عبد ، وفي أي صورة ظهر ؛ حتى العبد ؛ وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ؛ ثم قال في قوم هود عليه السلام : إنهم حصلوا في عين القرب ؛ فزال مسمى جهنم في حقهم ؛ ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ؛ فما أعطاهم هذا المقام الذوق الذي من جهة المنة ؛ وإنما أخذوه بما استحققت حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها ؛ وكانوا على صراط الرب المستقيم ؛ ثم أنه أنكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كافة العذاب من سائر العبيد ؛ فهل يكفر من يصدق في ذلك ، أو يرضى به منه ، أم لا ؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً ولم ينكره بلسانه ؛ أو بقلبه ؟ إفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق والتبليغ ؛ فقد أضر الإهمال بالضعفاء والجهال ، وبالله المستعان ؛ وعلى الله الاتكال ، أت يجعل للمحدثين النكال إصلاح الحال ، وحسم مادة النضال . فأجاب عن هذا السؤال جهابذة الاسلام والعلماء الأعلام ، كالشمس محمد بن يوسف الجزري ، والحافظ الحجة سعد الدين الحارثي ، والشيخ نور الدين البكري ، والزواوي المالكي ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والامام نجم الدين محمد بن عقيل الباسي ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بأجوبة طويلة كافية شافية ، ذكرها السخاوي رحمه الله ، وتركنا ذكرها اختصاراً . ثم قال السخاوي رحمه الله تعالى : قرأت له ،

يعني السيف السعودي مصنفاً أفادنيه العلامة مقنن الزمان الأمين أبو زكريا
الأقصرائي الحنفي ؛ فسخ الله في أجله ، وهو بخط أحمد بن آقش الشبلي ، جمعه
السيف في شهر سنة إحدى عشرة وسبعائة ، وسماه « بيان حكم ما في
« الفصوص » من الاعتقادات المفسودة ، والاعتقادات الباطلة المردودة » التي
من اعتقدها كفر ، ومن لم ينكرها أثم وخسر ، والاستدلال لصحة ذلك
بالكتاب والسنة الواضحة عنه أهل المعرفة والفطنة ، ونسخ فتاوى أهل العلم
والأئمة من أهل المراتب والحلم على اختلاف مذاهبهم ، واتفاق مطالبهم ،
لنصرة دين الله ، واتباع رسوله الخاتم ، فمن خالفهم بعد ذلك فهو بالخالفه
خال ظالم ، وافتتحه بقصيدتين من نظمه ، قافية الأولى على الهاء
المكسورة ، مطلعها :

عجبت لمنكر إنكار قوم على منشي « الفصوص » ومفتريه
وهي تسعة وعشرون بيتاً ، والثانية أولها

فرض علينا اتباع نبينا بحقيقة منا وحكم جازم

وذكرها وهي سبعة وأربعون بيتاً . ثم قال : وهذه قصيدة ثالثة
أوردها الناظم أثناء كتابه . وقال : إنه لقبها بـ « جلاء الفصوص على فهم
كل تقي مخصوص » فقدمتها هنا .

تقضى المحابر دون شرح كلامه في وصف جرأته وفي إقدامه

من يستيسح بأن يقول تعمداً كذباً على الهادي بزور منامه

أقواله تنبي الريب بأن كذب بلا شك لسوء مراحمه

لولا الحليم بجله عم الورى
 لاندكت الاجبال مما قاله
 اذ قال فيه إنه هو خلقه
 ويراه صورة كل شيء قد بدا
 وهو المنعم بالمالذ وضدها
 ويقول نحن غذاؤه بالحكم هل
 ماكل ماقد قال يمكن شرحه
 جل المقدس والمعظم دائماً
 هي فتنة للامتحان بلية
 فالؤمنون المتقون تراهم
 غضبوا فلما يرضهم إنكاره
 لكنهم لو مكنوا لرأيتهم
 للملحدن الزاعمين لوحدته
 وعبادة الأصنام عرفان لهم
 سجدوا بمازعموا وإن لم يسجدوا
 قاموا بكفر الكافرين بأسرهم
 فضلا وجوداً ذاك من إنعامه
 في حق منشيه وفي علامه
 والخلق يشمل ذكر كل هوامه
 وعيونه وجود وصف قوامه
 يتألم الوجدان من إيلامه
 صمد يكون له غذاً كطعامه
 لقبيح مفهوم وثبت حرامه
 عن كل فهم جل عن إعظامه
 لبيان دين القوم عند كلامه
 قاموا لتصر الدين حق قيامه
 بالقول فيه كلائم لغلامه
 كلا مكان القول ضرب حسامه
 فيها استباح القول نص حرامه
 وبذاك كل من سل من إسلامه
 مع كل ذي شرك لدى أصنامه
 قصداً وعقداً ثم في إبرامه

ومصدق لهم بحكم مثلهم
قد حاز كل الاثم من قدمضى
هذا نصيب رئيسهم وإمامهم
من قال في أعداء نوح إنهم
ولو استجابوا تاركى أصنامهم
من قال في عباد بأنهم ثوروا
سلوكوا الصراط المستقيم بجرهم
ما نيلهم للقرب منه منه
من قال في حق الخليل بأنه
من بعد حصر صفات ذات قدست
فأراد يذبح إبنه بتوهم
من قال في اسماعيل مرضي له
هذا الكلام جميعه متناقض
من قال في فرعون ما قد قاله
ويقول مات مطهراً في وقته
علم الجاهل بحكم ما لم يبده

وسط الضلالة باتباع إمامه
وله مزيد الكفل مع آثامه
في الورد إذ وردوا على أقدامه
كانوا على حق وجوب لزامة
جهلوا - تناثق فيه حق تمامه
في عين قرب وسط دار سلامه
وبه استحقوا الجود من إكرامه
لكنه حق يرى بقيامه
لم يدر تعبيراً لحلم منامه
إثبات ما لم يرتقي لمرامه
فقداه رب العرش من أوهامه
وكذاك مرضي - جميع أنامه
في الحكم معناه لدى فهمه
فهو البريء لديه من إجرامه
من كفره حكماً ومن آثامه
موسى الرسول المصطفى لكلامه

وكذا النبي المصطفى لم يده
من قال في موسى الكليم بأنه
لأخيه هارون النبي معنفاً
إن العبادة صادفت من قومه
لو كان ذلك لم يحرق عجلهم
من قال في أيوب جهل صبره
من قال إن عذاب خلد ذوقه
في حق كل الكافرين بأسرهم
فعسى يكون نصيبه ما قاله
فيرى خلاف فساد وهم ظنونه
من جهل الرسل الكرام بأسرهم
فشهاداته^(١) هو الخداع وهكذا
يحمي به النفس الجنيثة خائفاً
جهل الشرائع والحقائق كلها
خاب المقلد غير معصوم وقد
من كان متبع الرسول فحكمه

بمقالة للناس في إيهامه
لما بدا بعبادته وخصامه
لم لا اتسعت وذاك من إيهامه
في العجل عين الحق في أقسامه
وبنفسه في اليم نحو نظامه
اذ لم يعجل باشتكائه سقامه
كنعيم خلد لذ في إلهامه
والفرق رأي العين وصف قيامه
من وهمه يلقاه بعد حمامه
نزع الشوى منه وحطم عظامه
بمقاله فيهم وسوء مسامه
حكم الصلاة وحكم وصف قيامه
من قتلها كفرأ لدى حكامه
هلك الذي والاه باستسلامه
أبدى خلاف الحق في إيهامه
فيه كمعصوم لفضل إمامه

(١) في الاصل . فشادته . وهو خطأ . والصواب ما أثبتناه .

من صد عنه مخالفاً بتعمد
 إبليس قوس الرمي هذا وصفه
 من نقص المختار ضل عن الهدى
 ومقاله في إستقم لم يدر ما
 ماشك قط المصطفى في قربه
 فيقول شاب لأنه لم يدر هل
 ويقول في غير النبي بأنه
 في حكم أقدار عليه مفصلاً
 من يستحق سواه ما قد قاله
 من جهل الصديق فيما قاله
 هل بعد جملة ما ذكرت ضلالة
 أقوال ضد للشرائع كلها
 فعليه من غضب الاله بعلمه
 وعلى مصدقه ومن يرضى به
 واغفر لناظمها وكسل موفق
 عبد اللطيف مراده في وضعها
 أحماء رامية بوقع سهامه
 وسهامه الأقوال من إلزامه
 في قوله فيه بنقض ختامه
 منه المراد فشاب من إيهامه
 وبسر عصمته علو مقامه
 قول استقم في الامر من اقسامه
 ساوى الآله بعلمه لدوامه
 أبداً يحقق ذاك في أحكامه
 في تابع إن صح من خدامه
 من عجز إدراك لعظم مرامه
 قد عم ظلمة من مضى بظلامه
 ومخالف العالم في إعلامه
 ما يستحق بظنه وكلامه
 أبداً يجدد مع مدى أيامه
 لبيان وجه الحق باستلزامه
 تبيان لبس القول في إعجابه

لزوال وهم تخيل عن فهم من قد صد ظناً منه في إجماعه
لتابع الحق المبين بلا امترا فينال فضل الجود من قسامه
فيها نصيحة كل بر صالح وعداوة المفتون مع اغمامه
وشفاء صدر سالم من غله ومزيد ذي الإصمام من اصمامه
من صد عنها معرضاً متعللاً متوقفاً بالوهم مع أخصامه
دع ما يقول وتابع الهادي الذي تهدي به وتحل بين خيامه
فتصير مع أهل الخيام برملة وتنال منه حقيقة لنمامه
فيها النجاة لكل عبد مسلم فعليه من ربي دوام سلامة
وعلى النبي وآله مع صحبه ^(١) علماء أصل الدين عقد نظامه
والحمد لله العظيم ختامها حمداً وشكراً فهو في إلهامه
حمداً بدا من جوده أجزاءه وعليه بالإفضال حكم تمامه
فيه الوصول لواصل لمراده وبه تمسك واتقى بهصامه
ثم قال الناظم : تمت الآيات مختصرة المعاني ، صحيحة المباني ، متضمنة
اعتقاده ، ومبينة لكل لبيب فساد به ذكر مازعه وأراد به . فلنورد مقدمات
الفتاوى مع بيان ما أوجب ذلك من الكتاب والسنة بما هو ظاهر لذوي
البصائر والفتنة ، ثم أجوبة العلماء التابعين لحاتم الأنبياء بتكفير صاحب
« الفصوص » والمصدق له فيما أورده من مخالفة النصوص ، وتحذير من لم

في الاصل : وعلى نبيه مع آله وصحبه . ولا يستقيم به الوزن

ينكره من الوقوع في المخالفة والمحنة . وبيان أنه من أخطأ طريق الجنة إلا
 إن كان غير عالم بما وجب عليه ، وندب من الله ورسوله إليه من القيام
 بالإنكار ، وابداء العداوة لأعداء الله الفجار ، قال : وكان الواجب لأخذ
 هذه الفتارى ما قرره النبي ﷺ مما رواه مسلم في « صحيفه » من حديث تميم
 الدارى رضي الله عنه مرفوعاً « الدين النصيحة » قلنا : لمن يا رسول الله ؟
 قال : « لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » فمفهوم مضمون هذا
 الحديث أنه لا يحل لمسلم يسمع في حق الله ما لا يليق بكرماله ، وعظمته وجلاله ،
 أو يسمع من يلحد في آياته ، ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته ،
 ويحرفه عن مواضعه ، أو يخرج به في الأحكام عن موافقه ، كتجليل حرامه ،
 أو تحريم حلاله ، أو تغيير كلامه ، أو مناقضة شيء من أحكامه ، أو
 يسمع من يتقص رسله الكرام ، أو يرد قولاً من أقوال نبيه عليه السلام ،
 أو يفض من قدره بصريح لفظ معلوم ، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب
 الفهوم ، ثم يسكت أن أمكنه الكلام ، أو يرضى به أحد من الأنام
 إن وسعه السكوت . والنصيحة لأئمة المسلمين مفهومة بالمناصحة في الدين ،
 وإعانتهم على مصالح المسلمين . وأما النصيحة لعامتهم فبما يأمرهم به من
 المعروف ، وينهاهم عن المنكر ، والمساعدة والعون بما تصل إليه القدرة بما
 حض الله ورسوله عليه ، ودفع ضرر الأديان أهم ، وهو في النفع أخص ،
 وفي بذل النصيحة أعم ، ويؤيد المقصود في هذا المعنى ما رواه مسلم في
 « صحيفه » أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال
 « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب
 يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف
 يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو

مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ،
وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ، وقال تعالى (وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج : ٧٨ الآية . فقد
ثبت وتعين وجوب الجهاد على أهل الإيمان في كل زمان ومكان ، وبذل
الاجتهاد طلباً لرضوان وب العباد ، ولا يصح لك شاهد الاجتباء ، لا بوجود
الغضب لله ، والمجاهدة في سبيله ديناً ومذهباً ، لكونه صار في الذمة حتماً
مرتباً ، وقال عز من قائل : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) المجادلة : ٢٢
الآية . وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر
بالطاغوت ، لقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى) البقرة : ٢٥٦ . فصار الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجباً
لا يمكن وجود الإيمان إلا بوجوده ، وصاحب « الفصوص » زعم في التوحيد أن ترك
عبادة الأصنام جهل ، وذا كاف لمن رده عليه ، والسلام . وهذا هو الموجب للقيام ،
وأخذ الفتاوي ليرتدع المشايق والمناوي ، بعد أن رأيت من يعتقد صحة
مقاله ، ويزعم أنه حق ؛ فبادرت لبيان خلاله ، وإثبات محاله ، فإن في
قوله ذلك عدة أنواع من الكفر لمن ميزه واعتبره ، وأبدا ما أظهره خفي
ما أضمره ، من رده نص محكم الكتاب ، وتصويبه الكفر السريع الانقلاب ،
وتمييزه من تعاطاه على من أنكره . وقد ثبت في الاحكام ، وشاع فهمه
بين الأنام أنه ماعبد الأصنام إلا أجهل الخلق اللئام ، ولا أنكره عليهم إلا
أفضل الخلق ، وأعلمهم بالله ، أعني : الرسل الكرام ، والانبياء عليهم الصلاة
والسلام . فانظر إلى هذا الإقدام ، والتجري على الله بما يخالف ملة الاسلام
بل سائر الملل عند ذي الأفهام ... إلى أن قال بعد خطبة الكتاب : ولما

كملت المائة السادسة من الهجرة ظهرت مبادئ تلك الفترة بظهور من ينسب إلى العلم والتصوف من أعطي في ألفاظه نوعاً من التصرف ، لا كتسابه العلوم الفلسفية والطبيعية وغيرهما من العلوم التي لا يرجى خيرها ، فتولد من هذه المركبات في الذهن عبارات ، وأنواع إشارات بلسان يستعرب ، وعند غير العارف الذكي تستعذب ، وهي فاسدة المعاني ، واهية المباني ، مخالفة لطواغر النصوص ، معاكسة لقول كل نبي مخصوص ، مع تحريقه تأويل ما يعتضد به من المنقول على حكم اعتقاده في الوحدة ، أو الاتحاد والحلول ، وتزايد به الأمر حتى أقدم على المضادة ، وأظهر المخالفة والمعادنة بما وضعه في كتاب « الفصوص » المشارك له في وضعه إبليس ، قصداً للتدليس ، وإظهاراً للتلبيس ، فأظهر الله بالتحقيق ذلك لذوي التوفيق ، فمن أعظم تخيلاتهم ، وكذبهم على الله ، وافتئاتهم ، مازعهم في مقدمة الكتاب المذكور من الهتان والزور حيث قال : إنه رأى النبي ﷺ في المنام ، وبيده كتاب ، فقال له : هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه وأخرجه إلى الناس ينتفعون به ، وأنه أخرجه كما حده له النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان . فانظر الى هذا الخلط ، وظهور دلائل الزلل ، وذلك أنه زعم أنه ناوله إياه وسماه له ، ولم يقل : قرأته عليه ، ولا انتهت فوجدته في يدي ، فكيف عرف حده وكل ما فيه من قول ومعنى ، من نظم ونثر ، واستدلال بعلوم فلسفية وطبيعية وهندسية من العلوم التي لا تنسب إلى الحضرة المحمدية ، وما فيها من الشعر ، فلا ينسب إلى نبي ، ولا ملك ، ولا إلى حضرة إلهية من مبادئ تجليات الحق سبحانه في المنام ولا غيره ، هذا إذا كان الشعر والكلام موافقاً لما جاءت به الرسل الكرام ، فظهرت دلائل كذبه فيما جمعه لدفع الشبهة عنه من أقوى سببه ليلفت به إليه العوام ، ويصغي نحوه أهل البلادة بالأيام ، فيحصل منهم عنه

فما ينكرونه عليه الإحجام . وكان أول منكر بدأ بالانكار عليه ، وثبت كفره وكذبه لديه ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام عز الدين بن عبد السلام ، مع أنه ما اتصل بنا أنه وقف على كتاب « الفصوص » ومخالفته فيه لصريح أحكام الله في النصوص ، بل ذلك بما بلغه من فاسد أقواله ، وثبت عنده من مخالفة طرق أهل الحق في انتحاله . ثم تابعه في الانكار ، الشيخ الامام ، بركة الاسلام ، القطب القسطلاني تغمده الله برحمته ، وأسكنه أعالي غرف جنته ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه بـ « الارتباط » ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ثم الشيخ الصالح العارف ، المحقق برهان الدين الجعبري ، قدس الله روحه بما نقلته عنه العدول ، بما هو مذكور عنه ومنقول ، ثم بعد ذلك تواتر الانكار من الصالحاء العباد ، والأتقياء الزهاد ، وأهل الورع من الأفراد ، بما لا سبيل لحصرهم ، ولا تفصيل ذكرهم ، إلى أن أقام الله في ذلك من أقام ، ونبه عليه الخاص والعام ، وأذهب عن المنكرين بيانه الإحجام ، وأزال بتيانه الشبهة عن الأوهام ، واستضاء أهل البصائر من أولي التوفيق بنور القرآن ، إذ علموا أن به يتضح الفرقان ، وإن صحيح الأحاديث النبوية عمدة أهل العرفان ، وتحققوا أن من خالف الكتاب والسنة ، فقولهُ مردود ، وهو عن جناب الحق مبعود ، ومن صدقه ضل ، وعقد دينه بتصديقه انحل ، فنهضت عليه أنصار الحق من علماء الصدق بسيوف فتاويهم القاطعة ، وأنوار أدلتهم الساطعة لما جمعوا منادي الإسلام ينادي : الصلاة جامعة ، بصحيح عقد جازم للقيام بوجوب فرض لازم ، نصيحة لرب العالمين ، ونصرة لكتابه المبين ، وتأييداً لدينه الذي ارتضاه وأظهره على كل دين ، وانتصاراً لرسله الكرام وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، من كيد إلحاد الملحدين ، ممن جعل

الكفر إيماناً ، والجهل عرفاناً ، والشرك توحيداً ، والعصيان طاعة ، لا يستحق العاصي عليه وعيداً ، ولم يفرق بين عباده الصنم والصد ، بل عنده من سجد للصنم أعلى ممن كفر به وجحد ، فأصاب العلماء المفتون ، واستجابوا للداعي الحق بالصدق وهم منتصرون . ثم إني خشيت نسيان أقوال أهل الإرشاد واستمرار ماتقدم وصفه بين أظهر المسلمين من الفساد ، فاستخرت الله في كتابة فتيا متضمنة لنبهة من كلامه ، منبئة عن مفهوم معتقده الفاسد ومرامه ، ليشملها خطوط العلماء السادة الذين أورثهم الله بالعلم الحشية فاغتبطوا بالافادة ، فأمرعوا بالبيان والإيضاح والتبيان ، قياماً بما أخذ عليهم من الميثاق في بيانه للناس ، وهو في كل زمان فرض باق ، وكتب عليها كل من راقب الله وخشيه ، وامتنع من التسه مخافة عييره وخشيه ، فالكاتب قد قام لله بلوازم فرضه ، والامتنع مسؤول عن ذلك يوم عرضه ، بل زعم أنه ترك ذلك خوف الفتنة من المخالفين ، فملك محنة في الدين ، وكفى بالله رقيباً ، وعلى كل شيء حسيباً ، وهو الغني بعلمه ، المحيط عن أخبار المخبرين ، المطلع على سرائر الصامتين ، وضمائر الخجبتين ، ثم كتب السؤال الماضي ذكره ، وساق ألفاظ المجيبين ، وهم : ابن جماعة الحارثي والجزري والكناني والبكري والزواوي والبالي وقال : ولما تمت الفتاوى المذكورة ، المرقمة المسطورة ، قال لي بعض الفضلاء ، الذين يقولون الحق ، ويعتمدون الصدق في النصح برب الخلق : لم لاسألت التقي ابن تيمية ، فلما غيرته في دين الله قوية ، ومعرفته بأقوال المبدعين وفيه ؟ . فقلت له : إنهم يزعمون أنه لهم غريباً ، وعباداتهم في دين الله موسوماً ، فقال : ألم لا يستخصم ، والحاكم المعادل لا يستظلم ، والمفتي لا يكتب بقله ، إلا ما يعتد فيه بالكتاب واللغة ، بعد أن يعرض نفسه على النار والجنة ، ويعلم

لأنه مسؤول عما كتب ، إما في الدنيا من ذوي الحكم وأرباب الرقب ، أو في الآخرة من الرب العظيم الذي يخشى ويرتقب ، في يوم تجثو فيه الأمم على الركب ، خبان لي وجه الصواب في قول القائل ، وأض عن تأويل المارض الجاهل ، وأرسلت إليه . فبادر بالجواب ، ورفع الله عن قلبه في ذلك كل حجاب ، وما راعى غير الله فيما علم ، ولا أبقي ممكناً فيما إظهاره لزم ، ثم أورد الجواب ، وفيه طول تركناه اختصاراً ، ودعاه بالتأييد فيما يرومه من إظهار الحق للحق بالحق في الخلق ، ويقصده من قيامه ونصرته ، فإنه أشفى وما أشفى ، وكف مظاهر الملحدين وما اكتفى . فإن الغضب إذا كان لله لا يزول مده إلا بزوال موجد به ، ولكن المرجو من الله استئصال أهله وكتبه ، ثم ساق السيف عن أبي جعفر الطحاوي قوله في عقيدته المشهورة : إن الله تعالى ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محي الموتى بعد ما يحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء ، ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير . فهذا فصل من عقائد المسلمين يتضمن معانيها ومفهوم ألفاظها ضد قول صاحب « الفصوص » اللعين . ثم قال الطحاوي فيما : إنه من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فكيف بصاحب « الفصوص » القائل بأن الحق المنزه هو الخلق أشبه ، وأن العالم صورته وهويته ؟ إن غير ذلك مما نتقدم . ثم قال الطحاوي : إن من رد حكم كتاب الله عز وجل ، فهو

من الكافرين ، وكلم قد ورد صاحب « الفصوص » من حكم الله من أصول الشرائع التي لا تنقض ولا تنسخ ، ككفر عباد الأصنام ، وضلال مخالفي الرسل ، وأنهم بمخالفتهم أعداء الله ، وأنهم أهل النار ، ولهم فيها الحزى والعذاب الشديد السرمذ . وقال في الجنة والنار : إنها واحد في الذوق ، وإنما التباين في اللون ، هذه خضراء ، وتلك سوداء أو حمراء ، وإن الطائع ، والعاصي ، والمؤمن ، والكافر ، الكل مرضيون مستحقون الوعد ، وما ثم وعيد أصلاً . وقد قال الطحاوي في العقيدة المشار إليها : إن الأمن واليأس ينقلان عن الملة ، وإن اعتقاد عدم حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب غاية الأمن ، ونهاية الكفر ، نسأل الله السلامة . ثم نقل السيف عن الأوسي الحنفي في تصنيف له في الأصول ، أن من تكلم بكلمة الكفر ، فضحك غيره ، واستحسن ، كفر ، وكذا من وصف الله بما لا يليق به كفر ، ومن أنكر وعده أو وعيده كفر ، أو قال : الله في ست جهات ، أو قال : يوجد في كل مكان ، ومن عاب نبياً من الأنبياء ، أو صغر اسمه ، أو لم يرض بسنته ، أو سمع القول بأنه كان يحب القرع أو الخل ، فقال : أنا لأحبه ، أو صغر بالشرعية ، أو بحكم من أحكامها ، أو قال : إن الحمر لم يثبت تحريمه بالقرآن ، أو صدق كلام أهل الأهواء ، أو قال : إنه كلام معنوي ، أو له معنى صحيح ، أو من يعرف أن الله يرحم الكافر ، أو الشيطان وأهل الأهواء ، فإنه يكفر بذلك كله ، فكيف بمن اعتقد ذلك في قوم نوح وقوم هود وفرعون ، وجعل كل كافر ، وفاجر ، وفاسق ، وعاص عند ربه مرضياً ؟! فعلى قائل ذلك ومعتقده اللعنة إن مات على اعتقاد ما وضعه في كتابه المذكور ، ثم نقل عن القاضي عياض قوله في « الشفاء » : أعلم وفقينا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ ،

أو عابه ، أو ألقى به نقصاً في نفسه ، أو نسبته ، أو دينه ، أو خصلة من خصائله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه والعيب له ، فهو سائب له ، والحكم فيه حكم الساب ، يقتل كما بينته ، ولا نستثنى فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد ، ولا غتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً . ونقل عن ابن عتاب أنه قال : الكتاب والسنة موجبان ، إن من قصد النبي ﷺ بأذى ، أو نقص ، معرضاً ، أو مصرحاً وإن قل ، فقتله واجب . قال : وقد علمت تنقيص صاحب « الفصوص » للمرسلين والأنبياء تصريحاً لا تلويحاً ، وأورد من كلامه قوله : وإما العارفون بالأمر على ما هو عليه ، فيظهرون صورة الانكار لماعبد من الصور ، لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت بحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم ، الذي به سموا مؤمنين ، فهم عباد الوقت مع علمهم بأنهم ماعبدوا من تلك الصور أعيانها ، وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذي لا علم له بما تجلّى ، فبإهل العلم والمتقين من أولي الفهم ، معلوم باجماع المسلمين من المتقدمين والمتأخرين ، واليهود والنصارى ، أن ماعبد الأصنام وغيرها من الأوثان على اختلاف أصناف ماعبدته الكفار إلا أجهل الناس في كل زمان ، وما أنكره عليهم سوى المرسلين والأنبياء ، ومن تبعهم من الصديقين ، وصالح المؤمنين الموفقين ، وقد عمم هذا الضال بهذه المقالة تنقيص الجميع ، ونسبهم الى الجهل وعدم الفهم ، وإثبت لعباد الأصنام والأوثان الاصابة والمعرفة بالله ،

فعليه إن مات عليه وكان^(١) معتقده لعنة الله وغضبه والناس أجمعين.
انتهى كلامه .

أقول : ما ذكرناه عن هؤلاء الأئمة عن ابن عربي وأتباعه من
الشناعات والكفريات ، قليل من كثير ، وغيض من فيض ، وينبغي أن
تعلم أن ابن عربي ونحوه لا يتجاسرون على إعلان هذه الكفريات ، وإنما
يدسونها دساً في كتبهم ، لأن الإسلام قد بقيت منه بقية ، والعلماء
والسلطين قائلون في نحر من يبدي شيئاً من هذه الضلالات ، ولما ضعف
الإسلام ، وانحلت عراه ، واشتدت غربته ، صار هؤلاء الأبالسة^(٢) لا
يتحاشون من إطلاق هذه الكفريات ، وصار كثير من الخواص وأكثر
العوام يعتقدون فيهم أنهم صفوة الأولياء وخلاصة الاتقياء ، فلاتسأل عما
أحدثه هؤلاء الطواغيت ، وإن شئت فانظر كتاب « الإنسان الكامل »
لعبد الكريم الجيلي ، ترى ما فيه من الطامات ، والامور الفظيعة ، والقبايح
الشنيعية ، فالله المستعان .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

قالوا ولم يك كافراً في قوله أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

أقول : قال ابن عربي في « الفصوص » لما كان فرعون في منصب الحكم
صاحب السيف ، وإن جاز في العرف : الناموسي لذلك ، قال : أنا ربكم
الأعلى ، أي : وإن كان الكل أرباباً نسبة ما ، فأنا أعلى منكم بما أعطيته
في الظاهر من الحكم فيكم ، ولما علمت السجدة صدق فرعون فيما قاله ،
أقروا له وقالوا (اقض ما أنت قاض إنما تنضي هذه الحياة الدنيا) طه : ٧٢ فصح قول

(١) في الأصل : كذا .

(٢) في الأصل : الاباسية ، والمعهود في كتب اللغة أن جمع ابليس أباليس ، وأبالسة .

فرعون : أنا ربكم الاعلى ، فكان فرعون عين الحق . وقد صنف الشيخ محمد سعيد الدواني المدني مصنفاً في إيمان فرعون متابعاً لابن عربي ، وقد رد عليه العلامة الملا علي بن محمد القاري المروي ، برسالة سماها « فرعون عن مدعي إيمان فرعون » أجاد فيها وأفاد ، جزاه الله خيراً . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في جواب له عن هؤلاء الوجودية بعد أن حكى عنهم القول بإيمان فرعون قال : وهذا القول كفر ، معلوم فساد بالاضطرار من دين الاسلام ، لم يسبق ابن عربي اليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة ، ولا من اليهود ولا من النصارى ، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون ، وهذا عند الخاصة والعامة أيمن من أن يستدل عليه بدليل ، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والالهية مثل فرعون ، وأطال الكلام .

قوله : ولقد رأى إبليس عرفهم الخ . . لم أقف على اسم هذا العارف ولعله ابن عربي ، والله أعلم .

قوله : ثقرة الطهان . الثقرة : ثقرة النجر بين الترقوتين ، قاله في « القاموس » ومن جاهد أتباع هؤلاء الملاحين حق الجهاد ، وبلغ جهده في قمع أهل الزندقة والاحاد ، العلامة شرف الدين أبو محمد إسماعيل ابن أبي بكر بن عبد الله بن المقرئ الشافعي صاحب « عنوان الشرف » و « مختصر الحاوي » و « الروضة » وغيرهما من التصانيف البديعة ، فانه قام في تقييح ابن عربي وأتباعه أتم قيام ، وصار ينظم القصائد الحاسن في ذكر قبائح المنتهين إلى هذا المذهب ، والانتصار عليهم بالعلماء والسلطان ، وأفرد من « الفصوص » كراسة وقف عليها الفقهاء والعلماء ، وأكثر من النظم في ذلك نظماً رائعاً يرسخ بسماعه الايمان في قلوب المؤمنين ، وتنسجم به

عبرات المحبين لشرائع النبيين ؛ وتترلزل به أقدام المتدعين ، وانتشرت قصائده ، وظهرت بها فضائحه عند أهل تهامة وأهل الجبال ، اذ نقلت الى الامام علي بن صلاح بصنعاء ، ونظم بعض فقهاء الأشراف على نحو نظمه مكرراً له وتحريضاً ، فشاع في الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربي من الوصفية بـ : زبيد . وقال التقي الفاسي : انه حدثه من حال ابن عربي بما لم يبينه غيره ، لأن جماعة من صوفية زبيد أو هموا من ليس له كبير نباهة علو مرتبة ابن عربي ، ونفي العيب عن كلامه ، قال : وقد ذكر ذلك ابن المقرئ مع شيء من حال المتصوفة المشار اليهم في قصيدة طويلة من نظمه ، وهي على قافية الراء المكسورة ، وقد سماها ناظماً « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائفة » وهي مائتان وثلاثة وأربعون بيتاً ، موجودة في ديوانه . وله قصيدة أخرى يحض فيها سلطان اليمن على نصر السنة ، وخذلان هذه الطائفة ، وهي إحدى وأربعون بيتاً . وصنف رحمه الله تصنيفين في هذا المعنى ، سمي أحدهما « النصيحة » والآخر « الذريعة الى مكارم الشريعة » قال الحافظ السخاوي في « القول المنبي » وقد قال ابن المقرئ في الردة من كتاب « الروض » مختصر « الروضة » من تردد في تكفير اليهود والنصارى وابن عربي وطائفته فهو كافر ، وقد ترجم له ابن قاضي شهاب في « طبقات الشافعية » وقال بعد أن بالغ في مدحه : ناظر أتباع ابن عربي حتى عميت منهم الأبصار ، ودمغهم بما بلغ حجة في الأفكار . انتهى قوله : نص « الفصوص » هو كتاب لابن عربي الطائي المشهور ، وهو محمد بن علي بن محمد أبو بكر الحاتمي الطائي ، ولد بمروسة سنة ستين وخمسمائة ، ونشأ بها ، وانتقل الى اشبيلية سنة ٥٧٨^(١) ثم ارتحل وطاف البلدان ،

(١) في الأصل : سنة ٧٨٠ ، ولعلها ٥٧٨ كما أثبتناه لأن وفاته كانت سنة ٦٣٧

فطوف بلاد الشام ، والروم ، والمشرق ، ودخل بغداد ، وحدث بها بشيء من مصنفاته ، وله التأليف الكثيرة ، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٧ ثمان وثلاثين وستائة بدمشق في دار القاضي محي الدين بن الزكي ، وحمل الى قاسيون فدفن في تربته المعلومة ، وهو صاحب المقالات الشنيعة ، والكفريات الفظيعة^١ ، أسأل الله العافية . وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في الرد على « الفصوص » وصاحبه ، فمن ذلك كتاب « أشعة النصوص في هتك استار الفصوص » للشيخ الامام الأوحى أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين ، وكتاب « تسورات النصوص على تهورات الفصوص » للشيخ الامام شمس الدين محمد بن محمد العيزري تلميذ التاج السبكي ، والعلامة الملا علي بن محمد القاري ، والحافظ جمال الدين ابن الحياط اليمني ، والفقير محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي اليمني ، وغيرهم . وقال العلامة سيويه زمانه ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الانصاري النحوي صاحب « المعني » و « التوضيح » وغيرهما لما وقف على « الفصوص » مانصه :

هذا الذي بضلاله ضلت أوائل مع أواخر

من ظن فيه غير ذا فليناً عني فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم ، وضلال الأمم ، كتاب

يعجز الذام عن وصفه ، وقد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد

ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراً مبيناً ، لأنه يخالف لما أرسل به

رسله ، وأنزل به كتبه ، وفطر عليه خليقته ، وذلك آني لما وقفت على هذا

الكتاب ، وجده قد عقد لكل نبي من الأنبياء فصاً ، فوقفت على فص

نوح عليه السلام ، فقال فيه : لو قال بدل قوله : (استغفروا ربكم انه كان غفاراً) الى آخر كلامه : ادعوا ربكم ليكشف لكم الحجاب ، لأجابه . انتهى وقد أدرجه العيزري فيمن كفره . وذكر الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » وهو مجلد عن الحافظ الجهني أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي أنه قال بعد كلام حكاه عن ابن عربي بعد حكايته : أستغفر الله ، وحاكمي الكفر ليس بكافر ، ثم حكى عن الذهبي كلامه في ابن عربي في « العبر » و « الميزان » . . . الى ان قال الذهبي : ومن أضمن النظر في « فصوص الحكم » وأنعم التأمل ، لاح له العجب ، فان الذكي اذا تأمل من ذلك الاقوال والنظائر والأشياء ؛ فهو أحد رجلين ؛ اما من الاتحادية في الباطن ؛ ولما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من أكفر الكفر . نسأل الله العافية ، وأن يكتب الايمان في قلوبنا ؛ وأن يشتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سرور من القرآن يصلي بها الصلوات ؛ ويؤمن بالله واليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان ، وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب ، وعمل مائة خلوة . وقال الذهبي في ترجمة علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري من « تاريخه الكبير » بعد أن نقل كلاماً للسيف بن المجد فيه : رحم الله السيف بن المجد ، ورضي الله عنه ، فكيف لو رأى كلام الشيخ ابن عربي ^(١) الذي هو محض الكفر والزندقة ، لقال : ان هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان ابن عربي منقبضاً عن الناس ، انما يجتمع به آحاد الاتحادية ، ولا يصرح بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه الا بعد موته

(١) في الاصل : ابن العربي ، والصواب ابن عربي ، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي .

عدة . ولهذا اتقأدى أمره ، فلما كان على رأس السبعائة ، جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه وفضيحه ، ودار بين العلماء كتابه « الفصوص » وقد حط عليه الشيخ القدوة الصالح ابراهيم بن معضاد الجعبري ، فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج البرنباري ، أنه سمع الشيخ ابراهيم يذكر ابن عربي قال : كان يقول بقدوم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، وساقه الذهبي في موضع آخر عن الجعبري بغير اسناد . قلت : ورأيت في جواب لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن سؤال سئل فيه عن بيان حقيقة مذهب الاتحادية ، قال : حدثني تاج الدين البرنباري الفقيه المصري الفاضل ، أنه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول : رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية ، وهو شيخ نحس ، يكفر بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي أرسله الله ، قال : وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم أنه قال : كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسرو شاهي : إن كلامهما زنديق ، أو كلاماً هذا معناه . وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين البرنباري أنه سمع الشيخ العارف ابراهيم الجعبري يقول : رأيت في منامي ابن عربي ، وابن الفارض ، وهما شيخان أعميان ، يمشيان ويقرآن ، ويقولان : كيف الطريق ؟ أين الطريق ؟ وحدثني شهاب الدين بن مري ، عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين ابن الحكيم عن أبيه أنه قال : قدمت دمشق ، فصادفت موت ابن عربي ، فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد ، فرأيتها لا تشبه جناز الاولياء ، وقال : فعلمت ان هذد أو نحو هذا ، وعن أبيه عن الشيخ عن اسماعيل الكوراني أنه كان يقول : ابن عربي شيطان . ونقل الذهبي عن القدوة العارف العلامة شيخ الوقت ابراهيم الرقي أنه حذر من « الفصوص » وقال في موضع آخر : ومن حط عليه وحذر من كلامه الشيخ القدوة الولي ابراهيم الرقي . قال السخاوي :

ثم ظفرت في ترجمة محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحنبلي من « تاريخ الاسلام » نقلاً عن الرقي أنه قال في كلام ابن عربي ، وابن الفارض ، مثله ، مثل غسل أديف فيه سم ، فيستعمله الشخص ويستلذ بالعسل وحلاوته ، ولا يشعر بالسم ، فيسري فيه وهو لا يشعر ، فلا يزال فيه حتى يهلكه . قال السخاوي : وكذا قال شيخنا الحب البغدادي الحنبلي فيما سمعه من البدر الدميري عن ابن الفارض أنه أخذ شهداً أدخل فيه سمّاً . قال السخاوي : أنبأني العز ابو محمد الحنفي رحمه الله عن الصلاح أبي الصفا خليل ابن إبيك الصفدي أنه سمع الحافظ ابن سيد الناس يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي فقال : شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً . انتهى . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال الفقيه أبو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة وسأله عنه فقال : هو شيخ سوء كذاب ؛ مقبوح ، يقول بقدم العالم ؛ ولا يحرم فرجاً . وقال ابن مرزوق : حدثني غير واحد من أسيحنا عن شيخنا عز الدين بن عبد السلام أنه قال فيه : شيخ سوء كذاب ، وذكر ما سمعه مما يقتضي كذبه ، وأفتى هو وابن الحاجب بتكفيره . انتهى : قال السخاوي : أخبرناه باختصار أبو محمد اللخمي بمكة مشافهة . قال : أنبأ والدي أبو اسحق عن الحافظ أبي الفتح اليمعري فيما وجد بخطه قال : سمعت الامام الحافظ الزاهد العلامة أبا الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري يقول : سمعت شيخنا الامام أبا محمد بن عبد السلام ، وجرى ذكر أبي عبد الله محمد بن عربي فقال : شيخ سوء مقبوح كذاب . فقلت له : وكذاب أيضاً ؟ قال : نعم ، هذا تذاكرنا يوماً بمسجد الجامع بدمشق التزويج بجواري الجن ، فقال : هذا فرض محال ، لأن الإنس جنس كثيف ، والجن روح لطيف ، ولن يعلو

الجسم الكثيف الروح اللطيف ، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة ، فسأله عن سديها ، فقال : تزوجت امرأة من الجن ، ووزقت منها ثلاثة أولاد ، فاتفق أن تفاوضنا ، فأغضبتها ، فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة ، فانصرفت فلم أرها بعد هذا ، أو معناه . وقال الشمس ابن الجزري شيخ القراء : حدثني شيخنا الامام المصنف شيخ الاسلام الذي لم ترعناي مثله عماد الدين بن ابي عمر ابن كثير من لفظه غير مرة قال : حدثني شيخ الاسلام العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قال : حدثني الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة علاء الدين علي بن اسماعيل القنوي قال : حدثني شيخ قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في أواخر عمره : لي أربعون سنة ماتكلمت بكلمة إلا وأعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين ابا محمد عبد العزيز بن عبد السلام السامي الدمشقي عن ابن عربي قال : شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، ثم قال ابن الجزري : كذا حدثني شيخنا ابن كثير من لفظه ، ورأيت ذلك في كلام الشيخ تقي الدين السبكي ، وفيه زيادة رواها بعضهم عن ابن عبد السلام ، وهي أنه وقع بيني وبينه يوماً كلاماً في وجود الجن ، فأنكر وجودهم ، ثم رأيته بعد ذلك فقال : رجعت عن ذلك القول . واني قد تزوجت بجنينة وولدت لي وغضبت علي يوماً فشجنتني في وجهي ، وهذه الشجة منها ، وأشار الى وجهه انتهى . قال الذهبي : ومن افق بأن كتابه « الفصوص » فيه الكفر الأكبر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وقاضي القضاة سعد الدين مسعود الخارثي والعلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكناني ، وجماعة سواهم . قال الذهبي :

ولقد اجتمعت بغير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود، ثم رجع ووجد إسلامه ، وبينوا أن مقالة هؤلاء : أن الوجود هو الله تعالى ، وأنه تعالى يظهر في الصورة المليحة والأشياء البديعة ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً . وقال العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي القرناطي في تفسير سورة (المائدة) من كتابه « البحر المحيط » عند قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) المائدة : ٧٢ ومن بعض اعتقادات النصارى ، استنبط بعض من تستر بالإسلام وانتمى إلى الصوفية ، حلول الله تعالى في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالانحداد والوحدة ، كالخلاج ، والشوذي ، وابن أجلي ، وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء ، كابن سبعين ، والششتري تلميذه ، وابن مطرف المقيم بـ « مرسية » والصفار المقتول بـ « غرناطة » وابن لباح ، وأبو الحسن المقيم كان بـ « لورقة » ومن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة . وابن عياش المالقي الأسود الأقطع . المقيم كان بـ « دمشق » وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بـ « صعيد مصر » والأيكبي العجمي الذي كان تولى المشيخة بـ « خانكا سعيد السعدا » بالقاهرة من ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر ، تلميذ الششتري المقيم كان بـ « حارة زويلة » بالقاهرة ، وانما سردت أسماء هؤلاء نصحاء للدين ، يعلم الله ذلك ، وشققة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ، ويقولون بقدم العالم ، وينكرون البعث ، وقد أوقع جماعة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء ، وادعائهم أنهم صفوة الله وأوليائه ، والأمم فيهم كما ذكرت ، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة ، هو من علم أصول الدين . انتهى .

وقال السخاوي في « القول المنبي » نقلاً عن شيخ الاسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي : وقرأت بخطه على فتيا أيضاً مانصه : لم يكن هذا الفاجر المذكور يعني ابن عربي ، على الكتاب والسنة بل كان مخالفاً ، ولا يحل اعتقاد عقيدته ، ولا العمل بما يأتي من الباطل ، وليس لكلامه ومعتقده الفاسد تأويل يقتضي موافقة الكتاب والسنة ، ومن اعتقد عقد الباطل ، أو تمسك به ، فليس على طريق الحق ، بل هو على طريق الباطل ، فيلزم من اعتقد ذلك ، أو تمسك به ، أن يتوب الى الله تعالى من كفره وإلحاده وزندقته ، فان تاب والا ضربت عنقه لزندقته . وقد كتبت على ذلك كرايس بالقاهرة ودمشق ، بينت فيها أنه أتى بأنواع من الكفر والالحاد والزندقة ، ولم يأت بها غيره ، فنعوذ بالله من طريقة هذا الشيطان ، ومن طريقة من اتبعه ، وأن يجنبنا ما ابتدعه ، والجمال ما ذكره ، والله تعالى أعلم بالصواب .

قال السخاوي : وسمعت شيخنا حافظ العصر ، فريد الدهر ، الشهاب أبا الفضل ، أحمد بن محمد العسقلاني المصري الشافعي المار ف^(١) بابن حجر ، سمعته يقول مراراً : انه جرى بيني وبين شخص يقال له : ابن الأمين من المحبين لابن عربي منازعة كبيرة في أمر ابن عربي ، حتى نلت من ابن عربي لسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره ، وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، يعتقد الظاهر برقوق ، فهددني المذكور بأنه يغريه به فيذكر للسلطان أن بمصر جماعة منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك فقلت : ما للسلطان في هذا مدخل ، لكن نتباهل أنا وإياك في أمره ، لأنه

قلما يتباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب ، فأجاب للمباهلة . قال شيخنا فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على خلال فالعني بلمنتك ، فقال ذلك ، وقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلمنتك ، وافترقنا . قال : وكان يسكن الروضة : فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة ، فحضر عنده لضيافته ، ثم بداله عدم المبيت عنده ، وخرج في أول الليل ، وصحبه من يشيعه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم ، فانظروا ، فلم يروا شيئاً ، وما رجع إلى منزله الا وقد عمي بصره ، وما أصبح الا ميتاً ، وكان ذلك في ذي القعدة ، سنة سبع وتسعين وسبعائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها . قال : وكنت عند وقوع المباهلة ، عرفت من حضر ، أن من كان مبطلاً في المباهلة ، لا تقضي عليه السنة . انتهى . وقد حكاه القاضي التقي الفاسي في تصنيفه فقال : سمعت الحافظ شهاب الدين ابن حجر ، وذكر معناها ، وأنه كتبها له بخطه . قلت : وأحوال هذا الرجل ، وما أظهر من الكفريات والضلالات والزندقة كثير مشهور ، ومن أراد استقصاء ذلك ، فليطالع كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » وفيما ذكرناه كفاية . ولقد أحسن العلامة شرف الدين أبو محمد اسماعيل ابن أبي بكر المقرئ اليمني الشافعي رحمه الله تعالى حيث يقول في منظومته الرائبة التي سماها « الحجة الدامعة لرجال الفصوص الزائفة »

فقد حدثت في المسلمين حوادث كبار المعاصي عندها كالصفائر

حوتن كتب حارب الله ربهها بها عز من عز بين الحواضر

تجاسر فيها ابن العرابي ^(١) واجترى	على الله فيما قال كل التجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد	فربي مروب بغير تغاير
وأنكر تكليفاً إذ العبد عنده	إله وعبد فهو إنكار جائر
وخطأ إلا من يرى الخلق صورة	وهوية لله عند التماظر
وقال يحل الحق في كل صورة	تجلى عليها فهي إحدى المظاهر
وأذكر أن الله يغني عن الوري	ويغنون عنه لاستواء المقادر
كما ظل في التهليل يبرزاً بنفسه	وإثباته مستجلاً للمغاير
وقال الذي ينفيه عين الذي أتى	به مثبتاً لا غير عند التحاظر
فأفسد معنى ما به الناس أسلموا	وألغاه الغايبات التهاثر
فسبحا زرب العرش عما يقوله	أعاديته من أمثال هذي الأكاثر
وقال عذاب الله عذب وربنا	ينعم في نيرانه كل فاجر
وقال بأز الله لم يعص في الوري	فما ثم محتاج لعاف وغافر
وقال مراد الله وفق لأمره	فما كافر إلا مطيع الأوامر
وكل امرئ عند المهيمن مرتضى	سعيد فما عاص لديه بخاسر

(١) يريد ابن عربي الطائي صاحب « الفصوص » وغيرها المليئة بالطامات والاصل

تكميله (ابن عربي) وعرف ومد لضرورة الشمر .

وقال يموت الكافرون جميعهم	وقد آمنوا غير المفاجي المبادر
وما خص بالايان فرعون وحده	لدى موته بل عم كل الكوافر
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن	والا فصدقه تكن شر كافر
وأثنى على من لم يجب نوح اذ دعا	الى ترك ود أو سواع وناسر
وسمى جهولا من يطاوع أمره	على تركها قول الكفور المجاهر
ولم ير بالطوفان إغراق قومه	ورد على من قال رد المناكر
وقال بلى قد أغرقوا في معارف	من العلم والباري لهم خير ناصر
كما قال فازت عاد بالقرب واللقاء	من الله في الدنيا وفي اليوم الآخر
وقد أخبر الباري ببعثته لهم	وإبعادهم فاعجب له من مكابر
وصدق فرعون وصحح قوله	أنا الرب الاعلى وارضى كل سامر
وقال خليل الله في الذبح واهم	ورؤيا ابنه تحتاج تعبير عابر
ويعظم أهل الكفر والانياء لا	يعاملهم الا بحط المقادر
ويثني على الاصنام خير أو لا يرى	لهما عابداً ممن عصي أمر آمر
وكم من جرات على الله قالها	وتحريف آيات بسوء تفاسر
ولم يبق كفر لم يلاسه عامداً	ولم يتورط فيه غير محاذر

وقال سيأتينا من الصين خاتم
له رتبة فوق الذي ورتبة
مرتبة العليا يقول لأنه
وقال اتباع المصطفى ليس واضعاً
فان يدن عنه لاتباع فانه
ترى خال نقصاً في (وجوب) (١) اتباعه
فلا قدس الرحمن شخصاً يحبه
وقال بأن الانبياء جميعهم
الى أن قال :

فهل أبصرت يا ابن الأحار
بأكذب من هذا أو أكفر في الورى
فلا يدعي من صدقوه ولاية
فيا لعباد الله ما ثم ذو حجبى
إذا كان ذو كفر مطيعاً كؤ من
كما قال هذا إن كل أوامر
فلم بعثت رسل وسنت شرائع
وأجرا على غشيان هذه البواطن
وقد ختمت فليؤخذوا بالأقادر
له بعض تمييز بقلب وناظر
ولا فرق فينا بين بر وفاجر
من الله جاءت فهي وفق المقادر
وأنزل قرآن بهدي الزواجر

أخلع منكم ربقة الدين عاقل لقول غريق في الضلالة حائر
ويترك ما جاءت به الرسل من هدى لا قول هذا الفيلسوف المغادر
فيا محسني ظن بما في «فصوصه» وما في «فتوحات» الشرور والدوائر
عليكم بدين الله لا تصبحوا غداً مساعر نار قبحت من مساعر
فليس عذاب الله عذاباً كمثل ما يمينكم بعض الشيوخ المدابر
ولكن أليم مثل ما قال ربنا به الجلد ينضج ان يبذل بآخر
غداً تعلمون الصادق القول منها اذا لم يتوبوا اليوم علم مباشر
ويبدو لكم غير الذي يعدونكم بأن عذاب الله ليس بضائر
ويحكم رب العرش بين محمد ومن سن علم الباطن المتهاتر
ومن جا بدين مفتر غير دينه فأهلك أغماراً به كالأباقر
فلا تأخذان المسلمين عن الهدى وما للنبي المصطفى من مآثر
ولا تؤثروا غير النبي على النبي فليس كنور الصبح ظلم الديا جر
دعوا كل ذي قول لقول محمد فما آمن في دينه كمخاطر
وأما رجالات «الفصوص» فانهم يعومون في بحر من الكفر ظاهر
إذا راح بالريح المتابع أحداً على هديه را حوا بصفقة خاسر
سيحكي لهم فرعون في دار خلده بإسلامه المقبول عند التحاور

ويا أيها الصوفي خف من «فصوصه»
فلا سفة باسم التصوف أبرزوا
كلام «الفصوص» احذره فهو كما ترى
وحاربه في الباري فقد ضل واعتدى
وفي بعض ما أمليته من كلامه
ويا علماء الدين ما العذر في غد
أما أخذ الميثاق في أن تبينوا
وأوجب لعنأمنه في معشر عصوا
يسب إله العرش فيكم وكلكم
يقال بأن الرب عبد وعبد
وإن رسول الله يأتي وراءه
ويطرق سمعاً بينكم مثل هذه
أيدعي بحجي الدين هذا فتسكتوا
أما لكم في الله والرسول غيره
أعينكم أن تسمعوا فيهم الإذى

خواتم سوء غيرها في الخناصر
عقائد كفر بالمهيمن ظاهر
وتسمع لا تعدل به كفر كافر
وكاز على الاسلام أجور جائر
غنى بعضه كاف لأهل البصائر
من الله أن عوتبتُم في التدابر
علومكم للناس عند التذاكر
ولم يتناهاوا عن فعال المتأكر
حضور ألا لا قدست من محاضر
هو الرب والتكليف ليس بظاهر
من الصين من يعلوه عند التفاخر
ويهنكم طعم الكرى في المهاجر
برئت الى الرحمن من كل غادر
أما رجل منكم شديد المرائر
وتبدوز حلم الموضع المتصابر

فاز لم تصبكم في الإله حمية وتقتوا بما دونتم في الدفاتر
 وإلا فلا أبدت لكم صفحاتها ولا وضعت أقلامكم في المحابر
 لمن تحفظون العلم أو تدخرونه اذا لم تقوموا عند مذي الجرائر
 أي الله أو في المصطفى ذو صداقة تحابونه أو ذو وداد معاشر
 وهل من عزيز عندكم تؤثرونه على الله والمختار عند التضافر
 تباع وتقرأ هذه الكتب فيكم وانتم سواء والذي في المقابر
 فان قلتم لم تنه فينا علومه فما أنا قد أنهيت هل من مبارز
 أما أحرقت في مصر والشام كتبه باجماع أهل العلم باد وحاضر
 أمارجعوا فيها إلى ملك أرضهم فشد لنصر الله عقد المآزر
 وذب عن الدين الخفيف بسيفه برغم عرائن الأنوف الصواغر
 فما العذر إن لم تنهضوا وتنصروا على ما أمرتم عنده بالتناصر
 وللطير في الخطب اجتماع وضجة فهل أنتم في الضعف دور العصافر

إلى أن قال في مخاطبة بعض من حاوره في ابن عربي .

فأقلت دين ابن العربي^(٢) ديننا وتكفيره تكفيرنا فالتحاذر

(١) عرف هنا ومد لضرورة الشعر.

أقل إنك الآن المكفر نفسه وأنت الذي ألقيتها في التهاثر
 فذلك دين غير دين محمد وكفر لجوج في الضلالة ماهر
 أتى بحال لو عقلت رفضته وكنت له في الله أول هاجر
 كلام كأقوال المجانين بشه اليكم جرف من الكفر هائر
 أضل به من يقتفيه من الورى فما منكم للمقتفين بعاذر
 تجنيت لي ذنباً بذمي «فصوصكم» وذلك عند الله إحدى ذخائر
 هل الأمر بالمعروف عندك غيبة وهل سب عرضاً من نهي عن مناكر

وهي طويلة نحو مائتين وثلاث وأربعين بيتاً .

وأما ابن سبعين ، فهو عبد الحق بن ابراهيم . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » عبد الحق بن ابراهيم الشيخ الضال أبو محمد المريسي الصوفي الفيلسوف ، وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد ، مات بمكة سنة ٦٦٩ وسبب نزوله مكة أنه ظهر منه كلام أوجب للعلماء الفتوى بقتله ، فهرب إليها وأظهر لأبي نبي - يعني الشريف صاحب مكة - أشياء من السيمياء والكيمياء ، حتى صار عنده في الذروة ، وأحدث له ابن سبعين هذه الخطبة التي بخطب فيها المؤذن على قبة زمزم ، ويدكر نسبه الى علي بن أبي طالب

رضي الله عنه : وقال ابن سبعين لأبي نبي : دعني أخرب هذا الركن الأسود ، وأستخرج لك من تحته سرّاً ليس عند ملك مثله . قال : فحكها لخطيب مكة ، فزاد فيها ، أنه قال : وأحفر داخل البيت عن دفائن وخبايا ، وكان يعيب الطائفين ويقول : لماذا يدور أحدهم حول البيت ؟ وكان يخرج إلى مفازة ظاهر مكة ، فيسجد للشمس ، وكان يسجد للقطب الشمالي ، ولمّا مات لم يشيعه إلا نفر قليل جداً ، فإن الناس شكوا في أمره ، وظهر منه أعمال من جنس السحر . انتهى .

قال الذهبي : قلت : مازال ابن سبعين بحمد الله تعالى بمقوتاً عند علماء الإسلام ، إلا من كان على خبيث نخلته ، قال : والسبعينية ، فقهاء زنادقة ، يتركون الصلاة ، ويفعلون العظام ، ولهم رموز وإشارات أكره أن أتفوه بها ، ثم قال : إن فتحنا باب التأويل عن المقالات والضلالات ، بطلت دواوين الملل والنحل ، لأن أبا حامد ذكر في « مشكاة الأنوار » فصلاً في حال الحسين الحلاج ، وأخذ يعتذر عما صدر منه من الاطلاقات الكفرية ، وأقبل يحملها على محامل بعيدة ، وقال هذا من شدة الوجد ، كما قيل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

قال الذهبي : قلت : كان البدرين أشد حباقة ، فما نظرنا بهذا ، وقد يقول العارف كلاماً لا بأس بالاعتذار عنه ، أما من يقول : إن هذا العالم هو حقيقة الله ، فهذا لعين . والمسلم إذا تأمل كتب هؤلاء ، وأمعن النظر فيها ، حصل له ما لا يندفع أنهم فرقة ماوكة عن الإسلام ، وأنهم يقرّون : إن الخالق هو عين الخلقين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكن من لطف الله تعالى أن هؤلاء الباطنية خاملون لا يحسرون أن يعلنوا

بافكرهم في مساجد الإسلام ، ولا في بلاد الكتاب والسنة ، فسل ربك
الثبات على كلمة التقوى . انتهى كلامه .

وذكره ابن عبد الملك في « التكملة » وقال فيه : وكثر أتباعه على مذهبه ^(١)
الذي كان يدعو إليه من التصوف ، نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها ،
وصنف في ذلك أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ، ونقلوها عنه ، وبشوها في
البلاد شرقاً وغرباً لا يخلى أحد منها بطائل ، وهي إلى وساوس الخبولين ،
وهذيان المبرورين ، أقرب منها إلى منازع أهل العلم ، ولفظه ^(٢) غير بلد
وصقع ، لما كان يرمى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها ، ومطلع على سريره فيها .
وتعقبه بعض علماء السنة من المقاربة فقال : كان ينبغي أن لا يثبت في
مصنفه ، فانه لا ينبغي أن يذكر مع أهل العلم والتفسير ولا كرامة ^(٣)
ولا والله مع أهل التوحيد .

وأما العفيف التلمساني ، فهو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الأديب .
قال الذهبي : من فحول الشعراء وكبار الاتحادية ، يدعي العرفان ، له شعر
رائق ، وكان كاتباً على سوق الغنم بدمشق ، له هيئة وحرمة ، وكان يتعاطى ^(٤) الحمر
ويتملطنج بهايب ، نسأل الله العفو ، وكان قد دخل الروم ، وعمل الخلوة
وجاع ، وشرح « مواقف النفري » ^(٥) وهو القائل :

(١) في الاصل : مذهبهم .

(٢) اللفظ : أن ترمي بشيء كان فيك . ويقال : البحر يلفظ الشيء ، أي :
يرمي به إلى الساحل ، واللفظ ما لفظ ، أي : طرح ، والمعنى : لم يقبله غير بلد وصقع لما
كان يرمى به (ابن سبعين) من البلايا .

(٣) في الاصل : ولا نكره ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في الاصل : يتقانى .

(٥) في الاصل : « مقامات النفري » وهو خطأ ، والتصويب من « الشذرات »

الى الراح هبوا حين تدعو المثلث فما الراح للارواح الابوا عث

هي الجوهر الصرف القديم فازبدت لها حبيب زينت بها وهو حادث

مات سنة ٦٠٩ و ذكره أبو حيان فقال : ورأيت بالقاهرة العفيف أبو
الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ثابت الكوفي ، وكان يحضر
عندي في بيتي في المدرسة الصالحية ، وينظر في شيء من النحو ، وئشدي لي
قطعا من شعره ، وكان قد تزوج بنت ابن سبعين ، وأولدها ولداً يسمى :
محمدآ ، وكان شاعراً ظريفاً ، ومات وهو شاب ، ولما حضر معنا للقراءة
على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصباني ، سأله : من أنت ؟ فقال :
أنا ابن مملوكك العفيف التلمساني ، فتبسم وقال : أنت عريق في الالوية ، أمك
بنت ابن سبعين ، وأبوك العفيف التلمساني ، وكان هذا التلمساني متقلبا في أحواله ، فتارة
يكون شيخ زاوية ، وتارة يشتغل في ديوان الخدم ، قدم علينا القاهرة ،
فنزّل في « خانكاه سعيد السعدا » في إيالة شيخ الشيوخ إذ ذاك ، وأقام
أشهرآ ، ثم حكى عنه أنه حضر مجلس أنس ومعهم مغن ملبح فشاع عنه
أنه قبل المغني ، وقال : أنت الله ، فرمى الصبي الطار من يده ، ووجم
لمقالة العفيف ، وأصبح أهل المجلس يتحدثون بما قاله العفيف ، فخاف على
نفسه ، وخرج فادآ قبل الظهر الى الشام .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى : وحديثي الشيخ
العالم المارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه ، أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء
في التوحيد ، قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيت

مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد ، بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال : قلت له : ما الفرق عندكم بين الزوجة الأجنبية والأخت ، الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وانما هؤلاء المجبون اعتقدوه حراماً . فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثمّ حرام . وحدثني كمال الدين بن المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذكور ؛ قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك ، فانهم كانوا قد عظموه عندنا ، ونحن مشتاقون الى معرفة «فصوص الحکم» فلما صار يشرحه الي أقول : هذا خلاف القرآن والاحاديث ، فقال : ارم هذا كله خلف الباب ، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد ، أو كما قال . ثم خاف أن أشيع ذلك عنه ، فجاء إلي باكياً وقال : استر عني ما سمعته مني .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قال وجدته بالذات موجوداً بكل مكان
هو كالهواء بعينه لا عينه ملاً الخلو ولا يرى بهيان
والقوم ما صانوه عن بشر ولا قبر ولا حش ولا أ...

بل منهم من قد رأى تشبيهه بالروح داخل هذه الأبدان
 ما فيهم من قال ليس بداخل أو خارج عن جملة الاكوان
 لكنهم حاموا على هذا ولم يتجاسروا من عسكر الايمان
 وعليهم رد الأئمة أحمد وصحابه من كل ذي عرفان
 فهم الخصوم لكل صاحب سنة وهم الخصوم لمنزل القرآن
 ولهم مقالات ذكرت أصولها لما ذكرت الجهم في الأوزان

أقول : هذا الذي ذكره الناظم ، هو قول التجارية ، وهو أن الله تعالى
 بذاته في كل مكان ، وأما الجهمية الفحول ، فهم يقولون : إنه تعالى
 لا داخل العالم ولا خارجه ، ولهذا قال الناظم : وعليهم رد الأئمة أحمد النج .
 أي ، إن كلام الامام أحمد وأصحابه إنما هو في الرد على القائلين بأن الله في
 كل مكان .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « الايمان » : كلام السلف كان
 فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع ، كما تجدهم في الجهمية ، إنما
 يحكون عنهم أن الله في كل مكان ، وهذا قول طائفة منهم ، كالنيجارية ،
 وهو قول عوامهم ، وعبادهم ، وأما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة
 والضرارية وغيرهم ، فانما يقولون : هو لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو
 فوق العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه	هذا ولكن جدي في الكفران
فأسرّ قول معطل ومكذب	في قالب التنزيه الرحمن
إذ قال ليس بداخل فينا ولا	هو خارج عن جملة الاكوان
بل قال ليس بيائن عنها ولا	فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السموات العلى	والعرش من رب ولا رحمن
والعرش ليس عليه معبود سوى	العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى	منه وحظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ	أجسام سبحان العظيم الشأن
ولقد وجدت لفاضل منهم مقاً	مأ قامه في الناس منذ زمان
قال اسمعوا يا قوم إن نبيكم	قد قال قولاً واضح البرهان
لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على	ذي النون يونس ذلك الفضيلان

هذا يرد على المجسم قوله الله فوق العرش والا كوان
 ويدل أن إلهنا سبحانه وبحمده يلقي بكل مكان
 قالوا له بين لنا هذا فلم يفعل فأعطوه من الأثمان
 ألفاً من الذهب العتيق فقال في تبياناه فاسمع لذا التبيان
 قد كان يونس في قرار البحر تحت الماء في قبر من الحيتان
 ومحمد صعد السماء وجاوز السبع الطباق وجاز كل عشان
 وكلاهما في قربه من ربه سبحانه إذ ذاك مستويان
 فالعلو والسفل اللذان كلاهما في بعده من ضده طرفان
 إن ينسب الله نزهه عنهما بالاختصاص بلي هما سيان
 في قرب من أضحى مقيا فيهما من ربه فكلاهما مثلان
 فلاجل هذا خص يونس دونهم بالذكر تحقيقاً لهذا الشان
 فأتى النثار عليه من أصحابه من كل ناحية بلا حساب
 فاحمد إلهك أيها السني اذ عافاك من تحريف ذي بهتان
 والله ما يرضى بهذا خائف من ربه أمسى على الايمان
 هذا هو الاتحاد حقاً بل هو الـ حريف محضاً أبرد الهذيان
 والله ما يلي المجسم قط ذي الـ بلوى ولا أمسى بذي الخذلان

أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ أديار حين سرى إلى الأديان

والله لولا الله حافظ دينه لتهدمت منه قوى الاركان

أقول : هذا الركب هم الأشاعرة ، وقوله : ولقد وجدت لفاضل منهم الخ . . هذا الفاضل هو الامام أبو المعالي عبد الملك ابن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين . مولده كما في « الكامل » سنة عشر وأربعمائة وفي « تاريخ ابن أبي الدم » سنة تسع عشرة وأربعمائة ، إمام العلماء في وقته ، فحل المذهب ، سافر إلى بغداد ، ثم إلى الحجاز ، وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويقتي ويصنف ، وأم في الحرمين الشريفين ، وبذلك لقب ، ثم رجع إلى نيسابور ، وجعل إليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة ، وحظي عند نظام الملك . ومن تلاميذه الفزالي ، وأبو القاسم الأنصاري ، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي ، وادعى إمام الحرمين الاجتهاد المطلق ، لأن أركانه حاصلة له ، ثم عاد إلى اللاثق به ، وتقليد الامام الشافعي . ولما مرض حمل إلى قرية موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء اسمها « بشنقان » فمات بها ونقل إلى نيسابور تلك الليلة ، ودفن من القدر في داره ، ثم نقل بعد ست سنين إلى مقبرة الحسين ، فدفن بجانب أبيه ، وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فأغلقت الاسواق يوم موته ، وكسي منبره في الجامع ، وقعد الناس لعزائه ، ورثوه كثيراً ، ومنه :

قلوب العالمين على المقالي وأيام الودي شبيه الليالي

أيشمر غصن أهل الفضل يوماً وقدمات الامام أبو المعالي

وكانت نلامذته يؤمنون بأربعائة . فمن مصنفاته « ثم أية المطلب
في دراية المذهب » و « الشامل » و « الارشاد » كلاهما في أصول الدين ،
و « الرسالة النظامية في الأركان الاسلامية » و « البرهان » في أصول الفقه .
وغيرها . توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعائة .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب « النبلاء » في ترجمة الامام
أبي المعالي ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول
المذهب وقوة منابرته ، لا يدري الحديث كما يليق به ، لا متناً ولا إسناداً
ذكر في كتاب « البرهان » حديث معاذ في القياس ، فقال : هو مدون في
الصحاح ، متفق على صحته . قلت : بل مداره على الحارث ابن عمرو ، وفيه
جهالة عن رجال من أهل حمص ، عن معاذ ؟ فإسناده صالح . انتهى .

وقصة مقامه المذكور ذكرها الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى
في « تذكرة » فقال : فصل : قوله ﷺ « ومن قال أنا خير من يونس بن
ماتى فقد كذب » للعلماء فيه تأويلات ، أحسنها وأجملها ما ذكره القاضي
أبو بكر ابن العربي . قال : أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام
الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أنه سئل : هل
الباري في جهة ؟ فقال : لا ، هو يتعالى عن ذلك . قيل له : فما الدليل عليه ؟
قال : الدليل عليه قول النبي ﷺ : « لا تقصوني على يونس بن متى »
فقبل له : وما جه الدليل من هذا الخبر ؟ فقال : لا أقوله حتى يأخذ
ضيفي هذا الف دينار يقضي به ديناً ، فقام رجال فقالوا : هي علينا ،

فقال : لا يتبع بها اثنين ، لأنه يشق عليه ، فقال واحد : هي علي . فقال : إن يونس بن متى صلى الله عليه وسلم رمي بنفسه في البحر فالتقمه الحوت ، وصار في قصر البحر في ظلمات ثلاثة ، ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبياء : ٨٧ كما أخبر الله ، ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفراف الأخضر ، وارتقى به صعداً حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، ونجاه ربه بما ناجى به ، وأوحى اليه ما أوحى ؛ بأقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر . انتهى سياق القرطبي .

قلت : كان هذا الامام مع فرط ذكائه وغبارة علمه تملون آرائه ، ففي كتاب « الشامل » وكتاب « الارشاد » مشى على تأويل الصفات الخيرية ، وفي كتاب « الرسالة النظامية » مشى على ان التأويل محرم . قال في « الرسالة النظامية » : اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك في آي الكتاب ، وما يصح من السنن . وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردنا وتقويض معانيها الى الرب عز وجل . والذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقيدة ، اتباع سلف الأمة ، والدليل القاطع السمعى في ذلك ، وأب إجماع الأمة حجة متبعة . فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . وإذا انصرف عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع ، فلجبر آية الإستواء ، وآية المجيء ، وقوله : (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ على ذلك .

قال الحافظ الذهبي في كتاب « الملو » قال الحافظ الحلي عبد القادر الرهاوي : سمعت عبد الرحيم ابن أبي الوفاء الحلي يقول : سمعت محمد بن

طاهر المقدسي يقول : سمعت الأديب أبا الحسن القيرواني بنيسابور : يقول - وكان يختلف إلى دروس الأستاذ أبي المعالي الجويني ، يقرأ عليه الكلام يقول - : سمعت الأستاذ أبا المعالي اليوم يقول : بأصحابنا لا تشغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ في إلى ما بلغ ، ما اشتغلت به . وقال الفقيه أبو عبد الله الرستمي الذي أجاز لكرية : حكى لنا الإمام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال : دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نموده في مرض موته ، فقعده ، فقال لنا : أشهدوا علي أنني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح ، وإني أموت على ما أموت عليه عجائز نيسابور . قال أبو منصور بن الوليد الحافظ في رسالة له إلى الزنجاني : أنبأ عبد القادر الحافظ بجران ، أنبأ الحافظ أبو الملاء ، أنبأ أبو جعفر بن أبي علي الحافظ قال : سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ه فقال : كان الله ولا عرش ؛ وجعل يتخبط في الكلام ، فقلت : قد علمنا ما أشرت إليه ، فهل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال : ما تريد بهذا القول ؛ وما تعني بهذه الإساءة ؟ فقلت : ما قال عارف قط : يارباه ؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه ، قصد لا يلتفت يمينه ولا يسره ، يقصد الفرق ، فهل لهذا القصد الضروري عندك حيلة ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت ، وبكيت وبكى الخلق ، ف ضرب الأستاذ بكفه على السرير وصاح بالحيرة ، وخرق ما كان عليه ، وصارت قيامه في المسجد ، ونزل ولم يجيني إلا : يا حيي الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة ، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون :

سمعه يقول : حيرني الهمداني . توفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم في الاصول والفروع ، يتوقد ذكاء ، لكن قول الناظم رحمه الله تعالى عن إمام الحرمين في حكاية مذهبه : ويدل أن إلهنا سبحانه يلقى بكل مكان ؛ فيه نظر ، فان القول بأن الله تعالى في كل مكان ، هو قول النجارية . وما الاساعرة . فقولهم : إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوقه ولا تحته ، ولا يوصف بأن له مكاناً ؛ فضلاً عن أن يقال : إنه بكل مكان ؛ كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى في أول الأبيات . ولهذا ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التسعينية قال : لما نظر ابن فورك قدام محمود بن سبكتكين أمير المشرق ؛ فقليل له : لو وصف المعدوم لم يوصف الا بما وصفت به الرب ، من كونه لا داخل العالم ولا خارجه ، كتب الى أبي اسحاق الاسفراييني في ذلك ولم يكن جوابهم الا أنه لو كان خارج العالم لازم أن يكون جسماً . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه هذا وزاد عليه في الميزان
قال اسمعرا يا قوم لا تلهيكم هذي الأمانى هي شر أمانى

أتعبت راحلتي وكنت مهيجتي وبذلت مجهودي وقد أعياني
 فقتشت فوق وتحت ثم أمامنا ووراء ثم يسار مع أيمان
 ما داني أحد عليه هنا كم كلا ولا بشر اليه همداني
 الاطوائف بالحديث تمسكت تعزي مذاهبها الى القرآن
 قالوا الذي نبغيه فوق عباده فوق السماء وفوق كل مكان
 وهو الذي حقا على العرش استوي لكنه استولى على الأكوان
 واليه يصعد كل قول طيب واليه يرفع سعي ذي الشكران
 والروح والاملاك منه تنزلت واليه تعرج عند كل أوان
 واليه أيدي السائلين توجهت نحو العلو بفطرة الرحمن
 واليه قد عرج الرسول فقدرت من قربته من ربه قوسان
 واليه قد رفع المسيح حقيقة ولسوف ينزل كي يرى بعيان
 واليه تصعد روح كل مصدق عند الممات فتنتني بأمان
 واليه آمال العباد توجهت نحو العلو بلا تواصل ثار
 بل فطرة الله التي لم يفطروا الا عليها الخلق والشفقان

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى أن هذا الركب أقرؤا بما دل عليه
 الكتاب والسنة ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، من العقائد التي تضمنها

هذا الفصل ؛ وذكر نصوص الفرقية ، والعلو ، والاستواء ، والصعود ،
 كقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٤٤ (الرحمن على
 العرش استوى) طه : ٥ (ثم استوى الى السماء) فصلت : ١١
 وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠
 وقوله تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه) المعارج : ٤ وقوله تعالى
 (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع
 الفجر) القدر : ٤ ، ٥ وذكر معراج الرسول ﷺ إلى الله الذي تواترت به
 الأحاديث ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها . عن أنس ان مالك بن
 صفصة حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به قال : « بينا أنا في الحطيم -
 وربما قال قتادة في الحجر - مضطجماً^(١) إذ آتاني آت » فذكر الحديث ، وفيه
 قال « ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند
 أقصى^(٢) طرفه » فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتني بي السماء
 الدنيا ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ فقال . جبريل . قيل : ومن منك ؟
 قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به
 ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت ، إذا فيها آدم . قال :
 هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم
 قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال : ثم صعد حتى أتني

(١) في الاصل : مضجع ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » .

(٢) في الاصل : عند انقضى ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري »

وفي « صحيح مسلم » « منتهى طرفه » .

السما الثانية . فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل :
ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً
به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا
الحالة قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ؛ فسلمت ، فردا السلام ،
وقالا : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السما
الثالثة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟
قال : محمد . قيل : وقد أرسل ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً ونعم المجيء
جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه .
فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ،
ثم صعد حتى أتى السما الرابعة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل :
مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس . قال :
هذا إدريس ؛ فسلم عليه ؛ فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي
الصالح : قال : ثم صعد حتى أتى السما الخامسة ، فاستفتح قيل : من
هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل
اليه ، قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت
فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد
السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى
السما السادسة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن
معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قال :
مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح . فلما خلصت فإذا أنا موسى
قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت فرد السلام ؛ ثم قال : مرحباً بالأخ
الصالح ؛ والنبي الصالح . قال : فلما تجاوزت بكى . فقيل : ما بك ؟

قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمي ، ثم صدقني أتى السماء السابعة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قل : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال : هذا إبراهيم ، فسلم عليه وقال فقامت ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، ثم رفع لي البيت المعمور . قال : ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم ؛ فرجعت ؛ فمررت على موسى . فقال : هم أمرت ؟ فقلت : بخمسين صلاة كل يوم . قل : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ؛ وإني قد خبرت^(١) الناس قبلك ؛ وعاجلت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت ؛ فوضع عني عشراً ؛ فرجعت إلى موسى فقال : هم أمرت ؟ قلت : بأربعين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعاجلت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً آخر ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم . قال إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعاجلت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً آخر ، فرجعت إلى موسى . فقال هم أمرت ؟

(١) في صحيح البخاري جريت ، حيث وردت ، وفي « صحيح مسلم » فاني قد

باوت بني إسرائيل وخبرتهم .

قلت بعشرين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعاجلت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فأرجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بعشر صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعاجلت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فأرجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعاجلت بني اسرائيل أشد المعالجة . قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكنني أرى وأسلم ، فلما نفذت ، نادى مناد : قد أنفذت فريضي ، وخففت عن عبادي « متفق عليه . قال النووي رحمه الله في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : الحق الذي عليه أكثر الناس ، ومعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، أنه أسري بجسده ﷺ ، والآثار تدل عليه لمن طالما وبحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويل . انتهى .

قوله : فقدورت من قربه من ربه قوسان . يشير إلى قوله تعالى : (ثم دنا فدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٩٨ ، وهذا على أحد

التفسيرين في الآية ، وان الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى (١) وسيأتي بسط الكلام على ذلك في شرح الدليل الخامس من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه . والله أعلم . وقال تعالى في حق المسيح صلوات الله عليه : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ الآية .

وقوله : واليه تصعد روح كل مصدق الخ ... يعني أن روح المؤمن المصدق تصعد الى الله بعد الموت . وقد روى ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو ابن عطاء عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجني أيتها النفس

(١) الحق أن الضمير في قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل عليه السلام ، لا على الله تعالى . وهو الذي يفهم من آيات المقدمة (ان هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) لان الوحي إنما هو بواسطة جبريل ، وكذلك ثبت في « الصحيحين » عن عائشة أم المؤمنين ، وابن مسعود ، وهو كذلك في « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بها . وما جاء في « صحيح البخاري » من رواية شريك ابن عبد الله بن ابي نمر عن أنس بن مالك في حديث الاسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » وقد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية . وذكروا اشياء فيها من الغرابة ، وان شريك بن عبد الله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه . وقال الحافظ البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل ، يعني قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » قال : وقول عائشة وابن مسعود وابي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل اصح . وهذا الذي قاله الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى هو الحق . ومن شاء الزيادة على ذلك فليرجع الى « تفسير ابن كثير » في أول سورة (الاسراء) وعند قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) من سورة (النجم) .

الطبيعة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وربحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعالى . وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

وقوله : فتثنى بأمان . يشير إلى ما في حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا الى القبر ولما يلحد ، فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطير ، فأزم قليلاً - والازمام : السكوت - فلما رفع رأسه قال : « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا ، نزل عليه ملائكة من السماء ، معهم حنوط من الجنة ، وكفن من الجنة ، فيجلسون منه مد بصره ، وجاءه ملك الموت ، فيجلس عند رأسه ، ثم يقول : أخرجني أيها النفس الطيبة ، أخرجني إلى رحمة الله ورضوانه ، فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من السماء ، فإذا خرجت نفسه ، صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، إلا الثقلين . ثم يصعد به الى السماء ، فتفتح له السماء ، ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، الى العرش ، مقربو كل سماء ، فإذا انتهى الى العرش ، كتب كتابه في عليين ، فيقول الرب عز وجل : ردوا عبيدي الى مضجعه ، فاني وعدتهم أنني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فيرد الى مضجعه . وذكر الحديث (١) .

قوله : واليه آمال العباد توجهت الخ ... عن سلمان الفارسي قال : قال

(١) وهو حديث صحيح .

رسول الله ﷺ : إن ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوا أن يردهما صفراً ليس فيها شيء ^(١) هذا حديث مشهور .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا أنهم فطروا على إفرارهم لا شك بالديان
لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان
فسألت عنهم رفقتي وأحبي أصحاب جهنم حزب جنكس خان
من دؤلاء ومن يقال لهم فقد جاؤوا بأمر مالى الآذان
ولهم علينا صولة ما صالها ذو باطل بل صاحب البرهان
أو ما سمعتم قولهم وكلامهم مثل الصواغر ليس ذا الجبان
جاؤوكم من فوقكم وأنتم من تحتهم ما أنتم سيان
جاؤوكم بالوحي لكن جئتم بنحاة الافكار والاذهان

قال في « القاموس » نحتة ينحت ، كيضره وينصره ويعلمه : براه .
والنحاة بالضم : البراية .

قالوا مشبهة مجسمة فلا تسمع مقال مجسم حيوان
والعنهم لعناً كبيراً واغزهم بعساكر التعطيل غير جبان

(١) رواه أحمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : حسن غريب ، وقال الحافظ ابن

حجر العقلائي : سنده جيد .

واحكم بسفك دمائهم وبجسهم أولا فشردهم عن الأوطان
حذر صحابك منهم فهم أضل من اليهود وعابدي الصلبان
واحذر تجادلهم « قال الله » أو « قال الرسول » فتثني بهوان
أنى وهم أولى به قد أنفذوا فيه قوى الأذهان والأبدان
فاذا ابتليت بهم فغالطهم على التـة أويل للأخبار والقرآن
وكذاك غالطهم على التكذيب لا آحاد ذا ولصحبنا أصلان
أوصى به أشياخنا أشياخهم فاحفظها بيدك والأسنان
واذا اجتمعت رهم بمشهد مجلس فابدر بايراد وشغل زمان
لا يملكوه عليك بالآثار والأخبار والتفسير للفرقان
فتصير إن وافقت مثلهم وان عارضت زنديقاً أخوا كفرا
واذا سكت يقال هذا جاهل فابدر ولو بالفشر والهذيان
الفشار الذي تستعمله العامة ، بمعنى الهذيان ، ليس من كلام العرب ،
قاله في « القاموس »

هذا الذي أوصى به أشياخنا في سالف الاوقات والأزمان
فرجعت من سفري وقلت لصاحبي ومطيتي قد آذنت بحراث
قال في « القاموس » : حرنت الدابة كنصر وكرم ، حراثا

بالكسر والضم ، فهي حرون ، وهي التي اذا استدر جريها وقفت ، خاص
بذوات الحوافر .

عطل ركابك واسترح من سيرها ماثم شيء غير ذي الاكوان
لو كان للأكوان رب خالق كان الجسم صاحب البرهان
او كان رب بائن عن ذي الوري كان الجسم صاحب الايمان
ولكان عند الناس أولى الخلق بالـ إسلام والإيمان والإحسان
ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم لم يختلف منهم عليه اثنان
أي لو كانت هذه الأقوال حقاً وهي اعتقاد الجسمة بزعمهم ، لكانوا
عند الله أولى بالاسلام والايمان والاحسان ، ولكان هذا الحزب فوق
رؤوس الناس ، ولأجمعوا على أنهم أهل الحق ولم يختلف منهم اثنان .

فدع التكليف التي حملتها واخلع عذارك وارم بالارسان
خلع العذار كناية .

ماثم فوق العرش من رب ولم يتكلم الرحمن بالقرآن
لو كان فوق العرش رب ناظر لزم التحيز وافتقار مكان
أي : لو نقول بأن الله فوق العرش ، لزم أن يكون متحيزاً يكون
له مكان .

لو كان ذا القرآن عين كلامه حرفاً وصوتاً كان ذا جثمان
فاذا انتفى هذا وهذا ما الذي يبقى على ذا النفي من إيمان

أي إذا نقرأ علو الله سبحانه فوق عرشه ونفوا أن يكون هذا القرآن
عين كلام الرب سبحانه ، فكيف بقاء الايمان مع ذلك ؟

فدع الحلال مع الحرام لأهله فهما السياج لهم على البستان
فأخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه قد هيئت لك سائر الألوان
وترى بها ما لا يراه محجب من كل ما تهوى به زوجان
قال في « القاموس » : سياج ككتاب : الحائط ، وما أحيط به على
شيء ، مثل النخل والكرم ، وقد سيج حائطه تسيجاً .

واقطع علائقك التي قد قيدت هذا الورى من سالف الازمان
لتصير حراً لست تحت أوامر كلا ولا نهى ولا فرقان
لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى فوق السما للناس من ديان
لو قلت ما فوق السماء مدبر والعرش تخليه من الرحمن
والله ليس مكالما لعباده كلا ولا متكلماً بقران
ما قال قط ولا يقول ولا له قول بدا منه إلى إنسان
حللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن الناس في هذيان

قوله : منه بدا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في
« شرح عقيدة الاصفهاني » : قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى
متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه تعالى غير مخلوق ، وانكروا على الجهمية
ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم . إن كلامه تعالى مخلوق ، خلقه

في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، فكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء ، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق ؛ منه بدأ وإليه يعود . قال : ومعنى قولهم : منه بدأ . أي : هو المتكلم به ، لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات ؛ وأنه سبحانه لم يقم به كلام . قال : ولم يرد عن السلف أنه كلام فارق ذاته ؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف ؛ بل صفة المخلوق لا تفارقه ، وتنتقل الى غيره ؛ فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره ؟ ! ولهذا قال الامام أحمد : كلام الله ليس ببائن منه . قال شيخ الاسلام : ومعنى قول السلف : وإليه يعود ، ما جاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ، ولا في القلوب منه آية . وما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين ، كالحديث الذي رواه الامام احمد في « المسند » وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي ﷺ أنه قال : « ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه » يعني القرآن . وفي لفظ « أحب اليه مما خرج منه » وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيامة : إن هذا كلام لم يخرج من إله . أي : من رب . وقول ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع قائلًا يقول ليت لما وضع في حله : اللهم رب القرآن ، اغفر له . فاتفقت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال : مه ، القرآن كلام الله ، ليس بمربوب ، منه بدأ ، وإليه يعود . وهذا الكلام معروف عن ابن عباس ، وقول السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة .

قال شيخ الاسلام في « شرح الاصفهانية » : وهذه الروايات لا يدل شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم ، وينتقل الى غيره ، وإنما تدل على أن الله هو المتكلم بالقرآن - ومنه سمع - لا أنه خلقه في غيره ، كما فسره بذلك الامام أحمد وغيره من الأئمة .

قال ابو بكر الحلال : سئل الامام أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، وإليه يعود ، يعني ما قدمنا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زعمت بأن ربك بائن من خلقه إذ قلت موجودان
وزعمت أن الله فوق العرش والكرسي حقاً فوقه القدمان
وزعمت أن الله يسمع خلقه ويراهم من فوق ست ثمان
وزعمت أن كلامه منه بدا وإليه يرجع آخر الأزمان
ووصفته بارادة وبقدرة وكرامة ومحبة وحنان
ووصفته بالسمع والبصر الذي لا ينبغي إلا لذي الجئنان
وزعمت أن الله يعلم كل ما في الكون من سر ومن إعلان
والعلم وصف زائد عن ذاته عرضاً يقوم بغير ذي جئنان
وزعمت أن الله كلم عبده موسى فأسمعه ندا الرحمن
أنتسمع الأذان غير الحرف والصوت الذي خصت به الأذان
وكذا النداء فإنه صوت باجماع النحاة واهل كل لسان
لكنه صوت رفيع وهو ضد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت ان الله ناداه ونا جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكاز وبعده والصوت بل نوعاه محذوران ممتنان

قوله : ويراهم من فوق ست ثمان . أي : السموات السبع ،
والأرضين السبع .

قوله : والعلم وصف زائد عن ذاته . لخصوصية للعلم عن سائر الصفات ،
فان مراد أهل الاثبات بقولهم : نحن نقول باثبات صفات لله زائدة على
ذاته ، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبتته النفاة من الذات ، فان النفاة
اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات ، فقال أهل الاثبات : نحن نقول
باثبات صفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء . وأما الذات نفسها الموجودة ،
فتلك لا يتصور أن تتحقق بلا صفة أصلاً ، بل هذا بمنزلة من قال : اثبت إنساناً ،
لا حيواناً ، ولا ناطقاً ، ولا قائماً بنفسه ، ولا بغيره ، ولا له قدرة ،
ولا حياة ، ولا حركة ، ولا سكون ، ونحو ذلك ، أو قال : أثبت نخلة
ليس لها ساق . ولا جذع ، ولا ليف ، ولا غير ذلك ، فان هذا يشبه ما لا
حقيقة له في الخارج . ولا يعقل ، ولهذا كان السلف والأئمة يسعون نفاة
الصفة ، معطلة ، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله ، وان كانوا هم قد
لا يعلمون أن قولهم مستلزم التعطيل ، والله أعلم . وهذا الركب الرابع الذي
ذكره الناظم قولهم ، هم فيما يظهر ، الفخر الرازي ، والأسدي ، والشهرستاني
والأثير الأبهري ، ونحوهم من خلط الكلام بالفلسفة ، فان لهم كلاماً يشبه
ما ذكره الناظم ، خصوصاً الفخر الرازي ، فانه قال في كتاب « أقسام الذات »
لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم ، وأنه ثلاث مقامات : العلم بالذات ،
والصفات ، والأفعال ، وعلى كل مقام عقدة ، فعلم الذات عليه عقدة ، هل

الرجوهو الماهية أو زائدة على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة ، هل الصفات زائدة على الذات أولا؟ وعلم الأفعال عليه عقدة ، هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها ، ثم قال : ومن الذي وصل الى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ، ثم أنشد :

نهاية أقدام العقول عقال وأكثر سمعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمونا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عيلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ و اقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ ولا يحيطون به علماً) طه : ١١٠ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٧ ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : و كذاك غالطهم على التكذيب الأحاد الخ .. يشير الى أن الخافقين للكتاب والسنة قد أعدوا لدفع الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله أصليين : أحدهما التأويل الآيات والأحاديث . والثاني : دعوى أن الأحاديث الصحيحة في ذلك أخبار آحاد ، وهي لا تفيد العلم واليقين . وللإمام القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي رحمه الله تعالى في ذلك كتاب « إبطال التأويل » مجلد ، وكذلك للشيخ الإمام أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب « ذم التأويل » في جزء لطيف ، فارجع اليها إن شئت .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كلامه : ولهذا اعترض عبد الجبار ، وابن خطيب الري على الحديث ، وجعلوه من الآحاد ، لما رأوا أحاديث تخالف العقل ، وهي في الأصل موضوعة . انتهى .
وينبغي أن نتكلم هنا على أخبار الآحاد ، وأنها تفيد العلم ، وله أدلة كثيرة ذكرها الناظم في كتاب « الطوائع » (١) .

الأول : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقاء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت الى الكعبة ، قبلوا خبره ، وتركوا الجهة التي كانوا عليها واستداروا الى القبلة ، ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ، بل شكروا على ذلك . وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الاولى ؛ فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لا يفيد العلم . وغاية ما يقال فيه أنه خبر افترون به قرينة ، وكثير منهم يقول : لا يفيد العلم بقرينة . ولا غيرها ، وهذا في غاية المسكارة . ومعلوم أن قرينة تلقي الإيمانه بالقبول وروايته قرناً بعد قرن من غير تكبير ، من أقوى القرائن وأظهرها ، فأى قرينة فرضها ؛ كانت تلك أقوى منها .

الثاني قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الحجرات : ٦ وفي القراءة الاخرى (فتثبتوا) وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ؛ لأنه يحتاج الى التثبت ؛ ولو كان خبره لا يفيد العلم ؛ لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم . وأيضاً فالسلف الصالح وأئمة الاسلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وفعل كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي « صحيح البخاري » قال رسول الله ﷺ في عدة مواضع ؛ وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم : قال رسول الله ﷺ ، وإنما سمعته من صحابي غيره ،

(١) هو كتاب « الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة » للناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله ﷺ بما نسب إليه من قول أو فعل . فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم ، لكان شاهداً على رسول الله ﷺ بغير علم .

الثالث : أن أهل الحديث لم يزالوا يقولون : صح عن رسول الله ﷺ ، وذلك جزم منهم بأنه قاله .

الرابع : قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة : ١٢٢ والطائفة تقع على الواحد فما فوقه ، فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم إذا رجعوا إليهم ، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم ، لكان ذلك الانذار أمراً بما لا فائدة فيه .

الخامس : قوله : (ولا تقف ما ليس لك به علم) الاسراء : ٣٦ أي : لا تتبعه ، ولا تعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ، ويعملون بها ، ويشبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لا تفيد علماً ، لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم .

السادس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل ٤٣ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر ، وهم أولو الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم ، لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علماً ، وهو سبحانه لم يقل : سلوا عدد التواتر ، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً ، فلو كان واحداً ، لكان سؤاله وجوابه كافياً .

السابع : قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ وقال : (وما على الرسول

الا البلاغ المبين (المائدة : ٩٩ وقال النبي ﷺ : « بلغوا عني » (١) وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة : « أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون؟ » قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت (٢) ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد ، فان الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم . وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يقدر العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل ، فيلزم من قال : إن أخبار رسول الله ﷺ لا تفيد العلم أحد أمرين : إما أن يقول : إن الرسول لم يبلغ غير القرآن وما رواه عنه عدد التواتر ، وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ ، وإما أن يقول : إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولا يقتضي علماً ، وإذا بطل هذان الأمران ، بطل القول بأن أخباره ﷺ التي رواها الثقات العدول الحفاظ ، وتلقاها الأمة بالقبول ، لا تفيد علماً ، وهذا ظاهر لا خفاء به .

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . »
 (٢) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ : « وأنتم تسألون عني ، فأنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت . ورواه بلفظ : « أنتم مسؤولون عني » أبو داود ، والدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

الثامن : قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة : ١٤٣ . وقوله : (وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس) الحج : ٧٨ . وجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أنه جعل هذه الأمة عدولاً خياراً ، يشهدوا على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم عن الله رسالته ، وأدرا عليهم ذلك ، وهذا يتناول شهادتهم على الأمم الماضية ، وشهادتهم على أهل عصرهم ومن بعدهم أن رسول الله ﷺ أمرهم بكذا ، ونهاهم عن كذا ، فهم حجة الله على من خالف رسول الله ﷺ وزعم أنه لم يأتهم من الله ما تقوم به عليه الحجة ، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل إليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة ، فلو كانت أحاديث رسول الله ﷺ لا تفيد (العلم) لم يشهد به الشاهد ، ولم تقم به الحجة على المشهود عليه .

التاسع : قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) الزخرف : ٨٦ . وهذه الاخبار التي رواها الثقات الحفاظ عن رسول الله ﷺ ، إما أن تكون حقاً ، وإما أن تكون باطلاً ، أو مشكوكاً فيها ، ولا يدرى هل هي حق أو باطل ، فان كانت باطلاً أو مشكوكاً فيها ، وجب اطراحها وأن لا يلتفت اليها ، وهذا انسلخ من الاسلام بالكلية . وان كانت حقاً ، فتجب الشهادة بها على البت أنها عن رسول الله ﷺ ، وكانت الشاهد بذلك شاهداً بالحق وهو يعلم صحة المشهود به .

العاشر : قول النبي ﷺ « على مثلها فاشهد »^(١) وأشار الى الشمس ،

(١) أخرجه ابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : « ترى الشمس ؟ » قال : نعم . قال : « على مثلها فاشهد او دع » . وقال الحفاظ ابن حجر في « بلوغ الرام من أدلة الأحكام » أخرجه ابن عدي بإسناد ضعيف ، وصححه الحاكم فأخطأ .

ولم تزل الصحابة والتابعون وأئمة الحديث يشهدون عليه ﷺ على التطع أنه قال كذا وأمر به ، ونهى عنه ، وفعله ، لما بلغهم إياه الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، فيقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وحرم كذا ، وأباح كذا ، وهذه شهادة جازمة يعلمون أن المشهود به كالشمس في الوجود ، ولا ريب أن كل من له التفات الى سنة رسول الله ﷺ واعتناء بها ، يشهد شهادة جازمة أن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة ، وأن قوماً من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة ، وأن الصراط حق ، وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك ، وأن الولاء لمن أعتق ، الى غير أضعاف أضعاف ذلك ، بل يشهد بكل خبر صحيح متلقى بالقبول لم ينكره أهل الحديث شهادة لا يشك فيها .

الحادي عشر : أن هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبي ﷺ للعلم يشهدون شهادة جازمة قطعية على أنهم بمذاهبهم وأقوالهم ، وأنهم قائلوا وقيل لهم . (ولو قيل لهم)^(١) : أنها لم تصح عنهم ، لأنكروا ذلك غيبة الإنكار ، وتعجبوا من جهل قائله . ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم إلا الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ونحوهم ، لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقيناً ، فكيف حصل لهم العلم الضروري ، أو المقارب للضروري ، بأن أنتم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا ، وذهبوا الى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ، ولا بما رواه عنهم التابعون ، وشاع في الأمة وذاع ، وتعددت طرقه ، وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم

(١) جملة « ولو قيل لهم » زيادة وجدت على هامش الاصل .

بكثير من حرص أولئك على أقوال متبوعهم . إن هذا هو العجب العجاب .

الثاني عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيككم) الأنفال : ٢٤ . ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن ببلغته دعوة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة ، ودعوته نوعان : مواجهة ، ونوع بواسطة المبلغ ، وهو مأمور بإجابة الدعوتين في الحالتين ، وقد علم أن حياته ، في تلك الدعوة ، والاستجابة لها ، ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالإجابة لما لا يفيد علماً ، أو يحببه بما لا يفيد علماً ، أو يتوعدده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علماً ، بأنه إن لم يفعل عاقبه ، وحال بينه وبين قلبه .

الثالث عشر : قوله تعالى : (فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ . وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ إلى يوم القيامة ، ولو كان ما بلغه لم يفد علماً ، لما كان متعرضاً بخالفة ما لا يفيد علماً للفتنة والعذاب الأليم ، فإن هذا إما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر .

الرابع عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والنساء : ٥٩ إلى قوله :) (واليوم الآخر) النساء : ٥٩ ووجه الاستدلال أنه أمر أن يرد ما تنازع فيه المسلمون إلى الله ورسوله ، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته ، فلو أن المردود إليه يفيد العلم وفصل النزاع ، لم يكن في الرد إليه فائدة ، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى ما لا يفيد علماً البتة ، ولا يدرى أحق هو أم باطل ؟ ! وهذا برهان قاطع بحمد الله ، فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول الله

ﷺ لا تفيد علماً : إن نرد ما تنازعنا فيه إلى العقول ، والآراء ، والأقيسة ، فإنها تفيد العلم .

الخامس عشر (١) : ما احتج به الشافعي رحمه الله تعالى ، فانه قال : أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه الى غير فقيهه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص لله ، والنصيحة للمسلمين ؛ ولزوم جماعتهم ،

(١) إن كل ما تقدم من الأدلة على أن خبر الواحد العدل يفيد العلم ، إنما هو منقول عن كتاب « مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة » للعلامة ابن القيم ، وقد اسقط الشارح هنا الدليل الخامس عشر ، وانتقل الى السادس عشر فباه : الخامس عشر . فأجيبنا اثبات الدليل الخامس عشر الذي اسقطه الشارح هنا : الدليل الخامس عشر : قوله تعالى : (وإن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) المائدة : ٤٩ الى قوله : (أفحكم الجاهلية يغنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة : ٥٠ ووجه الاستدلال أن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما أنزل الله ، وهو ذكر من الله أنزل على رسوله ، وقد تكفل سبحانه بحفظه ، فلو جاز على حكمه الكذب والغلو والسهو من الرواة ولم يقيم دليل على غلط وسهو ثاقبه ، لسقط حكم ضمان الله وكفالاته لحفظه ، وهذا من أعظم الباطل ، ونحن لاندعي عصمة الرواة ، بل نقول : إن الراوي إذا كذب أو غلط أو سها ، فلا بد أن يقوم دليل على ذلك ، ولا بد أن يكون في الأمة من يعرف كذبه وغلطه ليم حفظه لحججه وأدلته ، ولا تلبس بما ليس منها ، فانه من حكم الجاهلية بخلاف من زعم انه يجوز أن تكون كل هذه الاخبار والاحكام المنقولة إلينا آحاداً كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغايتها أن يكون كما قاله من لاعلم عنده : (إن نظن إلا ظناً ومن نحن بمستيقنين) الجاثية : ٣٢ .

فان دعوتهم تحيط من ورائهم^(١)

قال الشافعي : فلما ندب رسول الله ﷺ الى اجتماع مقالته وحفظها وأداها ، أمر أن يؤديها ولو واحد ، دل على أنه لا يأمر من يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى اليه ، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى ، وحرام يتجنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة في دين ودنيا ، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير الفقيه ، يكون له حافظاً ولا يكون فيه فقيهاً ، وأمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ، بما يحتاج به في أن إجماع المسلمين لازم . انتهى .

والمقصود أن خبر الواحد العدل ، لو لم يفد علماً لأمر رسول الله ﷺ أن لا يقبل من أدى اليه إلا من عدد التواتر الذي لا يحصل العلم ، لا بخبرهم ، ولم يدع للحامل المؤدي ، وان كان واحداً ، لأن ما حمله لا يفيد العلم ، فلم يفعل ما يستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه الى أهل التواتر ، وهذا خلاف ما اقتضاه الحديث .

ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب الى ذلك ، وحث عليه ، وأمر به لتقوم به الحجة على من أدى اليه ، فلو لم يفد العلم ، لم يكن فيه حجة .

(١) اوردته الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » في الترغيب في الاخلاص والترغيب في سماع الحديث وتبليغه ، مطولاً ومختصراً ، من رواية احمد ، وابي داود ، والترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ومن رواية ابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » والبخاري والطبراني في « الاوسط » و « الكبير » قال المنذري : وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وابي الدرداء ، وابي قريظة جندرة بن خشينة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، واسانيد بعضهم صحيح .

السادس عشر ، حديث أبي رافع الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحداً منكم متكبِّراً على أربكته ، يأتيه الأمر من أمري يقول : لا ندري ما هذا ؟ بينا وبينكم القرآن ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه » ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه ، أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ، بل هو أمر أنزَم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ ، أنها من الله أو حاها إليه ، فلو لم تفد علماً لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لا تفيد علماً ، فلا يلزمني قبول ما لا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ، ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ، ونهاهم عنه . ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله ، حذرهم منه ، فإن القائل : إن أخباره لا تفيد العلم ، هكذا يقول ، سواء ، ماندرى ما هذه الأحاديث ، وكان سلف هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخلفهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك وقالوا : نقدم العقول على هذه الأحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأُقية عليها .

السابع عشر : مارواه مالك عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبا طلحة الانصاري ، وأبي بن كعب شراباً من فضيخ ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حُرمت ، فقال أبو طلحة : لم يأُتِ إلى هذه الجرار فأكسرها ، فقممت إلى مهراس لنا فضربتُها بأسفله ، حتى كسرتها .

وجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قبول خبر التحريم حيث ثبت به التحريم لما كان حلالاً وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله ﷺ شفاهاً ،

وأكد ذلك القبول باتلاف الإثاء وما فيه ، وهو مال ، وما كان ليقدّم على اتلاف المال بخبر من لا يفيد خبره العلم ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ، فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله ﷺ ، بحيث لم يشكوا ولم يرتابوا في صدقه ، والمتكلفون يقولون : إن مثل ذلك الخبر لا يفيد العلم ، لا بقرينة ولا بغير قرينة .

الثامن عشر : أن خبر الواحد لو لم يفد العلم ، لم يثبت به الصحابة التحليل ، والتحریم ، والاباحة ، والفروض ، ويجعلون ذلك ديناً يبدان به في الأرض إلى آخر الدهر ، فهذا الصديق رضي الله عنه زاد في القروض التي في القرآن ، فرض الجدة ، وجعله شريعة مستمرة إلى يوم القيامة بخبر محمد ابن مسلمة ، والمغيرة بن شعبة فقط ، وجعل حكم ذلك الخبر في اثبات هذا القرض حكم نص القرآن في اثبات فرض الأم ، ثم اتفق الصحابة والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد ، وأثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخبر حمل بن مالك دية الجنين ، وجعلها فرضاً لازماً للأمة ، وأثبت ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلبي وحده ، وصار ذلك شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة ، وأثبت عثمان بن عفان شريعة عامة في سكنى المتوفى عنها بخبر فريسة بنت مالك وحدها ، وهذا أكثر من أن يذكر ، بل هو إجماع معلوم منهم . ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر الواحد في الظنيات ، ونحن لانكر ذلك ، لأننا قد قدمنا أنهم أجمعوا على قبوله والعمل بموجبه ، ولو جاز أن يكون كذباً أو غلطاً في نفس الأمر ، لكانت الأمة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به ، وهذا قدح في الدين والأمة .

التاسع عشر : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر

الواحد ، ويقطعون بمضمونه ، فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة قائلاً له : (إن الملاء يأترون بك ليقتلوك) القصص ٢٠ فجزم بخبره ، وخرج هارباً من المدينة ، وقبل خبر ابنة صاحب مدين لما قالت (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) القصص : ٢٥ وقبل خبر أبيها في قوله : هذه ابنتي ، وتزوجها بخبره ، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك ، وقال له : (ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة) يوسف : ٥٠ وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له ، وغزاهم بخبرهم ، واستباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذرارهم . ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها ، وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً ، وكذلك الأمة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد ، وهم يجوزون أن تكون كذباً على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ، ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به ، بل يجوز أن يكون كذباً وغلطاً في نفس الأمر ، هذا مما يقطع بطلانه كل عالم مستبصر .

العشرون : أن خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول ، لو لم يفد العلم ، لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن ، لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الأخبار جازمين بالشهادة في تصانيفهم وخطاياهم ، فيقولون : شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله ﷺ ، فلم لم يكونوا عالمين بصدق الأخبار ، جازمين بها ، لكنوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شهادة زور ، وقولاً^(١) على الله ورسوله بغير علم . لعن الله هذا حقيقة قديم روى أولى بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها .

(١) في الاصل : والقول .

قال أبو عمرو ابن الصلاح وقد ذكر الحديث الصحيح المتلقى بالقبول المتفق على صحته : وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به ، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد الا الظن ، وإنما تلقته الأمة بالقبول ، لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطئ . قال : وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لي المذهب الذي اخترناه هو الصحيح ، لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ ، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ ، ولهذا كان الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك ، وهذه نكتة نفيسة نافعة . انتهى .

ونقل الناظم ايضاً قال : قال شيخ الاسلام ابن تيمية وقد قسم الأخبار الى تواتر وآحاد ، فقال بعد ذكر التواتر : وأما القسم الثاني من الأخبار ، فهو ما لا يرويه الا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه . ولكن تلقته الأمة بالقبول ، عملاً به ، أو تصديقاً له ، كخبر عمر بن الخطاب . « إنما الأعمال بالنيات » ^(١) وخبر ابن عمر « نهى عن بيع الولاء وهبته » ^(٢) وخبر أنس « دخل مكة وعلى رأسه المغفر » ^(٣) وكخبر أبي هريرة « لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها » ^(٤) وكقوله : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » ^(٥) وقوله : « إذا جلس بين شعبها الأربع ، ثم جهدها ، فقد وجب الغسل » ^(٦) وقوله في المطلقة ثلاثاً :

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه . (٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم في « صحيحه » عن عائشة بهذا اللفظ . وور بلفظ آخر في

« الصحيحين » عن عائشة « ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » .

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

« حتى تذوق عيلته ويزوق عيلتك » ^(١) وقوله : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » ^(٢) وقوله : « إنما الولاء لمن أعتق » ^(٣) وقوله ، يعني ابن عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر في رمضان « على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى . » ^(٤) وأمثال ذلك ، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين .

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، مثل السرخسي ، وأبي بكر الرازي من الحنفية ، والشيخ أبي الطيب ، والشيخ أبي اسحاق من الشافعية ، وابن خوزين منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضي أبي يعلى ، وابن أبي موسى ، وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية ، ومثل اسحق الاسفريابي ، وابن فورك ، وأبي اسحاق النظام من المتكلمين ؛ وإنما نازع في ذلك طائفة ، كابن الباقلاني ومن تبعه ، مثل أبي المعالي ، والغزالي ، وابن عقيل ، وقد ذكر أبو عمرو ابن الصلاح القول الأول ، وصححه ، واختاره ، ولكنه لم يعلم كثرة

(١) متفق عليه من حديث عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : كنت عند رفاعة قطلقي ، فبنت طلاق ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وإنما معه مثل هدبة الثوب ، فقال : « أتريدن ان ترجعي الى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوق عيلته ويزوق عيلتك ؟ ! »

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) متفق عليه جمناه ، وهو ملفق من حديثين .

القائلين به ليتقوى بهم ، وإنما قاله بموجب الحجة الصحيحة ، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين ، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة ، أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو ، انفرد به عن الجمهور ، وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل الى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب . وإن ارتقوا درجة ، صعدوا الى السيف الآمدي ، والى ابن الخطيب ، فإن علا سندهم صعدوا الى الفزالي ، والجويني ، والباقلاني . قال : وجميع أهل الحديث على ما ذكر الشيخ أبو عمرو ، والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقاً ومملاً لإجماع منهم ، والأمة لا تجتمع على ضلالة ، كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق ، أو اسم حقيقة ، أو على موجب قياس ، فإنها لا تجتمع على خطأ ، وإن كان الواحد منهم لوجود النظر اليه لم يؤمن عليه الخطأ ، فإن العصمة ثبتت بالسنة الإجماعية ، كما أن خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرده ، ولا يجوز على المجموع ، والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها ، كما قال النبي ﷺ : «أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» (١) فجعل تواطأ الرؤيا دليلاً على صحتها ، والآحاد في هذا الباب قد يكون ظنوناً بشروطها ، فإذا قويت صارت علوماً ، وإذا ضعفت صارت أوهاماً وخيالات فاسدة ، قال : وأيضاً فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذباً على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره ، إذ هو خلاف ما وصفهم الله تعالى به . فإن قيل : أما الجزم بصدقه ، فلا يمكن منهم ، وأما العمل به ، فهو الواجب عليهم ، وإن لم يكن صحيحاً

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، بلفظ «أرى رؤياكم قد

تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» .

ورواه البخاري أيضاً بلفظ «أرى رؤياكم في العشر الأواخر فاطلبوها في الوتر منها» .

في الباطن ، وهذا سؤال ابن الباقلاني . قلنا : وأما الجزم بصدقه ، فإنه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم ، إذ القرائن المجردة قد تفيد العلم بضمونها ، فكيف إذا احتقت بالخبر ، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي ، أن العلم بمجرد الأخبار لا يحصل إلا من جهة العدد ، فلزمه أن يقول ما دون العدد لا يفيد أصلاً ، وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه ، وأما العمل به ، فلو جاز أن يكون في الباطن كذباً - وقد وجب علينا العمل به - لاعتقد الاجماع على ما هو كذب وخطأ في نفس الأمر ، وهذا باطل ، فإذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول باجماع السلف والصحابة ، أولى أن يدل على صدقه ، فإنه لا يمكن أحداً أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين ، وأما بعد ذلك ، فقد انتشرت انتشاراً لاتضبط أقوال جميعها .

قال : واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب ، كما ذكر الشيخ أبو عمرو ومن قبله من العلماء ، كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره ، فإنما تلقاه أهل الحديث وعلماءه بالقبول والتصديق ، فهو محل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فإن الاعتبار في الاجماع على كل أمر من الأمور الدينية على أهل العلم به ، دون غيرهم ، كما لم يعتبر على الاجماع في الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لا يعتبر في الاجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلمه ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتمدون بها أحد من غناية المقلدين بأقوال متبوعهم ، فكما أن العالم بالتواتر ينقسم إلى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوماً لغيرهم ، فضلاً (عن) أن يتواتر

هتدكم ، فأهل الحديث أشدة عنايتهم بسنة نبيهم ، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله ، يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه ، بما لاشعور لغيرهم به البتة ، فخير أبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن مسعود ، ونحوهم ، يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بتقسم الضروريات ، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً ، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ، ويعلمون بالضرورة أن نبيهم ﷺ أخبر عن خروج قوم من النار بالشماعة ، وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك .

وبالجملة فهم جازمون باكثر الأحاديث الصحيحة ، قاطعون بصحتها عنه ، وغيرهم لا علم عنده بذلك ، والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهور العقلاء . انتهى .

وقد أطال الناظم رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام ، وأكثر النقول عن العلماء في أن أخبار الآحاد تفيد العلم واليقين ، ولكن تركناه اختصاراً ، وفيما ذكرناه كفاية ، والله أعلم .

وقول الناظم :

وزعمت أن الله كلم عبده موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفسمع الأذان غير الحرف والصوت الذي خصت به الأذان

وإذا النداء فإنه صوت باجماع النحاة وأهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونا جاہ وفي ذا الزعم محذوران

قرب المكان وبعده والصوت بل نوعان محذوران ممتنعان

هذا إشارة الى الرد على القائلين بالكلام النفسي ، والمعنى المجرد .

قال شيخ الاسلام : فقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً)

النساء : ١٦٤ (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأنعام : ١٤٣ .

(ونادينه من جنب طور الايمن وقربناه نجياً) مريم : ٥٢ (فلما أتاها

نودي يا موسى ، إني أنا ربك فأخضع نفسك له) طه : ١١ - ١٤ الآيات ؛ تكليم بسمعه موسى ،

والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ، ومن قال : إنه يسمع فهو مكابر ،

ودل الدليل على أنه ناداه ، والنداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً ، فلا يعقل

في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لاحقيقة ولا مجازاً . انتهى .

وقال الامام موفق الدين بن قدامة في قوله تعالى : (وكلم الله

موسى تكليماً) (وكلمه ربه) وقال تعالى : (ونادينه من جانب الطور

الايمن) وقال تعالى : (إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) أجمعنا على

أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله ، لا من شجرة ،

ولا من حجر ، ولا من غيره ، لأنه لو سمع من غير الله تعالى ، لكان

بنو اسرائيل أفضل في ذلك منه ، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه

موسى ، لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام ، وهو على زعمهم إنما سمع

من الشجرة . ثم يقال لهم : لم سمي موسى كليم الله ، وإذا ثبت أن موسى

عليه السلام إنما سمع من الله عز وجل لم يجوز أن يكون الكلام الذي سمعه

إلا صوتاً وحرفاً ، فانه لو كان معنى في النفس وفكرة ورؤية ، لم يكن

ذلك تكليماً لموسى ، ولا هو شيء يسمع ، والفكر لا يسمى مناداة ، فان قالوا : نحن لانسميه صوتاً مع كونه مسموعاً . قلنا : هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فانه لا يعني بالصوت إلا ما كان مسموعاً ، ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار .

وقال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم إياه إلهاماً . قال : وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياسات على أصوات المخلوقين ، لأنها التي عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم ، فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به .

وقال ابن حجر أيضاً في موضع آخر من « شرح البخاري » قوله ﷺ : « ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب » كما يسمعه من بعد » حمله بعض الأئمة على مجاز الحذف ، أي : يأمر من ينادي ، فاستبعد بعض من أثبت الصوت ، لأن في قوله : « يسمعه من بعد » إشارة إلى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم ، وبأن الملائكة إذا سمعوه صعقوا ، وإذا سمع بعضها بعضاً لم يصعقوا . قال : فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ، ليس يشبه صوت غيره ، إذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين . قال : وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » انتهى .

ومن الاحاديث في إثبات الصوت ، ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن أنيس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله العباد »

«الناس» وأوماً بيده إلى الشام «حفاة عراة غرلاً بهماً» قال: ليس معهم شيء. قال: «فيناديه بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمه حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة» قلنا: كيف وانما تأتي حفاة عراة غرلاً؟! قال: «بالحسنات والسيئات» أخرج أصله البخاري تعليقاً مستشهداً به إلى قوله: «أنا الملك، أنا الديان» وأخرجه الامام أحمد^(١) وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده إلى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، قال: بلغني أن النبي ﷺ حديثاً في القصص، وكان صاحب الحديث بمصر، فاستترت بعيداً، فشددت عليه رجلاً، ومرت حتى وردت مصر، فمضيت إلى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه، فخرج إلي مملوكه، فنظر في وجهي ولم يكرهني، فدخل إلى سيده فقال: أعراي. فقال: سل من أنت؟ فقال: جابر بن عبد الله الانصاري: فخرج إلي مولاه، فلما تراءينا اعتنق أحداً بصاحبه، فقال: يا جابر، ما جئت تعرف؟ فقلت: حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصص، ولا تظن أن أحداً من مضي ومن بقي أحفظ له منك. قال: نعم يا جابر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أن الله تعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلاً بهماً، ثم ينادي بصوت رفيع غير

(١) وأورده الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» بلفظ قريب مما أورده الشارح هنا عن عبد الله بن أنيس، وقال في آخره: رواه أحمد بإسناد حسن.

فطبيع ، يسمعه من بعد كمن قرب : أنا الديان ؛ لاتظالم اليوم ، أما وعزتي لايجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطفة بكف ، أو يد على يده ألا وان أشد ما أخوف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط ، فلترتقب أمتي العذاب ، اذا تكافأ النساء بالنساء ، والرجال بالرجال . « وقد رواه عبد الحق الاشيلي من طريق الحارث بن ابي أسامة ، ومن « مسنده » نقله ، أخرجه علي بن معبد البغوي الملكي وغيره ، وفيه : فابتعت بغيراً فشددت عليه رحلي ، ثم سرت اليه ؛ فسرت شهراً حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس الانصاري ، فأتيت منزله ، فأرسلت اليه أن جابراً على الباب ، فرجع الرسول الي فقال : جابر بن عبد الله ؟ قلت : نعم ، فرجع اليه ، فخرج فاعتنقته : فقلت : حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد » أو قال : « الناس » . . . الحديث . وفي حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجرجر ^(١) السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ قال : فيقول : ^(٢) الحق ، فينادون : الحق الحق » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري ؛ وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وكذا رواه الامام أحمد ، وابنه عبد الله ، وقال : سألت أبي ، فقلت : يا أي ، الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت ، فقال : كذبوا إنما يدورون على التعطيل .

(١) في الاصل : كججر ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن أبي داود » .

(٢) في الاصل : يقول ، والتصحيح من « سنن أبي داود »

وروى الامام احمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله بن مسعود قال :
 إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء . قال السجزي . وما في رواية
 هذا الخبر الا امام مقبول ، وتمة الخبر : فيخرون سجداً ، حتى إذا فزع
 عن قلوبهم . قال : سكن عن قلوبهم . قال أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟
 قالوا : الحق . قال كذا وكذا . قال القاضي أبو الحسين وغيره : ومثل
 هذا لا يقوله ابن مسعود رضي الله عنه إلا توقيفاً ، لأنه إثبات صفة
 للذات . انتهى .

وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثاً ،
 بعضها صحاح ، وبعضها حسان ، ويحتج بها ، أخرجه الامام الحافظ ضياء الدين
 المقدسي وغيره .

وأخرج الإمام أحمد غالباً ، واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالباً
 أيضاً في « شرح البخاري » واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث ، على
 أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت ، وقد صيغوا هذا
 الأصل ، واعتقدوه ، واعتمدوا على ذلك ، مزهين الله تعالى عما لا يليق
 بجلاله من شبهات الخدوت ، وسمات النقص ، كما قالوا في سائر الصفات ،
 فإذا رأينا أحداً من الناس ممن لا يقدر عشر معشار هؤلاء ، قد دونوا هذه
 الصفات ، وعملوا بها ، ودانوا الله سبحانه وتعالى بها ، وصرحوا بأن الله تعالى
 تكلم بحرف وصوت ، لا يشبهات صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة ،
 معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله
 الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ، مع اعتقادهم الجازم الذي
 لا يعتريه شك ولا وهم ولا خيال ، نفى التشبيه والتمثيل ، والتحريف ، والتعطيل ،
 بل يقولون في صفة الكلام ، كما يقولون في سائر الصفات ، إثباتاً بلا تمثيل ،

وقنزها بلا تعطيل ، كما عليه سلف الامة ، وفحول الأئمة ، فهو حق اليقين ، وما بعد الحق الا الضلال .

قال الناظم رحمه الله تعالى

وزعمت أن محمداً أسري به ليلاً إليه فهو منه داف
 وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدينه رب العرش بالرضوان
 حتى يرى المختار حقاً قاعداً معه على العرش الرفيع الشأن
 وزعمت أن لعرشه أطاً به كالرحل أط براكب عجلان
 وزعمت أن الله أبدى بعضه للطور حتى عاد كالكشبان
 لما تجلى يوم تكليم الرضى موسى الكليم مكلم الرحمن
 وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله يمين بل زعمت يـمـان
 وزعمت أن يديه للسبع العلى والارض يوم الحشر قابضتان
 وزعمت أن يمينه ملأى من الخيرات ما غاضت على الازمان
 وزعمت ان العدل في الاخرى بها رفع وخفض وهو بالميزان
 وزعمت ان الخلق طراً عنده يهتز فوق اصابع الرحمن
 وزعمت ايضاً ان قلب العبدما بين اثنتين من الاصابع عان
 وزعمت ان الله يضحك عندما يتقابل الصفان يقتلان
 من عبده يأتي فييدي نحره لعدوه طلباً لنيل جنات

وكذلك يضحك عندما يشب الفتى من فرشه لتلاوة القرآن
وكذلك يضحك من قنوط عباده إذ أجذبوا والغيث منهم دان
وزعمت أن الله يرضى عن أولي الحسنى ويغضب من أولي العصيان
وزعمت أن الله يسمع صوته يوم المعاد بعيدهم والداني
لما يناديهم أنا الديان لا ظلم لدي فيسمع الثقلان
وزعمت أن الله يشرق نوره في الأرض يوم الفصل والميزان
وزعمت أن الله يكشف ساقه فيخر ذاك الجمع للأذقان
وزعمت أن الله يبسط كفه لمنيننا ليتوب من عصيان
وزعمت أن يمينه تطوي السما طي السجل على كتاب بيان
وزعمت أن الله ينزل في الدجى في ثلث ليل آخر أو ثان
فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني
وزعمت أن له نزولا ثانيا يوم القيامة للقضاء الثاني
وزعمت أن الله يبدو جهرة لعباده حتى يرى بعيان
بل يسمعون كلامه ويرونه فالملتان إليه ناظران
وزعمت أن لربنا قدماً وإن الله واضعها على النيران
فهناك يدنو بعضها من بعضها وتقول قط قط حاجتي وكفاني

وزعمت أن الناس يوم مزيدهم كل يحاضر ربه ويداني
 بالحاء مع ضاد وجامع صاها وجهان في ذا اللفظ محفوظان
 في الترمذي ومسند وسواهما من كتب تجسم بلا كتمان
 ووصفته بصفات حي فاعل بالاختيار وذاتك الأصلان
 أصل التفرق بين هذا الخلق في الباري فكن في النفي غير جبان
 أولاً فلا تلعب بدينك ناقضاً نفياً باثبات^(١) بلا فرقان
 فالناس بين معطل أو مثبت أو ثالث متناقض صنعان
 والله لست برابع لهم بلى إما حماراً أو من الثيران
 فاسمح بانكار الجميع ولا تكن متناقضاً رجل له وجهان
 أولاً ففرق بين ما أثبتته ونفيته بالنص والبرهان
 فالباب باب واحد في النفي والاثبات في عقل وفي ميزان
 فتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع أو انت بالفرقان
 ومتى نفى شيئاً وأثبت مثله فجسم متناقض ديوان
 فذروا المرء وصرخوا بمذاهب القدماء وانسلخوا من الايمان
 قول الناظم رحمه الله تعالى : وزعمت أن محمداً أسري به الخ . تقدم
 الكلام في الاسراء بما يغني عن الاعادة .
 قوله . وزعمت أن محمداً يوم الملقا يدينه رب العرش بالرضوان الخ

(١) في الاصل : واثبات ، والصواب ما اثبتناه .

ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه **المواعظ** قال : أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن بن المبارك : أنبأنا عبد الله بن أحمد الفقيه ، أنبأ ابن البطي ، أنبأ ابن خيرون ، أنبأنا أبو علي ابن ساذان ، أنبأنا أبو سهل القطان ، ثنا عبد الكريم الدير عاقولي ، ثنا يحيى بن عبد الحميد وغيره قالوا : أنبأنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء : ٧٩ قال : يجلسه ، أو يقعد على العرش ، لهذا القول طرق خمسة . وأخرج ابن جرير في تفسيره ، وعمل فيه المروزي مصنفاً ، ثم قال الذهبي بعد ذلك : فأما قضية قعود نبينا على العرش ، فلم يثبت في ذلك نص ، بل في الباب حديث واه ، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه ، فقد أنكره بعض أهل الكلام . فتمام المروزي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك ، وجمع فيه كتاباً ، وطرق قول مجاهد ، منه رواية ليث ابن أبي سليم ، وعطاء بن السائب ، وأبي يحيى اللقعات ، وجابر بن يزيد ، فمن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الأثر يسلم ولا يعارض ، أبو داود السجستاني صاحب « السنن » وإبراهيم الحارثي ، وخلق ، بحيث أن ابن الامام أحمد قال عقيب قول مجاهد : أنا منكر على كل من رد هذا الحديث ، وهو عندي رجل سوء منهم ، سمعته من جماعة ، وما رأيت محدثاً ينكره . وعندنا إنما تنكره الجهمية . وقد حدثنا هارون ابن معروف ، ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث عن مجاهد في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء : ٧٩ قال : يقعد على العرش ، فحدثت به أبي رحمه الله . فقال : لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل ، بحيث أن المروزي روى حكاية (ينزل) عن إبراهيم بن عرفة : سمعت ابن عمير يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا قد تلقته العلماء بالقول . وقال المروزي : قال أبو داود السجستاني . ثنا ابن أبي صفوان الثقفى ،

ثنا يحيى بن كثير ، ثنا سالم بن جعفر وكان ثقة ، ثنا الجريري ، ثنا سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جئى بنبيكم ﷺ ، حتى يجلس بين يدي الله عز وجل على كرسية . . . الحديث
وقد رواه ابن جرير في تفسيره ، أعني قول مجاهد ، ثم قال ابن جرير : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقرآن الله فوق العرش ، ولا من ينكره ، وكذلك أخرجه النقاش في تفسيره . وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج على من انكره . انتهى .

قوله : وزعمت أن لعرشه أطأ به النخ . . عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، نهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال . فاستسق ربك ، فانا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : « سبحان الله ، سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوده أصغابه ، ثم قال : ويحك أتدري ما الله : إن شأنه أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد ، إنه لفوق سمواته على عرشه ، وإنه عليه لهكذا ، وأشار وهب بيده مثل القبة عليه . وأشار ابن الأزهري أيضاً « وإنه ليضط به أطيظ الرحل بالراكب » (١) أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد عن وهب ، ولفظه : إن عرشه على سمواته ، ساقه الذهبي في كتاب «العلو» من عدة طرق ، من طريق ابن إسحق ، ثم قال : هذا حديث غريب جداً فرد ، وابن إسحق حجة في المعاري إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم ، هل قال ﷺ هذا أم لا ؟ والله عز وجل ليس كمثله شيء ، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ،

(١) هذا الحديث رواه محمد بن إسحاق معنعناً ، فهو ضعيف لتدليس ، ولا يصح في أطيظ العرش حديث .

ولا إله غيره . والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل وللعرش ، ومعاذ الله أن نعدده صفة لله عز وجل . ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الأحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فاما ما في إسناده مقال ، واختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فانا لا نرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث لما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه بما يوافق آيات الكتاب . انتهى كلامه .

قوله : وزعمت أن الله أبدى بعضه الخ ... روى الترمذي في « جامعه » عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً) الاعراف : ١٤٣ قال حماد : هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى ، قال : فساخ الجبل ، وخر موسى صعقاً . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، لانعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة . وروى ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » عن ابن عباس (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ما تجلى منه إلا مثل الخنصر . قال : فجعله دكاً . قال : تراباً (وخر موسى صعقاً) غشي عليه ، (فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك) عن أنس أسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنين) قال : أول من آمن بك من بني إسرائيل . ورواه الطبراني أيضاً . ورواه البيهقي في كتاب « ثبوت الرؤية له : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن اسحق . يعني العدناني ، ثنا عمرو بن طلحة في التفسير ، ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل طرف الخنصر ، فجعله دكاً .

قوله : وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله عين الخ... يأتي الكلام في الوجه

واليدين إن شاء الله تعالى (١)

قوله : وزعمت أن يديه للسبع العلى الخ... روى البخاري في « صحيحه » عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك » . وفي « الصحيحين » أيضاً ، واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ »

قوله : وزعمت أن يمينه ملأى الخ... يشير إلى قوله ﷺ : « يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض » ، فإنه لم يفيض ما في يمينه ، وفي يده الأخرى العدل ، يخفض بها ويرفع . قوله : وزعمت أن الله يضحك عندما الخ... يشير إلى قوله ﷺ (« يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ») (٢) .

قوله : وزعمت أيضاً أن قلب العبد ما... الخ... عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

(١) في الاصل بياض هنا ، والله أراد أن يقول : يأتي الكلام في الوجه واليدين إن شاء الله تعالى في بابه .

(٢) في الاصل بياض هنا ، وأثبتنا هذا الحديث الذي رواه البخاري بين القوسين ، لأنه هو الذي يشير إلى قول المصنف : وزعمت أن الله يضحك عندما الخ .

قوله: وكذلك يضحك من قنوط عباده... يشير الى ما في حديث أبي رزين عن النبي ﷺ قال: « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » ينظر اليكم أذلين قنطين ، ويظلم يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب » فقال له أبو رزين : أو يضحك الرب ؟ قال : نعم . فقال : لن نعمد - من رب يضحك - خيراً .

قوله : وزعمت أن الله يبسط كفه... يشير الى حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم ، وقوله في الحديث المتفق على صحته « من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، تقبلها بيمينه » وقوله : « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخزعة في كف أحدكم » (١) .

قال الحلال في كتاب « السنة » قال حنبل : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا ، وأن الله يرى ، وأن الله يضع قدمه ، وما أشبه هذه الأحاديث . فقال أبو عبد الله : تؤمن بها ، ونصدق بها ، ولا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حتى إذا كانت بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حمد ، ولا غاية ، ليس كمثله شيء . وقال حنبل في موضع آخر : ليس كمثله شيء في ذاته ، كما وصف به نفسه . وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة

(١) كان في الأصل هنا بياض ، فاختارنا هذه الزيادة التي بين القوسين تبعاً للمعتمدة .

لنفسه ، فجدد لنفسه صفة ، ليس يشبه شيء ، فعباد الله بصفاته غير محدودة ، ولا معلومة ، إلا بما وصف الله نفسه به . قال الله تبارك وتعالى : (وهو السميع البصير) الشورى : ١١ وقال حنبل في موضع آخر : وهو سميع بصير ، بلا حد ، ولا تقدير ، ولا يبلغ الوصفون صفته ، وصفاته منه وله ، ولا تتعدى القرآن والحديث ، فتقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا تتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الوصفين ، يؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابه ، ولا تزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنته ، ووصف وصف به نفسه من كلام ، وخلوه بعبده ، ووضعه كنفه عليه ، هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا بدعة . والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا بما وصف به نفسه ، سميع بصير ، لم يزل متكليماً غفوراً عالماً ، عالم الغيب والشهادة ، علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه ، لا ترد ولا تدفع ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٧ كيف شاء ، المشيئة إليه عز وجل ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه ، سميع بصير بلا حد . ولا تقدير قول إبراهيم لأبيه (لم تعبد حسداً لا يسمع ولا يبصر) مريم : ٢٢ فثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لا تتعدى القرآن والحديث والخبر : يصحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ، وثبت القرآن ، لا يصفه الوصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة . قلت له : والمشبهة ما يقولون ؟ قال : من قال : بصر كبصري ، ويد كيدي . انتهى .

قوله : فالتناس بين معطل أو مثبت الخ . . . المعطلة ، كالجهمية ، والمعتزلة . والمثبتة ، يعني السلف وأتباعهم . والثالث المتناقض ، كالذين

يشتون بعض الصفات ، وينفون بعضها ، ولهذا قال الناظم : فتي أقر بعض ذلك مثبت لزم الجميع ؛ أي : إنه يلزمكم إذا أنتم بعض الصفات أن تثبتوا جميعها ، وإلا فانفوها جميعها ، اذ ليس بأيديكم فرق صحيح ، وسيأتي إبطال ما فرقوا به في كلام الناظم رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

وقوله : ديسان . قال الناظم في « إغاثة اللفهان » وحكي أرباب المقالات عنهم ، أي عن الثنوية أن قوماً منهم يقال لهم : الديصانية ، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة^(١) ، وكانت تحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم - زماناً ، فتأذى بها ، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيها عنه ، فتوحد فيها^(٢) واختلط بها ، فتركب من بينها هذا العالم المشتغل على الظلمة والنور ، فما كان من جهة الصلاح ، فمن النور ، وما كان من جهة الفساد ، فمن الظلمة . قال : وهؤلاء يغتالون الناس ويخنفونهم ، ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك ، وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم . انتهى . وقوله : القدماء ، يعني الفلاسفة .

او قاتلوا مع يمة^(٣) التجسيم والتشبيه تحت لواء ذي القرآن
أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان
فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه ببيانه
والناس بين مصدق أو جاحد أو بين ذلك أو شبيهه أثنان
فاصنع من التنزيه ترساً محكماً وانف الجميع بصنعة وبيان
وكذلك لقب مذهب الإثبات بالتجسيم ثم احمل على الأقران

(١) في الاصل حسنة . (٢) في الاصل : فتوحد عليها .

(٣) أي مع أمة ، وجذفت الهمزتان اضرورة الوزن .

فتى سمحت لهم بوصف واحد حلوا عليك بحملة الفرسان
فصرعت صرعة من غدا متلبظاً وسط العرين ممزق اللحمان
فلذاك أنكرنا الجميع مخافة التجسيم ان صرنا الى القرآن
ولذا خلعتنا ربة الأديان من أعناقنا في سالف الأزمان
ولنا ملوك قاوموا الرسل الألى جاءوا بأثبات الصفات كان
في آل فرعون وقارون وهما مان ونمروذ وجنكسخان

قوله : جنكسخان ، ويقال : جنكزخان ، وهو طاغية التار ، وملكيهم
الأمر الذي خرب البلاد ، ولم يكن للتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية
الصين ، فملكه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه
سنة (٥٩٩ هـ)^(١) واستولى على بخارى وسمرقند ١٥ سنة ، واستولى على
مدين خراسان ١٧ سنة ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم
سماه على نهر السند ، ووصل إلى مدينة سكب من بلاد الحظا ، فمضى بها
بومات في ربيع شهر رمضان ٦٢٤ سنة فسكانت أيام ملكه خمساً وعشرين سنة .
وكان اسمه قبل أن يلي الملك قرجي ، ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف
من الأولاد ستة ، وفوض الأمر إلى أركناي أحدهم بعد ما استشار خمسة
الباقيين ، فلما مات امتنع أركناي من الملك ، وقال : في إخواني وأعمامي
من ههنا أكبر مني ، فلم يؤلوا به بعد أربعين يوماً حتى تلك عليهم ، ونقبوه :

(١) في الإمل : « ٥٩٠ » وهو خطأ ، والتصحيح من « البداية والنهاية » لابن كثير .

القان الأعظم ، ومعناه : الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات ،
وطالت أيامه ، وولي بعده الامر موتكوكا ، وهو القان الذي هو لاكو
من بعض مقدميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي
في الأمر إلى سنة ٧٤٤ ومات بمدينة خان بالتي ، يقال : إنه لما كان السلطان
خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ، ويقتلهم ، ويسبي ذرارهم وأولادهم ،
ويمنعهم الخروج عن حدود بلادهم ، اجتمع^(١) التتار ، وشكوا ما يلاقون^(٢) من
خوارزم شاه ، وما هم فيه من الضيق والبلاء . فقال لهم جنكزخان : إن
ملكتموني عليكم والتزمتهم لي بالطاعة واتباع الذي أضعه لكم
شرعة ، رددت خوارزم عنكم ، فالتزموا له بذلك ، وكان بما وضعه لهم أن
قال : كل من أحب امرأة بنتاً كانت أو غيرها ، لا يمنع من التزوج ،
ولو كان زبالاً والمرأة بنت ملك ، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة
شديدة^(٣) ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على
خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنة عشرين سنة ؛ فما جاءت العشرون سنة إلا
وهم أمم لا يحصون ، ولا يحصرون . وكان من جملة ماقرره أنه إذا حرم
القان على أحد شيئاً ، فلا يحل له إلى أن تأتيه الممات ، وقرر لهم أن (من) رغب
وهو يأكل قتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمتض حكم اليسق
قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ، لعلمه أنهم يداخلهم
الحسد له ، ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سباطه ، فرغب فلم يجسر
أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرر ،
وهاجوه في ذلك ، فتركهم أياماً ، وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتكم حكم

(١) في الاصل : اجتمعوا

(٢) في الاصل : يلاقوا .

(٣) في الاصل شديد .

اليسق في ، وقد رعت وانا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك .
فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل
أكبرهم ، واستراح منهم . وترك يزعمون أنه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم
أماكن فيها غاب الغاب ، لا يقربه أحد من الذكران ، وأن أمه أعتقت
فرجها ، وراحت الى ذلك الغاب وغابت فيه مدة ، وأنتم
وقالت : هذا من الشمس ، لأن الشمس دخلت في فرجي بعض الأيام وأنا
أغتسل ، فحلت بهذا . ويقال : إنه كان حداداً ، والله اعلم ، كذا في
« تالويخ ابن شاكر »

قوله : أتان بفتح الهزة : هي الأنثى من الحير . قال ابن السكيت :
ولا يقال أتانة : وجمع القلة : أتن ، مثل عتق وأعتق ، وجمع الكترة :
أتن بضمتين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

ولنا الأئمة كالفلاسفة الألى لم يعبؤوا أصلاً بذي الأديان
منهم أرسطو ثم شيعته إلى هذا الأوان وعند كل أوان
ما فهم من قال إن الله فو والعرش خارج هذه الأوان
كلا ولا قالوا بأن إلها متكلم بالوحي والقرآن
ولأجل هذا رد فرعون على موسى ولم يقدر على الإيمان
إذ قال موسى ربنا متكلم فوق السماء وأنه ناداني

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا أتباعه بل صانعوا بدهان
وكذلك الطوسي لما أن غدا ذا قدرة لم يخش من سلطان
قتل الخليفة والقضاة وحاملي القرآن والفقهاء في البلدان
إذ هم مشبهة مجسمة وما دانوا بدين أكابر اليونان
ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل والتشبيه آل سنان
ولنا تصانيف بها غاليتم مثل «الشفاء» و«رسائل الاخوان»
وكذا الاشارات التي هي عندكم قد ضمنت لقواطع البرهان
قد صرحت بالضد مما جاء في التوراة والانجيل والفرقان
هي عندكم مثل النصوص وفوقها في حجة قطعية وبيات
وإذا تحاكمنا فان اليهم يقع التحاكم لا إلى القرآن
إذ قد تساعدنا بأن نصوصه لفظية عزلت عن الايقان
فلذلك حكمنا عليه وأنتم قول المهمل أولاً والثاني
يا ويح جهم وابن درهم والألى قالوا بقولهما من الخوارج
بقيت من التشبيه فيه بقية نقضت قواعده من الأركان
ينفي الصفات مخافة التجسيم لا يلوي على خبر ولا قرآن
ويقول إن الله يسمع أو يرى وكذلك يعلم سر كل جنان

ويقول إن الله قد شاء الذي هو كائن من هذه الاكوان
ويقول إن الفعل مقدور له والكون ينسب له الى الحدائق
وبنفية التجسيم يصرخ في الورد والله ما هذان متفقان
لكننا قلنا محال كل ذا حذراً من التشبيه والإمكان

أما ابن سينا ، فهو على ما في « تاريخ ابن خلكان » وغيره . أبو علي
الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري (والده من بلخ . سكن بخارى
أيام الأمير نوح ، ثم تزوج امرأة بقرية (أفشنة) وبها ولد أبو علي المذكور
الملقب بالرئيس ، وختم القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقرأ الحكمة على
أبي عبد الله الناطلي ، وحل إقليدس ، والمجسطي ، والطب ، وهو ابن ثمانين
عشرة سنة ، ثم انتقل من بخارى الى جرجان وغيرها ، ثم اتصل بخدمة
مجد الدولة ابن بويه بالري ، ثم خدم قابوس بن شكمير ، ثم قصد علاء
الدولة ابن كاكويه بأصبهان ، وتقدم عنده ، ثم مرض بالصرع ، والقولنج ،
وترك الحمية ، ومضى الى همدان مريضاً ومات بها سنة ٤٢٨ أربع مائة وثمان
وعشرين ، وعمره إحدى وخمسون سنة^(١) . قل ابن خلكان : ثم إن ابن
سينا لما أيس من العافية على ما قيل ، ترك المداواة ، واغتسل ، وتاب ،
وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه ، وأعتق ممالئكه ،
وجعل يحتج في كل ثلاثة ختمة . مات بهمدان يوم الجمعة من شهر رمضان
وقيل : مات في السجن ، وولادته سنة ثلاثمائة وسبعين ، والله أعلم . وله
نحو مائة مصنف ، منها كتاب « الشفاء » في الحكمة « والاشارات » ، وفي
الطب « القانون » وغيره ، وله شعر ، ومنه القصيدة المشهورة
في الروح ، وهي :

(١) في الأصل : ومات سنة اربعمائة وثمان وثلاثين سنة ، وعمره ثمان وخمسون سنة
وهو خطأ ، والتصحيح من « الاعلام » و « وفیات الاعيان » .

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأما النصير الطوسي . فهو محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين الطوسي ، صاحب « الرياضي » ، « و » « الرصد » ، كان رأساً في علم الأوائل ، لا سيما في الأرصاد ، والمجسطي ، فانه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي ، وغيره ، وكان ذا حرمة رافرة ، ومنزلة عالية عنده ولا كو ، وكان يطيعه فيما يشربه عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى بـ (مراغة) قبة ، ورصداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، والأها من الكتب التي نهبت من بغداد ، والشام ، والجزيرة ، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد ، وقرر بالرصد المنجمين ، والفلاسفة ، والعقلاء ، وجعل له أوقافاً ، وكان حسن الصورة ، سمحاً كريماً ، جواداً حليماً ، حسن العشرة ، غزير الفضائل ، واختصر « المحصل » للامام فخر الدين ، وهذب ، وزاد فيه ، وشرح « الاشارات » ورد على الامام فخر الدين في شرحه ، وقال : هذا جرح ، وما هو بشرح . وقال فيه : حررته في عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً . ومن تصانيفه « التجريد » في المنطق و « أوصاف الاشراف » و « قواعد العقائد » و « التلخيص » في الكلام و « شرح كتاب ثرة بطليموس ^(١) » ، وكتاب « المجسطي » و « شرح مسألة العلم » و « رسالة الإمامة » ورسالة الى نجم الدين الكاتبي في إثبات الواجب ، وحواشي على كليات « القانون » وغير ذلك . وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي : أخذ النصير العلم من كمال الدين بن يونس الموصلية ، ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي ، وغيرهما ، وكان منجماً لا ثقاً ^(٢) بعد أبيه ،

(١) في الاصل : « وشرح الهمزة لبطليموس » ، والتصحيح من كتاب « الاعلام » .

(٢) هذه الكلمة لم تكن واضحة في الأصل .

وكان يعمل الوزارة هو لاكو ، من غير أن يدخل يده في الأموال ، واحتوى على عقله ، حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به ، ومولد النصير بطوس ٥٩٧ سنة سبع وتسعين وخمسة ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين ومائة ببغداد ، ودفن في مشهد الكاظم . انتهى ملخصاً من « تاريخ ابن شاكر »

قلت : ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في « منهاج السنة النبوية » في الرد على ابن المطهر الرافضي لما ذكر قوله : قال شيخنا الأعظم خواجه نصر الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، الى آخر ما ذكر ابن المطهر . فقال الشيخ في الجواب :

الجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا الامامي قد كفر من قال : إن الله موجب بالذات ، كما تقدم من قوله : يلزم أن يكون موجباً بذاته لا مختاراً ، فيلزم الكفر ، وهذا الذي جعله شيخه الاعظم ، واحتج بقوله ، هو من يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقديم العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب « شرح الاشارات » له ، فيلزم على قوله أن يكون شيخه هذا الذي احتج به كافراً ، والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين .

الثاني : ان هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الاسماعيلية بالألموت ، ثم لما قدم الترك المشركون الى بلاد المسلمين ، وجأؤا الى بغداد دار الخلافة ، كان هذا منجماً مشيراً للملك الترك المشركين هو لاكو . أشار عليه بقتل الخليفة ، وقتل أهل العلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا ، وأنه استولى على الروقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء

المشركين وشيوخهم من النجسية السحرة وأمثالهم ، وإنه لما بنى الرصد الذي
(بمراغة) على طريقة الصابئة ، كان أخس الناس نصيباً منه من كان إلى أهل الملل
أقرب ، وأوفرهم نصيباً من كان أبعد عن الملل ، مثل الصابئة المشركين ،
ومثل المعطلة ، وسائر المشركين ، وإن ارتزقوا^(١) بالنجوم والطب ونحو ذلك .
ومن المشهور عنه وعن أتباعه ، الاستهتار بواجبات الاسلام وحرماته ،
لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ، ولا يزعون عن محارم الله من الفواحش
والخمر وغير ذلك من المنكرات ، حتى إنهم في شهر رمضان يذكرونهم من
إضاعة الصلوات ، والفواحش ، وشرب الخمر ، ما يعرفه أهل الخبرة بهم ،
ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود
والنصارى ، ولهذا كلما قوي الاسلام في المغول^(٢) وغيرهم من الترك ،
ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للاسلام وأهله ، ولهذا كانوا من أنقص الناس
منزلة عند الأمير نوروز المجاهد في سبيل الله الشهيد الذي دعا ملك المغول غازان
إلى الاسلام ، والتزم له أن ينصره إذا أسلم ، وقتل المشركين الذين لم يسلموا
من النجسية السحرة وغيرهم ، وهدم البدخانات ، وكسر الأصنام ، ومزق
سدنها كل ممزق ، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهر
الاسلام في المغول وأتباعهم .

وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه في الاسلام والمسلمين أشهر وأعرف
من أن يعرف ، ويوصف ، ومع هذا فقد قيل : إنه كان في آخر عمره
يحافظ على الصلوات الخمس ، ويشغل بتفسير البغوي ، وبالقرآن ، ونحو ذلك ،
فإن كان قد تاب من الخلل ، فإله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات ، والله يقول : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) إنه هو الغفور الرحيم الزمر : ٣٣ لكن ما ذكره

عنه هذا ، إن كان قبل التوبة ، لم يقبل قوله ، وإن كان بعد التوبة ، لم يكن قد تاب من الرفض ، بل من الإلحاد وحده . وعلى التقديرين ، فلا يقبل قوله ، والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجماً للمغول المشركين ، والإلحاد معروف من حاله إذ ذاك . انتهى كلام شيخ الاسلام .

وقول الناظم : آل سنان . هو سنان البصري الذي كان يحصرون الاممالية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة . وأما « الشفاء » فهو من مصنفات ابن سينا ، وكذا « الاسارات » ، من تصانيفه أيضاً . وقوله : « رسائل الاخوان » هي « رسائل اخوان الصفا » وهي على ما في « كشف الظنون » و « شرح عقيدة السفاريني » إحدى وخمسون رسالة ، وهي أصل مذهب القرامطة ، وربما نسبوها الى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويحاً . وقد صنف بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه ، أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالقدسسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد النهر جوري ، والعرفي يزيد بن رفاعة ، كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة ، وفي « فتاوى ابن حجر الحديثة » ما نصه : نسبها كثير الى جعفر الصادق ، وهو باطل ، وإنما الصواب أن مؤلفها مسامة بن قاسم الأندلسي ، كان جامعاً لعلوم الحكمة ، من الالهيات ، والطبيعات ، والهندسة ، والتنجيم ، وعلوم الكيمياء وغيرها ، واليه انتهى علم الحكمة بالأندلس ، وعنه أخذ حكماءها . وتوفي سنة ٣٥٣ . ومن ذكره ابن بشكوال ، وكتابه فيه أشياء حكيمية ، وفلسفية ، وشرعية . انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « المنهاج » : حتى إن طائفة من الناس يظنون أن « رسائل إخوان الصفا » مأخوذة عن جعفر الصادق ، وهذا من الكذب المعلوم ، فإن جعفر أ توفي سنة ١٤٨ ثمان وأربعين ومائة ، وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة ، وضعت لما ظهرت دولة الاسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية ، سنة بضع وخمسين وثلاثمائة ، وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، فأظهروا اتباع الشريعة ، وأن لها باطناً مخالفاً لظاهرها ، وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة ؛ وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل ؛ وضعها طائفة من المتفلسفة ؛ معروفون ؛ وقد ذكروا في أثنائها ما استولى عليه النصارى من أرض الشام ؛ وكانت أول ذلك بعد ثلاثمائة سنة ٣٠٠ من الهجرة النبوية في أوائل المائة الرابعة . انتهى كلامه . قول الناظم :

فلذاك حكمنّا عليه وأنتم قول المعلم أولاً والثاني

المعلم الأول أرسطاطاليس ؛ والمعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي : وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي ، صاحب المصنفات المشهورة في المنطق ؛ والحكمة ؛ والموسيقى التي من ابتغى الهدى فيها أضله الله . مات سنة ٣٣٩ تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وله نحو من ٨٠ سنة . قوله :

يا ويح جهنم وابن درهم والآلى قالوا بقولهما من الحوران

هذا على سبيل التكم ، وإلزام جهنم والجعد بن درهم التناقض ؛ أي : إن الجهنم يقول : ، إن الله يسمع ، ويرى ، ويعلم ، ويثبت المشيئة والعلم لله ، ومع ذلك ينفي التجسيم ؛ أي فالتجسيم لازم له إذا أثبت هذه الصفات ، وهذا من الحور ، أي الضعف .

قوله : يا ويح . ويح : كلمه ترحم وتوجع ، يقال لمن وقع في
هلكة لا يستحقها . قال في « القاموس » : ويح لزيد ، وويحاً له : كالمه
رحمة ، ورفعته على الابتداء ، ونصبه بإخبار فعل ، وويح زيد ، ويا ويحه ،
بنصبها أيضاً ، وويحاً زيد بمعناه ، وأصله : وي ، فوصلت بحاء مرة ،
وبلام مرة . انتهى .

قال شيخ الاسلام في كتابه « التسعينية » : وكذلك الجهمية على ثلاث
درجات ، فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وإن سموه بشيء
من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بجي ،
ولا عالم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا يكلم ، ولا يتكلم ،
وكذا وصف العلماء حقيقة قولهم ، كما ذكره الامام أحمد فيما خرجه في
الرد على الزنادقة والجهمية ، قال : فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون
شيئاً ، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشبهة بما يقرون في العلانية . فاذا قيل
لهم : فمن تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر هذا الخلق . فقلنا : فهذا الذي
يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قد
عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً ، انما تدفعون عن انفسكم الشبهة بما
تظهرون ، فقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم
ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجراحة ، والجوارح عن الله منفية .
واذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم
إنما يقودهم قولهم الى ضلال وكفر . قال : وقال ابو الحسن الأشعري في
« المقالات » : الحمد لله الذي بصرنا خطأ الخطئين ، وعمى العميين ، وحيرة
المتحيرين ، الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا : ان الله جل ثناؤه
وتقدس أسمائه ، لا صفات له ، ولا علم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ،

ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزة له ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ، ولا كبرياء له . وكذلك قالوا في سائر صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه . قال : وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن العالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ، ولا قادر ، ولا حي ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولاقدير ، وعبروا عنه بأن قالوا : نقول : عين لم يزل ، ولم يزيدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه ، فنقوا أن يكون للباري ، علم ، وقدرة ، وحياة ، وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ، ولأفصحوا به ، غير أن الخوف يمنعهم من إظهار ذلك . قال : قد أفصح بذلك رجل يعرف بـ (ابن الأبيدي) كان ينتحل قولهم ، فرغم أن الباري ، عالم ، قادر ، سميع ، بصير في المجاز لا في الحقيقة ، وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للأسماء حقيقة ، هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة الفلاسفة .

والدرجة الثانية من التجهم ، هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ، لكن ينقون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة ، الصفاتية المبتنون الخالفون للجهمية . لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردن طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ، إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى . وقد تقدم ما ذكره شيخ الإسلام في موضع آخر . والجهم هو

اعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللأسماء الحسنى .

قوله : من جنس قول الباطنية القرامطة . حتى ذكروا عنه أنه لا يسمى الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق ، لأن ذلك يزعمه من التشبيه والممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية ، وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ، إذ كان هو رأس المجبرة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .
قال الناظم :

فصل

في قدوم ركب الايمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا قد جئتمكم من مطلع الايمان
من أرض طيبة من مهاجر أحمد بالحق والبرهان والتيمان
سافرت في طلب الإله فدلني الهادي عليه ومحكم القرآن
مع فطرة الرحمن جل جلاله وصريح عقلي فاعتلى ببيان
فوافق الوحي الصريح وفطرة الرحمن والمعقول في إيمان
شهدوا بأن الله جل جلاله متفرد بالملك والسلطان
وهو الإله الحق لا معبود إلا وجهه الأعلى العظيم الشأن
بل كل معبود سواه فباطل من عرشه حتى الخضيض الداني

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العباداة دائر مدار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالاخلاص والاحسان إنهما له أصلان
لم ينبج من غضب الإله وتارة إلا الذي قامت به الأصلا
ينج بفتح الياء وضم الجيم ، مبني للفاعل ؛ أي : لم ينبج من غضب الإله
وناره إلا الذي قام به الاخلاص والاحسان .

والناس بعد فمرك بآله أو ذو ابتداء أوله الوصفان
والله لا يرضى بكثرة فعلنا لكن بأحسنه مع الإيمان
يشير إلى قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليلوكم أيكم أحسن
عملاً) الملك : ٢ قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟
فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً
ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون
له ، والصواب : أن يكون على السنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالعارفون مرادهم إحسانه والجاهلون عموماً عن الاحسان
وكذاك قد شهدوا بأن الله ذو سمع وذو بصر هما صفتان
وهو العلي يرى ويسمع خلقه من فوق عرش فوق ست ثمان

غيرى ديب النمل في غسق الدجى ويرى كذاك تقلب الأجفان
وضجيج أصوات العباد بسمعه ولديه لا تشابه الصوتان
وهو العليم بما يوسوس عبده في نفسه من غير نطق لسان
بل يستوي في علمه الداني مع القاصي وذو الأسرار والإعلان
وهو العليم بما يكون غداً وما قد كان والمعلوم في ذا الآن
وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون موجوداً لذى الأعيان
وهو القدير فكل شيء فهو مقدور له طوعاً بلا عصيان
وعوم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان
هي خلقه حقاً وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران
لكن أهل الجبر والتكذيب بالأقدار ما انفتحت لهم عينان
نظروا بعيني أعور إذ فاتهم نظر البصير وغارت العينان
فحقيقة القدر الذي حار الوري في شأنه هو قدرة الرحمن
وامتحن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الرباني
قال الامام شفا القلوب بلفظة ذات اختصار وهي ذات بيان
أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى اثبات صفات الله تعالى التي نطق بها
كتابه ، وسنة رسوله ﷺ . ومذهب سلف الأمة وإئمة ، إثبات صفات الله

تعالى التي ورد بها الكتاب ؛ وصحيح السنة وحسنها ؛ إثباتاً بلا قتييل ؛
وتنزيها بلا تعطيل ؛ خلافاً للجهمية ، والمعتزلة ، والاشاعرة ، والأمر كما
قال نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ،
ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، أو
وصفه به رسوله تشبيهاً . انتهى . بل هو إثبات على ما يليق بجلال الله وعظمته
وكبريائه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قوله : وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون السخ . وذلك نحو
خبر الله عن أهل النار أنهم (لو ردوا لعادوا الى ما نهوا عنه) الانعام : ٢٨
وأنه (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الأنفال : ٢٣ وأنه (لو كانت
فيها آلهة الا الله لفسدنا) الأنبياء : ٢٢ وأنه (لو كانت معه آلهة كما
يقولون لاذأ لا بتغوا الى ذي العرش سبيلاً) الاسراء : ٤٢ وأنه (لو خرجوا
فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) التوبة : ٤٧ وأنه (لولا فضل الله عليكم ورحمته
مازكى منكم من أحد أبداً) النور : ٢١ ونحو ذلك . وقد تقدمت
الإشارة الى إثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى ، وكذلك تقدم الكلام
في خلق أفعال العباد .

وأما الكلام في القدر ، فهو طويل ، ولكن نشير الى ذلك إشارة ،
فنقول : قول الناظم رحمه الله : لكن أهل الجبر والتكذيب بالأقدار السخ...
أي : إن الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العباد مجبورين على
أفعالهم من الطاعات والمعاصي ، فأفعال العباد عندهم بمنزلة تحريك الهواء
للأشجار ، وبمنزلة حركة المرتعش . وقابلهم النفاة للقدر ، وهم الذين جعلوا
أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى .

وقد روى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ،

عن يحيى بن يعمر قال : كنت أول من تكلم بالقدر في البصرة معبد الجهنى ،
فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الجهمري حاجين أو متمرين ، فقلنا : لو
لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ،
فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلاً المسجد ، فاستنقته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي
سيكمل الكلام لي . فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون
القرآن ، ويتقرون العلم ، يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر انق . فقال :
إذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أي منهم بريء ، وأنهم مني برآء ، والذي يحلف
به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً ، فأنفقه في سبيل الله ،
ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي
عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ طلع علينا رجل شديد
بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا
أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبته إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على
فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . قال رسول الله ﷺ : « الإسلام
أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي
الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال :
صدقت ، فعبنا له ، يسأله ويصدق ، قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : « أن تؤمن
بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال :
صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن
تراه فإنه يراك » . قال فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسؤول عنها بأعلم
من السائل » قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : « أن تلد الأمة ربها ، وأن
تؤي الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال : فانطلق
فلبست ثلاثاً . وفي رواية مسلم : ملياً ، ثم قال : « يا عمر ، أتدري من

السائل ؟ » قلت : الله ورسوله اعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ؛ حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبا عبد الله أوصني ، واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فقال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبا عبد الله ، كيف أعلم ماخير القدر وشره ؟ قال : أن تعلم أن ماأخطأك لم يكن ليصيبك ؛ وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب . وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى ، وإعاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهما ليعلنن أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) الطلاق : ١٢

وقد قال الامام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر ، قال : القدر قدرة الرحمن ، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد ، كما ذكره الناظم . والمعنى أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء . ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى ، فضلوا عن سواء السبيل .

وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا .

وفي المسند « و » سنن أبي داود « عن ابن الديلمي ، واسمه عبد الله

ابن فيروز ؛ قال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت .
 مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا
 لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ؛ فقال مثل ذلك ،
 ثم أتيت حذيفة بن اليمان ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد بن ثابت .
 قال : فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك . وأخرجه ابن ماجه . وقال
 العماد بن كثير رحمه الله : عن سفيان ، عن منصور ، عن ربيعة بن خراش
 عن رجل ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
 « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله
 بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره » .
 وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور به .
 ورواه من حديث أبي داود الطيالسي : عن شعبة ، عن ربيعة ، عن علي . . .
 فذكره .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن
 أبي هانئ الخولاني ، عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب مقادير الخلق
 قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » زاد ابن ودب : « وكان
 عرشه على الماء » ورواه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب .

وكل هذه الأحاديث ، وما في معناها ، فيها الوعيد الشديد على عدم
 الإيمان بالقدر ، وهي البرجة على نقاة القدر من المعتزلة وغيرهم . ومن مذهبه
 تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر ،

وأعظم المعاصي . وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجّة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا ، وهذا لازم لهم على مذهبهم ، هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وله الحياة كلها فلاجل ذا ما للبهات عليه من سلطان
وكذلك القيوم من أوصافه ما للثنام لديه من غشيان
وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان
فصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقاً ذاك الوصفان
ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذو عمران
اسما الاله الأعظم اشتملا على اسم الحي والقيوم مقترنان
فالكل مرجعها إلى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشأن

أي : ومصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقاً، ذاك الوصفان ، وقوله : ولأجل ذا جاء الحديث الخ ... أي : جاء الحديث بأن الحي القيوم ، هما : اسما الله الأعظم . يشير إلى ما رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه الترمذي وصححه ، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله

عنها ، أن النبي ﷺ قال « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ ، وفاحة سورة آل عمران (آلم . الله لا اله الا هو الحي القيوم)

واخرج الامام احمد ، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت وهو يصلي ، وهو يقول : اللهم اني أسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت ، يا حنان يا منان ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله ﷺ : « لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى » . رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وزاد هؤلاء الاربعة^(١) : « يا حي ، يا قيوم » - وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وزاد الحاكم في رواية له - « أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار » .

وفي « جلاء الأفهام » لتناظم قال : وفي « مسند أبي يعلى » الموصلي عن بعض الصحابة أنه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم ، فرأى في منامه مكتوباً في السماء بالنجوم : يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والاكرام . انتهى .

وله الارادة والكرامة والرضى وله المحبة وهو ذو الاحسان
وله الكمال المطلق العاري عن التشبيه والتمثيل بالانسان
وكال من أعطى الكمال بنفسه أولى وأقدم وهو أعظم شان
أيكون قد أعطى الكمال وماله ذاك الكمال اذ ذاك ذو إمكان؟
أيكون إنسان سمياً مبصراً متكاملاً بشيئة وبيان؟

(١) اي: أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان . والحاكم .

وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكلية والأعيان
والله قد أعطاه ذاك وليس هذا وصفه فاعجب من البهتان
بخلاف نوم العبد ثم جماعه والأكل منه وحاجة الأبدان
إذ تلك ملزومات كون العبد محسناً وتلك لوازم النقصان
وكذا لوازم كونه جسداً نعم ولوازم الاحداث والامكان
يتقدس الرحمن جل جلاله عنها وعن أعضاء ذي جنان

قوله : وله الكمال المطلق الخ ... اعلم أن العلم الإلهي لا يجوز أن
يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمول
تستوي أفراداً ، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ،
ولا يجوز أن يدخل هو وغيره في قضية كليه تستوي أفرادها ، ولهذا لما
سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الالهية ،
لم يصلوا بها الى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة
والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً ، كما
قال تعالى : (والله المثل الأعلى) النحل : ٦٠ مثل أن يعلم أن كل كمال
ثبت للممكن أو للحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه - وهو ما كان كمالاً
الموجود ، غير مستلزم للعدم - فالواجب القديم أولى به ، وكل كمال لا نقص
فيه بوجه من الوجوه ، ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعول المدبر ، فانما استفادته
من خالقه وربّه ومديره ، فهو أحق به منه ، وأن كل نقص وعيب في نفسه

- وهو ما تضمن سلب هذا الكمال - اذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فانه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى ، وأنه أحق بالامور الوجودية من كل موجود . وأما الامور العدمية ، فلممكن المحدث بها أحق ، ونحو ذلك ، ومثل هذه الطرق ، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب ، كما استعمل نحوها الامام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة الاسلام ، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في التوحيد والصفات والمعاد ، ونحو ذلك . أفاده شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » .

والله ربي لم يزل متكلماً وكلامه المسموع بالأذان
صدقا وعدلاً أحكمت كلماته طلباً وإخباراً بلا نقصان

شرح الناظم رحمه الله تعالى في إثبات حفة الكلام ، وقد ذهب جمهور أهل الحديث وأئمتهم الى أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الالهية ، وهو كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ، ليس ببيان (ولا) مخلوق ، ولا يقولون : انه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا إن كلام الله من حيث هو حادث ، بل ما زال متكلماً إذا شاء ، وإن كان كالموسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لا ينفد ، كما قال تعالى : (قل لو كان البحر ممداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) الكهف : ١٠٩ الآية . ويقولون بما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة ، فلا ينفون عن الله سبحانه وتعالى صفات الكمال ، ويعملونه كالمجادات التي تتكلم ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، فلا تكلم عابديها ، ولا تهديهم سبيلاً ، ولا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً . ومن

جعل كلام الله لا يقوم الا بغيره ، كان المتصف به هو ذلك الغير ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (انني انا الله) طه ١٤ ولهذا امتد نكير السلف على من قال ذلك ، وقالوا: هذا نظير قول فرعون (انا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ أي : هذا كلام قائم بغير الله ، وهذا كلام قائم بغير الله ، وأهل هذا القول الموافق للسلف لا يقولون : إن الرب كان مسلوب صفات الكمال في الأزل ، وإنه كان عاجزاً عن الكلام حتى حدث له قدرة عليه كالطفل ، والذين يقولون : إن القرآن مخلوق ، يجعلون الكلام لغيره ، فيسلبونه صفات الكمال ، ويقولون : إنه لا يقدر على الكلام في الأزل ، لا على كلام مخلوق ولا غيره ، وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام ، فهو لازم لقولهم .

قوله : وكلامه المسموع بالأذان . أي : إن كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عليه السلام ، وكما سمع موسى عليه السلام .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

ورسوله قد عاذ بالكلمات من لدغ ومن عين ومن شيطان
أي عاذ بالمخلوق حاشاه من الإيثارك وهو معلم الإيمان؟!
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القرآن عين كلامه المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله اللفظ والمعنى بلا روغان

لكن أصوات العباد وفعلهم	كمدادهم والرق مخلوقات
فالصوت للقاري ولكن الكلا	م كلام رب العرش ذي الاحسان
هذا اذا ما كان ثمّ وساطة	كقراءة المخلوق للقرآن
فاذا انتفت تلك الوساطة مثلاً	قد كلم المولود من عمران
فهناك المخلوق نفس السمع لا	شيء من المسموع فافهم ذان
هذي مقالة أحمد ومحمد ^(١)	وخصومهم من بعد طائفتان
إحداهما زعمت بأن كلامه	خلق له ألفاظه ومعان
والآخر زأبوا وقالوا شطره	خلق وشطر قام بالرحمن
زعموا القرآن عبارة وحكاية	قلنا كما زعموه قرآنات
هذا الذي نتلوه مخلوق كما	قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقائم	بالنفس لم يسمع من الديان
والأمر عين النهي واستفهامه	هو عين اخبار وذو وحدان
وهو الزبور وعين توراة وإن	جيل وعين الذكر والفرقان
الكل شيء واحد في نفسه	لا يقبل التبعض في الازهان
ما إن له كل ولا بعض ولا	حرف ولا عربي ولا عبراني
ودليهم في ذاك بيت قاله	فيما يقال الأخطل النصراني

(١) اي: محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح » .

يا قوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتمدوا لبيان
ولا جل ذا جعلوا المسيح إلههم إذ قيل كلمة خالق رحمان
ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا هو تاً قديماً بعد متحدثان
ونظير هذا من يقول كلامه معنى قديم غير ذي حدثات
والشطر مخلوق وتلك حروفه ناسوته لكن هما غيران
فانظر الى ذا الاتفاق فانه عجب وطالع سنة الرحمن
وتكايست أخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان
تلك التي ذكرت ومعنى جامع لجميعها كالأس للنبات
فيكون أنواعاً وعند نظيرهم أوصافه وهما فتنفقان
ان الذي جاء الرسول به لموق ولم يسمع من الديان
والخلف بينهم فليل محمد أنشاه تعبيراً عن القرآن
والآخرون أبوا وقالوا إنما جبريل أنشاه عن المنان
وتكايست أخرى وقالت إنه نقل من اللوح الرفيع الشأن
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد أنشاه خلقاً فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانظر ترى في كتبهم يامن له عيان
لكن أهل الحق قالوا إنما جبريل بلّغه عن الرحمن

ألقاه مسموعاً له من ربه الصادق المصدوق بالبرهان

قوله : ورسوله قد عاذا بالكلمات الخ . . أقول : احتج الامام احمد وغيره ، على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلمات الله في غير حديث . فقال : « أعوذ بكلمات الله التامة » ففي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يقول - يوذ الحسن والحسين « أعيد كما بكلمات الله التامة » وذكر الحديث . وفي « صحيح مسلم » عن خوة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء » ، حتى يرحل من منزله ذلك . . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من قال حين يمسي : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وذكر الحديث ، وذلك في أحاديث أخر . قال أحمد وغيره : ولا يجوز أن يقال : أعيدك بالسما ، أو بالجبال ، أو بالأنبياء ، أو بالملائكة ، أو بالعرش ، أو بالأرض ، أو بشيء مما خلق الله ، ولا يتعوذ إلا بالله ، أو بكلماته . قال البيهقي : ولا يصح أن يستعين من مخلوق بمخلوق ، فدل على أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته . وذاته غير مخلوقة . ثم قال : وبلغني عن أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

وقول الناظم : هو قول ربي كله لابعضه الخ . هذا إشارة إلى قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، ومن اتبعه ، كالقلانسي ، وأبي الحسن الأشعري ، وغيرهم : إن كلام الله معنى قائم بذات الله ، هو الأمر بكل مأمور أمر به ، والحبر عن كل مخبر أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان تورا ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . والأمر والنهي والحبر ليست أنواعاً له ينقسم الكلام إليها ، وإنما

كلها صفات له اضافية ، كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابن لزيد ، وعم لعمر ، وخال لبكر ، والقائلون بهذا القول موافقون للمعتزلة ، في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق ، وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا ، والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ، وأن المعتزلة يقولون : إن المخلوق كلام الله ، والأشعرية لا يقولون : إنه كلام الله ، نعم يسمونه كلام الله مجازاً ، هذا قول جمهور متقدميهم . وقالت طائفة من متأخريهم : لفظ الكلام يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا ، وعلى الكلام النفسي بالاستراك اللفظي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لكن هذا ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به ، وهم مع هذا لا يقولون : إن المخلوق كلام الله حقيقة ، كما يقوله المعتزلة مع قولهم : إن كلامه حقيقة ، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله ، وهو كلامه حقيقة .

قال شيخ الإسلام : وهذا شر من قول المعتزلة ، وهذا حقيقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه ، فقول المعتزلة أقرب . قال : وقول الآخرين وهو قول الجهمية المحضة ؛ لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء ، وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني : إن هؤلاء يقولون : كلام الله هو معنى قديم قائم بذاته ، والخلقية يقولون : لا يقوم بذاته كلام ، ومن هذا الوجه ، فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر . ولكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون : إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق ؛ لأنهم يقولون عن الكلام النفسي : إنه معنى واحد ، هو الأمر والنهي ، والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية

كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . وجهور العقلاء يقولون :
إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام ، فانا إذا عربنا التوراة
والانجيل ، لم يكن معناه معنى القرآن ، بل معاني هذا ليست معاني هذا ،
وكذلك (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى
(آية الكرسي) آية الدين . وقالوا : إذا جوزتم أن تكون الحقائق
المتنوعة شيئاً واحداً ، فجوزوا أن يكون العلم ، والقدرة ، والكلام ، والسمع ،
والبصر ، صفة واحدة ، فالتزم أئمة هذا القول ، بأن هذا الالتزام ليس لهم عنه
جواب عقلي . ثم منهم من قال : الناس في الصفات ، إما مثبت لها ، وإما
ناف لها ، وأما إثباتها واتحادها ، فخلاف الاجماع ، ومن اعترف بأن ليس
له جواب أبو الحسن الآمدي .

وقول الناظم : لكن أصوات العباد وفلمهم الخ . أي : إن مذهب أئمة
أهل الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما : أن القرآن كلام الله
غير مخلوق ، والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ،
والقرآن بلفه جبريل عن الله الى محمد ، وبلغه محمد الى الخلق ، والكلام المبلغ
عن قائله لا يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله
مبتدئاً ، لا كلام من بلفه عنه مؤدياً ، فالنبي ﷺ إذا قال : « إنما الاعمال
بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » ^(١) وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد
واحد ، حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به ،
لأننا سمعنا كلام رسول الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وأننا سمعناه
من المبلغ عنه بفعله وصوته . ونس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نسمعه ، وإنما سمعنا صوت المحدث عنه ، والكلام كلام رسول الله ﷺ ،
 لا كلام المحدث ، فمن قال : إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ ،
 كان مفترياً ، وكذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول الله ﷺ ،
 وإنما أحدثه في غيره ؛ وإن النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه ؛ بل كانت
 ساكنة ، أو عاجزاً عن التكلم بذلك ، فعلم غيره ما في نفسه ، فنظم هذه
 الألفاظ ليعبر عما في نفس النبي ﷺ ، أو نحو هذا الكلام ، فمن قال هذا ،
 كان مفترياً . ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي ﷺ ، كان
 مفترياً ، فإذا كان هذا معقولاً في كلام المخلوق ، فكلام الخالق أولى بالثبات
 ما يستحقه من صفات الكمال ، وتنزيهه الله أن تكون صفاته وأفعاله ، هي
 صفات العباد وأفعالهم ، أو مثل صفات العباد وأفعالهم ،
 فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل
 المسموع من القارئ كلام الله ، كما قال تعالى (وإن أحد من المشركين
 استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ ليس هو كلاماً لغيره ،
 لا لفظه ولا معناه ، ولكن بلغه عنه جبريل ، وبلغه محمد عن جبريل ،
 ولهذا أضافه الله إلى كل من الرسلين ؛ لأنه بلغه وأداه ، لا لأنه أحدث
 لا لفظه ولا معناه ، إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك ، لم يصح
 إضافة الأحداث إلى الآخر ، فقال تعالى (إنه لقول رسول كريم . وما هو
 بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون) الحاقة
 ٤٠ - ٤٢ فهذا محمد ﷺ ، وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم . ذي
 قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) التكوين ١٩ - ٢١ فهذا
 جبريل عليه السلام . وقد توعد تعالى من قال : (إن هذا إلا قول البشر)
 المدثر : ٢٥ (ومن) قال : إن هذا القرآن قول البشر ، فقد كفر ، وقال

بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر . ومن قال : إن شَيْئاً منه قول البشر ، فقد قال ببعض قوله . ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم ، وإنما هو قول شاعر ، أو مجنون ، أو مقتر ، أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ، ونحو ذلك ، فهو أيضاً كافر ملعون . وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه ، أو من المبلغ عنه ، وإن موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة . ونحن إنما نسمع كلام الله من المبلغين عنه ، وإذا كان الفرق ثابتاً بين من سمع كلام النبي ﷺ منه ، ومن سمعه من صاحب المبلغ عنه ، فالفرق هنا أولى ، لأن أفعال المخلوق وصفاته ، أشبه بأفعال المخلوق وصفاته ، من أفعاله وصفاته ، بأفعال الله وصفاته .

قوله : وخصومهم من بعد طائفتان .

إحداهما زعمت بأمر كلامه خلق له الفاظه ومعان
أقول : هذا مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقد تقدم حكاية كلامهم في الكلام بما أغنى عن إعادته .

قوله :

والآخرون أبوا وقالوا شطره خلق وشرط قام بالرحمن
هذا قول الأشعرية والكلابية ، كما سيأتي الكلام على ذلك .

قوله : زعموا القرآن عبارة الخ . أي : قالت الأماعرة : إن القرآن عبارة عن المعنى . وابن كلاب ومن تابعه قالوا : حكاية .

قوله :

ودليلهم في ذلك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني
أي : ودليلهم على إثبات الكلام النفسي قول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

ومن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا : لمنهم فتشوا ديوانه فلم يجدوه ، وهذا يروي عن أبي محمد بن الحنّاب . قال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد . ومن العجب أنهم احتجّ محتجّ في مسألة مجديث أخرجاه في « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، فقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بالاسناد ، لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام ؟؟ ويقال أيضاً : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو بما يحتاج فيه الى قول شاعر ، فان هذا بما تكلم به الأولون والآخرين من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كما عرفوا مسمى الرأس ، واليد ، والرجل . وأيضاً ، فالناطقون باللغة محتجّ باستعمالهم للألفاظ في معانيها ، لا بما يذكرونه من الحيدود ، فان أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا ، واليد كذا ، والكلام كذا ، واللون كذا . بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها ، فتعرف لغتهم من استعمالهم ، فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد إن كان قال ذلك ، ما فسر به المفسرون للشعر . أي : أصل الكلام من الفؤاد ، هو المعنى ، فاذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه ، فلا تثق به ، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ، وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولهذا قال الأخطل قبل ذلك .

لا يعجبك منك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد ذليلاً

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه في الأصل ، ولهذا .
قال : حتى يكون مع الكلام أصيلاً .

وقوله : مع الكلام . دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ، بل قوله : مع الكلام ، مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه والمقصود به ، واللسان دليل على ذلك ، وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب ، والفرس ، والروم ، والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر ، فانه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين ، ليس من الشعراء القدماء ، وهو نصراني كافر مثلث ، واسمه الأخطل ، واخطل فساد في الكلام ، وهو نصراني ، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه ، هو نفس كلمة الله ، ولهذا قال الناظم :

يا قوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتمدوا لبيان

قال شيخ الاسلام : في « التفسيرية » بعد كلام سبق : وأيضاً فهم - يعني الاشاعة - في لفظ القرآن الذي حروفة واشتماله على المعنى لهم ، مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي (هو) متدرع اللاهوت ، فان هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله ، بل هي مخلوقة ، كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت ، بل هو مخلوق ، ثم يقولون : المعنى القديم لما أنزل به هذه الحروف المخلوقة ، فهم من يسمي الحروف : كلام الله حقيقة ، كما يسمي المعنى : كلام الله حقيقة ، ومنهم من يقول : بل هي كلام الله مجازاً ، كما أن النصارى ، منهم من

يجعل لاهوتاً حقيقة لا تحاده باللاهوت واختلاطه به ، ومنهم من يقول : هو محل اللاهوت ودعائه . ثم النصارى تقول : هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت ، وإن لم يكن هو إياه ، ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد ، وهو محله بطريق الحلول ، فعظم لذلك ، وهؤلاء يقولون : هذه الحروف ليست من كلام الله ، ولا يجوز أن يتكلم الله بها ، ولا تكلم بها ، بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ، ولكن خلقها ؛ فأظهر بها المعنى القديم ، ودل بها عليه ، فاستحققت الاكرام والتجريم لذلك حيث تدخل في حكمه ، بحيث لا يفصل بينهما ؛ أو يفصل بأن يقال : هذا مظهر هذا ودليله ؛ وجعلوا ما ليس هو كلام الله ؛ ولا تكلم الله به قط ؛ كلاماً لله معظماً تعظيم كلام الله ، كما جعلت الناسوت - الذي ليس بآله قط ، ولا هو الكلمة - إلهاً وعظموه تعظيم الاله الذي هو كلمة الله عنده .

ومنها أن النصارى على ما حكى عنهم المتكلمون ، كابن الباقلاني أو غيره ، ينفون الصفات ، ويقولون : إن الأقانيم التي هي الوجود ، والحياة ، والعلم ، هي خواص ، هي صفات نفسية للجوهر ، وليست صفات زائدة على الذات ، ويقولون : إن الكلمة هي العلم ، ليست هي كلام الله ، فإن كلامه صفة فعل ، وهو مخلوق ، فقولهم في هذا كقول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، وهذا يكون قول بعضهم بمن خاطبه متكلمو الجهمية من النسطورية وغيرهم ، ومن تقلب منهم على مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة ونحو هؤلاء . وإلا فلا ريب أن في النصارى مثبتة للصفات ، بل غالبية في ذلك ، كما أن اليهود أيضاً فيهم المثبتة والنفاة ؛ والمقصود هنا أن تسميتهم للعلم كلمة دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك العلم ليس هو أمراً معقولاً كما نعقل الصفات القائمة بالموصوف ، ضاهاهم في ذلك هؤلاء

الذين يقولون : الكلام هو ذلك المعنى القائم بالنفس دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك المعنى هو المعقول من معاني الكلام . فحرفوا اسم الكلام ومعناه ، كما حرفت النصارى اسم الكلمة ومعناها . انتهى كلامه .
قوله :

وتكايست أخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان
تكايست . قال في « القاموس » . الكيس خلاف الحمق ، والجشاع ،
والطب ، والجلود ، والعقل ، والغلبة بالكياسة ، وقد كاسه يكيسه . ثم
قال بعد ذلك : تكيس : نظرف ، وكايسه : غلبه في الكيس . قال الآمدي في
في « ابحار الافكار » فان قيل : إذا قلتم : ان الكلام قضية واحدة ، وان
اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة ، فلم تجوزوا أن تكون (١)
الارادة ، والعلم ، والقدرة ، وباقي الصفات راجعة الى معنى واحد ؟
ويكون اختلاف التعبيرات عنه بسبب المتعلقات ، لا بسبب اختلافه في
ذاته ، وذلك بأن يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص ، وقدرة عند تعلقه
بالايجاد ، وهكذا سائر الصفات . وان جاز ذلك ، فلم لا يجوز أن يعود ذلك
كله إلى نفس الذات ، من غير احتياج الى الصفات ؟! وقال : أجاب
الأصحاب عن ذلك بأنه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والارادة
بسبب التعلقات والمتعلقات ، إذ القدرة معنى من شأنه تأتي الابداد به .
والارادة معنى من شأنه تأتي التخصيص لحدوث بحال دون حال ، وعند
اختلاف التأثيرات ، لا بد من الاختلاف في نفس المؤثر ، وهذا بخلاف
الكلام ؛ فان تعلقاته بتملقاته لا يوجب أثراً ، فضلاً عن كونه مختلفاً . قال :
وفيه نظر ، وذلك أنه وان سلم امتناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد
مع امكان النزاع فيه ؛ فهو موجب للاختلاف في نفس القدرة : وذلك .

(١) في الاصل : فلم لا جوزتم ان يكون .

لأن القدرة مؤثرة في الوجود ؛ والوجود عند أصحابنا نفس الذات ؛ لا أنه زائد عليها ، وإلا كانت الذات ثابتة في العدم ؛ وذلك بما لا نقول به . وإذا كان الوجود هو نفس الذات ، فالذوات مختلفة ؛ فتأثير القدرة في آثار مختلفة ، فيلزم أن تكون مختلفة كما قررناه ؛ وليس كذلك . وأيضاً فإن ما ذكرناه من الفرق وإن استمر في القدرة والارادة ، فغير مستمر في باقي الصفات ؛ كالعلم ؛ والحياة ؛ والسمع ؛ والبصر ؛ لعدم كونها مؤثرة في أثرها . قال : والحق أن ما أوردناه من الأشكال على القول باتحاد الكلام ، وعود الاختلاف إلى التعلقات والمتعلقات ؛ مشكل ؛ وعسى أن يكون عند غيري حله ؛ ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا إلى القول بأن كلام الله القائم بذاته ؛ خمس صفات مختلفة ؛ وهي الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء . انتهى كلامه .

قلت : وهذا الذي ذكره الآمدي هو الذي أراده الناظم بقوله : وتكايست أخرى النخ . فيكون الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ، والاستخبار ، والنداء ، صفات للمعنى النفسي على ما ذكره الآمدي عن هؤلاء . والصواب أن الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء ؛ أنواع للكلام ؛ والله أعلم .

قوله :

وتكايست أخرى وقالت إنه نقل من اللوح الوفيص الشأن

قال الأصهباني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل ؛ واختلفوا في معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ؛ ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال عن

المكان ؛ وعلمه قراءته ، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان .
وفي التنزيل طريقان .

أحدهما : أن النبي ﷺ الخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية ،
وأخذه من جبريل .

والثاني : أن الملك الخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ؛ والأول
أصعب الحالين . انتهى .

وقال القطب الرازي في حواشي « الكشاف » الإنزال لغة : بمعنى
الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل ؛ وكلاهما لا يتحققان في
الكلام ؛ فهو مستعمل فيه في معنى مجازي ؛ فمن قال : القرآن معنى
قائم بذات الله تعالى ؛ فإنزله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك
المعنى ؛ ويشبها في اللوح المحفوظ . ومن قل : القرآن هو الألفاظ ؛
فإنزله : مجرد إثباته في اللوح المحفوظ ؛ وهذا المعنى مناسب ؛ لكونه منقولاً
عن المعنيين اللغويين ؛ ويمكن أن يكون المراد بانزاله ، إثباته في السماء الدنيا
بعد الإثبات في اللوح المحفوظ ؛ وهذا مناسب للمعنى الثاني . والمراد بانزال
الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً ، أو يحفظها من
اللوحة المحفوظ وينزل بها فيلقها عليهم . انتهى . وذكر بعضهم أن أحرف
القرآن في اللوح المحفوظ : كل حرف منها بقدر جبل قاف ؛ وأن تحت كل
حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله . انتهى . وقال بعضهم : في المنزل على
النبي ﷺ ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ؛ وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ
ونزل به .

والثاني : أن جبريل إنما انزل بالمعاني خاصة ؛ وأنه ﷺ علم تلك المعاني

وعبر عنها بلغة العرب ؛ وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك) الشعراء : ١٩٣

والثالث : أن جبريل ألقى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك . انتهى .

ولما أشار الناظم الى هذه الاقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فاسب أن نذكرها ليعلم حقيقة حالها ، ويتحقق بطلانها ، والله أعلم .
قوله :

لكن أهل الحق قالوا إنما جبريل بأخيه عن الرحمن

أقول : قال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتاب « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول » وذكر اثنا عشر إماماً ، وهم : الشافعي ، ومالك ، والثوري ، وأحمد ، والبخاري ، وابن عينة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، واسحق بن راهويه ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الاسفراييني يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : مخلوق ، فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله تعالى ، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ ، وهو الذي تلاوه نحن بآلئتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ومنقوشاً ، وكل حرف منه كالبناء والبناء ، كله كلام الله غير مخلوق . ومن قال : مخلوق ، فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مجامع طرق أهل الارض واختلافهم في القرآن

واذا أردت مجامع الطّرق التي فيها افتراق الناس في القرآن
فقدارها أصلان قام عليهما هذا الخلاف هما له ركنان
هل قوله بمشيئة أم لا وهل في ذاته أم خارج هـذان؟
أصل اختلاف جميع أهل الأرض في قرآن فاطلب مقتضى البهتان
ثم الألى قالوا بغير مشيئة وإرادة منه فطائفان
إحداهما جعلته معنى قائماً بالنفس او قالوا بخمس معان
والله أحدث هذه الألفاظ كي تبديه معقولا الى الازنهان
وكذلك قالوا إنها ليست هي القرآن بل دلت على القرآن
ولربما سمي بها القرآن تسـ مية المجاز وذلك وضع ثان
وكذلك اختلفوا فليل حكاية عنه وقيل عبارة لبيان
اذ كان ما يحكى كمحكي وهذا اللفظ والمعنى فمختلفان
ولذا يقال حكى الحديث بعينه اذ كان أوله نظير الثاني

فلذاك قالوا لا نقول حكاية ونقول ذاك عبارة الفرقان

والآخرون يرون هذا البحث لفظياً وما فيه كبير معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن العظيم ، وذكر أن اختلافهم يدور على أصلين ، وهما : هل قوله بمشيئة وإرادة ، أم هو بغير مشيئة وإرادة ؟ وهل كلامه تعالى في ذاته ، أم هو خارج الذات ؟ وذكر أن القائلين بأنه بغير مشيئة وإرادة طائفتان . أحدهما : الكلالية والاشاعرة ، والطائفة الثانية الاقترانية ، وهم السالمية أتباع أبي الحسن بن سالم ، وهذا هو البناء الأصيل ، والبرهان الذي يقوم عليه الدليل ، لا ما ذكره الدواني في معنى اختلاف الناس في القرآن من الكلام الجراف ، والهديان الذي بطلانه غير خاف ، وذلك أنه قال في شرحه لـ «العقائد العضدية» : لا خلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلماً ، أي : موصوفاً بهذه الصفة ، لكن اختلفوا في تحقيق كلامه ، هل هو نفسي أو لفظي ؟ وحدوثه وقدمه ، وذلك أنهم لما رأوا قياسين متعارضين النتيجة ، وهما : كلام الله تعالى ، صفة له ، وكل ما هو صفة له فهو قديم ، فكلام الله تعالى قديم . وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود ، وكل ما هو كذلك فهو حادث ، فكلام الله تعالى حادث ، اضطروا إلى القدح في أحد القياسين ضرورة امتناع حقيقة النقيضين ، فمنع كل طائفة بعض المقدمات ، فالحنابلة ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات ، وهي قديمة ، ومنعوا قول : إن كل ما هو مؤلف من حروف وأصوات مترتبة ، فهو حادث ، بل قال بعضهم بقديم الجلد والغلاف . قال : قلت : ما بالهم لم يقولوا بقديم السكائب والمجلد ؟ قال : وقيل : إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام

اللفظي رعاية الأدب ، واحترازاً عن ذهاب الهم إلى حدوث الكلام النفسي ، كما قال بعض الأشاعرة : إن كلامه تعالى ليس قائماً بلسان أو قلب ، ولا حالاً في مصحف أو لوح ، ومنع إطلاق القول بحدوث كلامه ، وإن كان المراد هو اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الهم إلى حدوث الكلام الأزلي . والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ؛ وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره ؛ ومعنى كونه متكلاً أنه موجود لتلك الحروف والأصوات في الجسم ، كاللوح المحفوظ ، أو كجبريل ، أو النبي ﷺ ؛ أو غيرها ؛ كشجرة موسى عليه السلام ، فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة لله تعالى قديمة .

والكرامية لما رأوا أن مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة أشنع من مخالفة الدليل ، وأن ما التزمه المعتزلة من كون كلامه تعالى صفة لغيره ، وأن معنى كونه متكلاً ، كونه خالقاً للكلام في الغير ، مخالف للعرف واللغة ، ذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة له ، مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى ، فهم منعوا أن كل ما هو صفة له فهو قديم ، والأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى ، قديم ، فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والأصوات . ولا نزاع بين الشيخ ^(١) والمعتزلة في حدوث الكلام اللفظي ، وإنما نزاعهم في إثبات الكلام النفسي وعدمه ، وذهب المصنف إلى أن مذهب الشيخ ، يعني الأشعري ، أن الألفاظ أيضاً قديمة ، وأفرد في ذلك مقالة ذكر فيها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ ، وأخرى على القائم بالغير ، فالشيخ لما قال : هو المعنى .

(١) أي الأشعري .

النفسي ، فهم الأصحاب منه أن مراده به مدلول اللفظ ، وهو القديم عنده ،
وأما العبارات ، فإنما سميت كلاماً مجازاً ، لدلائلهم على ماهو الكلام الحقيقي ،
حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه ، ولكنها ليست كلاماً له تعالى
حقيقة ، الى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطنين في الاحكام الدينية ، فوجب
حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني ، فيكون الكلام النفسي
عنده امراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، قائماً بذات الله تعالى . انتهى كلام
الدواني الذي هو في الوهن مثل بيت العنكبوت ، وأحسن منه البسم
والسكوت ، وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها .

الأول : قوله : إن الناس لما رأوا قياسين متعارضين النتيجة الخ . يقال :
أكثر أهل الاسلام لم يرفعوا بالمنطق رأساً ، ولم يراعوا هذه القواعد ، وإذا
شئت أن تعرف ذلك ، فانظر الى ردود متكلمي أهل الاسلام على المنطق ،
وبيان فسادة وتناقضه ، كأبي سعيد السيرافي النحوي ، والقاضي أبي بكر
ابن الطيب ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي ، والجبائي وابنه ، وأبي المعالي
الجويني ، وأبي القاسم الأنصاري ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، فإن له في
نقضه كتابين ، صغير وكبير ، وبالله العجب ؟! أترى المعتزلة والكلابية
والكرامية ، أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق ، فضلاً عن السلف
وأتباعهم ؟! هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق ، وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات
الناس ونحلهم .

الثاني : قوله : بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف ، ثم تهكم بقوله :
ما لهم ، لم يقولوا بقدم الكتاب والمجلد ؟!

أقول : انظر الى هذا الكذب المجرد ، فبالله قل لي : من قال هذا
القول منهم ؟ وفي أي كتاب يوجد من كتبهم ؟ ونحو مما شكاه الدواني

ما ذكره أبو المعالي الجويني قال : وذهب الحشوية المنتمون الى الظاهري الى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات . وقطعوا بأن المسموع من اصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعا من القول بأن المسموع صوت الله تعالى عن قولهم ، وهذا قياس جهالاتهم ، ثم قالوا : اذا كتب كلام الله بحسم من الأجسام رقوماً ورسوماً وأسطراً وكلمات ، فهي بأعيانها كلام الله القديم ، فقد كان اذ كان جسماً حادثاً ، ثم انقلب قديماً ، ثم قضوا بأن المرئي من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وصوت . وأصلهم أن الأصوات عني تقطيعها وتواليها ، كانت ثابتة في الأزل ، قائمة بذات الباري تعالى ، وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات . انتهى كلامه .

قال شيخ الاسلام بعد أن حكى هذا الكلام عن أبي المعالي : ومعلوم أن هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ، ولا سمعناه من أحد منهم ، فما سمعنا من أحد ، ولا رأينا في كتاب أحد ، ان المداد الحادث انقلب قديماً ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ، ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم الى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يقول الكذب ، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين ، ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ولوازم الآخر ، الى آخر ما ذكره . وأقبح من ذلك قوله ، أي : الدواني . وقيل : منهم منعياً إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن الذهاب الوهم الى حدوث الكلام

النفسي ، فيالله العجب من هذا الاعتذار البارد ! فان الحنابلة لا يعتقدون
ثبوت الكلام النفسي ، بل ينفونه أشد النفي ، ويرونه من أعظم الباطل ،
والكلام عندهم اسم للفظ والمعنى جميعاً ، كما هو مذهب السلف رحمة الله
عليهم . ويسأل هذا المتحذق : هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى ؟ اللهم
إلا كلام المجانين ، أو اللفظ الماهل ، فهو لا يسمى كلاماً ، إذ ليس له معنى ،
وهذا معنى قول النحاة : الكلام لفظ مفيد ، فانه لا يفيد حتى يكون له معنى .
الثالث . قوله : والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة
الخ . . يقال : إن كان مخالفة الضرورة خادراً ، فأصحابك الأشاعرة
قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي ، فالتزموا أن الساكت متكلم ،
والآخرس متكلم ، وغير ذلك من الشناعات .

الرابع . قوله : والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ، وأنه مؤلف من أصوات
وحروف ، وهو قائم بغيره الخ .

يقال : هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة ، فانهم قضوا بحدوث
الحروف ، وأنها مخلوقة ، وصرحوا بأنها إنشاء جبريل ، أو إنشاء محمد ﷺ ،
أو أنها خلقت في محل آخر ، كاللوح المحفوظ ، والشجرة ، أو أن جبريل
أخذها من اللوح المحفوظ ، فكان حقيقة قولهم إذا قالوا : إن محمد ﷺ
أنشأه ، هو قول من قال : (إن هذا إله قول البشر) المدثر : ٢٥ ثم
أصحابك أثبتوا شيئاً لا دليل على ثبوته ، وهو المعنى النفسي ، وخالفوا
إجماع السلف والمعتزلة جميعاً ، فان الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى
جميعاً ، وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ الخلق في محل ، وإنه غير
قائم بالله تعالى ، وألزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون
كلاماً إلا لمن قام به الكلام ، ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالتزام ،

وقالوا : الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك ، فانهم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة ؛ ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة ؛ اذ الألفاظ عندهم مخلوقة ، كما هو قولكم ؛ والمعنى الذي أثبتوه وخالفتم به جميع فرق الأمة ؛ هو شيء لاحق حقيقة له ، وليس بأيديكم إلا بيت الأخطل :
إن الكلام لفي الفؤاد الخ . . .

وهذا البيت لم ينقل عن قائله بإسناد ، لا واحد ولا أكثر ، ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في « الصحيحين » لم تقبلوه ، وقالت : هذه أخبار آحاد .

الخامس : أن أصحابك خالفوا فرق الأمة في إثبات هذا المعنى ، والأمم كما قال الامام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي ، قال : إن الأشعري رحمه الله سلب الكلام اسمه ، وسماه عبارة ، وسلب الفكر والرؤية اسمها ، وسماها كلاماً .

السادس : قولك : الأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط ، ثم نقلت عن صاحب « المواقف » أنه أفرد لذلك مقالة ، حمل فيها كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري لما قال : هو المعنى النفسي ، أن ذلك يكون شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، ثم سكت عن إنكاره ، فكيف كان في الأول بسيطاً ، ثم صار مركباً من المعنى واللفظ ؟؟

السابع : أن تلميذك عفيف الدين الأيجي ، قد رد مذهب أصحابك ، وقدح فيه غاية القدح ، فقال ما حاصله : إن هذا الذي تدعيه الأشاعرة من أن الكلام له معنى آخر يسمى النفسي ، باطل ، فاذا قلنا : زيد قائم ، فهناك أربعة أشياء : الأول : العبارة الصادرة عنه ، والثاني : مدلول هذه العبارة ، وما وضعت له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها . الثالث : علمه بثبوت تلك .

النسبة وانتفاؤها . الرابع ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها بالواقع ؛ والأخير ان
ليسا كلاماً اتفاقاً ، والأول لا يمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم ،
فبقي الثاني ، وكذا نقول : في الأمر والنهي هاهنا ثلاثة أمور : الاول :
الارادة والكراهة الحقيقية . الثاني : اللفظ الصادر عنه . الثالث : مفهوم
لفظه ومعناه ، الأول ليس كلاماً اتفاقاً ، والثاني كذلك على مذهبهم ،
فبقي الثالث ، وبه صرح أكثر محققهم ، وكونه كلاماً نفسياً ثابتاً لله تعالى
سأثنيه . محكوماً عليه بأحكام مختلفة ، باطل من وجوه : الاول : أنه يخالف
للعرف واللغة ، فان الكلام فيهما ليس إلا المركب من الحروف . الثاني : أنه
لا يوافق الشرع ، إذ قد ورد فيما لا يحصى كتاباً وسنة ، أن الله تعالى ينادي
عباده ، ولا ريب أن النداء لا يكون إلا بصوت ، بل قد صرح به في
الأخبار الصحيحة وباب المجاز - وإن لم يعلق بعد ، الا ان حمل ما يزيد على
نحو مائة ألف من الصرائع على خلاف معناها - مما لا يقبله العقل السليم .
الثالث : أن ما قالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً يخالف العقل ، فانه
لا شك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي ، ومدلول الخبر
يخالف مدلول الانشاء ، بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر ،
وكذا في الخبر . ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير
القرآن وسائر الكتب السماوية ، فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على
ما شتمل عليه الآخر ، وليس كذلك ، وكيف يكون معنى واحد خبيراً
وانشاء محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل ؟! وهو جمع بين النفي
والاثبات . انتهى كلامه .

الثامن : قوله : ان الكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة . يقال :

كلا ليس هذا مأخذ الكرامية ، وإنما مأخذهم في ذلك أنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الأكوام المشهور المبني على منع التسلسل ، فلهمذا جعلوا لكلام الله تعالى أولاً ، كما جعلوا لفعله أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل ، فيسد ذاك عليهم اثبات الباري سبحانه ، وكلامه كفعاله ، الكل عندهم له بداية ، فوضع بطلان كلام الدواني من كل وجه .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

ولربما سمي بها القرآن تسمية المجاز وذاك وضع ثان

أي : ان القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الحروف بعد اتفاقهم ، على انها مخلوقة ، هل تسمى كلام الله مجازاً ، أو يطلق الكلام عليها وعلى المعنى بالاشتراك ؟ وقد تقدم أن القول بالاشتراك يهدم مذهبهم ، لأنهم ألزموا المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلا لمن قام به الكلام ، فإذا كان كلام الله يطلق على المعنى وعلى الألفاظ بالاشتراك ؛ لزمهم مذهب المعتزلة . وقوله : وكذلك اختلفوا ، فقيل : حكاية عنه وقيل : عبارة لبيان . أي : ان القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الألفاظ الحادثة على مذهبهم ؛ هل يقال : هي حكاية عن المعنى القديم ؛ كما قاله ابن كلاب ؛ أو يقال : عبارة ؛ كما قال الأشعري ؟ فابن كلاب قال : الحرف حكاية عن كلام الله ، وليس من كلام الله ؛ لأن الكلام لا بد ان يقوم بالتكلم ؛ والله يتمتع أن يقوم به حروف واصوات ؛ فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي ؛ فجاء الأشعري بعده ؛ وهو موافق لابن كلاب على عامة اصوله ؛ فقال : الحكاية تقتضي ان يكون مثل الحكي ؛ وليس الحروف مثل المعنى ؛ بل هي عبارة عن المعنى ودالة ؛ وبعض القائلين بهذا القول يرون هذا البحث لفظياً لا طائل تحته ، كما قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مذهب الاقتراية

والفرقة الأخرى فقالت انه لفظ ومعنى ليس ينفصلان
واللفظ كالمعنى قديم قائم بالنفس ليس بقابل الحدثان
فالسین عند الباء لا مسبوقه لكن هما حرفان مقترنان
والقائلون بهذا يقولوا^(١) انما ترتيبها في السمع بالآذان
ولها اقتران ثابت لذواتها فاعجب لذا التخليط والهديان
لكن زاعغونيهم قد قال إن ذواتها ووجودها غيران
فترتب بوجودها لا ذاتها يا المعقول وزيفة الالذهان
ليس الوجود سوى حقيقتها الذي الالذهان بل في هذه الاعيان
لكن اذا أخذ الحقيقة خارجاً ووجودها ذمناً فمختلفان
والعكس أيضاً مثل ذا فاذا هما اتحاداً اعتباراً لم يكن شيئان

(١) كان حقاً أن يقول : والقائلون بهذا يقولون ، باثبات ذون (يقولون) ، ولكن

حذف الذون لضرورة الشعر .

وبهذا تزول جميع إشكالاتهم في ذاته ووجوده الرحمن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذهب الاقتراطية في القرآن، وهم السالمية ومن وافقهم، وذلك أن كلام الله عندهم حروف وأصوات قديمة أزلية، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم. ثم إن جمهور هؤلاء يقولون: إن تلك الأصوات هي الأصوات المسموعة من القراء، ولهم في ذلك تفاصيل، ليس هذا موضع ذكرها.

وقول الناظم رحمه الله تعالى:

لكن زاغوينهم قد قال إن ذواتها ووجودها غيران

يعني أن الزاغوني^(١) من أئمة هذه الطائفة قال: إن وجود هذه الكلمات غير ذواتها، فرد عليه الناظم بقوله: يا للعقول وزينة الأذهان؛ أي: كيف يكون وجود الشيء غير ذاته؟! ثم قرر الناظم رحمه الله تعالى ما هو الحق في المسألة، وهو أن الوجود والماهية إن أخذنا ذهنيين، فالوجود الذهني عين الماهية الذهنية، وكذلك إن أخذنا خارجيين، اتحداً أيضاً، فليس في الخارج وجود زائد على الماهية الخارجة، بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن، هذا خيال محض، وكذلك حصول الماهية في الذهن هو عين

(١) ابن الزاغوني، من علماء الفلسفة والكلام، واسمه علي، وهو المذكور والله

أعلم في «ميزان الاعتدال» للذهبي و«لسان الميزان» لابن حجر، وأما علي ابن الزاغوني شيخ ابن الجوزي، فقد اتنى عليه ابن الجوزي في «المنتظم» وكذا ابن رجب، ومثله صاحب «الشذرات» وشيخ الحنابلة وواعظهم، والمتكلم أيضاً حنبلي، والظاهر أنها اثنان، ولا يضر اتفاقهما في الاسم واسم الأب والكنية والمذهب، فكلاهما حنبلي.

(ابن مانع)

وجودها ، فليس في الذهن ماعية ووجود متغايرين ، بل ان أخذنا ، أحدهما ذهنيًا ، والآخر خارجيًا ، فأحدهما غير الآخر . ولما قرر المصنف هذا قال :

وبذا تزول جميع إشكالاتهم في ذاته ووجوده الرحمن

قال الناظم :

فصل

في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والارادة

والقائلون بأنه بمشيئة وإرادة أيضاً فهم صنفان
إحدهما جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والاكووان
قالوا وصار كلامه باضافة التشريف مثل البيت ذي الاركان
ما قال عندهم ولا هو قائل والقول لم يسمع من الديان
فالقول مفعول لديهم قائم بالغير كالأعراض والاكووان
هذي مقالة كل جهمي وهم فيها الشيوخ معامو الصبيان
لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني
وهم الألى اعتزلوا عن الحسن الرضى البصري ذاك العالم الرباني
وكذاك أنباع على منهماجهم من قبل جهم صاحب الحدثان

لكننا متأخروهم بعد ذا لك وافقوا جهماً على الكفران
فهم بهذا جهمية أهل اعترا ل ثوبهم أضحي له علمان
ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللا كائني الامام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذاهب القائلين بأن كلام الله تعالى متعلق بالمشيئة والارادة . فذكر مذهب الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ومن تبعهم من المعتزلة ، وذلك أن الكلام عندهم حفة فعل ، قالوا : وانما سمي : كلام الله ، للتشريف ، كما يقال : بيت الله ، وإلا فالله تعالى عندهم ما تكلم ولا يتكلم ، كما قال الامام أحمد رحمه الله تعالى فيما خرج في الرد على الجهمية : بيان ما أنكرت الجهمية أن الله كلم موسى ﷺ ، وعلى نبينا . قلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ قالوا : لأن الله لم يتكلم ، ولا يتكلم ، وانما كون شيئاً ، فعبر عن الله ، وخلق صوتاً فسمع ، فزعموا أن الكلام لا يكون ، ولا من جوف ، ولم ، وشفتين ، ولسان . فقلنا : فهل يجوز لمكون ، أو لغير الله أن يقول لموسى : (لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه : ١٤ و (إني أنا ربك) طه : ١٢ ؟ فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية ، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً ، كأن يقول ذلك المكون : يا مرسى ان الله رب العالمين ، لا يجوز ان يقول : اني انا الله رب العالمين . وقد قال جل ثناؤه (وكلم الله موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ وقال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ وقال (اني اصطفيك على الناس برسالاتي وبكلامي) الأعراف : ١٤٤ فهذا منصوص .

القرآن. قال: وأما ما قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش، عن خيشمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » (١) قال: وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف، وفم، ومشفتين ولسان، أليس قال الله للسماوات والارض: (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينتا طائعين) فصلت: ١١ أترى أنها قالت بجوف، ومشفتين، ولسان. وقال الله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) الأنبياء ٧٩ أترأها أنها سبحت بفم، وجوف، ولسان، ومشفتين. والجوارح إذا شهدت على الكفار (٢). فقالوا (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فصلت: ٢١ أترأها نطقت بجوف، ومشفتين، وفم، ولسان، ولكن الله أنطقها كيف شاء، من غير أن يقول: فم، ولسان، ومشفتين. قال: فلما خنقته الحجة قال: إن الله كلم موسى، الا أن كلامه غيره، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. قلنا: هذا مثل قولكم الأول، الا أنكم تدفعون الشبهة عن أنفسكم بما تظهرون، وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يارب، هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الالسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وانما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك مت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه .

(٢) في الاصل : الكافر :

أصفه لكم؟ قالوا : شبهه . قال : أسمعتم أشد ما يسمع من أصوات الصواعق ، فكأنه مثله ^(١) .

قال : وقلنا للجهمية من القائل لعيسى يوم القيامة (يا عيسى بن مريم أنأت قلت للناس اتخذوني وأمي المؤمنين من دون الله) المائدة : ١١٦ أليس الله هو القائل ؟ قالوا : يكون الله شيئاً يعبر عن الله ، كما كون لموسى فعبر ؟ فقلنا : فمن القائل (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) الاعراف : ٦ أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله إنما يكون الله شيئاً ، فيعبر عن الله . قلنا : قد أعظمتم على الله الفرية ، حين زعمتم أن الله لا يتكلم ، فشبّهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الأصنام لا تتكلم ، ولا تتحرك ، ولا تزول من مكان إلى مكان ، فلما ظهرت عليه الحجة قال : أقول : إن الله قد يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق . قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم ، حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون ، حتى خلق لهم كلاماً ، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة ، بل نقول : إن الله جل ثناؤه ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا نقول : إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً ، ولا نقول : إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم ، ولا نقول : إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول : إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً ، ولا نقول : إنه كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة . فقالت الجهمية لنا لما وصفنا من الله هذه الصفات : إن زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول النصارى ، حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته . فقلنا : لا نقول : إن الله لم يزل

(١) في الاصل : قال : أسمعتم أصوات الصواعق التي في تقبل في أحلى حلاوة سيمتها فكأنه مثله ، وهذا الإتر موجود في « تفسير الطبري » عن الزهري بغير هذا اللفظ .

«وقدرته ، ولم يزل ونوره ، ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره ، لا متى قدر ، ولا كيف قدر . فقالوا : لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا : كان الله ولا شيء . فقلنا : نحن نقول : كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ، وضربنا لهم مثلاً في ذلك . فقلنا : أخبرونا عن هذه الذخلة ، أليس لها جذع ، وكرب ، وليف ، وسعف ، وخوص ، وجمار ، واسمها اسم واحد ، سميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله جل ثناؤه ، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم ، والذي لا يعلم فهو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله قادراً ، عالماً ، مالِكاً ، لامِئاً ، ولا كيف ، وقد سَمِيَ الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقال : (ذرني ومن خلقت وحيداً) المدثر : ١١ وقد كان لهذا الذي سماه الله (وحيداً) عينان ، وأذنان ، ولسان ، وشفتان ، ويدان ، ورجلان ، وجوارح كثيرة . فقد ساء الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

وفي «التسعينية» لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ، ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ، ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتاب في الظاهر ؛ وإن كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم ، كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسول ؛ وأقدموا على ذلك ؛ وهو لاء (إما) منافقون زنادقة ؛ وإما جهال بنفاق أنفسهم ؛ صاروا في الجمع بين

تكذيبهم الباطن ؛ وتصديقهم الظاهر ؛ جامعين بين النقيضين ؛ مضطرين الى السفسطة في العقليات ، والقرمطة في السمعيات ، مفسدين للعقل والدين . وقولهم بخلق القرآن ، ونفي الصفات من أصول نفاقهم ؛ وذلك أنه من المعلوم ببداية العقول ؛ أن الحي لا يكون حياً إلا بحياة تقوم به ، لا يكون حياً بلا حياة ، أو بحياة تقوم ، بغيره ، وكذلك العالم ، والقادر ؛ لا يكون عالماً ، ولا قادراً إلا بعلم وقدره تقوم به ، لا يكون عالماً قادراً بلا علم ولا قدرة ؛ أو بعلم وقدره تقوم بغيره . وكذلك ، الحكيم ، والرحيم ، والمريد ، لا يكون حكيماً ، ولا رحيماً ، أو متكلماً أو مريداً ، إلا بحكمة ورحمة تقوم بغيره ، ولا يكون متكلماً ولا مريداً بلا كلام ولا إرادة ، أو بكلام وإرادة تقوم بغيره ، وكذلك من المعلوم ببداية العقول أن الكلام ، والارادة ، والعلم ، والقدرة لا تقوم إلا بمحل ؛ إذ هذه صفات لا تقوم بأنفسها ؛ ومن المعلوم ببداية العقول أن المحل الذي يقوم به العلم يكون عالماً ، والذي تقوم به القدرة يكون قادراً ، والذي يقوم به الكلام يكون متكلماً ، والذي تقوم به الرحمة يكون رحيماً ، والذي تقوم به الارادة ، يكون مريداً ، فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس ، تعلمها قلوبهم عالماً فطرياً ضرورياً ، والألفاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من اللغات التي اتفق عليها بنو آدم ، فلا يسمون عالماً قادراً إلا من قام به العلم والقدرة ، ومن قام به العلم والقدرة سموه عالماً قادراً ، وهذا معنى قول من قال من أهل الاثاب : إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل ، وكان ذلك المحل هو العالم المتكلم ، دون غيره . ومعنى قولهم : إن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منها اسم كما يشتق لمحل العلم عليم ، وللمحل الكلام متكلم ، ومعنى قولهم : إن صدق المشتق لا ينفك عن صدق المشتق منه أن لفظ العليم والمتكلم مشتق من لفظ العلم

والكلام ، فاذا صدق في الموصوف أنه عليم ، لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له ، ولهذا كان أئمة السلف الذين عرفوا حقيقة من قال : مخلوق ، وأن معنى ذلك أن الله لم يقم به كلام ، بل الكلام قائم بجسم من الأجسام غيره ، وعلموا أن هذا يوجب بالفطرة الضرورية أن يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام ، دون الله ، وأن الله لا يكون متكلماً أصلاً ؛ صاروا يذكرون قولهم بحسب ماهو عليه في نفسه ، وهو أن الله لا يتكلم وإنما خلق شيئاً تكلم عنه . وهكذا كانت الجهمية تقول أولاً ، ثم إنها زعمت أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره . واختلفوا هل يسمى متكلماً حقيقة أو مجازاً ؟ على قولين . فلهم في تسمية الله تعالى متكلماً بالكلام المخلوق ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو حقيقة قوهم وهم فيه أصدق لاظهارهم كفرهم : إن الله لا تكلم ، ولا يتكلم .

والثاني :- وهم فيه متوسطون في النفاق - إنه يسمى متكلماً بطريق المجاز .
والثالث - وهم فيه منافقون نفاقاً محضاً - : إنه يسمى متكلماً بطريق الحقيقة ، وأساس النفاق الذي ينبني عليه الكذب ، فلهذا كانوا من أ كذب الناس في تسمية الله متكلماً بكلام ليس قائماً به ، وإنما هو مخلوق في غيره ، كما كانوا كاذبين مفترين في تسمية الله عالماً ، قادراً ، مريداً ، متكلماً بلا علم يقوم به ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، وكانوا وإن نطقوا بأسمائه فهم كاذبون بتسميته بها ، وهم ملحدون في الحقيقة كإلحاد الذين نفوا عنه أن يسمى بالرحمن . (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) الفرقان : ٦٠ وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم بمن خبر مقالهم ، كما قال الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية : فاذا

قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . قلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قد عرف المسمون أنكم لا تثبتون شيئاً ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، وقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ، ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية ، فإذا سمع الجاهل قولهم ، يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً ، ولا يعلم أنهم إنما يهودون قولهم إلى ضلالة وكفر . انتهى كلامه .
قوله :

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

أي : أن قدماء المعتزلة ، كـ : واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وغيرهما لم يذهبوا إلى القول بخلق القرآن ، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن ، ولهذا قال الناظم :

فهم بهذا جهمية أهل اعتزال ثوبهم أضحى له علمان

العلم : رسم الثوب ورقمه ، قاله في « القاموس » .
قوله : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ . أي : أن القائلين بخلق القرآن ، كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين ، وهذا معنى قول الناظم : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ .
قوله : واللالكائي الامام حكاه عنهم الخ .

قال الامام الحافظ ابو القاسم اللالكائي وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ، ثم قال : فهو لاء خمسمائة وخمسون نفساً وأكثر من التابعين ، وأتباع

التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الحُبيرين ، على اختلاف الأعصار
ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ، ممن أخذ الناس بقولهم ،
وتدينوا بمذاهبهم ، قال : ولو استقلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماءهم
ألفاً كثيرة ، لكن اختصرت ، فنقلت عن هؤلاء عصرأ بعد عصر ،
لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه ، وأمروا بقتله ، أو
نفيه ، أو صلبه . قال : ولا خلاف بين الأمة أن أولي من قال : القرآن
مخلوق ، الجهم بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان . فأما
جعده ، فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وأما جهم ، فقتل بمرور في خلافة
هشام بن عبد الملك ، وسأذكر قصتها إن شاء الله تعالى ، وقد حكى نحواً
من هذا الطبراني ، كما ذكر الناظم رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مذهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة	في ذاته أيضاً فهم نوعان
إحداها جعلته مبدوءاً به	نوعاً حذار تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم	إثبات خالق هذه الأكوان
فلذلك قالوا إنه ذو أول	ما للفضاء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما	ذو مبدء بل ليس ينتهيان

قالوا ولم ينصف خصوم جمعجوا وأتوا بتشنيع بلا برهان
 قلنا كما قالوه في أفعاله بل بيننا بون من الفرقان
 بل نحن أسعد منهم بالحق إذ قلنا ها بالله قائمتان
 وهم فقالوا لم يقم بالله لا فعل ولا قول فتعطيان
 لفعاله ومقاله شر وأبطل من حلول حوادث بيان
 تعطيله عن فعله وكلامه شر من التشنيع بالهذيان
 هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان
 أتى وما قد قال أقرب منهم للعقل والآثار والقرآن
 لكنهم جاؤوا له بجعاجع وفراقع وقمعاقع بشنان

شرح الناظم رحمه الله تعالى في مذهب القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة ، فذكر مقالة الكرامية بتشديد الراء ، وهم أتباع أبي عبد الله محمد ابن كرام ، أبو عبد الله السجستاني الزاهد ، شيخ الطائفة الكرامية ، مات سنة ٢٥٥ وفي « القاموس » ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش ، وأنه جوهر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مذهب الكرامية ان كلام الله تعالى حادث ، قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام ، بل مازال عندهم قادراً على الكلام ، وهو عندهم لم يزل متكلماً ، بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام ، وإلا فوجود الكلام

عندهم في الأزل ممتنع ، كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من اهل الكلام ، كالمعتزلة وأتباعهم ، وهم يقولون : إنه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته ، ولا يقولون : ان الأصوات المسموعة ، والمداد الذي في المصحف قديم ، بل يقولون : ان ذلك محدث .
قوله : إحداهما جعلته مبدوءاً به . . الى قوله :

وكلام كفعاله وكلاهما ذو مبدء بل ليس ينتهيان

أي : إن الكرامية قالت : ان كلام الله تعالى له أول ، ولفعاله أول ، ولكن لانهاية لهما عندهم .

وقوله : حذار تسلسل الأعيان . أي : أن الكرامية قالوا هذا القول خوفاً من لزوم التسلسل ، وذلك لأنهم شاركوا الجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الاعراض المشهور بين المتكلمين ، ومبنى الدليل على منع التسلسل . قالوا : فلو كان الباري تعالى متكلماً في الأزل بكلام لا أول له ، وفاعلاً لأفعال لا أول لها ، لزمنا القول بالتسلسل ، فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم .

وقوله : قالوا ولم ينصف خصوم جمعجوا الخ . أي : قالت الكرامية لمن خالفهم من المتكلمين الذين شنعوا عليهم في مسألة الكلام : انا قلنا معشر الكرامية كما قلتم في أفعاله تعالى ، فان لها أولاً عندكم ، فليكن كلامه كذلك ، وأنتم قلتم : كلام الله وأفعاله غير قائمة به ، وهذا شيء غير معقول ، إذ لا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام ، ولا فاعلاً الا من قام به الفعل ، وأنتم قلتم : هو قائل بقول لا يقوم به ، وفاعل بفعل لا يقوم

به ، فهذا تعطيل لفعاله ومقاله ، وهو شر من القول بجلول الحوادث ، ولهذا قال الناظم :

هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان

وقد قال الفخر الرازي في « الأربعين » ان مسألة حلول الحوادث تلزم عامة الطوائف ، وذكر في « الأربعين » أنها تلزم أصحابه الأشاعرة أيضاً . فقال : ان الكرامية يجوزون ذلك ، وينكره سائر الطوائف . وقيل : أكثر العقلاء يقولون به ، وان انكروه باللسان ، فان أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعها قالوا : انه يريد بارادة حادثة ، ويكره بكراهة حادثة ، لا في محل ، إلا أن صفة المريدية والكارهية محدثة ، واذا حصل المرئي والمسموع ، حدث في ذاته تعالى صفة السامعية والمبصرية ، لكنهم إنما يطلقون لفظ التجدد دون الحادث ، وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات ، والأشعرية يثبتون نسخ الحكم مفسرين ذلك برفعه أو انتهائه ، والارتفاع والانتهاء عدم بعد الوجود ، ويقولون : انه عالم بعلم واحد ، يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع ، وبعده يزول ذلك المتعلق ، ويتعلق بأنه وقع ، ويقولون بأن قدرته تتعلق بإيجاد المعين ، واذا وجد انقطع ذلك المتعلق لامتناع إيجاد الموجد ، وكذلك تتعلق الارادة بتجريح المعين ، وأيضاً المعدوم لا يكون مرئياً ولا مسموعاً وعند الوجود يصير مرئياً مسموعاً ، فهذه العلاقات حادثة ، فان التزم جاهل كون المعدوم مرئياً مسموعاً ، قلنا : الله تعالى يرى المعدوم معدوماً لا موجوداً ، وعند وجوده يراه موجوداً لا معدوماً ، لأن رؤية الموجود معاً معدوم ، أو بالعكس ، غلط ، وإنه يوجب ما ذكرنا ، والفلاسفة مع بعدهم

عن هذا يقولون بأن الإضافات وهي القلبية والبعدية والمعية موجودة في الأعيان ، فيكون الله مع كل حادث ، وذلك الوصف الإضافي حدث ذاته . وأبو البركات من المتأخرين منهم صرح في «المعتبر» بأرادات محدثة ، وعلوم محدثة في ذاته تعالى ، زاعماً بأنه لا يمكن الاعتراف بكونه لها لهذا العالم إلا مع هذا القول ، ثم قال : الاجلال من هذا الاجلال ، والتنزيه من هذا التنزيه واجب :

قال الرازي : واعلم أن الصفة إما حقيقة عارية عن الإضافة ، كالسواد والبياض ، أو حقيقة يلزمها إضافة ، كالعلم والقدرة ، فإنه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور ، وهو إضافة مخصوصة بينها ، وأما إضافية محضة ، ككون الشيء قبل غيره وبعده ، ويمينه ويساره ، فإن تغير هذه الأشياء لا يوجب تغيراً في الذات ، ولا في صفة حقيقة منها ، فنقول : تغير الإضافات لا يحيص عنه ، وأما تغير الصفات الحقيقية ، فالكرامية يثبتونه ، وغيرهم ينكرونه ، فظهر الفرق بين مذهب الكرامية : لا يسمى ذلك صفة ، ولا نقول : إن ذلك تغير في الصفات الحقيقية . انتهى .

ونقل السيد الشريف في « شرح المواقف » قال : وقالت الكرامية : العقلاء موافقوننا في قيام الصفة الحادثة بذاته سبحانه وتعالى ، وإن أنكرنا وأعلينا^(١) باللسان ، فإن الجبائية قالوا بإرادة وكراهية حادثتين لا في محل ، لكن المريدية والكارهية (قالوا) : حادثتان في ذاته تعالى ، وكذا السامعية والمبصرية تحدث بمحدوث المسموع والمبصر ، وأبو الحسين يثبت علوماً متجددة ، والاشعرية يثبتون النسخ ، وهو إما رفع الحكم القائم بذاته أو إنتهاؤه ، وهما عدم بعد الوجود ، فيكونان حادثين . انتهى .

قوله : لكنهم جاؤوا له بمجاعع الخ ، الجمععة : صوت الرحي

(١) في الاصل : وإن أنكرنا .

والقعاقع : تتابع أصوات الرعد ، فرقع الأصابع نقضها ، فتفرقت
وافرقت ، قاله في « القاموس » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في ذكر مذهب اهل الحديث

والآخرون أولو الحديث كأحمد	ومحمد وأئمة الايمان
قالوا بأن الله حقاً لم يزل	متكلاً بمشيئه وبيان
إن الكلام هو الكمال فكيف يخلو عنه في أزل	بلا امكان
ويصير فيما لم يزل متكلاً	ماذا اقتضاه له من الامكان
وتعاقب الكلمات أمر ثابت	للذات مثل تعاقب الازمان
والله رب العرش قال حقيقة	(حم) مع (طه) بغير قران
بل أحرف متربات مثلاً	قدرت في مسمع الانسان
وقتان في وقت محال هكذا	حرفان أيضاً يوجدان في آن
من واحد متكلم بل يوجدان	بالرسم أو بتكلم الرجلان
هذا هو المعقول أما الاقترا	ن فليس معقولاً لئلا يذهبان

وكذا كلام من سوى متكلم أيضاً محال ليس في الامكان
الا لمن قام الكلام به فذا
أبكون حياً سامعاً أو مبصراً
والسمع والابصار قام بغيره
وكذا مریدوا الارادة لم تكن
وكذا قدير ماله من قدرة
والله جل جلاله متكلم
قد أجمعت رسل الإله عليه لم
فكلامه حقاً يقوم به والا لم يكن متكلاً بقران
والله قال وقائل وكذا يقول الحق ليس كلامه بالفاني
ويكلم الثقلين يوم معادهم حقاً فيسمع قوله الثقلان
وكذا يكلم حزبه في جنة الحيوان بالتسليم والرضوان
وكذا يكلم رسله يوم اللقا حقاً فيسألهم عن التيان
ويراجع التكليم جل جلاله وقت الجدال له من الانسان
ويكلم الكفار في العرصات تو بيناً وتقريباً بلا غفران
ويكلم الكفار أيضاً في الجحيم أن اخسؤوا فيها بكل هوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب النوع الثاني القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة ، وأنه سبحانه يتكلم من ذاته ، وهم أهل الحديث ، فقال : والآخرون أولو الحديث ، كأحمد ، ومحمد الخ . . أي : أن أصحاب الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما من الأئمة قالوا بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته إذا شاء ، وذلك أن الكلام من صفات الكمال ، فالذي لا يتكلم ، أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن متكلماً ، ناقص ، وهذا هو معنى قول الناظم :

إن الكلام هو الكمال فكيف يخلو عنه في أزل بلا إمكان
ويصير فيما لم يزل متكلماً ماذا اقتضاه له من الامكان
أي : كيف صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً .
وقوله .

والله رب العرش قال حقيقة (حم) مع (طه) بغير قران
بل أحرف متربات مثلها قدرت في مسمع الانسان
هذا إشارة إلى رد مذهب السامية ومن وافقهم ، القائلين بأن كلام الله تعالى حروف واصوات قديمة أزليه ، وأن لها اقتراناً ثابتاً (١) لذواتها ، وأن السين لا تسبق الباء الخ .

ولهذا قال الناظم : وقتان في وقت محال هكذا ، أي : كما أنه لا يمكن أن يوجد وقتان في وقت ، فمحال أن يوجد حرفان في آن . أي : في وقت من متكلم واحد ، بل يمكن ذلك في الرسم . أي : في الخط ، أو بتكلم رجلين . فذلك يمكن أن يكون في وقت

واحد، وأما النطق بجرفين معاً، فهو محال غير ممكن، ثم أشار إلى رد مذهب الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلامه تعالى هو ما يخلقه في غيره، وذلك محال أيضاً، فلا يسمى متكلماً إلا من قام به الكلام، وكذا لا يسمى سامعاً أو مبصراً إلا من قام به السمع والبصر، وإلا فلا يسمى سامعاً أو مبصراً بسمع أو بصر قائم بغيره، وكذا لا يسمى مريداً وقديراً إلا من قامت به الإرادة والقدرة، لا يسمى مريداً أو قديراً بإرادة أو قدرة بغيره. ثم قال الناظم.

والله جل جلاله متكلم بالنقل والمعقول والبرهان

وقد تقدم بسط الكلام في ذلك لما ذكرت مذهب الجهمية والمعتزلة في القرآن، بما أغنى عن إعادته.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله قد نادى الكلیم وقبلة	سمع النداء في الجنة الأبوان
وأتى النداء في تسع آيات له	وصفاً فراجعها من القرآن
وكذا يكلم جبرئیل بأمره	حتى ينفذه بكل مكان
واذكر حديثاً «في صحيح محمد»	ذاك البخاري العظيم الشأن
فيه ندا الله يوم معادنا	بالصوت يبلغ قاصياً والداني
هب أن هذا اللفظ ليس بثابت	بل ذكره مع حذفه سيان
ورواه عندكم البخاري المجسم	بل رواه مجسم فوقان
أيصح في عقل وفي نقل ندا	ليس مسموعاً لنا بأذان

أم أجمع العلماء والعقلاء من أهل اللسان وأهل كل لسان
 أن الندا الصوت الرفيع وضده فهو النجاء كلاهما صوتان
 والله موصوف بذلك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن
 واذكر حديثاً لابن مسعود صريحاً أنه ذو أحرف بيان
 للحرف منه في الجزأ عشر من ١١ حسنات ما فيهن من نقصان
 وانظر إلى السور التي افتتحت بأحرف فها ترى سرّاً عظيم الشأن
 لم يأت قط بسورة إلا أتى في إثرها خبر عن القرآن
 إذ كان إخباراً به عنها وفي هذا الشفاء لطالب الإيمان
 ويدل أن كلامه هو نفسها لا غيرها والحق ذو تبيان
 فانظر إلى مبدا الكتاب وبعدها (الأعراف) ثم كذا إلى (لقمان)
 مع تلوها أيضاً ومع (حم) مع (يس) وافهم مقتضى الفرقان

قوله : رآني الندا في تسع آيات له الخ . وهو قوله تعالى في سورة
 الأعراف (وفاداهما ربهما) الأعراف : ٢٢ الآية . وفي مريم (وناديناه من
 جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) مريم : ٥٢ . وفي طه (فلما أتاهما نودي
 ياموسى إني أنا ربك) طه : ١١ ، ١٢ . الآية . وفي سورة الشعراء (واذ نادى
 ربك موسى أن آت القوم الظالمين) الشعراء : ١٠ . وفي النمل (فلما جاءها
 نودي أن بورك من في النار) النمل : ٨ . وفي القصص (فلما أتاهما نودي
 من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) القصص : ٣٠ .

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) القصص : ٤٦ . (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) القصص : ٦٢ ، ٧٤ - في موضعين - (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) القصص : ٦٥ . وفي الصافات (ونادينا أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ . وفي النازعات (وهل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) النازعات : ١٥ ، ١٦ .

وقوله : وكذا يكلم جبرئيل بأمره . يشير الى حديث النواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بالأمر ، تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رجدة - شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبرئيل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبرئيل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول جبرئيل : (قال الحق وهو العلي الكبير) سبأ : ٢٣ . فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل ، فينتهي جبرئيل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض ، رواه ابن أبي حاتم^(١) .

وقوله : واذكر حديثاً في « صحيح محمد » الخ . يشير الى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في القصص ، وقد تقدم .

وقوله : ورواه عندكم البخاري المجسم الخ . يحكى عن صاحب بن عباد أنه قال عن البخاري : إنه مجسم ساقط .

قوله : أَيْصَح في عقل وفي نقل ندا . قال شيخ الاسلام في « منهاج السنة » . النداء لا يكون الا أصواتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس .

(١) كان في هذا الحديث نقص ، فاسند ركناه من « تفسير ابن كثير » .

وقول الناظم : وأتى الندافي تسع آيات له الخ . بل أتى الندافي عشرة مواضع أو أكثر ، كما في « المنهاج » .

قوله : وإذا ذكر حديثاً لابن مسعود . هو ما رواه الترمذي من طريق عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه غيره من الأئمة ، وفيه : « أما إني لأقول (الم) حرف ، ولكن ألف جرم ، ولام حرف ، وميم حرف » .

قوله : وانظر الى السور التي افتتحت الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « بدائع الفوائد » : تأمل سر (الم) كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة ، فالألف اذا بدى بها أولاً كانت همزة ، وهي أول الخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ، ومخرجها من الفم ، وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ، أعني الخلق ، واللسان ، والشفقين ، وتنزلت في التنزيل من البداية الى الوسط الى النهاية ، فهذه الحروف تعتمد (على) الخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها ثمانية عشر حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سرأ عجيبياً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينها ، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهي مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته ، وتوسطه ، فشملة على تخلق العالم وغايته ، وعلى المتوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر ، وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها ، وهي الجهر ، والشدة ،

والاستعلاء ، والقلقلة ، والاطباق . والسين حرف مهموس ، رخو ، مستقل ، صغير ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع الى الطاء الاحرف (التي) يقابلها ، كالسين والهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . وتأمل السور التي اجتمعت على الحروف المفردة ، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن ، وذكر الخلق ، وتكرر القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين قول العبد ، وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين ، وذكر القبل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن الا تكرار القول والمحادثة ، وسر آخر ، وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة ، والجهر ، والعلو ، والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح ، فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ ، وقولهم (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) ص : ه الى آخر كلامهم . ثم اختصاص الخصمين عند داود ، ثم تخصم أهل النار ، ثم اختصاص الملائة في العلم ، وهو الدرجات والكفارات ، ثم تخصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانياً في شأن بني حلقه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الاخلاص منهم . فليتأمل اليب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) وسورة (ق) غير حرفها ، وهذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، والله سبحانه أعلم . آخر كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام

ناه مثير مرسل لبيان	والله عز وجل موص أمر
ومحدث ومخير بالشان	ومخاطب ومحاسب ومنبئ
ومحذر ومبشر بأمان	ومكلم متكلم بل قائل
بكلامه للحق والايان	هادي يقول الحق يرشد خلقه
إذا متنف متحقق البطلان	فاذا انتفت صفة الكلام فكل هـ
إرسال منفي بلا فرقات	واذا انتفت صفة الكلام كذلك الا
م المرسل الداعي بلا نقصان	فرسالة المبعوث تبليغ كلا
للمرسلين وأنه نوعان	وحقيقة الارسال نفس خطابه
موسى وجبريل القريب الداني	نوع بغير وساطة ككلامه
إذا لا تراه هاهنا العينان	منه اليه من وراء حجاب
طه وهو أيضاً عنده ضربان	والآخر التكليم منه بالوسا
وحي وإرسال اليه وذاك في الشورى أتى في أحسن التبيان	

مضمون هذا الفصل إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام نفي الرسالة ، اذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل ، فاذا انتفت صفة الكلام ، لزم نفي الرسالة ، ثم ذكر أن حقيقة الارسال نفس خطابه تعالى للمرسلين ، وهو نوعان : بغير وساطة ، ككلامه تعالى لجبريل وموسى من وراء حجاب ، والنوع الثاني : تكليم بالوساطة ، كتكليمه سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على لسان جبريل ، كما قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بآذنه ما يشاء) الشورى : ٥١ الآية .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم التشبيهية للرب بالجماذ الناقص اذا انتفت صفة الكلام

خرس وذلك غاية النقصان	فاذا انتفت صفة الكلام فضدها
هو قابل من أمة الحيوانات	فلئن زعمتم أن ذلك في الذي
م فنفها ما فيه من نقصان	والرب ليس بقابل صفة الكلا
صفة الكلام أتم للنقصان	فيقال سلب كلامه وقبوله
من ذا الجماذ بأوضح البرهان	إذ أخرس الانسان أكمل حالة
فجمدت أوصاف الكمال مخافة التجسيم والتشبيه بالانسان	
ت الناقصات وذا من الخذلان	ووقعت في تشبيهه بالجامدا

الله أكبر هتكت أستاركم حتى غدوتم ضحكة الصبيان
قول الناظم :

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها خرس وذلك غاية النقصان
لاشك أن الكلام صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق اذا لم يكن
فيه نقص بوجه ما ، فالخالق أحق به ، لأنه هو الذي خلقه ، وكل كمال
اتصف به موجود ممكن وحادث ، فالموجود الواجب القديم أولى به ، وكل
نقص تنزه عنه مخلوق موجود حادث ، فالخالق أولى بتنزيهه عنه .

قوله : فلكن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل الخ . قالت النفاسة من
الباطنية من المتفلسفة وغيرهم : لما قيل لهم ، اذا لم يوصف بالعلم ، والقدرة ،
والحياة ، والكلام ، لزم أن يتصف بما يقابل ذلك ، كالعجز ، والجهل ، والموت ،
والبكم . فقالوا : إنما يلزم ذلك لو كان قابلاً للاتصاف بذلك ، فان المتقابلين
تقابل السلب والایجاب ، كالوجود والعدم ، اذا عدم أحدهما ثبت الآخر ،
وأما المتقابلان تقابل العدم والملكية ، كالحياة والموت ، والعمى والبصر ،
فقد يخلو المحل عنها ، كالجماد ، فانه لا يوصف لا بهذا ولا بهذا . فقال لهم أهل
الاثبات : فررتم (من) ^(١) تشبيهه بالحيوان الناقص الذي لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا
يتكلم ، مع امكان ذلك منه ، فشبهتموه بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف
لا بهذا ولا بهذا ، فكان ما فررتم اليه شراً مما فررتم منه .

(١) في الاصل : عن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفعال العباد خليفة الرحمن
من ألف وجه أو قريب الألف يحصيا الذي يعنى بهذا الشأن
فيكون كل كلام هذا الخلق عين كلامه سبحانه ذي السلطان
اذ كانت منسوبة إليه كلامه خلقاً كييت الله ذي الاركان
هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد مصرحاً ببيان
حذر التناقض إذ تناقضتم ولو كن طرده في غاية الكفران
فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ن كييته وكلاهما خلقان
فيقال ذا التخصيص لا ينفي العموم (ولا الخصوص) (١) كروب ذي الأكوام
ويقال رب العرش أيضاً هكذا تخصيصه لاضافة القرآن
لا يمنع التعميم في الباقي وذا في غاية الايضاح والبيان
هذا الالزام الذي ذكره الناظم هو إلزام مشهور للسلف ، الزموا به
الجهمية القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وأن إضافته الى الله اضافة تشريف
وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وناقاة الله ، فألزمهم السلف بأن جميع كلام

(١) جملة : « ولا الخصوص » زيادة لم تكن في الاصل ، ولا في غيره ، ولا يستقيم
الوزن بدونها .

الخلق عين كلام الله . قال سليمان بن داود الهاشمي : من قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر ، وإذا كان القرآن مخلوقاً كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ . وزعموا أن هذا مخلوق . وقال (انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) طه : ١٤ . فقد ادعى ما ادعى فرعون ، فلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار اذ قال : (أنا ربكم الأعلى) من هذا ، وكلاهما عنده مخلوق ، فأخبر بذلك ابو عبيد ، فاستحسنه وأعجبه ، ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق « أفعال العباد » ، وكذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن ادريس ، ويحيى ابن سعيد القطان ، ولهذا قال الناظم : هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد ، أي : أن الاتحادية صرحوا بهذا اللازم ، فقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
ولكن طرد هذا ، كما قال الناظم : في غاية الكفران ، أي : ان القول بهذا هو غاية الكفران ، بل لا أكفر ممن يقول ذلك ، نعوذ بالله .

قوله : فلتن زعمتم أن تخصيص القرآن الخ . أي : كما أنه اذا قيل : رب الأكوان ، ورب المخلوقات ، فالعرش داخل في عموم الأكوان والمخلوقات ، فاذا قلتم : ان اضافة القرآن اليه تعالى للتشريف ، لزعمكم أن جميع كلام الخلق كلام الله ، والتخصيص في القرآن لا ينفي العموم ، كما اذا قيل : رب العرش ، ورب الأكوان ، كما لا يخفى ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والأمر الصريح وذاك في الفرقان
وكلاهما عند المنازع واحد والكل خلق ما هنا شيان
والعطف عندهم كمطف الفرد من نوع عليه وذاك في القرآن
فيقال هذا ذو امتناع ظاهر في آية التفريق ذو تبيان
فإن الله بعد الخلق أخبر أنها قد سخرت والأمر للجريان
وأبان عن تسخيرها سبحانه بالأمر بعد الخلق والتبيان
والأمر إما مصدر أو كان مفعولاً لهما في ذاك مستويان
مأموره هو قابل للأمر كالمصنوع قابل صنعة الرحمن
فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالمنخلق ينفي لانتفا الحدثن
وانظر إلى نظم السياق تجد به سرّاً عجيباً واضح البرهان
ذكر الخصوص وبعده متقدماً والوصف والتعميم في ذا الثاني
فأتى بنوعي خلقه وبأمره فعلاً ووصفاً موجزاً ببيان
فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

قوله : ولقد أتى الفرقان بين الخلق والأمر الخ . أي : ان الله فرق بين الخلق والأمر في قوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) الاعراف : ٥٤ فجعل الخلق غير الأمر ، ولكن الجهمية ومن تبعهم قالوا : ان الخلق هنا هو الأمر ، وقالوا : العطف لا يقتضي المغايرة ، بل هو من عطف الخاص على العام ، وهذا معنى قول الناظم : والعطف عندهم كمعطف الفرد من نوع عليه الخ . وهذا مردود ، لأن الله سبحانه أخبر في هذه الآية أنها بعد الخلق قد سخرت بالأمر .

قوله : والأمر إما مصدر الخ . أي : ان الأمر في الآية ، إما ان يكون مصدراً ، كما هو الأظهر ، وإما ان يكون المراد به المأمور ، كما يقوله أهل التأويل ، فهما سواء ، فإن المأمور لا بد له من أمر ، ولذلك سمي مأموراً ، كما ان المخلوق ينتفى اذ انتفى الحدثان .

وقال الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في شرح « جمع الجوامع » قال البويطي عن الشافعي : انما خلق الله الخلق بـ (كن) ، فلو كانت هي مخلوقة ، فمخلوق خلق مخلوقاً . قال الأئمة : ولو كان (كن) الأول مخلوقاً ، فهو مخلوق بأخرى ، وأخرى الى ما لا يتناهى ، وهو مستحيل . وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه في قوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) الاعراف : ٥٤ الأمر : القرآن ، ففصل بين المخلوق والأمر ، ولو كان الأمر مخلوقاً لم يكن لتفصيله معنى . قال ابن عينة : فرق بين الأمر والخلق ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وأما ان القرآن هو الأمر ، فلقوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا) الدخان : ٣ - ٥ وروي هذا الاستنباط عن احمد بن حنبل ، ومحمد ابن يحيى الذهلي ، واحمد بن سنان وغيرهم من الأئمة ، وذكر البيهقي بإسناد

صحيح عن عمرو بن دينار قال : سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون :
القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : ومشيخته جماعة من الصحابة ، منهم
ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وابن الزبير ، وأكابر التابعين ، ثم قال :
ورويناه هذا القول عن الليث بن سعد ، وسفيان ، وابن المبارك ، وحماد
ابن زيد ، وابن مهدي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي عبيد ،
والبخاري ، ومشيخة سواهم . وإنما أحدث هذه البدعة الجحد بن درهم ،
وعنه كان يأخذ الجهم ، فذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم الاضطر . انتهى .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الاوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه منه ومجور بمن نوعان
عين ووصف قائم بالعين فالأعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجور قام لأنه أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضاً سواء ما يضاف اليه من صفة ومن أعيان
فاضافة الأوصاف ثابتة لمن قامت به كإرادة الرحمن
وإضافة الأعيان ثابتة له ملكاً وخلقاً ما هما سيان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه لما أضيف كيف يفرقان

وكلامه كحياته وكعلمه في ذي الإضافة أذها وصفان
 لكن ناقته وبيت إلهنا فكعبده أيضاً هما ذاتان
 فانظر إلى الجهمي لما فاته الحق المبين واضح الفرقان
 كان الجميع لديه باباً واحداً والصبح لاح لمن له عينان

قوله : والله أخبر في القرآن بأنه الخ . أي : كما في قوله تعالى (قل
 نوله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ وقال (والذين آتيناهم الكتاب
 يعلمون انه منزل من ربك بالحق) الانعام : ١١٤ وقال تعالى عن المسيح
 (وروح منه) النساء : ١٧١ ومن لابتداء الغاية . وقال تعالى (وسخر لكم
 ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) الجاثية : ١٣ ومن لابتداء الغاية .
 قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : المضاف الى الله تعالى اذا كان معنى
 لا يقوم بنفسه ولا يغيره من المخلوقات ، وجب ان يكون صفة الله تعالى
 قائمة به ، وامتنع اضافته اضافة مخلوق مربوب ، واذا كانت المضاف عيناً
 قائمة بنفسها كجبريل ، وعيسى عليهما السلام ، وأرواح بني آدم ، امتنع
 ان يكون صفة لله تعالى ، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره ، لكن
 الأعيان المضافة الى الله تعالى على وجهين :

أحدهما : أن تضاف إليه بكونه خلقها وأبدعها ، فهذا شامل لجميع
 المخلوقات ، كقولهم : سماء الله ، وأرض الله ، فجميع المخلوقين عبيد الله ،
 وجميع المال مال الله .

الوجه الثاني : ان يضاف إليه لما خصه به من معنى يحبه ، ويأمر به ،
 ويرضاه ، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره ، وكما يقال

في مال الخمس والفيء : هو مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه ، فعباد الله هم الذين عبدوه أو طاعوا أمره ، فهذه اضافة تتضمن ألوهيته ، وشرعه ، ودينه ، وتلك اضافة تتضمن ربوبيته وخلقته . انتهى ملخصاً .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما
بل أربع كل يسمى بالقرا
هذا الذي يتلى وآخر ثابت
والثالث المحفوظ بين صدورنا
والرابع المعنى القديم كعلمه
وأظنه قد رام شيئاً لم يجد
إن المعين ذو مراتب أربع
في العيين ثم الذهن ثم اللفظ ثم
وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الـ أولى به الموجود في الأعيان
بخلاف قول ابن الخطيب فانه
قد قال ان الوضع للأذهان
فالشيء شيء واحد لا أربع
فدهى ابن حزم قلة العرفان

ابن حزم : هو الامام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي
الظاهري المشهور ، عالم الأندلس ، صاحب المصنفات المشهورة ، كـ « الملل
والنحل » و « المحلى شرح المجلى » ^(١) وكتاب « الاجماع » وكتاب « الايصال »
وغير ذلك ، وشهرته تفني عن الاطناب في ذكره ، والاسهاب في أمره .
وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » : ولد رحمه الله تعالى بقرطبة سنة ٣٨٤
أربعمائة وثمانين وثلثمائة ، وسمع من أبي عمر أحمد بن الحضور ، ويحيى بن
مسعود ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحمام بن أحمد القاضي ، وعبد الله
ابن ربيع التميمي ، وأبي عمر الطائفي ، وخلق . روى عنه أبو عبد الله
الحليدي فأكثر ، وابنه أبو رافع الفضل ، وطائفة . وكان إليه المنتهى في
الذكاء ، والحفظ ، وصعة الدائرة في العلوم ، وكان شافعيًا ، ثم انتقل الى
القول بالظاهر ، ونفى القول بالقياس ، وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية ،
وكان صاحب فتون ، فيه دين ، وتورع ، وتزهّد ، وتحرر للصدق ، وكان أبوه
وزيراً جليلاً ، محتشماً ، كبير الشأن ، وكان لأبي محمد كتب عظيمة ، لاسيما
كتب الحديث ، والفقه ، وقد صنف كتاباً كبيراً في فقه الحديث سماه
« الايصال الى فهم كتاب الحصال الجامعة لمجل شرائع الاسلام والحلال
والحرام » اورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم ، والحجة لكل قول ، وله
كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » مجلدان ، وكتاب « المجلى » في الفقه على
مذهبه واجتهاده مجلد ، وشرحه وهو « المحلى » في ثمانين مجلدات ، وكتاب
« الفصل في الملل والنحل » ثلاث مجلدات ، وكتاب « إظهار تبديل اليهود

(١) لقد جمع ابن حزم مسائل مختصرة في كتاب سماه « المجلى » ثم رغب اليه بعض
الناس أن يشرحه ، فاستجاب وسماه « المحلى شرح المجلى » وهو كتاب عظيم ومرجع كبير
في الفقه الاسلامي ، غير أنه - رحمه الله - كان شديد اللهجة في الرد على مخالفيه.

والنصارى للكتابين التوراة والانجيل » وكتاب « التقريب لحد المنطق »
والمدخل اليه بألفاظ أهل العلم ، لا بألفاظ أهل الفلسفة ، ومثله بالأمثلة
الفقهية . أخذ المنطق عن محمد بن حسن المذحجي ، وأمعن فيه ، فبقي فيه
قسط من نخلة الحكماء .

قال أبو حامد الغزالي : وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن
حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه .

وقال صاعد بن أحمد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم
الإسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه
من البلاغة ، والشعر ، ومعرفته بالسنن والآثار : أخبرني ولده الفضل أنه
اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تأليفه أربعمائة مجلد ، يحتوي على نحو
من ثمانين ألف ورقة .

قال الحميدي : كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه ، مستنبطاً للأحكام
من الكتاب والسنة ، متقناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما
اجتمع له من الذكاء ، وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين ،
وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، مارأيت من يقول
الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير ، جمعه على حروف المعجم .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد المقرئ : صحبت ابن حزم سبعة أعوام ،
وسمعت منه جميع مصنفاته ، سوى المجلد الأخير من كتاب « الفصل »
وقرأنا عليه من كتاب « الإيصال » سبع مجلدات في سنة ست وخمسين (١) ،
وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ومن تأليفه كتاب « الصادع » في الرد على
من قال بالتقليد ، وكتاب « شرح أحاديث الموطأ » ، وكتاب « الجامع »
في صحيح الحديث باختصار الأسانيد ، وكتاب « منتقى الإجماع » وكتاب

(١) لعله يقصد : سنة ست وخمسين بعد الأربعمائة .

« كشف الالباب لما بين الظاهرية وأصحاب القياس » وله « السيرة النبوية » في مجلد ، وتصانيفه كثيرة .

قال أبو مروان بن حيان : كان ابن حزم حامل فنون ، من حديث ، وفقه ، وجدل ، ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة ، من المنطق ، والفلسفة ، وله كتب كثيرة ، لم يحل فيها من غلط ، لجراءته في التسور على الفنون ، لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا أنه زل هنالك ، وذل في سلوك المسالك ، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض ، ومال أولاً في النظر الى الشافعي ، وناضل عنه ، حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل عن ذلك الى الظاهر ، فنقحه وجادل عنه ، ولم يكن يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ، ولا بتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، وينشقه انشقاق الحردل ، فتتفر عنه القلوب ، وتقع به الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فمالزوا عليه ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من قنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو منه ، فطفق الملوك يقصدونه ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره ، وهي بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ، ولا راجع ، الى آخر كلام لأبي حيان ، تركته اختصاراً . انتهى . توفي ٤٥٦ سنة ستة وخمسين وأربعمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقوله في القرآن قول مهجور ، لا نعلم قائلًا به ، وهو من جملة مجازفته وتهوره ، رحمه الله ، ولكن الناظم ، لما ذكر جميع ما قاله الناس في القرآن العظيم ، ذكر هذا القول ، لأنه من جملة الأقوال التي قيلت ، والا فشيخ الاسلام رحمه الله تعالى قد ذكر في المسألة المصرية أقوال الناس في القرآن ، فبلغت

سبعة أقوال ، أو ثمانية ، ولم يذكر قول ابن حزم هذا ، وحيث ذكره الناظم ، فلا بد من بيان معناه . فقله : بل أربع كل يسمى بالقرآن ، هذا الذي يتلى ، والثاني : المكتوب في المصاحف ، والثالث : المحفوظ في السدور ، والمراد بالرسم : الخط . وقوله : هذه الثلاث خليفة الرحمن ، وهذا القول من أبطل الأقوال التي قيلت في القرآن ، ولذلك قال الناظم : وذاك قول بين البطلان .

قوله : والرابع المعنى القديم الخ . كأنه والله أعلم وافق الاشاعرة والكلاية في إثبات المعنى النفسي ، وقد تقدم القول في المعنى النفسي بما أغنى عن الإعادة .

وقول الناظم : وإظنه قد رام شيئاً لم يجد ، إلى قوله : ان المعين ذو مراتب أربع الخ .. أي : أن المعين كزيد مثلاً له أربع وجودات : وجود خارجي ، ووجود ذهني ، ووجود لفظي ، أي : في اللفظ ، اذا تلفظت بلفظ زيد ، ووجود رسمي ، أي : خطي ، فهذه الوجودات الأربعة ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم) القلم : ١ - ٤ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الخارجي الذي هو خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، فذهب ابن حزم أن القرآن في المراتب الثلاثة مخلوق ، وهي وجوده العيني ، واللفظي ، والرسمي ، ولكن الاولى بالتسمية بالقرآن - وهو وجوده العيني - بقي عنده المعنى القديم ، فهو غير مخلوق ، كالعلم .

وقول الناظم : بخلاف قول ابن الخطيب الخ . أي : أن قول ابن

الخطيب ، أي الفخر الرازي ، قال : ان الكلام موضوع لما في الذهن .
وهو المعنى النفسي على ما هو معروف من مذهب الاساعرة ، وإنه معنى
واحد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله أخبر أنه سبحانه	متكلم بالوحي والفرقان
وكذلك أخبرنا بأن كلامه	بصدور أهل العلم والايمان
وكذلك أخبر أنه المكتوب في	صحف مطهرة من الرحمن ^(١)
وكذلك أخبر أنه المتلو والـ	مقروء عند تلاوة الانسان
والكل شيء واحد لا أنه	هو أربع وثلاثة واثنا
وتلاوة القرآن أفعال لنا	وكذا الكتابة فهي خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب والـ	محفوظ قول الواحد المنان
والعبد يقرؤه بصوت طيب	وبضده فهما له صوتان
وكذلك يكتبه بخط جيد	وبضده فهما له خطان
أصواتنا ومدادنا وأداتنا	والرق ثم كتابة القرآن
ولقد أتى في نظمه من قال قو	ل الحق فيه وهو غير جبان
إن الذي هو في المصاحف مثبت	بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه	ومدادنا والرق مخلوقان

(١) في الاصل : الشيطان ، وعلى هامش الاصل : نسخة الرحمن .

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع وذلك حقيقة العرفان
الكل مخلوق وليس كلامه المتلو مخلوقاً هما شيان
فعليك بالتفصيل والتمييز فالإطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخطبا الأذهان والآراء كل زمان
وتلاوة القرآن في تعريفها باللام قد يعنى بها شيان
يعنى بها المتلو فهو كلامه هو غير مخلوق كذي الكوان
ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان
هذا الذي نصت عليه أئمة الإسلام أهل العلم والعرفان
وهو الذي قصد البخاري الرضى لكن تقاصر قاصر الأذهان
عن فهمه كتقاصر الأفهام عن قول الإمام الأعظم الشيباني
في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه واهتدى للنفي ذو عرفان
فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا كتلفظ بتلاوة القرآن
وكذلك يصلح نفس ملفوظ به وهو القرآن فذان محتملان
فلذلك أنكر أحمد الإطلاق في نفى وإثبات بلا فرقان
شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان القراءة ، والمقروء ، والتلاوة ،
والمتلو ، والكتابة ، والمكتوب ، والمحفوظ ، واللفظ ، والملفوظ ،

وأطنب في ذلك لكثرة ما وقع في ذلك من التخييط والتخليط، فقال (١) : والله أخبر أنه سبحانه متكلم الخ . كما قال تعالى (حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) العنكبوت : ٤٩ وقال تعالى (في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة) عبس : ١٣ ، ١٤ وقال تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة : ١٨ ثم قال : والكل شيء واحد ، لأنه هو أربع ، وثلاثة ، واثنان ، ثم قال : وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان

قال شيخ الاسلام بعد كلام سبق : وكان أهل الحديث قد اختلفوا في ذلك ، أي : في مسألة اللفظ في القرآن ، فصار طائفة منهم يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن داود المصيصي ، وطوائف غير هؤلاء ، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك ، أويقف فيه ، ففهم ذلك بعض الأئمة ، فصار يقول : أفعال العباد (و) أصواتهم مخلوقة ، رداً لهؤلاء ، كما فعل البخاري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وغيرهما من أهل العلم والسنة ، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة ، وأهواء للنفس ، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف ، وصار قوم مع البخاري ، كسلم بن الحجاج ونحوه . وقوم عليه ، كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، ونحوهما ، وكلا هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث ، وهم من أصحاب أحمد بن حنبل ، ولهذا قال ابن قتيبة : إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم ، إلا في مسألة اللفظ ، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلوة والقراءة هي المقروء ، وليس

مرادهم بالتلاوة المصدر ، فالذين قالوا : التلاوة هي المتلو من أهل العلم والسنة ، قصدوا بذلك أن التلاوة هي القول ، والكلام المقترن بالحركة وهي الكلام المتلو . وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء . والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ، أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا أصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البخاري ، وهو مقصود صحيح . انتهى كلامه ملخصاً من كتاب « العقل والنقل » .

وقال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » : قال عبد الرحمن بن محمد الحافظ : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الصيداوي ، سمعت اسحق بن داود الشعراني يذكر أنه عرض على محمد بن أسلم الطوسي كلام بعض من تكلم في القرآن ، فقال محمد : القرآن كلام الله غير مخلون أين ماتلي وحيث ما كتب ، لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل . قال الذهبي : صدق والله ، فانك تنقل من المصحف مائة مصحف ، وذلك الأول لا يتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في نفسك باق بهيته لا يفصل عنك ولا يتغير ، وذلك لأن المكتوب واحد ، والكتابة تعددت ، والذي في صدرك واحد ، وما في صدور المقرئين ، هو عين ما في صدرك سواء ، والمتلو وان تعدد التالون به ، واحد ، مع كونه صور وآيات ، وأجزاء متعددة ، وهو كلام الله ووحيه ، وتنزيله وإنشأؤه ، ليس هو بكلامنا أصلاً . نعم وتكلمنا به وتلاوتنا له ونطقنا به من أفعالنا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا . قال الله عز وجل (والله خلقكم وما تعملون) الصافات : ٩٦ فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنا ، كلام الله ، ليس بمخلوق ، وهذا لما يحصله الذهن . وأما في الخارج ، فلا يتأتى وجود القرآن إلا من تال وفي مصحف ، فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من

رب العالمين ، فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين ، ولهذا يقول الامام أحمد : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن ، فهو جهمي ، فتأمل هذا ، فالمسألة صعبة ، وما فصلته فيها - وإن كان حقاً - فأحمد رحمه الله تعالى وعلماء السلف ، لم يأذنوا في التعبير عن ذلك ، وفروا عن الجهمية ومن الكلام بكل ممكن ، حتى إن حرب بن اسماعيل قال : سمعت ابن راهويه وسئل عن الرجل يقول : القرآن ليس بمخلوق ، وقراءتي إياه مخلوقة ، لأني أحكيه ، فقال : هذا بدعة لا يقار على هذا حتى يدع قوله .

قلت : أظن اسحق نفر من قوله : لأني أحكيه ، بحيث أن الحافظ الثبت عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قال : سألت أبي في رجل قال : التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ، قال : هذا كلام الجهمية . قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال النبي ﷺ : « حتى أبلغ كلام ربي »^(١) وقال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس »^(٢)

(١) الذي في « سنن أبي داود » « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريباً قد منعوني ان ابلغ كلام ربي » كان يقول ذلك عندما يعرض نفسه على الناس في المواسم .

(٢) والحديث بتمامه : عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واكل أمياه : ما شأنكم تنظرون الي - قال - فجاءوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكتني سكنت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأني وأمي ، مارأيت مملاً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوأنه ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح ، والتكبير ، وقراءة القرآن » . رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي . وأبو داود ، وقال : « لا يحل مكان » لا يصلح .

وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، أو يقال : مخلوق، أو غير مخلوق . قلت : فعل الامام أحمد رضي الله عنه هذا حسماً للمادة ، والا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا . انتهى كلام الذهبي . وقول الناظم : وهو الذي قصد البخاري الرضى الى آخره . يعني ان الامام أحمد قال فيما نقل عنه نقلاً مستفيضاً أنه قال : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .

قال الناظم في كتاب « الصواعق المرسلة » ^(١) فان قيل : فاذا كانت الأمر كما قررتم ، فكيف أنكر الامام أحمد على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وبدعة ، ونسبه الى التجهم ، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري الا على ذلك ، حتى هجره أهل الحديث ، ونسبوه الى القول بخلق القرآن . قيل : معاذ الله أن يظن بأئمة الاسلام هذا الظن الفاسد ، فقد صرح البخاري في كتابه « خلق أفعال العباد » وفي آخر « الجامع » ^(٢) بأن القرآن كلام الله غير مخلوق . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق .. الى أن قال : فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه ، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله ، فان الامام أحمد سد الذريعة ، حيث منع اطلاق لفظ المخلوق نقياً وإثباتاً على اللفظ ، وهذا المنع في النفي والاثبات من كمال علمه باللغة والسنة ، وتحققه لهذا الباب ، فانه امتحن بما لم يتحن به غيره ، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران : أحدهما :

(١) على الجمية والمطلقة .

(٢) أي « الجامع الصحيح » وهو المعروف بـ « صحيح البخاري » .

الملفوظ نفسه ، وهو غير مقدور للعبد ، ولا فعل له . والثاني : التلظيه ،
والادالة ، وفعل العبد ، فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الاول ، وهو
خطأ ، واطلاق نفى الخلق عليه ، قد يوهم المعنى الثاني ، وهو خطأ ، فمنع
الاطلاقين . وأبو عبد الله البخاري ، ميز ، وفصل ، وأسبع الكلام في
ذلك ، وفرق بين مقام الرب ، وبين ما قام بالعبد ، وأوقع المخلوق على
تلفظ العباد ، وأصواتهم ، وحركاتهم ، وأكسابهم ، ونفى اسم الخلق عن
الملفوظ ، وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى ، وسمعه محمد ﷺ
من جبريل ، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب « خلق أفعال العباد » وأتى
فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة ، ويوضح الحق ، ويبين محله من
الامامة والدين ، ورد على الطائفتين أحسن الرد . وقال أبو عبد الله البخاري :
فأما ما احتج به الفريقان لمذاهب احمد ، ويدعيه كل لنفسه ، فليس بثابت
كثير من اخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن احمد
وأهل العلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق ، وما سواه فهو مخلوق ، وانهم
كرهوا البعث والتفتيش عن الاشياء الغامضة . و (كان) يجنب أهل الكلام ،
والخوض ، والتنازع الا فيما جاء به العلم ، وبينه النبي ﷺ ، والفريقان
الذين عناهما البخاري ، وتصدى للرد عليهما وابطال قولهما ، ثم أخبر البخاري
أن كل واحدة من الطائفتين الزائعتين تحتج بأحمد ، وترغم ان قولها قوله ،
وهو كما قال رحمه الله ، فان اولئك اللفظية يزعمون أنه كان يقول : لفظي
بالقرآن غير مخلوق ، وأنه على ذلك استقر أمره ، وهذا قول من يقول :
التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، والكتابة هي المكتوب ، والطلاقة
الثانية الذين يقولون : التلاوة والقراءة مخلوقه ، ويقولون : ألقاها
بالقرآن مخلوقة ، مرادهم بالتلاوة والقراءة نفس ألقاها القرآن العربي الذي

سمع من رسول الله ﷺ ، والمتلو والمقروء عندهم هو المعنى القائم بالنفس ، وهو غير مخلوق ، وهو اسم للقرآن ، فاذا قالوا : القرآن غير مخلوق ، أرادوا به ذلك المعنى ، وهو المتلو والمقروء . وأما المقروء والمسموع المثبت في المصاحف ، فهو عبارة عنه ، وهو مخلوق ، وهؤلاء يقولون : التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والكتابة غير المكتوب ، وهي مخلوقة ، والمتلو المقروء غير مخلوق ، وهو غير مسموع ، فانه ليس بحروف ولا أصوات ، والفريقان مع كل منهما حق وباطل .

فنقول وبالله التوفيق : أما الفريق الاول ، فأصابوا في قولهم : إن الله تعالى تكلم بهذا القرآن ، على الحقيقة حروفه ومعانيه ، تكلم به بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته ، وليس هذا القرآن العربي مخلوقاً من جملة المخلوقات ، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا الصوت المسموع من القارئ هو الصوت القائم بذات الرب تعالى ، وانه غير مخلوق ، وان تلاوتهم وقراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة ، فهذا غلو في الاثبات يجمع بين الحق والباطل . وأما الفريق الثاني ، فأصابوا في قولهم : إن أصوات العباد ، وتلاوتهم ، وقراءتهم ، وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن ، وكتابتهم له ، مخلوق ، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا القرآن العربي الذي بلغه رسول الله ﷺ عن الله ، مخلوق ، ولم يتكلم به الرب ، ولا سمع منه ، وإن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه ، ليس بحروف ، ولا سور ، ولا آيات ، ولا له بعض ، ولا كل ، وليس بعربي ، ولا عبراني ، بل هذه عبارات مخلوقة تدل على هذا المعنى ، والحرب واقع بين هذين الفريقين من بعد موت الامام أحمد الى الآن ، فانه لما مات الامام احمد قال طائفة ممن ينسب اليه ، منهم محمد بن داود المصيصي وغيره : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وحكوا

ذلك عن الامام أحمد ، فأنكر عليهم صاحب الامام أحمد ، وأخص الناس به ، أبو بكر المروذي ذلك ، وصنف كتاباً مشهوراً ذكره الخلال في « السنة » ثم نصر هذا القول أبو عبد الله بن حامد ، وأبو نصر السجزي ، وغيرهما ، ثم نصرهما بعده القاضي أبو يعلى وغيره ، ثم ابن الزاغوني ، وهو خطأ على أحمد ، فقابل هؤلاء الفريق الثاني . وقالوا : إن نفس هذه الألفاظ مخلوقة ، لم يتكلم الله بها ، ولم تسمع منه ، وإنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه وقالوا : هذا قول أحمد ، والبخاري . وإئمة السنة براء من هذين القولين ، والثابت المتواتر عن الامام أحمد ، هو ما نقله عنه خواص أصحابه وثقاتهم كابنيه : صالح ، وعبد الله ، والمروذي ، وغيرهم ، الإنكار على الطائفتين جميعاً ، كما ذكره البخاري ، فأحمد والبخاري على خلاف قول الفريقين ، وكان يقول : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق « فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق ، فهو مبتدع ، وإن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ، هو كلام الله على الحقيقة ، وحيث تعرف كلام الله ، فهو غير مخلوق . وكان يقول بخلق أفعال العباد وأصواتهم ، وأن الصوت المسموع من القارئ هو صوته وهو مخلوق ، ويقول في قول النبي ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (١) معناه : يحسنه بصوته ، كما قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » (٢) انتهى كلام الناظم .

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة في كتاب التوحيد : باب قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ورواه أحمد وأبو داود .

(٢) رواه البخاري تعليقاً وأبو داود ، ولدارمي ، والحاكم وهو

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات الفلاسفة والقراءطة في كلام الرب جل جلاله

وأتى ابن سينا القرهطى مصانعاً المسلمين بأفك ذي بهتان
 فرآه فيضا فاض من عقل هو الففعال علة هذه الأكوان
 حتى تلقاه زكي فاضل حسن التخیل جيد التبيان
 فأقى به للعالمين خطابة وهو أعضا عريت عن البرهان
 ما صرحت أخباره بالحق بل رمزت إليه إشارة لمعان
 وخطاب هذا الحق والجمهور بالحق الصريح فغير ذي إمكان
 لا يقبلون حقائق المعقول الا في مثال الحس والاعيان
 ومشارب العقلاء لا يردونها الا اذا وضعت لهم بأوان
 من جنس ما ألقت طباعهم من المحسوس في ذا العالم الجثمان
 فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجسيم وتخييل الى الانهاس
 ولذلك يحرم عندهم تأويله لكنه حل لذی العرفان
 فاذا تأولناه كان جنایة منا وخرق سیاج ذا البستان

لكن حقيقة قولهم أن قاداتوا بالكذب عند^(١) مصالح الانسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم متفاوتان وما هما عدلان
أما الرسول ففيلسوف عوامهم والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيا قاله اتباع صاحب منطق اليونان
ذكر الناظم رحمه الله تعالى كلام المتفلسفة في كلام الله تعالى ، كابن
سينا وأتباعه ، ومن وافقهم من متصوف ومتكلم ، فان كلام الله عندهم
ليس له وجود خارج عن نفوس العباد ، بل هو ما يفيض على النفوس من
المعاني إعلاما أو طلباً ، اما من العقل الفعال ، كما يقوله كثير من المتفلسفة ،
واما مطلقاً ، كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة . أفاده شيخ الاسلام ، وقال
في كلامه على حديث النزول^(٢) بعد كلام سبق : ثم لما أرادوا تقرير النبوة ،
جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال ، أو غيره ، من غير أن
يكون رب العالمين يعلم له رسولاً معيناً ، ولا يميز بين موسى ، وعيسى ،
ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من
عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال .
وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به
الرسول ﷺ ، وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ ، إنما أراد به خطاب
الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون به ، من غير أن يكون الأمر في نفسه
كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق ، وعلمت الناس ما
الأمر عليه ، ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم أن
الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء ؟ على

(١) في الاصل : فيه .

(٢) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان : « شرح حديث النزول لشيخ
الاسلام ابن تيمية .

قولين لهم ، الى غير ذلك من أنواع الاحاد ، والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد بين في غير هذا الموضع أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، وان تظاهروا بالاسلام ، فانهم يظهرون من مخالفة الاسلام أعظم مما كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأنهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه ، ولم يكن على عهد حذيفة من وصل الى هذا النفاق ، ولا الى قريب منه . انتهى .

قوله : خطابة : بفتح الحاء : ماركب من مقدمات مقبولة ، أو من مقدمات مظنونة ، وسميت بذلك ، لأن القصد منها ترغيب المخاطب فيما يفعله الخطباء ، كذا ذكر المنطقيون .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومضى على هذي المقالة أمة خلف ابن سينا فاغتنوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه الناصرين لملة الشيطان

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم أعداء كل موحد رباني

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم أعداء رسل الله والقرآن

صوفيههم عبد الوجود المطلق المعدوم عند العقل في الاعيان

أو ملحد بالاتحاد يدين لا التوحيد منسلخ من الاديان

معبوده موطوءه فيه يرى وصف الجمال ومظهر الاحسان
 الله أكبر كم على ذا المذهب الملعون بين الناس من شيخان
 يبغون منهم دعوة ويقبلو ن أيادياً منهم رجا الغفران
 لو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم رجوهم لا شك بالصوان
 فابذلوهم ان كنت تبغي كشفهم وافرش لهم كفاً من الأتيان
 واطهر بمظهر قابل منهم ولا تظهر بمظهر صاحب النكران
 وانظر الى أنها ركفر فجرت وتهم لولا السيف بالجران

يقول الناظم : إنه قد مضى على هذه المقالة أمة خلف ابن سينا، منهم نصير
 الكفر وأصحابه، يعني النصير الطوسي، ونحوه قوله : فاغثوا بلبان اللبان، بكسر
 اللام . قال الأعلم : هو للأدميين ، واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا
 الموضع . قوله : صوفيم عبـ الوجود المطلق الخ، أي أن صوفيتهم عندهم أن
 الرب - تعالى عن قولهم - هو الوجود المطلق الساري في الموجودات، والوجود
 المطلق لا يوجد إلا في الذهن، وقد تقدم حكاية مذاهبهم في الفصل الذي فيه
 قدوم ركبهم . قوله : معبودة موطوءه، أي أن القائلين بوحدة الوجود يعتقدون
 ذلك لأنهم يعبدون الوجود المطلق .
 قوله :

الله أكبر كم على ذا المذهب الملعون بين الناس من شيخان
 أي : كم على هذا المذهب من مشايخ الضلال المنتحلين لأنواع
 الكفر والمحال . قوله : من شيخان بكسر الشين هو جمع شيخ ، أي :
 على ذا المذهب مشايخ كثيرون ، والناس يعظمونهم لعدم معرفتهم بأقوالهم ،
 ولأنهم يظهرون التقى والتشف ، ويربطون العوام بالحث على لزوم الكتاب

والسنة ، وتعظيم الرسل ظاهراً ، ويعظمون مشايخ الزهد والتصوف .
ويتحلون أقوالهم ويعظمونها ، فلهذا التبس أمرهم على الناس . وقد يوجد في
كلام بعضهم ، كإبن عربي تنقص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك
يوجد في كلامه تنقص مشايخ الزهد والتصوف المتبعين للكتاب والسنة ؛
كإبن الجنييد وأمثاله ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج وأمثاله .

وفي كتاب « الفرقان »^(١) لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ولما كانت
أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ،
كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات » المكية و « الفصوص »^(٢) وأشباه
ذلك بمدح الكفار مثل قوم نوح ، وهود ، وفرعون ، وغيرهم ، ويتنقص
بالأنبياء ، كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وهرون ، ويذم شيوخ المسلمين
المحمودين عند المسلمين ، كإبن الجنييد بن محمد ، وسهيل بن عبد الله التستري ،
ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه . انتهى .

وقوله : يغنون منهم دعوة ويقبلون أياديها هي جمع يد ، أي : أن الناس
يقبلون أيادي المشايخ المذكورين ، ويطلبون منهم الدعاء ، ولو علموا حقيقة
قولهم ، أي : لو علموا ما يقولون به من وحدة الوجود ، لرجعهم^(٣) لاسك
بالصوان ، أي : بالحجارة الصوانة مشددة ، ضرب من الحجارة شديد ، جمع
صوان ، قاله في « القاموس » .

وقوله : فابذرهم إن كنت تبغي كشفهم الخ . أي : إن أردت أن

(١) هو « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الاسلام ابن تيمية ،
وقد قام المكتب الاسلامي قريباً بطبعه مع تخريج أحاديثه .

(٢) هو ابن عربي الطائفي ، صاحب الشطحات .

(٣) في الاصل : رجوعهم .

يظهروا لك حقيقة اعتقادهم ، فأعظم شيئاً من حطام الدنيا ، واطهر
بمظهر قابل منهم ، ولا تبدلهم الإنكار ، فإنك إذا فعلت ذلك أظهروا لك
أقوالهم الكفرية المتضمنة للكذب والسخرية .

وقوله :

وانظر إلى أنهار كفر فجرت وتهمّ لولا السيف بالجرّيان

يقال :- والله المستعان - قد جرت تلك الأنهار حتى ملأت الديار والقفار ،
وقد أثقلت كتب هؤلاء الملاحين ظهر البسيطة ، فانظر ترى يامن له عينان ،
والله المستعان ، وان شئت أن تعرف ذلك ، فطالع كتب ابن عربي
كر « الفتوحات المكية » و « القصص » وشروحها و « نائية ابن الفارض »
وشروحها ، وتصانيف العفيف التلمساني ، والشيخ عبد الغني النابلسي ،
ومؤلفات عبد الرزاق الكاشي ، وكتاب « الانساني الكامل » للجيلي
وقصيدته العينية ، وغيرها ، والله الموعده .

ولقد أحسن أبو حيان النحوي في قوله :

حلبت الدهر أشطره زماناً وأغناني العيان عن السؤال
فما أبصرت من خل وفيّ ولا ألفت مشكور الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدت لرائها بأشكال الرجال
فمن يك يدعي منهم صلاحاً فزندق تغلغل في الضلال
فياً خذ ما لهم ويصيب منهم نساءهم بمقبوح الفعال

ويأخذ حاله زوراً فيرمي عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس تقرط في العقيدة والفعال
قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جل جلاله

وأنت طوائف الاتحاد بلمة طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هذا الخلق من جن ومن إنسان
نظماً ونثراً زوره وصحيحه صدقاً وكذباً واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقد فهم للمحصنات وكل نوع أغان
والنوح والتعزيم والسحر المبين وسائر البهتان والهذيان
هو عين قول الله جل جلاله وكلامه حقاً بلا نكران
هذا الذي أدى إليه أصلهم وعليه قام مكسح البنيان
إذ أصلهم أن الاله حقيقة عين الوجود وعين ذي الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله وصفاته ما هاهنا قولان
وكذلك قالوا إنه الموصوف بالضدين من قبح ومن احسان^(١)

(١) هذا البيت سقط من الاصل ، واستدر كناه من مخطوطة المتن .

وكذلك قد وصفوه أيضاً بالكما
ل وضده من سائر النقصان
هذي مقالات الطوائف كلها
حملت اليك رخيصة الاثمان
وأظن لو فتشت كتب الناس ما
أفيتها أبداً بهذا التبيان
زفت اليك فان يكن لك ناظر
أبصرت ذات الحسن والاحسان
أقول : حاصل كلام الاتحادية ، كما قال الناظم ^(١) ان جميع كلام الخلق
كلام الله ، نظمه ونثره ، زوره وصحيحه ، صدقه وكذبه ، جميعه كلام الله
تعالى عن ذلك ، كما قالو :

وكل كلام في الوجود كلامه
سواء كان علينا نثره ونظامه
عليهم لعائن الله المتابعة الى يوم الدين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاعطف ^(٢) على الجهمية المغفل الألى
خرقوا سياج العقل والقرآن
تقدم معنى السياج .

شرد بهم من خلفهم واكسرهم
بل ناد في ناديههم بأذان
أفسدتم المنقول والمعقول والمسموع من لغة بكل لسان
أيصح وصف الشيء بالمشتق للمسلوب معناه لذي الأذهان؟!
أيصح صبار ولا صبر له
ويصح شكار بلا شكران؟! .

(١) أي كما قال الناظم حاكياً قول الاتحادية .

(٢) في الاصل : وعطف ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

ويصح علام ولا علم له ويصح غفار بلا غفران؟!
ويقال هذا سامع أو مبصر والسمع والأبصار مفقودان؟!
هذا محال في العقول وفي النقسول وفي اللغات وغير ذي إمكان
فلئن زعمتم أنه متكلم لكن بقول قام بالانسان
أو غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران
نفني اشتقاق اللفظ للموجود معناه به وثبوته للثاني
أعني الذي ما قام معناه به قلب الحقائق أقبح البهتان
ونظير ذاخوان هذا مبصر وأخوه معدود من العميان
سميت الأعمى بصيراً إذا خو ه مبصر وبعكسه في الثاني
فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله كالخلق للأكوان
والفعل ليس بقاءم يا لهنا إذ لا يكون محل ذي حدثان
ويصح أن يشتق منه خالق فكذلك المتكلم الواحدان؟!
هو فاعل لكلامه وكتابه ليس الكلام له بوصف معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في توضيح ما تقدم فقال : فاعطف على
الجهمية الغل الألى الخ . أي : أن الجهمية خالفوا العقل والنقل ، فلهذا
قال : شردهم من خلفهم . والتشريد : التفريق مع الاضطراب ، والازعاج .
قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : (فشردهم من خلفهم) الأتقال ٥٧

قال : شردهم ، سمع بهم . وقال الزجاج : افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم . يقال : شردت بني فلان : قلعته عن مواضعهم ، وطردتهم عنها حتى فارقوها ، ومنه شرذ البعير ، إذا فارق صاحبه ، بل ناد في ناديههم بأذان . أي : ارفع صوتك في ناديههم ، أي : مجلسهم ، والنادي : قال في « القاموس » النادي والندوة والمنتدى : مجلس القوم نهائياً ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه ، والأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى : (وأذان من الله ورسوله) التوبة : ٣ أي : قل للجهمية : أفسدتم المعقول ، والمتقول ، واللغة التي نزل بها القرآن . وقل : أيصح وصف الشيء بالمشق للمسلوب ؟ معناه : فهل يصح صبار ولا صبر له ؟ وهل يصح شكار ولا شكر له ؟ ويصح غلام ولا علم له ؟ ويصح غفار بلا مغفرة ؟ ويصح اب يقال : هذا سامع أو مبصر لمن لا سمع له ولا بصر ؟ ان هذا محال في العقل ، والنقل ، واللغة .

قوله : مكسح البنيان ، هو اسم مفعول من كسح يكسح كسحاً^(١) ، فهو مكسح . قال في « القاموس » : الكساحة : الكناسة ، والزمانة في الدين . كسح ، كفرح ، وهو أكسح وكسحان . والكساح : داء للابل . والمكسح : المقشر ، والكسيح^(٢) : العاجز ، والاكسح : الأعرج ، والمقعد . جمع كسحان . انتهى .

ثم قال :

فلئن زعمتم انه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفى اشتقاق اللفظ الخ .

أي : أنه يلزمكم إذا قلتم بذلك أن تنفوا اشتقاق اللفظ الموجود معناه به الخ . . لأن لفظ متكلم مشتق من الكلام ، وإذا أضفتم الكلام

(١) في الأصل : كسح يكسح تكسيحاً ، وهو خطأ ، والتصويب من « اللسان »

(٢) في الأصل : المكسر : المقشر ، والكسح ، وهو خطأ ، والتصحيح من « القاموس »

إلى غير من قام به ، كان ذلك محالاً ، وهو قلب للحقائق ، وهو بمنزلة أخوين بصير ، وأعمى ، فهل يسمى الأعمى بصيراً لأن أخاه مبصر ؟ وهل يسمى المبصر أعمى لأن أخاه أعمى ؟ فهل في قلب الحقائق مثل هذا ؟ !

وقوله : فلتن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله الخ. أي : إن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله . أي : لأن الفعل عندهم هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والفعل ليس قائماً بالله تعالى عندهم ، لثلاث تقوم به الحوادث عندهم ، ولكن يصح أن يشتق منه خالق ، فكذلك الكلام ، فهو عندهم فاعل لكلامه وكتابه ، ولم يزد الناظم على هذا القول هنا ، لأنه سيسيطر الكلام عليه فيما بعد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومخالف المعقول والمنقول والفطرات والمسموع للانسان
من قال إن كلامه سبحانه وصف قديم أحرف ومعان
والسين عند الباء ليست بعدها لكن هما حرفان مقترنان
أو قال إن كلامه سبحانه معنى قديم قام بالرحمن
ما إن له كل ولا بعض ولا العري حقيقته^(١) ولا العبراني
والأمر عين النهي واستفهامه هو عين إخبار بلا فرقان
وكلامه كحياته ما ذاك مقدوراً له بل لازم الرحمن
هذا النبي قد خالف المعقول والمنقول والفطرات للانسان

(١) في الاصل : حقيقة ، والتصحيح من المتن المطبوع .

أما الذي قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبت ببيان
وكلامه بمشيئة وإدارة كالفعل منه كلاهما سيان
فهو الذي قد قال قولاً يعلم العقلاء صحته بلا نكران
فلأي شيء كان ما قد قلتم أولى وأقرب منه للبرهان
ولأي شيء دائماً كفترتم أصحاب هذا القول بالعدوان
فدعوا الدعاوي واجثوا معنا بتحقيق وإنصاف بلا عدوان
وارفوا مذهبكم وسدوا خرقها إن كان ذاك الرفو في الامكان
فاحكم هذاك الله بينهم فقد أدلوا اليك بحجة وبيان
لا تنصرون سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن والايان
وتحيزن اليهم لا غيرهم لتكون منصوراً لدى الرحمن
ذكر الناظم رحمه الله مذهب الاقترانية ومذهب الكلابية والاشاعرة
في كلام الله تعالى ، وقد تقدم رد مذهبهم بما فيه كفاية ، ثم بسط الكلام في
مسألة : هل الفعل هو المفعول ، والخلق هو الخلق ؟ فقال :

فنقول هذا القدر قد أعيب على أهل الكلام وقاده أصلان
إحداهما هل فعله مفعوله أو غيره فهما لهم قولان
والقائلون بأنه هو عينه فروا من الأوصاف بالحدثان
لكن حقيقة قولهم وصريحه تعطيل خالق هذه الاكوان

عن فعله إذ فعله مفعوله لكنه ما قام بالرحمن
 فعلى^(١) الحقيقة ماله فعل إذا المفعول منفصل عن الديان
 والقائلون بأنه غير له متنازعون وهم فطائفتان
 إحداها قالت قديم قائم بالذات وهو كقدرة المنان
 سموه تكيوينا قديماً قاله أتباع شيخ العالم النعمان
 وخصوصهم لم ينصفوا في رده بل ككبروهم ما أتوا ببيان
 والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قام وأنهم نوعان
 إحداها جعلته مفتتحاً به حذر التسلسل ليس ذا إمكان
 هذا الذي قالته كرامة ففعاله وكلامه سيان
 والآخرون أولو الحديث كأحمد ذلك ابن حنبل، الرضى الشيباني
 قد قال إن الله حقاً لم يزل متكلاً أن شاء ذو إحسان
 جعل الكلام صفات فعل قائم بالذات لم يفقد من الرحمن
 وكذلك نص على دوام الفعل بالـ إحسان أيضاً في مكان ثان
 وكذا ابن عباس فراجع قوله لما أجاب مسائل القرآن
 وكذلك جعفر الإمام الصادق المقبول عند الخلق ذي العرفان
 قد قال لم يزل المهيمن محسناً برأ جواداً عند كل أوان

وقذا الامام الدارمي فانه	قد قال مافيه هدي الحيران
قال الحياة مع الفعال كلاهما	متلازمان فليس يفترقان
صدق الامام فكل حي فهو فعلا	ل وذا في غاية التبيان
الا اذا ما كان ثم موانع	من آفة أو قاسر الحيوان
والرب ليس لفعله من مانع	ما شاء كان بقدره الديان
ومشيئة الرحمن لازمة له	وكذاك قدرة ربنا الرحمن
هذا وقد فطر الإله عباده	ان المهيمن دائم الاحسان
أولست تسمع قول كل موحد	يا دائم المعروف والسلطان
وقديم الاحسان الكثير ودائم السجود العظيم وصاحب الغفران	
من غير إنكار عليهم فطرة	فطروا عليها لا تواصوا ثان
أو ليس فعل الرب تابع وصفه	وكماله أفذاك ذو حدثان؟!
وكماله سبب الفعال وخلقها	أفعالهم سبب الكمال الثاني
أو ما فعال الرب عين كماله	أفذاك ممتنع على المنان؟!
أزلاً الى أن صار فيما لم يزل	متمكناً والفعل ذو إمكان
تالله قد ضلت عقول القوم إذ	قالوا بهذا القول ذي البطلان
ماذا الذي أضحى له متجدداً	حتى تمكن فانطقوا ببيان

والرب ليس معطلا عن فعله بل كل يوم ربنا في شان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى النزاع في الأصل المشهور : وهو أنه : هل الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ؟ ومعنى ذلك أن الناس تنازعوا في الأفعال اللازمة المضافة الى الرب سبحانه وتعالى ، مثل المجيء ، والابتداء ، والاستواء الى السماء ، والى العرش ، بل وفي الأفعال المتعدية ، مثل الخلق ، والاحسان ، والعدل ، وغير ذلك : هل يكون خلقه للسموات والأرض فعلاً فاعله غير المخلوق ، أم فاعله هو المفعول والخلق هو المخلوق ؟ على قولين معروفين ، والأول هو المأثور عن السلف ، وهو الذي ذكره البخاري في كتاب « خلق الأفعال »^(١) عن العلماء مطلقاً ، ولم يذكروا فيه نزاعاً .

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب « خلق الأفعال » : اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول ، فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ، وقالت الجبرية ، الأفاعيل كلها من الله . وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : (كن) مخلوق . وقال : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول من سواه من المخلوقات . انتهى . وكذلك ذكره البغوي وغيره عن مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره أبو علي الثقفى والضبي وغيرهما من أصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على أنها مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب « التعرف لمذهب التصوف » أنه مذهب الصوفية ، وهو مذهب الحنفية ، وهو مشهور عندهم ، وهو قول السلف ، وجمهور الطوائف ، وهو قول جمهور أصحاب أحمد متقدميهم^(٢) ، وأكثر المتأخرين منهم ،

(١) وهو المعروف بكتاب « خلق أفعال العباد » .

(٢) في الأصل : متقدموهم .

وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى ، وكذلك قول أئمة الشافعية ، والمالكية ، وأهل الحديث ، وأكثر أهل الكلام ، كالمشائية والكلابية ، والكرامية كلهم ، وبعض المعتزلة ، وكثير من أساطين الفلاسفة . وذهب متقدموهم ، ومتأخروهم ، وآخرون من أهل الكلام ، الجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، الى أن الخلق هو نفس المخلوق ، وليس لله عند هؤلاء صنع ، ولا خلق ، ولا فعل ، ولا إبداع الا المخلوقات أنفسها ، وهو قول طائفة من الفلاسفة المتأخرين إذ^(١) قالوا بأن الرب مبدع ، كإن سيناء ونحوه .

قوله : والقائلون بأنه غير ، أي : القائلون بأن الخلق هو المخلوق ، فروا من قيام الحوادث بالرب تعالى ، والحجة المشهورة للقائلين بأن الخلق هو المخلوق ، أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق ، لكان ذلك الخلق إما قديماً وإما حادثاً ، فإن كان قديماً ، لزم قدم كل مخلوق ، وهذا مكابرة ، وإن كان حادثاً ، فإن قام بالرب ، لزم قيام الحوادث به ، وإن لم يقم به ، كان الخلق قائماً بغير الخالق ، وهذا يمتنع ، وسواء قام به ، أو لم يقم به ، يقتصر ذلك الخلق الى خلق آخر ، ويلزم التسلسل . هذا عمدتهم ، وقد أجابهم القائلون بأن الخلق غير المخلوق بأجوبة شافية كافية ، فلتطلب من المطولات . وأما حجة القائلين بأن الخلق غير المخلوق ، فقد ذكرها الناظم رحمه الله تعالى ، ولكن الكرامية كما ذكر الناظم جعلت له أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل .

وقوله : إحداهما قالت قديم قائم الخ . أي : إن أتباع شيخ العالم بفتح اللام ، وهو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، عالم العراق رحمه الله تعالى ، قد قالوا : ان التكوين قديم قائم بالذات ، والمكون حادث ، وهو كقدرته سبحانه ، كما قال الامام أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته

المشهوره^(١) : إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا بأحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محي الموتى بعد ما أحى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . انتهى .

قوله : والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قام الخ . أي : أن الكرامة رأوا أن الفعل أمر حادث قائم بذات الله ، ولكن له أول ، وهو معنى قول الناظم عنهم ، ففعاله وكلامه سيان ، يعني أن كلامه له أول وفعاله لها أول عند الكرامة .

قوله : والآخرون أولو الحديث كأحمد الخ . أي : أن مذهب أهل الحديث ، كأحمد بن حنبل وغيره ، أن الله تعالى لم يزل متكلماً ، ولم يزل فعلاً ، ولهذا قال الناظم عن الامام أحمد : إن الله حقاً لم يزل متكلماً ، إن شاء . قال الامام أحمد في رواية حنبل : لم يزل الله عالماً متكلماً غفوراً . وقال في الرد على الجهمية : لم يزل الله عالماً قادراً مالِكاً ، لامى ولا كيف . قوله : وكذا ابن عباس فراجع قوله الخ . يريد ما رواه البخاري في « صحيحه » عن سعيد بن جبیر أن رجلاً سأل ابن عباس قال : إني أجد

(١) وقد قننا بطبعها مع شرحها مصححة محققة وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

في القرآن أشياء تختلف عليّ، فذكر مسأله ، ومنها قال : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيماً) النساء : ٩٦ (وكان الله عزيزاً حكيماً) النساء : ١٥٨ (وكان الله سميعاً بصيراً) النساء : ١٣٤ وكأنه كان ثم مضى . فقال ابن عباس : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيماً) سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي : لم أزل كذلك ، هذا لفظ البخاري بتمامه ؛ واختصر الحديث ، ورواه البرقاني عن طريق شيخ البخاري بتمامه ، فقال ابن عباس : قأماً قوله : (وكان الله غفوراً رحيماً) (وكان الله عزيزاً حكيماً) (وكان الله سميعاً بصيراً) فان الله جعل نفسه ذلك ؛ وسمى نفسه ذلك ، ولم ينحله أحداً غيره ، وكان الله . أي : لم يزل كذلك ، هذا لفظ الحميدي صاحب «الجمع» . ورواه البيهقي عن البرقاني من حديث محمد بن إبراهيم البوشنجي ، عن يوسف بن عدي شيخ البخاري قال : إن الله سمى نفسه ذلك ، ولم ينحله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل كذلك ، ورواه البيهقي من رواية يعقوب بن سفيان . عن يوسف ، ولفظ ابن عباس : فان الله سمى نفسه ذلك ولم يجعله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل .

قوله : و كذلك جعفر الامام الخ . يعني مارواه الثعالبي في تفسيره باسناده عن جعفر بن محمد الصادق ، أنه سئل عن قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) المؤمنون : ١١٥ لم خلق الخلق ؟ فقال : لأن الله كان محسناً بما لم يزل ، فيما لم يزل ، الى ما لم يزل ، فأراد تعالى أن يفيض إحسانه الى خلقه ، وكان غنياً عنهم ، لم يخلقهم لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ، ولكن خلقهم ، وأحسن اليهم ، وأرسل اليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل ، فمن أحسن كافاه بالجنة ، ومن عصى كافاه بالنار . قوله : وكذا الامام الدارمي الخ . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي

في كتاب « النقض على المريسي »^(١) حين احتج بقوله تعالى (الله لا إله الا هو الحي القيوم) البقرة : ٢٥٥ وادعى أن تفسير القيوم : الذي لا يزول ، يعني الذي لا ينزل ، ولا يتحرك ، ولا يقبض . ولا يسط . قال عثمان^(٢) وكان واضحاً عند العلماء وأهل البصر بالعربية ، أن معنى لا يزول : لا يفنى ولا يبيد ، لأنه لا يتحرك ولا يزول من مكان الى مكان إذا شاء ، كما كان يقال في الشيء الفاني : هو زائل ، كما قال لييد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لاحالة زائل

يعني : فان ، لا أنه متحرك ، فان : إمارة ما بين الحي والميت المتحرك ، وما لا يتحرك ، فهو ميت لا يوصف بحياة ، كما لا توصف الأصنام الميتة (بالحياة) . قال الله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يعشون) النحل : ٢٠ ، ٢١ فالله الحي ، القيوم ، القابض ، الباسط ، يتحرك إذا شاء ، ويفعل ما يشاء ، بخلاف الأصنام التي لا تزول حتى تزال . وقال البخاري : ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لا تعرف الحي من الميت الا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حي ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به . قال : وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيماً ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع ، بل البدع والتروؤس بالجهل لغيرهم أولى ، اذ يفتون بالآراء المختلفة بما لم يأذن به الله . انتهى .

(١) وقد قننا بطبعه قريباً بعنوان « الرد على الجهمية » للامام ابي سعيد عثمان بن

سعيد الدارمي .

(٢) اي الدارمي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والأمر والتكوين وصف كما له ما فقد ذا ووجوده سيات
وتختلف التأثير بعد تمام مو جبه محال ليس في الامكان
والله ربي لم يزل ذا قدرة ومشية ويليهما وصفان
العلم مع وصف الحياة وهذه أوصاف ذات الخالق المنان
وبها تمام الفعل ليس بدونها فعل يتم بواضح البرهان
فلأي شيء قد تأخر فعله مع موجب قد تم بالأركان
ما كان ممتعاً عليه الفعل بل ما زال فعل الله ذا إمكان
والله عاب المشركين بأنهم عبدوا الجارية في رضى الشيطان
ونعى عليهم كونها ليست بخا لقة وليست ذات نطق بيان
فأبان أن الفعل والتكليم من أوثانهم لا شك مفقودان
فاذا هما فقدتا فما مسلوبها باله حق وهو ذو بطلان
والله فهو إله حق دائماً أفعته ذا الوصفان مسلوبان ؟!
أزلاً وليس لفقدتها من غاية هذا المحال وأعظم البطلان
إن كان رب العرش حقاً لم يزل أبداً إله الحق ذا سلطان
فكذلك أيضاً لم يزل متكهماً بل فاعلاً ماشاء ذا إحسان

والله ما في العقل ما يقضي لذا بالرد والابطال والنكران
بل ليس في المعقول غير ثبوته للخالق الأزلي ذي الاحسان
هذا وما دون المهيمن حادث ليس القديم سواء في الاكوان
والله سابق كل شيء غيره ما ربنا والخلق مقترنان
والله كان وليس شيء غيره سبحانه جل العظيم الشان
لسنا نقول كما يقول الملحدين الزنديق صاحب منطق اليونان
بدوام هذا العالم المشهود والارواح في ازل وليس بفناء
هذه مقالات الملاحدة الاولى كفروا بخلق هذه الاكوان
قوله :

وتختلف التأثير بعد تمام وجه محال ليس في الإمكان
والمولى سبحانه لم يزل ذاقدرة، ومشية، وعلم، وحياة، وهذه كما قال الناظم :
أوصاف ذات الخالق المنان. وبها تمام الفعل، ومع وجود المؤثر التام يلزم وجود
الأثر، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك، فالرب سبحانه لم يزل فعلاً متكلاً
إذا شاء، ولهذا لما قال المتكلمون بوجوب تأخر الأثر، أورد عليهم من
الاشكالات ما لا جواب لهم عنه، ثم قال الناظم : والله عاب المشركين
بأنهم عبدوا الحجارة الخ. أي : أن الله عاب على المشركين عبادة الأصنام،
ونعى عليهم كونها لا تخلق ولا تتكلم، وإذا فقد الفعل والكلام، فليس
مسلوبها بالله حق، والله تعالى وتقدس لم يزل متكلاً فعلاً محسناً، وما
سواه حادث، كما قال الناظم : هذا وما دون المهيمن حادث .

وقوله : والله كان وليس شيء غيره الخ . أي : ان المولى سبحانه كان

وليس معه شيء من خلقه ، كما قال : ماربنا والخلق مقترنان .
وقوله : ماربنا والخلق مقترنان . هذا إشارة الى الرد على ابن سينا
وأتباعه القائلين بأن العالم معلول لعلة قديمة أزلية ، وأن العالم لم يزل مع الله
أزلاً وأبدآ ، ويقولون : العلة متقدمة على المعلول ، وإن قارنته بالزمان .
فيقال لهم : إن أردتم بالعلّة ما هو شرط في وجود المعلول لامبدعاً له ، كان
حقيقة ذلك أن واجب الوجود ليس مبدعاً للممكنات ولا رباً لها ، بل
وجوده شرط في وجودها ، وهذا حقيقة قول هؤلاء ، فالرب على أصلهم
والعالم متلازمان ، كل منهما شرط في الآخر ، والرب محتاج الى العالم ، كما
أن العالم محتاج الى الرب ، وهم يبالغون في اثبات غناه عن غيره ، وعلى أصلهم
فقره الى غيره كفقير بعض المخلوقات ، وإن أرادوا بالعلّة ما هو مبدع
للمعلول ، فهذا لا يعقل ، مع كون زمانه زمان المعلول لم يتقدم على المعلول
تقدماً حقيقياً ، وهو التقدم المعقول ، وإذا شبهوا وجود الفلك مع الرب
بالصوت مع الحركة ، والضوء مع الشمس ، كان هذا ونحوه تشبيهاً باطلاً
لا يفيد امكان صحة قولهم ، فضلاً عن إثبات صحته ، فان هذه الأمور
وأمثالها إما أن يقال فيها : إن الثاني موجود متصل بالأول كاجزاء الزمان
والحركة ، لأنه معه في الزمان ، وأما أن يقال : الثاني مشروط بالأول ،
لا أن الأول مبدع للثاني فاعل له ، فلا يمكنهم أن يذكروا وجود فاعل
لغيره ، مع أن زمانهما معاً أصلاً ، وعامة العقلاء مطبقون على أن العلم بكون
الشيء المعين مراداً مقدوراً بوجب العلم بكونه حادثاً بعد أن لم يكن ، بل
هذا عندهم من الأمور الضرورية ، ولهذا كان مجرد تصور العقلاء أن الشيء
مقدور للفاعل مراد له فعله بمشيئته وقدرته ، بوجب العلم بأنه حادث ، بل
مجرد تصورهم كون الشيء مفعولاً أو مخلوقاً أو مصنوعاً أو نحو ذلك من

العبارات ، يوجب العلم بأنه محدث كائن بعد أن لم يكن ، ثم بعد هذا ينظر في أنه فعله بمشيئته وقدرته ، وإذا علم أن الفاعل لا يكون فاعلاً الا بمشيئته وقدرته ، وما كان مقدوراً ومراداً فهو محدث ، كان هذا أيضاً دليلاً ثابتاً على أنه محدث ، ولهذا كان كل من تصور من العقلاء أن الله خلق السموات والأرض ، أو خلق شيئاً من الامياء ، كان هذا مستلزماً لكون ذلك المحدث مخلوقاً ، كائناً بعد أن لم يكن ، وإذا قيل لبعضهم : هو قديم مخلوق ، أو قديم ، وعنى بالمخلوق مايعنيه هؤلاء المتفلسفة الدهرية المتأخرون الذين يريدون بلفظ المحدث أنه معلول ، ويقولون : إنه قديم أزلي ، مع كونه معلولاً ممكناً ، يقبل الوجود والعدم ، فاذا تصور العقل هذا المذهب جزم بتناقضه ، وأن أصحابه جمعوا بين النقيضين حيث قدروا مخلوقاً محدثاً معلولاً مفعولاً ممكناً أن يوجد وأن يعدم ، وقدروه مع ذلك قديماً أزلياً واجب الوجود بغيره يمتنع عدمه .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد بسطنا هذا في الكلام على المحصل وغيره ، وذكرنا أن ما ذكره الرازي عن أهل الكلام من أنهم يجوزون وجود مفعول معلول أزلي للموجب بذاته ، أنه لم يقله أحد منهم ، بل هم متفقون على أن كل مفعول فانه لا يكون الا محدثاً ، وكل ما قدر أنه معلول لعل فاعلة ، فانه لا يكون الا محدثاً ، وما ذكره هو وأمثاله موافقة لابن سينا ، من أن الممكن وجوده وعدمه ، قد يكون قديماً أزلياً ، قول باطل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين ، فانهم موافقون لسائر العقلاء من أن كل ممكن يمكن وجوده وعدمه لا يكون الا محدثاً كائناً بعد أن لم يكن ، وأرسطو

إذا قال : إن الفلك قديم ؛ لم يجعله مع ذلك ممكناً يمكن وجوده وعدمه ،
والمقصود أن العلم بكون الشيء مقدوراً مراداً يوجب العلم بكونه محدثاً ،
بل العلم بكونه مفعولاً يوجب العلم بكونه محدثاً ، فان الفعل والخلق
والابداع والصنع ونحو ذلك ، لا يعقل الا مع قصور حدوث المفعول .
وأيضاً فالجمع بين كون الشيء مفعولاً وبين كونه قديماً أزلياً مقارناً للفاعل
في الزمان ، جمع بين المتناقضين ، ولا يعقل قط في الوجود فاعل قارنه
مفعوله المعين ، سواء سمي علة ، أو لم يسم ، ولكن يعقل كون الشرط
مقارناً للشروط ، والمثل الذي يذكرونه من قولهم : حركت يدي فتحرك
خاتمي ، او كمي ، او المفتاح ، ونحو ذلك ، حجة عليهم لاهم ، فان حركة
اليـد ليست هي العلة التامة ، ولا الفاعل لحركة الخاتم ، بل الخاتم مع الاصبع
كالاصبع من الكف ، فالخاتم متصل بالاصبع ، والاصبع متصلة بالكف ،
لكن الخاتم يمكن نزعـه بلا ألم ، بخلاف الكف . وقد يفرض بين الاصبع
والخاتم تقدم بيسير ، بخلاف أبعاد الكف ، ولكن حركة الاصبع شرط
في حركة الخاتم ، كما أن حركة الكف شرط في حركة الاصبع ، أعني في الحركة المعينة
التي مبدؤها من اليد ، بخلاف الحركة التي تكون للخاتم والاصبع ابتداءً ، فان هذه
تتصل منها الى الكف ، كما أن يجر أصبع غيره ، فيجر معه كفه ، وما يذكرونه من ان
التقديم يكون بالذات والعلة ، كحركة الاصبع ، ويكون بالطبع ، كتقدم الواحد
على الاثنين ، وتكون بالمكانة ، كتقدم العالم على الجاهل ، ويكون بالمكان ،
كتقدم الصف الأول على الثاني ، وتقدم مقدم المسجد على مؤخره ، وتكون
بالزمان ؛ كلام مستدرك ، فان التقدم والتأخر المعروف هو التقدم بالزمان ،
فان قبل وبعد ومع ونحو ذلك ، معانيها لازمة للتقدم والتأخر الزماني ،
وأما التقدم بالعلية ، او الذات مع المقارنة في الزمان ، فهذا لا يعقل البتة .

ولاله مثال مطابق في الوجود ، بل هو مجرد تخيل لاحقيقة له ، وأما تقدم الواحد على الاثنين ، فان عني به أن الواحد المطلق قبل الاثنين المطلق ، فيكون مقدماً في التصور تقدماً زمانياً ، وإن لم يكن به هذا ، فلا تقدم ، بل الواحد شرط في الاثنين مع كون الشرط لا يتأخر عن المشروط ، بل قد يقارنه وقد يكون معه ، فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني ، وأما التقدم بالمكان ؛ فذاك نوع آخر ، وأصله من التقدم بالزمان ، فان مقدم المسجد تكون فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره ، فالامام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم ، فسمي محل الفعل المتقدم مقدماً ، وأصله هذا ، وكذلك التقدم بالرتبة ، فان أهل الفضائل مقدمون في الأفعال الشريفة والامكنة ، وغير ذلك على من دونهم ، فسمي ذلك تقدماً وأصله هذا .

وحينئذ فاذا كان الرب هو الأول المتقدم على كل ماسواه ، كان كل شيء متأخراً عنه ، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً ، فكل فعل معين ، فهو متأخر عنه ، وإذا قيل : الزمان مقدار الحركة ، فليس هو مقدار حركة معينة ، كحركة الشمس ، او الفلك ، بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة ، وقد كان قبل أن تخلق السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، حركات وأزمنة ، وبعد أن يقيم الله القيامة فتذهب الشمس والقمر ، ويكون في الجنة حركات ، كما قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكررة وعشياً) مريم : ٦٢ وجاء في الآثار أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش ، وكذلك لهم في الآخرة يوم المزيد ، يوم الجمعة ، يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القوية ، وان كانت الجنة كلها نوراً يزهر ونهراً يطرد ، لكن يظهر (في) بعض الأوقات نور آخر يتميز به الليل عن النهار ، فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلماً بمشيئته ، كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل ، هو الوقت الذي يحدث ما يحدث فيه من مفعولاته ، وهو سبحانه متقدم على كل ماسواه التقدم الحقيقي

المعقول . وأطال الشيخ رحمه الله في هذه المسألة ، ثم هؤلاء الشذوذ من المتأخرين الذين زعموا أن الفعل لا يشترط فيه تقدم العدم ، فذكروا حجباً ذكرها ابن سينا وغيره من متأخريهم ، واستقصاها الرازي في « المباحث الشرقية » وذكر في ذلك ما سماه عشرة براهين ، وكلها باطلة ، وفي ذكرها وأجوبتها طول يحل بالمقصود ، وهذا جواب عما لعله يتوهم ، وهو أنكم إذا قلتم : إن الرب تعالى لم يزل فعالاً ، لزعمكم القول بقدم العالم ، كما تقول الفلاسفة ، فنفى ذلك بقوله : لسا نقول كما يقول الملحد الزنديق الخ . وقد بسط الجواب عن هذا اليراد في فضل اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى ، كما سيأتي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان
لكنه الأزلي ليس بمحدث ما كان معدوماً ولا هو فان
وأتى بصلح بين طائفتين بينهما الحروب وما هما سلمان
أنى يكون المسلمون وشيعة اليونان صلحاً قط في الايمان
والسيف بين الأنبياء وبينهم والحرب بينهما فحرب عوان
وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح بصارم منه وسل لسان
وأتى الى الاسلام يهدم أصله من أسسه وقواعد البنيان
عمر المدارس للفلاسفة الألى كفروا بدين الله والقرآن
وأتى الى أوقاف أهل الدين ينقلها إليهم فعلى ذي أضغان

وأراد تحويل الاشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا ميس التي كانت لدى اليونان
لكنه علم اللعين بأن هذا ليس في المقدور والامكان
إلا إذا قتل الخليفة والقضاة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذلك وساعد المقدور بالـ أمر الذي هو حكمة الرحمن
فأشار ان يضع التتار سيوفهم في عسكر الايمان والقرآن
لكنهم ييقون أهل صنائع الدنيا لأجل مصالح الابدان
فغدا على سيف التتار الالف في مثل لها مضروبة بوزان
وكذا ثمان مئيتها في ألفها مضروبة بالعد والحسبان
حتى بكى الاسلام أعداء اليهود كذا المجوس وعابدها الصليبان
ففسخى اللعين النفس من حزب الرسول وعسكر الايمان والقرآن
وبوده لو كان في أحد وقد شهد الواقعة مع ابي سفيان
لأقر أعينهم وأوفى نذره أو أن يرى متمزق اللحم
قوله : وأتى ابن سينا بعد ذلك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان الخ .
أي : ان ابن سينا قال : ان العالم ممكن ، ومعنى ذلك عنده ، أن القديم
ممكن ، وله ماهية تقبل الوجود والعدم ، وهذا مما خالف (١) فيه جمهور

العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم ، حتى إنه هو تناقض في ذلك ، فوافق سلفه وجميع العقلاء ؛ وصرح بأن الممكن لا يكون إلا ما يقبل الوجود والعدم . وطريقته هذه لم يسلكها سلفه الفلاسفة ، كأرسطو وأصحابه ؛ بل ولا سلكها جماهير الفلاسفة ؛ بل كثير من الفلاسفة ينازعونه في نفيه لقيام الصفات بغات واجب الوجود ، ويقولون : إنه تقوم به الصفات والارادات ؛ وإن كونه واجباً بنفسه لا ينافي ذلك ، كما لا ينافي عندهم جميعاً كونه قديماً ؛ ولكن ابن سينا وأتباعه ؛ لما شاركوا الجهمية في نفي الصفات ؛ وشاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم ؛ سلكوا في إثبات رب العالمين طريقاً غير طريقة سلفهم ^(١) المشائين ؛ كأرسطو وأتباعه الذين أثبتوا العلة الاولى بحركة الفلك الارادية ؛ وأن لها محركاً يحركها كحركة المعشوق لعاشقه ؛ وهو محرك الفلك للتشبه بالعلة الاولى ؛ فعدل ابن سينا عن تلك الطريقة الى هذه الطريقة التي سلخها من طريقة اهل الكلام الذين يحتجون بالمحدث على المحدث ، وهو لا يقول بمحدث العالم ؛ فجعل طريقته الاستدلال بالممكن على الواجب ، ورأى اولئك المتكلمين قسموا الوجود الى قديم ومحدث ، فقسمه هو الى واجب ، وممكن ، وأثبت الواجب بهذا الطريق . وابن سينا يعجب بهذه الطريقة ، ويقول : إنه أثبت واجب الوجود من نفس الموجود من غير احتياج الى الاستدلال بالحركة ، كما فعل أسلافه .

قال شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » : وكل هؤلاء يقولون : ما كان معلولاً يمكن وجوده ، ويمكن عدمه ، لا يكون الا حادثاً مسبوقاً بالعدم ، ومن قال ذلك ، أرسطو وأتباعه ، حتى ابن سينا وأمثاله صرحوا بذلك ، لكن ابن سينا تناقض مع ذلك ، فزعم ان الفلك هر قديم أزلي مع كونه ممكناً يقبل الوجود والعدم ، وهذا مخالف لما صرح به هو ، وصرح

به أثمته وسائر العقلاء ، وهو بما أنكره عليه ابن رشد الحفيد ، وبين أن هذا مخالف لما صرح به أرسطو وسائر الفلاسفة ، وأن هذا لم يقله أحد قبله ؛ وأرسطو لم يكن يقسم الوجود الى واجب وممكن ، ولا يقول : ان الأول موجب بذاته للعالم ، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله ، وهو وإن كان أقرب الى الحق مع فساده وتناقضه ؛ فليس هو قول سلفه ؛ بل قول أرسطو وأتباعه : إن الأول إنما افتقر اليه الفلك لكونه يتحرك للتشبيه به ، لا لكون الأول علة فاعلة له ، وحقيقة قول أرسطو وأتباعه إنما كان واجب الوجود ، أنه لا يكون مفتقراً الى غيره ، فيكون جسماً مركباً حاملاً للأعراض ، فان الفلك عندهم واجب بذاته ، وهو كذلك كما قد بسط كلامهم والرد عليهم في غير هذا الموضع .

قلت : قال ابن رشد في كتاب « التهاوت » في الرد على ابن سينا : فاما ما يريد ابن سينا في هذه الطريقة ويقول : ان الممكن الوجود يجب أن ينهي إما الى واجب الوجود من غيره ، أو واجب الوجود من ذاته ، فان انتهى الى واجب الوجود من غيره ، وجب في الواجب الوجود من غيره أن يكون لازماً عن واجب الوجود لذاته ؛ وذلك أنه زعم أن واجب الوجود من غيره هو ممكن والوجود من ذاته ، والممكن يحتاج الى واجب ، وإنما كانت هذه الزيادة عندي فضلاً وخطأ ، لأن الواجب كيفما فرض ليس فيه إمكان أصلاً ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة . ويقال في تلك الطبيعة : انها ممكنة من جهة واجبة من جهة ، لأنه قد بين القوم أن الواجب ليس فيه إمكان أصلاً ، لأن الممكن نقيض الواجب ، وإنما الذي يمكن أن يوجد شيء واجب من جهة طبيعية ما ، ممكن من جهة طبيعية أخرى ، مثل ما يظن الأمر عليه في الجرم السماوي ، أعني أنه واجب في الجوهر ، ممكن في الحركة في الآن ؛ وإنما الذي قاده الى هذا

التقسيم أنه اعتقد في السماء أنها في جوهرها واجبة من غيرها، بمكنة من ذاتها، وقد قلنا في غير ما موضع : ان هذا لا يصح بالبرهان الذي استعمله ابن سينا في واجب الوجود ، متى لم يفصل هذا التفصيل ، وعين هذا التعيين ، كان من طبيعة الأقاويل العامة الجدلية ، ومتى حصل ، كان من طبيعة الأقاويل البرهانية . انتهى كلامه .

قوله : وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح الخ . تقدمت ترجمة الطوسي ، وذكر شيء من أحواله ، وما فعله بالمسلمين مع هولاكو ملك التتار شائع ذائع ، أشار الناظم الى ذلك بقوله : فأشار أن يضع التتار سيوفهم الخ . وذلك لما قاتل التتار الخليفة المستعصم بالله والمسلمين في بغداد ، والقصة مشهورة في التاريخ ، فأما ما جرى على بغداد ، فقد ذكر ذلك الذهبي وغيره . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » وفي سنة ٦٥٦ أحاط أمر الله ببغداد ، فأضحت خاوية على عروشها ، وبقيت حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، فانا لله وانا اليه راجعون ، فازلها المغول في أخلاط من السفلى ، وأوباش من المنافقين ، وكل من لم يؤمن بالحساب . قال : وكان ابن العلقمي الوزير والياً على المسلمين ، وكان رافضياً جلدأً ، فلما استداروا ببغداد ، وخارت القوى ، وجف الرئق ، وانخلعت الافئدة ، أشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو وقال : دعني أخرج اليهم في تقرير الصلح ، فخرج ، فاستوثق لنفسه ولمن أراد ، وجاء الى الخليفة وقال : إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر ، ويقيمك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية ، ويرحل عنك ، فأجبه الى ذلك ، فان فيه حقن الدماء ، وأرى أن تخرج اليه ، فخرج الخليفة في جمع من الاعيان الى السلطان هولاكو ، فأنزله في خيمة ، ثم دخل الوزير فاستدعى الأكلب

لحضور العقد ، فحضرُوا وضربت أعناقهم ، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة^(١) فيقتلون ، ثم صبح في البلد ، وبذل السيف ، واستمر القتل ، والسبي والحريق ، والنهب ، وقامت قيامة بغداد - فلاحول ولا قوة الا بالله - بضعاً وثلاثين يوماً ، كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة ، حتى جرت السيول من الدماء ، وردمت فجاج المدينة من القتلى ، حتى قيل : إنه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف . قال : والاصح أنهم بلغوا نحواً من ثمانمائة ألف . وهذا شيء لا يكاد ينضب ، فانهم قتلوا في الطرق ، والجوامع والبيوت ، والأسطحة ، وبظاهر البلد ، مالا يحصى ، بل هي ملحمة ماجرى قط في الاسلام مثلها ، وسبوا من النساء والصغار ماملأ الفضاء ، ومن أسر ولد الخليفة الصغير وإخوانه ، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبد الرحمن ، ومن قتل مع الخليفة من الاعيان أعمامه علي ، والحسين ، وبوسف ، وجماعة من أهل بيته ، وأخرج صاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي ، وبنوه : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فضربت أعناقهم ، ومن قتل صبراً جماعة مستكثرون من العلماء ، والامراء ، والاكابر ، وخلت بغداد من أهلها ، ودثرت المحال ، واستولى عليها الحريق ، واحترقت دار الخلافة ، والجامع الكبير ، حتى وصلت النار الى خزانة الكتب ، وعم الحريق جميع البلاد ، وما سلم الا ما فيه (من) هؤلاء الملاحين ، وضاعت بالقتلى ، وانداسوا بالارجل^(٢) ، ولم يبق ممر إلا على القتلى ، وكان الاطفال يتقلبون في الوحل الى أن يموتوا ، وعان من سلم من الأهوال مالا يعبر عنه ، ثم وقع الوباء ، وكثر الموت ، وكثر الذباب جداً ، حتى غطى الجدران ، ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا ، وجاءت القوافل بالجلب من (الحلة) بنجبن ووجبن وبيض ، وتعوض أهل الجلب بالكتب ، يأخذون المجلد بفلس ،

(١) في الاصل : يخرج كل طائفة بعد طائفة . (٢) في الاصل : في الأرجل .

ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل ، وألقي خلق من القتلى في
دجلة ، وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير ، جعل الله ذلك كفارة
وتحصيلاً . وزعم العلقي أنه ^(١) يحسن لهولاً كوا أن يقيم ببغداد خليفة علويّاً ،
فلم يتيأله ذلك ، ثم لم يلبث أن هلك ، ولم يبق من بغداد وأهلها إلا
مقدار الثمن ، ونحو ذلك . وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء للملحمة ببغداد ، وانصل الرباء
بالشام ، ومات أمهم بدمشق وغيرها . انتهى كلامه .

ومعنى ما ذكره الناظم رحمه الله تعالى في قوله : فعدا على سيف التتار
الآلف في مثل لها مضروبة بوزان . وكذا ثمان مئينها في ألفها الخ . أي :
أن القتلى في بغداد بلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف ، لكن في هذا نظر ، كما
ذكره الذهبي . قال : والأصح أنهم بلغوا نحواً من من ثمانمائة ألف ، وهذا
معنى قول الناظم : فشقى العين النفس من حزب الرسول الخ . قوله :
وبوده لو كان في أحد وقد شهد الواقعة مع أبي سفيان . أي : ان النصير
يود لو أنه شهد أحداً مع أبي سفيان قائد جيش قريش ، حتى يبلغ أربه ،
ويقضي وطره من الرسول ﷺ وأصحابه ، وهذا نهاية العداوة للرسول
وأصحابه وحزبه . نعوذ بالله من الخذلان .
قال الناظم رحمه الله :

وشواهد الاحداث ظاهرة على	ذا العالم المخلوق بالبرهان
وأدلة التوحيد تشهد كلها	بحدوث كل ما سوي الرحمن
لو كان غير الله جل جلاله	معه قديماً كان رباً ثاني
إذ كان عن رب العلى مستغنياً	فيكون حينئذ لنا ربان
والرب باستقلاله متوحد	أفممكن أن يستقل اثنان
لو كان ذاك تنافيا وتساقطا	فاذا هما عدمان ممتنعان

والقهر والتوحيد يشهد منها كل لصاحبه هما عدلان
ولذلك اقترنا جميعاً في صفا ت الله فانظر ذاك في القرآن
فالواحد القهار حقاً ليس في الـ إمكان أن تحظى به ذاتان

أقول : شرع الناظم رحمه الله تعالى في سياق دليل التانع المشهور بين المتكلمين . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتابه « شرح عقيدة الأصهباني » : وهذا التوحيد يعني توحيد الربوبية ، لم يذهب الى تقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال . قال : فان الثنوية من المجوس ، والمناوية القائلين بالأصلين : النور ، والظلمة ، وأن العالم صدر عنها ، متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وهو الاله المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة ، هل هي قديمة ؟ أو محدثة ؟ فلم يسووا بين ربين متماثلين وهم كفار ضلال ، وأما النصارى القائمون بالتثليث ، فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفضل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ، ويقولون باسم الأب ، والابن ، وروح القدس ، اله واحد ، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أفسد منه ، ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم ، فانهم إذا فهموه نفروا منه بفطرة عقولهم ، وهذا دأب كل مضل منحدر في كل شريعة وملة يكتم الاحاد والضلال عن اكثر أتباعه ، لأن المقالات الفاسدة في الهيئات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام ، ولهذا لا يكاد أحد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد

اثنتان منهم يتفقان على قول واحد ، فانهم يقولون . هو واحد بالذات ،
ثلاثة بالأقنوم ، والأقنيم تفسر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة
بالأشخاص ، ويقولون : إن الأقنيم هي أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ،
وأقنوم روح القدس . وكلام النصارى على غاية من الفهاة والبلادة ،
وهم أمة ضالة تائهة حتى قال بعض الفضلاء : لو اجتمع عشرة من علماء
النصارى لافترقوا عن أحد عشر مذهباً . والحاصل أنهم لا يقولون : خالق
الخلق ثلاثة ، بل واحد بالذات ، والله اعلم . والمقصود هنا أنه ليس في
الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيراً من أهل الكلام
والنظر والفلسفة ، تعبوا في بيان هذا المطلوب وتقريره ، ومنهم من اعترف
بالعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يتلقى من السمع ، والمشهور عند
النظار إثباته بدليل التامع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، وهو أنه لو كان
للعالم صانعان متكافئان ، فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك
جسم ، ويريد الآخر تسكينه ، أو يريد (أحدهما) إحياءه ، ويريد الآخر إماتته ،
فاما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ،
والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يستلزم
خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز
لا يكون لهأ ، ولأن المانع من فعل أحدهما ، هو فعل الآخر ، فلو امتنع مرادهما ،
لزم كون كل منهما مانعاً للآخر ، وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر ،
لأن كونه مانعاً يقتضي القدرة ، وكونه ممنوعاً يقتضي العجز ، وذلك تناقض ، وإذا
حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان هذا هو الإله القادر ، والآخر عاجزاً
لا يصلح للالهية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التامع هو معنى قوله
تعالى : (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ لا اعتقادهم أن

توحيد الربوبية الذي قرره هو توحيد الالهية الذي بينه القرآن ، ودعت
اليه الرسل ، وليس الامر كذلك . وقال في موضع آخر : وقد نقلنا أنه
ليس في أهل الارض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال .
بل هذا ممتنع لذاته ، وامتناعه ظاهر في العقول ، بخلاف ما يظنه كثير من
أهل الكلام والفلسفة ، نعم بعض أهل الضلال يزعم أن ثم خالقاً لبعض
العالم ، كالثنوية في الظلمة ، وكالقدرية في أفعال الحيوان ، وكالفلاسفة الدهرية
في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان من
هو لاء الفرق الضالة من يثبت أموراً محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها ،
فهم المشركون في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد
يظن في إلهته شيئاً من هذا ، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذلك ،
فاما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس ، بين القرآن بطلانه
بقوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل اله بما
خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون : ٩١ والموجود خلاف هذا ،
فان العالم مرتبط بعضه ببعض ، ما من مخلوق الا وهو متصل بغيره من
المخلوقات ، محتاج اليه ، فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل ، وذلك
الأصل من غيره ، وهلم جرا ، وهو أيضاً مفتقر الى الهواء والماء والتراب ،
بل والى أنواع النباتات والحيوانات ، ومفتقر الى أثر الشمس والقمر ،
والليل ، والنهار ، وغير ذلك ، والفلك مرتبط بعضه ببعض ، والأفلاك
مفتقرة بعضها الى بعض ، والعالم العلوي مفتقر الى العالم السفلي ، فلو قدر أن
صانع الأرض غير صانع السماء ، وأنه مستغن عنه لا يغير أحدهما مصنوع
الآخر ، لزم من ذلك أن لا يكون مافي السماء مؤثراً في الأرض ، فلا
تؤثر الشمس والقمر في الأرض ، وان يكون ما يصعد من الأدخنة ،

والأبجرة ، والأغيرة ، لا يؤثر في نور الشمس والقمر والهواء ، والواقع خلافه ،
وتقرير هذا يطول . انتهى كلامه .

وقال الناظم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى : (لو كان فيها آلهة الا
إلا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ الآية ، قال : فان قوام السموات
والارض والخلق بآن تأله الآله الحق ، فلو كان فيها آلهة أخرى غير الله لم
يكن إلهاً حقاً ، اذ الآله الحق لا شريك له ، ولا سمي له ، ولا مثل له ،
فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما فيه صلاحها بتأله الآله الحق ،
كما أنها لا توجد الا باسنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند
في وجودها الى ربين متكافئين ، فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى
الأكهين متساويين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل	قلنا صدقتم وهو ذو إمكان
كتسلسل التأثير في مستقبل	هل بين ذينك قط من فرقان
والله ما افترقا لدى عقل ولا	نقل ولا نظر ولا برهان
في سلب إمكان ولا في ضده	هذي العقول ونحن ذو أذهان
فليات بالفرقان من هو فارق	فرقا يبين لصالح الأذهان

وكذا سوى الجهم بينهما كذا العلاف في الانكار والبطالان
 ولاجل ذا حكما بحكم باطل قطعاً على الجنات والنيران
 فالجهم أفنى الذات والعلاف للمحركات أفنى قاله الثوران
 وأبو علي وابنه والأشعري وبعده ابن الطيب الرباني
 وجميع أرباب الكلام الباطل المذموم عند أئمة الايمان
 فرقوا وقالوا ذاك فيما يزل حق وفي أزل بلا إمكان
 قالوا لأجل تناقض الازلي والـ احداث ما هذان يجتمعان
 لكن دوام الفعل في مستقبل ما فيه محذور من النكران
 فانظر الى التليس في ذا الفرق تر ويجا على العوران والعميان
 ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو أزل لذى ذهن ولا اعيان
 بل كل فرد فهو مسبوق بفرد د قبله ابداً بلا حسابان
 ونظير هذا كل فرد فهو ملحق بفرد بعده حكمان
 النوع والآحاد مسبوق وملحق وكل فهو منها فان
 والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا يفنى كذلك اولاً ببيان
 وتعاقب الآتات أمر ثابت في الذهن وهو كذا في الأعيان
 أما تعريف التسلسل ، فهو ترتيب أمور غير متناهية . واعلم أن
 التسلسل نوعان : تسلسل في المؤثرين ، وتسلسل في الآثار ، فاما الأول فهو

محال باتفاق العقلاء ، وأما الثاني ، ففيه قولان للنظار وغيرهم ، وجوازه قول الأثير الأبهري ، والأرموي . فقول الناظم : فلئن زعمتم أن ذاك نسلل أي : إن زعمتم أن القول بدوام فاعلية الرب تعالى تسلل ، قلنا : نعم ، وذلك صحيح ، كما يجوز أرباب الكلام ، كالأشعري ، وابن الباقلاني ، وغيرهما من الصفاتية القول بذلك في الأبد والمستقبل ، وكذلك أئمة المعتزلة كأبي علي ، وابنه أبي هاشم ، وغيرهما من المعتزلة ، جوزوا ذلك في الأبد ، فالزمهم الناظم القول بجواز التسلسل في الأزل كما جوزوه في الأبد ، وأما الجهمية ، وأبو الهذيل العلاف ، فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين : الأزل ، والأبد ، لأنهم قالوا : إذا قلنا : كل خلق قبله لا إلى غاية ، وكل خلق بعده لا إلى نهاية ، لزمنا القول بعدم العالم ، وإنما قال الجميع بذلك لئلا يبطل عليهم دليل الأكوان الذي استدلوا به على حدوث العالم ، لأن مبتدأه على امتناع التسلسل ، وسيورد الناظم عليهم هذا القول فيما يأتي . والأشعري : هو أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، قدم بغداد ، أخذ الفقه عن زكريا بن يحيى الساجي ، وتفقهه بآب بن سريح ، وقد كان معتزلياً ، فتأب بالبصرة فوق المنبر ، وأظهر فضائهم وقبائحهم ، وذكر له من التصانيف «الموجز» وغيره ، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً ، وذكر أن دخله في كل سنة كان سبعة عشر درهماً ، وأنه كان من أكثر الناس دعاية ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين . وقيل : سنة ٢٦٠ ستين ومائتين ، ومات سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائة . وقيل : ٣٠٠ سنة . وقيل : سنة بضع وثلاثين ، والله أعلم .

قلت : والحافظ ابن عساكر كتاب « تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري » مجلد .
وابن الطيب هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي ، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومن أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام . يقال : إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها كتاب « التبصرة » و « دقائق الحقائق » و « التمهيد » في أصول الفقه و « وشرح الإبانة » وغير ذلك من الجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسنها كتاب الرد على الباطنية الذي سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقد اختلفوا في مذهبه على الفروع . ف قيل : شافعي . وقيل مالكي ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي . وقد قيل : إنه كان يكتب على الفتاوى ، كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وقد كان في غاية الذكاء والفتنة ، مات في الحجة سنة ٤٠٣ ، ثلاث وأربعمئة .

وأبو علي : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبائي ، ولد سنة ٢٣٥ خمس وثلاثين ومائتين ، وهو من معتزلة البصرة ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في زمانه ، لا يدافع أحد عن ذلك ، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وتوفي سنة ٣٠٣ ثلاث وثلاثمئة ، فدفن بـ (جبي) ^(١) وله خمس وسبعون مصنفاً .
وابنه أبو هاشم : وهو عبد السلام ابن أبي علي الجبائي ، قدم بغداد سنة ٣١٤ أربع عشرة وثلاثمئة ، وتوفي سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلاثمئة ، وكان

(١) قرية من قرى بصرى .

ذكياً ، حسن الفهم ، ثاقب الفطنة ، صانعاً للكلام ، مقتدرآ عليه ، قيماً
بِهِ ، له مصنفات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فإذا أبيتم ذا وقلتم أول الأانات مفتوح بلا نكران
ما كان ذاك الآن مسبوقاً يرى الـا بسلب وجوده الحقان
فيقال ما تعنون بالأانات هل تعنون مدة هذه الازمان
من حين إحداث السموات العلى والأرض والأفلاك والقمران
ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن من قبلها شيء من الاكوان
هل جاءكم في ذاك من اثر ومن نص ومن نظر ومن برهان
هذا الكتاب وهذه الآثار والسمع قول في الفطرات والاذهان
إنا نحاكمكم الى ما شئتم منها فحكم الحق في تبيان
أوليس خلق الكون في الايام كما ن وذاك مأخوذ من القرآن
أو ليس ذلكم الزمان بمدة لحدوث شيء وهو عين زمان
فحقيقة الزمان نسبة حادث لسواه تلك حقيقة الازمان
واذكر حديث السبق للتقدير والتوقيت قبل جميع ذي الالعيان
خمسین ألفاً من سنين عدها السـمختار سابقة لذي الاكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من قبل الستين بمدة وزمان

يقول الناظم رحمه الله تعالى : فاذا أبيتم ما ذكرنا ، وقلم : ان الأناث لها أول ، ولا يصير ذاك أولاً الا بسلب وجوده ، وإلا لم يكن أولاً ، فنقول : ماتعون بالأناث ؟ هل تعنون مدة هذه الأزمان ؟ أي : من حين خلق الله السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ؟ والأرض ، وإن عندكم لم يكن قبلها شيء من الأكوان ، أي : من المخلوقات ، فهل عندكم حجة على أنه ليس قبلها شيء ؟ فهاتوا برهانكم على ذلك من الأثر والنظر ، ونحن نحاكمكم الى ما سئتم من ذلك ، ويدل على أن قبلها مخلوقات ، أن الله أخبر في القرآن بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فتلك الأيام قبل وجود السموات والأرض ، والنجوم ، والجبال ، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » (١) وهذا معنى هذه الآيات التي ذكرها الناظم .

قوله : فحقيقة الأزمان نسبة حادث الخ . أي : أن نفس قدر الفعل هو المسمى بالزمان ، فإن الزمان إذا قيل : إنه مقدار حركة الشمس أو الفلك ، وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات ، وهو الدخان الذي هو البخار ، كما قال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . قال : وكان عرشه على الماء » . ورواه الترمذي بلفظ « قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت : ٩١ وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً ، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين ، وكما عليه أهل الكتاب ، وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك ، فان هذا بما خلق في تلك الأيام ، بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى ، وكذلك إذا شق الله هذه السموات ، وأقام القيامة ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) مريم : ٦٢ . وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺ بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة ، وأن أعلامهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين ، وليس في الجنة شمس ، ولا قمر ، ولا هناك حركة فلك ، بل ذلك مقدر بحركات ، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش . هذا تقرير كلام الناظم رحمه الله تعالى ، وقد اختلف الناس في حقيقة الزمان ، ف قيل : هو جوهر ليس بجسم ولا جسماني . أي : ليس بجسم ، ولا داخل في الجسم ، فهو قائم بنفسه ، مجرد عن المادة . وقيل : فلك معدل النهار . وقيل : عرض . ف قيل : حركة معدل النهار . وقيل : مقدار الحركة المذكورة ، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقاديرها . وقيل : إنه مقارنة متجدد موهوم لتجدد معلوم ، إزالة للايهام من الأول بمقارنته للثاني ، كما في : آتيك عند طلوع الشمس ، وهذا قول المتكلمين ، والأقوال قبله للحكماء . وفي « القاموس » الزمن حركة وكسحاب : العصر ، واسمان لقليل الوقت وكثيرة ، جمع أزمان ، وأزمنة وأزمن . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلي الهمداني
والحق أن العرش قيل لانه قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت إيجاده من غير فصل زمان
لما برأه الله قال اكتب كذا فعدا بأمر الله ذا جريان
فجری بما هو كائن ابداً الى يوم المعاد بقدرة الرحمن
أفكان رب العرش جل جلاله من قبل، ذا عجز وذا نقصان
ألم لم يزل ذا قدرة والفعل مقدور له أبداً وذو إمكان

قوله : والناس مختلفون الخ . قال شيخ الاسلام : قد ذكرنا أن
السلف في المرش والقلم أيها خلق قبل الآخر قولين ، كما ذكر ذلك الحافظ
أبو العلاء الهمداني وغيره ، أحدهما : أن القلم خلق أولاً ، كما أطلق ذلك غير
واحد ، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل ،
كابن أبي عروبة الحراني ، وأبي القاسم الطبراني ، للحديث الذي رواه أبو
داود في « سننه » عن عبادة بن الصامت ؛ وفيه : سمعت رسول الله ﷺ
يقول . « أول ما خلق الله القلم ؛ فقال : اكتب » الحديث... (١) والثاني أن
العرش خلق أولاً . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في

(١) رواه أبو داود رقم (٧٠٠) ولفظه بتمامه : « ان اول ما خلق الله القلم ، فقال
له : اكتب . قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » ثم قال
عبادة بن الصامت لآبته : يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير
« هذا فليس مي » .

« الرد على الجهمية^(١) » حدثنا ابن كثير العبدى ، أنبأنا سفيان الثوري ،
حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان الله كان على عرشه قبل
أن يخلق شيئاً ؛ فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ،
ولما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، وكذلك ذكر الحافظ البيهقي في
كتاب « الأسماء والصفات » ؛ لما ذكر بدء الخلق ؛ ثم ذكر حديث الأعمش عن
المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله
تعالى : (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ على أي شيء كان الماء ؟ قال :
على متن الريح .

وروي حديث القاسم ابن أبي بردة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « أول شيء خلقه الله القلم ، وأمره
فكتب كل شيء يكون » قال البيهقي : وإنما أراد - والله أعلم - أول شيء
خلقه بعد الماء ، والريح ، والعرش ، والقلم ، وذلك في حديث عمران بن
حصين « ثم خلق السموات والأرض » أقول : حديث عمران بن حصين
الذي أشار إليه ، هو ما رواه البخاري من غير وجه مرفوعاً « كان الله ولم
يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب
في الذكر كل شيء »^(٢) ورواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروباني

(١) وقد طبعناه قريباً .

(٢) رواه البخاري في « كتاب التوحيد » باب : « وكان عرشه على الماء وهو
رب العرش العظيم . عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وجاء في كتاب « بدء الخلق »
بلفظ : « كان الله ولم يكن شيء غيره » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه » .
قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقوله في بعض الكتب في هذا الحديث
« كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » هي زيادة ليست في شيء من
كتب الحديث .

في « مسنده » وعثمان بن سعيد الدارمي ، وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم ، عن أبي اسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وذكر أحاديث وآثاراً . ثم قال مامعناه : ثبتت بالنصوص الصحيحة ، أن العرش خلق أولاً . قال ابن كثير : قال قائلون : خلق القلم أولاً . وهذا اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما . قال ابن جرير : وبعد القلم السحاب الرقيق ، وبعده العرش . واحتجوا بحديث عبادة . والذي عليه الجمهور أن العرش مخلوق قبل ذلك ، كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » يعني حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص الذي تقدم^(١) قالوا : وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير ، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، ثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير ، كما ذهب الى ذلك الجماهير ، وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي أداهم لخلاف ذا التيات
ولأي شيء لم يقولوا إنه سبحانه هو دائم الاحسان
فاعلم بأن القوم لما أسسوا أصل الكلام عموا عن القرآن

(١) ولفظه : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين .

ألف سنة . قال . وكان عرشه على الماء » .

وعن الحديث ومقتضى المعقول بل
وربوا قواعدهم عليه فقادهم
نفى القيام لكل أمر حادث
فيسد ذاك عليهم في زعمهم
إذا ثبتوه بكون ذي الأجسام حا
فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن
فلاجل ذا قالوا التسلسل باطل
فيصح حينئذ حدوث الجسم من
هذي نهايات لأقدام الورى
فن الذي يأتي بفتح يين
فالله يحزبه الذي هو أهله
عن فطرة الرحمن والبرهان
قسراً إلى التعطيل والبهتان
بالرب خوف تسلسل الاعيان
إثبات صانع هذه الاكوان
دثة فلا تنفك عن حدثان
لحدوثها اذ ذاك من برهان
والجسم لا يخلو عن الحدثان
هذا الدليل بواضح البرهان
في ذا المقام الضيق الاعطان
ينجي الورى من غمرة الحيران
من جنة المأوى مع الرضوان

أي : ان سألت أيما الناظر في هذا الكتاب ، وقلت : لم لم يقل
المتكلمون بدوام فاعلية الرب تعالى ، وقالوا بوجوب تراخي الأثر ؟ فاعلم
أنهم لما أسسوا أصل الكلام ، عموا عن الكتاب والسنة ، وهو أنهم استدلوا
على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور ، وأنهم استدلوا على حدوث
الأجسام بحدوث الأعراض ، وأن العرض لا يبقى زمانين ، والأعراض
حادثة ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، فيلزم حدوث الجسم من هذا
الدليل . قالوا : فلو قلنا بقيام أفعال الرب تعالى به ، لزم قيام الحوادث به

ولزم التسلسل . وهو عندهم ممتنع . قالوا : فإذا جوزنا قيام الأفعال بالرب سبحانه ، وأنه لم يزل يفعل شيئاً بعد شيء ، لزم قيام الحوادث به تعالى ، ولزم التسلسل ، وهذا معنى قوله :

فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن لحدوثها إذ ذاك من برهان
فلهذا قالوا بطلان التسلسل ، والتسلسل الباطل إنما هو التسلسل في
المؤثرين ، وأما التسلسل في الآثار ، فهو جائز .
وقول الناظم رحمه الله تعالى : نفي القيام ^(١) لكل أمر حادث بالرب .
فيه تسامح ، لأن أفعال الرب الاختيارية ليست بحوادث ، وإنما هي
أفعال اختيارية ، تقوم به بمشيئته وقدرته .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

فاسمع إذاً وافهم فذاك معطل ومشبه وهذا كذو الففراء
هذا الدليل هو الذي أرداهم بل هدّ كل قواعد القرآن
وهو الدليل الباطل المردود عن سد أئمة التحقيق والعرفان
ما زال أمر الناس معتدلاً إلى أن دار في الأوراق والاذهان
وبتمكنت أجزاءه بقلوبهم فأتت لوازمه إلى الإيما
رفعت قواعده وتحت ^(٢) أسسه فهو البناء وخر للأركان

(١) قلت ومعنى قيامها به سبحانه ، إنما هو قدرته عليها ، واعتراض الشارح على الناظم غير وجهه
(٢) في الأصل : وتحت . والتصحيح من مخطوطة المتن . (ابن مانع)

وجنوا على الاسلام كل جناية
 حملوا بأسلحة المحال فخانهم
 وأتى العدو الى سلاحهم فقا
 يا محنة الاسلام والقرآن من
 والله لولا الله ناصر دينه
 لتخطفت أعداؤه أرواحنا
 أيكون حقاً الدليل وما هتدى
 وفقتم للحق اذ حرموه في
 وهديتمونا للذي لم يهتدوا
 ودخلتم للحق من باب وما
 وسلكتكم طرق الهدى والعلم دو
 وعرفتم الرحمن بالاجسام وال
 وهم فما عرفوه منها بل من الـ آيات وهي فغير ذي برهان
 الله أكبر أنتم أو هم على حق وفي غي وفي خسران
 دع ذا أليس الله قد أبدى لنا حق الأدلة وهي في القرآن
 متنوعات صرفت وتظاهرت في كل وجه فهي ذو أفنان

معلومة للعقل أو مشهودة للحس أو في فطرة الرحمن
 أسمعتم لدليلكم في بعضها خبراً أو احسستم له بيان
 أيكون أصل الدين ما تم الهدى إلا به وبه قوى الايمان
 وسواه ليس بموجب من لم يحط علماً به لم ينبج من كفران
 والله ثم رسوله قد بينا طرق الهدى في غاية التبيان
 فلاي شيء أعرض عنه ولم نسمعه في أثر ولا قرآن
 لكن أتاننا بعد خير قروننا فظهور أحداث من الشيطان
 وعلى لسان الجهم جاء وحزبه من كل صاحب بدعة حيران
 ولذلك اشتد التكبر عليهم من سائر العلماء في البلدان
 صوابهم في كل قطر بل رموا في إثرهم بثواقب الشهبان
 عرفوا الذي يفضي إليه قولهم ودليلهم بحقيقة العرفان
 وأخو الجهالة في خفارة جهله والجهل قد ينجي من الكفران
 أقول : قد تقدم الكلام في دليل الأكران مبسوطاً في الفصل الذي
 أوله : وقضى بأن الله كان معطلاً. عن : شيخ الاسلام وغيره : ونحن ننير الى
 ذلك بعض الاشارة .

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل» في الكلام على أصول الدين
 بعد كلام سبق : وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل «
 فليس ذلك من أصول الدين، وان أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة،

مثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الاعراض التي هي صفات
الأجسام القائمة به ، إما الاكوان ، وإما غيرها . وتقرير المقدمات التي
يحتاج إليها هذا الدليل من إثبات الاعراض التي هي الصفات أولاً ، أو إثبات
بعضها ، كالاكوان التي هي الحركة ، والسكون ، والاجتماع ، والافتراق
وابتات حدوثها باثبات إبطال ظهورها بعد الكمون ، وإبطال انتقالها من
محل الى محل ، ثم اثبات امتناع خلو الجسم ، إما عن كل جنس من أجناس
الأعراض باثبات أن الجسم قابل لها ، وإن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن
ضده ، وإما عن الأكوان وامتناع حوادث لا أول لها . رابعاً : وهو مبني
على مقدمتين : إحداهما أن الجسم لا يخلو عن الاعراض باثبات أن الجسم
لا يخلو عن الاعراض التي هي الصفات . والثانية : أن ما لا يخلو عن الصفات
التي هي الاعراض ، فهو محدث ، لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون
الامحدثة ، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض ،
كالألوان ، وما لا يخلو عن جنس الحوادث ، فهو حادث ، لامتناع
حوادث لا تنتهى ، فهذه الطريقة بما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع
الناس بها الى الاقرار بالخالق ، ونبوة أنبيائه ، ولهذا قد اعترف حذاق
أهل الكلام ، كالأشعري وغيره أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا
سلف الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم . بل المحققون على أنها
طريقة باطلة ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها
مطلقاً ، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه ، فأحد الأمرين لازم له ،
إما أن يطلع على ضعفها ، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدوم العالم
فتسكافاً عنده الأدلة ، أو يرجع هذا تارة ، وهذا تارة ، كما هو حال طوائف
منهم ، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل ، كما

التزم جهنم لأجلها فناء الجنة والنار ، والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ، والتزم قوم لأجلها كالاشعري وغيره أن الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار ، له طعم ولون وريح ، ونحو ذلك ، والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الاعراض كالطعم واللون وغيرها لا يجوز بقاؤها بحال ، لأنهم احتاجوا الى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الاجسام بصفاتهما ، فقالوا : صفات الأجسام أعراض أي : أنها تعرض فتزول ، بخلاف صفات الله ، فانها باقية ، وأما ما اعتبد عليه طائفة منهم ، من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه ، لأن عدمه ، إما أن يكون باحداث ضد ، أو بفوات شرط ، أو اختيار الفاعل ، وكل ذلك ممتنع ، فهذه العمد لا يختارها آخرون منهم ، بل يجوزون أن الفاعل المختار ، يعدم الموجود ، كما يحدث المعدوم ، ولا يقولون : إن عدم الاجسام لا يكون الا بقطع الأعراض عنها ، كما قاله أولئك ، ولا يخلق ضد هو الفناء لافي محل ، كما قاله من قاله من المعتزلة ، وأما جمهور عقلاء بني آدم ، فقالوا : هذه مخالفة للمعلوم بالحس ، والتزم طوائف من أهل الكلام ، من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقاً ، أو نفي بعضها ، لأن الدال عندهم على حدوث هذه الاشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضاً في غاية الفساد والضلال ، ولهذا التزموا القول بخلق القرآن ، وانكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه ، إلى امثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم ، فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء : أصول الدين ، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لمياده .

وقال (١) في كلامه على « حديث النزول » (٢) لما تكلم على هذه الطريقة :
 أما قولكم : إن هذا الطريق هو الأصل في معرفة دين الاسلام ، وتبوة
 الرسل ، فهذا بما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساد ، فانه من المعلوم
 لكل من علم حال الرسول وأصحابه ، وما جاء به من الايمان والقرآن ، أنه
 لم يدع الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ، ولا
 التابعين لهم بإحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ، والذي جاء بالايمان
 وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة ، ولا سلكها منهم أحد ، والذين علموا
 ان هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض
 السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وساخف على سالكها من الشك
 والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي
 والحلي ، والقاضي ابى يعلى ، وابن عقيل وأبى بكر البيهقي ، وغير هؤلاء .
 والثاني : قول من يقول : بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ، ولهذا ذمها السلف ،
 وعدلوا عنها . وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد
 ابن حنبل ، وإسحق بن راهويه ، وأبى يوسف ، ومالك بن أنس ، وابن
 الماجشون عبد العزيز . وغير هؤلاء من السلف . انتهى .

وقال الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر : الذي أقول : إنه اذا نظر الى
 اسلام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن
 ابن عوف ، وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين

(١) أي : شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
 ابن تيمية الحراني النمرى الدمشقي رحمه الله تعالى .

(٢) وقد قننا قريباً بطبعه ، بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ
 الاسلام ابن تيمية .

الله أفواجاً ، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين ،
وأعلام النبوة ، ودلائل الرسائل ، لا من قبل حركة وسكون ، ولا من باب
الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة
والسكون عليهم واجباً ، وفي الجسم ونفيه ، والتشبيه ونفيه لازماً ، ما
أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا
أطنب في مدحهم وتعظيمهم ، ولو كان من علمهم مشهوراً ، ومن أخلاقهم
معروفاً ، لاستفاض عنهم وشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات .
بأنتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش اله يعبد ولا فوق
السموات اله يصلى له ويسجد ، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً وثقة وفطرة .

والله كان وليس شيء غيره	وبرى البرية وهي ذو حدثان
فصل المعطل هل يراها خارجاً	عن ذاته أم فيه حلت ذان
لا بد من إحداها أو أنها	هي عينه ما ثم موجودان
ما ثم مخلوق وخالقه وما	شيء مغاير هذه الاعيان
لا بد من احدى ثلاث مالها	من رابع خلو عن الروغان
ولذلك قال محقق القوم الذي	رفع القواعد مدعي العرفان

هو عين هذا الكون ليس بغيره أنى وليس مباين الا كوان
 كلا وليس مجانباً ايضاً لها فهو الوجود بعينه وعيان
 ان لم يكن فوق الخلاق ربها فالقول هذا القول في الميزان
 اذ ليس يعقل بعد إلا أنه قد حل فيها وهي كالابدان
 والروح ذات الحق جل جلاله حلت بها كمقالة النصراني
 فاحكم على من قال ليس بخارج عنها ولا فيها بكم بيان
 بخلافه الوحيين والاجماع والعقل الصريح وفطرة الرحمن
 فعليه اوقع حد معدوم بلى حد المحال بغير ما فرقان
 ياللعقول اذا نفيتم مخبراً ونقيض حد ذاك في امكان
 ان كان نبي دخوله وخروجه لا يصدقان معاً لذى امكان
 الا على عدم صريح نفيه متحقق ببديهة الانسان
 ايصح في المعقول يا أهل النهى ذاتان لا بالغير قائمتان
 ليست تباين منهما ذات لاخرى أو تحايشها فيجتمعان
 قوله أو تحايشها قال في القاموس حيث كلمة دالة على المكان كحين في
 الزمان ويثلت آخره . انتهى .

ان كان في الدنيا محال فهو ذا فارجع الى المعقول والبرهان
 فلتن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل من جسم أو جثمان

والرب ليس كذا فنتي دخوله وخروجه ما فيه من بطلان .
فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى مجردة بلا برهان .
ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الوحي المبين بحكمة اليونان .
احتج الناظم رحمه الله تعالى على بطلان قول الجهمية النفاة لعلو الله .
سبحانه على خلقه بهذه الحجة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فقال : والله كان
وليس شيء غيره . يشير إلى الحديث الصحيح المرفوع : « كان الله ولم يكن شيء »
غيره وكان عرشه على الماء »^(١) يقول إذا كان الله تعالى في الأزل لم يكن معه
غيره ، وخلق المخلوقات ، وهذا معنى قوله : وبرى البرية الخ . فسل المعطل .
هل خلقها خارجاً عن ذاته المقدسة ، أو خلقها في ذاته المقدسة ، تعالى عن
ذلك ، أو هي عنده كما يقوله الوجودية ، لعنهم الله تعالى ، وهذه قسمة
حاصرة ، لأن المخلوقات إما أن يكون خلقها في ذاته ، أو خارجاً عنها ، أو
هي عنه ، ولا قسم غير هذه الثلاثة ، ولذلك قال الناظم : ولذلك قال محقق
القوم الذي رفع القواعد ، يعني القائلين بوحدة الوجود ، فانهم قالوا :
وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق ، ما ثم غير ولا سوى البتة ، تعالى الله
عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال : لمن لم يكن فوق الخلائق ربها الخ . أي :
إن لم يكن الرب تعالى فوق خلقه ، فالقول هذا القول في الميزان ، أي :
في العدل والقياس ، فانه إذا لم يكن تعالى مبانياً للأكوان ولا محايثاً لها
داخلها فيها ، لم يبق إلا هذا القول ، إذ ليس يعقل إلا هذا ، وأن الروح ذات

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

الحق تعالى حلت بهذا العالم ، كما تقوله النصارى في عيسى عليه السلام .
 قوله : فاحكم على من قال : ليس بخارج الخ . هذا الكلام لأبي محمد
 عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، حكاه عنه الامام أبو بكر ابن فورك
 في كتاب « المجرد » فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال : وأخرج من
 الخبر والنظر قول من قال : لا هو في العالم ، ولا خارجاً منه ، ففاه نفيّاً
 مستويّاً لأنه لو قيل له : صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد
 أخبار الله أيضاً ، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول ، ثم قال :
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من
 بريته أعلمهم بالآين ، واستصوب قول القائل : إنه في السماء ، وشهد له
 بالآيمان عند ذلك . وجههم بن صفوان وأصحابه لا يجوزون الآين ويحيلون
 القول به ، قال : ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالانكار
 له ، وكان ينبغي أن يقول لها : لا تقولي ذلك فتوهي أنه محدود ، وأنه في
 مكان دون مكان ، ولكن قولي : إنه في كل مكان ، لأنه هو الصواب
 دون ما قلت . كلا فقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وانه من
 الإيمان ، بل الامر الذي يجب به الإيمان لقائله ، ومن أجله شهد لها بالآيمان
 حين قالته ، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب فاطق بذلك ،
 وشاهد له ، وقد غرس في نبيه الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا
 شيء أبين منه ، ولا أوكد ، لأنك لا تسأل أحداً من الناس عنه عربياً
 ولا عجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فتقول : أين ربك ، إلا قال : في السماء
 أفصح ، أو أوماً بيده ، أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح ولا يشير إلى غير
 ذلك ، وما رأينا أحداً إذا عن له دعاء إلا وافعاً يديه إلى السماء ، ولا وجدنا
 أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون ، وهم يدعون

أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول ، وسقطت الاخبار ، واهتدى
 جهم وخمسون رجلاً معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن . انتهى كلامه .
 قوله : يا للعقول إذا نقيتم مخبراً الخ . بفتح اللام اسم منادى مجرور
 باللام ، إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف يا ، وكونها مذكورة ،
 وغلب جره بلام واجبة الفتح ، كقول عمر رضي الله عنه : يا الله للمسلمين ،
 معنى كلام الناظم : إنكم نقيتم عنه تعالى النقيضين ، وهما لا يجتمعان ولا
 يرتفعان ، فإذا كان تعالى عندكم لا داخل العالم ولا خارجه ، فهذا حد المعدوم ،
 لأنه هو الذي لا داخل العالم ولا خارجه ، فهم وصفوا واجب الوجود تعالى
 بما يتنوع معه وجوده ، فضلاً عن وجوبه ، لأن المعدوم لا يوصف إلا
 إلا بما وصفوا به واجب الوجود تعالى . ثم قال الناظم : فلئن زعمتم أن ذلك
 في الذي هو قابل الخ . أي : أن هذا إنما يتأتى في الأجسام التي تقبل أن
 توصف بذلك ، والرب تعالى ليس بجسم ، فوصفه بأنه لا داخل العالم ولا
 خارجه ، غير محذور ، فأجابهم الناظم بقوله : فيقال هذا أولاً من قولكم
 دعوى الخ .. هذه دعوى مجردة عن البرهان ، وإنما هي من اصطلاح
 فلاسفة اليونان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والشيء يصدق نفيه عن قابل وسواه في معهود كل لسان
 أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الظلم المحال وليس ذا إمكان
 ونسيت نفي النوم والسنة التي ليست لرب العرش في الإمكان
 ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا مقبولة والنفي في القرآن

ونسيت نفى ولادة أو زوجة وهما على الرحمن ممتنعان .
والله قد وصف الجهاد بأنه ميت أصم وماله عينان .
وكذا نفى عنه الشعور ونطقه والخلق نفياً واضح التبيان
هذا وليس لها قبول للذي ينفى ولا من جملة الحيوان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى ، أن الشيء يصدق نفىه عن قابل
وغير قابل ، كما في قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ معناه
أن الرب تعالى لا يجوز عليه النوم والسنة ، كما نفى الطعم عنه سبحانه في
قوله : (وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وكما في قوله تعالى (وما
خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن
يطعمون) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ وكما نفى سبحانه الظلم عن نفسه وهو عندهم
بحال في حق الرب ، وليس بممكن ، وقد تقدم معنى ذلك في قول الناظم :
والظلم عندهم المحال لذاته الخ ، بما يعني عن الاعادة .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً ثانياً لو صح هذا الشرط كان لما هما ضدان

لا في التقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان وليس يرتفعان

يتوقف فهم كلام الناظم على معرفة التقيضين والضدين ، فالتقيضان
هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، كالحرارة ، والسكون ، والضدان هما
اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض ، فمعنى كلام الناظم
أن هذا الشرط لو صح وهو أن النفي لا يصح إلا عن القابل ، لكان ذلك
في الضدين ، لا في التقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً نفيكم لقبوله لهما يزيل حقيقة الإمكان

بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو بالغير في الفطرات والاذهان

فإذا المعطل قال إن قيامه بالنفس أو بالغير ذو بطلان

إذ ليس يقبل واحداً من ذينك إلّا أمرين إلّا وهو ذو إمكان

جسم يقوم بنفسه أيضاً كذا عرض يقوم بغيره أخوان

في حكم إمكان وليس بواجب ما كان فيه حقيقة الإمكان

أي إذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه ، فهذا كنفي قيامه بالنفس أو بالغير ، فإذا قال المعطل : إن قيامه بنفسه أو بغيره باطل ، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس . ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع ، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع ، لأنه قد يقال : إن جميع الممتنعات ترجع إلى الجمع بين النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق » (١) هذه الحجة العقلية ، وهي الاحتجاج بكون الرب تعالى قائماً بنفسه على كونه مابناً للعالم ، وذلك ملزوم بكونه فوقه عالياً عليه بالذات ، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها ، وكانت بما ناظر بها الكرامية لأبي اسحق الاسفراييني ، فرأى أبو اسحاق إلى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى المعقول ، وقال : لانسلم أنه قائم بنفسه ، إلا بمعنى أنه غني عن الحل ، فجعل قيامه بنفسه وصفاً دائماً لا ثبوتياً ،

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة »

وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه . ومن المعلوم أن كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره ، وإذا كان قيام العرض بغيره يمتنع أن يكون عديمياً بل وجودياً ، فقيام الشيء بنفسه إحق أن لا يكون أمراً عديمياً بل وجودياً ، وإذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال ، وهو مفتقر بالذات الى غيره ، فقيام الغني بذاته بنفسه أحق وأولى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فكلا كما ينفي الاله حقيقة وكلا كما في نفيه سيان
ما ذا يرد عليه من هو مثله في النفي صرفاً إذ هما عدلان
والفرق ليس بممكن لك بعدما ضاهيت هذا النفي في البطلان
فوزان هذا النفي ما قد قلته حرفاً بحرف أنما صنوان
والخصم يزعم أن ما هو قابل لكليهما فكقابل لمكان
فافرق لنا فرقاً بين مواقع الـ إثبات والتعطيل بالبرهان
أولاً فأعط القوس باريها وخل الفشر عنك وكثرة الهديان
قال الرضي في « شرح الكافية » قد يقدر نصب الياء في السعة أيضاً ، وذكر المثل ، فإن « باريها » مفعول أعط ، وهو ساكن الياء ، وهو في هذا تابع للزحشري في « الفصل » . قال الميداني في أمثاله ؛ أي : استعن على عمك بأهل المعرفة والحدق فيه ، وينشد :

يا باري القوس برياً لست تحسنها لا تفسدنها وأعط القوس باريها
قوله : فكلا كما ينفي الإله حقيقة الخ ؛ أي : ان المعطل إذا قال :

إن قيامه تعالى بنفسه أو بغيره باطل (١) فقولكم : إنه تعالى لادخل العالم ولا خارجه ، مثله في البطلان ، فكلاهما ينفي الاله حقيقة وكلاهما سواء في نفيه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة	تردي قواعده من الاركان
قل للمعطل هل تقول إلهنا المعبود حقاً خارج الازمان	
فإذا نفى هذا فذاك معطل	للرب حقاً بالغ الكفران
وإذا أقربه فسله ثانياً	أتراه غير جميع ذي الاكوان
فإذا نفى هذا وقال بأنه	هو عينها ما هاهنا غيران
فقد ارتدى بالاتحاد مصرحاً	بالكفر جاحد ربه الرحمن
حاشا النصرارى أن يكونوا مثله	وهم الحمير وعابدو الصليان
هم خصصوه بالمسيح وأمه	وأولاء ما صانوه عن حيوان
وإذا أقر بأنه غير الورى	عبد ومعبود سما شيان

(١) في الاصل : باطلاً ، والصواب الرفع على أنه خبر (أن)

فاسأله هل هذا الوري في ذاته أم ذاته فيه هنا أمران
فإذا أقر بواحد من ذينك الأمرين قبل خدعه النصراني
ويقول أهلاً بالذي هو مثلنا خشداً شنا وحيينا الحقان
وإذا نفى الأمرين فاسأله إذا هل ذاته استغنت عن الأكوان
فلذلك قام بنفسه أم قام بالـ أعيان كالاعراض والألوان^(١)

فإذا أقر وقال بل هو قائم بالنفس فاسأله وقل ذاتان؟
بالنفس قائمتان أخبرني هما مثلان أو ضدان أو غيران؟
وعلى التقادير الثلاث فإنه لولا التباين لم يكن شيئان
ضدين أو مثلين أو غيرين كما نابل هما لا شك متحدان
فلذلك قلنا إنكم باب لمن بالاتحاد يقول بل بابان
نقطتم لهم وهم خطوا على نقط لكم كعلم الصبيان

حاصل هذه الأبيات هو أن الناظم يقول : سل المعطل عن خمس مسائل :
الاولى : هل تقول : إن الله تعالى خارج الأذهان ، فان نفى ذلك فقد
كفر حقاً بلا شك . والثانية : سله إن أقر بذلك عن المسألة الثانية ، وهو
أنه ، هل هو الأكوان أو غيرها ؟ فإنه لا بد ان يقول : هو الأكوان أو
غيرها ، فإذا قال : هو عين الأكوان فقد قال بالاتحاد ، وهو أكفر قول
وأشنع مذهب ، بل القائل بذلك أكفر من النصراني ، لأن النصراني
مخصوصه بالمسيح وأمه ، وهؤلاء عمومه بكل موجود ، ولهذا قال الناظم :

(١) في الاصل : الأكوان ،

حاشا النصراني ان يكونوا مثله الخ . وإذا أقر المعطل بأنه غير الوري ،
فسله ثالثاً : هل هذا الوري في ذاته ، او ذاته فيه ؟ فاذا أقر بواحد من هذين
فقد قال بالحلول ، ولهذا قال الناظم :

فاذا أقر بواحد من ذينك الأمرين قبل خذه النصراني

وقوله : خشداشنا . هذه كلمة تعظيم ، وهي غير عربية ، وإن نفى
المعطل الأمرين ؛ أي : إن نفى ان ذاته حلت في الوري ، او حل الوري
في ذاته ، فأسأله : هل ذاته تعالى استغنت عن الآكوان ولذلك قام بنفسه ،
أم قام بالأعراض والألوان ؟ وإن أقر وقال : بل
هو قائم بالنفس ، فأسأله ، وقل : ذاتان قامتا بالنفس ؟ أخبرني : هل
هما مثلان او ضدان او غيران ؟ الضدان : هما اللذان لا يجتمعان ، وقد
يرتفعان ، كالسواد ، والبياض . والمثلان : لا يجتمعان ويرتفعان ، لتساوي
الحقيقة ، كبياض وبياض . والغيران : هما المختلفان . وقيل : هما الموجودان
اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه . والخلافان : ما قام أحدهما
مقام الآخر ، وسد مسده ، وعمل عمله . وقيل : هما اللذان يشتركان في
الصفة اللازمة ، فهما لا يجتمعان ، ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض
وبياض ، كل موجودين غير متفقين في جميع صفات النفس ، والغيران نحو
هنهما ، والمثلان ضد هما :

وقول الناظم :

وعلى التقادير الثلاث فانه لولا التباين لم يكن شيئان

أي : لأن الموجودين ، إما ان يكونا ضدّين ، او مثلين ، او غيرين ،
وعلى جميع هذه التقادير ، فلا بد من ثبوت شيئين ، ثم قال : فلذا قلنا :
إنكم باب لمن يقول بالاتحاد ، بل بابان ، نقطم لهم ، وهم خطوا على نقط

لكم ؛ أي كما أن معلم الصبيان أولاً ينقط لهم حروف الهجاء ، ثم يكتبها ،
فكذلك أنتم ومن يقول بالاتحاد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة الى الطرق النقليّة الدالة على ان الله سبحانه فوق سمواته على عرشه

ولقد أتى في عشر أنواع من المنقول في فوقيّة الرحمن
مع مثلها أيضاً يزيد بواحد ها نحن نسردها بلا كتمان
منها استواء الرب فوق العرش في سبع أت في محكم القرآن
وكذلك اطردت بلا لام ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان
لأت بها في موضع كي يحمل الباقي عليها بالبيان الثاني
ونظير ذا إضمارهم في موضع حملاً على المذكور في التبيان
لا يضمرون مع اطراد دون ذكر المضمّر المحذوف دون بيان
بل في محل الحذف يكثر ذكره فإذا هم ألفوه ألف لسان
حذفوه تخفيفاً وإيجازاً فلا يخفى المراد به على الانسان
هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى لذي العرفان
قد أفردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم الخرافي

هذا هو الدليل الأول من أدلة علو الله سبحانه على عرشه .

قوله : في سبع أتت في محكم القرآن ، وهي قوله تعالى في سورة الأعراف (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ وفي سورة يونس (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) يونس : ٣ وفي سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الرعد : ٢ وفي سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) الفرقان : ٥٩ وفي طه (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وفي سورة السجدة (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش) السجدة : ٤ وفي سورة الحديد (هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها) الحديد : ٤ الآية .

قوله : وكذلك اطردت بلا لام الخ ... أي : أن لفظة استوى اطردت بلا لام ؛ أي : بلا لام استولى ، فلو كانت بمعنى اللام ، لأتت باللام في بعض المواضع ، كي يحمل الباقي عليها ، كما أنهم يضضرون في موضع ليحمل الباقي عليه في مواضع آخر ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق المرسلة » في إبطال تفسير الاستواء بالاستيلاء : الوجه الرابع : أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء ، دون الاستيلاء ، ولو كان معناه استولى ، لكان استعماله في أكثر موارد كذا ، فإذا جاء موضع أو مواضع بلفظ استوى حمل على معنى استولى ، لأنه المألوف للمعهود ، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارد على معنى واحد ، فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ، ففي غاية الفساد ، وهذا ولم يكن

في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرده استعماله فيه ، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك ؟! انتهى .

قوله : هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى الخ ... أي : أن شيخ الاسلام أفرد مصنفاً في تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً ، وزاد الناظم وجهاً ، فصارت إحدى وعشرين . وفي « الصواعق المرسلة » رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثانيها صريح علوه وله بحكم صريحه لفظان
لفظ العلي ولفظة الأعلى معرفة (أتتك هنا) "لقصد بيان
إن العلو له بمطلقه على التعميم والاطلاق بالبرهان
وله العلو من الوجوه جميعها ذاتا وقهراً مع علو الشاني
لكن نفاة علوه سلبوه إكماً ل العلو فصار ذا نقصان
حاشاه من إفك النفاة وسلبهم فله الكمال المطلق الرباني
وعلوه فوق الخليفة كلها فطرت عليه الخلق والثقلان
لا يستطيع معطل تبديلها أبداً وذلك سنة الرحمن

(١) ما بين القوسين ، زيادة لم تكن في الاصل ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

كل إذا ما نابِه أمر يرى متوجهاً بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك وتخمينش وتغيير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم والمعقول عند بداية الأذهان
فمن المحال القدح في المعلوم بالشبهات هذا بينَ البطلان
وإذا البداية قابلتها هذه الشبهات لم تحتج إلى بطلان
شتان بين مقالة أوصى بها بعض لبعض أول للثاني
ومقالة فطر الاله عباده حقاً عليها ما هما عدلان

هذا هو الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه ، وحاصل كلام الناظم
أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو ، وأتى في ذلك لفظان : أحدهما : لفظ
العلي في قوله تعالى (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ والثاني : لفظ الأعلى
كما في قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى : ١ وذلك لبيان أن العلو
مطلقاً له سبحانه ، أي : علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر . وأما النفاة ،
فلم يثبتوا له سبحانه إلا علو القدر ، وعلو القهر ، ونفوا علو الذات ، تعالى
الله عما يقولون . وقد احتج الناظم عليهم بما فطر الله تعالى عليه الخليفة
مسلمها وكافرها ، بل هو شيء فطر الله عليه الثقلين ، ولهذا ترى الخلق مجمعين
على ذلك ، فترى من نابِه أمر يتوجه نحو العلو ضرورة ، وقد تقدم ما
أورده أبو جعفر الهمداني على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في ذلك ،

وأنه قال له : يا أستاذ ، أخبرنا عن هذه الضرورة التي نَجدها في قلوبنا ، ما قال قط عارف ، يا الله : إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت بمنة ولا يسرة ، أراد الشيخ أن إقرار الفطر بأن معبودها ومدعوها فوق ، هو أمر ضروري عقلي فطري ، وأنت دليلك في نفي العلو نظري ، والنظري لا يعارض الضروري ، وذلك نحو ما يجيبون به عن هذا القصد الضروري ، مثل قولهم : إن السماء قبله الدعاء ، ومثل معارضتهم ذلك بوضع الساجد بجهته على الأرض ، ونحو ذلك ، كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله : ونهاية الشبهات تشكيك وتخميش .

وقوله : وإذا البداية قابلتها هذه الشبهات ، أي : أن علو الرب سبحانه فوق خلقه أمر معلوم بالفطرة والبداهة ، فلا يعارض بالنظريات والشبهات ، فأما قولهم : إن السماء قبله الدعاء ، فقول باطل لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، والذي صح أن قبله الدعاء هي قبله الصلاة ، وقد صرح العلماء بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وقد استقبل النبي ﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال : إن للدعاء قبله غير قبله الصلاة ، فقد ابتدع في الدين ، وخالف جماعة المسلمين ، وأما ثانياً ، فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه ، كما نستقبل الكعبة في الصلاة ، وما حاذاه الإنسان يديه أو رأسه مثلاً ، لا يسمى قبله أصلاً ، فلو كانت السماء قبله الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، ولم يثبت ذلك في شرع أصلاً ، وأما النقض بوضع الجبهة ، فما أفسده من نقض ! فإن واضح الجبهة لما قصده الخُضوع لمن فوقه بالذل ، لا أن يميل إليه ، إذ هو تحته ، بل هذا لا يخطر بقلب ساجد . وأيضاً فالساجد في نفس السجود يصرح بأن ربه هو الأعلى سبحانه وتعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مصحوبا بمن وبدونها نوعان
إحداهما هو قابل التأويل والـ أصل الحقيقة وحدها ببيان
فإذا ادعى تأويل ذلك مدّع لم تقبل الدعوى بلا برهان
لكنها المجرور ليس بقابل التأويل في لغة وعرف لسان
وأصح لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان
إن الكلام إذا أتى بسياقه يبيد المراد لمن له أذنان
أضحى كنص قاطع لا يقبل التأويل يعرف ذا أولوالأذهان
فسياقه الألفاظ مثل شواهدالـ أحوال إنها لنا صنوان
إحداهما للعين مشهود بها لكن ذاك لمسمع الإنسان
فإذا أتى التأويل بعد سياقه تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا أتى الـكتمان بعد شواهدالـ أحوال كان كأقبح الـكتمان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقته له ان كنت ذا عرفان
والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكو ان

لكن نفاة الفوق ما وفوا به جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر الله أعلى لا بفوق الذات للرحمن
قالوا وهذا مثل قول الناس في ذهب يرى من خالص العقيان
هو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات بل في مقتضى الأثمان
والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران
هذا الذي قالوا وفوق القهر والرفوقية العليا على الأكوان

هذا هو الدليل الثالث من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو صريح
الفوق، مصحوباً بـ (من) كما في قوله سبحانه (يخافون ربهم من فوقهم) النحل ٥٠
وأتى صريح الفوق أيضاً غير مصحوب بـ (من). كقوله تعالى : (وهو القاهر
فوق عباده) الانعام : ١٨ ، ٦١ وذكر رحمه الله تعالى أن المجرور بـ (من) لا يقبل
التأويل أصلاً ، وأما غير المجرور بـ (من) فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه ، لأن الأصل
الحقيقة ، فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل ، ولا دليل هناك ، وهذا في غاية الظهور .
قوله : وأصح لفائدة جليل قدرها الخ مضمون هذه الفائدة قد ذكره
الناظم في موضع آخر ، فقال : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما
يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : أحدهما عدم
احتماله لغير معناه وضعاً . والثاني : ما اطرده استعماله على طريقة واحدة في
جميع موارد ، فانه نص في معناه ، لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً ، وإن قدر
تطرق ذلك إلى بعض أفراد ، وصار بمنزلة خبر التواتر ، لا يتطرق احتمال
الكذب إليه ، وإن تطرق إلى كل واحد بمفرده ، وهذه قاعدة نافعة تدل

على خطأ كثير من التأويلات للسميات التي اطردها استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السميات ، فيحتاج إلى تأويله ليوافقها ، وأما إذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، صارت بمنزلة النص وأقوى ، وتأويلها بمتنع . انتهى . قوله :

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لربنا الرحمن
أي : فوقية الذات ، وفوقية القدر ، وفوقية القهر ، ثابتة لربنا سبحانه ، لكن المعطلة جحدوا فوقية الذات ، وتأولوها بقولهم : ان هذا مثل قول الناس في الذهب : وإنه فوق الفضة . أي فوقية القدر ، والأمير فوق الوزير . ومعلوم أن هذا بما تنفر منه العقول السليمة ، فان قول القائل ابتداءً : الله خير من عباده ، أو خير من عرشه ، من جنس قوله : الثلج بارد ، والنار حارة ، والشمس أضوء من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ، ونحو ذلك ، وليس في ذلك أيضاً تمجيد ولا تعظيم لله تعالى ، بل هو من أرذل الكلام ، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟! . قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابعها عروج الروح والـ أملاك صاعدة الى الرحمن

ولقد أتى في سورتين كلاهما اشتملا على التقدير بالأزمان
 في سورة فيها المعارج قدرت خمسين ألفاً كامل الحسبان
 وبسجدة التنزيل ألفاً قدرت فلاجل ذا قالوا هما يومان
 يوم المعاد بذى المعارج ذكره واليوم في تنزيل في ذا الآن
 وكلاهما عندي فيوم واحد وعروجهم فيه الى الديان
 فالألف فيه مسافة لتزولهم وصعودهم نحو الرفيع الداني
 هذي السماء فإنها قد قدرت خمسين في عشر وذا ضعفان
 لكننا الخمسون ألف مسافة السبع الطباق وبعد ذي الأكوان
 من عرش رب العالمين الى الثرى عندا الحضيض الاسفل التحتاني
 واختار هذا القول في تفسيره البغوي ذاك العالم الرباني
 ومجاهد قد قال هذا القول لكن ابن اسحاق الجليل الشان
 قال المسافة بيننا والعرش ذا المقدار في سير من الإنسان
 والقول الاول قول عكرمة وقول لقتادة وهما لنا علامان
 واختاره الحسن الرضى ورواه عن بحر العلوم مفسر القرآن
 ويرجح القول الذي قد قاله ساداتنا في فرقهم أمراة
 احدهما ما في الصحيح لما منع لركاته من هذه الاعيان

يكوى بها يوم القيامة ظهره وجينه وكذلك الجناب
 خمسون ألفاً قدر ذاك اليوم في هذا الحديث وذاك ذو تبيان
 فالظاهر اليومان في الوجهين يو م واحداً ما ان هما يومان
 قالوا وايراد السياق يبين الـمـمـضون^(١) منه بأوضح التبيان
 فانظر الى الإضمار ضمن يروونه ونراه^(٢) ما تفسيره ببيان
 فالיום بالتفسير أولى من عدا ب، واقع للقرب والجيران
 ويكون ذكر عروجهم في هذه الدنيا ويوم قيامة الأبدان
 فنزولهم أيضاً هناك ثابت كنزولهم أيضاً هنا للشان
 وعروجهم بعد القضا كعروجهم أيضاً هنا فلهم إذا شأنان
 ويزول هذا السقف يوم معادنا فعروجهم للعرش والرحمن
 هذا وما نضجت لديّ وعلمها الـمـو كول بعد لمنزل القرآن
 وأعوذ بالرحمن من جزم بلا علم وهذا غاية الإمكان
 والله أعلم بالمراد بقوله ورسوله المبعوث بالفرقان
 هذا هو الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو عروج
 الروح والملائكة إليه تعالى .

قوله : ولقد أتى في سورتين كلاهما الخ .. ففي سورة المعارج قال :
 (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) المعارج : ٤

(١) في الاصل : المتصود . (٢) في الاصل : ورآه

وفي سورة السجدة قال : (يدبر الامر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة بما تعدون) السجدة : ه والمراد بالروح هنا جبريل عليه السلام ، يعرج الى الله تعالى . واختلف المفسرون في تفسير الآيتين ، وقد حكى الناظم ذلك الاختلاف ، واختار أنها يوم واحد ، وأن المراد في آية السجدة من الأرض إلى السماء الدنيا ألف سنة ، مسافة لصعودهم ونزولهم ، وذلك ألف سنة ، وأما في سورة (المعارج) فالمعنى أن ذلك مسافة السبع الطباق ، من العرش إلى الثرى ، أي : أسفل الأرض السابعة ، وذكر أن البغوي اختار هذا القول ، وهو قول مجاهد ، والقول الأول قول عكرمة ، وقتاده ، والحسن . وعبارة البغوي في تفسيره ، قال قوله تعالى : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد غير الملك ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله فوق السماء السابعة . وروى ليث عن مجاهد ، أن مقدار هذا خمسين ألف سنة ، وقال محمد بن إسحاق : لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة . وقال عكرمة ، وقتادة : وهو يوم القيامة ، وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسين ألف سنة من سني الدنيا ، ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره ، لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر ، لأنه يوم محدود ، ولو كان له آخر ، كان منقطعاً . وروى عن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يوم القيامة يكون على الكافر مقدار خمسين ألف سنة . ثم روى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قيل لرسول الله ﷺ عليه وسلم : يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا »^(١) وقيل معناه

(١) رواه أحمد في « مستدرك » وفي سننه . دراج أبو السمح ، وشيخه أبو الهيثم ، ومما ضعيفان .

لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله ، لم يفرغ منه في خمسين الف سنة ، وهذا معنى قول ابن عباس ، ومقاتل . قال عطاء : ويفرغ الله في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا . انتهى كلام البغوي . واحتج الناظم لما اختاره بما في « الصحيح » عنه ﷺ في عقوبة مانع الزكاة أنها تحمى عليه صفائح من نار فيكوى بها جبينه ، وظهره ، وجنبه كلها بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ... الحديث ^(١) قوله : وما نضجت لدي النخ ... قال في « القاموس » نضج التمر واللحم نضجاً ونضجاً ، أدرك فهو نضيج ، وناضج ، وأنضجته ، وهو نضيج الرأي : محكمه . انتهى . يعني الناظم أن هذه المسألة لم تنضج عنده ، ولهذا فوض عليها الى الله سبحانه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا بالطيبات اليه والاحسان
وكذا صعود الباقيات الصالحا ت اليه من اعمال ذي الايمان

(١) في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجهه وظهره ، كلها بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار .. »

وكذا صعود تصدق من طيب أيضاً اليه عند كل أوان
وكذا عروج ملائك قدوكلوا منا بإعمال وهم بدلان
فاليه تعرج بكرة وعشية والصبح يجمعهم على القرآن
كي يشهدون ويعرجون^(١) اليه بالـ أعمال سبحان العظيم الشان
وكذاك سعي الليل ترفعه الى الرحمن من قبل النهار الثاني
وكذاك سعي اليوم يرفعه له من قبل ليل حافظ الانسان
وكذاك معراج الرسول اليه حق ثابت ما فيه من نكران
بل جاوز السبع الطباق وقد دنا منه^(٢) الى أن قدرت قوسان
بل عاد من موسى اليه صاعداً خمس أعداد الفرض في الحسابان
وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى حقاً اليه جاء في القرآن
وكذاك تصعد روح كل مصدق لما تفوز بفرقة الأبدان
حقاً اليه كي تفوز بقربه وتعود يوم العرض للجثمان
وكذا دعا المضطرب ايضاً صاعد أبداً اليه عند كل أوان
وكذا دعا المظلوم ايضاً صاعد حقاً اليه قاطع الاكوان

هذا هو الدليل الخامس على علو الرب تعالى فوق خلقه ، ذكر الناظم
مما يدل على ذلك قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)
فاطر : ١٠ وكذا ذكر صعود الباقيات الصالحات . هذا من القرآن .

(١) كان حقه ان يقول : يشهدوا ، ويعرجوا ، بجذف نونها ، ولكن اثبتتها
لضرورة وزن الشعر .

(٢) الصواب ان الدنو كان لجبريل عليه السلام ، دنا من محمد صلى الله عليه وسلم ،
وليس الدنو للرسول صلى الله عليه وسلم نحو ربه ، انظر الصفحة « ١٩٩ » في هذا الموضوع .

قوله : وكذا صعود تصدق من طيب الخ يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد الى الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل » متفق عليه .
وحديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « الملائكة يتعاقبون^(١) فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم : كيف تركتم عبادي ، فيقولون : اتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

قوله : وكذا سعي الليل يرفعه الخ . يشير الى حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النار أو - النور - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »^(٢) رواه مسلم .

وكذا معراج الرسول الخ . تقدم الكلام في المعراج . وقوله : وكذا رفع الروح عيسى المرتضى . يشير الى قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ : وكذا تصعد روح كل مصدق الخ . يشير الى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي ايها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج

(١) لقد ورد هذا الحديث في « صحيح البخاري » بعدة ألفاظ منها هذا ، ومنها « يتعاقبون فيكم ملائكة » على لغة بأحارث وهو كذلك في « صحيح مسلم » ومنها : « إن لله ملائكة يتعاقبون » وجاء في « الحلية » بسند صحيح بلفظ « إن الملائكة فيكم يعتقبون » .
(٢) في الاصل : « لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » والتصحیح « من

ثم يمرج بها الى السماء ، فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان فيقال مرجباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله تعالى » وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

قوله : وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا دعوة المظلوم ، فانها تصعد إلى الله كأنها شراة » (١) قال الذهبي : غريب . وإسناده جيد ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن حافطين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا ، يرى في أول الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً إلا قال الله للملائكة : أشهدكم أنني قد غفرت لمبدي ما بين طرفي الصحيفة » (٢) رواه أبو يعلى ، والبخاري .

قوله : وقد دنا منه إلى أن قدرت قوسان . ظاهر كلام الناظم عود الضمير إلى الرب عز وجل ، وأنه هو الذي دنا فتدلى ، وهذا على أحد التفسيرين في الآية (٣) ولكن هذا خلاف ما اختاره في غير هذا الموضع . فانه قال بعد كلام ذكره : لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى) النجم : ١٣-١٤

(١) رواه الحاكم ، وقال : رواه متفق على الاحتجاج بهم إلا «عاصم» بن كليب فاحتج به مسلم وحده .

(٢) رواه أبو يعلى في « مسنده » والبخاري ، والبيهقي عن أنس بن مالك . وفي مسنده (تمام بن نجيع) قال الحافظ في « التقریب » ضعيف .
(٣) الحق ان الضمير في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل . انظر التعليق الذي على الصفحة (١٩٩) .

هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة. قالت عائشة رضي الله عنها : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال : « ذاك جبريل ، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين » رواه مسلم . قال : ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ، ثم ساق سبعة أوجه دالة على ذلك . قال : وأما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس « ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » فقد تكلم الناس فيه وقالوا : إن شريكا غلط فيه ، وذكر فيه أموراً منكراً . قال : والدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا ، وجزم ابن كثير بأن الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الآية . وقال أيضاً في تفسير الذي (دنا فتدلى) إنه جبريل ، هذا هو الصحيح في التفسير ، كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم . واختلف في المراد من قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي حيث الوتر من القوس ، قاله مجاهد . وقال أبو عبيدة : قاب قوسين ، أي : دار قوسين ، أو أدنى ، أو أقرب . والقاب : ما بين القبضة والسية من القوس . قال الواحدي : هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التي يرمى بها . قال : وهل المراد بها الذراع ، لأنه يقاس بها الشيء ؟ قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح : فقد أخرج ابن مردويه بأسناد صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : القاب : القدر ، والقوسان : الذراعان ^(١) . ويؤيده أنه لو كانت المراد به القوس التي يرمى بها ، لم يمثل بذلك ليحتاج إلى التنبيه ، فكان يقال مثلاً : قاب رمح ، أو نحو ذلك . انتهى ، والقاب ، والقيب ، والقاد ، والقيد : المقدار ، ذكر معناه في الصحاح . انتهى .

(١) في الاصل : والقوسين : الذراعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزول ل كذاك التنزيل للقرآن
والله أخبرنا بأن كتابه تنزيهه بالحق والبرهان
أيكون تنزيلاً وليس كلام من فوق العباد أذاك ذو إمكان
أيكون تنزيلاً من الرحمن والرحمن ليس مابين الأكوان
وكذا نزول الرب جلاله في النصف من ليل وذاك الثاني
من ذاك يسألني فيعطى سؤله من ذا يتوب إلي من عصيان
فيقول لست بسائل غيري بأحد والعباد أنا العظيم الشأن
من ذاك يسألني فأغفر ذنبه فأنا الودود الواسع الغفران
من ذا يريد شفاءه من سقمه فانا القريب مجيب من ناداني
ذا شأنه سبحانه وبحمده حتى يكون الفجر فجراً ثاني
يا قوم ليس نزوله وعلوه حقاً لديكم بل هما عدمان
وكذاك ليس يقول شيئاً عندكم لا ذا ولا قولاً^(١) سواء ثان
كل مجاز لا حقيقة تحته أول وزد وانقص بلا برهان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الدليل السادس والسابع من أدلة العلو ،
وهما التنزيل ، والنزول . قال الله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز

(١) في الأصل : قول .

العليم) غافر : ٢ وقال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل ١٠٢ وقال تعالى : (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ قال الناظم رحمه الله تعالى في « بدائع الفوائد » في الكلام على قوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) غافر : ٢ الى قوله : (المصير) غافر : ٣ افتتح الآية بقوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) والتنزيل يستلزم علو المنزل عند (من) لا تعقل العرب من لغاتها ، بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك . وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه ، فهذا يدل على شيئين : أحدهما : علوه تبارك وتعالى على خلقه . والثاني : أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل ، لا غيره ، فانه أخبر أنه منه ، وهذا يقتضي أن يكون منه قولاً . كما أنه منه تنزيلاً ، فان غيره لو كان هو المتكلم به ، لكان الكتاب من ذلك الغير ، فان الكلام لما يضاف الى المتكلم به ، ومثل هذا (ولكن حق القول مني) السجدة : ١٣ ومثله (نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ ومثله (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ فاستمسك بحرف (من) في هذه المواضع ، فانه يقطع شغب المعتزلة والجمعية ، وتأمل كيف قال : تنزيل منه ، ولم يقل : تنزيله ، فتضمنت الآية إثبات علوه ، وكلامه ، وثبوت الرسالة . انتهى المقصود منه .

وقوله : وكذا نزول الرب الخ . يشير الى حديث النزول ، وهو متواتر عن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيته ، من يستغفرني فأغفر له » أخرجه أصحاب الصحاح ، كالبخاري ، ومسلم ، وأخرجه غيرها . قال الحافظ الذهبي : وقد ألفت أحاديث النزول في جزء ، وذلك متواتر ، أقطع به . قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » لما تكلم على حديث النزول ، قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح

الاسناد ، لا يختلف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش ، من فوق سبع سموات ، كما قاله الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله تعالى . وذكر بعض الآيات ... الى أن قال : وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يخالفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقول الناظم : فيقول : لست بسائل غيري الخ . يشير الى الحديث الذي رواه النسائي ، وابن ماجه ، وغيرها بسند صحيح ، أنه تعالى يقول : « لا يسأل عن عبادي غيري »

وقوله : يا قوم ليس نزوله وعلوه حقاً لديكم بل هما عدمان ، يعني أن النزول والعلو عندهم باطلين ، فلهذا حرفوا نصوص الفوقية والنزول ، كما روى بعضهم حديث النزول ، (ينزل) بالضم ، وهذا كما قرأ بعضهم ، (وكلم الله موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى . وبعضهم يفسر النزول بنزول الرحمة ، أو نزول ملك أو غير ذلك . فيقال له : الرحمة التي تنبأها ، إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها ، وإما أن تكون صفة قائمة بغيرها ، فإن كانت عيناً وقد نزلت الى السماء الدنيا ، لم يمكن أن تقول : « من يدعوني فأستجيب له » كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك ، وأن كانت صفة من الصفات ، فهي لا تقوم بنفسها ، بل لابد لها من محل ، ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ، أو محلها ، ثم اذا نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا ، فأني منفعة في ذلك .

والحاصل كما قال الناظم : إن هذه النصوص عند المعطلة مجاز لاحقيقة ،
ولهذا قال عنهم : أول وزد وانقص بلا برهان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هو رفعة الدرجات للرحمن	هذا وثامنها بسورة غافر
أيضاً له وكلاهما رفعان	درجاته مرفوعة كمعارض
وسياقها يأباه ذو التبيان	وفعل فيها ليس معنى فاعل
لكمال رفعته على الأكوان	لكنها مرفوعة درجاته
عنه وخذ معناه في القرآن	هذا هو القول الصحيح فلا تحدد
في ذي المعارج ليس يفترقان	فنظيرها المبدي لنا تفسيرها
والروح والأملك تصعد في معارج	إليه جل ذو السلطان
إلا سواء أو هما شهبان	ذا رفعة الدرجات حقاً ما هما
تفسير أهل العلم للقرآن	فخذ الكتاب ببعضه بعضاً كذا

ذكر الناظم الدليل الثامن على العلو ، وهو رفعة الدرجات . ومعنى
رفعة الدرجات ، أن درجاته تعالى مرفوعة ، لكمال رفعته ، وليس رفيع
هنا بمعنى رافع ، كما تقوله المعطلة . وأشار الى ذلك بقوله : وفعل فيها ليس

معنى فاعل . قال ابن كثير في « تفسيره » تحت قوله تعالى : (رفيع الدرجات ذو العرش) غافر : ١٥ الآية : يقول تعالى مخبراً عن عظيمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته ، كالسقف لها ، كما قال تعالى (من الله ذي المعارج . تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) المعارج : ٣ ، ٤ . وسيأتي إن شاء الله بيان أن هذه مسافة ما بين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء ، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وارتفاعه من الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وفي حديث الأوعال^(١) ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم . انتهى .

قوله : فنظيرها المبدي لنا تفسيرها الآية ، أي : أن هذه الآية الكريمة تفسير آية سورة هي غافر ، وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ فالعنى أن الروح والأملأك تصعد في معارجه اليه تعالى . قوله : فخذ الكتاب ببعضه ، أي فسر بعض القرآن ببعض كما هو سبيل أهل العلم والإيمان ، جعلنا الله منهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأنه فوق السماء وذا بلا حسيان

فاستحضر الوحيين وانظر ذلك تـلقاه مينا واضح الشيان

(١) وهو حديث ضعيف ، رواه الترمذي ، وابو داود وفي سننه (عبد الله بن عميرة)

قال الذهبي : فيه جهالة .

ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب كي تقوم شواهد الايمان
واذا أتتك فلا تكن^(١) مستوحشاً منها ولا تك عندها بيجان

ليست تدل على انحصار إلهنا عقلاً ولا عرفاً ولا بلسان
إذ أجمع السلف الكرام بأن معناها كمعنى فوق بالبرهان
او ان لفظ سمائه يعني به نفس العلو المطلق الحقان

والرب فيه وليس يحصره من المخلوق شيء ز ذو السلطان
كل الجهات بأسرها عدمية من حقه هو فوقها بيان

قد بان عنها كلها فهو المحيط ولا يحاط بخالق الأكوان
ماذا كينقم بعده ذو التعطيل في وصف العلو لربنا الرحمن

ايرد ذو عقل سليم قط ذا بعد التصور يا اولي الأذهان

والله مارد امرؤ هذا بغير الجهل او بحمية الشيطان

هذا هو الدليل التاسع على علو الرب سبحانه فوق خلقه ، وهذه^(٢)
نصوص الفوقية من الكتاب والسنة ، كقوله تعالى (يخافون ربهم من
فوقهم) وقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة)
الانعام : ٦١ الآية

وروى الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » عن عكرمة عن ابن عباس
في قوله تعالى (ثم لا تينهم من بين أيديهم) قال : لم يستطيع أن يقول :
(من فوقهم) علم أن الله تعالى من فوقهم . وأما الأحاديث ، فعن زينب

(١) في الاصل : وإذا أتت في لا تكن . (٢) في الاصل وهي .

بنت جحش أنها كانت تقول للنبي ﷺ: زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وفي لفظ البخاري ، كانت تقول : إن الله أنكحني من فوق سبع سموات . وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال : جاء زيد ابن حارثة يشكو ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله الحديث .. » ، وفيه : وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات . وفي رواية للبخاري عن أنس ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ ، وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء . وعن سعد ابن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال لسعد ، يعني ابن معاذ : « لقد حكمت اليوم فيهم - يعني بني قريظة - بحكم الملك من فوق سبع سموات » قال الذهبي : هذا حديث صحيح . وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس ، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة ، قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة »^(١) وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . قال : وذلك قوله تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ قال : فينظر إليهم ، وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره » . رواه ابن ماجه ! وعن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنا بالبطحاء جلوساً مع رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذا ؟ قلنا السحاب قال : « والمزن » : قلنا والمزن . قال : والعنان . فسكتنا . قال : « هل تدرون كم بين السماء والارض ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : بينها مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء

(١) رواه بنحو هذا اللفظ ابن اسحاق من مرسل علقمة بن وقاص . والذي في البخاري : « لقد قضيت بحكم الله - وربما قال : بحكم الملك » .

الى سماء مسبوحة خمسمائة ، وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم . وعن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ نحوه . أخرجه أبو داود (١) وأخرجه ابن ماجه بلفظ آخر ، ويرويه ابراهيم بن طهمان ، وعمر بن (أبي) قيس عن سماك وقد حسنه الترمذي (٢) . وأخرجه الحافظ الضياء في « المختارة » وأخرجه الذهبي من طريق آخر ، وفيه : ثم عد سبع سموات كذلك ، ثم فوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن ور كهن ما بين سماء الى سماء ، والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش أخرجه الحافظ ابو عبد الله ابن منبذة في كتاب « التوحيد » قال الذهبي : قرأ على عمر بن عبد المنعم (عربيل) ، وأنا أسمع عن ابي القاسم الحرستاني ، عن ابي عبد الله الغراوي قال : أنبا أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » له قال : وأنبا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد ابن أبي عمر ، وقالوا : ثنا محمد ، ثنا هارون بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : بين السماء والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء من خمسمائة عام ، وبين السابعة والكرمي خمسمائة عام ، وبين الكرمي والماء خمسمائة عام ، والكرمي فوق الماء ، والله فوق الكرسي ، ويعلم ما أنتم عليه . رواه بنحوه المسعودي عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل بدل (زر) ، عن عبد الله ، ولفظه : والله فوق ذلك ،

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر في « التلخيص » وفيه أيضاً (عبد الله بن عميرة) . قال الحافظ الذهبي في « الميزان » فيه جهالة . (٢) لم يحسنه الترمذي ، بل قال : هذا حديث غريب .

لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . وله طرق (١) . انتهى كلامه .
 قوله : ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب الخ . . يشير الى قوله
 تعالى (أأنتم من في السماء) الملك : ١٦ والحديث الذي فيه « حتى ينتهي
 بها الى السماء التي فيها الله » ونحو ذلك . وذكر رحمه الله تعالى أن هذه النصوص
 لا تدل على انحصار إلهنا تعالى وتقدس ، لا عقلاً ولا عرفاً ، إذ أجمع السلف
 على أن معناها كعنى فوق ، وأن لفظ السماء يعني به نفس العلو المطلق ،
 وسيأتي بسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن
 وكذا اختصاص كتاب رحمته بعند الله فوق العرش ذو تبيان
 لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعاً عند ذي السلطان
 ويكون عند الله ابليس وجبريل هما في العند مستويان
 هذا هو الدليل العاشر من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه ، وهو اختصاص
 بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه ، كقوله تعالى (ان الذين عند ربك
 لا يستكبرون عن عبادته) الأعراف : ٢٠٦ وقوله تعالى : (وله من في السموات
 والأرض ومن عنده) الأنبياء : ٢٩ الآية . وعن ابي هريرة رضي الله عنه
 قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده

فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي » ^(١) وفي لفظ عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش » وفي لفظ عن أبي هريرة « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه ، فهو مرفوع فوق العرش ، ان رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضبي » فلو لم يكن الله جل وعلا فوق عرشه لما كان لتخصيص بعض الملائكة بالعند معنى ، ولما كان إبليس وجبريل في العندية سواء ، نعوذ بالله من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتمام ذلك القول أن محبة الرحمن غير ^(٢) إرادة الأكوان
وكلاهما محبوبة ومراده وكلاهما هو عنده سيات
ان قلمت عندية التكوين فالذاتان عند الله مخلوقان
أو قلمت عندية التقريب تقرب الحبيب وما هما عدلان
فالحب عندهم المشيئة نفسها وكلاهما في حكمها مثلان
لكن منازعكم يقول بأنها عندية حقاً بلا روغان
جمعت له حب الإله وقربه من ذاته وكرامة الاحسان
والحب وصف وهو غير مشيئة والعند قرب ظاهر التبيان

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .
(٢) في الاصل: عين .

حاصل هذه الآيات أن حجة الله تعالى عندكم عين إرادته ، فلا يظهر وجه اختصاص العند بالملائكة ، لأنكم إن قلتم : إن المراد بالعندية التكوين ، فإبليس وجبريل كلاهما عند الله مخلوقان مكونان ، فلا يبقى للتخصيص بالعندية معنى ، وإن قلتم : إن المراد بالعندية عندية الحجة ، فهو أيضاً لا يصح بناء على قولكم ، لأن الحجة عندكم هي المشيئة نفسها ، وجبريل وإبليس في نفس المشيئة متساويان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحادي عشر هن إشارة
نحو العلو بأصبع وبتان
لله جل جلاله لاغيره
إذ ذاك اشراك من الانسان
ولقد أشار رسوله في مجمع السحج العظيم بموقف الغفران
نحو السماء بأصبع قد كرمت
مستشهداً للواحد الرحمن
يارب فاشهد اني بلغتهم
ويشير نحوهم لقصد بيان
فعد البنان مرّفعاً ومصوباً
صلى عليك الله ذو الغفران
أديت ثم نصحت إذ بلغتنا
حق البلاغ الواجب الشكران

هذا هو الدليل الحادي عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو إشارة عليه السلام بأصبعه نحو السماء وينكبها^(١) الى الناس ، ويقول : « اللهم اشهد »

(١) في نسخ مسلم التي بين ايدينا « ينكبها » بالتاء وفي بعض نسخ « سنن أبي داود » ينكبها بالباء .

كما رواه مسلم في حديث جابر الطويل في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وفيه :
« فقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعد إن اعتصمتم به ، كتاب الله وأنتم تسألون
عني ، فما أنتم قائلون » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأدبت ، ونصحت .
فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس : اللهم اشهد » ثلاث
مرات .

قوله : ينكبها : يقال : نكب أضعه : أمالها إلى الناس ، يريد بذلك
أن يشهد الله عليهم ، قاله ابن الأثير في غريب « جامع الاصول » .
قوله : ومصوباً . الصوب : المجيء من عل « قاموس » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذاونثاني عشرها وصف الظهو	وله كما قد جاء في القرآن
والظاهر العالي الذي مافوقه	شيء كما قد قال ذو البرهان
حقاً رسول الله ذا تفسيره	ولقد رواه مسلم بضمين
فاقبله لاتقبل سواه من التفاضل	سير التي قيلت بلا برهان
والشيء حين يتم منه علوه	فظهوره في غاية التبيان
أو ما ترى هذي السما وعلوها	وظهورها وكذلك القمران
والعكس أيضاً ثابت ففسوله	وخفاؤه اذ ذاك مصطحبان

فانظر الى علو المحيط وأخذه صفة الظهور وذلك ذو تبيان
وانظر خفاء المركز الأدنى ووصف السفلى فيه وكونه تحتاني
وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه فيها له صفتان
لانجذبتهما جحود الجهم أو صاف الكمال تكون ذا بهتان
وظهوره هو مقتضى لعلوه وعلوه لظهوره ببيان
وكذلك قد دخلت هناك الفاء للتسيب مؤذنة بهذا الشأن
فتأملن تفسير أعلم خلقه بصفاته من جاء بالقرآن
إذ قال أنت كذا فليس لصدّه أبداً اليك تطرق الاتيان
ثبت في « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهم أنت الأول
فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس
فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وعن مقاتل بن سليمان
قال : بلغنا والله أعلم في قوله تعالى : (هو الأول) الحديد : ٣ قال :
قبل كل شيء ، والآخر قال : بعد كل شيء ، والظاهر قال : فوق كل
شيء ، والباطن ، قال : أقرب من كل شيء .

قوله : والشيء حين يتم منه علوه الخ ... أي : إن الشيء اذا كان في
غاية العلو ضوء أظهر ما يكون ، والعكس أيضاً ثابت ، أي : كلما سفل
الشيء كان في غاية الخفاء ، ثم مثل لذلك بالمحيط والمركز ، فان المحيط لتمام
علوه في غاية الظهور ، والمركز لسفوله في غاية الخفاء ، ولهذا قال الناظم :
وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه ؛ أي : أن ظهوره سبحانه مقتضى لعلوه
وعلوه مقتضى لظهوره .

وقوله : ولذلك قد دخلت هناك الفاء للتسيب الخ .. يعني الفاء التي في قوله ﷺ « وانت الظاهر فليس فوقك شيء » يعني انها فاء السببية ، والمراد بالمحيط هنا الفلك ، والمركز وسط الأرض .

قال الناظم :

فصل

هذا وثالث عشرها أخباره انا نراه بجنة الحيوان
فصل المعطل هل يرى من تحتنا أم عن شمائلنا وعن أيمان
أم خلفنا وأماننا سبحانه أم هل يرى من فوقنا ببيان
ياقوم ما في الأمر شيء غير ذا أو أن رؤيته بلا إمكان
إذ رؤية لا في مقابلة من السرائي محال ليس في الإمكان
ومن ادعى شيئاً سوى ذا كان دعواه مكابرة على الأذهان

هذا هو الدليل الثالث عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو رؤيته تعالى في الجنة ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفهوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله عز وجل : (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ رواه ابن ماجه في « سننه » . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت :

ما هذه يا جبريل ؟ قال هذه الجمعة يعرضها عليك وربك عز وجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . فقلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه ، أو ليس له يقسم إلا أذكر له ما هو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة ، نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسیه ، ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جاء النبيون ، حتى جلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء ، حتى جلسوا عليها ، ثم جاء أهل الجنة حتى جلسوا على الكئيب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ويسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر إلى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسیه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاً لا فصم فيها ولا وسم ، أو ياقوته حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، منها غرفها وأبوابها مطردة فيها انهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى وجهه ، فذلك دعي يوم المزيد ^(١) قال الذهبي : هذا حديث مشهور ، وافر الطرق . أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » له عن عبد الأعلى بن حماد النرسي ، عن عمر بن يونس .

(١) رواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني في « الأوسط » ، وأبو يعلى مختصراً ، والبزار .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولذلك قال محقق منكم لأهل الاعتزال مقالة بأمان
 مايننا خلف وبينكم لدى التحقيق في معنى فيا إخوان
 شدوا بأجمعنا لنحمل حملة تذر المجسم في أذل هوان
 اذ قال إن إلهنا حقاً يرى يوم المعاد كما يرى القمران
 وتصير أبصار العباد نواظراً حقاً اليه رؤية بعيان
 لا ريب أنهم اذا قالوا بهذا لزم العلو لفاطر الاكوان
 ويكون فوق العرش جل جلاله فلذلك نحن وحزبهم خصمان
 لكننا سلم وأنتم اذ تساءلنا ———— دنا على نفى العلو لربنا الرحمن
 فعلوه عين المحال وليس فو ق العرش من رب ولا ديان
 لا تنصبوا معنا الخلاف فماله طعم فنحن وأنتم سامان
 هذا الذي والله مودع كتبهم فانظر ترى يامن له عينان
 لما ذكر الناظم أن أهل الجنة يرونه سبحانه وتعالى ، وأن رؤيته تعالى
 لا تكون إلا من فوق ، وإلا فرؤيته سبحانه محال ، ولهذا قال في هذه
 الأبيات : ولهذا قال محقق منكم لأهل الاعتزال الخ . قوله : منكم . أي :
 من الأشاعرة ، ولم أقف على تعيين هذا المحقق . وقد قال شيخ الاسلام في
 كتاب « العقل والنقل » : والمقصود هنا أن نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة
 وغيرهم اذا قالوا : إثباتها يستلزم أن يكون الله جسماً ، وذلك منتف ،

وادعوا أن العقل دل على المقدمتين ، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين
أو إحداهما ، فاما أن يبطل نفي التلازم ، أو نفي اللازم ، أو المقدمتان
جميعاً ، وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤية ، فطائفة نازعت في الاولى
كلأشعري وأمثاله ، وهو الذي حكاه الاشعري عن أهل الحديث وأصحاب
السنة ، وقالوا : لانسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسماً ، فقالت
النفاة : لأن كل مرئي في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، فافتوت نفاة
الجسم على قولين : طائفة قالت : لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة ،
فهو جسم ، فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين ، وأن
المنازع فيها مكابر ، وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية ، فلهذا
صار الخذاق من متأخري الأشعرية على نقي الرؤية وموافقة المعتزلة ، فاذا
أطلقوها موافقة لأهل السنة ، فسروها بما تفسرها به المعتزلة ، وقالوا : النزاع
بيننا وبين المعتزلة لفظي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابع عشرها إقرار سا	ثله بلفظ الآين للرحمن
ولقد رواه أبو رزين بعدما	سأل الرسول بلفظه بوزان
ورواه تبليغاً له ومقرراً	لما أقربه بلا نكران
هذا وما كان الجواب جواب من	لكن جواب اللفظ بالميزان

كلا وليس لمن دخول قط في هذا السياق لمن له أذنان
دع ذا فقد قال الرسول بنفسه أين الإله لعالم بلسان
والله ما قصد المخاطب غير معناها الذي وضعت له الحقان
والله ما فهم المخاطب غيره واللفظ موضوع لقصد بيان
يا قوم لفظ الآين ممتنع على الرحمن عندكم وذو بطلان
ويكاد قائلكم يكفرنا به بل قد وهذا غاية العدوان
لفظ صريح جاء عن خير الورى قولاً وإقراراً هما نوعان
والله ما كان الرسول بعاجز عن لفظ من مع أنها حرفان
والآين أحرفها ثلاث وهي ذو لبس ومن في غاية التبيان
والله ما الملكان أفصح منه إذ في القبر من رب السما يسلان^(١)
ويقول أين الله يعني من فلا والله ما اللفظان متحدان
كلا ولا معناهما أيضاً لذي لغة ولا شرع ولا إنسان

هذا هو الدليل الرابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .
قوله : ولقد رواه أبو رزين الخ . عن أبي رزين العقيلي قال : قلت :
يا رسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال : كان
في عماء ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه «
رواه الترمذي ، وابن ماجه . قال الذهبي : واسناده حسن^(٢) رواه إسحق

(١) أي يسألان ، وسهل الهمة لوزن الشعر .

(٢) قال الترمذي فيه : هذا حديث غريب .

ابن راهويه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد ، وعنده : « ثم كان العرش ، فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء ، وفوقه هواء » يعني السحاب . ومن الاحاديث المتواترة ، حديث معاوية ابن الحكم السامي قال : كانت لي غنم قبل أحد والجوانية . وفيها جارية لي ، فاطلعت ذات يوم ، فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بني آدم ، فأسفت ، فصككتها ، فأنت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك علي . فقلت : يا رسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : ادعها ، فدعوتها . قال فقال لها : « أين الله : » قالت : في السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « أعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح ، رواه جماعة من الثقات ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن هلال ابن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السامي . أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وغير واحد من الأئمة . قال الذهبي : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الخطيب ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، ومحمد بن المطهر ، قالوا : أنبأنا السخاوي ، أنبأنا السلفي ، أنبأنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين أنا علي بن الحسين بن جابر ، أنبأنا محمد بن علي النقاش ، ثنا القاسم بن الليث ، ثنا المعافى بن سليمان ، ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السامي قال : كانت لي غنم ترعى بالعذيب ، فكنت أتعهدا ، وفيها جارية لي سوداء ، فجيئتها يوماً ففقدت شاة من خيار الغنم ، فقلت : أين الفلانية ؟ قالت : أكلها الذئب ، فأسفت وأنا من بني آدم ، فضربت وجهها ، ثم ندمت على ما صنعت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : أضربت وجهها ؟ وعظم ذلك تعظيماً شديداً . فقلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أعتقها . قال : فأنني بها قبل أن تعتقها ، فجيئته

بها . فقال لها : « من ربك ؟ » قالت : الله . قال : « وأين هو ؟ »
 قالت : في السماء . قال : « فمن أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله . قال :
 « اعتقها فإنها مؤمنة » هذا حديث صحيح : قال الذهبي : وهكذا رأينا
 كل من يسأل : أين الله ، يبادر ويقول : في السماء ، ففي الحبر مسألان .
 إحداهما شرعية . قول المسلم : أين الله . وثانيها قول المسؤول : في السماء .
 فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنما ينكر على المصطفى ﷺ . انتهى . وقول
 الناظم : هذا وما كان الجواب جواب من الخ . أي لأن النفاة أولوا قول النبي
 ﷺ « أين الله » بمعنى : من الله . قال شيخ الإسلام « في العقل والنقل » بعد كلام
 سبق . وهذا مما يبين أن سؤال السائل ، أين كان ربنا في حديث أبي رزين ،
 لم يكن هذا السؤال فاسداً عنده ﷺ كسؤال السائل : من خلق الله ، فإنه لم
 ينه السائل عن ذلك ، ولا أمره بالاستعاذة ، بل النبي ﷺ سأل بذلك لغير
 واحد فقال له : أين الله ، وهو منزّه أن يسأل سؤال الأفاسد . وسمع الجواب
 عن ذلك وهو منزّه عن أن يقر على جواب فاسد ، لما سئل عن ذلك
 أجاب . فكان سائلاً به تارة ، ومجيباً عنه أخرى ، ولو كانت المقصود
 مجرد التمييز بين الرب والصنم ، مع علم الرسول أن السؤال والجواب
 فاسدان ، كان في الأسئلة الصحيحة ما يعني غير الرسول ﷺ عن الأسئلة
 الفاسدة ، فكيف يكون الرسول ﷺ ، فإنه كان يمكن أن يقول : من
 ربك ، من تعبدن ، كما قال حصين الخزاعي : يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً ، قال :
 أعبد سبعة آلهة ، ستة في الأرض وواحد في السماء . قال : فمن الذي تعد
 لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء . فقال : « أسلم حتى أعلمك كلمة »
 ينفعل الله بها . « فلما أسلم ، سأله عن الدعوة . فقال : « قل : اللهم ألهمني
 وشدي وقني شر نفسي ، رواه أحمد في « المسند » ورواه غير أحمد ^(١) . انتهى .

قوله : ياقوم لفظ الاين ممتنع على الرحمن الخ . أي أنه لا يجوز عندهم أن

(١) ورواه الترمذي واللفظ له . وقال : هذا حديث حسن غريب .

يقال : أين الله ، وبكاد قائلكم يكفرنا به ، بل قد . أي يقارب قائلكم أن يكفرنا به ، بل قد . أي كفرنا به ، وهذا على طريق الاكتفاء . وقد عرفه علماء البديع بأنه ، هو أن يأتي الشاعر بيت من الشعر ، وقافيته متعلقة بمحذوف ، فلم يقتصر الى ذكر المحذوف ، لدلالة باقي لفظ البيت عليه ، ويكتفى بما هو معلوم في الذهن كقوله : لا أنتهي ، لا أنتي ، لا أرعوي . مدامت في قيد الحياة ، ولا إذا ...

وقوله : والله ما كان الرسول بعاجز عن لفظ من . أي لو كان مراده بقوله : أين الله . السؤال من الله ، لما كانت عاجزاً عن ذلك ، ولفظ (من) حرفان ، ولفظ أين ثلاثة أحرف .

وقوله : والله ما الملكان أفصح منه إذ . أي ما الملكان اللذان يسألان الميت ، فيقولان : من ربك ومن نبيك؟ وما دينك؟ بأفصح منه ، أفقول الرسول ﷺ أين الله ، يعني من الله ، فلا والله ما اللفظان بسواء ، ولا معنهما أيضاً بسواء ، لا في لغة ولا شرع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخامس عشرها الإجماع من	رسل الإله الواحد المتان
فالمرسلون جميعهم مع كتبهم	قد صرحوا بالفوق للرحمن
وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى	والدين عبد القادر الجيلاني

وأبو الوليد المالكي أيضاً حكى إجماعهم أعني ابن رشد الثاني^(١)
وكذا أبو العباس أيضاً قد حكى إجماعهم علم الهدى الخراساني^(٢)
وله اطلاع لم يكن من قبله لسواه من متكلم بلسان

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام سيد الوعاظ أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي^(٣) في كتاب « الغنية » له : أما معرفة الصانع بالآيات والاختصار ، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد .. الى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش ، يحنو على الملك ، محيط علمه بالاشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة بما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال : إنه في السماء على العرش ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وذكر آيات وأحاديث ... الى أن قال : وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وانه استواء الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، بلا كيف ، وذكر كلاماً طويلاً .

وقال الناظم : في كتابه « إغاثة اللهفان » قال أبو الوليد ابن رشد في كتاب « الكشف » عن مناهج الأدلة : القول في الجهة ، أما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يشبهونها لله سبحانه ، حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشاعرة ، كأبي المعالي ، ومن اقتدى بقوله ...

(١) وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ، أبو الوليد ، صاحب كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » توفي سنة (٥٩٥) ويلقب بـ (ابن رشد الحفيد) تمييزاً له عن جده (أبي الوليد محمد بن احمد) المتوفي سنة (٥٢٠) هـ .

(٢) هو شيخ الاسلام أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النيربي الخراساني الدمشقي .

(٣) وهو المعروف بالجيلاني ، فقيه من فقهاء الحنابلة ، وهو شيخ موفق الدين

ابن قدامة المقدسي توفي سنة (٥٦١) .

إلى إن قال : والشرائع كلها مبينة على أن الله في السماء ، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين ، وأن من السموات أنزلت الكتب ، وأنها كان الأمراء بالنبي ﷺ ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء ، كما اتفق جميع الشرائع على ذلك ، ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول ، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم ... إلى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن أثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأن إبطاله إبطال الشرائع كلها . انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في بعض أجوبته بعد كلام سبق : مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة ، واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فهذا إجماع الرسل الذي نقل شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ونقطع نحن أيضاً أنه إجماعهم قطعاً على البرهان
وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بأثبات الصفات لخالق الأكوان
وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بأثبات الكلام لربنا الرحمن
وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بأثبات المعاد لهذه الأبدان
وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بتوحيد الإله وماله من ثان
وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بأثبات القضاء وما لهم قولان
فالرسل متفقون قطعاً في أصول الدين دون شرائع الإيمان

كل له شرع ومنهاج وذا في الأمر لا التوحيد فافهم ذان
فالدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان
دين الإله اختاره لعباده ولنفسه هو قيم الأديان
فمن المحال بأن يكون لرسوله في وصفه خبران مختلفان

شرع الناظم رحمه الله في ذكر أشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم
الصلاة والسلام ، وذلك كعقلوا الله تعالى على خلقه ، وإثبات صفاته تعالى ،
وكلامه ، وإثبات معاد الأبدان ، والتوحيد ، وإثبات القضاء والقدر ، وذلك
بما يقطع به ضرورة ، ثم قال : فالرسل متفقون قطعاً في أصول الدين ،
وذلك بغير شك ، وأما شرائعهم فمختلفة ، كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجاً) المائدة : ٤٨ .

قال ابن كثير : قال ابن أبي حاتم : وساق السند إلى ابن عباس :
(لكل جعلنا منكم شرعة) قال : سيلاً ، وساق أيضاً عن ابن عباس ،
(منهاجاً) قال : وسنة . وكذا روي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجاً) ؛
أي : سيلاً وسنة ، وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن
البصري ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وأبي إسحاق السبيعي ، أنهم قالوا
في قوله (شرعة ومنهاجاً) ؛ أي : سيلاً وسنة . وعن ابن عباس أيضاً ،
ومجاهد ، وعطاء الخراساني عكسه ؛ أي : سنة وسيلاً ، والأول أنسب ،
فإن الشرعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال : شرع في كذا ؛
أي : ابتدأ فيه ، وكذا الشريعة ، وهي ما يشرع فيها الماء . أما المنهاج
فهو الطريق الواضح السهل ، والسنن الطرائق ، فتفسير قوله : (شرعة

ومنهاجاً) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس ، والله أعلم . انتهى كلامه .

قوله : في الأمر لا التوحيد الخ ... اي : أن جميع الرسل متفقون في التوحيد ، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نحن معشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد ^(١) » يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الانبياء : ٢٥ وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل : ٣٦ الآية . وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً ، ثم يحل في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، وهذا معنى قول الناظم : في الأمر لا التوحيد فافهم ذان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بعد ل الله بين طوائف الانسان
وكذلك نقطع أنهم أيضاً دعوا للخمس وهي قواعد الايمان
إيماننا بالله ثم برسله وبكتبه وقيامه الابدان
وبجنده وهم الملائكة الألى هم رسله لمصالح الأكوان
هذي أصول الدين حقلاً أصو ل الخمس للقاضي هو الهمداني

(١) رواية البخاري بلفظ « الانبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » .

تلك الأصول للاعتزال وكم لها فرع فنه الخلق للقرآن
وجود أوصاف الإله ونفيهم لعلوه والفوق للرحمن
وكذلك نفيهم لرؤيتنا له يوم اللقاء كما يرى القمران
ونفوا قضاء الرب والقدر الذي سبق الكتاب به هما حتمان
من أجل هاتيك الأصول وخلدوا أهل الكبائر في لظى النيران
ولأجلها نفوا الشفاعة فيهم ورموا رواية حديثها بطعان
ولأجلها قالو بأب الله لم يقدر على إصلاح ذي العصيان
ولأجلها قالوا بأن الله لم يقدر على إيمان ذي الكفران
ولأجلها حكموا على الرحمن بالشرع المحال شريعة البهتان
ولأجلها هم يوجبون رعاية الأصلح الموجود في الإمكان
حقاً على رب الوري بعقولهم سبحانك اللهم ذا السبحان
أي نقطع أن الرسل دعوا لأصول الإيمان الخمسة ، وهي : الإيمان بالله ،
وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .
وقوله :

هذه أصول الدين حقاً لا الأصول الخمس للقاضي هو الهمداني
أي : أن هذه أصول الدين ، لا الأصول الخمسة للبعثرة ، وذلك أن أصولهم
خمس يسمونها ، التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، وإنفاذ الوعيد ،
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن
نفي الصفات ، ولهذا سمي ابن التومرت أصحابه الموحدين ، وهذا إنما هو

الحاد في أسماء الله وآياته ، ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر ، وهو خلق أفعال العباد ، وإرادة الكائنات أو القدرة على شيء ، ومنهم من ينكر تقدم العلم بالكتاب ، لكن هذا ليس قول أئمتهم ، وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه ، كما لا يسمى كافراً ، فنزله منزلة بين منزلتين. وإنفاذ الوعيد عندهم معناه أن فساق الأمة مخلدون في الدار ، لا يخرجون منها بشقاعة ولا غير ذلك كما تقوله الحوارج. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة ، وقتالهم بالسيف .

وقول الناظم : تلك الأصول للاعتزال ، وكما لها فرع فمنه الخ أي : إن المعتزلة قالوا بخلق القرآن . ونفوا صفات الله تعالى ، وعلوه على خلقه ، ونفوا رؤيته تعالى في الآخرة ، ونفوا القضاء والقدر ، والشقاعة في عصاة الموحدين ، وقالوا بأن الله لا يقدر على إصلاح العصاة ، ولا يقدر على إيمان الكفار ، وأوجبوا على الله رعاية الأصلح ، ونحو ذلك .

وقوله : للقاضي هو الهمداني . أي : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني . المعتزلي ، شافعي الفروع ، معتزلي الأصول ، وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسين الهمداني ، قاضي الري وأعمالها ، وكان شيخ المذهب ، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال .

قال ابن كثير في « تاريخه » : « ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب « دلائل النبوة » في مجلدين ، أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة ، وقد طال عمره ، ورحل الناس إليه من الأقطار ، واستفادوا به ، مات في ذي القعدة سنة ١٥٤٠ خمس عشرة واربعمائة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهل العلم أعني حجة الأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لأعبرةً بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران
إن الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مبين الأكوان
هو ربنا سبحانه وبحمده حقاً على العرش استوا الرحمن
فاسمع إذا أقوالهم واشهد عليهم بعدها بالكفر والايان
واقراً تفاسير الأئمة ذاكري الاسناد فهي هداية الحيران
هذا هو الدليل السادس. عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو
إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث. قال :

وانظر الى قول ابن عباس بتفسير استوى ان كنت ذا عرفان
قال البغوي في « تفسيره » المشهور. قال: ابن عباس واكثر مفسري
السلف: استوى الى السماء: ارتفع الى السماء.

وانظر الى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حبران
قال البخاري في « صحيحه » باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء)
هود: ٧ قال أبو العالية: استوى الى السماء: ارتفع. وقال مجاهد في

استوى : علا على العرش . وروى عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب
 « السنة » له عن أبيه عن نوح بن ميمون ، عن بكير بن معروف ، عن
 مقاتل بن حيان في قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم)
 المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمه معهم . وروى البيهقي باسناده
 عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله اعلم في قوله تعالى (هو الاول
 والآخر) الحديد : ٣ قال : هو الاول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والظاهر
 فوق كل شيء ، والباطن أقرب من كل شيء ، وانما قربه بعلمه ، وهو فوق عرشه .
 وانظر الى الكلبي ايضا والذي قد قاله من غير ما نكران
 روى البيهقي من طريق محمد بن مروان عن الكلبي ، عن أبي صالح
 عن ابن عباس في قوله (ثم استوى على العرش) يقول : استقر على العرش .
 وكذا رفيع التابعي أجلبهم ذلك الرياحي العظيم الشأن
 رفيع بضم الراء مصغراً . هو ابو العالية ، وقد تقدم ما نقله البخاري
 عنه . قال أبو العالية : استوى الى السماء : ارتفع

كم صاحب ألقى اليه علمه	فلذاك ما اختلفا ^(١) عليه اثنان
فليهن من قد سبه إذ لم يوا	فق قوله تحريف ذي البهتان
فلهم عبارات عليها أربع	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقروا وقد علاو كذلك ار	تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره	أدري من الجهمي بالقرآن

(١) في الأصل : ما اختلفت .

حكى الفراء عن ابن عباس (ثم استوى) صعد . أبو عبيده : هو معمر ابن المنثى التيمي البصري .
قوله : صاحب الشيباني هو أبو عمرو بن العلاء^(١) واسمه اسحق كما ذكر ذلك الذهبي في « تاريخ الاسلام » وقيل : لما قيل له الشيباني لانقطاعه الى أناس من بني شيبان .

والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان هو قول أهل الاعتزال وقول أتباع لجهم وهو ذو بطلان في كتبه قد قاله^(٢) من موجز وإبانة . ومقالة بيان أي : أن الأشعري ذكر إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء في كثير من كتبه ، كـ « الموجز » و « الابانة » و « المقالات » قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « الابانة في اصول الديانة » له في باب الاستواء :
فان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له : إن الله مستو على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقال : (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله إليه) النساء : ١٥٨ وقال حكاية عن فرعون (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات وقال عز وجل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل ما علا فهو

(١) أبو عمرو بن العلاء شيخ أبي عمر الشيباني فقوله : أبي العلاء سبق فلم .

(٢) في الاصل : قد قال ذا ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

سما ، وليس إذا قال : (أأنتم من في السماء) يعني جميع السموات ، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى أنه ذكر السموات فقال : (وجعل القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ ولم يرد أنه يلاهن جميعاً . قال : ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلو لا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، وقد قال قائلون ، من المعتزلة ، والجهمية ، والحرورية : إن معنى استوى : استولى ، وملك ، وقهر ، وإنه تعالى في كل مكان ، وجدوا أن يكون على عرشه ، كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش وبين الأرض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء ، والأرض فالله قادر عليها ، وعلى الحشوش ، وكذا لو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يكون مستوياً على الأشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو على الأتلية ، والحشوش ، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء ، وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك ، وكتاب « الابانة » من أشهر تصانيف أي الحسن شهرة ، والحافظ ابن عساكر اعتمد عليه ، ونسخه بخطه الإمام محيي الدين النووي ، كذا ذكره الحافظ الذهبي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك البغوي أيضاً قد حكاه عنهم بمعالم القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب « معالم التنزيل » عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٤٤ قال الكلبي ، ومقاتل : استقر . وقال أبو عبيدة : صعد ، ثم قال البغوي : وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، يجب الايمان به :

وقال في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع الى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون الا ان يأتهم الله) البقرة : ٢١٠ الاولى في هذه الآية وماشا كلها أن يؤمن الانسان بظاهاها ، ويكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف ، وعلماء السنة . وقال في قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ أي من سرار ثلاثة الا هو رابعهم بالعلم . انتهى .

وانظر كلام إمامنا هو مالك قد صرح عنه قول ذي إتيقان

في الاستواء بأنه المعلوم **لم** يكن كيفه خاف على الأذهان روى البيهقي وابو الشيخ الاصبهاني ، عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس ، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرضاء ، ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعاً . فأمر به أن يخرج . وساق البيهقي باسناد صحيح عن أبي الربيع الرشدني ، عن ابن وهب قال : كنت عند مالك ، فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) طه : ه ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك (رأسه) ، وأخذته الرضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة . أخرجه . قال الذهبي في كتاب « العلو » بعد ماساق كلام الامام مالك : وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجعلها ، وأنت استواءه

معلوم ، كما أخبر به في كتابه ، وأنه كما يليق به ، لا نعتق ، ولا نتحدث ، ولا نخوض في لوازم ذلك نقياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ، ونقف كما وقف السلف ، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ، ولا في استوائه ، ولا في نزوله . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وروى ابن نافع الصدوق سماعه منه على التحقيق والاتقان
الله حقاً في السماء وعلمه سبحانه حقاً بكل مكان
فانظر الى التفريق بين الذات والمعلوم من ذا العالم الرباني
فالذات خست بالسماء وإنما المعلوم عم جميع ذي الاكوان
ذا ثابت عن مالك من رده . فلسوف يلقي مالكا بهوان
قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية : حدثني أبي ، ثنا
شريح بن النعمان ، عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله
في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ، فانظر كيف فرق
مالك رحمه الله تعالى بين الذات والمعلوم ، فخص الذات بالسماء ، وأما المعلوم
فهو عام كل شيء . والمراد بالمعلوم هنا العلم ، كما ذكره الناظم
رحمه الله تعالى .

وقوله : ذا ثابت عن مالك الخ . يعني بقوله : فلسوف يلقي مالكا
خازن النار ، نعوذ بالله من ذلك ، ولكن لا يخلو كلامه من مبالغة .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا قال الترمذي بجامع عن بعض أهل العلم والايان

الله فوق العرش لكن علمه مع خلقه تفسير ذي ايمان

ذكر الحافظ أبو عيسى الترمذي في «جامعه» لما روى حديث أبي هريرة، وهو خبر منكر «لو أنكم ذلتم مجل إلى الارض السفلى لهبط على الله» (١) فقال: قال أهل العلم: أراد: لهبط على علم الله، وهو على العرش، كما وصف نفسه في كتابه. وقال أبو عيسى إثر ما روى حديث أبي هريرة: «إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيريها» روت عائشة عن النبي ﷺ نحوه. وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا وما يشبهه من الصفات، ونزول الرب: ثبت هذه الروايات في هذا، وتؤمن به. ولا يتوهم، ولا يقال: كيف هذا؟ روي عن مالك، وابن عينة، وابن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية، فألكرت هذه الروايات، وقالوا هذا تشبيه، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وانما معنى اليد هاهنا: النعمة، وهذا القول في باب فضل الصدقة من الجامع، وقال نحواً من ذلك أيضاً في تفسير (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المائدة: ٦٤.

وكذلك أوزاعيهم أيضاً حكى عن سائر العلماء في البلدان من قرنه والتابعين جميعهم متوافرين وهم أولو العرفان فوق العباد وفوق ذي الاكوان روى البيهقي في «الأسماء والصفات» بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، وتؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وروى أبو بكر الخلال في كتاب

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

« السنة » عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث فقال أمروها كما جاءت . وروى أيضاً عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت . وفي رواية فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف .

وكذلك قال الشافعي حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني حقاً قضى الله الخلافة ربنا فوق السماء لا صدق العبدان حب الرسول وقائم من بعده بالحق لا فشل ولا متوان فانظر الى المقضي في ذي الارض لكن في السماء قضاء ذي السلطان وقضاؤه وصف له لم ينفصل عنه وهذا واضح البرهان قال الشافعي رضي الله عنه : خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه ، وجمع عليها قلوب عباده . انتهى . أي : أن المقضي في الارض ، والقضاء في السماء ، وهو فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته .

قوله : حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني . مراده بشيخ البيهقي ، الحافظ أبو عبد الله الحاكم رحمه الله تعالى .

قوله : العبدان جمع عبد ، وقوله : حب الرسول الخ . يعني : أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وقال الامام ابن الامام عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي رضي الله عنه : حدثنا أبو شعيب ، وأبو ثور عن أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى قال : القول في السنة التي أنا عليها ،

ورأيت أصحابنا عليها ، أهل الحديث الذين رأيتهم ، وأخذت عنهم ، مثل
سفيان ، ومالك وغيرهما : الاقرار بشهادة أن لا إله الا الله ، وإن محمداً
رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ،
وأن الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا كيف شاء .
قال :

وكذلك النعمان قال وبعده يعقوب والالفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العرش لا تخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره لله درك من إمام زمان
هذا الذي في الفقه الاكبر عندهم وله شروح عدة لبيان

قوله : النعمان . هو الامام عالم العراق ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت .
وقوله : يعقوب : هو ابن إبراهيم أبو يوسف القاضي .

قلت : قال في كتاب « الفقه الاكبر » المشهور المروي بالاسناد عن
أبي مطيع الحكم بن عبيد الله البلخي ، قال : سألت أبا حنيفة عن يقول :
لا أعرف ربي في السماء ، أو في الأرض . قال : قد كفر ، لأن الله يقول
(الرحمن على العرش استوى) طه : ه وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه
يقول : أقول على العرش استوى ، ولكن قال : لا يدري العرش في
السماء أو في الأرض . فقال : إذا أنكر أنه في السماء ، فقد كفر . رواها
صاحب الفاروق باسناد عن أبي بكر نصير بن يحيى عن الحكم .

قال الذهبي : وسمعت القاضي الامام تاج الدين عبد الحالم بن علوان

قال سمعت الامام أبا محمد عبدالله بن أحمد المقدسي مؤلف «المقنع»^(١) رحم الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه يقول : بلغني عن ابي حنيفة رحمه الله أنه قال : من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر .

وانظر مقالة أحمد ونصوه في ذاك تلقاها بلا حساب
فجميعها قد صرحت بعلوه وبالاتوا والفوق للرحمن
وله نصوص واردات لم تقع لسواه من فرسان هذا الشأن

اذ كان ممتحناً باعداء الحديث وشيعة التعطيل والكفران
واذا أردت نصوه فانظر الى ما قد حكى الخلال ذوالالتقان

يعني أن الامام أحمد له من النصوص والكلام في صفات الله تعالى وفي كلامه ما ليس لغيره من الأئمة ، لأنه كان ممتحناً بالمعطة والجهمية ، وما جرى عليه من المحنة في ذلك ، والضرب ، مشهور مذكور في الكتب التي صنفت في مناقبه ، كمناقبه للامام ابي اسماعيل الأنصاري ، وللحافظ ابي الفرج ابن الجوزي ، والحافظ ابي بكر البيهقي ، وغيرهم ، وكذلك كتب التواريخ .

وقوله : الخلال . هو أحمد بن محمد بن هارون ، أبو بكر الخلال ، كان أحد من صرف عنايته إلى جمع علوم الامام أحمد بن حنبل ، وسافر الى البلاد لأجلها ، وسميها عالية ونازلة ، وصنف كتاب « الجامع » وهو في عدة مجلدات ، وكتاب « السنة » وكتاب « العلل » لأحمد بن حنبل ، وغير ذلك . قال ابو بكر بن شرياز : كلنا تبع للخلال ، لأنه لم يسبقنا إلى جمع علم أحمد أحد قبله . قال الخطيب : جمع يعني الخلال - علوم أحمد ،

(١) هو المعروف بـ « موفق الدين بن قدامة المقدسي » صاحب « المغني » شرح مختصر الخرق « وقد قام المكتب الاسلامي بطبع هذا المختصر .

وطلبها ، وسافر لأجلها ، وكتبها ، وصنفها كتباً ، ولم يكن فيمن ينتحل
 مذهب أحمد أحد أجمع منه لذلك ، توفي في ربيع الأول سنة ٣٢١
 إحدى وعشرين وثلثائة ، وقد نيف عن الثمانين . انتهى ملخصاً من « تاريخ
 الذهبي » وأما نصوص الامام أحمد في ذلك ، فنذكر منها قليلاً من كثير
 قال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الحلال : قيل لأبي عبد الله :
 الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل
 مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه . وقال أبو طالب
 أحمد بن حميد : سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا
 (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال : قد تجهم هذا ،
 يأخذون بآخر الآية ، ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر أن الله يعلم
 المجادلة : ٧ فعلمه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ما توسوس به نفسه
 ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ق : ١٦ فعلمه معهم . قال المروزي
 قلب لابي عبد الله : إن رجلاً قال : أقول كما قال الله : (ما يكون
 من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) أقول هذا ، ولا أجأوزه الى غيره . فقال
 هذا كلام الجهمية ، بل علمه معهم ، فأول الآية يدل على أنه علمه . رواه
 ابن بطة في كتاب « الابانة » عن عمر بن محمد بن رجاء عن محمد بن داود
 عن المروزي . وقال حنبل ابن اسحق : قيل لأبي عبد الله : ما معنى
 (وهو معكم) قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلاحد ولاصفة
 وكلامه رحمه الله تعالى في هذا كثير شهير ، وفيما ذكرنا كفاية .

وكذاك اسحاق الامام فانه قد قال ما فيه هدى الخيران

قال الحلال : أنا المروزي ، قال : قال اسحق بن ابراهيم بن راهويه

قال الله تبارك وتعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ه اجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة وفي قعور البحار ، ورؤوس الآكام ، وبطن الأودية ، وفي كل موضع ، كما يعلم علم ما في السموات السبع وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علماً فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا قد عرف ذلك كله ، وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره .

وابن المبارك قال قولاً شافياً إنكاره علم على البهتان
قالوا له ما ذاك نعرف ربنا حقاً به لتكون ذا إيمان
فأجاب نعرفه بوصف علوه فوق السماء مابين الأكوان
وبأنه سبحانه حقاً على العرش الرفيع فجل ذو السلطان
قال الحلال : ثنا أبو بكر المروزي ، قال : سمعت أبا عبد الله قيل
له : روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف
نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش مجد ، قال : قد بلغني ذلك عنه
وأعجبه ، ثم قال أبو عبد الله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام) البقرة : ٢١٠ ثم قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)
الفجر : ٢٢ وروى شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني بإسناده الثابت عن
عبد الله بن المبارك أنه قال : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته ، بائناً
من خلقه ، ولا نقول كما قال الجهمية بأنه ههنا ، وأشار بيده إلى الأرض .
وهو عبد الله بن المبارك ، أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً
مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ، فكان ابن المبارك

إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، ولد سنة ثمان مائة وعشرة ومائة ، وسمع اسماعيل ابن أبي خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة وحמיד الطويل ؛ وغيرهم من أئمة التابعين ، وحدث عنه خلائق من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ ، والفقه ، والعربية ، والزهد ، والكرم ، والشجاعة وله التصانيف الحسان ، والشعر المتضمن حكماً جمّة ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس مال نحو أربع مائة ألف تدور بتجارة في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم بلدة أحسن إليه . وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العلم والعبادة ، وربما أنفق من رأس المال . قال سفيان بن عيينة : نظرت أمر الصحابة ، فما رأيتهم يفضلون عليه إلا بصحبته رسول الله ﷺ . وقال اسمعيل بن عياش : ما أعلم على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خضعة (من) الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك . ولقد حدثني أصحابه أنهم صجوه من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم أخيض وهو الدهر صائم . وقد قدم مرة إلى « الرقة » وبها هارون الرشيد فلما دخلها انجفل الناس يهرعون إلى ابن المبارك ، وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر فقالت : ما للناس ؟ فقيل : هذا رجل من علماء خراسان ، يقال له : ابن المبارك ، فقالت المرأة : هذا هو الملك لا ملك هارون الذي يجمع الناس بالسوط والعصا . وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر : أجمع العلماء على قبوله ، وجلالته ، وإمامته ، وعدالته . توفي بـ « هيت » في سنة ١٨١ هـ إحدى وعشرين ومائة في رمضان عن ثلاث وستين سنة .

وهو الذي قد شجع ابن خزيمة . إذ سل سيف الحق والعرفان .

وقضى بقتل المنكرين علوه
وبأنهم يلقون بعد القتل فو
بعد استتابتهم من الكفران
ق مزابيل الميتات والانتان
فشفى الامام العالم الحبر الذي
يدعى امام أئمة الأزمان
ولقد حكاه الحاكم العدل الرضى
في كتبه عنه بلا نكران

قال شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في
« عقيدته » أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، يعني الحاكم في كتاب « التاريخ »
الذي جمعه لأهل نيسابور ، وفي كتاب « معرفة أصول الحديث » اللذين
جمعهما ، ولم يسبق الى مثلها . قال : سمعت ابا جعفر محمد بن صالح بن
هاني ، سمعت الامام أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول : من لم
يقر أن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته ، فهو كافر به ، حلال
الدم ، يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه ^(١) وألقي على بعض المزابيل .

وحكى ابن عبد البر في تهيدته
وكتاب الاستدكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن الله فو
ق العرش لم ينكره ذو إيمان
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى
لكنه مرض على العميان

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » : لما ذكر حديث
النزول قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الاسناد ، لا يختلف
أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار .

(١) في الاصل : ضربت عنه .

العدول ، عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات ، كما قال الجماعة ، وهو من حجبتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله بكل مكان . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقوله عز وجل (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٢٤ وقال سبحانه (أأنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥ وقال : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) السجدة : ٥ وقال : (تعرج الملائكة والروح إليه) المعارج : ٤ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ٦١ ، ١٨ وقال لعيسى عليه السلام (اني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥ وقال : (بل رفعه الله إليه) النساء : ١٥٨ وقد أخبر الله تعالى في موضعين من كتابه عن فرعون أنه قال : (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ يعني أظن موسى كاذباً أن له إلهاً في السماء ، هذه الآية تدل على أن موسى كان يقول : إلهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذباً . قال : ومن الحجة أيضاً في أنه على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين من العرب والعجم إذا كرههم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم ووجوههم إلى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين لها ، مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يوافقهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقد قال النبي ﷺ الأمة التي أراد مولاها عتقها وكانت عليه رقبه مؤمنة ، فاخترها رسول الله ﷺ

بأن قال لها : « أين الله » فأشارت الى السماء . قال : « من أنا » قالت : رسول الله . قال : « اعتقها فانها مؤمنة »^(١) فاكفى رسول الله ﷺ برفعها رأسها الى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه . قال ابو عمر رضي الله عنه : أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والايان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، وأما أهل البدع ، الجهمية ، والمعتزلة كلها ، والخواارج ، فكلهم ينكروها ، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه ، وهم عند من أقربها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله . انتهى كلامه .

وكذا علي الأشعريّ فإنه في كتبه قد جاء بالتيان من موجز وإبانة ومقالة ورسائل للتغر ذات بيان . وأتى بتقرير استواء الرب فوق العرش بالايضاح والبرهان . وأتى بتقرير العلو بأحسن التقرير فانظر كتبه بعيان . والله ما قال المجسم مثل ما قد قاله ذا العالم الرباني . فارمونه ويحكم بما ترموا به هذا المجسم يا أولي العدوان . أولاً فقولوا إن ثم حزاة وتنفس الصعداء من حران . فسلوا الإله شفاء ذا الداء العضال مجانب الاسلام والايان .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه في حديث طويل في باب « تحريم الكلام في الصلاة » .

يعني ان الامام أبا الحسن الأشعري قد أوضح في كتبه كـ « الابانة »
و « الموجز » و « مقالات الاسلاميين » و رسائله الى الثغر استواء الرب فوق
عرشه ، وبرهن على ذلك ، وقرره بأحسن تقرير^(١) ، وذلك في كتبه ،
فانظرها إن شئت ، وقد تقدم بعض كلامه في ذلك .

قوله : والله ما قال المجسم مثل ما قد قاله ذا العالم الرباني ؛ أي :
ما قال المنبوذ عندكم بالتجسيم مثل ما قد قال الأشعري .

قوله : فارموه ويحكم بما ترموا به هذا المجسم الخ ... أي : فشنعوا
بمثل ما شنعتم به على اصحاب الحديث الذين هم عندكم بجسمة .
وقوله : بما ترموا به . الأصل : ترمون به ، ولكن حذف النون للوزن .
وقوله : تنفس الصعداء كالبرحاء : تنفس طويل ، قاله في « القاموس » .
وقوله : الداء العضال . قال في « القاموس » داء عضال ، كغراب ،
يعني غالب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وانظر الى حرب وإجماع حكى لله درك من فتى كرمان

حرب : هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرمانى ، صاحب الامام
أحمد ، صاحب المسائل المعروفة التي نقلها عن أحمد ، وإسحاق ، وغيرهما ،
وذكر معها من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكره ، وهو
كتاب كبير ، صنفه على طريقة « الموطأ » ونحوه من المصنفات . قال في
آخره في « الجامع » : باب : القول في المذهب ، هذا مذهب أئمة العلم ،
وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، وأدركت
من أدركت من علماء أهل العراق ، والحجاز ، والشام ، وغيرهم عليها ،

(١) في الاصل : بأحسن التقرير .

فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد ، واسحق بن ابراهيم بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الكلام في الايمان والقدور ، والوعيد ، والإمامة ، وما أخبر به الرسول من أشراف الساعة ، وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك .. الى أن قال : وهو سبحانه بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، والله عرش ، والعرش حمله يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بجدده ، والله على عرشه عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا اله غيره ، والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويعفو ، ويفقر ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليله إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وكما شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ... الى أن قال : ولم يزل الله متكلماً ، عالماً ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وانظر الى قول ابن وهب أوحد العلماء مثل الشمس في الميزان ابن وهب : هو الامام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري صاحب الامام مالك بن أنس ، ولم أقف على كلامه فأحكيه .

وانظر الى ما قال عبد الله في تلك الرسالة مفصلاً بيان
من أنه سبحانه وبحمده بالذات فوق العرش والا كوان

قال الامام أبو محمد ابن أبي زيد المغربي القيرواني ، شيخ المالكية في وقته في أول رسالته المشهورة في مذهب الامام مالك : وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ، وأنه في كل مكان بعلمه . وذكر ابن أبي زيد أيضاً في كتاب « الفرد » في السنة تقرير العلو ، واستواء الرب على العرش بذاته ، وقرره أتم تقرير . وقال في « مختصر المدونة » : وإنه تعالى فوق عرشه بذاته ، فوق سمواته دون أرضه .

وانظر الى ما قاله الكرخي في شرح لتصنيف امرئ الرباني
وانظر الى الاصل الذي هو شرحه فهما الهدى للملدد حيران
لم أقف على شرح الكرخي ، ولا أصله فأسوقه .

وانظر الى تفسير عبد ما الذي فيه من الآثار في ذا الشأن
وانظر الى تفسير ذاك الفاضل الثبت الرضى المتضلع الرباني
ذاك الامام ابن الامام وشيخه وأبوه سفيان فرازيان^(١)

يريد التفسير المشهور تأليف الامام الحافظ الثبت أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم ، محمد بن ادريس الرازي رحمهما الله تعالى ؛ وتفسيره المذكور في أربع مجلدات ، والبيت الثاني فيه قلق ، ولم يظهر المراد منه قوله : وشيخه وأبوه سفيان ، أما أبوه فهو الحافظ أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي الحنظلي . وأما قوله : وأبوه سفيان فلا نعلم ما المراد به . وفي بعض النسخ ، فانظر ذان ، وفي بعضها فرازيان .

وانظر الى النسائي في تفسيره هو عندنا سفر جليل معان

(١) في الاصل : فانظر ذان .

النسائي : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ،
صاحب « السنن »

واقراً كتاب العرش للعبيسي وهو محمد المولود من عثمان

قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبيسي ،
محدث الكوفة في وقته ، قال في كتاب « العرش » : وذكروا أن الجهمية
يقولون : ليس بين الله وبين خلقه حجاب ، وأنكروا العرش ، وأن
يكون الله فوقه ، وقالوا : إنه في كل مكان ، ففسرت العلماء (وهو
معكم) الحديد : ٤ يعني علمه ، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق
العرش فاستوى عليه ، فهو فوق العرش ، متخلصاً من خلقه ، بئناً منهم
انتهى كلامه .

واقراً لمسند عمه ومصنف أترهما نجمين بل شمسان

واقراً كتاب الاستقامة للرضي ذاك ابن أصرم حافظ رباني

واقراً كتاب الحافظ الثقة الرضي في السنة العليا فتي الشيباني

ذاك ابن أحمد أوحداً الحافظ قد شهدت له الحفاظ بالاتقان

هو الامام الحافظ الثقة عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمهما
الله تعالى ، وكتابه المشهور في « السنة » نحو مجاهد

واقراً كتاب الاثرم العدل الرضي في السنة الأولى امام زمان

هو ابو بكر أحمد بن محمد بن هانيء ابو بكر الأثرم .

وكذا الامام ابن الامام المرتضى حقاً اي داود ذي العرفان

تصنيفه نثراً ونظماً واضحاً في السنة المثلثي هما نيجان
قال الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» : أخبرنا أحمد بن عبد الحميد ،
أنبأنا أبو محمد بن قدامة سنة ثمان مائة وثمانية ، أخبرتنا فاطمة بنت علي ،
أنبأنا علي بن بيان ، أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري أنبأنا أبو حفص ابن شاهين .
قال : شيخنا أبو بكر عبد الله بن سليمان هذه القصيدة وجعلها حنة .

تمسك بجبل الله واتبع الهدى	ولا تك بدعيًا لعلك تفلح
ودن بكتاب الله والسنن التي	أتت عن رسول الله تنجو وتربح
وقل غير مخلوق كلام مليكنا	بذلك دان الاتقياء وأفصحوا
ولا تقل القرآن خلق قراءة	فان كلام الله باللفظ يوضح
وقل يتجلى الله للخلق جهرة	كالبدر لا يخفى وربك أوضح
وليس بمولود وليس بوالد	وليس له شبه تعالى المسيح
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا	بمصدق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمد	فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح
وقل ينزل الجبار في كل ليلة	بلا كيف جل الواحد المتمدح
الى طبق الدنيا يمن بفضله	فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول ألا مستغفر يلق غافراً	ومستمح خيراً ورزقاً فيمنح
يدري ذاك قوم لا يرد حديثهم	ألا خاب قوم كذبوهم وقبّحوا

وقل إن خير الناس بعد محمد
 ورابعهم خير البرية بعدهم
 وإنهم والرهب لا ريب فيهم
 سعيد وسعد وابن عوف وطلحة
 وقل خير قول في الصحابة كلهم
 فقد نطق الوحي المبين بفضلهم
 وبالقدر المقدور أيقن فانه
 ولا تنكرون جهلاً تكبراً أو منكراً
 وقل يخرج الله العظيم بفضلته
 على النهر في الفردوس^(١) تحي بمائه
 وإن رسول الله للخلق شافع
 ولا تكفون أهل الصلاة وإن عصوا
 ولا تعتقد رأي الخوارج إنه
 ولا تك مرجياً لعبوباً بدينه
 وقل إنما الإيمان قول ونية
 وينقص طوراً بالمعاصي وتارة

وزيراه قدما ثم عثمان الأراجيح
 علي حليف الخير بالخير ممنح
 على نجب الفردوس بالنور تسرح
 وعامر فهر والوزير الممدوح
 ولا تك طعناً تعيب وتجرح
 وفي الفتح آي في الصحابة تمدح
 دعامة عقد الدين والدين أفيح
 ولا الخوض والميزان إنك تنصح
 من النار أجساداً من الفحم تطرح
 كحبة حمل السيل إذ جاء يطفح
 وقل في عذاب القبر حق موضح
 وكلهم يعصي وذو العرش يصفح
 مقال لمن يرواه يزدي ويفضح
 ألا انما المرجي بالدين يمزح
 وفعل على قول النبي مصرح
 بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

(١) في الأصل : في الفردوس.

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أذكرى وأشرح
ولاتك من قوم تلهوا^(١) بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقذخ
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خير تبئت وتصبح

هذه القصيدة متواترة عن ناظمها ، رواها الآجري ، قلت : وقد شرحها
أيضاً أبو علي ابن البنا الحنبلي ، وصنف لها شرحاً ، وأبو عبد الله ابن بطّة في
« الابانة » قال ابن أبي داود ، هذا قول أبي ، وقول شيوخنا ، وقول
العلماء ممن لم نرهم ، كما بلغنا عنهم ، فمن قال غير ذلك فقد كذب . كان أبو
بكر من الحفاظ المبرزين ، ما هو بدون أبيه ، صنف التصانيف ، انتهت
إليه رئاسة الحنابلة ببغداد توفي سنة ٣١٦ . انتهى كلام الذهبي .

واقرا كتاب السنة الأولى الذي أرواه مضطلع من الإيمان
ذاك النيل ابن النيل كتابه أيضاً نيل واضح البرهان

قال الحافظ الامام قاضي أصبهان ، وصاحب التصانيف ، أبو بكر
أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني : جميع ما في كتابنا كتاب « السنة
الكبير » الذي فيه الأبواب من الاخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم ، فنحن
نؤمن بها لصحتها ، وعدالة ناقلها ، ويجب التسليم لها على ظاهرها ، وترك
تكلف الكلام في كيفيتها ، فذكر من ذلك النزول الى السماء الدنيا ،
والاستواء على العرش ، سمعت عاتكة بنت أبي بكر هذا الكلام من أبيها ،
وكانت فقيهة عالمة ، وكان أبوها شيخ الظاهرية بأصبهان ، كما أن شيخهم
بالعراق داود بن علي . روى عن أصحاب شعبة ، وحامد بن سلمة ، وقع
لنا جملة من تصانيفه ، ومات سنة سبع وثمانين ومائتين (٢٨٧) ، لم يلحق

(١) اي جعلوا دينهم لهواً.

جده أبا عاصم النبيل ، ولحق جده لأمه موسى بن اسماعيل التبوذكي .
وانظر الى قول ابن أسباط الرضى وانظر الى قول الرضى سفيان
أي سفيان بن عيينة . قال أحمد بن ابراهيم الدورقي : حدثني أحمد بن
نصر قال : سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة ، فجعلت ألمح
عليه في المسألة فقال : دعني أتنفس ، فقلت : كيف حديث عبد الله عن
النبي ﷺ « ان الله يحمل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع »^(١)
وحديث « ان قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن »^(٢) وحديث
« ان الله يعجب أو يضحك من يذكره في الاسواق » فقال سفيان : هي
كما جاءت ، نقر بها ، ونحدث بها بلا كيف .

وانظر الى قول ابن زيد ذاك حماد وحماد الامام الثاني
حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهمي أبو اسمعيل البصري مولى
آل جرير بن حازم ، وكان جده درهم من سبي سجستان . روى عن أنس
ابن سيرين ، وثابت البناني ، وحמיד الطويل ، وأبي حازم مسلمة بن دينار ،
وعمر بن دينار ، وأبي جرة نصر بن عمران الضبعي ، وهشام بن عروة ،
ويحيى بن سعيد الانصاري ، وهؤلاء كلهم تابعيون في جماعة آخرين . وعنه
الاسود بن عامر شاذان ، وسعيد بن منصور ، وسفيان الثوري ، وهو
أكبر منه ، وسفيان بن عيينة ، وهو من أقرانه ، وعبد الله بن المبارك ،

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ
« ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن » . ورواه أحمد في « مسنده » أيضاً .

وعبد الله بن وهب ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعلي بن المديني ، وو كيع
والهيثم بن سهل التستري ، وهو آخر من ورى عنه . قال عبد الرحمن بن
مهدي : أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري في الكوفة ، ومالك
بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماة بن زيد بالبصرة . وقال : لم أر
أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد .
وقال مرة : مارأيت بالبصرة أفقه منه . وقال أحمد بن حنبل : حماد بن
زيد أحب إلينا من عبد الوارث ، حماد بن زيد من أئمة المسلمين من اهل
الدين والاسلام ، وهو أحب إلي من حماد بن سلمة . وقال أحمد بن
سعيد الدارمي : سمعت أبا عاصم يقول : مات حماد بن زيد يوم مات ،
ولا أعلم له في الاسلام نظيراً فيما أظنه . قال : وسمعت وكان عبد الله بن
المبارك ينشد

إئت حماد بن زيد	ايها الطالب علماً
ثم قيده بقييد	فخذ العلم بحلم
وكعمرو بن عبيد	لا كثور وكجهم

مات سنة تسع وستين ومائة^(١) ، قاله جماعة ، منهم عارم ، والفلاس .
زاد عارم : يوم الجمعة لعشر ليال خلون من رمضان . روى له الأئمة الستة .
قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي الحافظ في كتاب «الرد على الجهمية»
ثنا أبي ، ثنا سليمان بن حرب ، سمعت حماد بن زيد يقول : إنفايدورون
على أن يقولوا : ليس في السماء اله ، يعنى الجهمية .
قوله : وحماد الامام الثاني ، وهو حماد بن سلمة بن دينار الامام العالم
أبو سلمة البصري ، عن أبي عمران الجوني ، وثابت ، وابن مليك ،

(١) في « تهذيب التهذيب » مات سنة (١٧٩) .

وعبد الله بن كثير ، وخلق . وعنه مالك ، وشعبة ، وسفيان ، وابن مهدي ،
وعارم ، وعفان ، وأمم . وكان ثقة ، له أوهام . قال أحمد : هو أعلم
الناس بحديث خاله حميد الطويل ، وأثبتهم فيه . وقال ابن معين : هو أعلم
الناس بثابت . وقال آخر : إذا رأيت الرجل يقع في حماد فاتهم ، على
الاسلام . قال علي بن المديني : كان عند يحيى بن الضريبر عن حماد عشرة
آلاف حديث . وقال عمرو بن سلمة : كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف
حديث . وقال ابن المبارك : ما رأيت أحداً كان أشبه بمالك الأول من
حماد بن زيد . وروى الكوسج عن ابن معين : ثقة . وقال آخر : كان من
الابدال ، وعلامة الابدال أن لا يولد لهم ، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له
قال أبو عمرو الجرمي : ما رأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد
ابن سلمة . وقال عفان : رأيت من هو أعبد من حماد ، لكن ما رأيت
أشد مواظبة على الخير ، وقراءة القرآن ، والعمل لله منه ، ولو قلت : إنني
ما رأيت ضاحكاً قط صدقت ، كان مشغولاً بنفسه ، ! ما يقرأ ، أو يسبح ،
أو يحدث ، أو يصلي . وقال ابن مهدي : لو قيل لحامد : إنك تموت غداً
ما قدر أن يزيد في عمله شيئاً . وقال يونس المؤدب : مات حماد في
المسجد ، وهو يصلي . وقال ابن حبان : لم ينصف من جانب حديث حماد ،
واحتمى بأبي بكر ابن عياش ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، وكان
خزائماً ، من العباد المجابي الدعوة . وقال وهيب : كان حماد بن سلمة سيدنا
وأعلمنا . وقال عفان : اختلف أصحابنا في سعيد بن أبي عروبة ، وحماد بن
سلمة ، فصرنا إلى خالد بن الحارث ، فسألناه فقال : حماد أحسنها حديثاً ،
وأثبتهما لزوماً للسنة ، فرجعنا إلى يحيى القطان فأخبرناه فقال : أقال لكم
وأحفظهما ؟ قلنا : لا . وقال أحمد : ويحيى ثقة . وقال ابن المديني : من

سمعتوه يتكلم في حماد فاتهموه . وقال رجل لعفان : أحدثك عن حماد
يقال : من حماد وملك ؟ قال : ابن سلمة . قال : ألا تقول : أمير المؤمنين ؟
مات حماد رحمه الله تعالى سنة ١٦٧ سبع وستين ومائة^(١) . انتهى . ملخصاً
من « الميزان » للذهبي رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى عثمان ذاك الدارمي الرباني
في نقضه والرد يالها كتباً باسنة وهما لنا علامان
هدمت قواعدهم فرقة جهمية خرت^(٢) سقوفهم على الحيطان

أي : وانظر الى ما قاله الامام العلامة عثمان بن سعيد الدارمي في
كتابه المسمى : « رد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على
الله في التوحيد » ، وكتاب « الرد على الجهمية » فانها كتابان حافظان
بنقض شبهات الجهمية ، وقمع أباطيلهم ، وقطع أباطيلهم ، فرحمه الله
من إمام .

وانظر الى ما في صحيح محمد ذاك البخاري العظيم الشأن
من رده ما قاله الجهمي بالنقل الصحيح الواضح البرهان
وانظر الى تلك التراجم التي في ضمنها ان كنت ذاعرفان
وانظر الى ما قاله الطبري في الشرح الذي هو عندكم سفران
أعني الفقيه الشافعي اللا لكائي المسدد ناصر الايمان

أي : وانظر الى ما قاله أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري
في كتاب « شرح اعتقاد أهل السنة » وهو مجلد ضخم . قال : الامام

(١) في الاصل : ١٦٩ ، والصحيح من « الميزان » للذهبي .

(٢) في الاصل : فخرت .

الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الشافعي مصنف كتاب « شرح اعتقاد أهل السنة » سياق ما روي في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ه وإن الله على عرشه . قال الله عز وجل (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٥ وقال : (أأنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ٦١ ، ١٨ فدلّت هذه الآيات أنه في السماء ، وعلمه بكل مكان . روي ذلك عن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وإمام سلامة : ومن التابعين : ربيعة ، وسليمان التيمي ، ومقاتل بن حيان ، وبه قال مالك ، والثوري ، وأحمد .

وانظر الى ما قاله علم الهدى السلمي في إيضاحه وبيان

ذاك الذي هو صاحب الترغيب والترهيب ممدوح بكل لسان

قال : الامام الحافظ ابو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي . الطلحي الأصماني مصنف « الترغيب والترهيب » ، وقد سئل عن صفات الرب فقال : مذهب مالك ، والثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وحمام ابن سلامة ، وحمام بن زيد ، وأحمد ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، واسحاق بن راهويه : إن صفات الله التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، من السمع ، والبصر ، والوجه ، واليد ، وسائر أوصافه ، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها . ولا تشبيه ، ولا تأويل . قال ابن عيينة : كل شيء وصف الله به نفسه ، فقرأته تفسيره ، ثم قال : أي : هو على ظاهره لا يجوز صرفه الى المجاز بنوع من التأويل . وقال رحمه الله تعالى في كتاب « الحجة » : قال علماء السنة : إن الله عز وجل على عرشه ، بائن من خلقه . وقالت المعتزلة : وهو بذاته

في كل مكان . قال : وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمه في كل مكان . قال : وزعم هؤلاء أن معني (الرحمن على العرش استوى) طه : ٢٥ أي ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه . قال أهل السنة : استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسه ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف ، كما أخبر عن نفسه . قال : وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الاشارة الى الله بالرووس ، والأصابع الى فوق ، فان ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة ، لا علو الذات ، وعند المسلمين أن الله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ، لأن صفة العلو صفة مدح ، فثبت أن الله تعالى علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر ، والغلبة . وفي منعهم الاشارة الى الله من جهة الفوق ، خلاف (١) لسائر الملل ، لأن المسلمين وقع منهم الاجماع على الاشارة الى الله من جهة الفوق ، في الدعاء ، والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة . وقد أخبر عن فرعون أنه قال : (ياها مان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه كان يثبت لهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع اليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك ، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون ، بل وأضل ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه حكم باليمان الجارية حين قالت : إن الله في السماء ، وحكم الجهمي .

(١) في الاصل : خلافاً .

«يكفر من يقول ذلك . انتهى كلام أبي القاسم رحمه الله تعالى . توفي سنة ٥٣٥ هـ
قال الناظم :

وانظر الى ما قاله في السنة الكبرى سليمان هو الطبراني
صنف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي
«الشامي نزيل أصبهان كتاب « السنة » قال فيه : باب ماجاء في استواء الله
على عرشه ، بائن من خلقه ، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي .
قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا ؟ وحديث عبد الله بن خليفة عن عمر في
« علو الرب على عرشه ، وحديث الأوعال^(١) » وأن العرش على ظهورهن ،
وأن الله فوقه . وقول مجاهد في المقام المحمود توفي رحمه الله سنة ٣٦٠
ستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله شيخ الهدى يدعى بظلمنكبيهم ذو شان
قال الحافظ الامام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي
«الطائفي المالكي في كتاب « الوصول الى معرفة الاصول » وهو مجلدان :
أجمع المسلمون من أهل السنة ، على أن معنى قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم)
الحديد : ٤ ونحو ذلك من القرآن ، أنه علمه ، وان الله تعالى فوق السموات
يذاته ، مستو على عرشه كيف شاء . وقال أهل السنة في قوله (الرحمن
على العرش استوى) طه : د إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة ،
لا على المجاز ، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية : لا يجوز أن يسمى الله عز
وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ، ويسمى بها المخلوق ، فنفوا عن الله الحقائق

(١) رواه الترمذي وقال : « هذا حديث غريب » وأبو داود رقم (٤٧٢٣) وفي سننه
عبد الله بن عميرة ، قال الحافظ الذهبي : فيه جهالة وفيه أيضاً (الوليد بن أبي ثور) قال
الحافظ ابن حجر عنه في « التقریب » ضعيف .

من أسمائه ، وأثبتوها لخلقها ، فإذا سئلوا : ما الذي حملهم على هذا الزيف ؟
 قالوا : الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه ، قلنا : هذا خروج عن اللغة التي
 خطبنا بها ، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يشعبه بالتسمية ،
 وإنما تشبه الأشياء بأنفسها ، أو بهيئات فيها ، كالبياض بالبياض ، والسواد
 بالسواد ، والطويل بالطويل ، والقصير بالقصير ، ولو كانت الأشياء توجب
 اشتباهاً ، لاشتبهت الأشياء كلها ، لعموم اسم الشيء لها ، وعموم تسمية
 الأشياء به ، فنسألهم : أتقولون : إن الله موجود ؟ فإن قالوا : نعم . قيل
 لهم : يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين ، وإن قالوا :
 موجود ، ولا يوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات . قلنا :
 فكذلك هو ، حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم . يعني
 ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات .

كان الطائفي من كبار الحفاظ ، وأئمة القراء بالأندلس ، عاش بعضاً
 وثمانين سنة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

وانظر الى قول الطحاوي الرضى وأجره من تحريف ذي بهتان

قال الامام عالم الديار المصرية في وقته أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة
 الأزدي الطحاوي الحنفي رحمه الله « في العقيدة التي ألفها »^(١) (في) ذكر بيان
 (عقيدة أهل) السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ،
 رضي الله عنهم : نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء
 مثله ، مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، وأن القرآن كلام الله ، منه بدا
 بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ،

(١) وقد قننا قريباً بطبعها مع شرحها طبعة جيدة محققة .

وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ، ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، والرؤية لأهل الجنة حق ، بغير احاطة ، ولا كيفية ، وكل ما في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ، ولا يثبت قدم الاسلام الا على التسليم والاستسلام ، فمن رام ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه ، زل ، ولم يصب التنزيه . . الى ان قال : والعرش والكرسي حق ، كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش ، ومادونه محيط بكل شيء ، وفوقه . انتهى .

وكذلك القاضي أبو بكر هو ابن الباقلاني قائد الفرسان
قد قال في تمهيده ورسائل والشرح ما فيه جلي بيان
في بعضها حقاً على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان
وأتى بتقرير الغلو وأبطل السلام التي زيدت على القرآن
من أوجه شتى وذا في كتبه باد لمن كانت له عينا

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري في كتابه
« التمهيد في أصول الدين » وهو من أشهر كتبه : فان قال قائل : فهل
تقولون : إنه في كل مكان ؟ قيل : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما
أخبر في كتابه . فقال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقال :
(أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك : ١٦ ولو كان في كل
مكان ، لكان في جوف الإنسان ، وفي فمه ، وفي الحشوش ، والمواقع
القذرة التي يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثم قال .

تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤ المراد أنه إله عند أهل السماء ، وإله عند أهل الأرض ، كما يقال : فلان سيد مطاع في المصرين ؛ أي : عند أهلها ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز ، وبالعراق موجودة .

وقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل : ١٢٨ يعني بالحفظ والنصر والتأييد ، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى ، وقوله : (إنني معكما أسمع وأرى) طه : ٤٦ محمول على هذا التأويل .

وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ إنه عالم بهم ، وبما خفي من سرهم ونجواهم ، وهذا لما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلا يجوز أن يقال قياساً على هذا : إن الله بالقيروان ، ومدينة السلام ، ودمشق ، وإنه مع الثور ، والحمار ، وإنه مع الفساق ، ومع المصعدين إلى حلوان ، قياساً على قوله : (إن الله مع الذين اتقوا) النحل : ١٢٨ فوجب التأويل على ما وصفنا ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلائه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً .
وقوله : (ثم استوي) : يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فخطأ ما قالوه . وقال في كتاب « الذب عن أبي الحسن الأشعري » كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله ، إذا صح من إثبات اليمين ، والوجه ، والعينين . ونقول : إنه يأتي يوم القيامة في ظل من الغمام ، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وإنه مستو على عرشه ... إلى أن

قال : وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة ، أن هذه الصفات تمر كما جاءت ،
 بغير تكيف ، ولا تحديد ، ولا تجنيس ، ولا تصوير ، كما روي عن الزهري
 وعن مالك في الاستواء ، فمن تجاوز هذا فقد تعدى ، وابتدع ، وضل .
 قال الحافظ الذهبي : فهذا نفس هذا الامام ، وأين مثله في تجرعه ، وذكائه
 وبصره بالليل والنحل ، فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف ،
 ولا يعرفون الا السلب ، ونفي الصفات وردها ، صم بكم غنم عجم ،
 يدعون الى العقل ، ولا يكونون على النقل ، فانا لله وانا اليه راجعون .
 مات القاضي أبو بكر رحمه الله في سنة ثلاث وأربعمائة وهو في عشر السبعين ،
 وقد سارت بمصنفاته الركبان

وانظر الى قول ابن كلاب وما يقضي به لمعطل الرحمن
 أخرج من النقل الصحيح وعقله من قال قول الزور والبهتان
 ليس الإله بداخل في خلقه أو خارج من جملة الاكوان
 قد تقدم نقل كلام ابن كلاب بما يغني عن الاعادة .

وانظر الى ما قاله الطبري في التفسير والتهذيب قول معان
 وانظر الى ما قاله في سورة الأعراف مع طه ومع سبحان
 أي وانظر الى ما قاله الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في
 « تفسيره » وفي « تهذيب الآثار » قال الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أبو
 الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، أنبأ زين الأمانة الحسن بن محمد ، أنبأ
 أبو القاسم الأسدي ، أنبأنا أبو القاسم ابن أبي العلاء ، أنبأ عبد الرحمن ابن

أبي نصر ، أنبأ أبو سعيد الدينوري مستملي محمد بن جرير ، قال : قرى
 على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأنا أسمع في عقيدته ، قال : وحسب
 امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز ذلك فقد
 خاب وخسر. انتهى. «تفسير ابن جرير» مشحون بأقوال السلف على الإثبات ،
 نقل في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ عن الربيع بن
 أنس (استوى) : بمعنى ارتفع ، ونقل في تفسير (ثم استوى على العرش)
 الأعراف : ٥٤ في المواضع كلها ؛ أي : علا وارتفع . وقد روى قول
 مجاهد ، ثم قال : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله
 فوق العرش ، ولا من ينكره من الجهمية ونحوهم . وقال في كتاب «التبصير
 في معالم الدين» : القول فيما أدرك علمه من الصفات خيراً ، وذلك نحو إخباره
 عز وجل أنه سميع بصير ، وأن له يدين بقوله : (بل يدها مبسوطتان)
 المائدة : ٦٤ وأن له وجهاً بقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن : ٢٧
 وان له قدماً بقول النبي ﷺ « حتى يضع الرب فيها قدمه »^(١) وأنه يضحك
 بقوله : « لقي الله وهو يضحك إليه »^(٢) وأنه يهبط الى سماء الدنيا ، لخبر

-
- (١) رواه البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فتقول : قط قط » ورواه
 أحمد ومسلم عن أنس أيضاً بلفظ « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى
 حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فيزوي بعضها الى بعض وتقول : قط قط » .
- (٢) روى البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال : « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة .
 يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » .

« رسول الله ﷺ بذلك »^(١) وإن له أصبعاً بقول رسوله : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن »^(٢) فإن هذه المعاني التي وصفت ، ونظائرهما بما وصف الله به نفسه ورسوله ، مالا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية ، لانكفر بالجهل بها أحداً الا بعد انتهائها اليه . أخرج هذا الكلام لابن جرير القاضي أبو يعلى في كتاب « إبطال التأويل » له . وقال في قوله عز وجل : (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ يقول : وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا . توفي ابن جرير رحمه الله سنة ٣١٠ عشر وثلاثمائة .

وانظر الى ما قاله البغوي في تفسيره والشرح بالاحسان
في سورة الأعراف عند الاستوا فيها وفي الأولى من القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره
عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٤٤ قال الكلبي

(١) أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيبه ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفري فأغفر له » .

(٢) رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح ، وأقره الذهبي . وقال الحافظ العراقي : وسنده جيد . ورواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه . حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك » .

«ومقاتل : استقر . وقال ابو عبيدة : سعد . وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة ، فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، يجب الايمان به . وقال في قوله (ثم استوى إلى السماء) البقرة : ٢٩ . قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع إلى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة : ٢١٠ الأولى في هذه الآية وماشا كلها ، أن يؤمن الانسان بظاهاها ، وبكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدث ، على ذلك مضت السلف ؛ وعلماء السنة . وقال في قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ ؛ أي : من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم .

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعية ، وهو الحسين بن مسعود ابن محمد أبو محمد البغوي صاحب «التفسير» و «شرح السنة» و «التهذيب» في الفقه و «الجمع بين الصحيحين» و «المصابيح» في الصحاح والحسان ، وغير ذلك . تفقه على القاضي حسين ، وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ، ورعاً ، زاهداً ، عابداً صالحاً . توفي في شوال سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسةائة . وقيل : سنة عشر .

وانظر الى ما قاله ذو سنة وقراءة ذاك الامام الداني
قال الحافظ امام القراء أبو عمرو ، عثمان بن سعيد^(١) الداني صاحب «التيسير»
في أرجوزته التي في عقود الديانة .

كلم موسى عبده تكليماً ولم يزل مدبراً حكيماً
كلامه وقوله قديماً وهو فوق عرشه عظيم

(١) في الاصل : سعد ، وهو خطأ .

والقول في كتابه المفضل بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق ليس بمخلوق ولا بخالق

توفي الداني رحمه الله في شوال سنة ٤٤٤ أربع وأربعين وأربعمائة .
ب « دانية » من الاندلس ، ومشى السلطان أمام نعشه .

وكذلك سنة الاصبهاني أبي الشيخ الرضى المستل من حيان

قال محدث أصبهان - مع الطبراني - أبو محمد ابن حيان رحمه الله في كتاب
« العظمة » له : ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه ، وعظم خلقهما
وعلو الرب فوق عرشه ، ثم ساق جملة من الاحاديث في ذلك . أبو محمد عبد الله
بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، صاحب المصنفات السائرة .
ويعرف بأبي الشيخ . ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع في سنة أربع
وثمانين وهلم جرا ، وكتب العالي والنازل ، ولقي الكبار ، وسمع من جده .
لأمه الزاهد محمود بن الفرج ، وأبراهيم بن سعدان ، ومحمد بن عبد الله بن
الحسن بن حفص الهمداني ، رئيس أصبهان ، وأبي بكر ابن أبي عاصم .
وأبي يعلى الموصلي ، وأبي عروبة الحراي ، وكان مع سعة علمه وغزارة
حفظه ، صالحاً خيراً ، قاتلاً لله ، صدوقاً ، حدث عنه أبو بكر ، أحمد بن
عبد الرحمن الشيرازي ، وأبو بكر ابن مردويه ، وأبو سعيد الماليني ،
وأبو نعيم ، والفضل بن محمد القاساني ، وأبو طاهر بن عبد الرحيم الكاتب ،
وخلق كثير . قال ابن مردويه : ثقة مأمون ، صنف « التفسير » ، والكتب
الكثيرة في الأحكام ، وغير ذلك . وقال أبو بكر الخطيب : كان حافظاً ،
ثبتاً ، متقناً . وروي عن بعض العلماء قال : ما دخلت على الطبراني إلا
وهو يمزح أو يضحك ، وما دخلت على أبي الشيخ إلا وهو يصلي . قال أبو نعيم :

كان أحد الاعلام حنف «الأحكام» و«التفسير» ، وكان يفيد عن الشيوخ ، ويصنف لهم ستين سنة ، وكان ثقة . قال الذهبي : وله كتاب « السنة » وكتاب « فضائل الأعمال » و « السنة الكبير » وكان إماماً في الحديث ، رفيع الاسناد . توفي سنة ٣٦٩ تسع وستين وثلاثمائة وهو في عشر المائة .

وانظر ما قاله ابن سريج ذلك السبحر الخضم الشافعي الثاني

سريج : بضم السين وفتح الراء وبعدها ياء ثم جيم ، وهو أبو العباس ، أحمد بن عمر بن سريج ، فقيه العراق . قال أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني : سألت أيدك الله بيان ماصح لدي من مذهب السلف ، وصاحلي الخلف في الصفات ، فاستخرت الله تعالى ، وأجبت بجواب الفقيه أحمد بن عمر بن سريج رحمه الله ، وقد سئل عن هذا ، ذكره أبو سعيد عبد الواحد بن محمد الفقيه ، قال : سمعت بعض شيوخننا يقول : سئل ابن سريج رحمه الله عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الالباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ، وقد صح عند جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا هذا ، أن جميع الآي ، والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ ، يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منه كما ورد ، وأن السؤال عن معانيها بدعة ، والجواب كفر وزندقة ، مثل قوله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (وجاء ربك والملك صفاءً) الفجر : ٢٢ ونظائرهما بما نطق به القرآن ، كالفوقية ، والنفس ، واليدنين ، والسمع ، والبصر ، وصعود الكلام اليه ، والضحك ، والتعجب ، والنزول .. الى أن قال : اعتقادنا فيه وفي

الآي المتشابه في القرآن ، أن نقبلها ، ولا نردها ، ولانتأولها بتأويل
المخالفين ، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نتوهم عن صفاته بلفظة غير
العربية ، ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها .

كان ابن سريج اليه المنتهى في معرفة المذهب ؛ بحيث أنه كان (يفضل) على جميع
أصحاب الشافعي حتى على المزني . قال الامام أبو اسحاق صاحب « التنبيه »
سمعت أبا الحسن الشيرازي يقول : إن فهرست كتب أبي العباس تشمل
على أربع مائة مصنف ، وكان العلامة أبو حامد الاسفراييني يقول : نحن نجري
مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقائق . توفي سنة ٣٠٦ ست وثلاثمائة
رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى أعني أبا الخير الرضى النعمان
وكتابه في الفقه وهو بيانه يبيدي مكانته من الايمان
قال الناظم في « الجيوش الاسلامية »^(١) له كتاب لطيف في السنة
على مذهب أهل الحديث ، صرح فيه في مسألة الفوقية ، والعلو ، والاستواء
حقيقة ، وتكلم الله عز وجل بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة ،
وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله سبحانه حقيقة ، وصرح فيه بآيات
الصفات الجبرية ، واحتج لذلك ونصره ، وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة .

وانظر الى السنن التي قد صنف العلماء بالآثار والقرآن
زادت على المائتين منها مفرد أوفى من الخمسين في الحسبان

(١) هو كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية في غزو المظلة والجهمية » للناظم

ابن القيم رحمه الله تعالى .

منها لأحمد عدة موجودة فينا رسائله الى الاخوان
واللائي في ضمن التصانيف التي شهرت فلم تحتج الى حساب
فكثيرة جداً فمن يك راغباً فيها يجد فيها هدى الحيوان
أصحابها هم حافظو الاسلام لا أصحاب جهم حافظو الكفران
وهم النجوم لكل عبد سائر يبغى الإله وجنة الحيوان
وسواهم والله قطاع الطريق أئمة تدعو الى النيران
ما في الذين حكيت عنهم آنفاً من حنبي واحد بضمان
بل كلهم والله شيعة أحمد فأصوله وأصولهم سياط
أقول : في كلامه نظر ، فان عبد الله ابن أبي داود ، والأثرم ،
والخلال ، وعبد الله ابن الامام أحمد ، وحرب الكرمان ، كلهم معدودون
من الحنابلة ، والأصحاب يذكرونهم في «طبقات الحنابلة» وهو رحمه الله قد حكى
كلام المذكورين . وهؤلاء وان لم يكونوا متبعين للامام أحمد على سبيل
التقليد الصرف ، فهم يعدون في الحنابلة ، والله أعلم .
قوله :

منها لأحمد عدة موجودة فينا رسائله الى الاخوان
منها رسالته الى مسدد بن مسرهد وغيرها ، وهي مذكورة في « مناقب
الامام أحمد » لابن الجوزي .
وبذاك في كتب لهم قد صرحوا وأخو العماية ماله عينان

أَنظَمَهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً	مِثْلَ الْحَمِيرِ تَقَادًا بِالْأَرْسَانِ
حَاشَوْهُمْ مِنْ ذَاكِبِلٍ وَاللَّهُ هُمْ	أَهْلُ الْعُقُولِ وَصَحَّةُ الْأَذْهَانِ
فَانْظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لَعْلَوْه	بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبَرْهَانِ
عَقْلَانِ عَقْلٍ بِالنَّصُوصِ مُؤَيَّدِ	وَمُؤَيَّدِ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِ
وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَا وَلَنْ يَتَلَقِيَا	حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ
أَفْتَقِذْفُونَ أَوْلَاءَ بِلِ أَضْعَافِهِمْ	مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانِ
بِالْجَهْلِ وَالتَّشْيِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْبَهْتَانِ	يَا قَوْمَنَا اللَّهُ فِي إِسْلَامِكُمْ
يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعٍ مِنْ خَلَا	مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
لَمْ يَغْنِ عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ	وَقَتْلُهُمْ بِالزُّورِ وَالْبَهْتَانِ
كَلَّا وَلَا التَّدْلِيسَ وَالتَّلْيِيسَ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحُكَمَاءِ وَالسُّلْطَانِ	وَبَدَلَهُمْ عِنْدَ انْكَشَافِ غَطَائِهِمْ
وَبَدَلَهُمْ عِنْدَ انْكَشَافِ حَقَائِقِ الْإِلَهِ	أَيُّهَا الَّذِينَ هُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ
مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهُ غَيْرُ شَكَايَةٍ	فَآتُوا بِعِلْمٍ وَأَنْطَقُوا بِبَيَانِ
مَا يَشْتَكِي إِلَا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ	فَاشْكُوا لِنَعْذِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
ثُمَّ اسْمِعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ	وَعَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

فعدا لكم للحق تليسان	ألبستم معني النصوص وقولنا
يأتي بتحريف على الانسان	من حرف النص الصريح فكيف لا
بأئمة الاسلام ظن الشأن	ياقوم والله العظيم أساتم
قالوا كذاك منزل الفرقان	ما ذنبهم ونيهم قد قال ما
إذ جسمت بل شبهت صنفان	ما الذنب الا للنصوص لديكم
من غير تحريف ولا عدوان	ما ذنب من قد قال ما نطقت به
كلب الروافض أخبث الحيوان	هذا كما قال الخيث لصحبه
لما أفاضوا في حديث الرفض	عند القبر لا تخشون من إنسان
من صاحب القبر الذي تريان	ياقوم أصل بلائكم ومصابكم
يثني عليه ثناء ذي شكران	كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا
عني أبو بكر بلا روغان	ويقول في مرض الوفاة يؤمكم
حتى يري في صورة الغضبان	ويظل يمنع من إمامة غيره
في الناس كان هو الخليل الداني	ويقول لو كنت الخليل لو احد
وله علينا منة الاحسان	لكنه الأخ والرفيق وصاحي
تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان	ويقول للصديق يوم الغار لا
ما حازها إلا فتى عثمان	الله ثالثنا وتلك فضيلة

يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا
لم يدهكم إلا كبير الشأن
ففرقت تلك الروافض كلهم
قد أطبقت أسنانه الشفتان
وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم
فهما رضيعا كفرهم بلبان
ثوبان قد نسجا على المنوال يا
عريان لا تلبس فما ثوبان
والله شر منهما فهما على
أهل الضلالة والشقا علمان

أقول : لم أقف على تعيين هذا الرافضي الذي قال هذا القول ، والمعنى
أن هذا الرافضي قال لأصحابه لما أفاضوا في حديثهم عند القبر المكرم عليه السلام :
يا قوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب هذا القبر ، لأنه كم قدم ابن أبي
قحافة ، يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ويثني عليه ، ويقول في مرض
موته : يؤمكم أبو بكر ، ويمنع من إمامة عمر رضي الله عنه ، ويقول :
« لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ^(١) » ويقول
للصديق يوم الغار « لاتحزن إن الله معنا » ^(٢) وتلك فضيلة ماحازها إلا في
عثمان ، يعني أبا بكر رضي الله عنه ، فانه عبد الله بن عثمان ، فيقول ذلك
الرافضي لأصحابه : ما ذنب النواصب بعد هذا ؛ أي : فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
هو الذي قدم أبا بكر ، فلا لوم على النواصب .

قوله : النواصب . قال في « القاموس » : النواصب ، والناصب وأهل
النصب : المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له ، أي : عادوه .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ،
لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله » .
(٢) رواه البخاري في « صحيحه » في باب : مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو
بكر . وجاء في « الصحيحين » و « مسند أحمد » أن أبا بكر قال : قلت للنبي
صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار : لو أن أحدكم فطر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : « ما ظنك
يا أبا بكر بالتين الله ثالثهما » .

قوله :

وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم فهما رضيعا كفرهم بلبان .
رضع أمه كسمع وضرب رضعاً ، ويحرك ، ورضاعاً ورضاعة ، ويكسران ،
رضعاً ، ككتف : امتص ثديها ، قاله في «القاموس» واللبان بكسر اللام .
قال الأعمى : هو اللآدميين . واللبن لغيرهم ، وقد يكون جمع لبن في هذا
الموضع . قال ابن السكيت : يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال :
بلبان أمه ، إنما اللبن الذي يشرب . انتهى ؛ أي : فعلى زعم الجهمي
لا ذنب للجحشمة ، اذ قالوا بالنصوص الدالة على الاستواء ، والنزول ، والجحي
والصفات ، كالرجه ، واليدين ، والقدرة ، والارادة ، والرضى ، والسيخط
والحب وغيرها مما تقدم .

قوله : أبو قحافة ، قال في «القاموس» : (وسيل) قحاف كغراب : (جراف^(١)) .
وبنو قحافة : بطن من خثعم ، وأبو قحافة : عثمان بن عامر ؛ صحابي ، والد
الصديق رضي الله عنها .

فصل

هذا وسابع عشرها أخباره	سبحانه في محكم القرآن
عن عبده موسى الكليم وحر به	فوعون ذي التكذيب والطغيان
تكذيبه موسى الكليم بقوله	الله ربي في السما نبأني

(١) أي جارف .

ومن المصائب قولهم إن اعتقنا دالفوق من فرعون ذي الكفران
 فاذا اعتقدتم ذا فأشيع له أنتم وذا من أعظم البهتان
 فاسمع اذاً من ذا الذي أولى بفر عون المعطل جاحد الرحمن
 وانظر الى ما جاء في القصص التي تحكي مقال امامهم ببيان
 والله قد جعل الضلالة قدوة بأئمة تدعو الى النيران
 فامام كل معطل في نفيه فرعون مع نمرود مع هامان
 طلب الصعود الى السماء مكذباً موسى ورام الصرح بالبنيان
 بل قال موسى كاذب في زعمه فوق السماء الرب ذو السلطان
 فابنوا لي الصرح الرفيع لعلي أرقى اليه بحيلة الانسان
 وأظن موسى كاذباً في قوله الله فوق العرش ذو سلطان
 وكذاك كذبه بأن إلهه ناداه بالتكليم دون عيان
 هو أنكر التكليم والفوقية العليا كقول الجهم ذي صفوان
 فمن الذي أولى بفرعون اذاً منا ومنكم بعد ذا التبيان
 هذا هو الدليل السابع عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو أنه
 سبحانه أخبر عن عبده موسى الكليم ، وعدوه فرعون ، أن فرعون اللعين
 كذب موسى في قوله : ربي في السماء ، وأنه بنى الصرح ، ورام الصعود الى
 السماء ، وقال : (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب

«السّموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً» (غافر : ٣٦ ، ٣٧ في قوله : إن الله في السماء . وقد قال ابو الحسن الاشعري في « الابانة » لما ذكر بعض الآيات الدالة على علو الله تعالى على عرشه ، قال : وقال تعالى حكاية عن فرعون (ياها مان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الاسباب . أسباب السّموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) (غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السّموات . انتهى كلامه .

قوله : ومن المصائب قولهم : إن اعتقاد الفوق من فرعون ذي الكفران الخ ... أي : من المصائب قول النفاة : إن اعتقاد العلو هو مذهب فرعون ، فاذا اعتقدتموه فأنتم أشياع له ، وعلى مذهبه ، كما قال بعضهم في تفسير قوله : (وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٧ فيما يقول من أن له رباً في السماء ، وما قال موسى له ذلك قط ، ولكنه لما قال له : (وما رب العالمين) الشعراء : ٢٣ قال موسى (رب السّموات والأرض) الشعراء : ٢٤ ظن باعتقاده الباطل أنه لما لم ير في الأرض ، أنه في السماء ، فرام الصعود الى السماء لرؤية إله موسى . انتهى .

ثم بين الناظم وجه أولويتهم بفرعون ، وأن مذهبه جحد العلو ، فانه طلب الصعود الى السماء مكذباً لموسى ، ورام بناء الصرح ، وقال : أظن موسى كاذباً في زعمه : إن الله فوق السماء ، وكذلك كذب فرعون موسى عليه السلام في قوله : إن الله تعالى ناداه وكلمه ، فكان مذهبه إنكار التكليم والفوقية ، كقول جهنم وأتباعه ، فقد تبين الآن من هو أولى بفرعون ، وان المهتلة أولى به في كل حالة ، والله اعلم .

قال الناظم :

ياقوم والله العظيم لقولنا ألف تدل عليه بل ألفان
 عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الـ أولى وذوق حلاوة الايمان
 كل يدل بأنه سبحانه فوق السماء مابين الأكوان
 أترون أنا تاركو ذا كله لجعاجع التعطيل والهذيان
 ياقوم ما أنتم على شيء الى أن ترجعوا للوحي بالاذعان
 وتحكموه في الجليل ودقه تحكيم تسليم مع الرضوان
 قد أقسم الله العظيم بنفسه قسماً يبين حقيقة الايمان
 أن ليس يؤمن من يكون محكماً غير الرسول الواضح البرهان
 بل ليس يؤمن غير من قد حكم الوحيين حسب فذاك ذو ايمان
 هذا وما ذاك المحكم مؤمناً إن كان ذا حرج وضيق بطان
 هذا وليس بمؤمن حتى يسلم للذي يقضي به الوحيات
 ياقوم بالله العظيم نشدتكم وبجريمة الايمان والقرآن
 هل حدثتكم قط أنفسكم بذا فسلوا نفوسكم عن الايمان
 لكن رب العالمين وجنده ورسوله المبعوث بالقرآن
 هم يشهدون بأنكم أعداء من ذا شأنه ابدأ بكل زمان
 ولأي شيء كان أحمد خصمكم أعني ابن حنبل الرضى الشيباني

«ولا شيء كان بعد خصومكم أهل الحديث وعسكر القرآن
 «ولا شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود العالم الخرافي
 أعني أبا العباس ناصر سنة المختار قانع سنة الشيطان
 «والله لم يك ذنبه شيئاً سوى تجريده لحقيقة الايمان
 إذ جرد التوحيد عن شرك كذا تجريده للوحي عن بهتان
 فتجرد المقصود عن قصد له فلذلك لم ينصف الى انسان
 «ما منهم أحد دعا لمقالة غير الحديث ومقتضى الفرقان
 فالتقوم لم يدعوا الى غير الهدى ودعوتهم أنتم لرأي فلان
 شتان بين الدعوتين فحسبكم يا قوم ما بكم من الخذلان
 قالوا لنا لما دعوناهم الى هذا مقالة ذي هوى ملآن
 ذهبت مقادير الشيوخ وحرمة العلماء بل عبرتهم العينان
 وتركتهم أقوالهم هدرأوما أصغت اليها منكم أذنان
 لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم نعد الذي قالوه قدر بنان
 «يا قوم والله العظيم كذبتم وأتيتهم بالزور والبهتان
 ونسبتم العلماء للأمر الذي هم منه أهل براءة وأمان
 «والله ما أوصوكم أن تتركوا قول الرسول لقولهم بلسان

كلا ولا في كتبهم هذا بلا بالعكس أوصوكم بلاكتان
إذ قد أحاط العلم منهم أنهم ليسوا بمعصومين بالبرهان
كلا وما منهم أحاط بكل ما قد قاله المبعوث بالقرآن
فلذا ك أوصوكم بأن لا تجعلوا أقوالهم كالنص في الميزان
لكن زنوها بالنصوص فان توا فقها فتلك صحيحة الأوزان
لكنكم قدمتم أقوالهم أبدأ على النص العظيم الشأن
والله لا لوصية العلماء نفذتم ولا لوصية الرحمن
وركبتم الجهلين ثم تركتم النصين مع ظلم ومع عدوان
قلنا لكم فتعلموا قلتم أما نحن الأئمة فاضلو الأزمان
من أين والعلماء أنتم فاستحوأ أين النجوم من الثرى التحتاني
لم يشبه العلماء الا أنتم أشبهتم العلماء في الأذقان
والله لا علم ولا دين ولا عقل ولا بمروءة الانسان
عاملتم العلماء حين دعوكم للحق بل بالبغي والعدوان
إن أنتم الا الذباب اذا رأى طعماً في المساقط الذبان
واذا رأى فزعاً تطاير قلبه مثل البغاث يساق بالعقبان
واذا دعوناكم الى البرهان كما ن جوابكم جهلاً بلا برهان

نحن المقلدة الألى ألفوا كذا آباءهم في سالف الأزمان
قلنا كيف تكفرون وما لكم علم بتكفير ولا إيمان
إذا جمع العلماء أن مقلداً للناس كالأعمى هما أخوان
والعلم معرفة الهدى بدليله ماذاك والتقليد مستويان
حرنا بكم والله لا أنتم مع العلماء تنقادون للبرهان
كلا ولا متعلمون فمن ترى تدعوه نحسبكم من الثيران
لكنها والله أنفع منكم للارض في حرث وفي دوران
نالت بهم خيراً ونالت منكم الممهود من بغى ومن عدوان
فمن الذي خير وأنفع للورى أنتم أم الثيران بالبرهان؟
شرع الناظم رحمه الله في ذكر الأدلة الدالة على ثبوت علو إجمالاً :
فقال : يا قوم والله العظيم لقولنا الخ . . أي أن الدلائل الدالة على علوه
تعالى على خلقه ، ومباينته لهم ، من المعقول والمنقول والفطرة ، ألف
دليل ، بل ألفا دليل ، وذلك ظاهر بحمد الله لمن تتبعه . ثم شرع في بيان وجوب
تحكيم الرسول ﷺ في الدق والجل ، والتسليم له ، والرضى بحكمه ، كما قال
تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً) النساء : ٦٥ قال الناظم رحمه الله
في تفسير هذه الآية : أقسم سبحانه بأجل مقسم به ، وهو نفسه عز وجل ،
على أنه لا يثبت لهم الايمان ، ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله .

ﷺ في جميع موارد النزاع ، في جميع أبواب الدين ، فان لفظة (ما) من صيغ العموم ، ولم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجاً ، وهو الضيق والحصر من حكمه ، بل يقبلون حكمه بالانشراح ، ويقابلونه بالقبول ، لا يأخذونه عن انماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا مناف للآيمان ، بل لا بد أن يكون أخذه يقبول ورضي وانشراح ، ومتى أراد العبد شاهداً فلينظر في حاله ، ويطلع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلده فيه أسلافه من المسائل الكبار ومادونها ، بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، فسبحان الله ، كم من حزازة في نفوس كثير من النصوص ، وبودهم أن لوترد ، وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم من مواردها ، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم اليه قوله : (ويسألوا تسلياً) النساء : ٦٥ فذكر الفعل مؤكداً له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع والالتقياد لما حكم به طوعاً ورضى وتسلياً ، لا قهراً ومصاراة ، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهاً ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء اليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه . انتهى قوله : ولأي شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود الخ . يعني شيخ الاسلام أبا العباس ابن تيمية رحمه الله ، ثم أقسم أنه لا ذنب له سوى تجريده لحقيقة الآيمان .

قوله : إذ جرد التوحيد عن شرك الخ ؛ أي : أنه رحمه الله جرد التوحيد عن الشرك ، وجرد الوحي عن البهتان والكذب ، وكذلك سائر العلماء الربانيين لم يدعوا إلى اتباع غير الهدى ، وأما أنتم فدعوتكم إلى الآراء

المتناقضة ، والأقوال المتباينة ، وهي أقوال الرجال التي ما أنزل الله بها من سلطان .

قوله : ونسبتم العلماء الأمر الذي الخ . أي : أن العلماء رحمهم الله ، كالأئمة الأربعة وغيرهم ، أوصوكم باتباع الكتاب والسنة ، وترك أقوالهم إذا خالفت كتاب الله وسنة رسوله ، كما قال الشافعي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وروى البيهقي في « السنن » عن الشافعي أنه قال : إذا قلت قولاً وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي ، فما يصح من حديث رسول الله ﷺ أولى ، فلا تقلدوني .

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت . وتواتر عنه أنه قال : إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط . وقال مالك : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ . وقال أبو حنيفة : إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ ، فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة ، فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن التابعين فحن رجال وهم رجال .

وفي « روضة العلماء » سئل أبو حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لكتاب الله . قيل : إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر الرسول الله ﷺ . قيل : إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة .

وقال أبو طالب عن الإمام أحمد . وقيل له : إن قوماً يدعون الحديث

ويذهبون الى رأي سفيان ، فقال : أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته ، يدعونه ويذهبون الى رأي سفيان وغيره . قال الله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ . أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الكفر . قال الله تعالى : (والفتنة أكبر من القتل) البقرة : ٢١٧ . فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتعلمهم أهوائهم الى الرأي . ذكر ذلك شيخ الاسلام .

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكا ، والثوري ، والاوزاعي ، ولكن تعلموا كما تعلمنا .

قوله : اذ أجمع العلماء أن مقلدا الخ . قد نقل هذا الاجماع الخافض أبو عمر بن عبد البر .

قوله : مثل البغاث . قال الفراء : بغاث الطير ، بفتح الباء وضمها وكسرها : شرارها ومالا يصيد منها ، ثم قيل : هو جمع بغاثة ، وهي اسم للذكر والاثني ، مثل نعامة ، ونعام . وقيل : هو فرد ، وجمعه : بغثان ، كغزال ، وغزلان ، قاله في « مختار الصحاح » . والعقبان ، جمع عقاب بضم العين : طائر معروف .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه سبحانه عن موجب النقصان

وعن العيوب وموجب التمثيل والتشبيه جل الله ذو السلطان

ولذلك نزه نفسه سبحانه عن أن يكون له شريك ثان
أو أن يكون له ظهير في الورى سبحانه عن إفك ذي بهتان
أو أن يوالي خلقه سبحانه من حاجة أو ذلة وهوان
أو أن يكون لديه أصلا شافع الا باذن الواحد المتان
وكذلك نزه نفسه عن والد وكذلك عن ولدهما نسيان
وكذلك نزه نفسه عن زوجة وكذلك عن كفء يكون مدان
ولقد أتى التنزيه عما لم يقل كي لا يدور بخاطر الانسان
فانظر الى التنزيه عن طعم ولم ينسب اليه قط من انسان
وكذلك التنزيه عن موت وعن نوم وعن سنة وعن غشيان
وكذلك التنزيه عن نسيانه والرب لم ينسب الى نسيان
وكذلك التنزيه عن ظلم وفي الـ أفعال عن عبث وعن بطلان
وكذلك التنزيه عن تعب وعن عجز ينافي قدرة الرحمن
هذا هو الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو أنه
سبحانه نزه نفسه عن موجب النقصان ، وما يوجب التمثيل والتشبيه ، ونزه
سبحانه نفسه عن الشراكة ، وعن أن يكون له ظهير في الورى ، أو أن
يشفع عنده أحد الا باذنه ، أو ان يوالي خلقه من حاجة أو ذلة ، وكذا
نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد ، والزوجة ، والكفء ، وكذا نزه

نفسه سبحانه عما لم يقل ، أي : نزه نفسه سبحانه عن أشياء لم يقلها أحد فيه تعالى ، كالطعم ، والموت ، والنوم ، والسنة ، والغشيان ، والنسيان ، والظلم والتعب ، والعجز ، فإذا كان سبحانه قد نزه نفسه عما يوجب النقص بما قيل وما لم يقل ، ومعلوم أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم ، قد طبقت شرق البلاد وغربها ، فلا شيء لم ينزه نفسه سبحانه عنها في القرآن؟! وكذا لم ينزه الرسول ربه سبحانه عنها في السنة ، بل دائماً بيدي سبحانه في القرآن إثباتها بأنواع الأدلة ، وكذا رسوله ﷺ ، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة ، كعبادة الأوثان ، أو كقول المثلثة عباد الصليب ، وهم النصارى ، فلا شيء لم يحذر الله تعالى خلقه عنها ، وينزه نفسه عنها كما نزه نفسه عما يوجب النقص أو التشبيه والتمثيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد حكى الرحمن قولاً قاله فنحاص ذو البهتان والكفران
إن الإله هو الفقير ونحن أصحاب الغنى ذو الجدد والامكان
ولذلك أضحي ربنا مستقرضاً أموالنا سبحانه ذي الاحسان
أما قصة فنحاص المذكورة فهي على ما حكى ابن إسحاق في « سيرته »
قال : دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناساً كثيراً كانوا
قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له : فنحاص ، وكان من علمائهم وأجبارهم
ومعه خبر من أجبارهم ، يقال له : أشيع . فقال أبو بكر لفنحاص : ويلك
يا فنحاص ، أسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من
عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص

لأبي بكر: والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه لفقر ، وما نتضرع اليه
 كما يتضرع الينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وما هو بغني ، ولو كان غنياً عنا
 ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان
 غنياً عنا ، ما أعطانا الربا . قال : فغضب أبو بكر ، فضرب وجهه فنحاص
 ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده : لولا العهد الذي بيننا وبينك
 لضربت رأسك أي عدو الله ، فذهب فنحاص الى رسول الله ﷺ ،
 فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بي صاحبك . فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ،
 « ما حملك على ما صنعت ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو
 الله قد قال قولاً عظيماً ، إنه زعم أن الله فقير وهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك
 غضبت بما قال ، وضربت وجهه ، فوجد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك ،
 فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردأ عليه ، وتصديقاً لأبي بكر : (لقد سمع الله قول
 الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول
 ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران : ١٨١ وأنزل الله في أبي بكر وما بلغه
 في ذلك من الغضب : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن
 أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)
 آل عمران : ١٨٦ ثم قال في فنحاص وأجباريهود (وإذاخذ الله ميثاق الذين أوتوا
 الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس
 ما يشترون . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
 تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) آل عمران : ١٧٨ ، ١٨٨ يعني فنحاص
 وأشيع وأشباهما من الاجبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على
 ما زينوا للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا . أي : يقول
 الناس : علماء وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى وحق ، ويحبون أن
 يقول الناس : قد فعلوا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحكى مقالة قائل من قومه ان العزيز ابن من الرحمن

هذا وما القولان قط مقالة منصوره في موضع وزمان

يعني أن الله سبحانه قد حكى قول اليهود: إن عزيز ابن الله، كما قال تعالى: (وقالت اليهود عزيز ابن الله) التوبة: ٣٠ وحكى مقالة فنحاص لعنه الله، وما القولان منصورين، فلو كانت المقالة المذكورة وهي إثبات علو الله تعالى على خلقه باطلا لحكماها الله سبحانه، ونهى عنها، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة كعبادة الاوثان، أو كقالة المثلثة عباد الصليب، ولم تزل المعطلة يبنزون المثبتة بالالقاب القبيحة، ويرمونهم بالعظام والبهت والكذب الفاحش. وقد حكى الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب، في «طبقات الخبابة» في ترجمة شيخ الاسلام، أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري قال: قال ابن طاهر: وسمعت بعض أصحابنا بـ «هراة» يقولون: لما قدم السلطان ألب أرسلان «هراة» في بعض قدماته، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ ابي اسماعيل الأنصاري، وسلموا عليه، وقالوا: قد ورد السلطان ونحن عزيم أن نخرج ونسلم عليه، فأحيينا أن نبداً بالسلام على الشيخ الامام، ثم نخرج (الى) هنا، وقد تواطؤوا على أن يهملوا معهم صنماً صغيراً من صفر وجعلوه في الحراب، تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته، ودخلوا على السلطان واستأثروا من الانصاري، وقالوا: إنه مجسم، وإنه يترك في تحرابه صنماً. يقول: إن الله عز وجل على صورته، وإن يبعث السلطان الآن اليه، يجذ الصنم في قبلة مسجده. فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلاماً ومعه جماعة

ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب ، وأخذوا الصنم من تحت السجادة ، ورجع
الغلام بالصنم ، فوضعه بين يدي السلطان ، فبعث السلطان بفلمان فأحضروا
الانصاري ، فلما دخلوا رأى شيوخ البلد جلوساً ، ورأى ذلك الصنم بين
يدي السلطان مطروحاً ، والسلطان قد اشتد غضبه ، فقال له السلطان :
ما هذا ؟ قال : هذا صنم يعمل من الصفر ، شبه اللعبة ، فقال : لست عن هذا
أسألك . فقال : عما ذا يسأل السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد
هذا ، وإنك تقول : إن الله عز وجل على صورته . فقال الانصاري : سبحانك
هذا بهتان عظيم ، بصوت جهوري وصولة ، فوقع في قلب السلطان أنهم
كذبوا عليه ، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً ، وقال لهم : تصدقوني
القصة أو أفعل بكم وأفعل ، وذكر تهديداً عظيماً . فقالوا : نحن في
يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة ، وأردنا أن نقطع شره عنا .
فأمر بهم ، و وكل بكل واحد منهم ، فلم يرجع إلى منزله ، حتى كتب
بخطه مبلغاً عظيماً من المال ، يؤديه إلى خزانة السلطان ، جناية لما فعلوه ، وسلموا
بأرواحهم ، بعد الهوان العظيم . انتهى . وكذلك شيخ الاسلام ابن تيمية
فلا يخفى ما افتروه عليه ، ورموه به من الإفك ، وجعلوه يقول بالتجسيم
وحاشاه ، وذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة . قال : وكان دخولي
لبعلبك ، عشية النهار ، وخرجت منها بالعدو لفرط اشتياقي إلى دمشق ، وصلت
يوم الخميس ، التاسع من شهر رمضان المعظم ، عام ست وعشرين وسبعائة
إلى مدينة دمشق الشام ، فنزلت فيها بمدرسة المالكية المعروفة بـ (الشرابية) .
... إلى أن قال : وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة ، تقي الدين بن تيمية
كبير الشام ، يتكلم في الفنون... إلى أن قال : فحضرت يوم الجمعة ، وهو
يعظ الناس ، على منبر الجامع ، ويدكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال :

إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، كنز ولي هذا . ونزل درجة من المنبر . فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء.. إلى آخر ما هذا به ابن بطوطة . أقول : وأغوثاه بالله من هذا المكذب . الذي لم يخف الله كاذبه ، ولم يستحي مفتريه ، وفي الحديث : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (١) . ووضح هذا الكذب ، أظهر من أن يحتاج إلى الاطناب ، والله حبيب هذا المفتري الكذاب ، فانه ذكر أنه دخل دمشق في ٩ رمضان سنة ٧٢٦ . وشيخ الاسلام ابن تيمية . اذ ذاك قد حبس في القلعة ، كما ذكر ذلك العلماء الثقات ، كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، والحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات الحنابلة » قال في ترجمة الشيخ من « طبقاته » المذكورة : مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين ، إلى ذي القعدة . سنة ثمان وعشرين ، وزاد ابن عبد الهادي أنه دخلها في سادس شعبان ، فانظر الى هذا المفتري ، يذكر أنه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع . فياليت شعري ، هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق ، والحال أن الشيخ رحمه الله لما دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النهش ، وكذا ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في « تاريخه » . قال : وفي يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان سنة ٧٢٦ . اعتقل الشيخ بقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق . حضر إليه من جهة نائب السلطنة مشد الاوقاف ، وابن الخطير ، أحد الحجاب ، وأخبراه أن مرسوم السلطان حضر

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن ابي معود غيبة بن عمرو الانصاري البصري . رضي الله عنه ، ولفظه بتمامه « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاول إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

بذلك ، وأحضر إليه معها مراكباً ، وأظهر السرور بذلك ، وقال : أنا
كنت منتظراً لذلك ، وفيه خير كثير ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب
القلعة ، وأُخليت له قاعة ، وأُجري إليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وكان
معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم بما يقوم بكفايته . انتهى
كلامه . فانظر كلام تلامذته وغيرهم ، من العارفين بحاله ، أهل الورع
والأمانة والديانة ؛ يتضح لك كذب ، هذا المغربي عامله الله بما يستحق ،
والله أعلم . وكم كذبوا عليه ، وبهتوه وقولوه أشياء هويرى منها ، والأمر
كما قال تلميذه الناظم :

فالبهت عندكم رخيص سعره حشا بلا كيل ولا ميزان
والله در القائل :

إن كان إثبات الصفات لديكم فيما أتى مستوجباً لومي
وأصير تيمياً بذلك عندكم فالمسلمون جميعهم تيمى
وكذا كذبوا على غيره من علماء الإثبات رحمهم الله تعالى وعفا عنهم ..
قال الناظم رحمه الله :

لكن مقالة كونه فوق الورى والعرش وهو مبين الأكوان
قد طبقت شرق البلاد وغربها وغدت مقررة لذى الأذهان
فلأى شيء لم ينزه نفسه سبحانه في محكم القرآن
عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها وظهورها في سائر الأديان

بل دائماً بيدي لنا إثباتها ويعيده بأدلة التبيان
 لا سيما تلك المقالة عندكم مقرونة بعبادة الأوثان
 أو أنها كمقالة لمثلث عبد الصليب المشرك النصراني
 إذ كان جسماً كل موصوف بها ليس الإله منزل الفرقان
 فالعابدون لمن على العرش استوى بالذات ليسوا عابدي الديان
 لكنهم عباد أوثان لدى هذا المعطل جاحد الرحمن
 ولذلك قد جعل المعطل كفرهم هو مقتضى المعقول والبرهان
 هذا رأينا بكتبهم ولم نكذب عليكم فعل ذي البهتان
 ولا شيء لم يحذر خلقه عنها وهذا شأنها بيان
 هذا وليس فسادنا مبين حتى يحال لنا على الأذهان
 ولذلك قد شهدت أفاضلكم لها بظهورها للوهم في الانسان
 وخفاء ما قالوه من نفي على الأذهان بل تحتاج للبرهان
 مضمون هذه الآيات ، أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ، صرح
 به الكتب الإلهية كالطورا والإنجيل ، وكذا الفرقان بيدي إثباتها ،
 ويعيده بجميع أنواع الأدلة ، فلو كان هذا كفراً ، كما زعمت المعطلة ، لنهى
 عنها القرآن ، لأنها عند المعطلة كالشرك ، وعبادة الأوثان . وهذا أظهر من
 الشمس لمن له عينان ^(١) ، ونعوذ بالله من الخذلان . قوله : ولذلك قد شهدت

«أفاضلكم الخ أي أفاضل النفاة قد شهدوا بظهور مقالة الإثبات ، في الكتاب والسنة ، وخفاء ما قالوا من النفي ، كما قال السعد التفتازاني في «شرح المقاصد» فإن قيل : إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة ، فما بال الكتب السماوية ، والأحاديث النبوية ، مشعرة في مواضع لا تحصى بنبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك وتحقيقه ؟! كذا كما كررت الدلالة على وجود الصانع ، ووحدته ، وعلمه ، وقدرته ، وحقيقة المعاد ، وحشر الأجساد في عدة مواضع ، وأكدت غاية التأكيد ، مع أن هذا أيضاً تحقيق بغاية التأكيد والتحقيق ، لما تقرر في فطرة العقلاء مع اختلاف الأديان ، والآراء في التوحيد - إلى العلو عند الدعاء ورفع الأيدي إلى السماء ، ثم أجاب عن ذلك التفتازاني بما يظهر ضعفه من أول وهلة ، وكذا ذكر ذلك غيره .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التعطيل أفسد لازم ببيان
وفساد لازم قوله هو مقتضى
لفساد ذلك القول بالبرهان
فصل المعطل عن ثلاث مسائل
تقضي على التعطيل بالبطلان
ماذا تقول أكان يعرف ربه
هذا الرسول حقيقة العرفان
أم لا وهل كانت نصيحته لنا
كل النصيحة ليس بالخوان

أم لا وهل حاز البلاغة كلها فاللفظ والمعنى له طوعات
 فإذا انتهت هذي الثلاثة فيه كما ملة مبرأة من النقصات
 فلا شيء عاش فينا كاتما للنفي والتعطيل في الأزمان
 بل مفصلاً بالضد منه حقيقة الـ إفصاح موضحة بكل بيان
 ولأي شيء لم يصرح بالذي صرحتم في ربنا الرحمن
 العجزه عن ذاك أم تقصيره في النصح أم لحناء هذا الشأن؟
 حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التعطيل لا المبعوث بالقرآن
 هذا هو الدليل التاسع عشر ، من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وحاصله
 أن الناظم سأل عن ثلاث مسائل ، وكلها مسامة عند المنازعين . وهو أن
 تسأل المعطل : هل تقول : إن الرسول ﷺ يعرف ربه ؟ فبالضرورة
 يقول : نعم ، ثم سله : هل كان في غاية النصح ؟ فلا بد أن يقول : نعم . ثم سله :
 هل حاز البلاغة كلها ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فإذا أقر بهذه الثلاثة ، فقل له :
 فلا شيء عاش منذ أرسله الله تعالى إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه
 وهو يفصح بالإثبات ، ويعيد فيه في كل محضر ومجمع ؟ ولأي شيء كتم
 النفي والتعطيل ، ولأي شيء لم يصرح بما صرحتم به في ربنا تعالى ؟ وهل كان
 عاجزاً عن أن يقول : استولى ، وينزل أمره أو ملك ، ويقول : (من الله)
 موضع ، (أين الله) ، فلازم قولكم عدم معرفة الرسول بربه ، أو عدم النصح ،
 أو عدم البلاغة ، وهذا اللازم من أفسد اللوازم وأبطلها ، فيدل على فساد
 لازمه وبطلانه ، لأن فساد اللازم يدل على فساد المزموم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولأي شيء كان يذكر ضد ذا في كل مجتمع وكل زمان
أترأه أصبح عاجزاً عن قوله استولى وينزل أمره وفلات
ويقول أين الله يعني من بلفظ الأين هل هذا من التبيان
والله ما قال الأئمة كل ما قد قاله من غير ما كتمان
لكن لأن عقول أهل زمانهم ضاقت بحمل دقائق الايمان
وغدت بصائرهم كخفاش أتى ضوء النهار فكف عن طيران
حتى اذا ما الليل جاء ظلامه أبصرته يسعى بكل مكان
وكذا عقولكم لو استشعرتكم ياقوم كالحشرات والفئران
أنست بإحاش الظلام ومالها بمطالع الأنوار قط يدان

الخفاش معروف ، تقدم ، تعريفه . والحشرات . قال في « القاموس »
الموادم ، أو الدواب الصغار ، كالخشرة محركة فيها . انتهى . والفئران جمع
فأر بالهمز ، وهو حيوان معروف ، يعني الناظم رحمه الله تعالى أن هؤلاء
المعطلة ضاقت عقولهم عن حمل دقائق الايمان ، فصاروا كالحشرات والخفاش
التي لا تسمى الا بالليل ، فان هؤلاء المعطلة لم تحمل عقولهم ما في كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ مما وصف الرب تعالى به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ،
فصار ذلك لبصائر المعطلة ، كالنهار لأبصار الخفاش والحشرات ونحوها ،
نعوذ بالله من عمي البصائر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لو كان حقاً ما يقول معطل	لعلوه وصفاته الرحمن
لزمكم شنع ثلاث فارتقوا	أو خلة منهن أو ثنتان
تقديمهم في العلم أو في نصحهم	أو في البيان أذاك ذو إمكان
إن كان ما قد قلتم حقاً فقد	ضل الورى بالوحي والقرآن
إذ فيهما ضد الذي قلتم وما	ضدان في المعقول يجتمعان
بل كان أولى أن يعطل منهما	ويحال في علم وفي عرفان
أما على جهم وجعد أو على النـظام أوزي المذهب اليونان	
وكذاك أتباع لهم فقع الفلا	صم وبكم تابعو العميان
وكذاك أفراخ القرامطة الألى	قد جاهروا بعداوة الرحمن
كالخاكية والألى والأوهم	كأبي سعيد ثم آل سنان
وكذا ابن سينا والنصير نصير أهل الشرك والتكذيب والكفران	
وكذاك أفراخ المجوس وشبههم	والصائين وكل ذي بهتان
إخوان إبليس اللعين وجنده	لا مرحباً بعساكر الشيطان
أفمن حوالة على التنزيل والـوحي المبين ومحكم القرآن	
كمحير أضحت حوالة على	أمثاله أم كيف يستويان؟! :

أم كيف يشعرتائه بمصابه والقلب قد جعلت له قفلان
قفل من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف يفتحان
ومفاتيح الاقفال في يد من له التصريف سبحان العظيم الشأن
فاسأله فتح القفل مجتهداً على الـ أسنان إن الفتح بالاسنان
أي : إن كان حقاً ما تقوله المعطلة لعلو الرب وصفاته ، لزمهم ثلاث
شعاعات .

وقوله . فارتؤوا ؛ أي : اطلبوا رأياً تخلصون به من هذه الشنع ، لأن
الكتاب والسنة ضد لما قالوه ، والضدان لا يجتمعان ، فكان الكتاب والسنة
على هذا سبباً لاضلال الناس ، فكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم ،
ويعالون في العلم والعرفان على جهم ، وجعد ، والنظام ، وحكماء اليونان ،
والقرامطة ونحوهم ، وهذا معنى ما ذكره شيخ الاسلام في مقدمة «الجموية»
قال : فلو كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في
الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب
والسنة ، إما نصاً ، وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على
خير الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم
الحق الذي يجب اعتقاده أن لا ييؤحوا به قط ولا يدلون عليه قط
لأنصاً ، ولا ظاهراً ، حتى يجيء أنباط الفرس ، والروس ، وفروخ اليهود ،
والفلاسفة يبنون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف ، أو كل
فاضل ، أن يعتقدوها ، لكن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون ، هو
الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقوم ، وأن

يدفعوا بقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ،
لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ،
بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة
الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معاشر العباد لا تطلبون معرفة الله ،
وما يستحقه من الصفات نفيّاً وإثباتاً ، لا من الكتاب ، ولا من السنة ،
ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقاً
له من الصفات ، فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة ، أو لم
يكن ، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم ، فلا تصفوه به ، ثم هم هنا
فريقان ، أكثرهم يقولون : ما لم تثبت عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول :
بل توقفوا فيه ، وما نفاء قياس عقولكم الذي اتم فيه مختلفون ومضطربون -
اختلافاً أكثر من جميع اختلاف (الناس) على وجه الارض ، فانفوه ، واليه عند
التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تغبّدكم به ، وما كان مذكوراً في
الكتاب والسنة بما يخالف مقاييس عقولكم ، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم
على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أني أمتحتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ،
لكن ليجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب
الكلام ، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله ، مع طي دلالاته على
شيء من الصفات ، وهذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء المتكلمين ، وهذا
كلام رأيته قد صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد
عنه ، ومضمونه أن كتاب الله لا يمتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول
معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع
لا يردون ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ، بل الى مثل ما كانوا عليه في
الجاهلية ، أو الى مثل من يتحاكم اليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كالبراهمة ،

والفلاسفة ، وهم المشركون ، والمجوس ، وبعض الصابئين . وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا يرتفع الخلاف به ، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم .

وقوله : فقح الفلا : قال في « القاموس » الفقح ويكسر : البيضاء الرخوة من الكمأة ، جمع ، كعنبه . ويقال للدليل : هو أذل من فقح بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

قوله : أفراخ . قال في « القاموس » : الفرخ : ولد الطائر ، وكل صغير من الحيوان والنبات ، جمع أفرخ ، وأفراخ ، وفروخ ، وأفرخة ، وفرخان ، والرجل الدليل المطرود . انتهى .

قوله : والحاكمة . هم شيعة الحاكم العبيدي المعتقدون فيه الالهية ، وهو أبو علي منصور بن نزار العزيز بالله ، ابن معد المعز لدين الله العبيدي ، لأتباعه فيه من الاعتقادات الحبيثة ، ما تصم عنه الآذان ، ويقضى على معتقده بالزور والبهتان . وقد ذكر طرفاً من ذلك الحافظ الذهبي ، والحافظ ابن كثير في « تاريخها » وغيرهما ، والامام أبو شامة في كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » . وأبو سعيد هو الحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة . قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الكبير المسمى بـ « الكامل » : قال : في هذه السنة ، يعني سنة ثمان وسبعين ومائتين ، تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة . ثم بسط القول في ابتداء أمرهم . وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتشف ، وكان يسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، كان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت رضي الله عنهم ، وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرت له أحوال ، أوجبت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر

ذكرهم بسواد الكوفة . ثم قال ابن الأثير بعد هذا : في سنة ست وثمانين ومائتين ، وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة ، يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين ، واجتمع اليه ناس كثير من الاعراب ، والقرامطة . وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع الناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم . ثم عظم أمرهم ، وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز اليهم الخليفة المقتدر بالله جيشاً ، فقاتلهم مقدمه العباس بن عمرو الغنوي فتوافقوا وقعة شديدة ، وانهزم أصحاب العباس ، وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان من سنة سبع وثمانين ، فيما بين البصرة والبحرين . وقتل أبو سعيد الأسرى ، وأحرقهم واستبقى العباس ، ثم أطلقه بعد أيام ، وقال له : امض إلى صاحبك ، وعرفه ما رأيت . فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المقتدر ، فخلع عليه . ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام ، في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت بين الطائفتين وقعت يطول شرحها . ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة . قتله خادم له في الحمام ، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان ابن أبي سعيد ، ولما قتل أبوه أبو سعيد ، كان قد استولى على هجر والقطيف والطلائف ، وسائر بلاد البحرين . وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، في شهر ربيع الآخر منها ، قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكها بغيو قتال ، بل صعدوا إليها بلبيل بسلام الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ناروا اليهم فقتلوا متولي البلد ، ووضعوا السيف في الناس ، فهربوا منهم . وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منهم الاموال ، ثم عاد إلى بلده ، ولم يزالوا يعيشون في البلاد ، ويكثرون فيها الفساد ، من القتل والسبي والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فحج الناس فيها ، وسلموا في طريقهم .

تم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية . فنهبوا أموال الحاج ، وقتلوه حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، وقلع الحجر الأسود ، وأنفذه الى هجر ، فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف ، فقاتلوهم فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب ، فسقط فمات ، فطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ، ولا غسل ولا صلاة على أحد منهم ، وأخذ كسوة البيت ، فقسّمها في أصحابه ، ونهب دور أهل مكة . ثم ذكر ابن الأثير في سنة ستين وثلاثمائة أن القرامطة وصلوا الى دمشق ، فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين ، ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم . ثم انتصر أهل مصر عليهم ، فرجعوا عنهم . انتهى . قال ابن خلكان : وعلى الجملة . فالذي فعلوه في الإسلام ، لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من المسلمين ، وملكوا كثيراً من بلاد العراق والحجاز وبلاد الشرق وبلاد الشام إلى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجر ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة . والقرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة . والقرمطة في اللغة : تقارب الشيء بعضه من بعض . يقال : خط مكرمط ، ومشي مكرمط إذا كان كذلك ^(١) وكان أبو سعيد المذكور قصيراً ، مجتمّع الخلق ، أسمر كريبه المنظر ، فلذلك قيل له : قرمطي . وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلاً طويلاً من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » . وأما الجنابي فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف باء موحده ، وهذه النسبة إلى جنابة ، وهي بلدة من أعمال فارس ، متصلة بالبحرين عند سيراف ، والقرامطة منها فنسبوا إليها . انتهى كلام ابن خلكان رحمه الله تعالى .

(١) أي إذا كان فيه مقارنة الخطو .

قوله : ثم آل سنان ، هو البصري الذي كان يحصون الاسماعيلية بالشام ،
وكان يقول : قد رفعت عنهم الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هكذا وخاتم هذه العشرين وجهاً وهو أقربها الى الأذهان
سرد النصوص فانها قد نوعت طرق الأدلة في أتم بيان
والنظم يمنعني من استيفائها وسياقة الألفاظ بالميزان
فأشير ببعض إشارة لمواضع منها وأين البحر من خليجان ؟
فاذكر نصوص الاستواء فانها في سبع آيات من القرآن
واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلاث قد غدت معلومة التبيان
واذكر نصوص علوه في خمسة معلومة برئت من النقصان
واذكر نصوصاً في الكتاب تضمنت تنزيله من ربنا الرحمن
فتضمنت أصليين قام عليهما الاسلام والايمان كالبنيان
كون الكتاب كلامه سبحانه وعلوه من فوق كل مكان
وعدداتها سبعون حين تعدأو زادت على السبعين في الحسبان
هذا هو الدليل العشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهي

النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز .

قوله : فاذا ذكر نصوص الاستواء الخ . تقدم ذكر آيات الاستواء .

قوله : واذا ذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلاث الخ . وهي قوله تعالى :

(يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ وقوله تعالى : (وهو القاهر فوق

عباده وهو الحكيم الخبير) الانعام : ١٨ .

وقوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة)

الانعام : ٦١ الآية .

قوله : واذا ذكر نصوص علوه في خمسة الخ . وهي قوله تعالى في آية

الكرسي (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ وفي الرعد : ٩ (وهو

الكبير المتعال) وقوله في الشورى : ٤ (وهو العلي العظيم) وقوله تعالى

في سورة غافر : ١٢ (فالحكم لله العلي الكبير) وقوله تعالى في سورة

سبح : ١ (سبح اسم ربك الاعلى) .

قوله : واذا ذكر نصوصاً في الكتاب الخ . تقدم الكلام في ذلك بما

أغنى عن إعادته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذا ذكر نصوصاً ضمنت رفعاً ومعرّاجاً وإصعاداً الى الديان

هي خمسة معلومة بالعد والحسبان فاطلبها من القرآن

وهي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : (بل رفعه الله اليه) النساء : ٦٥٨

وقوله في سورة سأل : ٤ (تخرج الملائكة والروح اليه) وقوله في سورة

السجدة : ٥ (ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة بما تعدون)

وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠
وقوله تعالى عن عيسى (إني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥
قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى في سورة الملك التي تنجي لقاريها من النيران
نصان إن الله فوق سمائه عند المحرف ما هما نصان

قوله في سورة الملك الخ . روى أحمد ، والحاكم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « سورة القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له وهي (تبارك الذي بيده الملك) »^(١) وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة (تبارك) »
الآية : أخرجه الطبراني في « الاوسط » وابن مردويه ، والضياء في « المختارة »^(٢) والنصان : هما قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أت يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) الملك : ١٦ (أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) الملك : ١٧ الآية ، لأن (في) بمعنى (على) أو المراد بذلك مطلق العلو في الآيتين ، كما هو مبسوط في موضعه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى التخصيص بالعند الذي قلنا بسبع بل أتى بثان

(١) رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجه ، وسنده حسن .
(٢) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « سورة من القرآن ما هي الا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة » . رواه الطبراني في « الاوسط » والضياء عن انس بن مالك . قال النابوي في شرحه : قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وقال ابن حجر : حديث صحيح .

منها صريح موضعان بسورة الاعراف ثم الانبياء الثاني
 فتدبر النصين وانظر ما الذي لسواه ليست تقتضي النضان
 وبسورة التحريم أيضاً ثالث بادي الظهور لمن له أذنان
 ولديه في مزمّل قد بيّنت نفس المراد وقيّدت ببيان
 لاتنقص الباقي فما لمعطّل من راحة فيها ولا تبيان
 في سورة الاعراف ١٨٧ (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما
 علمها عند ربي لا يحليها لوقتها الا هو) الى قوله (قل انما علمها عند الله) (ان
 الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)
 الاعراف : ٢٠٦ وفي الانبياء : ١٩ (وله من في السموات والأرض ومن
 عنده) الاية . وفي سورة التحريم : ١١ (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة)
 الاية . وفي سورة المزمل : ٢٠ (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه
 عند الله) وفي سورة القمر : ٥٥ (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)
 قوله : لاتنقص الباقي . هو بالصاد المهملة ، أي : لاتنقص المواضع
 السبعة التي ذكرها الناظم ، لانه لم يذكر الا بعضها ، والله أعلم .
 قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبسورة الشورى وفي مزمّل سر عظيم شأنه ذو شان
 في ذكر تفتير السماء فمن يرد عالماً به فهو القريب الداني
 لم يسمح المتأخرون بنقله جنباً وضعفاً عنه في الايمان

بل قاله المتقدمون فوارس الـ إسلام هم أمراء هذا الشأن
 ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره حكيت به القولان
 يعني قوله تعالى في سورة الشورى : هـ (تكاد السموات يتفطرن من
 فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهن ويستغفرون لمن في الأرض) الآية
 وقوله تعالى في سورة المزمل : ١٧ ، ١٨ (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً
 يجعل ولدان شيئا . السماء منفطر به) الآية
 قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحاديها وعشرين الذي قد جاء في الأخبار والقرآن
 إتيان رب العرش جل جلاله ومحيطه للفصل بالميزات
 فانظر الى التقسيم والتنويع في القرآن تلفيه صريح ببيان
 ان المجيء لذاته لا أمره كلا ولا ملك عظيم الشأن
 إذ ذاك الأمران قد ذكرا وبينهما مجيء الرب ذي الغفران
 والله ما احتمل المجيء سوى مجيى الذات بعد تبيين البرهان
 من أين يأتي يا أولي المعقول إن كنتم ذوي عقل مع العرفان
 من فوقنا أو تحتنا (وأماننا)^(١) أو عن شماننا وعن أيام

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل ، ولا في غيره ولا يستقيم الوزن بدونها .

والله لا يأتيهم من تحتهم أبداً تعالى الله ذو السلطان
 كلا ولا من خلفهم وأمامهم وعن الشمايل أو عن الأيمان
 والله لا يأتيهم إلا من الـ علو الذي هو فوق كل مكان
 هذا هو الدليل الحادي والعشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ،
 وهو إتيان رب العرش جل جلاله وبحيئه الذي جاء في القرآن ، والاحاديث .
 قال الله تعالى : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وقال (هل
 ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض
 آيات ربك) الانعام : ١٥٨ وقال تعالى (هل ينظرون إلى أن يأتيهم
 الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة : ٢١٠ الآية ويؤخذ من القرآن
 أن المجيء لذاته ، لا أمره ، ولا ملك ، كما في قوله تعالى (هل ينظرون
 إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعام : ١٥٨
 لأن المعطلة يفسرون المجيء والاتيان بمجيء أمره ، او ملك . والمجيء
 في الآية وهي قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) الانعام : ١٥٨
 لا يحتمل غير مجيء الرب بذاته تعالى ، لأن مجيء الملائكة قد تقدم ، ومجيء
 الأمر - وهو بعض الآيات - تأخر ، ومجيء الرب بينها ، فلا يحتمل ذلك غير
 مجيء الرب سبحانه .

قال شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني في « عقيدته » : ويشبث اصحاب
 الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول
 المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكيف ، بل يشبتون ما أثبت رسول الله ﷺ

وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره ، ويكونون علمه الى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يشبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ قال : وأخبرنا ابوبكر بن زكريا ، سمعت أبا حامد ابن الشري ، سمعت حمدان السامي وثيا دارود الخفاف ، قالا : سمعنا اسحاق ابن ابراهيم الحنظلي يقول : قال لي الأمير أبو عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب ، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا » ^(١) كيف ينزل ؟ قال : قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب : كيف ، إنما ينزل بلا كيف ، قال : وسمعت أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا زكريا يحيى بن ابراهيم العنبري ، سمعت ابراهيم ابن أبي طالب ، سمعت أحمد بن سعيد بن ابراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم ، وحضر اسحاق ابن ابراهيم ، فسئل عن حديث النزول ، أصبح هو ؟ قال : نعم . فقال له بعض قواد عبد الله : يا أبا عبد الله ، تزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال : نعم قال : كيف ينزل ؟ قال اسحاق : أثبتته فوق . فقال : أثبتته فوق . فقال اسحاق : قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ فقال الأمير عبد الله : هذا يوم القيامة . فقال اسحاق : أعز الله الأمير ، من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ وقال أبو عثمان : قرأت في رسالة أبي

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

بكر الاسماعيلي إلى أهل جيلان : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا^(١) على ما صح به الخبر عن النبي ﷺ . وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ نؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل ، فأنتهينا إلى ما أحكمه ، وكفينا عن الذي تشابه ، إذ كنا قد أمرنا به في قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب) آل عمران : ٧ . انتهى . فإذا قد ثبت بحجج الرب تعالى وإتيانه من الكتاب والسنة ، فعلوم انه لا يأتي الا من فوق ، تعالى الله عما يصفه به الجاحدون والمعتلون علواً كبيراً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة إلى ذلك من السنة

واذكر حديثاً في الصحيح تضمنت كلماته تكذيب ذي البهتان

(١) يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة . « ينزل ربنا كل

ليلة إلى السماء الدنيا .. » .

لما قضى الله الخليفة ربنا كتبت يده كتاب ذي الاحسان
وكتابه هو عنده وضع على العرش المجيد الثابت الاركان
إني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضي وذاك لرأفتي وحناني
يشير الى حديث ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل ان يخلق الخلق : إن
رحمتي سبقت غضي ، فهو عنده فوق العرش » أخرجه البخاري ومسلم ،
وذكره الذهبي في كتاب « العلو » بلفظ آخر عن ابي هريرة قال : قال
رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن
رحمتي سبقت غضي » قال : ولفظ حديث الثوري عن الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة رفعه « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو
مرفوع فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضي » وفي حديث صفوان بن
عيسى ، ثنا ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما
خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضي » .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أشار نبينا في خطبة نحو السماء بأصبع وبنان
مستشهداً رب السموات العلى ليرى ويسمع قوله الثقلان
أترأه أمسى للسماء مستشهداً أم للذي هو فوق ذي الأكران
يعني حديث جابر في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وقد تقدم (١) .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر في باب « حجة النبي صلى الله عليه وسلم » .

قال الناظم :

ولقد أتى في رقية المرضى عن الهادي المين أتم ما تيات
نص بأن الله فوق سمائه فأسمعه إن سمحت لك الأذنان

يشير الى حديث ابي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من استكى منكم شيئاً أو استكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء ، تقدر
اسمك ، أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء ، فأجعل رحمتك في الأرض ، اغفر
لنا حوبنا ، وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل علينا رحمة من رحمتك ، وشفاء من
شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » أخرجه ابو داود في « سننه » (١) .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى خبر رواه عمه العباس صنو أبيه ذو الاحسان
إن السموات العلى من فوقها الكرسي عليه العرش للرحمن
والله فوق العرش يبصر خلقه فانظره إن سمحت لك العينان

يشير الى حديث الأوعال : وهو حديث العباس بن عبد المطلب ،
قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ، فمرت بهم سحابة
فنظر اليها فقال : « ماتسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب . قال : « والمزن ؟ »
قالوا : والمزن . قال : « والعنان ؟ » قالوا : والعنان . قال : « هل تدرون
ما بعد ما بين السماء والارض ؟ » قالوا : لا ندري . قال : « إن بعد ما بينها
إما واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك ،

(١) رقم (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد الانصاري . قال الحافظ ابن حجر
عنه في « التقریب » منكر الحديث ، وأخرجه النسائي أيضاً .

حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة ، بحر بين أسفله وإعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك « رواه ابو داود ^(١) وابن ماجه وله طرق ^(٢) .

قوله : صنو أبيه . قال ابن الاعرابي : الصنو : المثل ، أراد مثل أبيه . وقيل في قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) الرعد : ٤ أن يكون الاصل واحداً ، وفيه النخلتان ، والثلاث ، والاربع .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديث حصين بن المنذر ^(٣) الثقة الرضى أعني أبا عمران
إذ قال ربي في السماء لرغبتي ولوهبي أدعوه كل أوان
فأقره الهادي البشير ولم يقل أنت المجسم قائل بمكان
حزيت بل جهيت بل شهبته بل جسمت لست بعارف الرحمن
هذي مقالاتهم لمن قد قال ما قد قاله حقاً أبو عمران
فالله يأخذ حقه منهم ومن أتباعهم فالحق للرحمن

(١) رقم (٧٢٣ :) وفي سننه (الوليد ابن ابى ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في « التقریب » : ضعيف . وفيه ايضاً (عبد الله بن عميرة) قال الحافظ الذهبي في « الميزان » : فيه جهالة .

(٢) وكلها لا تخلو من مقال .

(٣) هو ابن عبيد (ابن مانع)

يعني حديث حصين بن المنذر الخزاعي . وهو ما رواه عمران بن خالد ابن طليق ، حدثني أبي عن أبيه عن جده قال : اختلفت قريش الى حصين والد عمران ، فقالوا : إن هذا الرجل يذكر آلهتنا ، فنحب أن تكلمه وتعظه ، فمشوا الى قريب من باب النبي ﷺ . فجلسوا ، ودخل حصين ، فلما رآه النبي ﷺ قال : «أوسعوا للشيخ» فأوسعوا له ، وعمران وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك؟ إنك تشتم آلهتنا ، وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة وخيراً . فقال يا حصين : كم إلهاً تعبد اليوم؟ قال : سبعة ، ستة في الأرض ، وإلهاً في السماء . قال : « فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ » قال : الذي في السماء . قال : « فإذا هلك المال فمن تدعو ؟ » ، قال : الذي في السماء . قال : « فيستجيب لك وحده وتشر بهم معه ؟ » . قال : رضيت في الشكر أو كلمة نحوها . أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال : ولا واحدة من هاتين ، وعرفت أنني لم أكلم مثله . فقال يا حصين : اسلم تسلم ... وذكر الحديث . أخرجه ابن خزيمة في كتاب « التوحيد » (١) .

وقول الناظم : حيزت الخ. أي : اذا قلت بما قال حصين بن المنذر قالوا : حيزت . أي : قلت بأن الله في حيز : وجهيت . أي قلت بأن الله تعالى في جهة . وشبهت . أي : قلت بما يقتضي التشبيه . وجسمت . أي : قلت بأن الله تعالى جسم ، تعالى الله عن ذلك .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر شهادته لمن قد قال ربي في السما بحقيقة الايمان
وشهادة العدل المعطل للذي قد قال ذا بحقيقة الكفران

(١) ورواه الترمذي بأخصر منه ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

واحكم بأيهما تشاء وإنني لأراك تقبل شاهد البطلان
ان كنت من أتباع جهنم صاحب التعطيل والبهتان والعدوان
يشير الى حديث الجارية^(١) وقد تقدم ببعض ألفاظه . قال الناظم :

واذكر حديثاً لابن اسحاق الرضى ذاك الصدوق الحافظ الرباني
في قصة استسقامهم يستشفعو ن الى الرسول بربه المنان
فاستعظم المختار ذاك وقال شأ ن الله رب العرش أعظم شان
الله فوق العرش فوق سمائه سبحان ذي الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيظ مثل ما قد أطرحل الراكب العجلان
لله ما لقي ابن اسحاق من الـجهمي إذ يرميه بالعدوان
ويظل يمدحه اذا كان الذي يروي يوافق مذهب الطعان
كم قد رأينا منهم أمثال ذا فالحكم لله العليّ الشان
هذا هو التطفيف لا التطفيف في ذرع ولا كيل ولا ميزان
يعني الناظم حديث ابن اسحاق . وقد رواه الذهبي في كتاب « العلو »
فقال : أخبرنا التاج عبد الخالق ، وبنت عمه ست الاهل ، قال : أنبأنا البهاء
عبد الرحمن بن ابراهيم ، أنبا عبد المغيث بن زهير ، أنبأنا أبو العز ابن

(١) رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي في باب « تحريم الكلام في الصلاة

ونسخ ما كان من إباحته »

كادش ، أنبأنا أبو طالب محمد بن علي ، أنبأنا أبو الحسن الدارقطني ، ثنا يحيى بن صاعد ، ثنا محمد بن يزيد أخي كرخويه ، ثنا وهب بن جريو ، ثنا أبي ، سمعت ابن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير عن أبيه عن جده قال : أتى رسول الله ﷺ أعرابي ، فقال : يا رسول الله جهدت الانفس وضاع العيال ، وهلك الانعام ، ونهكت الاموال ، فاستسق الله لنا ، فانا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال : ويحك ، أتدري ما تقول ؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ إن عرشه لعلى سمواته ، وإرضه هكذا ، قال : وأرانا وهب بيده هكذا ، وقال : مثل القبة ، وانه ليضط أطيط الرجل بالراكب ^(١) قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً ، وابن اسحاق حجة في المغازي إذا أسند ، وله منا كبر وعجائب ، فالله أعلم هل قال رسول الله ﷺ هذا ، أم لا ؟ والله عز وجل ليس كمثل شيء . جل جلاله ، وتقديست أسماؤه ولا اله غيره . والاطيط الواقع بذات العرش ، من جنس الأطيط الحاصل في الرخل ، فذاك صفة للراحل والعرش ، ومعاذ الله أن نعدده صفة لله عز وجل . ثم لفظ (الأطيط) لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الاحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وما اتفق السلف على إقراره وإمراره ، فأما ما في اسناده مقال ، أو اختلف العلماء في قبوله أو تأويله ، فإننا لانعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث لما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه بما يوافق آيات الكتاب .

(١) اسناده ضعيف ، فيه عننة محمد بن اسحاق ، ولا يصح في أطيط العرش حديث .

قال الناظم رحمه الله

واذكر حديث نزوله نصف الدجى في ثلث ليل آخر أو ثلث

فنزول رب ليس فوق سمائه في العقل ممتنع وفي القرآن

تقدم سياق حديث النزول . وقول الناظم : فنزول رب ليس فوق .

سمائه الخ . هذا نحو ما ذكر شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول (١)

قال : سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول ، فقال . ينزل أمره . فقال له

السائل : فممن ينزل ؟ ما عندك فوق العرش شيء . فممن ينزل الأمر

من العدم المحض ؟ فبهت .

قال الناظم رحمه الله :

واذكر حديث الصادق ابن رواحة في شأن جارية لدى الغشيان

فيه الشهادة أن عرش الله فوق الماء خارج هذه الأكوام

والله فوق العرش جل جلاله سبحانه عن نفى ذي البهتان

ذكر ابن عبد البر في استيعابه هذا وصححه بلا نكران

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » : روينا من وجوه

صحيح أن عبد الله بن رواحة مشى ليلة إلى أمة له ، فذالها ، فرأته امرأته

فلامته ، فبجدها . فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فإن الجنب

لا يقرأ القرآن ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوي الكافرينا

(١) وقد قمنا بطبعه بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيمية .

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
قالت امرأته : صدق الله ^(١) ، وكذبت عيني ، وكانت لا تحفظ القرآن ، ولا تقرأه .
قال الناظم رحمه الله :

وحديث معراج الرسول فثابت وهو الصريح بغاية التبيان
وإلى إله العرش كان عروجه لم يختلف من صحبه وجلان
تقدم الكلام على المعراج بما أغنى عن إعادته ، والله أعلم .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر بقصة خندق حكماً جرى لقريظة من سعد الرباني
شهد الرسول بأن حكم الهنا من فوق سبع وفقه بوزان
قال الشيخ موفق الدين بن قدامة : قرأ على عبد الله بن منصور وأنا
أسمع : أخبركم أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ، أنبأ محمد بن عبد الواحد ،
أنبأ أبو بكر بن شاذان ، أنبأ أبو عبد الله المغلس ، ثنا سعيد بن يحيى الأموي ،
قال : حدثني أبي ، ثنا محمد بن اسحاق ، عن معبد بن كعب بن مالك ، أن
سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله ﷺ « لقد حكمت
فيهم حكماً أحكم الله به من فوق سبعة أرقعة » وأصل القصة في « الصحيحين » ^(٢) .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً للبراء رواه أصحاب المساند منهم الشيباني

(١) في الاصل : آمنت بالله ، والتصحيح من « الاستيعاب » لابن عبد البر .

(٢) الذي في « الصحيحين » بلفظ : « قضيت فيهم بحكم الملك » ورواية أخرى

حكمت فيهم بحكم الله عز وجل .

وأبو عوانة ثم حاكمنا الرضى وأبو نعيم الحافظ الرباني
قد صححوه وفيه نص ظاهر مالم يحرفه أولو العدوان
في شأن روح العبد عند وداعها وفراقها لمساكن الأبدان
فتظل تصعد في سماء فوقها أخرى إلى خلاقتها الرحمن
حتى تصير إلى سماء ربها فيها وهذا نصه بأمان
تقدم الحديث ببعض طرقه ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحذير لذات البعل من هجران
من سخط رب في السماء على التي هجرت بلا ذنب ولا عدوان
يشير إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي
بيده ما من رجل يدعو المرأة إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء
ساخطاً عليها حتى يرضى » أخرجه البخاري ومسلم (١) .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً قد زواه جابر فيه الشفاء لطالب الإيمان
في شأن أهل الجنة العليا وما يلقون من فضل ومن إحسان
بينهم في عيشهم ونعيمهم وإذا بنور ساطع الغشيان
لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم فإذا هو الرحمن ذو الغفران

(١) راللفظ للم .

فيسلم الجبار جل جلاله حقاً عليهم وهو ذو الاحسان
قد تقدم حديث جابر.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً قد رواه الشافعيّ طريقه فيه أبو اليقظان
في فضل يوم الجمعة الذي بالفضل قد شهدت له النسان
يوم استواء الرب جل جلاله حقاً على العرش العظيم الشان

هذا الحديث ساقه الذهبي في كتاب «العلو» فقال : أخبرنا أحمد بن
عبد المنعم القزويني ، أنبأ محمد بن سعيد ببغداد ، وأنبأ علي بن محمد وجماعة ،
قالوا : أنبأ ابن الزبيدي .

ح (١) وأنبأ التاج أبو محمد المغربي ، أنبأ عبد الله بن أحمد الفقيه
ببعلبك ، قالوا : أنبأ أبو زرعة ، أنبأ مكّي بن منصور أبو بكر
الحيري ، ثنا أبو العباس الأصم .

ح وأنبأ محمد بن الحسين ، أنبأ ابن رفاعه ، أنبأ الحلبي ، أنبأ أبو
العباس ابن الحاج الاشيلي ، حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصابوني .
إملاء قالوا : ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا الشافعي ، أنبأ ابراهيم بن محمد ،
حدثني موسى بن عبدة ، حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة ،
عن عبيد الله بن عمير (٢) أنه سمع أنس بن مالك يقول : أتى جبريل برآة

(١) هذا الرمز (ح) يعني ان الاسناد تحول الى اشخاص آخرين.

(٢) في الاصل: عبد الله بن عبيد بن عمير، والتصحيح من «مسند الامام الشافعي» .

بيضاء فيها وكثة^(١) سوداء الى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما هذه؟» قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، والناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، لكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو (الله) بخير الا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيّد . فقال النبي ﷺ : « وما يوم المزيّد ؟ » قال : ان ربك اتخذ في الجنة وادياً أفتح فيه كتب من مسك ، فاذا كان يوم القيامة أنزل الله فيه من شاء من الملائكة ، وحوله الصديقون والشهداء ، فيجلسون من ورائهم على تلك الكتب ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم ، قد صدقتكم وعدي ، فسلوني أعطكم ، فيقولون : ربنا نألك الرضى . فيقول : رضيت عنكم ، ولكم ما شئتم ، ولدي مزيّد ، فهم يجيئون يوم الجمعة ، لما يعطيهم ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة « إبراهيم وموسى ضعفا ، أخرجه الامام محمد بن ادريس في « مسنده »^(٢) وقد أخرجه الدارقطني من طريق حمزة ابن واصل المنقري ، عن قتادة ، عن أنس ، ومن طريق عنبسة الرازي عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أنس . (وأخرجه عثمان بن سعيد الدرامي قال : حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة ، ثنا)^(٣) محمد بن شعيب بن

(١) في الأصل : نكتة ، والتصحيح من « مسند الشافعي » والوكثة : أثر في شيء كالنقطة من غير لونه والجمع وكث .

(٢) ورواه الطبراني في الاوسط ، والبزار ، وأبو يعلى مختصراً ، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه « القول في جملة الاسانيد الواردة في حديث يوم المزيّد » قال فيه : ان لهذا الحديث عن أنس عدة طرق في جميعها مقال ، وقد تكلم عليه الهيثمي في « مجمع الزوائد » في فضل يوم الجمعة ، وباب صفة الجنة ، فليراجع .

(٣) ما بين القوسين يابض في الاصل : استدركتاه من كتاب « الرد على الجهمية » لابي سعيد عثمان بن سعيد الدرامي ، وقد طبعاه قريبا .

شاور عن عمر مولى غفره عن أنس . وأخرجه القاضي أبو أحمد العسال في كتاب « المعرفة » له ، عن رجاله : عن جرير بن عبد الحميد ، عن ليث ابن أبي سليم ، عن عثمان بن أبي حميد ، وهو أبو اليقظان ، عن أنس . ورواه من طريق سلام بن سليمان عن شعبة واسرائيل وورقاء ، عن ليث أيضاً ، وساقه الدارقطني من رواية شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عثمان بن أبي سليمان عن أنس . والظاهر أن عثمان أبو اليقظان . وحدث به الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن سالم بن عبد الله عن أنس بن مالك ، وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً . رزقنا الله وإياكم لذة النظر الى وجهه الكريم . انتهى كلام الذهبي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر مقالته ألت أمين من فوق السماء الواحد المتان

واذكر حديث أبي رزين ثم سقه بطوله كم فيه من عرفان

والله ما لم يعطل بسماعه أبداً قوى إلا على النكران

فأصول دين نينا فيه أت في غاية الايضاح والتبيان

وبطوله قد ساقه ابن إمامنا في سنة والحافظ الطبراني

وكذا أبو بكر بتاريخ له وأبوه ذاك زهير الرباني

يشير بقوله : ألت أمين الخ الى حديث أبي سعيد الخدري قال : بعث

علي من اليمن الى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروط^(١) لم تحصل من

(١) في الأصل : مقروض ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

تراها ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة ، بين زيد الخير ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعلقمة بن علاثة ، وأو عامر بن الطفيل ، ملك عمارة ، فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم . فقال رسول الله ﷺ : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » ، يأتيني خبر السماء (٢) صباحاً ومساءً... الحديث . رواه البخاري ومسلم . وحديث أبي رزين ، ساقه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : حديث سمعناه من أحمد بن هبة الله ، وجماعة ، عن محمد بن عبد الواحد ، ثنا اسماعيل بن علي ، أنا محمد بن علي النحوي ، أنا أبو بكر ابن المقرئ ، ثنا عبدان بن أحمد ، ثنا عمر بن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حداث ، عن أبي رزين العقيلي ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : « كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي وابن ماجه ، واسناده حسن وقد رواه شعبه وغيره عن يعلى ، وقالوا : عدس بدل حدس ، وزواه اسحاق ابن راهويه ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث . عن حماد . وعنده : « ثم كان العرش فارفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء وفوقه هواء » يعني السحاب . وقال أبو عبيد : العماء : الغمام . وقال الحسن ابن عمران الحنظلي الهروي : سمعت أبا الهيثم خالد بن يزيد الرازي يقول : أخطأ أبو عبيد ، إنما العما مقصور ، ولا يدرى أين كان الرب ، يعني قبل خلق العرش . ويروى عن أبي رزين حديث طويل باسنادين مدينين في الباب ، لكنه ضعيف . انتهى كلام الذهبي .

(١) في الاصل : خبر من السماء . والتصحيح من « صحيح مسلم » .

قلت هذا كلام الذهبي ، وقد ساقه بتمامه الناظم في كتاب « الهدي » .
 وقال : هذا حديث كبير ، جليل الشأن ، ينادي بجلاله وفخامته وعظمته .
 على أنه قد خرج من مشكاة النبوة... إلى أن قال : ولم يطعن أحد فيه ، وفي
 أحد من رواه ، فمن رواه الامام بن الامام أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن
 أحمد بن حنبل في « مسند أبيه » وفي كتاب « السنة » ومنهم الحافظ
 الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب « السنة » .
 له ، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد الغسال في كتاب « المعرفة » ، وحافظ
 زمانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، والحافظ أبو محمد عبد الله بن
 محمد بن حياث أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب « السنة » وحافظ عصره
 أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، وجماعة من الحفاظ يطول ذكرهم .
 قال ابن منده : روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصغاني ، وعبد الله
 ابن أحمد بن حنبل وغيرهما . وقد رواه بالعراق بجميع من العلماء وأهل
 الدين جماعة من الأئمة ، منهم أبو زرة الرازي ، وأبو حاتم ، وأبو عبد الله
 محمد بن اسماعيل ، ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم في اسناده ، بل روه على
 سبيل القبول والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلى جاهل ، أو مخالف
 للكتاب والسنة . هذا كلام أبي عبد الله بن منده . انتهى كلام الناظم ملخصاً
 قوله : وبطوله قد ساقه ابن إمامنا . أي : ساقه عبد الله ابن الامام
 أحمد في كتاب « السنة » له .

قوله : وكذا أبو بكر بتاريخ له . أي : أبو بكر ابن أبي خيثمة في
 « تاريخه » وأبو زهير بن حرب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هو اذكر كلام مجاهد في قوله أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد ما قيل ذا بالرأي والحسبان
ان كان تجسماً فان مجاهداً هو شيخهم بل شيخه الفوقاني
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي أثر رواه جعفر الرباني
أعني ابن عم نبينا وبغيره أيضاً أتى والحق ذو تبيان
قد تقدم ذكر كلام مجاهد في ذلك ، وبسطنا الكلام فيه بما أغنى عن الاعداد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والدارقطني الامام يثبت الآثار في ذا الباب غير جبان
وله قصيد ضمنّت هذا وفي هالست للمروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه ذا حكمة مذ كانت الفئتان

قال الذهبي في كتاب « العلو » : كان العلامة الحافظ ابو الحسن علي بن عمر ، نادرة العصر ، وفرد الجهابذة ، ختم به هذا الشأن ، فمما صنف كتاب « الرؤية » وكتاب « الصفات » وكان اليه المنتهى في السنة ومذاهب السلف ، وهو القائل : ما أنبأني أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش ، أنبا بن كادش ، أنشدنا أبوطالب العشاري ، أنشدنا الدارقطني رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة في أحمد الى أحمد المصطفى نسده
وأما حديث باقعهاد على العرش أيضاً فلا نجحده
أمر والحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

توفي الدارقطني رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . انتهى كلام الذهبي ،
ولم أقف على المحنة التي ذكرها الناظم رحمه الله تعالى ، وهي التي جرت
للدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله
أبو الحسن الدارقطني الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة في زمانه ،
وقبلها بمدة ، وبعدها الى زماننا هذا ، سمع الكثير ، وجمع وصنف ، وألف
وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والإعتقاد والانتقاد . وكان فريد
عصره ، ونسيج وحده ، وإمام دهره في أسماء الرجال وصناعة التعليل ، والجرح
والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف والتصنيف ، واتساع الرواية ، والاطلاع
التام في الدراية ، له كتاب « السير » المشهور ، من أحسن المصنفات في بابهِ ، لم
ألم يسبق الى مثله ، ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله ،
وله كتاب « العلل » بين فيه الصواب من الزلل ، والمتصل من المرسل ،
والمنقطع والمعضل . وكتاب « الافراد » الذي لا يفهمه - فضلاء - أن ينظمه -
الا هو من الحفاظ الافراد ، والأئمة النقاد ، والجهابذة الجياد ، وله غير ذلك
من المصنفات التي هي كالعقود في الاجياد . قال ابن الجوزي : وقد اجتمع فيه
مع معرفة الحديث ، العلم بالقراآت ، والنحو ، والفقه ، والشعر ، مع
الامامة والعدالة ، وصحة العقيدة ، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من

« ذى القعدة سنة ٣٨٥ وله من العمر تسع وسبعون سنة ودفن من الغد بمقربة معروف الكرخي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقد اقتضت على يسير من كثير فانت للعد والحسبان
ما كل هذا قابل التأويل بالتحريف فاستحيوا من الرحمن



تم - بعون الله وتوفيقه - الجزء الأول

من كتاب « شرح الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية »

ويليه

الجزء الثاني

وأوله : فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق

بين المردود فيه والمقبول .

الفهرس

ج	مقدمة الناشر
ز	ترجمة الناظم الامام ابن القيم لعالم لم يذكر اسمه بقلم الشيخ محمد بن مانع
س	ترجمه الشارح بقلم الشيخ محمد بن المانع .
٣	مقدمة الشارح .
٥	ترجمة الناظم ابن القيم للشارح .
١٠	الكلام على البسملة والابتداء بها .
١٣	الكلام على « الرحمن الرحيم » ومعناها .
١٦	الكلام على الحمد لغة واصطلاحاً .
١٧	الكلام على المخلوق وأنه لا بد له من خالق .
١٩	الكلام على شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله .
٢١	معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
٢٢	معنى الرحمة .
٢٩	فصل في أن القرآن غير مخلوق .
٣٣	فصل في عشرة أمثلة مضروبة للمعطل والمشبّه والموحد .
٣٥	الكلام على (أما بعد) .
٣٧	حكم المباهاة .
٣٧	فصل : حكم المحبة ثابت الاركان .
٣٨	تعريف الركن .
٤٥	ترجمة جهنم بن صفوان .

- ٤٧ الكلام على الجهمية وعقائدهم الفاسدة .
- ٥٥ ترجمة خالد بن عبد الله القسري .
- ٥٦ ترجمة الجعد بن درهم .
- ٥٨ أفعال العباد عند الجهمية .
- ٦١ الناس في أفعال العباد على ثلاثة أقوال : طرفان ووسط .
- ٦٤ قول الاتحادية في كلام الله .
- ٦٥ فصل في أن الجهمية نفت حكمة الله في خلقه .
- ٦٦ لأهل السنة في تعليل أفعال الله وأحكامه قولان .
- ٦٧ إجماع أهل السنة على أن الله تعالى موصوف بالحكمة .
- ٦٩ الكلام على الاسم والمسمى والتسمية والفرق بينها .
- ٧١ معنى القضاء لغة وشرعاً .
- ٧٢ طريقة المتكلمين وأتباعهم في إثبات الصانع وحدوث العالم .
- ٨٣ قول الجهمية بفساد الجنة والنار خلافاً لأهل السنة .
- ٨٣ كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني في الجهمية .
- ٨٤ ترجمة أبي الهذيل العلاف .
- ٨٥ قول المتكلمين في انعدام الجواهر وإعادتها، وتفرق الأجزاء واجتماعها .
- ٨٧ إنكار الفلاسفة للمعاد والرد عليهم من الكتاب والسنة .
- ٩٠ بعض علامات قيام الساعة .
- ٩٦ مالا يطرأ عليه الفناء في المخلوقات .
- ٩٨ الكلام على الروح هل هي داخل البدن أو خارجه، والرد على المخالفين لأهل الحق في ذلك .
- ١٠٠ تقسيم الأزواج الى ثلاثة أقسام .

- ١٠١ الكلام على أرواح الشهداء وأين تكون .
- ١٠٧ فساد قول من يقول بأن الروح عرض من الاعراض .
- ١١١ الكلام في خلق الأفعال .
- ١١٢ كلام الجبرية في خلق الأفعال .
- ١١٦ العبد ليس بفاعل بالاختيار عند الجبرية .
- ١١٨ مخالفة الجبرية لما ثبت بالنصوص الصحيحة .
- ١١٩ بطلان قول الجهمية بحدوث أسماء الرب تعالى .
- ١٢٠ تحذير الأئمة من بدع الجهمية .
- ١٢١ فصل في مقدمة نافعة قبل التكليم .
- ١٢٢ وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين الطوائف .
- ١٢٣ حكم شعرية في مدح العلم المؤيد بالكتاب والسنة النبوية .
- ١٢٤ تعريف الهمج والرعاع .
- ١٢٥ تعريف الجهل المركب والبسيط .
- ١٢٥ تعريف الصراط لغة وشرعاً .
- ١٢٦ الطريق الموصلة الى الله تعالى واحدة .
- ١٢٨ معنى الهجرة الى الله ورسوله .
- ١٣٠ معنى الصبر الجميل والهجر الجميل والصفح الجميل .
- ١٣١ الحكم الكوني القدري والحكم الديني الأمري الشرعي .
- ١٣٣ فصل في أول عقد مجلس التحكيم .
- ١٣٧ المحاكمة بين الطوائف .
- ١٣٧ ذكر مقالة الوجودية والاتحادية الذين هم شر الطوائف وأصولهم .
- ١٣٨ كشف حقائق الاتحادية .

- ١٤٠ ما تضمنه كتاب الفصوص من الأقوال الباطلة .
- ١٤٣ الكلام على العفيف التلمساني وأتباعه وما في أشعارهم من الحلول .
- ١٤٥ كلام العلماء في الاتحاديين .
- ١٤٨ كلام العلماء في كتاب الفصوص .
- ١٥٠ بيان حكم ما في الفصوص من الاعتقادات الفاسدة للشيخ أبي زكريا الاقصرائي الحنفي .
- ١٥٠ قصيدة في بيان بطلان الفصوص .
- ١٥٦ معنى حديث : « الدين النصيحة » والقصد منه .
- ١٥٨ التحذير من كتاب الفصوص وما فيه .
- ١٥٩ أول من أنكر على الفصوص سلطان العلماء العز بن عبد السلام وتبعه العلماء الأعلام .
- ١٦١ كلام بعض العلماء في الفصوص .
- ١٦٤ الكلام على كتاب «الإنسان الكامل» للجليلي وما فيه من الطامات
- ١٦٥ الرد على من ادعى إيمان فرعون كإيمان عربي وغيره .
- ١٦٥ ردود العلماء على الفصوص .
- ١٦٦ ترجمة ابن عربي الطائفي صاحب الفصوص .
- ١٦٩ كلام العلماء الكبار في ابن عربي صاحب الفصوص .
- ١٧٤ منظومة شرف الدين المقرئ الشافعي في الرد على الفصوص (٩٧)
- بيتاً من أصل قصيدة طويلة .
- ١٨١ ترجمة ابن سبعين وما في أقواله من الطامات .
- ١٨٣ ترجمة العفيف التلمساني وذكر أباطيله .
- ١٨٥ فصل في قدوم ركب آخر - وهم النجارية وأقوالهم الفاسدة .

- ١٨٧- فصل في قدوم ركب آخر - ذكر عقيدة الأشاعرة .
- ١٨٩- ترجمة أبي المعالي الجويني إمام الحرمين .
- ١٩٤- فصل في قدوم ركب آخر - أقرؤا بما دل عليه الكتاب والسنة .
- ١٩٥- ذكر حديث معراج النبي ﷺ .
- ١٩٩- التحقيق في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) .
- ١٩٩- الكلام على صعود روح المؤمن بعد الموت وما فيها من الأحاديث .
- ٢٠١- اقرار أهل السنة بالديان وصفاته والرد على مخالفهم .
- ٢٠٤- اتفاق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه غير مخلوق .
- ٢٠٧- الكلام على صفة العلم القائمة بذاته تعالى .
- ٢٠٨- أدب الطرق الكلامية في القرآن .
- ٢٠٩- بحث هام : عشرون دليلاً على أن أخبار الآحاد تفيد العلم للحافظ ابن القيم من كتاب «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» .
- ٢٢٠- بعض أحاديث الآحاد التي تليقها الأمة بالقبول .
- ٢٢١- لم يكن بين السلف نزاع في أن أحاديث الآحاد تفيد العلم .
- ٢٢١- مذهب العلماء الكبار من الخلف في أن أحاديث الآحاد تفيد العلم .
- ٢٢٢- لا تجتمع الأمة الإسلامية على ضلالة .
- ٢٢٣- الاجماع فيما أجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين .
- ٢٢٥- إثبات الكلام لله تعالى والأدلة على ذلك .
- ٢٢٦- ما ورد من الأخبار في إثبات لفظ الصوت .
- ٢٢٩- إثبات الصوت والحرف في كلام الله سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .
- ٢٣٤- لا يصح في أطيح العرش حديث .

- ٢٣٥ إثبات ما جاء من صفات الله تعالى في القرآن والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .
- ٢٤٠ ترجمة جنكيزخان طاغية التتار وما فعل بالديار الإسلامية .
- ٢٤٤ ترجمة ابن سينا .
- ٢٤٥ ترجمة النصير الطوسي .
- ٢٤٨ ترجمة سنان البصري .
- ٢٤٩ الكلام على رسائل اخوان الصفا .
- ٢٤٩ ترجمة الفارابي .
- ٢٥٠ الجهمية على ثلاث درجات .
- ٢٥٢ فصل في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن .
- ٢٥٤ مذهب سلف الأمة وأئمتها وإثبات صفات الله التي جاء بها القرآن والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .
- ٢٥٥ الكلام في القدر ، والتوسط فيه بين الجبرية والنفاة .
- ٢٥٦ النصوص الواردة في القدر .
- ٢٦٠ الكلام على اسم الله الأعظم .
- ٢٦١ الله تعالى ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .
- ٢٦٢ إثبات صفة الكلام لله تعالى .
- ٢٦٦ الدليل على أن كلام الله تعالى غير مخلوق .
- ٢٦٨ مذهب السلف وأئمة المحدثين أن كلام الله تعالى غير مخلوق .
- ٢٧٠ الرد على من قال بأن القرآن عبارة عن المعنى واستشهادهم
- بييت الأخطل
- إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

- ٢٧٢ غلط النصارى في معنى الكلام ونفيهم للصفات .
- ٢٧٥ اتفاق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل واختلافهم في معنى الإنزال .
- ٢٧٨ فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن .
- ٢٨٠ قول الكرامية في القرآن .
- ٢٨١ أشياء يتعين التنبيه عليها بالنسبة للقرآن .
- ٢٨٦ اختلاف القائلين بالكلام النفسي في الحروف .
- ٢٨٧ فصل في مذهب الافتراضية وهم السالية ومن وافقهم .
- ٢٨٩ فصل في مذاهب القائلين بأن القرآن متعلق بالمشيئة والارادة والرد عليهم .
- ٢٩٣ تقسيم الجهمية الى أقسام .
- ٢٩٥ ثلاثة أقوال للجهمية في تسمية الله تعالى متكلماً .
- ٢٩٦ قدما المعترلة لم يذهبوا الى خلق القرآن .
- ٢٩٦ كلام الحافظ اللالكائي فيمن يقول بخلق القرآن .
- ٢٩٧ فصل في مذهب الكرامية في كلام الله تعالى .
- ٣٠٢ فصل في ذكر مذهب أهل الحديث في كلام الله تعالى .
- ٣٠٨ أسرار بعض الحروف في القرآن .
- ٣١٠ فصل في إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام بنفي الرسالة .
- ٣١١ فصل في إلزامهم التشبه للرب بالجواد الناقص اذا انتفت صفة الكلام
- ٣١٣ فصل في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه .
- ٣١٥ فصل في التفريق بين الخلق والأمر .

- ٣١٧ فصل في التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الأوصاف والاعيان
 ٣٢٠ ترجمة ابن حزم الاندلسي .
 ٣٢٢ أقوال الناس في القرآن .
 ٣٢٥ الكلام على القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو واختلاف الناس فيه .
 ٣٢٩ رد الامام أحمد بن حنبل والبخاري على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ومخنتها بسبب ذلك .
 ٣٣٣ فصل في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله .
 ٣٣٩ فصل في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الله سبحانه .
 ٤٤١ كلام الجهمية في كلام الله تعالى وفساده .
 ٣٤٤ تنازع الناس في الأفعال اللازمة المضافة الى الله سبحانه وتعالى
 وكلام السلف والمتأخرين في ذلك .
 ٣٥٢ الأمر والتكوين وصف كمال الله تعالى .
 ٣٥٤ كان الله ولا شيء معه .
 ٣٥٩ معنى إن العالم ممكن عند ابن سينا ، ومخالفته لسلفه الفلاسفة .
 ٣٦١ رد ابن رشد على ابن سينا .
 ٣٦٢ مافعله النصير الطوسي مع هولاء ملك التتار بالمسلمين في بغداد
 ٣٦٥ دليل التامع المشهور عند المتكلمين .
 ٣٦٨ فصل في اعتراض بعض الطوائف على القول بدوام فاعلية الرب
 تعالى وكلامه والانقصال عنه .
 ٣٦٩ تعريف التسلسل وتقسيه .
 ٣٧٠ ترجمة أبي الحسن الأشعري .
 ٣٧١ ترجمة أبي بكر الباقلاني .
 ٣٧١ ترجمة أبي علي الجبائي .
 ٣٧٣ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض
 بخمسين ألف سنة .

- ٣٧٥ اختلاف الناس في العرش والقلم وأيهما خلق أول .
- ٣٨٢ الكلام على دليل الاكوان .
- ٣٨٥ فصل في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد ، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة .
- ٣٨٧ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء .
- ٣٨٨ إن الله تعالى في السماء كما وصف نفسه ووصفه به رسوله .
- ٣٨٩ حد المعدم أنه لا داخل العالم ولا خارجه .
- ٣٩٠ تعريف النقيضين والضدين .
- ٣٩٣ فصل في سياق أدلة المعطل من خمسة وجوه .
- ٣٩٥ تعريف الضدين والمثلين والغيرين .
- ٣٩٦ فصل في الاشارة الى الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه .
- ٣٩٧ الدليل الأول من أدلة علو الله تعالى على عرشه .
- ٣٩٧ كلام ابن القيم في ابطال أن يكون الاستيلاء بمعنى الاستواء .
- ٣٩٩ الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه .
- ٤٠٢ الدليل الثالث من أدلة علو الله على خلقه وهو صريح الفوق مصحوباً بكلمة (من)
- ٤٠٣ فوقية الذات وفوقية القدر وفوقية القهر .
- ٤٠٥ الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو خروج الروح والملائكة إليه .
- ٤٠٨ الدليل الخامس على علو الله تعالى فوق خلقه (إليه يصعد الكلم

والعمل الصالح يرفعه) .

٤١٠ التفسير الحق في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) .

٤١١ تعريف القاب لغة .

٤١٢ الدليل السادس والسابع من أدلة علو الله على خلقه وهما النزول والتزويل .

٤١٣ ثبوت حديث نزول الله تعالى الى السماء الدنيا من جهة النقل والاسناد

٤١٥ الدليل الثامن على العلو وهو رفعة الدرجات . ومعنى رفع الدرجات .

٤١٧ الدليل التاسع على علو الله تعالى وذكر النصوص الواردة في ذلك .

٤١٩ ضعف حديث الأوعال .

٤٢٠ الدليل العاشر على العلو اختصاص بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه

٤٢١ قول الله تعالى في الحديث وهو فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي

٤٢٢ الدليل الحادي عشر على العلو إشارته ﷺ بأصبعه نحو السماء وينكبتها الى الناس .

٤٢٤ الدليل الثاني عشر على العلو قوله ﷺ : « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » .

٤٢٥ الدليل الثالث عشر من أدلة العلو وهو رؤيته تعالى في الجنة .

٤٢٩ الدليل الرابع عشر من أدلة العلو حديث « العباء » وحديث الجارية .

٤٣٣ الدليل الخامس عشر اجماع الرسل في كتبهم بالفوقية .

٤٣٥ ذكر اشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم السلام ، كعلو الله على خلقه .

- ٤٣٧ : دعوة الرسل إلى أركان الإيمان الخمسة .
- ٤٣٩ : الدليل السادس عشر من أدلة العلو إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث .
- ٤٣٩ : معنى قوله تعالى (استوى على العرش) وأقوال العلماء فيه .
- ٤٣٩ : قول عبد الله بن عباس في الاستواء .
- ٤٣٩ : قول التابعين في الاستواء .
- ٤٤١ : قول الأشعري في الاستواء .
- ٤٤٣ : قول البغوي في الاستواء .
- ٤٤٣ : قول مالك في الاستواء .
- ٤٤٥ : قول الترمذي في الاستواء .
- ٤٤٥ : قول الارزاعي وغيره في الفوقية .
- ٤٤٧ : قول الشافعي وأبي حنيفة في الفوقية والاستواء .
- ٤٤٨ : قول أحمد بن حنبل في الفوقية والاستواء .
- ٤٤٨ : ترجمة الحلال .
- ٤٥٠ : قول اسحاق بن راهويه في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)
- ٤٥٠ : قول عبد الله بن المبارك في الاستواء .
- ٤٥١ : ترجمة عبد الله بن المبارك .
- ٤٥١ : قول ابن خزيمة في الفوقية .
- ٤٥١ : قول ابن عبد البر في حديث : « ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء ودليل الفوقية فيه وفي أمثاله .
- ٤٥٥ : ترجمة حرب الكرماني وقوله في الفوقية وقول غيره من الأئمة .
- ٤٥٩ : قصيدة أبي بكر عبد الله بن أبي داود في معتقد أهل السنة والجماعة

- ٤٦١ قول الحافظ الاصبهاني في كتاب السنة في الاستواء على العرش .
والنزول من السماء .
- ٤٦٢ قول سفيان بن عيينة في اثبات الصفات كما جاءت .
- ٤٦٢ ترجمة حماد بن زيد .
- ٤٦٣ ترجمة حماد بن سلمة .
- ٤٦٥ قول أبي القاسم اللالكائي في اثبات النصوص الواردة في .
الكتاب والسنة كما جاءت .
- ٤٦٦ قول أبي الشيخ الأصبهاني مصنف « الترهيب والترهيب » في .
اثبات الصفات كما جاءت .
- ٤٦٨ ترجمة الطبراني وقوله في الاستواء على العرش .
- ٤٦٨ قول الحافظ الطلمنكي في الصفات والاستواء .
- ٤٦٩ قول الامام الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة .
- ٤٧٠ قول أبي بكر الباقلاني في الاستواء على العرش وحقيقته .
- ٤٧٢ قول محمد بن جرير الطبري في الاستواء وغيره من الصفات .
- ٤٧٤ قول يحيى السنة البغوي في الاستواء على العرش ومعناه .
- ٤٧٥ قول أبي عمرو الداني في الاستواء .
- ٤٧٦ ترجمة أبي الشيخ الأصبهاني وقوله في الاستواء
- ٤٧٧ ترجمة ابن سريج وكلامه في صفات الله عز وجل واستوائه على عرشه .
- ٤٧٨ قول الامام أبي حنيفة في الصفات .
- ٤٨٠ تقرير أهل السنة للعلو بالثقل والعقل .
- ٤٨٢ بعض خصائص أبي بكر الصديق .
- ٤٨٢ تعريف النواصب .

- ٤٨٣ الفرق بين اللبن واللبن .
- ٤٨٣ فصل : الدليل السابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .
- ٤٨٦ الأدلة النقلية والعقلية تفيد بأن الله تعالى فوق السماء .
- ٤٨٩ وجوب تحكيم الرسول ﷺ في الدق والجل والتسليم له والرضى بحكمه .
- ٤٩١ وصية الأئمة الأربعة لأتباعهم باتباعهم الكتاب والسنة وترك أقوالهم إذا خالفتهما .
- ٤٩٢ فصل : الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .
- ٤٩٤ قصة أبي بكر الصديق مع فنحاص اليهودي الذي طعن في صفات الله .
- ٤٩٦ افتراء اليهود وإدعائهم أن الله ولدًا .
- ٤٩٦ افتراء بعض الأقران على شيخ الإسلام أبي اسماعيل الهروي وبشائتهم عليه عند السلطان (ألب أرسلان) .
- ٤٩٧ افتراء في رحلة ابن بطوطة على شيخ الإسلام ابن تيمية واتهامه بالتجسيم .
- ٥٠٠ القول بعلو الله تعالى على خلقه صرح به الكتب الإلهية .
- ٥٠٠ فصل : الدليل التاسع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .
- ٥٠٣ تشبيه المعطلة بالخفاش والحشرات في عدم رؤيتهم النور .
- ٥٠٤ ما يلزم المعطلة من الشناعات في نفهم لعلو الله تعالى .
- ٥٠٧ مهني فقح (الفلا) لفة .
- ٥٠٧ ترجمة الحسن بن بهرام رئيس القرامطة .
- ٥٠٧ تعريف الحاكمية شيعة الحاكم بأمر الله .
- ٥١٠ فصل : الدليل العشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهي النصوص الدالة على ذلك من القرآن الكريم .

- ٥١٤ فصل : الدليل الحادي والعشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو إتيان رب العرش جل جلاله ومجيبه الذي جاء في القرآن والسنة
- ٥١٥ اثبات أهل الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .
- ٥١٧ فصل : في الإشارة الى علو الله تعالى على خلقه من السنة .
- ٥١٨ حديث : « ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق فهو عنده فوق العرش »
- ٥١٩ حديث الأوعال والكلام عليه .
- ٥٢١ حديث حصين الخزاعي والدمعمران بن الحصين ودعوتيه الى الاسلام .
- ٥٢٣ الكلام على حديث أطيظ العرش وبيان أنه لا يصح في أطيظ العرش حديث .
- ٥٢٥ من أدلة علو الله تعالى على خلقه عروج الرسول ﷺ الى السموات
- ٥٢٨ حديث يوم المزيد وكلام العلماء فيه .
- ٥٣٠ حديث : « أنا أمين من في السماء » .
- ٥٣٠ حديث : « كان الله في عماء » ومعنى العماء .
- ٥٣١ رأي العلماء في حديث « كان الله في عماء » .
- ٥٣٢ ترجمة الحافظ الدارقطني .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

شرح
قصيدة الإمام ابن القيم

تأليف
أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح

قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الإنصاف للفرقة الناجية

تأليف

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

دمشق ١٣٨٢

الطبعة الاولى

بيروت ١٣٩٤

الطبعة الثانية

المكتب الاسلامي

دمشق: من.ج.ب. ٨٠٠ هاتف: ١٣٧٠ - ١١١ - برقية: اسلامي

بيروت: من.ج.ب. (٣٢٢) هاتف: ٢٨٥٨٢٢ - برقية: اسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
فصل

في جنابة التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول.
شرع الناظم رحمه الله في ذكر التأويل وما جنى على الشريعة المطهرة
من البلايا والحن ، والشروع والفتن ، وذكر ما يقبل منه وما يرد . قال :
هذا وأصل بلية الاسلام من تأويل ذي التحريف والبطلان ،
وهو الذي قد فرق السبعين بل زادت ثلاثاً قول ذي البرهان
يشير الى قوله عليه السلام «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة..» الحديث (١)
وهو الذي قتل الخليفة جامع القرآن ذا النورين والاحسان
يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وهو الذي قتل الخليفة بعده أعني علياً قاتل الأقربان
وهو الذي قتل الحسين وأهله فعدوا عليه ممزقي اللحام
وهو الذي في يوم حرثهم أبا ح حمى المدينة معقل الايمان
حتى جرت تلك الدماء كأنها في يوم عيد سنة القربان
أي وقعة الحرة ، وذلك أن يزيد بن معاوية وجه مسلم بن عقبة المري

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، من حديث معاوية رضي الله عنه قال : قام
فيما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا
على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون
في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة» وهو حديث صحيح .

في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها ، فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، وفيها يقول الشاعر .

فإن تقاتلونا يوم حرة واقم فانا على الاسلام أول من قتل
وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بـ (واقم) على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، فقتل بها بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين ، وهم ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل ، من قريش سبعة وتسعون قتلوا جهرًا ظلمًا في الحرب ، وصبراً . كذا ذكر القرطبي رحمه الله في « التذكرة » وفي كتاب « آكام المرجان في أسكام الجنان » للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الشلي الصفدي الحنفي . قال : كانت وقعة الحرة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وستين على باب طيبة ، واستشهد فيها خلق كثير وجماعة من الصحابة . قال خليفة : فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستون^(١) . وروي أن رسول الله ﷺ وقف على الحرة وقال : « ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي » وكانت سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم ، وبني أمية ، وأمروا عليم حنظلة بن عبد الله النسيب ، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم ، فجهز إليهم يزيد

ابن معاذ بن مسلم بن عقبة ، فأوقع بهم . قال السهيلي : وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا خسف ، ومجازفة ، والحرة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها : حرة زهرة ، وعرفت (حرة زهرة) بقرية كانت لبني زهرة ، قوم من اليهود قال الزبير في فضائل المدينة : كانت قرية كبيرة في الزمن القديم ، وكان فيها ثلثمائة صانع ، وكان يزيد قد أعذر إلى أهل المدينة ، وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي الناس ، واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة ، والتحذير من الخلاف ، ولكن أبى الله إلا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيها كانوا فيه يختلفون . انتهى .

وغدا له الحجاج يسفكها ويقتل صاحب الايمان والقرآن
وجرى بمكة ما جرى من أجله من عسكر الحجاج ذي العدوان
وهو الذي أنشأ الخوارج مثلهما أنشا الروافض أخبت الحيوان
ولأجله شتموا خيار الخلق بعد الرسل بالعدوان والبهتان
ولأجله سل البغاة سيوفهم ظناً بأنهم ذوو إحسان
ولأجله قد قال أهل الاعتزالي مقالة هدّت قوى الايمان
ولأجله قالوا بأن كلامه سبحانه خلق من الاكوان
ولأجله قد كذبت بقضائه شبه المجوس العابدي النيران
ولأجله قد دخلوا أهل الكبا ثر في الجحيم كعابدي الأوثان

ولأجله قد أنكروا الشفاعة المختار فيهم غاية النكران.
ولأجله ضرب الامام بسوطهم صديق أهل السنة الشيباني.
ولأجله قد قال جهنم ليس رب العرش خارج هذه الأكوان.
كلا ولا فوق السموات العلى والعرش من رب ولا رحمان.
ما فوقها رب يطاع جباهنا تهوي له بسجود ذي خضعان.
ولأجله جحدت صفات كماله والعرش أخلوه من الرحمن.
ولأجله أفنى الجحيم وجنة المأوى مقالة كاذب فتان
ولأجله قالوا الاله معطل أزلاً بغير نهاية وزمان.
ولأجله قد قال ليس لفعله من غاية هي حكمة الديان.
ولأجله قد كذبوا بنزوله نحو السماء بنصف ليل ثان.
ولأجله زعموا الكتاب عبارة وحكاية عن ذلك القرآن.
ما عندنا شيء سوى المخلوق والقرآن لم يسمع من الرحمن.
ماذا كلام الله قط حقيقة لكن مجاز ويح ذي البهتان.
ولأجله قتل ابن نصر أحمدًا ذاك الخزاعي العظيم الشأن.
إذ قال ذا القرآن نفس كلامه ما ذاك مخلوق من الأكوان.
أي : ولأجله قتل الواصل أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي .

وقصته معروفة ، ذكرها ابن الجوزي في « مناقب الامام أحمد » رحمه الله تعالى . قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في « مناقب الامام أحمد » أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، كان من أهل الدين والصلاح ، والأمارين بالمعروف ، وسمع الحديث من مالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وهشيم في آخرين . وقد روى عنه يحيى بن معين وغيره . وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة ، فأخذ وحمل الى الواثق . فقال له : دع ما أخذت له ، ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله . قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله . قال : أفترى ربك في القيامة ؟ قال : كذا جاءت الرواية . قال : ويحك وكما يرى المحدود المجسم ؟ ودعنا بالسيف ، وأمر بالنطع . فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر بشد رأسه بجبل ، وأمرهم أن يدوه ، ومشى اليه حتى ضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه الى بغداد ، فنصب بالجانب الشرقي أياماً ، وفي الجانب الغربي أياماً .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بإسناده عن أبي بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر أحمد بن نصر . فقال : رحمه الله . ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه . قال الخطيب : ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد ، وجسده مصلوباً بـ « سر من رأى » ست سنين الى أن حط ، وجمع بين رأسه وبدنه ، ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفة بالمالكية ، ودفن في شوال سنة سبع وثلاثين .

وهو الذي جر ابن سينا والأكلى قالوا مقالته على الكفران
فتأولوا خلق السموات العللى وحدوثها بحقيقة الامكان
وتأولوا علم الإله وقوله وصفاته بالسلب والبطلان

وتأولوا البعث الذي جاءت به رسل الإله لهذه الأبدان
بفراقها لعناصر قد رُكبت حتى تعود بسيطة الأركان
وهو الذي جر القرامطة الألى يتأولون شرائع الإيمان
فتأولوا العملي مثل تأول السـ علمي عنكم بلا فرقان
وهو الذي جر النصير وحزبه حتى أتوا بعساكر الكفران
فجرى على الاسلام أعظم محنة وخمارها فينا الى ذا الآن
قوله : وخمارها فينا الى ذا الآن ؛ أي : أن فتن التتار لم تزل الى زمان
الناظم ، وقد تقدم بعض ما فعلوه ببغداد في الفصل الذي أوله :

وأتى ابن سينا بعد ذلك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان
وما جرى على الاسلام من هؤلاء الملاعين كثير شهير ، فان حديثهم يأكل
الاحاديث ، ولا يكن نشير الى بعض ما جرى في عصر الناظم وقبلة ، وما
فعله شيخ الاسلام رحمه الله ، فان له اليد البيضاء في جهادهم ، قرأت في
ترجمته لبعض أصحابه قال : وفي أول رمضان سنة ثنتين وسبعمئة كانت
وقعة شقحب المشهورة ، وحصل للناس شدة عظيمة ، وظهر فيها من
كرامات الشيخ ، وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وفرط شجاعته ،
ونهاية كرمه ، ونصحه للاسلام ، وغير ذلك ما يتجاوز الوصف . قال
بعض أصحابه : ثم ساق الله جيش الاسلام العرمرم المصري صجة أمير
المؤمنين ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سوقاً حشيشاً للقاء التتار ،
فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وأعيان الأمراء ، وكلمهم بمرج الصفر قبلي
دمشق ، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات ، وبقي الشيخ هو

وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بجهاده ولأمة حربه ، يوصي الناس بالثبات ، ويعدهم النصر ، ويبشرهم بالغنيمة ، والفوز بأحدى الحسينين ، إلى أن صدق الله وعده ، وأعز جنده ، وهزم التار وحده ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق ، والشيخ في أصحابه شاك في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، مقبولة شفاعته ، مكرماً ، معظماً ، يقول للمداحين : أنا رجل ملة ، لا رجل دولة ، وأخبرني حاجب من الحجاب ذو دين وأمانة وصدق . قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء : يا فلان الدين ، أو قفني موقف الموت ، فسقته الى مقابلة العدو ، وهم متحدرون لليل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار ، ورفع طرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، ثم انبعث وأقبل على القتال ، ثم حال القتال والالتحام وما عدت رأيت ، حتى فتح الله والنحاز التار الى جبل صغير عصموا أنفسهم به من سيوف المسلمين آخر النهار ، واذا بالشيخ وأخيه يصيحان تحريضاً على القتال ، وتخويفاً للناس من الفرار . فقلت : لك البشارة بالنصر ، فهام محصورون بهذا السفح ، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم ، قال : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ودعاني دعاء رأيت بركته في ذلك الوقت وبعده . وقال ابن فضل الله : وحكي من شجاعته في مواقف الحروب نوبة شقحب ، ونوبة كسروان ، ما لم يسمع الا عن صناديد الرجال ، وأبطال اللقاء ، وأحلاس الحرب ، تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه ، وركب البريد الى مهنا بن عيسى أمير العرب ، واستخضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان ، واستنفره وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره ، ولما جاء السلطان الى شقحب ، لاقاه الى قرب الحرة ، وجعل يشجعه ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التار قال : يا خالد بن الوليد . فقال له : لا تقل هذا ، بل قل يا الله ،

واستغث بالله ربك وحده ، ووحده تنصر ، وقل : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ثم صار نارة يقبل على الخليفة ، ونارة على السلطان ، ويهدبها ، ويربط جأشها ، حتى جاء نصر الله والفتح . وحكي أنه قال للسلطان : أثبت فانك منصور . فقال له بعض الأمراء : قل : ان شاء الله . فقال : ان شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فكان كما قال ، وقبل ذلك في نوبة غازان فعل من أنواع الجهاد وأنواع الخير ، من انفاق الأموال ، وإطعام الطعام ، وغير ذلك ما هو معروف مشهور ، فرحمه الله ورضي عنه .

وجميع ما في الكون من بدع وأحداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان لا تأويل أهل العلم والايان

إذ ذاك تفسير المراد وكشفه وبيان معناه الى الأذهان

قد كان أعلم خلقه بكلامه صلى عليه الله كل أوان

يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان

هذا الذي قالته أم المؤمنين حكاية عنه لها بلسان

فانظر الى التأويل ما تعني به خير النساء وأفقه النسوان

أتظنها تعني به صرفاً عن المعنى القوي لغير ذي الرجحان

وانظر الى التأويل حين يقول علمه لعبد الله في القرآن

ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معناه له بيان

قول ابن عباس هو التأويل لا تأويل جهمي أخي بهتان

هو حقيقة التأويل معناه الرجوع إلى الحقيقة لا إلى البطلان
وكذلك تأويل المنام حقيقة المرئي لا التحريف بالبهتان
وكذلك تأويل الذي قد أخبرت رسل الإله به من الإيمان
نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى يوم المعاد بروية وحيات
لا خلف بين أئمة التفسير في هذا وذلك واضح البرهان
هذا كلام الله ثم رسوله وأئمة التفسير للقرآن
تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر المفهوم للأذهان
ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان
كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا عزل النصوص عن اليقين فذان
تأويل أهل الباطل المردود عند أئمة العرفان والإيمان
وهو الذي لا شك في بطلانه والله يقضي فيه بالبطلان
فجعلتم للفظ معنى غير معناه لديهم باصطلاح ثان
وحملت لفظ الكتاب عليه حتى جاءكم من ذاك المخدوران
كذب على الألفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحان
موتلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان
بإذ يشهدون الزور إن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

اعلم أن كلام الناظم في هذه الآيات هو معنى ما ذكره شيخ الاسلام في « التدمرية » فانه قال : القاعدة الخامسة : لنا نعلم ما أخبرونا من وجهه دون وجهه ، فان الله قال : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ وقال : (أفلم يدبروا القول) المؤمنون : ٦٨ وقال : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ص : ٢٩ وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد : ٢٤ فأمر بتدبر القرآن كله . وقد قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذي في قلوبهم زبغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) آل عمران : ٧ .

وجهور سلف الأمة وخلفها ، على أن الوقف على قوله : (وما يعلم تأويله الا الله) .

وهذا هو المأثور ، عن أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم . وروي عن ابن عباس ، أنه قال : التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجہاته ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وقد روي عن مجاهد ، وطائفة ، أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ، من فاتحته الى خاتمته ، أفقه عند كل آية ، وأسأله عن تفسيرها ، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق ، فان لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات ، مستعملاً في ثلاثة معان : أحدها ، وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه .

وأصوله ، أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترون به ، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ، وهل ذلك محمود ، أو مذموم ، أوحق ، أو باطل ؟ والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير وأمثلة من المفسرين . واختلف علماء التأويل ، وبجاهد إمام المفسرين ، قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد ، فحسبك به ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي ، والبخاري ، وغيرهما ، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد معرفة تفسيره . الثالث من معاني التأويل : هو الحقيقة التي يؤول اليها الكلام ، كما قال تعالى : (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) الاعراف : ٦٣ فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد : هو ما أخبر الله به فيه ، بما يكون من القيامة ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ونحو ذلك ، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ فجعل عين ما وجد في الخارج : هو تأويل الرؤيا ، فالتأويل الثاني : هو تفسير الكلام ، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ ، حتى يفهم معناه ، أو تعرف غلته ، أو دليله ، وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج ، ومنه قول عائشة : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي » يتأول القرآن^(١) يعني قوله (فسيح بحمد ربك وستغفره) النصر : ٤ وقول سفيان بن عيينة : السنة : هي تأويل الأمر

(١) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ،

والنهي ، فان نفس الفعل المأمور به ، هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود
الخبر عنه ، هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر ؛ ولهذا يقول أبو عبيد
وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة ، كما ذكروا ذلك في
استعمال الصماء ، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه ؛ لعلمهم
بقاصد الرسول ﷺ ، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما ، من
مقاصدهما ، ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي ، لا بد
من معرفته ، بخلاف تأويل الخبر . اذا عرف ذلك ، فتأويل ما أخبر
الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو
حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر
الله تعالى به من الوعد والوعيد ، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد .
ولهذا ما يجيء في الحديث ؛ يعمل بحكمه ، ويؤمن بتشابهه ، لأن ما
أخبر الله عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، فيه ألفاظ متشابهة ، يشبه معانيها
ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لحماً ، ولبناً ، وعسلاً ، وخمراً ،
ونحو ذلك ، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى ، ولكن ليس هو
مثله ، ولا حقيقته كحقيقته ، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وان كان
بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ، ان لا يكون لأجلها الخالق مثل
المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته ، والاخبار عن الغائب ، لا يفهم ، إن لم يعبر
عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويعلم بها ما في الغائب ، بواسطة
العلم بما في الشاهد ، مع العلم بالفارق المميز ، وأن ما أخبر الله به من الغيب ،
أعظم بما في الشاهد ، وفي الغائب ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر ؛ فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من
الجنة والنار ؛ علمنا بمعنى ذلك ، وفهمنا ما أريد منا فهمه ، بذلك الخطاب ،

وفسرنا ذلك . وأما نفس الحقيقة المخبر عنها ، مثل التي لم يكن بعد ، وإنما يكون يوم القيامة ؛ فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ؛ ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف ، عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ه قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكذلك قال ربعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الايمان . فبين أن الاستواء معلوم ، وأن كيفية ذلك مجهولة ، ومثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة ، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى ، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله ، فلا يعلم ما هو إلا هو . وقد قال النبي ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في « صحيح مسلم » وغيره . وقال في الحديث الآخر : « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو نزلته في ، كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في « المسند » . و « صحيح أبي حاتم » وأطال الكلام . وهو كلام نفيس ، وهو معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

فما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربع	والله ليس لكم بهن يدان
منها دليل صارف للفظ عن	موضوعه الأصلي بالبرهان

إذ مدّعي نفس الحقيقة مدّع للأصل لم يحتاج إلى برهان
فاذا استقام لكم دليل الصرف يا هيئات طولبتم بأمر ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قلتم هو المقصود بالتيان
فاذا أتيتم ذاك طولبتم بأمر ثالث من بعد هذا الثاني
إذ قلتم إن المراد كذا فما ذا دلکم أنخرص الكهان
هب أنه لم يقصد الموضوع لكن قد يكون القصد معنى ثان
غير الذي عيتموه وقد يكون اللفظ مقصوداً بدون معان
كتعبد وتلاوة ويكو ذا ك المقصد أنفع وهو ذو إمكان
من قصد تحريفها يسمى بتأويل مع الاتعاب للاذهان
والله ما القصدان في حدسوا^(١) في حكمة المتكلم المنان
بل حكمة الرحمن تبطل قصده التحريف حاشا حكمة الرحمن
وكذا تبطل قصده إنزالها من غير معنى واضح التبيان
وهما طريقا فرقتين كلاهما عن مقصد القرآن منحرفان
حاصل كلام الناظم في هذا الفصل ، إلزام أهل التأويل أربعة لوازم ،
ولا سبيل لهم إلى دليل قاطع بها . الأول : المطالبة بدليل صارف للفظ
عن موضوعه الأصلي ، وهو أن الأصل في الألفاظ الحقيقية ، فالمدعي النقل
عن الحقيقة ، يحتاج إلى دليل قاطع ، فاذا أقاموا الدليل الموجب للصرف

عن الحقيقة ، وهيئات ، طولبوا بالأمر الثاني ، وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي
يقوله . فإذا أقاموا احتمالاً أو احتمالين أو ثلاثة ، طولبوا بالدليل على أن المراد
أحد المحتملات ، وليس عندهم إلا التخرص والظن ، وإذا قدرنا أنه لم يقصد
الموضوع ، فقد يكون القصد معنى آخر ، كالتعبد ونحوه . وإذا كان
المقصود بها التعبد والتلاوة ، فذاك القصد أنفع ، وهو ممكن ، وهو أولى
من أن يكون القصد بإزالتها ، تحريفها المسمى بالتأويل ، ولهذا قال الناظم :
والله ما القصدان في حد سواء الخ .. أي : أن حكمة المولى سبحانه تأبى
ذلك ، أي تأبى أن ينزلها سبحانه لقصد التأويل والتحريف ، إلا أن ينزل
الفاظاً ليس لها معان . وإن كانت هاتان الطريقتان الباطلتان ، طريقتين
لفرقتين منحرفتين عن مقاصد القرآن . وقوله : وعليكم في ذا وظائف
أربع الخ .. تقدمت ثلاث منها ، ويأتي الرابع في الفصل بعده ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل

هوأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران
قال المراد حقائق الألفاظ تحسباً وتقريباً إلى الأذهان
عجزت عن الإدراك للمعقول إلا في مثال الحسن كالصبيان
كي يبرز المعقول في صور من المحسوس مقبولاً لذى الأذهان

فتسلط التأويل إبطال لهذا القصد وهو جنابة من جات
هذا الذي قد قاله مع نفيه لحقائق الألفاظ في الأذهان
وطريقة التأويل أيضاً قد غدت مشتقة من هذه الخلقان
وكلاهما اتفقا على أن الحقيقة متنف مضمونها بيان
لكن قد اختلفا فعند فريقكم ما إن أردت قطه بالتيان
لكنّ عندهم أريد ثبوتها في الذهن إذ عذمت من الإحسان
إذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهان أمر ثان
فكلاهما ارتكبا أشد جنابة جنيت على القرآن والايان
جعلوا النصوص لأجلها غرضاً لهم قد خرّقوه بأسهم الهذيان
يعني الناظم أن ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الفلاسفة لما فتح المتكلمون
باب التأويل ، الذي هو تحريف النصوص ، فإن حقيقة قول المتكلمين :
إن الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكناً له ، ولم يزل
كذلك دائماً مدة ، أو تقدير مدة لا نهاية لها ، ثم إنه تكلم وفعل من غير
سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مقعوله هو فعله ، وإرادته بعلة أزلية ، والمفعول
متأخراً ، وجعلوا القادر يرجع أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجع . وكل
هذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته
ورؤيته ، وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الإسلام . والذين
اتبعوا هؤلاء المتكلمين وأثبتوا الصفات . قالوا : يريد جميع المرادات
بإزادة واحدة ، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به ، إنما هو شيء واحد لا يتعدد

ولا يتبعض ، وإذا روي روي بلا مواجهة ولا معاينة وإنه لم يسمع ، ولم ير الأشياء حتى وجدت ، لم يقم به أنه موجود ، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر ، كحالته بعد ذلك ، إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح ، فلما رأيت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء ، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء ، وعلموا فساد هذا ، أظهروا قولهم بقدم العالم ، واحتجوا بأن تجدد الفعل - بعد أن لم يكن ، بمتنع ، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث ، فيكون الفعل دائماً ، ثم ادعوا دعوى كاذبة ، لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها . وهو أنه إذا كان الفعل دائماً ، لزم قدم الأفلاك والعناصر ، ثم لما أرادوا تقرير ، النبوة جعلوها فيضاً فاض من العقل الفعال أو غيره ، من غير أن يكون رب العالمين يعلم أن له رسولاً معيناً ، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا يعلم الجزئيات ولا تنزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ﷺ ، وهو العقل الفعال ، وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبرنا به الرسول ﷺ . وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ ، إنما أراد به خطاب الجمهور ، بما يخيل إليهم ، بما ينتفعون به ، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق ، وعلمت الناس ما الأمر عليه . وهذا معنى قول الناظم حكاية عن ابن سينا . قال : المراد حقائق الألفاظ تخيلاً وتقريباً إلى الأذهان . لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول ، إلا في مثال محسوس . فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس ، حتى تقبله أذهان الجمهور . فيقول الناظم : هذا هو الذي قد قاله ابن سينا ، مع نفيه لحقائق الألفاظ في

الأذهان . فالتأويل عند ابن سينا لأجل إبطال هذا القصد ، ولهذا يحرم
التأويل عند الفلاسفة إلا للعارف ، وأشار الناظم إلى ذلك بقوله :

فلذلك يحرم عندهم تأويله لكنه حل لذي العرفان
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتسلط الأوغاد والأوقاح والـ أرذال بالتحريف والبهتان
كل إذا قابلته بالنص قا بله بتأويل بلا برهان
ويقول تأويلي كتأويل الذين تأولوا فوqية الرحمن
بل دونه فظهورها في الرحي بالنصين مثل الشمس في التبان
أيسوغ تأويل العلو لكم ولا تتأولوا الباقي بلا فرقان
وكذلك تأويل الصفات مع انها مل والحديث ومل ، ذي القرآن
والله تأويل العلو أشد من تأويلنا لقيامة الأبدان
وأشد من تأويلنا لحياته ولعلمه ومشية الاكوان
وأشد من تأويلنا لحدوث هذا العالم المحسوس بالإمكان
وأشد من تأويلنا لبعض الشرا نع عند ذي الانصاف والميزان
وأشد من تأويلنا لكلامه بالفيض من فعال ذي الاكوان
وأشد من تأويل أهل الرفض أخبار الفضائل حازها الشيخان
وأشد من تأويل كل مؤول نصاً بأن مراده الوحيان

إذ صرح الوحيان مع كتب الإله جميعها بالفوق للرحمن
فلأي شيء نحن كفار بهذا التأويل بل أنتم على الإيمان
إنا تأولنا وأنتم قد تأولتم فهاتوا واضح الفرقان
الكم على تأويلكم أجران حيث لنا على تأويلنا وزران
هذي مقاتلهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان
ردوا عليهم إن قدرتم أو ففتحوا عن طريق عساكر الإيمان
لا تحطمنكم جنودهم كحطيم السيل فما لاقى من الديدان
الأوغاد : جمع وغد وهو الذي يخدم بلاء بطنه . والأوقاح : جمع
وقع وهو الذي لإحياء له . يعني أن الأوغاد والأوقاح والارذال من
الباطنية والفلاسفة وغيرهم ، لما رأوا تأويل المتكلمين لعلو الرب سبحانه
وتعالى ، وفوقيته على خلقه ، وكذا تأويلهم لعفاته تعالى . فقال أولئك
للمتكلمين : تأويلكم للعلو أعظم من تأويلنا للقيامة ، وأشد من تأويلنا
لحياته سبحانه وعلمه ومشيته ، وأشد من تأويلنا لحدوث العالم بالإمكان ،
وأعظم من تأويلنا لكلامه بأنه فاض من العقل الفعال ، وأشد من تأويل
الروافض الأخبار التي في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،
وأشد من تأويل كل مؤول ، لأنه قد صرح الوحيان ، وجميع الكتب
الإلهية بالفوقية فلأي شيء نكفر بتأويلنا ، وأنتم مؤمنون . فنحن قد
تأولنا كما تأزلتم ، فهاتوا فرقاً واضحاً ، وهذا معنى قول الناظم : هذي مقاتلهم
لكم في كتبهم الخ . فردوا عليهم إن قدرتم ، وهيات ، وإلا ففتحوا عن

طريق عساكر الإيمان ، فهم الذين يردون على أولئك الأوغاد ، وذلك أنهم
قبلوا ما أخبر الله به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله ، إثباتاً بلا تأويل ،
وتنزيماً بلا تعطيل ، وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله . وقالوا : آمنا به كل
من عند ربنا ، والحمد لله وحده .

قال الناظم :

وكذا نطالبكم بأمر رابع والله ليس لكم بهذا إمكان
وهو الجواب عن المعارض إذ به الد عوى تتم سليمة الأركان
لكن ذاعين المحال ولويسا عدم عليه رب كل لسان
فأدلة الإثبات حقاً لا يقو م لها الجبال وسائر الأكوان
تنزيل رب العالمين ووحيه مع فطرة الرحمن والبرهان
أني يعارضها كناسة هذه الـ أذهان بالشبهات والهديان
وجعاجع وفراقع ماتحتها إلا السراب لوارد ظمان
فلتهنكم هذي العلوم اللاء قد ذخرت لكم عن تابع الإحسان
بل عن مشايخهم جميعاً ثم وفقتم لها من بعد طول زمان
والله ما ذخرت لكم لفضيلة لكم عليهم يا أولي النقصان
لكن عقول القوم كانت فوق ذا قدراً وشأنهم فأعظم شأن
وهم أجل وعلمهم أعلى وأشرف أن يشاب بزخرف الهديان
فلذاك صانهم الإله عن الذي فيه وقعتم صون ذي إحسان

سميت التحريف تأويلاً كذا العطل تنزيهاً هما لقبان
وأضفتم أمراً إلى ذا ثالثاً شراً وأقبح منه ذا بهتان
فجعلتم الإثبات تجسماً وتشبيهاً وذا من اقبح العدوان
فقلبتكم تلك الحقائق مثل ما قلبت قلوبكم عن الإيمان
وجعلتم المدح مذموماً كذا بالعكس حتى استكمل اللسان
وأردتم أن تحمدوا بالاتباع ع نعم لمن يافرقه البهتان؟
وبغيتكم أن تنسبوا للابتداء ع عساكر الآثار والقرآن
وجعلتم الوحيين غير مفيدة للعلم والتحقيق والبرهان
لكن عقول الناكين عن الهدى لهما تفيد ومنطق اليونان
وجعلتم الإيمان كفراً والهدى عين الضلال وذا من الطغيان
ثم استخفيتكم عقولاً ما أرا د الله أن تزكو على القرآن
حتى استجابوا مهطعين لدعوة التعطيل قد هربوا من الإيمان
يا ويحكم لو يشعرون بمن دعا ولما دعا قعدوا قعود جبان
هذا هو الرابع من الأمور التي تقدمت في الفصل قبله ، لأنه طالهم
ثلاثة أشياء ، وبقي الرابع : وهو أنا نطالبهم بالجواب عن المعارض لهم ،
وهو أدلة الإثبات ، وجوابهم عنها عين المحال . وكيف يعارض النصوص
القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والفطرة ، كناسة الآراء والأذهان ،

وجعاجع وفراقع ما تحتها إلا السراب للوارد الظمان ، فليمنهم الاعتياض
بهذه العلوم التي قد ذخرت عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المهديين ،
فإن الله تعالى صانهم ونزههم عن هذا الذي وقع فيه هؤلاء ، نعوذ بالله
من الخذلان .

وقوله : سميتم التحريف تأويلاً الخ . أي : أنهم سموا تحريفاتهم
تأويلاً ، وسموا التعظيم تنزيهاً ، وأضافوا الى ذلك أمراً ثالثاً أقبح وأشنع ،
وهو أنهم سمو الاثبات تجسيماً ونشيهاً ، فقلبوا الحقائق ، وجعلوا الممدوح
مذموماً ، والمذموم ممدوحاً ، فدلسوا ولبسوا .

وقوله : وأردتم أن تحمدوا بالاتباع الخ .. أي : أنهم أرادوا أن
يحمدوا باتباع الكتاب والسنة ، وهم عن ذلك بمراحل ، وهذا معنى قوله :
لكن لمن ، ومع ذلك نسبوا للابتداع عساكر الآثار والقرآن ، وصرحوا
بأن نصوص الوحيين لا تفيد اليقين ، وأن العلم واليقين إنما يستفاد من
غيرهما ، كعقولهم ، ومنطق اليونان ، وقالوا : إذا تعارضت الأدلة اللفظية
والقواطع العقلية بزعمهم ، قدمنا القواطع العقلية ، وجعلوا الايمان كفراً ،
والهدى ضلالاً ، ثم استخفوا أصحاب العقول الضعيفة غير الزكية ، فاستجابوا
مطعين لدعوتهم ، واتبعوه على تحريفهم وتأويلهم .

فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود ولما رثهم التحريف منهم وبراءة أهل
الاثبات بما رموه به من هذه شبه .

هذا وثم بلية مستورة فيهم سأبديها لكم بيان

ورث المحرف من يهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان
فأراد ميراث الثلاثة منهم فعصت عليه غاية العصيان
إذ كان لفظ النص محفوظاً فما التبديل والكتمان في الإمكان
فأراد تبديل المعاني إذ هي المقصود من تعبير كل لسان
فأتى إليها وهي بارزة من الالفاظ ظاهرة بلا كتان
فنفي حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقان
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الالفاظ بالعدوان
وأتى الى حزب الهدى أعظامهم شبه اليهود وذا من البهتان
إذ قال إنهم مشبهة وأنتم مثلهم فمن الذي يلحاني
في متك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن
مراد الناظم رحمه الله أن المحرف ، أي : المؤول وورث ، التحريف من
اليهود . وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان ، فأراد المحرف ميراث
الثلاثة منهم ، فعصت عليه ، ولم يمكنه ذلك ، لأن لفظ النص محفوظ ،
قد تولى الله حفظه ، كما قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ،
الحجر : ٩ فعدل الى تبديل المعاني ، لأنها هي المقصودة بالتعبير ، ولم يمكنه
الكتمان أيضاً ، فنفي حقائقها ، وأعطى لفظها معنى غير معناه الموضوع له ،
فجحد المعنى ، وجنى على اللفظ بالعدوان ، ثم بعد ذلك سمي أهل الاثبات
والهدى مشبهة ، وأنهم مثل اليهود ، وهذا معنى قول الناظم : فمن الذي

يلجاني في هتك أستار اليهود وشبههم . ومعنى يلجاني : ينازعني . قال في « القاموس » لاجاه ملاحاة ولجاء : نازعه . انتهى . أي : من ينازعني في هتك أستار المعطلة ، وتشبيههم باليهود . ثم شرع الناظم في بيان شبههم المحقق باليهود فقال :

يا مسلمين بحق ربكم اسمعوا قولي وعوه وعي ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا الذي أولى بهذا الشبه بالبرهان
أمر اليهود بأن يقولوا حطة فأبوا وقالوا حطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله لغة وعقلاً ما هما سيان
عشرون وجهاً تبطل التأويل باستولى فلا تخرج عن القرآن
تقد أفردت بمصنف هو عندنا تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة قد أبطلت هذا بحسن بيان
هي في الصواعق إن ترد تحقيقها لا تختفي إلا على العميان
نون اليهود ولا م جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان
فهما إذاً في نفهم لصفاته العليا كما بينته أخوات
شرع الناظم رحمه الله تعالى في إيضاح ما ذكره من شبه المعطلة باليهود ،

هوأنهم ورثوا منهم التحريف ، فذكر أن اليهود قيل لهم : (قولوا حطة) البقرة : ٥٨ والأعراف : ١٦١ فأبوا وقالوا : حنطة ، وكذلك الجهمية . قيل لهم : استوى ؟ فأبوا وقالوا : استولى : وليس كذلك ، فإن هذا من جهل الجهمي بمعنى استوى لغة وعقلاً ، وذكر أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل من عشرين وجهاً ، أفردها شيخ الاسلام في مصنف مفرد ، وقد ساقها الناظم فيما تقدم ، وزاد وجهاً فصارت إحدى وعشرين وجهاً . قوله : ولقد ذكرنا أربعين طريقة . أي : وقد أبطلنا تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين طريقاً ، ذكرها الناظم رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » وهو في مجلدات في غاية الاجادة والنفاسة ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً .

وقوله : قد أفردت بمصنف هو عندنا الخ . يعني به شيخ الاسلام كما تقدم .
قوله :

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان
أي : أن الجهمية شابهوا اليهود أيضاً ، فالجهمية نفوا صفات الرب سبحانه ، واليهود وصفوه بالنقصان ، فوصفوه بأنه فقير ، تعالى الله عن ذلك ، وأن يده مغلوله ، ووصفوه بالندم ، والتعب ، تعالى الله وتقدس عن افكهم .

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الأثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة
العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وأنهم أشباهه .

ومن العجائب قولهم فرعون مذ هب العلو وذاك في القرآن
ولذلك قد طلب الصعود اليه بالصرح الذي قد رام من هامان
هذا رأيتاه بكتبهم ومن أفواهم سمعاً الى الآذان
فاسمع إذاً من الذي أولى بفرعون المعطل جاحد الرحمن
وانظر الى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن
فمن المصائب أن فرعونىكم أضحى يكفر صاحب الايمان
ويقول ذاك مبدل الدين سا ع بالفساد وذا من البهتان
ان المورث ذالهم فرعون حين رمى به المولود من عمران
فهو الامام لهم وهاديم بمتبوع يقودهم الى النيران
هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتكليم انكاراً على البهتان
إذ قصده إنكار ذات الرب فالتعطيل مرقاة لذا التكرار
وسواه جاء بسلم وبآلة وأتى بقانون على بنيان
وأتى بذاك مفكراً ومقدراً ورث الوليد العابد الاوثان

وأتى الى التعطيل من أبوابه لا من ظهور الدار والجدران
 وأتى به في قالب التنزيه والتعظيم تليساً على العميان
 وأتى الى وصف العلو فقال ذا التجسيم ليس يليق بالرحمن
 فاللفظ قد أنشأه من تلقائه وكساه وصف الواحد المنان
 والناس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولو كانوا من الشيوخ
 الا أناساً ساءموا الوحي هم أهل البلوغ وأعقل الانسان
 فأتى الصبيان فانقادوا له كالشاء اذ تنقاد للجويان
 فانظر الى عقل صغير في يدي شيطان ما يلقي من الشيطان
 أي : ومن العجائب أن المعطلة تزعم أن العلو مذهب فرعون ، وهذا
 من قلب الحقائق وقد تقدم توضيح ذلك . قوله : إذ قصده إنكار ذات
 الرب تعالى الخ . أي : إن قصد فرعون المعين إنكار ذات الرب تعالى . قوله :
 وسواه جاء بسلم وبآلة الخ ، أي : أن هؤلاء النفاة ، وضعوا القوانين فيما
 جاءت به الانبياء عن الله ، فما وافق تلك القوانين قبلوه ، وما خالفها لم
 يتبعوه ، وتأملوه أو فوضوه ، قوله : وأتى بذلك مفكراً ومقدراً .
 أي : الثاني فكر وقدر فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسله ،
 وأنه ورث بذلك الوليد بن المغيرة ، الذي ذكره الله تعالى في قوله : (انه
 فكر وقدر) اندثر : ١٣ الآية . ورحم الله الناظم ، فلقد استعظم نسبتهم
 مذهب العلو الى فرعون ، فلودفع الى زمن من زاد في الطنبور نعمة ،
 وصنف مصنفاً في إيمان فرعون ، وإن كان المحيي ابن عربي قد زعم ذلك ،

فذهبه معلوم ، ومشربه مذموم ، فالله المستعان . قوله : إذ تنقاد
للجويان ، وهو الراعي .

فصل

في بيان تدليسهم وتلييسهم الحق بالباطل

قالوا اذا قال المجسم ربنا حقاً على العرش استوى بلسان
فسلوهم للعرش معنى واستوى أيضاً له في الوضع خمس معان
وعلى فكم معنى لها أيضاً لدى عمرو فذاك إمام هذا الشأن
بين لنا تلك المعاني والذي منها أريد بواضح التبيان
يعني أن المعطلة لشدة تدليسهم وتلييسهم ، قالوا : إذا قالت المثبتة :
إن الله تعالى استوى على العرش ، فسلوهم : كم للعرش معنى . واستوى : كم
معنى لها لدى عمرو . أي عند عمرو ، وهو سيديويه ، إمام النحاة ، فإن اسمه
عمرو بن عثمان بن قنبر . قال صاحب « العواصم والقواصم » : إذا قال
لك المجسم (الرحمن على العرش استوى) : طه : ه فقل : استوى على
العرش ، تستعمل على خمسة عشر وجهاً ، فأيا تريد ؟ انتهى . قال
شيخ الاسلام في تفسير سورة (الإخلاص) : ومن قال : الاستواء له معان
متعددة ، فقد أجمل كلامه ، فإنهم يقولون : استوى فقط ، ولا يصلونه بحرف ،
وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا ، وله معنى ، واستوى إلى كذا ،
وله معنى ، واستوى مع كذا ، وله معنى ، فتنوع معانيه بحسب صلاته .

وأما استوى على كذا ، فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد . قال تعالى : (فآزره فاستعاض فاستوى على سوقه) الفتح : ٢٩ وقال : (واستوت على الجودي) هود : ٤٤ وقال : (لتستوها على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا ستويتم عليه) الزخرف : ١٣ وقد أتى النبي ﷺ بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » . وقال ابن عمر : أهل رسول الله ﷺ بالحج ، فلما استوى على بعيره . . . وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله ايضاً ، فلا يسمون المائل على الشيء مستوياً عليه . ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال : استوا .
وقوله :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق
هو من هذا الباب ، فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها ، أي على كرسي منكبها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ، إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى أيضاً على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ، ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا ، وإنما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد : فإنه مستو على سرير ملكه ، كما يقال : جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً) يوسف : ١٠٠ وقوله : (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء

ولها عرش عظيم (النمل : ٢٣) وقول الزمخشري وغيره : استوى على كذا ، بمعنى ملك دعوى ، مجردة ، فليس لها شاهد في كلام العرب . ولو قدر ذلك لكان بهذا المعنى باطلاً في استواء الله على العرش ، لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض ، كإدلال على ذلك الكتاب والسنة ، فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستيلاء عليه مؤخراً عن خلق السموات والأرض ؟ وإيضاً فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، لا يخص العرش بالاستواء ، وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : (ورب العرش) المؤمنون : ٨٦ فإنه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ، ورب كل شيء ، وأما الاستواء المختص بالعرش ، فلا يقال : استوى على العرش ، وعلى كل شيء ، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء ، ولا وجد في كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة ، وفي كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التي تخص وتعم ، كقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق) العلق : ١-٢ فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف إلى غيره لا خصوصاً ولا عموماً ، وهذا مبسوط في موضع آخر . انتهى كلامه .

قال الناظم :

فاسمع فداك معطل هذي السجعا جمع ما الذي فيها من الهذيان
قل للمجعجع ويحك اعقل ما الذي قد قلته إن كنت ذا عرفان
العرش عرش الرب جل جلاله واللام للمعهود في الأذهان

ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعاف
ومحمد والانباء جميعهم شهدوا به للخالق الرحمن
منهم عرفناه وهم عرفوه من رب عليه قد استوى ديان
لم تفهم الأذهان منه سرير بلقيس ولا بيتاً على الأركان
كلا ولا عرشاً على بحر ولا عرشاً لجبريل بلا بنيان
كلا ولا العرش الذي إن ثل من عبد هوى تحت الحضيض الداني
كلا ولا عرش الكروم وهذه الأعتاب في حرث وفي بستان
لكنها فهمت بحمد الله عرش الرب فوق جميع ذي الأركان
وعليه رب العالمين قد استوى حقاً كما قد جاء في القرآن
أي أن قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٤٤ المراد
به عرش الرب سبحانه ، واللام للعهد الذهني ولا تفهم الأذهان من العرش
غير ذلك ، كعرش بلقيس المذكور في قوله تعالى : (ولها عرش
عظيم) النحل : ٢٣ ولا بيتاً على الأركان كما في قوله تعالى : (خاوية على
عروشها) البقرة : ٢٥٩ ولا عرشاً على الماء المذكور في حديث رواه سنيد
بن داود في تفسيره مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : « إن إبليس اتخذ عرشاً
على الماء مثل عرش الرحمن عز وجل ... » الحديث ، وهو حديث
منكر ، ولا عرشاً لجبريل ولا العرش المذكور في قولهم : ثل عرشه ،
أي : ذهب سلطانه وجاهه ونحو ذلك ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : كاد
عرشي أن يثل ، ولا عرش الكروم . قال ابن عباس : معروشاً : ما يعرش

من الكرم ، والعروش الأبنية ، وعرش البيت سقفه ، ولا العروش التي هي البيوت من سقف ونحوه . وهذا بحمد الله من أظهر المعارف التي لا تحتاج الى الاسهاب والاطناب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ظهر المراد به ظهور بيان
لافيه إجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثاني.
تركيبه مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان
فاذا تركب مع الى فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيد بتمام صنعتهما مع الاتفاق
لكن على العرش استوى هو مطلق من بعد ما قد تم بالاركان
لكنها الجهمي يقتصر فهمه عن ذاك فتلك مواهب المنان
فاذا اقتضى واو المعية كان معناه استواء مقدم والثاني
فاذا أتى من غير حرف كان معناه الكمال فليس ذا نقصان.
لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان
وعلى الاستعلاء فهي حقيقة فيه لدى أرباب هذا الشأن
أما الاستواء المطلق فله عدة معان، فإن العرب تقول : استوى كذا ،
أي : انتهى ، وكمل . ومنه قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص : ١٤
وتقول : استوى وكذا نحو قولهم : استوى الماء والخشب ، واستوى الليل

والنهار إذا سواه. وتقول : استوى إلى كذا : إذا قصد إليه علواً وارتفاعاً .
نحو : استوى إلى السطح والجبل . واستوى على كذا ؛ أي : ارتفع
عليه ، ولا تعرف العرب غير هذا ، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل
غير معناه ، كما هو نص في قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص : ١٤ .
لا يحتمل غير معناه ، ونص في قولهم : استوى الليل والنهار ، في معناه لا يحتمل غيره .
وقول الناظم : تركيبه مع حرف الاستعلاء نص الخ . أي : أن استواء
الرب سبحانه المعدي بأداة على المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بـ ثم
على خلق السموات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ،
لا يحتمل معنيين البتة ، فاستواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة
على ، نص في معناه لا يحتمل سواه ، والله علم .

قال الناظم رحمه الله :

وكذلك الرحمن جل جلاله لم يحتمل معنى سوى الرحمن
يا ويحه بعماه لو وجد اسمه الرحمن محتملاً لخمس معان
لقضى بأن اللفظ لا معنى له إلا التلاوة عندنا بلسان
فلذلك قال أئمة الاسلام في معناه ما قد ساءكم بيان
ولقد أحلناكم على كتب لهم هي عندنا والله بالكيان
يقول الناظم رحمه الله : وكذلك اسم الرحمن لا يحتمل معنى
سوى الرحمن .

قوله : يا ويحه بعماه ، أي : يا ويح المعطل بسبب عماه ، لو وجد اسم

الرحمن محتملاً لخمسة معانٍ لأظهرها، وقضى، أي حكم بأنه لا معنى للرحمن إلا التلاوة . وقد قال أئمة الاسلام في معناه : ما ساءكم أيها المعطلة ، وهو موجود في كتبهم بالكيان ، أي : بالكثرة . ولنذكر بعض ما ذكره العلماء في معنى الرحمن الرحيم . كما أحال على ذلك الناظم ، فيها اسمان مشتقان من رحم يجعله لازماً بنقله إلى باب فعل بضم العين ، أو بتنزيله منزلة اللازم ، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً . كما في قطع وقطع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة ، كحذر وحاذر ، فإن حذر أبلغ من حاذر . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله . والرحيم : ذو الرحمة الكثيرة .

وقال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيما بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه لا ينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة تجري تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم في القرآن . ورد غير تابع معنى ، كقوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) الرحمن : ١ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم . ولا كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن بحيته مفرداً غير تابع ، كمجيء اسمه (الله) كذلك ، وهذا لا ينافي دلالاته على صفة الرحمن ، كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ، ولم يجيء قط تابعاً لغيره ، بل متبوعاً ، بخلاف العليم والتقدير والسميع والبصير ، ولهذا لا يجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله تعالى : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم . وكأن الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة حقه ، أي صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه رحمة ، أي : صفة فعل له سبحانه ، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيماً) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط ورحمن بهم ، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته .

قال رحمه الله تعالى : وهذه النكتة لا تكاد تجدوها في كتاب ، وإن تنقست عندها مرآت قلبك ، لم تنجل لك صورتها . انتهى .

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .

واللفظ منه مفرد ومركب في الاعتبار فما هما سيان
واللفظ في التركيب نص في الذي قصد المخاطب منه في التبيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نسبته إلى الأفهام والأذهان
فيكون نصاً عند طائفة وعنب سواهم هو ظاهر التبيان
ولدى سواهم مجمل لم يتضح لهم المراد به اتضح بيان

فالأولون لإفهم ذاك الخطأ ب وإفهم معناه طول زمان
طال المراس لهم لمعناه كما اشتدت عنايتهم بذلك الشأن.
والعلم منهم بالمخاطب إذ هم أولى به من سائر الإنسان.
ولهم أتم عناية بكلامه وقصوده مع صحة العرفان
فخطابه نص لديهم قاطع فيما أريد به من التبيان.
لكن من هو دونهم في ذاك لم يقطع بقطعهم على البرهان.
ويقول يظهر ذا وليس بقاطع في ذهنه لا سائر الأذهان.
ولإلفه بكلام من هو مقتد بكلامه من عالم الازمان
هو قاطع بمراده وكلامه نص لديه واضح التبيان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل أن الألفاظ قسمان : مفرد
ومركب ، وأن المركب نص في الذي قصد المخاطب ، أو ظاهر ، وأن ذلك
من الامور النسبية ، أي : بالنسبة الى الافهام والأذهان ، فيكون نصاً بالنسبة
الى طائفة ، وعند طائفة هو ظاهر ، وعند غيرهم هو مجمل ، والمجمل هو
اللفظ المتروك بين محتملين فأكثر على السواء ، وقيل : ما لم تتضح دلالاته ،
وقيل : ما أفاد جملة من الاشياء . وقيل : ما لا يفهم منه عند الإطلاق . معنى ..
أي : معين . وقيل : ما لا يفهم منه مراد المتكلم .

قوله : فالأولون ، أي : الطائفة الأولى بسبب الفهم للخطاب والفهم
للمعنى ، وطول ممارستهم لمعناه لشدة عنايتهم بمعرفة الخطأ ، وعلمهم

بالمخاطب - بكسر الطاء - فيكون خطابه عندهم نصاً قاطعاً . وأما الطائفة الأخرى فهم لنقصهم عن الأولين في تلك الحصال التي تقدمت ، يرون ذلك ظاهراً ، أي : بالنسبة إليهم لا إلى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : وليس بقاطع الخ . وأما كلام من هو مقتد بكلامه من العلماء فهو لإلفه بكلامه : يقطع برأيه ، وكلامه عنده نص واضح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والفتنة العظمى من المتسلق المـ خدوع ذي الدعوى أخى الهذيان

لم يعرف العلم الذي فيه الكلا	م ولا له إلف بهذا الشأن
لكنه منه غريب ليس من	سكانه كلاً ولا والجيران
فهو الزنيم دعي قوم لم يكن	منهم ولم يصحبهم بمكان
وكلامهم أبداً لديه مجمل	وبمعزل عن إمرة الايقان
شد التجارة بالزيوف يخالها	نقداً صحيحاً وهو ذو بطلان
حتى إذا ردت إليه ناله	من ردها خزي وسوء هوان
فأراد تصحيحاً لها إذ لم يكن	نقد الزيوف يروج في الأثمان
ورأى استحالة ذابدون الطعن في	باقي النقود فجاء بالعدوان
واستعرض الثمن الصحيح بجهله	وبظلمه يبيغه بالبهتان
عوجاً ليسلم نقده بين الورى	ويروج فيهم كامل الأوزان

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى القائلين بالإجمال ، وهم المدعون الذين لم يعرفوا العلم الذي فيه الكلام ، ولا إلف لهم به ، فهم غرباء منه ليسوا من سكانه فلا جيرانه ، فاذا وجدوا الكلام فهو لديهم مجمل وبمعزل عن اليقين .

قوله : فهو الزنيم دعي قوم ... الخ . قال في « القاموس » : الزنيم : المستلحق في قوم ، والدعي مزنم كمعظم : اللئيم المعروف بلؤمه أو شره انتهى . وفي « مختار الصحاح » : الزنيم : المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه ، وكأنه فيهم زنة ، وهي شيء يكون للمعز في آذانها كالقرط ، وهي أيضاً شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً . وقوله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) القلم : ١٣ قال عكرمة : هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنتها . انتهى .

قوله : شد التجارة بالزيوف .. الخ . قال في « القاموس » : والدرهم زيوفاً ، صارت مردودة لعش درهم زيف وزائف ، أو الأولى ردية جمع زياف ، وفلان الدراهم جعلها زيوفاً كزيفها هي ، أي : إن تجارته وبضاعته في العلم زيوف وهو يظنها نقوداً صحيحة ، فلما ردت عليه ناله من ردها أشد الحزى وأعظم الموان ، فأراد تصحيحها ، وأنى ذلك ؟ فصار يطعن في باقي النقود الصحيحة بجهله وظلمه ، يبغيها عوجاً حتى يسلم ذلك النقد الزائف بين الناس ويروج بين الجهال والطفام .

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس ليسوا أهل نقد للذي قد قيل إلا الفرد في الازمان
والزيف بينهم هو النقد الذي قد راج في الأسفار والبلدان

إذ هم قد اصطالحوا عليه وارتضوا بجوازه جبراً بلا كتمان
فإذا أتاهم غيره ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان
ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره بمراسم السلطان
فإذا تعاملنا بنقد غيره قطعت جوامعنا من الديوان
والله منهم قد سمعنا ذا ولم نكذب عليهم وبيع ذي البهتان
أي : أن أكثر الناس ليسوا بأهل معرفة للزيف ، اللهم إلا الواحد
بعد الواحد في الأزمنة . والنقد الزائف هو الذي قد راج بين الناس ، فإذا
أتى الناس غيره ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان : أي : الذهب ، لأن
العقيان هو الذهب ، ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره ، فإذا تعاملنا بغير
ذاك النقد قطعت جوامعنا من الديوان .
قوله : والله منهم قد سمعنا ذا .. الخ . وبش .. ما فعلوا حيث
اعتاضوا عن الآخرة بالدنيا والله أعلم .
قال الناظم رحمه الله :

يا من يريد تجارة تنجيه من غضب الإله وموقد النيران
وتفيدة الأرباح بالجنات والـحـور الحسان ورؤية الرحمن
في جنة طابت ودام نعيمها مال الغناء عليه من سلطان
هيء لها ثمناً تباع بمثله لا تشتري بالزيف من أثمان
نقداً عليه سكة نبوية ضرب المدينة أشرف البلدان

أظننت يا مغرور بأعها الذي يرضى بنقد ضرب جنك سخان
ممتك والله المحال النفس إن طمعت بذنا وخذعت بالشيطان
فاسمع إذا سبب الضلال ومنشأ التخليط اذ يتناظر الخصمان
يحتج باللفظ المركب عارف مضمونه بسياقه لبيان
واللفظ حين يساق بالتركيب محفوف به للفهم والتبيان
جند ينادي بالبيان عليه مثل ندائنا بأقامة وأذان
كي يحصل الإعلام بالمقصود من إirاده ويصير في الأذهان
خيفك تركيب الكلام معاند حتى يقلقله من الأركان
ويروم منه لفظه قد حملت معنى سواءه في كلام ثان
فيكون دبوس السلاق وعدة للدفع فعل الجاهل الفتان
فيقول هذا مجمل واللفظ محتمل وذا من أعظم البهتان
وبذاك يفسد كل علم في الوردى والفهم من خبر ومن قرآن
إذا كثرت الألفاظ تقبل ذاك في الأفراد قبل العقد والتبيان
الكن إذا ما ركبت زال الذي قد كان محتملا لدى الواحدان
فإذا تجرد كان محتملا لغير مراده أو في كلام ثان
يمكن ذا التجريد ممتنع فان يفرض يكن لاشك في الأذهان

والمفردات بغير تركيب كمثل الصوت تنعقه بتلك الضان
وهناك الاجمال والتشكيك والتجهيل والتحريف والاتيان بالبطلان
فاذا هم فعلوه راموا نقله لمركب قد حف بالتيان
وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الواحد
جهلاً وتجهيلاً وتدليساً وتلبيساً وترويحاً على العميان
يعني الناظم رحمه الله أن اللفظ حين يساق بالتركيب فمحفوظ به من
القرائن ما يبين المراد، وذلك معنى قوله : جند ينادي عليه ... الخ . أي :
فاذا أتى معاند وفك تركيب الكلام وقلقل أركانه، وأراد منه لفظة قد حملت
معنى آخر في كلام ثان .

وقوله : فيكون دبوس السلاق . قال في « القاموس » : دبوس كتور
واحد الدبابيس له مقامع كأنه مرب . سلق العظم : التحاه وفلاناً طعنه ،
خيقول : يحتمل ويحتمل ، وهذا اللفظ مجمل ، فبذاك تفسد علوم الوري ، لأن ،
أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الأفراد قبل التركيب . ولكن الأمر كما قال
الناظم : التجريد ممتنع ، وإن فرض فهو في الأذهان . وأما المفردات فهي كمثل
الصوت تنعقه بالضان ، وقصدهم بذلك التشكيك والتجهيل والتحريف
والله المستعان .

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضالهم	وضلالهم في المنطق اليونان
كمجردات في الخيال وقد بنى	قوم عليها أو هن البنيات
ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً	ووجودها لو صح في الأذهان
أنى وتلك مشنصات حصلت	في صورة جزئية بعيان
لكنها كلية إن طابقت	أفرادها كاللفظ في الميزان
يدعونه الكلي وهو معين	فرد كذا المعنى هما سيان
تجريد ذا في الذهن أو في خارج	عن كل قيد ليس في الامكان
لا الذهن يعقله ولا هو خارج	هو كالتخيل لطيفة السكران
لكن تجردها المقيد ثابت	وسواه ممتنع بلا إمكان
فتجرد الاعيان عن وصف وعن	وضع وعن وقت لها ومكان
فرض من الأذهان يفرضه كفر	ض المستحيل هما لها فرضان
الله أكبركم دهمى من فاضل	هذا التجرد من قديم زمان
تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها	وكذاك تجريد المعاني الثاني

والحق أن كليهما في الذهن مفروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان
فيقودك الخصم المعاند بالذي سامته للحكم في الأعيان
فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجملوا فعليك بالبيان
يعني الناظم رحمه الله تعالى أن غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ،
يشبه غلط الفلاسفة في تجريد المعاني ، وذلك أن الفلاسفة يزعمون أن الجواهر
العقلية التي هي العقل والنفس والمادة والصورة ، لها حقيقة في الخارج ،
والصواب أنه لاحقيقة لها في الخارج ، وإنما هي أمور معقولة في الذهن يجردها
العقل من الأمور المعينة ، كما يجوز العقل الكليات المشتركة بين الأصناف
كالحيوانية الكلية ، والانسانية الكلية . والكليات إنما تكون كليات في
الأذهان لا في الأعيان ، وهذا معنى قول الناظم : يدعونه الكلي وهو
معين ... الخ .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات ، وأن في الخارج
ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة ، وكذلك منهم من يثبت
كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية ، ومنهم يثبت دهرًا مجردًا عن
المتحرك والحركة ، ويثبت خلاهًا مجردًا ليس متحيزًا أو لا قائمًا بمتحيز ، ويثبت
هيولى مجردة عن جميع الصور . الهيولى في لغتهم بمعنى : المحل . يقال للفضة
هيولى الخاتم ، والدرهم والحشب هيولى الكرسي ، أي هذا المحل الذي تصنع
فيه هذه الصورة . وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، ويدعون
أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، وهذا
غلط ، وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل تمتد ، وعدد
مجرد عن كل معدود ، ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهذه كلها أمور

مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان ، وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها ، وأخذوها مطلقة أخرجوها عن مسمياتها ، وماهياتها جميع القيود الخارجية ، فلم يجعلوها داخلية في حقيقتها ، فأنبتوا إنساناً لا طويلاً ولا قصيراً ، ولا أسود ولا أبيض ، ولا في زمان ولا في مكان ، ولا ساكناً ولا متحرراً ، ولا هو في العالم ولا خارجه ، ولا له لحم ولا عظم ، ولا عصب ولا ظفر ، ولا له شخص ولا ظل ، ولا يوصف بصفة ، ولا يتقيد بقيد . ثم راوا الإنسان الخارجي بخلاف ذلك كله ، فقالوا : هذه عوارض خارجية عن حقيقته ، وجعلوا حقيقته تلك الصورة الحالية التي جردوها ، فهي المعنى الحقيقة هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود ، وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنساناً في الخارج ، لأنها خارجة عن حقيقته ، كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيداً إلا بها ، مقتضية لمجازها ، فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين ، هؤلاء في تجريد المعاني ، وهؤلاء في تجريد الألفاظ ، وتأمل ما دخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في اللفظ والمعنى ، وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وهذا معنى قول الناظم : فتجرد الأعيان عن وصف ... الخ . أي إن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان إنها هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل . قوله : الله أكبركم دهي من فاضل ، فإياك والإصغاء إلى التجريد بن ، لأن الحق أنها مفروضة في الذهن ، فلا تسلم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيها ، فيقودك الخصم المعاند بهذا الذي سامته وتصير مغلوباً معه مقهوراً والله أعلم .

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان
وأبوا بأن يتمسكوا بظواهر النصين وأعجبوا من الخذلان
قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والبيان
فاذا تأولنا عليهم كان إبطالاً لما راموا بلا برهان
فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيان
باليتمهم أجروا نصوص الوحي ذالاً مجرى من الآثار والقرآن
بل عندهم تلك النصوص ظواهر لفظية عزلت عن الايقان
لم تغن شيئاً طالب الحق الذي ينبغي الدليل ومقتضى البرهان
وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ سموه تأويلاً بوضع ثان
فانظر إلى الأعراف ثم ليوسف والكهف وافهم مقتضى القرآن
فاذا مررت بآل عمران فهمت القصد فهم موفق رباني
معنى كلام الناظم في هذا الفصل أن النفاة تمسكوا بظواهر المنقول عن
مشايخهم ، وأبوا عن التمسك بظواهر النصين ، ويجرم عندهم تأويل قول
المشايخ ، لأن قصدهم الشرح والبيان قالوا : فاذا تأولنا عليهم ، كان :

ذلك إبطاً لما قصدوه ، فلذلك حملوا نصوصهم على ظواهرها ، واعتقدوها على حقيقتها ، فبالتهم أجروا نصوص الكتاب والسنة هذا المجري ، ولكن عندهم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، ولذلك سطوا عليها بالتحريف ، ومحوه تأويلًا ، وتأويلهم هذا ليس هو المعنى بالتأويل في الكتاب والسنة ، ولهذا قال الناظم : فانظر الى الأعراف .. الخ يعني قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) الأعراف : ٥٣ وقوله تعالى في سورة يوسف : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ وقوله تعالى في سورة الكهف عن الخضر في قصة موسى : (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) الكهف : ٨٣ .

قوله : فاذا مررت بآل عمران ... الخ . يعني قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) آل عمران : ٧ . قال شيخ الاسلام : إن الصواب قول من يجعله معطوفاً ، وتكون الواو لعطف المفرد على مفرد ، أو يكون كلا القولين حقاً ، وهي قراءتان ، والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، وأن الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفي علمه عن غير الله ، هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره ، وهذا فيه نظر ، وابن عباس جاء عنه أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ، إن الراسخين لا يعلمون تأويله ، وجاء عنه أنه قال : التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالة ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم ، وأن فيه ما لا يعلمه إلا الله ، فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله :

﴿ الا الله ﴾ آل عمران : ٧ جعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .
انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعلمت أن حقيقة التأويل تبين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفاً لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بهذا ك الاصطلاح وذاك أمر دان
هوأتوا الى الالحاد في الأسماء والتحرير للالفاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تليسا وتد ليسا على العميان والعوران
تقدم معنى هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هاستن كل منافق ومكذب من باطني قرمطي جاني
في ذا بسنتهم وسمى ججده للحق تأويلا بلا فرقات
هوأتى بتأويل كتأويلاتهم شبرا بشبر صارخاً بأذات
إنا تأولنا كما أولتم فأتوا نحاكمكم الى الوزان
بني الكفتين تحط تأويلاتنا وكذاك تأويلاتكم بوزان
هذا وقد أقررتم أنا بأيدينا صريح العدل والميزان
وغدوتم فيه تلاميذا لنا أو ليس ذلك منطق اليونان

منا تعلمتم ونحن شيوخكم لا تجحدونا منة الاحسان
فسلوا مباحثكم سؤال تفهم وسلوا القواعد ربة الاركان
من أين جاءتكم وأين أصولها وعلى يدي من يا أولي النكران؟؟
فلأي شيء نحن كفار وأنتم مؤمنون ونحن متفقان؟
إن النصوص أدلة لفظية لم تفض قط بنا الى إيقان
فلذاك حكمنا العقول وأنتم ايضاً كذاك فنحن مصطلحان
فلأي شيء قد رमित بيننا حرب الحروب ونحن كالاخوان
الاصل معقول ولفظ الوحي معزول ونحن وأنتم صنوان
لا بالنصوص نقول نحن وأنتم ايضاً كذاك فنحن مصطلحان
فدروا عداوتنا فان وراءنا ذاك العدو الثقيل ذو الاضغان
فهمُ عدوكمُ وهم أعداؤنا فجميعنا في حربهم سيان
تقدم الكلام في معنى هذه الايات، ومعنى ذلك أن القرامطة والباطنية
ونحوهم من أعداء الشريعة ، كلهم يقولون لنفاة علو الرب تعالى على عرشه
وصفاته : تأويلنا ما في الكتاب والسنة ، من ذكر المعاد، وحياة الرب ،
ومشيئته ، وعلمه ، وتأويلنا لحدوث العالم ونحو ذلك كتأويلكم ،
فلأي شيء نحن كفار ، وأنتم مؤمنون ؟ ! فهاتوا واضح الفرق بيننا
وبينكم ، ولن يجد المتكلمون إلى ذلك سبيلاً ، فإن القرامطة والباطنية ،

لما جحدوا الشريعة ، وتناولوا التأويلات الشنيعة ، فتناولوا العمليات مع العمليات ، فقالوا : الصلوات الخمس معرفة أسرارنا ، وصيام شهر رمضان كتمان أسرارنا ، والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين ، ولما فتح لهم هذا الباب الجهمية والرافضة ، حيث صار بعضهم يقول : الامام المبين علي بن أبي طالب ، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، والبقرة المأمور بذبحها عائشة ، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ، فلسان حال القرامطة أوقالهم يقول للجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل التحريف والتأويل : إذا كنا نحن وانتم قد حكمنا العقول . فلا شيء تنصبون لنا العداوة ، وترمون بيننا الحرب ؟! فإن العرش عندنا وعندكم ليس فوقه إلا العدم المحض ، والنفي الصرف ، وكذا عندنا أن الكتب المنزلة ليست كلام الله ، بل هي فيض من (العقل) الفعال ، وعندكم أنها مخلوقة ، فعندنا وعندكم أنه لا قول لله سبحانه في الأرض ، وليس فوق السماء رب ، وكذا عندنا رؤيته تعالى محال ، وعند متقدميكم أنه لا يرى ، لكن متأخروكم يقولون : يرى رؤية المعدوم ، لأنهم يقولون : يرى ولكن لا بشرط اتصال الأشعة ، ومقابلة الرأي المرئي ، فعلام هذا الحرب مع الوفاق ، والصلح الذي بيننا ؟! فدعوا عداوتنا ، واحملوا معنا على الجهمة ، فانهم أعداؤنا وأعداؤكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

تلك المجسمة الألي قالوا بأن الله فوق جميع ذي الاكوان
واليه يصعد قولنا وفعالنا واليه ترقى روح ذي الايمان

واليه قد عرج الرسول حقيقة وكذا ابن مريم مصعد الابدان

وكذاك قالوا إنه بالذات فوق العرش قدرته بكل مكان

وكذاك ينزل كل آخر ليلة نحو السماء فهاهنا جهتان

الابتداء والانتهاء وذان للـ أجسام أين الله من هذان

وكذاك قالوا إنه متكلم قام الكلام به فيا إخوان

أيكون ذلك بغير حرف أم بلا صوت فهذا ليس في الامكان

ولذاك قالوا ما حكينا عنهم من قبل قول مشبه الرحمن

فذرّوا الخراب لنا وشدوا كلنا جمعاً عليهم حملة الفرسان

حتى نسوقهم بأجمعنا الى وسط العرين ممزقي اللحمان

قال في « القاموس » : العرين كأمير : مأوى الأسد ، والضع ،
والذئب ، والحية . انتهى .

ولقد كوونا بالنصوص ومالنا بلبقاءها أبد الزمان يدان

كم ذابقال الله قال رسوله من فوق أعناق لنا وبنان

اذ نحن قلنا قال أرسطو المعلم أولاً او قال ذلك الثاني

وكذاك ان قلنا ابن سينا قال ذا او قاله الرازي ذو التبيان

قالوا لنا قال الرسول وقال في البقرآن كيف الدفع للقرآن

وكذاك أنتم منهم ايضاً بهـ هذا المنزل الضنك الذي تريان

ان جئتموهم بالعقول اتوكم بالنص من اثر ومن قرآن
فتحالفوا انا عليهم كلنا حزب ونحن وانتم سامان
فاذا فرغنا منهم فخلافتنا سهل فنحن وانتم اخوان
فالعرش عند فريقنا وفريقكم ما فوقه اُحد بلا كتمان
ما فوقه شيء سوى العدم الذي لا شيء في الالعيان والاذهان
ما الله موجود هناك وانما الـ عدم المحقق فوق ذي الالكوان
والله معدوم هناك حقيقة بالذات عكس مقالة الديسان
هذا هو التوحيد عند فريقنا وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جماعتنا على التحقيق في التوراة والانجيل والفرقان
ليست كلام الله بل فيض من الـفعال او خلق من الالكوان
فالارض ما فيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان
بشر اتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وانتم مثلان
ولذلك قلنا ان رؤيتنا له عين المحال وليس في الامكان
وزعمتم انا نراه رؤية الـمعدوم لا الموجود في الالعيان
اذ كل مرئي يقوم بنفسه او غيره لابد في البرهان
من ان يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مشروط وتدان

ولقد تساعدنا على ابطال ذا أنتم ونحن فما هنا قولان
أما البلية فهي قول مجسم قال القرآن بدا من الرحمن
هو قوله وكلامه منه بدا لفظا ومعنى ليس يفترقان
سمع الامين كلامه منه وأداه الى المختار من انسان
فله الأداء كما الأداء لرسوله والقول قول الله ذي السلطان
هذا الذي قلنا وأتمم إنه عين المحال وذاك ذو بطلان
فاذا تساعدنا جميعاً انه ما بيننا لله من قرآن
إلا كيت الله تلك اضافة المخلوق لا الأوصاف للديان
فعلام هذا الحرب فيما بيننا مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان؟!
فاذا أيتم سامنا فتحيزوا لمقالة التجسيم بالاذعان
عودوا مجسمة وقولوا ديننا الى إثبات دين مشبه الديان
أولا فلا منا ولا منهم وذا شأن المناق إذ له وجهان
هذا يقول مجسم وخصومه ترميه بالتعطيل والكفران
هو قائم هو قاعد هو جاحد هو مثبت تلقاه ذا لوان
يوماً بتأويل يقول وثارة يسطو على التأويل بالانكران

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول

فنقول فرق بين ما أولته ومنعته تفريق ذي برهان
فيقول ما يفيض إلى التجسيم أو لناه من خبر ومن قرآن
كالاستواء مع التكلم هكذا لفظ النزول كذلك لفظ يدان
إذ هذه أوصاف جسم محدث لا ينبغي للواحد المتان
فنقول أنت وصفته أيضاً بما يفيض إلى التجسيم والحديثان
فوضعه بمشيئة مع قدرة وكلامه النفسي وهو معان
أو واحد والجسم حامل هذه الـ أوصاف حقاً فأت بالفرقان
بين الذي يفيض إلى التجسيم أو لا يقتضيه بواضح البرهان
والله لو نشرت شيو خك كلهم لم يقدرُوا أبداً على الفرقان
شرع الناظم رحمه الله في مطالبة المتكلمين في الفرق بين ما يتأول وما لا
يتأول من نصوص الكتاب والسنة ، وذلك أن بعض المتكلمين يثبت الصفات
السبعة ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .
وبعضهم يزيد على هذه الصفات صفة التكوين ، فتصير الصفات الثابتة عندهم
ثمانية ، فيقال لهؤلاء : لا فرق بين ما أثبتموه ونفيتموه ، بل القول في

أحدهما كالقول في الآخر ، فان قاتم : ان إرادته مثل إرادة المخلوقين ،
فكذلك محبته ، ورضاه ، وغضبه ، وهذا هو التمثيل . وإن قاتم : له إرادة
تليق به . قيل لكم : وكذلك له محبة تليق به ، والمخلوق محبة تليق به .
وله سبحانه رضى وغضب يليق به ، والمخلوق رضى وغضب يليق به ،
وان قاتم : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال لكم : الإرادة
ميراث النفس الى جلب منفعة ، أو دفع مضرة . فان قاتم : هذه إرادة المخلوق
قيل لكم : وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزمون بالقول في كلامه ، وسمعه ،
وبصره ، وعلمه ، وقدرته ، ان نفوا عنه المحبة والرضى ، والغضب ، ونحو
ذلك بما هو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع ، والبصر ،
والكلام ، وجميع الصفات . وان قاتم : انه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص
بالمخلوقين . قيل لكم : وهكذا السمع ، والبصر ، والكلام ، والقدرة ،
والعلم ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض ، يقال له فيما نقاد ، كما يقوله هو
لمنازعه فيما أثبتته ، وهذا هو معنى قول الناظم : فيقول ما يفضي الى التجسيم الخ ...
وهذا الالزام لازم لهم كما ترى ، وجوابهم عنه في غاية الصعوبة . ولهذا
قال الناظم :

والله لو نشرت شيو خك كلهم لم يقدرُوا أبداً على الفرقان

وقوله : فأت بالقرآن ، كذا في النسخ ، والصواب فأت بالفرقان . أي :
بالفرقان بين ما يتأول وما لا يتأول .

فصل

في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذلك قال زعيمهم في نفسه فرقاً سوى هذا الذي تريان
هذي الصفات عقولنا دلت على إثباتها مع ظاهر القرآن
فلذلك صناها عن التأويل فاعجب يا أخا التحقيق والعرفان
كيف اعترف القوم أن عقولهم دلت على التجسيم بالبرهان
فيقال هل في العقل تجسيم أم المعقول ينفيه كذا النقصان
إن قلتم ينفيه فانفوا هذه الأوصاف وانسلخوا من القرآن
أو قلتم يقضي باثبات له ففراركم منها لأي معان ؟
أو قلتم ينفيه في وصف ولا ينفيه في وصف بلا برهان
فيقال ما الفرقان بينهما وما البرهان فأتوا الآن بالفرقان
ويقال قد شهد العيان بأنه ذو حكمة وعناية وحنان
مع رافة ومحبة لعباده أهل الوفاء وتابعي القرآن
ولذلك خصوا بالكرامة دون أعداء الإله وشيعة الكفران
وهو الدليل لنا على غضب وبغض منه مع مقت لذي العصيان

والنص جاء بهذه الأوصاف مع مثل الصفات السبع في القرآن
ويقال سلمنا بأن العقل لا يقضي اليها فهي في الفرقان
أفنفى أحاد الدليل يكون للمدلول نفيًا يا أولي العرفان
أو نفى مطلقه يدل على انتفا المدلول في عقل وفي قرآن
أفبعد هذا الانصاف ويحكم سوى محض العناد ونخوة الشيطان

وتحيز منكم اليهم يا أولي القرآن والآثار والايام؟!
ذكر الناظم لمثبي بعض الصفات دون بعض فرقاً آخر ، وبين بطلانه ،
وذلك أنهم إن قالوا : أثبتنا تلك الصفات ، لأن العقل دل على إثباتها مع النقل ،
فإن الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الإرادة ، والإحكام
دل على العلم ، وهذا الصفات مستلزمة للحياة ، والحي لا يخلو عن السمع ،
والبصر ، والكلام . أو ضد ذلك ، فيقال لهم عن هذا جوابان :

أحدهما أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين ،
فهب أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لا يثبت ذلك ، فإنه لا ينفيه ،
وليس لكم أن تنفوه بغير دليل ، لأن النافي عليه الدليل ، كما على المثبت ،
والسمع قد دل عليه ، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي ، فيجب
إثبات ما أثبتته الدليل السالم عن المعارض المقاوم .

الثاني : أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتتم به تلك
من العقليات ، فيقال : نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة ، كدلالة
التخصيص على المشيئة ، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم ، وعقاب الكافرين

يدل على بغضهم ، كما قد ثبت بالشهادة والخبير من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ، تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى ، لقوة العلة الغائية ، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم ، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة ، وهذا شرح كلام الناظم في هذا الفصل ، والله أعلم .

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً

واعلم بأن طريقهم عكس الطريق المستقيم لمن له عينان جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الأحكام موزوناً به النصان وكلام رب العالمين وعبدته متشابهاً متحملاً لمعان فتولدت من ذينك الأصلين أو لاد أتت للغني والبهتان إذ من سفاح لانكاح كونها بئس الوليد وبئست الألوان عرضوا النصوص على كلام شيوخهم فكأنها جيش لذي سلطان والعزل والابقاء مرجعه الى السلطان دون رعية السلطان وكذلك أقوال الشيوخ فإنها الميزان دون النص والقرآن

إن وافقا قول الشيوخ فمرحبا أو خالفت فالدفع بالإحسان
 إما بتأويل فإن أعيب فتفويض ونتركها لقول فلان
 إذ قوله نص لدينا محكم فظواهر المنقول ذات معان
 والنص فهو به عليم دوننا وبحاله ما حيلة العميان
 الا تمسكهم بأيدي مبصر حتى يقودهم كذي الأرسان
 فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان
 ورأوه بالتقليد أولى من سوا هـ بغير ما (هدي ولا) ^(١) برهان
 وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجبا لذي الحرمان

أشار الناظم رحمه الله تعالى لهذه الأبيات إلى أن طريق النفاة عكس
 طريق أهل الاستقامة، فإن النفاة جعلوا كلام شيوخهم نصاً محكماً. وقول
 الناظم: جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الأحكام، هو بكسر الهمزة، أي
 محكماً، وكلام الله ورسوله متشابهاً مجملاً، فلما بنوا الأمر على هذين
 الأصلين الباطلين تولد من ذلك أنهم يعرضون النصوص على كلام مشايخهم،
 فإن وافقتها قبلوها وإن خالفتها دفعوها إما بالتأويل، فإن عجزوا عن ذلك
 فالتفويض. ويقولون: كلام الشيخ أولى، وهو أعلم منا بالنصوص، ونحن
 مقلدون، ونحن كالعميان، والأعمى لا بد له من قائد ونحو ذلك.

قال الناظم: فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان.
 المقلد بفتح اللام، أي عجيباً لعميان البصائر كيف أبصروا أن مقلدهم
 أولى بالصواب من غيره من المقلدين، فاعجب لهذا الحرمان.

(١) زيادة ليست في الأصل، ولا في غيره من النسخ، ولا يستقيم الوزن بدونها.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قول الشيوخ أتم تبياناً على السوحين لا والواحد المنان
النقل نقل صادق والقول من ذي عصمة في غاية التبيان
وسواه إما كاذب أو صح لم يك قول معصوم وذو تبيان
أفيستوي النقلان يا أهل النهي والله لا يتأثل النقلان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا في الله نحن لأجله خصمان
أي أنهم لما عموا عن الوحين ، وزعموا أنهم لا يفهمون معناهما ، فكيف
يفهمون كلام الشيوخ ، مع أن الوحين أتم بياناً من كلامهم ، ولأن الوحين
نقل صادق عن قائل معصوم . وأما أقوال الشيوخ فهي إما نقل كاذب ، وإن
صحت فهي عن غير معصوم ، فهل يستوي النقلان ؟ كلا وهيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكهم فما رجالات منا قط يلتقيان
إنا أئبنا أن ندين بما به دانوا من الآراء والبهتان
إنا عزلناها ولم نعبأ بها يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ه الله شر حوادث الأزمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ه الله في قلب ولا أبدان

من لم يكن يغنيه ذان رماء رب العرش بالإعدام والحرمان
 من لم يكن يهديه ذان فلاهدا ه الله سبل الحق والإيمان
 إزال الكلام مع الكبار وليس مع تلك الأراذل سفلة الحيوان
 أو ساخ هذا الخلق بل إنتانه جيف الوجود وأخبث اللاتان
 الطالبين دماء أهل العلم بالكفران والعدوان والبهتان
 الشاقي أهل الحديث عداوة للسنة العليا مع القرآن
 جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم فالله يقطعها من الأذقان
 كبراً وإعجاباً وتبها زائداً وتجاوزاً لمراتب الإنسان
 لو كان هذا من وراء كفاية كنا حملنا راية الشكران
 لكنه من خلف كل مخلف عن رتبة الإيمان والإحسان
 قوله : كبراً وإعجاباً ... الخ هذا مأخوذ من قول القائل :

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومد يد نحو العلى بتكلف
 فلو كان هذا من وراء كفاية لكان^(١) ولكن من وراء تخلف

قال الناظم رحمه الله تعالى :

من لي بشبه خوارج قد كفروا بالذنوب تأويلاً بلا إحسان
 ولهم نصوص قصرها في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان
 وخصوصاً قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

يقول الناظم : إن الحوارج أحسن حالاً منكم أيها الخصوم ، لأن
الحوارج في تكفيرهم بالذنوب أخذوا بنصوص الوعيد لكن أخطؤوا في ذلك ،
وقصرت أفعالهم . وأما أنتم فخالقتم النصوص وكفرتهم من أخذها وقدمها
على غيرها ، بل كفرتهم بما هو غاية التوحيد والإيمان .

فصل

في بيان كذبتهم ورميتهم أهل الحق بأنهم أشباه الحوارج وبيان شبهتهم
المحقق بالحوارج .

ومن العجائب أنهم قالوا لمن	قد حان بالآثار والقرآن
أنتم بهذا مثل الحوارج إنهم	أخذوا الظواهر ما هتدوا لمعان
فانظر إلى ذاللبت هذا وصفهم	نسبوا إليه شيعة الإيمان
سلوا على سنن الرسول وحزبه	سيفين سيف يد وسيف لسان
خرجوا عليهم مثلما خرج الألى	من قبلهم بالغي والعدوان
والله ما كان الحوارج هكذا	وهم البغاة أئمة الطغيان
كفرتهم أصحاب ستته وهم	فساق ملته فمن يلحاني
إن قلت هم خير وأهدى منكم	والله ما الفتنان مستويان
شتان بين مكفر بالسنة العليا وبين مكفر العصيان	
قلتم تأولنا كذا تأولوا	وكلاهما فتنان باغيتان

ولكم عليهم ميزة التعطيل والتسحريف والتبديل والبهتان
ولهم عليكم ميزة الاثبات والتصديق مع خوف من الرحمن
ألكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وذران
حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيان
وكلا كما للنص فهو مخالف هذا وبينكما من الفرقان
هم خالفوا نصاً لنص مثله لم يفهموا التوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص للشبه التي هي فكرة الأذهان
فلأي شيء أنتم خير وأقرب منهم للحق والإيمان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا ب على الحديث الموجب التبيان
لكنكم قدمتم رأي الرجا ل عليهما أفأنتم عدلان
أم هم إلى الاسلام أقرب منكم لاح الصباح لمن له عينان
والله يحكم بينكم يوم الجزا بالعدل والإنصاف والميزان
هذا ونحن فقههم بل منكم برآء الا من هدى وبيان
شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان كذبهم في رميهم أهل الحق بأنهم
أشباه الخوارج ، وأوضح شبههم المحقق بالخوارج ، وذلك أن النفاة قالوا
للمبينة : أنتم أخذتم بالزواهر ولم تهتدوا للمعاني كالخوارج .
قال الناظم : فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهم . . أي : أنهم وصفوا

المثبتة بما هو وصفهم ، وذلك أنهم سلوا السيوف على السنة وأهلها ، وخرجوا عليهم كخروج الخوارج على الأمة ، لكن الخوارج مع بغيتهم وطغيانهم كفروا فساق الملة ، وأما هم فكفروا من اتباع الكتاب والسنة ، فيقول الناظم : فمن يلحاني ؛ أي : ينازعني إن قلت : إن الخوارج خير وأهدى منكم ، وشتان بينكم وبينهم ، لأنكم تكفرون باتباع السنة وتقديم النصوص على غيرها ، وهم يكفرون بالذنوب والمعاصي ، وإذا قلتم : تأولنا ، فهم كذلك تأولوا ، وكلاهما فئتان باغيتان ، وإحدى زدتهم عليهم بالتعطيل والتحريف والتبديل والبهتان ، وهم يميزوا عنكم بالإثبات والتصديق والخوف من الله ، أفلكم على تأويلكم أجرين إذ لهم على تأويلهم وزران ؟! وحاشا رسول الله من هذا الحكم ، بل أنتم وهم في حكمه سيان ، ومع هذا فكلاهما مخالف للنص ، ولكن بينكما فرق كثير ، لأنهم خالفوا نصاً آخر لما لم يفهموا التوفيق بين النصوص ، وأما أنتم فخالفتهم النصوص بالعدوان والشبه التي ما أرسل الله بها من سلطان ، وهم أيضاً قدموا ما فهموه من القرآن على الحديث ، وأما أنتم فخالفتهم القرآن والحديث ، وقدمتم عليها آراء الرجال فهم أقرب منكم إلى الاسلام ، والله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة وهو العليم الحكيم ، ومع هذا فنحن منكم ومنهم براء إلا من هدى وبيان .

ثم شرع الناظم في بيان الموازنة بينهم وبين الخوارج وترجيح الخوارج عليهم فقال :

لن نخصو مناً واحكماً بلاميلان
من ذا الذي منا إذا أشباههم
قال الخوارج الرسول اعدل فلم
تعدل وما ذي قسمة الديان

وكذلك الجهمي قال نظير ذا لكنه قد زاد في الطغيان !

قال الصواب بأنه استولى فلم قلت استوى وعدلت عن تبيان

أي: أن الخوارج قال قائلهم وهو ذو الخويصرة التميمي للنبي ﷺ وهو

يقسم : اعدل يا رسول الله كما في الصحيح عن أبي سعيد قال : بينا النبي ﷺ

يقسم جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال :

« ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل » قال عمر بن الخطاب : ائذن لي فأضرب

عنقه . قال : « دعه فإن له أصحاً بآء يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع

صيامهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ... » الحديث (١) .

وكذلك الجهمي قال : الصواب : استولى على العرش ، فلم قلت

يا رسول الله : استوى ؟ .

وكذاك ينزل أمره سبحانه لم قلت ينزل صاحب الغفران

ماذا يعدل في العبارة وهي موصومة التحيز وانتقال مكان

أي وكذلك الجهمي لما قال الرسول : « ينزل ربنا » . قال الجهمي : بل

ينزل أمره ، لأن النزول يقتضي الحركة والانتقال .

وكذلك قلت بأن ربك في السما أوهمت حيز خالق الإكوان

كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السما سلطان ذي السلطان

أي : قال الجهمي : إنك قلت أيها الرسول عن الله إنه في السماء وذلك يقتضي

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

التحيز والمكان لله ، كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطانه سبحانه .
وكذلك قلت اليه يعرج والصواب ب إلى كرامة ربنا المنان
أي : أن الجهمي لتفيه علو الرب سبحانه فوق خلقه يقول : الصواب أن
العروج إلى كرامة الله ، لا إلى الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك قلت بأن منه ينزل القرآن تنزيلاً من الرحمن
كان الصواب بأن يقال نزوله من لوحه أو من محل ثان
أي : أن الجهمي قال للرسول : لم ذكرت أن القرآن ينزل من
الرحمن ، والصواب أن نزوله من اللوح المحفوظ ، أو من محل آخر .

وتقول أين الله والأين فمتنع عليه وليس في الإمكان
لوقلت من كان الصواب كما ترى في القبر يسأل ذلك المملكان

أي : يقول الجهمي للرسول : إنك تقول : أين الله ؟ والأين فمتنع على الله تعالى
ومحال ، وليس بممكن ، والصواب أن تقول : من الله ؟ كما يسأل المملكان
في القبر الميت فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتقول اللهم أنت الشاهد الأعلى تشير بأصبع وبنان
نحو السماء وما إشارتنا له حسية بل تلك في الأذهان
والله ما ندري الذي نبديه في هذا من التأويل للاخوان

قلنا لهم إن السما هي قبلة الداعي كبيت الله ذي الاركان
قالوا لنا هذا دليل أنه فوق السماء بأوضح البرهان
فالناس طراً إنما يدعونه من فوق هذي فطرة الرحمن
لا يسألون القبلة العليا ولكن يسألون الرب ذا الاحسان
قالوا وما كانت إشارته إلى غير الشهيد منزّل الفرقان
أترأه أمسى للسما مستشهداً حاشاه من تحريف ذي الیهتان
أى : أن الجهمي يقول للرسول : إنك تشير بأصبعك إلى السماء - في خطبته
يعرفه - في الموقف العظيم ، وتقول : « اللهم اشهد »^(١) ونحن لا ندرى ما
تبديه من التأويل في هذا . فإن قلنا للناس : ان السماء قبلة الداعي كبيت
الله . قالوا لنا : هذا دليل أنه فوق السماء ، لأن الناس إنما يدعونه من فوق ، وعلى
هذا فطّر الله الخلق ، ومعلوم بالضرورة أنهم لا يسألون القبلة ، وكذلك معلوم
أنهم لا يستشهدون السماء ، وإنما يستشهدون من فوقها سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بانه متكلم وكلامه المسموع بالآذان
نادى الكلیم بنفسه وكذاك قد سمع النداء في الجنة الأیوان
وكذا ينادي الخلق يوم معادهم بالصوت یسمع صوته الثقلان
إني أنا الديان آخذ حق مظلوم من العبد المظلوم الجاني

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر رضي الله عنه في باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وتقول إن الله قال وقائل
قول بلا حرف ولا صوت يرى
أوقعت في التشبيه والتجسيم من
لو لم تقل فوق السماء ولم تشر
وسكت عن تلك الأحاديث التي
وذكرت أن الله ليس بداخل
كنّا انتصفنا من أولي التجسيم بل
لكن منحتم سلاحاً كلما
وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم
لو كنت تعدل في العبارة بيننا
هذا لسان الحال منهم وهو في
يبدو على فلتات السنهم وفي
سيما إذا قرىء الحديث عليهم
فهناك بين النزاعات وكورت
ويكاد قائلهم يصرح لو يرى
يعني أن الجهمي يقول : إنك يا رسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم
وكذا يقول وليس في الإمكان
من غير ما شقة وغير لسان
لم ينق ما قد قلت في الرحمن
بإشارة حسية ببيان
قد صرحت بالفوق للديان
فينا ولا هو خارج الأكوان
كانوا لنا أسرى غبيد هوان
شاؤوا لنا منهم أشد طعان
يرموننا غرضاً بكل مكان
ما كان يوجد بيننا رجفان
ذات الصدور يغل بالكتان
صفحات أوجهم يرى بغيان
وتلوت شاهده من القرآن
تلك الوجوه كثيرة الألوان
من قـابل فتراه ذا كتمان
يا رسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم

بكلام مسرع ، وذكرت أنه نادى الكلم ، وكذا نادى الأبوين في الجنة ، وأنه ينادي الخلق يوم المعاد ، وتقول : إن الله قال ، وقائل ، ويقول ، ولا يمكن قول بلا حرف ولا صوت ولا شفة ولا لسان ، فإذا نحن لم ننف ما قلته في الرحمن وقعنا في التشبيه والتجسيم ، ولكن لو لم تقل : فوق السماء ، ولم تشر إليه الإشارة الحسية ، ولم تنطق بالأحاديث التي صرحت بالفوقية ، وذكرت أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ، كنا انتصفنا من المجسمة وكانوا لنا أسرى ، ولكنك منحتهم سلاحاً كلما شاءوا طاعنونا به أشد المطاعنة ، وغدوا يرموننا بتلك الأسهم التي أعطيتهم ، وصرنا لهم غرضاً بكل مكان . والغرض قال في « القاموس » الغرض : محرّك : هدف يرمى فيه . جمعه أغراض ، فلو كنت عدلت بيننا في العبارة لم يوجد بيننا رجفان : قال في « القاموس » رجف : حرك وتحرك واضطرب شديد رجفا ورجفاناً ورجوفا ورجيفا .

قوله : هذا لسان الحال منهم ... الخ ؛ أي : إنهم يقولون هذا بلسان حالهم . ولكنه مكتوم في صدورهم مغلول ، ومع ذلك فهو يبدو على فلتات ألسنتهم ، ويرى في صفحات وجوههم ، لا سيما إذا قرئ الحديث عليهم ، وتلى شاهده من القرآن ، فهناك بين (النازعات) و (كورت) ، أي إنك إذا قرأت عليهم الحديث وتلوت ما يصدق من القرآن تلونت وجوههم فتارة تظلم ، وتارة تصفر وتغير كحالة من في نزع الموت . والنازعات في قوله تعالى (والنازعات غرقا) النازعات : هي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم على قول أكثر المفسرين . وقوله تعالى : (إذا الشمس كورت) التكوير : قال ابن عباس : أظلمت . وقال مقاتل والكلبي : ذهب ضوءها . وقال مجاهد : اضمحلت . وقيل : غورت ، والله أعلم .

قوله: ويكاد قائلهم يصرح. أي: بما في نفسه لو يري قابلاً، بل ذكر شيخ الاسلام
في بعض رسائله أن بعض من خاطبه صرح بأنه لا يقبل من الرسول ﷺ
ما يقوله في هذا الباب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يا قوم شاهدنا رؤوسكم على هذا ولم نشهده من إنسان
إلا وحشو فؤاده غل على سنن الرسول وشيعة القرآن
أي إنا رأينا رؤوسهم على هذا الذي ذكرناه ، ولم نشهده من أحد
إلا وفؤاده محشو غلاً على سنن الرسول ﷺ وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الذي في كتبهم لكن بلطف عبارة منهم وحسن بيان
وأخو الجهالة نسبة للفظ والمعنى فنسب العالم الرباني
يقول الناظم: إن هذا الذي ذكرناه عنهم هو الذي في كتبهم، لكنهم بلطفون
العبارة ويحسنون الكلام ، ولكن الجاهل نسبة للفظ والمعنى ، فنسب
العالم الرباني ؛ أي : أن العالم الرباني نظره إلى ما يتضمنه اللفظ ، وأما الجاهل
فنظره مقصور على اللفظ .

وقوله : نسبة . بفتح النون وإسكان السين ، وضم الباء ؛ أي : أن العالم
ينسب إلى المعاني ، وأما الجاهل فهو ينسب إلى الألفاظ ، فهو دائر معها .
ثم اعتذر الناظم عما لعله ينسبه من لا علم عنده إلى الحيف عليهم فيما نسب
إليهم ، فقال :

يامن يظن بأننا حفنا عليهم كتبهم تنبيك عن ذا الشأن

أي : ظلمناهم وجرنا عليهم . قال في « القاموس » الحيف : الجور ، والظلم ..

فانظر ترى لكن ترى لك تركها حذراً عليك مصائد الشيطان

فشباكها والله لم يعلق بها من ذي جناح قاصر الطيران

ألا رأيت الطير في قفص الردى يبكي له نوح على الأغصان

ويظل يخبط طالباً للخلاص فتضيق عنه فرجة العيدان

والذنب ذنب الطير خلى أطيب الثمرات في عال من الأفنان

وأتى الى تلك المزايل يبتغي الفـضلات كالخشرات والديدان

ياقوم والله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم دعوان

جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران

يقول الناظم رحمه الله : يا من يظن بأنا حقنا عليهم ؛ أي : على النفاق

أي : جرنا عليهم وظلمناهم ، كتبهم تبشك عما ذكرنا ، وقد أثقلت ظهر

البسيطة ، فطالعهما إن شئت ، لكن نرى لك تركها حذراً عليك أن تصيدك

شبههم الشيطانية ، فكم وقع في تلك الشباك من قاصر الطيران ، فتراه عند

وقوعه في تلك المصائد حائراً ندماً ناكياً يبكي لوقوعه في مهامة الخيرة والشكوك ،

وكل هذا على طريق النصح من الناظم ، فجزاه الله تعالى خيراً الجزاء ، عملاً

بقوله صلوات الله وسلامه « الدين النصيحة » ^(١) ثم بين أنه قد جرب ذلك ، وأنه وقع

(١) زواه مسلم في « صحيحه » عن أبي رقية تميم بن أنس الداري رضي الله عنه .

في بعض تلك الشباك والمصائد حتى أتاح له المولى بفضلہ من أوضح له تلك الشبه ، وأزاح عنه تلك الشكوك ، وهو شيخ الاسلام ، وأشار الى ذلك بقوله :

حتى أتاح لي الإله بفضلہ من ليس تجزيه يدي ولساني
خبرته أتى من أرض حوران فيا أهلاً بمن قد جاء من حوران
فالله يجزيه الذي هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يده يدي وسار فلم يرم حتى أرا في مطلع الايمان
ورأيت أعلام المدينة حولها نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافياً حصاؤه كاللؤلؤ التيجان
ورأيت أكواباً هناك كثيرة مثل النجوم لوارد ظمآن
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي لازال يشخب فيه ميازبان
ميزاب سنته وقول إلهه وهما مدى الأيام لاينيان

والناس لا يردونه إلا من الآف أفراداً ذوي ايمان
وردوا عذاب مناهل أكرم بها ووردتم أنتم عذاب هوان
قوله : حوران . قال في « القاموس » : حوران كشداد : موضع بالشام ،
والنسبة حوراني ، ولا تغل : حوراني وان كان قياساً .

قوله : حتى أتاح لي الإله بفضلہ الخ . قال في « القاموس » « تاح له الشيء »

ينصح : ينهياً انتهى . وكما أنقذ الله بشيخ الاسلام ومصنفاته العظام
من حيرة تلك الشهات والأخايل ، وكاد يخرج بها عن سواء السبيل .

قال الشيخ الامام أبو حفص عمر بن علي البزاز أحد تلامذة شيخ الاسلام
في ترجمته : حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء المعنيين بالحوض
في أقاويل المتكلمين لاصابة الصواب ، وتميز القشر من اللباب : إن كلاً
منهم لم يزل حائراً في تجاذب أقوال الأصوليين ، ومعقولاتهم ، وإنه لم
يستقر في قلبه منها قول : ولم يبين له من مضمونها حق ، بل رآها كلها
موقعة في الحيرة والتضليل ، وجلبها مدعن بتكافؤ الأدلة والتعطيل ، وإنه
كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل ، حتى من
الله عليه بمطالعة مؤلفات هذا الامام أحمد بن حنبل تسمية شيخ الاسلام ،
بما أوردته من النقلات والعقليات في هذا النظام . فها هو إلا أن وقف عليها
وفهمها ، فراها موافقة للعقل السليم ، وعلمها حتى انجلي ما كان قد غشيه من
أقوال المتكلمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك ، فظفر
بالمرام . انتهى .

قوله : ورأيت أكوأباً ، هي جمع كوب ، وهي أقذاح بلا عرى
وقوله : وردوا عذاب الخ ... بكسر العين . وعذاب هو ان بالفتح ؛ أي :
وردوا المناهل الحلوة العذبة من الكتاب والسنة ، ووردتم الشكوك والحيرة ، وهي
العذاب بعينه ، بل ربما تنقضي الى العذاب الأكبر ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبحق من أعطاكم ذا العدل والإنصاف والتخصيص بالعرفان
من ذا على دين الخوارج بعدذا أنتم أم الحشوي ماريان ؟

والله ما أنتم لدى الحشوي أهلاً أن يقدمكم على عثمان
فضلاً عن الفاروق والصديق فضلاً عن رسول الله والقرآن
والله لو أبصرتم لرأيتم الحشوي حامل راية الإيمان
وكلام رب العالمين وعبدته في قلبه أعلى وأكبر شأن
من أن يحرف عن مواضعه وأن يقضى له بالعزل عن إيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر أو المولود من صفوان
أو من يتابعهم على كفرانهم أو من يقلدهم من العميان
يا قومنا بالله قوموا وانظروا وتفكروا في السر والاعلان
تظراً وإن شئتم مناظرة فمن مثني على هذا ومن وحدان
أي الطوائف بعد ذا أدنى إلى قول الرسول ومحكم القرآن
فإذا تبين ذا فإما تتبعوا أو تعذبوا أو تؤذنوا بطعان
أقسم الناظم على النفاة بحق الله الذي أعطاهم العدل والانصاف ، وهذا
على طريق التهكم ؛ أي : إذا سمعتم ما تقدم ، فهل أنتم مثل الخواج أو أعظم
منهم مضرة على الدين ، أم المنبوذ عندكم بالحشو ؟ ثم أقسم قسماً آخر : انكم
لستم بأهل أن يقدمكم على عثمان رضي الله عنه ، فضلاً عن الفاروق والصديق ،
فضلاً عن رسول الله والقرآن ؟ وإن كلام رب العالمين وعبدته أعلى في قلبه
من أن يحرفه عن مواضعه ، وأن يرميه بأنها نصوص لفظية لا تفيد
اليقين ، ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر ، هو الفارابي ، أو المولود من
صفوان ، وهم الجهم .

فصل

في تلقيهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين ، وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن حشوية يعنون حشواً في الوجود وفضلة في أمة الانسان ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان إذ قولهم فوق العباد وفي السما الرب ذو الملكوت والسلطان ظن الحمير بأن في اللظرف والرحمن محوي بظرف مكان والله لم يسمع بهذا من فرقة قالته في زمن من الأزمان لا تبهتوا أهل الحديث به فما ذا قولهم تباً لذي البهتان بل قولهم إن السموات العلى في كف خالق هذه الأكوان حقاً كخردلة ترى في كف ممسكها تعالى الله ذو السلطان أثرونه المحصور بعد أم السما يا قومنا ارتدعوا عن العدوان

شرع الناظم رحمه الله في بيان عدوان النفاة ، وتلقيهم أهل السنة والحديث بالألقاب الشنيعة لتغيير الظعام وأشباه الأنعام ، كما لقبوهم بالحشوية وغير ذلك من الألقاب الآتية . والحشوية : قال في « شرح مختصر

التحرير « سحوا حشوية لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري أمامه ،
فلما أنكر كلامهم ، قال : ردوهم إلى حشو الحلقة ، أي جانبها . وقال ابن
الصلاح : فتح الشين غلط ، وإنما هو بالإسكان ، وكذلك قال البرماوي
بالسكون ، لأنه إمامن الحشو ، لأنهم يقولون بوجود الحشو في كلام المعصوم ،
أو نحو ذلك . ورايت كلاماً لشيخ الاسلام في معنى الحشو فيه مخالفة لهذا .
وقد فسر الناظم معنى الحشوية بقوله : يعنون حشواً في الوجود
وفضلة ... الخ أي : أن المعطلة يعنون بقولهم : حشوية ، أن المثبتة حشوفي
الوجود وفضلة في الناس ، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم يقولهم :
إن الله سبحانه في السماء وفوق خلقه ، قد حشوا رب العباد بالأكوان ،
وهذا معنى قوله : ظن الجير ... الخ .

قوله : ظن الجير بأن في للظرف ، أي : إذا ظنوا أنا إذا قلنا : الله
في السماء ، ففي للظرفية ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا قال : والله لم يسمع بذا
من فرقة قالته في زمن من الأزمان . وقد صنف أبو اسحق إبراهيم بن عثمان
ابن درباس الشافعي مصنفاً سماه « تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة » .

وقوله : بل قولهم : إن السموات العلى ... الخ أي : أن قول
أهل السنة والحديث : إن السموات السبع في كف الرحمن جل وعلا
كخردلة في كف بمسكها ، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن
النبي ﷺ أنه قال : « يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول : إنا الملوك ، أين ملوك الأرض » وفي « الصحيحين »
واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وفي لفظ في « الصحيح » عن عبد الله بن مقسم : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال : « يأخذ الله (عز وجل) سمواته وأرضيه بيديه ويقول : أنا الله ، ويقبض أصابعه ويبسطها ، أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « يأخذ الجبار (عز وجل) سمواته وأرضيه ، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول : أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذي أعيدها ، أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ » وفي لفظ ! « أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ . ؟ والحديث مروي في « الصحيح » و « المسانيد » وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه : قال : « قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الزمر : ٦٧ الآية . قال : مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ : « يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ، فيجعلها في كفه ، ثم يقول بهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما السموات السبع ولأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة

في يد أحدكم. قال شيخ الإسلام في كتاب «العرش» وهذه الآثار معروفة.
قال الناظم .

كم ذا مشبهة وكم حشوية فالبت لا يخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب وسنة الحشوا فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمّت شيوخكم بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمي به ابن عبيد عبد الله ذا ك بن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرًا^(١) كما ورثوا لعبد الله أني يستوي الارثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهو مناسب أحواله بوزان
من قد حشى الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوي لأهل الحديث أئمة الإسلام والإيمان
وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان
ووردتم القلوط مجرى كل ذي الأوساخ والاقذار والانتان
وكسّتم أن تصعدوا للورد من رأس الشريعة خيبة الكسلان

يقول الناظم : كم ذا تنبزون أهل الإثبات بهذا البت والكذب الصريح ،
فإن كان الكتاب والسنة حشوا ، فاشهدوا أنا حشوية بلا جحد ولا كتمان .

(١) هو عمرو بن عبيد .

ونحو من هذا قوله رحمه الله :

فان كان تجسماً ثبوت صفاته وتنزيهاً عن كل تأويل مفترى
فاني بحمد الله ربي مجسم هاهوا شهوداً واملئوا كل محضر

قوله : سمي به ابن عبيد عبد الله ، أي : أول من نطق بهذا
الاسم هو عمرو بن عبيد المعتزلي . قال : كان عبد الله بن عمر حشويّاً ، يعني
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، وهذا معنى قول الناظم : ذاك ابن
الخليفة طارد الشيطان . ومراده بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقوله : طارد الشيطان ، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر :
« ما رأيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » (١) .

قوله : تدرون من أولى هذا الاسم ... الخ أي : أن الأولى
والأحق بهذا الاسم منه حشو الأوراق والأذهان من البدع المضلة ، والآراء
المضمحلة المخالفة للقرآن والسنة ، فهذا هو الحشوي على الحقيقة ، لا أئمة الحديث
وأئمة الإسلام والإيمان .

قوله : موجب القرآن ، هو بفتح الجيم .

قوله : وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان ،
أي : أن أهل الحديث والسنة وردوا مناهل السنن العذبة التي ليست زبالة
الأذهان ، والزبالة : قال في « القاموس » : زبل زرعه يزبله : سمده . وككتاب :
ما تحمله النحلة .

ووردتم القلوط ... الخ . سيأتي بيان القلوط في الفصل المعقود له .

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي

بيده ما أفيك الشيطان قط سالكاً فجاً غير فجك » .

فصل

في بيان عداوتهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان
أنهم أولى بكل لقب خبيث :

كم ذا مشبهة مجسمة نوا بته مشبهة جاهل فتاف
أسماء سميت بها أهل الحديث وناصرى القرآن والايام
سميتموهم أنتم وشيوخكم بهتاً بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم أخذوا بوحى الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به من هذه الآراء والهذيان
ووصفوه بالأوصاف فى النصين من خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكم فيا أهلاً به ما فيه من نكران
إننا مجسمة بحمد الله لم نجحد صفات الخالق الرحمن
والله ما قال امرؤ منا بأن الله جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا فى وصفه لم نعو ما قد قال فى القرآن

أو قاله أيضاً رسول الله فهو الصادق المصدوق بالبرهان
أو قاله أصحابه من بعده فهم النجوم مطالع الإيمان
سموه تجسياً وتشبيهاً فلسفياً جاحديه لذلك الهذيان
أي : أن النفاة والمعطلة سموا أهل الإثبات بأسماء بشعة قصداً للتنفير
عنهم ، فإنهم يسمونهم مشبهة ؛ أي : أنهم يشبهون الله بخلقه ، وسموهم بحسنة ،
أي : يقولون بأن الله جسم ، تعالى الله عن ذلك ، وسموهم بزوايت ،
والنوابت هم كما قال في « القاموس » : الأنهار من الأحداث ، ونبتت لهم
نابذة نشأ لهم نشأ صغار . وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي
الرازي ، علامة أهل البدع ، الواقعة في أهل الأثر ، وعلامة الجهمية ، أن
يسموا أهل السنة مشبهة ونابذة ، وعلامة القدرية ، أن يسموا أهل السنة مجبرة ،
وعلامة الزنادقة ، أن يسموا أهل الأثر حشوية . انتهى . نقله عنه الذهبي في
كتاب « العلو » .

قوله لتنفروا عنهم ... الخ ؛ أي : أنهم سموا أهل الحديث بهذه الأسماء
ولقبوهم بهذه الألقاب للتنفير عنهم ، وإلا ففهم لم يتعدوا ما قال الله ورسوله ،
ولم يقل أحد منهم : إن الله تعالى جسم ، جل عن ذلك ، ومع ذلك فأهل
الأثبات لما أثبتوا ما أثبتته الله ورسوله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل
ولا ثقيل ، وإن سميت المعطلة ذلك تشبيهاً وتجسياً ، وأهل الإثبات لا يحدونه
لأجل تشبيعاتهم وهذيانهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بل بيننا فرق لطيف بل هو الفرق العظيم لمن له عينان

إن الحقيقة عندنا مقصودة بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لاحقيقة تحته تبدو الى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة فيما لديكم يا أولي العرفان
وإذا جعلتم ذا مجازاً صح ان ينفى على الإطلاق والامكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت فيما زعتم فاستوى النفيان
نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ إن دلت عليه فحظكم نفيان
ونصيبنا اثبات ذاك جميعه لفظاً ومعنى ذاك اثباتان
فمن المعطل في الحقيقة غيركم لقب بلا كذب ولا عدوان
وإذا سببتم بالحال فسبنا بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم وتبين جهلكم مع العدوان
يا بعد ما بين السباب بذاكم وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم والظلم سب العبد بالبهتان
فحقيقة التجسيم ان يك عندكم وصف الإله الخالق الديان
بصفاته العليا التي شهدت بها آياته ورسوله العدلان

فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا في كل مجتمع وكل مكان
أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان
الله أكبر كشرت عن نايها الحرب العوان وصيح بالأقران
وتقابل الصفاز وانقسم الوري قسمين واتضحت لنا القسبان
معنى كلام الناظم أن الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص والمراد به التبيان ،
وأما عندكم أيها النفة فهي غير مرادة ، لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على
التشبيه والتجسيم ، فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات ، وكذا
كلام رسوله ﷺ ليس بحقيقة بل هو مجاز . والمجاز هو ما يصح نفيه .
وحقائق الألفاظ دل العقل بزعكم على نفيها فاستوى ؛ أي : تم عندكم نفيان :
نفي الحقيقة ، ونفي دلالة اللفظ عليها . وأما المثبتة فهم أثبتوا اللفظ والمعنى
بغير تشبيه ولا تمثيل فلم يثبتان ، فأنتم المعطلة حقاً ، وإذا سبتم بالكذب
والمحال فسينا بالأدلة والحجج ، ويابعد ما بين السبابين (١) ، لأنكم تسبون
بالكذب والطغيان ونحن نسب بالبرهان ، فمن سب بالبرهان فليس بظالم
ولمّا الظلم هو السب بالبهتان .

وقوله : كشرت عن نايها الخ ... قال في « القاموس » كشر عن أسنانه
يكشر كشرأ : أبدى ، يكون في الضحك وغيره .

قوله : العوان ؛ هي الحرب بعد الحرب . قال في « مختار الصحاح »
«العوان النصف في سنها من كل شيء ، والجمع عون . والعوان من الحرب
التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرأ .

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وانهم تعرضوا بالقلوط عن مورد السلسيل

ياوارد القلوط ويحك لو ترى ماذا على شفيتك والاسنان
أو ما ترى آثارها في القلب والنيات والاعمال والاركان
لو طاب منك الورد طابت كلها أنى تطيب موارد الانتان
ياوارد القلوط طهر فاك من خبث به واغسله من انتان
ثم اشتم الحشوي حشو الدين والقرآن والآثار والايان
أهلاً بهم حشو الهدى وسواهم حشو الضلال فما هما سيان
أهلاً بهم حشو اليقين وغيرهم حشو الشكوك فما هما صنوان
أهلاً بهم حشو المساجد والسوى حشو الكنيف فما هما عدلان
أهلاً بهم حشو الجنان وغيرهم حشو الجحيم أيستوي الحشوان؟!
ياوارد القلوط ويحك لو ترى الحشوي وارد منهل القرآن
وتراه من رأس الشريعة شارباً من كف من قد جاء بالفرقان
وتراه يسقي الناس فضلة كأسه وختامها مسك على ريحان
لعذرتة إن بال في القلوط لم يشرب به مع جملة العميان

ياوارد القلوط لا تكسل فرا س الماء فاقصده قريب دان
هو منهل سهل قريب واسع كاف اذا نزلت به الثقلان
والله ليس بأصعب الوردین بل هو أسهل الوردین للظمآن
القلوط ، بفتح القاف وتشديد اللام وبالطاء المهملة ، هو نهر بدمشق
الشام يحمل أقدار البلد وأوساخه وإنتانه ويسمى في هذا الوقت : قليطاً
بالتصغير والله أعلم .

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزهم نصوص السنة والقرآن

ياقوم بالله انظروا وتفكروا في هذه الأخبار والقرآن
مثل التدبر والتفكر للذي قد قاله ذو الرأي والحسبان
فأقل شيء أن يكونا عندكم حداً سواء يا أولي العدوان
والله ما استويا لدى زعمائكم في العلم والتحقيق والعرفان
عز لوسمابل صرحوا بالعزل عن نيل اليقين ورتبة البرهان
قالوا وتلك أدلة لفظية لسنا نحكمها على الايقان
ما أنزلت لينال منها العلم بالـ إثبات للأوصاف للرحمن

بل بالعقول ينال ذاك وهذه عنه بمعزل غير ذي سلطان
فبجهدنا تأويلها والدفع في أكنافها دفعاً لذي الصولان

أشار الناظم رحمه الله الى أنهم بما فعلوه وهو عزلهم النصوص عن إفادة
«الليقين» هدموا قواعد الإسلام والإيمان، فقال : يا قوم بالله انظروا الخ ، أي :
تفكروا وتدبروا في الكتاب والسنة كتدبركم وتفكركم في كلام المشايخ ،
فأقل شيء أن يكونا عندكم سواء ، ثم أقسم أنها ما استويا عند زعمائكم في
«العلم والتحقيق والعرفان» ، بل يقولون : تلك أدلة لفظية وما وضعه مشايخنا
قواطع عقلية ، وتلك الظواهر اللفظية لم تنزل لتعلم منها صفات الرب عز
وجل ، وإنما يعلم ذلك بالعقل ؛ ومع ذلك فنتجهد في دفعها كدفع الصائل ،
فإن أمكن تأويلها فذاك ، وإلا فآخِر الأمر التفويض .

قوله : في أكنافها ، الكنف : الجانب والظل والناحية ، قاله في «القاموس»

ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال :

ككبير قوم جاء يشهد عند ذي حكم يريد دفاعه بليان

فيقول قدرك فوق ذا وشهادة لسواك تصلح فاذهبين بأمان

وبوده لو كان شيء غير ذا لكن مخافة صاحب السلطان

أي : أن مثل نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات العلو والصفات

عندهم كرجل كبير ذي منصب ، جاء يشهد عند بعض الحكام وهو يريد

أن لا يقبل شهادته ، ويريد دفعه بالأسهل فيقول : أنت جليل القدر ، عظيم

«للمنصب» ، وقدرك فوق هذا ، والشهادة تصلح لسواك ، مع أن ذلك الحاكم يود أن

يرده بغير هذا الرد ، لكن لأجل مخافة صاحب السلطان يدفعه بهذا الدفع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد أتانا عن كبير فيهم وهو الحقير مقالة الكفران
لو كان يمكنني وليس بممكن لحككت من ذا المصحف العثماني
ذكر استواء الرب فوق العرش - كن ذاك ممتنع على الانسان
يعني جهنم بن صفوان ، وقد تقدمت قصته هذه أول الشرح ، وقد
رواها ابن أبي حاتم كما ذكره الذهبي في كتاب « العلو » .

قال أبي حاتم : ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي ، ثنا يحيى بن
أيوب ، ثنا أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهماً قال : كان لجهنم صاحب يكرمه
ويقدمه على غيره ، فإذا هو قد صبح به ، وندر به ووقع فيه . فقلت له :
قد كان يكرمك ! فقال : إنه قد جاء منه ما لا يحتمل ؛ بينا هو يقرأ
(طه) والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على
العرش استوى) طه : ه قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكمها من المصحف
لفعلت . فاحتملت هذه . ثم إنه بينا هو يقرأ آية إذ قال : ما أظرف محمدًا
إذ قالها ، ثم إنه بينا هو يقرأ (طسم القصص) والمصحف في حجره ، إذ مر
بذكر موسى فرفع المصحف بيده ورجليه وقال : أي شيء هذا ذكره هنا ؟ فلم
يتم ذكره . ثم قال الذهبي : أخرجه عبد الله بن أحمد عن الصنعاني عن يحيى بن
أيوب . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله لولا هبة الاسلام والقرآن والأمراء والسلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكدكوا الإسلام فوق قواعد الأركان
فلقد رأيتم ماجرى لأئمة الإسلام من محن على الأزمان
لأسيما لما استمالوا جاهلاً ذا قدرة في الناس مع سلطان
وسعوا إليه بكل إفك بين بل قاسموه بأغلظ الأيمان
أن النصيحة قصدهم كنصيحة الشيطان حين خلا به الأيوان
يشير الناظم بهذه الأبيات إلى أنه لولا هبة الإسلام والقرآن والأمراء
لأت المتبذعة بكل مصيبة ، ولدكدكوا الإسلام ، وشاهد هذا أنهم لما
استمالوا المأمون عبد الله بن الرشيد العباسي ، وقام بامتحان الناس بأن
القرآن مخلوق ، وحصل للأئمة ما حصل من الكروب والمشاق ، ولكن
أعجلته المنية فأرصى إلى أخيه أبي اسحق المعتصم وحصل ما حصل من
المن ، وحبسوا الإمام أحمد وضربوه ، وبعد ذلك في خلافة الواثق قتل أحمد
ابن نصر الحزاعي ، وامتحان الإمام محمد بن عبد الرحمن الأدرمي ، وكانوا
لا يولون قاضياً ولا غيره إلا إن كان ممن يقول بخلق القرآن ، وذلك مشهور
في كتب التواريخ مع أن المأمون قبل ذلك لم يزل يداري العلماء في القول
بهذه المسألة ثم صدع بذلك .

قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » أخبرني جماعة اجازة أن الكندي
أخبرهم ، أنبأ القزاز ، أنبأ الخطيب ، أنبأ أبو بكر الحيري ، ثنا الأصم ،

ثنا يحيى بن أبي طالب أخبرني الحسن بن شاذان الواسطي الحافظ ، حدثني
ابن عريرة ، حدثني يحيى بن أكرم قال : قال لنا المأمون : لولا مكان
يزيد بن هارون لأظهرت : القرآن مخلوق فقل : ومن يزيد حتى يتقى ؟ فقال :
ويحك إني لا أتيه لأن له سلطنة ، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي
فيختلف الناس ويكون فتنة . وأما المأمون فهو عبد الله المأمون بن
هاون الرشيد بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور أبو العباس الهاشمي
ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد ، وقرأ العلم في صغره ،
وسمع من هشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير
وطبقتهم وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم
الأوائل ومهرفم فاجره ذلك إلى القول بخلق القرآن . روى عنه ولده الفضل
ويحيى بن أكرم والأمير عبد الله بن طاهر ودعلج الحزاعي وآخرون ، وكان من
رجال بني العباس حزمًا وعزماً وحلمًا وعلماً ورأياً ودهاءاً وهيبة وشجاعة وسؤددًا
وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع
عنها وحسم عليها في سنة ٢١٨ وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل . مات لاثنتي
عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ . انتهى ملخصاً من « تاريخ الإسلام »
للذهبي رحمه الله تعالى :

قوله : بل قاسموه بأعظم الأيمان أن النصيحة قصدهم ... الخ ؛ أي :
يخلفون له بأعظم الأيمان أن قصدهم النصيحة ، كما قاسم ابليس الأيوين كما في
قوله تعالى : (وقاسمها لمي لكما لمن الناصحين) الأعراف : ٢١

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فيرى عمائم ذات أذنان على تلك الفشور طويلة الأردان
ويرى هيولى لاتهول لمبصر وتهول أعمى في ثياب جبان
فيذا أصاخ بسمعه ملؤه من كذب وتليس ومن بهتان
فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم يا محنة العينين والآذان
فتحو أجراب الجهل مع كذب فخذ واحمل بلا كيل ولا ميزان
وأثوا إلى قلب المطاع ففتشوا عما هناك ليدخلوا بأمان
فيذا بدا غرض لهم دخلوا به منه إليه كحيلة الشيطان
فيذا رأوه هش نحو حديثهم ظفروا وقالوا ويح آل فلان
هو في الطريق يعوق مولا ناعن المقصود وهو عدو هذا الشأن
فيذا هم غرسوا العداوة واطبوا سقي الغراس كفعل ذي البستان
حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم وقت الجذاد وصار ذا إمكان
ركبوا على جرد لهم وحمية واستنجدوا بعساكر الشيطان
فيها لك ابتليت جنود الله من جند اللعين بسائر الألوان
ضرباً وحسباً ثم تكفيراً وتبديعاً وشتماً ظاهر البهتان

تقدم الكلام في تفسير الهيولى .

قوله : ظفروا وقالوا ويح آل فلان ، يحتمل أنه بالطاء المشالة من الظفر ،
ويحتمل أنه بالطاء وهو الوثب في ارتفاع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد رأينا من فريق منهم أمراً تهد له قوى الإيمان
من سبهم أهل الحديث ودينهم أخذ الحديث وترك قول فلان
يأمة غضب الإله عليهم الأجل هذا تشتموا بهوان ؟
تباً لكم إذ تشتمون زوامل الإسلام حزب الله والقرآن
وسببتموهم ثم لستم كفأهم فرأوا مسبتكم من نقصان
هذا وهم قبلوا وصية ربهم في تركهم لمسة الأوثان
حذر المقابلة القبيحة منهم بمسبة القرآن والرحمن
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم ضربت لهم ولكم بذم مثلاً
سبوكم جهّـا لهم فسيبتم سنن الرسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن قول الرسول وذا من الطغيان
ودعوتهم للذي قالته أشـياخ لكم بالحرص والحسيان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديث خلاصة الانسان والأكران
يشير إلى أن المعطلة يسبون أصحاب الحديث غاية السب ، ويثلبونهم
أعظم الثلب ، وأن أهل الحديث قبلوا وصية ربهم في قوله تعالى : (ولا تسبوا)

الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم (الأنعام : ١٠٨)
سبحانه قد نهى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا الله سبحانه ، فكذلك
أصحاب الحديث تركوا مسبة النفاة والمعطلة لئلا يسبوهم فيتعدى السب
إلى الرحمن والقرآن والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قوم أقامهم الإله لحفظ هذا الدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم حراساً من التبديل والتحرّيف والتتميم والنقصان
يزكّهم على الاسلام بل حصن له يأوي اليه غساكر الفرقان
فهم المحك فمن يرى منتقضا لهم فزنديق خبيث جنان
إن تهمه فقبلك السلف الألى كانوا على الإيمان والإحسان
أيضاً قد اتهموا الخبيث على الهدى والهم والآثار والقروآن
وهو الحقيق بذلك إذ عادي رواة الدين وهي عداوة الديان
فإذا ذكرت الناصحين لرهم وكتابه ورسوله بلسان
فاغسله ويملك من دم التعطيل والتكذيب والكفران والبهتان
أتسبهم عدواً ولست بكفهم فالله يفدي حزبه بالجاني
قوم هم بالله ثم رسوله أولى وأقرب منك للإيمان
شتان بين التاركين نصوصه حقاً لأجل زبالة الأذهان
والتاركين لأجلها آراء من آرائهم ضرب من الهذيان

لما فسا الشيطان في آذانهم ثقلت رؤوسهم عن القرآن
فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى وتيمموا من أرض طيبة مطلع الايمان
وأوتوا الى روضاتها وتيمموا من أرض مكة مطلع القرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا طاروا له بالجمع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له كمتسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى صاحوا به طراً بكل مكان
ورثوا رسول الله لكن غيرهم قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهاب سواهم بالنصر لم يرفع به رأساً من الخسران
عضوا عليه بالتواجد رغبة فيه وليس لديهم بهمان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة وتلاوة قصدا بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره كأبي الربيع خليفة السلطان

أي : أن النفاة والمعطلة نزلوا كتاب الله سنة رسول الله ﷺ منزلة
الخليفة أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ، وقد بويع المذكور بالخلافة
بعهد من أبيه في جمادى الاولى سنة إحدى وسبعائة ، لأن الخليفة المذكور
يدعى له على المنابر ، ويضرب اسمه فوق السكة . وليس له من الأمر شيء ،
فحال كتاب الله تعالى سنة رسول الله ﷺ عندهم كحال أبي الربيع
مع السلطان محمد بن قلاوون الألفي . قوله يرك على الإسلام . (قال في «القاموس» :
رك يرك زكاً وزكاً وزكاً وزكاً : مريقاوب خطوه ضعفاً ، ومشي
زكك : ممرط . والزكة بالكسر : السلاح ، وبالضم : الفيض والعم ،
وتركك : أخذ عدته) (١)

قوله : فهم المحك . يشبه هذا ما أنشده ابن أعين في الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتك

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ذكروه فوق منابر وبسكة رقموا اسمه في ظاهر الأثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ولم تهد ضربت بهذا مثلاًن
ياللعقول أيستوي من قال بالقرآن والآثار والبرهان ؟!
ومخالف هذا وفطرة ربه الله أكبر كيف يستويان
بل فطرة الله التي فطروا على مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصداقاً لهما فلا تلق العداوة ماها حربان
سلمان عند موفق ومصدق والله يشهد إنها سلمان
فاذا تعارض نص لفظ وارد والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الـرائي صحيحاً وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت ما قاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليست تعارض بعضها بعضاً فسل عنها عليم زمان
وإذا ظننت تعارضاً فيها فذا من آفة الأفهام والأذهان

أو أن يكون البعض ليس بثابت ما قاله المبعوث بالقرآن
لكن قول محمد والجهنم في قلب الموحد ليس يجتمعان
إلا ويترد كل قول ضده فإذا هما اجتمعا فمقتلان

يقول الناظم : إذا تعارض النقل والعقل ، فإما أن يكون العقل فاسداً ،
وإما أن يكون النص ليس بثابت ، والنصوص لا تعارض وما يظن فيها
من التعارض فهو من آفة الأفهام والأذهان أو بعضها ليس بثابت ، ما قاله
الرسول ﷺ .

قوله : إنها سلمان . هو بكسر الهمزة وتسكين النون للوزن . وأصله إن
المؤكد . ثم قال الناظم : لكن قول محمد والجهنم في قلب الموحد ليس
يجتمعان إلا ويترد كل قول ضده .

والناس بعد على ثلاث حزبه أو حربه أو فارغ متوان

قوله : حزبه ... الخ الحزب : الورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس .
قوله . أو حربه . الحرب معروف وهو بفتح الحاء وبالراء الساكنة
وهذا كرم ، مفرد حروب ، ودار الحرب : بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم .

فإن لنفسك أين تجعلها فلا والله لست برابع الأعيان

من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل الله والفرقان

إن المعطل لا إله له سوى السمحتوت بالأفكار في الأذهان

وكذا إله المشركين نُحِيتْ الأيديها في نحتهم سيان

قوله : نحيته هي فعيلة بمعنى مفعولة ؛ أي : منحوتة . قال في «القاموس»
نحته ، ينحته كيضر به وينصره ويعلمه : براه . انتهى .

لكن إله المرسلين هو الذي	فوق السماء مكون الأكوان
تالله قد نسب المعطل كل من	بالبينات أتى إلى الكتمان
والله ما في المرسلين معطل	نافي صفات الواحد الرحمن
كلا ولا في المرسلين مشبه	حاشاهم من إفك ذي بهتان
فخذ الهدى من عبده وكتابه	فهما إلى سنبل الهدى سبيان

فصل

في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام الله ورسوله
بلا يفيد العلم واليقين .

واحذر مقالات الذين تفرقوا
واسأل خبيراً عنهم ينبئك عن
قالوا الهدى لا يستفاد بسنة
إذ كل ذلك أدلة لفظية
فيها اشتراك ثم إجمال يرى
وكذلك الإضمار والتخصيص والـ حذف الذي لم يبد عن تبيان

واشيعاً وكانوا شيعة الشيطان
أسرارهم بنصيحة وبيان
كلا ولا أثر ولا قرآن
لم تبد عن علم ولا إيقان
وتجوز بالزبد والنقصان

والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة وليس ذا برهان
إذ بعضهم في البعض يقدر دائماً والقدر فيهم فهو ذو إمكان
وتواتر وهو القليل ونادر جداً فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعد من ذلك المعارض صاحب السلطان
وهو الذي بالعقل يعرف صدقه والنفي مظنون لدى الانسان
فلأجل هذا قد عزلناها ووالينا العقول ومنطق اليونان
فانظر الى الإسلام كيف بقاؤه من بعد هذا القول ذي البطلان
وانظر الى القرآن معزولاً لديهم عن نفوذ ولاية الايقان
وانظر الى قول الرسول كذا كذا معزولاً لديهم ليس ذا سلطان
والله ما عزلوه تعظيماً له أيظن ذلك قط ذو عرفان
يا ليتهم إذ يحكمون بعزله لم يرفعوا رايات جنكسخان
يا ويلهم ولوا نتائج فكرهم وقضوا بها قطعاً على القرآن
ورذالهم ولوا إشارات ابن سينا حين ولوا منطق اليونان
وانظر الى نص الكتاب مجدلاً وسط العرين ممزق اللحمان
بالطعن بالاجمال والاضمار والاستخصيص والتأويل بالبهتان
والاشراك وبالحجاز وحذف ما شأوا بدعواهم بلا برهان

وأنظر إليه ليس ينفذ حكمه بين الخصوم وماله من شان
وأنظر إليه ليس يقبل قوله في العلم بالأوصاف للرحمن
لكنما المقبول حكم العقل لا أحكامه لا يستوي الحكمان
يبكي عليه أهله وجنوده بدمائهم ومدامع الأجفان
عهدوه قدماً ليس يحكم غيره وسواه معزول عن السلطان
إن غاب ثابت عنه أقوال الرسو ل هالمهم دون الورى حكمان
فأتاهم ما لم يكن في ظنهم في حكم جنكس خان ذي الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من المغول ثم اللاص والعلان
فعلوا بملته وسنته كما فعلوا بأمرته من العدوان
والله ما انقادوا لجنكس خان حتى أعرضوا عن محكم القرآن
والله ما ولوه الا بعد عز ل الوحي عن علم وعن إيقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليقين المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذي فعلوه حتى تمموا الكفران بالبهتان
جعلوا القرآن عضين إذ عضوه أنواعاً معددة من نقصان
منها انتفاء خروجه من ربنا لم يبد من رب ولا رحمن

لكنه خلق من اللوح ابتدا وجبرئيل أو الرسول الثاني
ماقاله رب السموات العلى ليس الكلام بوصف ذي الغفران
تبا لهم سلبوه أكمل وصفه عضه ريب والكرفران
هل يستوي بالله نسبه الى بشر ونسبه الى الرحمن
من اين للمخلوق عز صفاته الله أكبر ليس يستويان
بين الصفات وبين مخلوق كما بين الاله وهذه الأكوان
هذا وقد عضه أن نصوصه معزولة عن أمرة الإيقان
لكن غايتها الظنون وليته ظناً يكون مطابقا بيان
لكن ظواهر لا يطابق ظنها ما في الحقيقة عندنا بوزان
إلا إذا ما أولت فجازها بزيادة فيها أو النقصان
أو بالكناية واستعارات وتشبيه وأنواع المجاز الثاني
فالقطع ليس يفيد والظن منفي كذلك فانتفى الأمران
فلم الملامة اذ عزلناها ووالينا العقول وفكرة الأذهان!
خالق يعظم في النصوص أجوركم يأمة الآثار والقرآن
ماتت لدى الأقوام لا يحيونها أبداً ولا تحييم لهوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الرد على الملحدین القائِلین بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا یفید الیقین ، وهو المراد عندهم بالأدلة اللفظية ، وذلك أنهم قالوا : الاستدلال بكلام الله ورسوله موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك والنقل ، ومعارضة العقل للسمع ، وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون .

قال شيخ الإسلام في أول كتاب «العقل والنقل» ذكر الرازي في أول كتابه «نهاية العقول» أن الاستدلال بالسمعية في المسائل الأصولية لا يمكن بحال لان الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية ، وعلى دفع المعارض العقلي ، وأن العلم بانتفاء المعارض لا يمكن ، اذ يجوز ان يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض ما دل عليه القرآن ولم يحظر ببال المستمع . وقد بسطنا الكلام على ما زعمه هؤلاء من أن الاستدلال بالأدلة السمعية موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والاضمار والتخصيص ، والاشتراك والنقل والمعارض العقلي بالسمعي . وقد كنا حنقنا في فساد هذا الكلام مصنفاً قديماً من نحو ثلاثين سنة ، وذكرنا طرفاً من بيان فساده في الكلام على المحصل وفي غير ذلك ، فذاك كلام في تقرير الأدلة السمعية وبيان أنها قد تفيد اليقين والقطع . انتهى كلامه .

قوله : جعلوا القرآن عِضِينَ ... الخ العِضِينَ : جمع عِضٍ ، وأصلها عِضْوَةٌ فعلة من عِضَّ الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء ، فيكون المعنى على هذا الذي جعلوه أجزاء متفرقة بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك ونذكر هنا ما ذكره المفسرون في معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن

عُضِينَ (الحجر : ٩١) عن المشركين ثم نبين كيفية جعل الملحدين القرآن عُضِينَ . روى البخاري عن ابن عباس : جعلوا القرآن عُضِينَ قال : هم اهل الكتاب جزؤوه اجزاء فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وروي أيضاً عن ابن عباس قال : (كما انزلنا على المقتسمين) الحجر : ٩٠ قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، اليهود والنصارى . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك . وقال الحكم بن إبان عن عكرمة عن ابن عباس : (جعلوا القرآن عُضِينَ) قال : السحر . وقال عكرمة : العضة : السحر بلسان قريش . يقول السحرة : إنها الكهانة . وقال مجاهد : عضوه أعضاء ، قالوا : سحر وقالوا : كهانة ، وقالوا : أساطير الاولين . وقال عطاء : قال بعضهم : ساحر وقالوا : مجنون ، وقالوا : كاهن فذلك العُضِينَ . وكذا روي عن الضحاك وغيره

ومعنى كلام الناظم : إن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن أجزاءً وتقصوه أعظم النقصان ، منها أنهم قالوا : لم يبدأ من الله سبحانه وإنما بدأ من غيره ، إما أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثاني وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، والقائلون بالكلام النفسي جعلوا بعضه كلام الله وهو المعنى ، وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ فسلبوه بذلك أكمل وصفه إذ قالوا : لم يتكلم الله به .

وعضوه أيضاً أي نقصوه بأن قالوا : إن نصوصه لا تنفذ اليقين ، وأي تنقص أعظم من هذا ؟ ! نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قوله منها انتفاء خروجه من ربنا ... الخ قال النبي ﷺ « ما تقرب العباد

«إلى الله بمثل ماخرج منه» يعني القرآن . وقال خباب بن الأرت : يا هنتاه
تتقرب إلى الله بما استطعت ، فلن تقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرئ عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال :
إن هذا كلام لم يخرج من ال ، يعني رب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولهم خلاف الحس والمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الأولى وسنة ربنا الرحمن
والله قد فطر العباد على التفاء هم بالخطاب لمقصد التبيان
كل يدل على الذي في نفسه بكلامه من أهل كل لسان
فتري المخاطب قاطع بمراده هذا مع التقصير في الانسان
اذ كل لفظ غير لفظ نبينا هو دونه في ذابلا نكران
شرع الناظم في بيان بطلان قول النفاة ، وأنه خلاف الحس والعقل
والنقل والفطرة ، وذلك أن الله سبحانه فطر العباد على التفاهم بالخطاب ، فكل
يدل على الذي في نفسه بكلامه من جميع الألسنة .

قوله فتري المخاطب قاطع بمراده ؛ أي : ترى المخاطب بفتح الطاء
قاطع بمراد المخاطب بكسر الطاء وذلك مع التقصير في الإنسان ، إنه كل لفظ
غير لفظ الرسول ﷺ هو دونه بغير شك ، حاشا كلام الله تعالى فهو

الغاية القصوى في التبيان ولهذا قال الناظم :

حاشا كلام الله فهو الغاية القصوى له أعلى ذرى التبيان
لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبار والقرآن
فهو الذي استولى على التبيان كاستيلائه حقاً على الإحسان
مابعد تبيان الرسول لناظر إلا العمى والعيب في العميان

ثم شرع الناظم في بيان أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان فقال :

فانظر الى قول الرسول لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن
حقاً ترون الحكم يوم اللقا رؤيا العيان كما يرى القمران
كالقدر ليل تمامه والشمس في نحر الظهيرة ما هما مثلات
بل قصده تحقيق رؤيتنا له فأتى بأظهر ما يرى بعيان
ونفى السحاب وذاك أمر مانع من رؤية القمرين في ذا الآن
فإذا أتى بالمقتضي ونفى الموانع نع خشية التقصير في التبيان
صلى عليه الله ما هذا الذي يأتي به من بعد ذا التبيان
ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان
فبأي لفظ جاءكم قلتم له ذا اللفظ معزول عن الايقان
وضربتم في وجهه بعساكر التناويل دفعا منكم بليان

يعني الناظم بهذه الأبيات أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن أناساً قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا : لا . قال فإنكم ترونه كذلك » ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، « أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوً ليس دونها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ... » الحديث . فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء .

قوله : فإذا أتى بالمقتضي هو بكسر الضاد اسم فاعل وهو أن ليس دون الرؤية سحاب والشمس في نحر الظهيرة ، فإذا تم المقتضي حصل المقتضى ولكن لاحيلة في أهل التحريف والتعطيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لو أنكم والله عاملتم بهذا	أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها	وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم	مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذي قد قلتم	قطعت سبيل العلم والايان

فالعقل لا يهدي إلى تفصيلها لكن ما جاءت به الوحيان
 فإذا غدا التفصيل لفظياً ومعرزولاً عن الايقان والرجحان
 فهناك لا علم أفادت لا ولا ظناً وهذا غاية الحرمان
 لو صح ذاك القول لم يحصل لنا قطع بقول قط من إنسان
 وغدا التخاطب فاسداً وفساده أصل الفساد لنوع ذا الانسان
 ما كان يحصل علمنا بشهادة ووصية كلا ولا إيمان
 وكذلك الاقرار يصبح فاسداً إذ كان محتماً لسبع معان
 وكذا عقود العالمين بأسرها باللفظ إذ يتخاطب الرجلان
 أيسوغ للشهدا شهادتهم بها من غير علم منهم ببيان
 إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة للعلم بل للضر ذي الرجحان
 بل لا يسوغ لشاهد أبداً شها دته على مدلول نطق لسان
 بل لا يراقدم بلفظ الكفر من متكلم بالظن والحسبان
 بل لا يباح الفرج بالاذن الذي هو شرط صحته من النسوان
 أيسوغ للشهداء جزمهم بأن رضيت بلفظ قابل لمعان
 هذا وجملة ما يقال بأنه في ذا فساد العقل والأديان

أي لو أنكم عاملتم اهل الكتاب وكتبهم بما عاملتم به الوحيين ففسدت
 تصانيف الناس ، وأيضاً لو صح هذا الذي قلموه لا تقطعت سبيل العلم

والإيمان لأن العقل لا يهدي إلى تفصيلها ولا سبيل إلى تفصيلها إلا بما جاء
عن الله ورسوله ، فإذا صار التفصيل لفظياً وهو معزول عن اليقين فحينئذ
لا تفيد علماً ولا ظناً . وأيضاً لو صح ما قلتموه فسد التخاطب ولم يصح لنا
قطع بقول من إنسان فلا يصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين ولا إقرار ،
بل لا يراق دم بلفظ كفر ، ولا يباح فرج بالإذن الذي هو شرط صحته
من النساء ولا يسوغ للشهداء جزئهم بأنها رضيت إذ ذاك قابل للعاني المذكورة
بل تفسد بذلك العقول والأديان ، ونعوذ بالله من العمى والخذلات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ومن بهتانهم أن اللغات أتت بنقل الفرد والوحدان
فانظر إلى الألفاظ في جريانها في هذه الأخبار والقرآن
أتظنها تحتاج نقلاً مسنداً متواتراً أو نقل ذي وحدان
أم قد جرت مجرى الضروريات لا تحتاج نقلاً وهي ذات بيان
إلا الأقل فإنه يحتاج للنقل الصحيح وذاك ذو تبيان
حاصل معنى هذه الأبيات أن المعطلة يقولون : إن اللغات أتت بنقل
الآحاد ، وهذا تدليس وتليس لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها
مراد المتكلم بمجرد سماعها من غير حاجة إلى النقل ، اللهم إلا الأقل كما قال
الناظم فإنه يحتاج للنقل الصحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومن المصائب قول قائلهم بأن الله أظهر لفظه بلسان
وخلافهم فيه كثير ظاهر عربي وضع ذاك أم سرياني

وكذا اختلافهم أمشتقاً يرى أم جامداً قولان مشهوران
والأصل ماذا فيه خلف ثابت عند النحاة وذاك ذو ألوان
هذا ولفظ الله أظهر لفظه نطق اللسان بهامدى الأزمان
فانظر بحق الله ماذا في الذي قالوه من لبس ومن بهتان
هل خالف العقلاء أن الله رب العالمين^٢ مدبر الأكوان
ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعاف
واختلف في أحوال ذاك اللفظ لا في وضعه لم يختلف وجلائ
وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة فيه لهم قولان معروفان
أفيينهم خلف بأن مرادهم حرم الإله وقبلة البلدان
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد فيدلهم قولان مذكوران
أفيينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ذو البرهان
ونظير هذا ليس يحصر كثرة ياقوم فاستحيوا من الرحمن
أتمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو ص الوحي عن علم وعن إيقان
فالحمد لله المعافي عبده مما بلاكم يا ذوي العرفان
فلاجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ومضوا على آثار كل مهان

ولأجل ذلك غدوا على السنن التي جاءت وأهلها ذوي أضغان

يرمونهم كذباً بكل عزيمة حاشاهم من إفك ذي بهتان

أي: ومن المصائب التي تلبس بها المعطلة إنهم قالوا بأن لفظة الله فيها خلاف ، هل هو عربي أم سرياني ؟ وكذا فيه اختلاف ؛ هل هو مشتق أم هو جامد ؟ وأصله ماذا ؟ ومع هذا فلفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها . فانظر أيها الناظر في هذا الكتاب ما في هذا الكلام من التلبس والبهتان ، وذلك أنه لا خلاف بين العقلاء ان الله اسم لرب العالمين ، خالق السموات والأرض الذي يحيي ويميت ، وهو رب كل شيء ومليكه ، فهم لا يختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أشهر عندهم وأعرف من كل اسم وضع لكل مسمى ، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع في معناه ، ولا يتطرق الى ذلك إجمال ولا مجاز ، ومن غير نظر إلى أنه عربي أم سرياني ؟ وهل هو مشتق أم جامد ؟ فإن هذا خلاف في أحوال اللفظ لا في وضعه .

ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال : وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... الخ وفيه لهم قولان ، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله وقبلة المسلمين .

ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد ، ولهم في ذلك قولان فليس بينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ﷺ ، ونظائر هذا لا تحصى . أفبمثل هذا المذيان تعزل نصوص الكتاب والسنة عن إفادة اليقين ؟ ثم حمد الله على المعافاة مما ابتلاهم به من المحنة ، وخلاف نصوص الكتاب والسنة .

فصل

في تنزيه أهل الحديث والشيعة عن الألقاب القبيحة الشيعة :

فرموهم بغياً بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباحثاً ولذلك عند الغر يشتهان
سموهم حشوية ونوابتاً ومجسmin وعابدي أوثان
وكذلك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان
نصبوا العداوة للصحابة ثم سـموا بالنواصب شيعة الرحمن
وكنا المعطل شبه الرحمن بالمعدوم فاجتمعت له الوصفان
وكذلك شبه قوله بكلامنا حتى نفاه وذا تشبيهان
وكذلك شبه وصفه بصفاتنا حتى نفاه عنه بالبهتان
وأتى إلى وصف الرسول لربه سماه تشبيهاً فيا اخوان
بالله من أولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المخبث الشيطان
إن كان تشبيهاً ثبوت صفاته سبحانه فبأكمل ذي شان
لكن نفي صفاته تشبيهاً بالجامدات وكل ذي نقصان
بل بالذي هو غير شيء وهو معدوم وإن يفرض ففي الأذهان
فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مشبث الاوصاف للرحمن

أي : إن المعطلة رموا أهل الحديث بألقاب قبيحة شنيعة ، ولقبوهم بما هم أولى به - أعني النفاة - فسموهم حشوية ونوابت وبجسة وعباد أوثان وقد تقدم معنى ذلك وكذلك الروافض أعداء الرسول وصحبه نصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم ، ثم سمو أهل السنة نواصب ، وكذلك المعطلة شبهوا الله تعالى بالمعدوم ولم يفهموا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها ورسوله إلا التشبيه ، فنفوا ذلك ثم شبهوا الله تعالى بالمعدوم ، فجمعوا الرصفين ، شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً ، وسموا أهل الحديث أيضاً مشبهة ، وهم قد شبهوا الله تعالى وتقدس بالجامدات وكل ذي نقص ، بل شبهوه بالمعدوم ، فيقول الناظم : فمن الذي أرلى بهذا الاسم - يعني التشبيه - أنتم أم المثبتة؟ وحاشا المثبتة فهم أولى بالله ورسوله ، وقولهم هو الحق الذي دل عليها النقل الصريح .

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقين من المشركين والموحدين . والملقين الأولى بفتح القاف ، والثانية بكسرهما .

هذا وشم لطيفة عجب سأبديها لكم يامعشر الاخوان
فاسمع فذاك معطل ومشبه واعقل فذاك حقيقة الانسان
لا بد أن يرث الرسول وضده في الناس طائفتان مختلفتان

فالوارثون له على مناجه والوارثون لضده فثبات
إحداهما، حرب له ولحزبه ماعندهم في ذاك من كتمان
فرموه من ألقابهم بعظائم هم أهلها لا خيرة الرحمن
فأتى الألى ورثوهم فرموا بها وراثه بالبغي والعدوان
هذا يحقق إرث كل منهما فاسمع وعه يامن له أذنان
والآخرون أولو النفاق أضرموا شيئاً وقالوا غيره بلسان
وكذا المعطل مضر تعطيله قد أظهر التنزيه للرحمن
هذي موارث العباد تقسمت بين الطوائف قسمة المنان

أي : من المعلوم أنه لا بد أن يرث الرسول ﷺ وضده طائفتان :
إحداهما : حرب له ، أي : محارب له ولدينه . والثانية : ورثته وأتباع سنته .
قوله : فرموه من ألقابهم بعظائم النخ ؛ أي : إن أعداء الرسول ﷺ
الذين في وقته رموه بعظائم كقولهم : ساحر ومجنون ، كذاب ومفتر مذمم
وكذا ورثة أعدائه رموا به وراثه بغير وعدواناً ، وهذا يحقق إرث كل منها .
قوله : فاسمع وعه ، فعل أمر من الوعي ، وأتى بهاء السكت لاستجلاب
النطق بالساكن ، أي : إن المنافقين أضرموا النفاق ، وأظهروا غيره وكذا
المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثم لطيفة أخرى بها سلوان من قد سب بالبهتان
تجد المعطل لاعناً لجسم ومشبّه لله بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى كمحمد ومذمم اسمان
هم يشتمون مذمماً ومحمدٌ عن شتمهم في معزل وصيان
صان الإله محمداً عن شتمهم في اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الأتباع عن شتم المعطل للمشبه هكذا الإرثان
والسب مرجعه عليهم إذ هم أهل لكل مذمة وهوان
وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحّد في حمى الرحمن
هذي حسان عرائس زفت لكم ولدى المعطل هن غير حسان
والعلم يدخل قلب كل موفق من غير بواب ولا استئذان
ويرده المحروم من خذلانه لا تشقنا اللهم بالحرمان
يافرقة نفت الإله وقوله وعلوه بالمجد والكفران
موتوا بغضكم ، فربي عالم بسرائر منكم وخبت جنان
قاله ناصر دينه وكتابه ورسوله بالعلم والسلطان
والحق ركن لا يقوم لهداه أحد ولو جمعت له الثقلان
توبوا إلى الرحمن من تعطيكم فالرب يقبل توبة الندمان
من تاب منكم فالجنان مصيره أو مات جهمياً في النيران

مضمون هذه اللطيفة التي أبداهها الناظم . رحمه الله تعالى أن المعطلة دائماً
يلعنون الجسمة والمشبهة ، والله يصرف ذلك عن أهل الهدى والسنة المتبعين ،

لما أثبت الله ورسوله من صفات الله تعالى بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، وكذلك كانت حال قريش مع رسول الله ﷺ يسمونه اسم مذمم ، يعنون بذلك رسول الله ﷺ لأنهم يسمونه مذمماً وهو ﷺ في معزل عن سبهم وصيانة من الله تعالى ، ففي هذا تسلية للسلف فأتباعهم ، لأن السب يرجع إلى المعطلة لأنهم أهل كل مذمة وهوان وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحد في حمى الرحمن تبارك وتعالى .

قال ابن اسحق في « سيرته » : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمماً ثم يسبونهم ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « ألا تعجبون لما يصرف الله عني من قريش ، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد »

فصل

في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الانبياء

واسمعه سر أعجيباً كان مكمّـتوماً من الأقوام منذ زمان
فأذعته بعد اللتيا والتي نصحاً وخوف معرفة الكتمان
جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان
فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان
فإذا رأيت النور فيه تقارن الجيمات بالثلث شـر قرآن

دلت على أن النحوس جميعها سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبروا رجاء ثم جيم تجهم فتأمل المجموع في الميزان

قوله : بعد اللتيا والتي . هما من اسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي
وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الاسماء الموصولة ، وحذفت صلتها وذلك
في عظم الأمر وشدته ، كأنه قال : كفته التي عظمت شدتها ، وتناهت
بليتها ، و كأنه يريد باللتيا صغار المغارم ؛ أي : غرمها في ماله ، وبالي عظامها
كألا ي عقله عن القاتل ونحوه .

قوله : جيم وجيم الخ ؛ أي : تلك الجيمات مقرونة مع أحرف ؛ أي :
جبروا رجاء وتجهم .

قوله : طلسم ، هو واحد الطلاسم وهي اسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك
والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعارف وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا
العمل ، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه .

قوله : فإذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالثلث ... هذا شيء عند
المتبحرين يسمى بالثلث والتربيع ، ويسمونه النصب ؛ أي : إذا تقارنت الجيمات
الثلث في برج الثور وهو أحد البروج الاثني عشر المذكورة في قوله :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بالقوس جديا فلا الدلو بركة الحيتان

يقول الناظم : إذا حصل هذا القران في البرج المذكور فاحكم لمن
حصل له هذا الطالع بخلاصه من ربة الإيمان ، ثم شرع الناظم في بيان
كيفية الخروج عن جميع ديانات الأنبياء من حصلت له هذه الجيمات ، فقال :

فاحكم بطالعهما لمن حصلت له بخلاصه من رتبة الإيمان
 فاحمل على الاقدار ذنبك كله حمل الجذوع على قوى الجدران
 وافتح لنفسك باب عذرك إذ ترى الأفعال فعل الخالق الديان
 فالجبر يشهدك الذنوب جميعها مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
 لا فاعل أبداً ولا هو قادر كالملت أدراج داخل الأكفان
 والأمر والنهي اللذان توجهها فهما كأمر العبد بالطيران
 وكأمره الأعمى بنقطة مصاحف أو شكلها حذراً من الالخان
 وهذه جيم الجبر لأن عند الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم ، وأنها
 مثل ارتعاش المرتعش أو كالميت يدرج في الأكفان ، وكأمر الأعمى بنقطة
 المصاحف أو شكلها .
 قوله :

وإذا ارتفعت درجة أخرى رأيت الكل طاعات بلا عصيان
 إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل لكن أطعت إرادة الرحمن
 ومطيع أمر الله مثل مطيع ما يقضي به وكلاهما عبدان
 عبد الأوامر مثل عبد مشيئة عند المحقق ليس يفترقان
 فانظر إلى ما قادت الجيم التي للجبر من كفر ومن بهتان
 أي : إذا ارتفع الجبري درجة أخرى رأى الكل طاعات ، وفي هذه
 الحال يقول قائلهم :

أصبحت منفعلاً لما تختاره مني ففعلي كله طاعات

ويقول : إن خالفت الشرع فقد أطعت القدر والإرادة ، ومطيع الأمر
مثل مطيع القضاء ، وعبد الأمر مثل عبد المشيئة ، ونحو ذلك. قوله عند
المحقق ، أي : بزعمهم ، فهذا ما فادته جيم الجبر من الكفر والبهتان .
قوله :

وكذلك الإرجاء حين تقر بالمعبود تصبح كامل الإيمان
فأرغم المصاحف في الحشوش وخرب البيت العتيق وجدّ في العصيان
واقتل إذا ما استطعت كل موحد وتمسحن بالقس والصلبان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهراً بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله هو وحده البادي لذي الأكران
وأقر أن رسوله حقاً أتى من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخى الشيطان
فأضف إلى الجيمين جيم تجهم وانف الصفات والحق بالأرسان
قل ليس فوق العرش رب عالم بسرائر منا ولا إعلان
بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا بصر ولا عدل ولا إحسان
بل ليس فوق العرش معبود سوى الغدوم الذي لا شيء في الأعيان

بل ليس فوق العرش من متكلم بأوامر وزواجر وقران
كلا ولا كلم إليه صاعد أبداً ولا عمل لذي شكران
إني وحظ العرش منه كحظ ما تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم للعرش نسبته الى البنيان
فعليلها استولى جميعاً قدرة وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم خشواً بلا كيل ولا ميزان
تالله ما استجمعن عند معطل جياتها ولديه من إيمان

شرع الناظم في بيان ما تقتضيه جيم الإرجاء ، وهو أن عندهم إذا أقر
الإنسان بأن الله وحده هو الخالق ، وأن رسوله حق أتى من عند الله فهذا
هو الإيمان عندهم ، وإن فعل ما فعل فهو ذنب ووزر وليس بكفر .

قوله : فارم المصاحف في الحشوش ، ونخرب البيت العتيق ، واقتل إن
استطعت الموحدين ، واشتم جميع المرسلين ، واسجد للأصنام ، ولا يضرك
ذلك إذا أقررت بأن الله الخالق ، وأن رسوله ﷺ حق ، فهذا هو الإرجاء
عند غلاة الجهمية .

قوله : فأخف الى الجيمين جيم تجهم ، وهذه الجيم تقتضي نفي الصفات ،
وأن الله سبحانه ليس فوق العرش بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم ،
وليس فوق العرش رب متكلم ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل من عنده
شيء ، بل نسبة الرحمن عندهم للعرش والحضيض التحتاني سواء ، وهو سبحانه

قد استولى عليها بالقدرة ، فهذا الذي أعطته جيم التجهم ، ثم أقسم الناظم
أن من اجتمعت له هذه الجيات الثلاث فقد خلص من ربة الإيمان ، ثم قال :
والجهم ، أصلها جميعاً فاغتدت مقسومة في الناس بالميزان
والوارثون له على التحقيق هم أصحابها لاشيعة الإيمان
لكن تقسمت الطوائف قوله ذو السهم والسهمين والسهمان
لكن نجأهل الحديث المحض أتباع الرسول وتابعوا القرآن
عرفوا الذي قد قال مع علم بما قال الرسول فهم أولو العرفان
وسواهم في الجبل والدعوى مع الكبر العظيم وكثرة الهذيان
مدوا يداً نحو العلي بتكلف وتخلف وتكبر وتوان
أنرى ينالوها وهذا شأنهم حاشا العلي من ذا الزبون الفاني
قوله : والجهم أصلها بفتح الهزة وتشديد الصاد أي : أسسها ،
ولكن تقاسمها الناس ، فبعضهم أخذ سهماً ، وبعضهم سهمين ، وبعضهم أخذ
السهم الثلاثة ، نعوذ بالله من ذلك . والسهمان بضم السين جمع سهم . ولم ينبج
من هذه الجيات إلا أهل الحديث المحض الذين تبعوا القرآن والرسول ،
وعضوا على سنته بالنواجذ ، والحمد لله على الإسلام والسنة .

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، إذا سئل المعطل والمثبت
عن قول كل واحد منها :

وسل المعطل ما تقول إذا أتى فئتان عند الله تختصمان
إحداهما حكمت على معبودها بعقولها وبفكرة الأذهان
سمته معقولاً وقالت إنه أولى من المنصوص بالبرهان
والنص قطعاً لا يفيد فنحن أولنا وفوضنا لنا قولان
قالت وقلنا فيك لست بداخل فينا ولست بخارج الأكوان
والعرش أخليناه منك فلست فوق العرش لست بقابل لمكان
وكذلك لست بمقابل القرآن بل قد قاله بشر عظيم الشأن
ونسبته حقاً إليك بنسبة الشرف تعظيماً لذي القرآن
وكذلك قلنا لست تنزل في الدجى إن النزول صفات ذي الجئان
وكذلك قلت ألسنت ذا وجه ولا سمع ولا بصر فكيف يدان
وكذلك قلنا لا ترى في هذه الدنيا ولا يوم المعاد الثاني
وكذلك قلنا ما لعلك حكمة من أجلها خصته بزمان

ماثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان
لكن منا من يقول بحكمة ليست بوصف قام بالرحمن
هذا وقلنا ما اقتضته عقولنا وعقول أشياخ ذوي عرفان
قالوا لنالا تأخذوا بطواهر الوحيين تسلخوا من الإيمان
بل فكروا بعقولكم إن شئتم أو فاقبلوا آراء عقل فلان
فلأجل هذا لم نحكم لفظ آ ثار ولا خبر ولا قرآن
إذ كل تلك أدلة لفظية معزولة عن مقتضى البرهان

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله من غير تحريف ولا كتمان
قالوا تلقينا عقيدتنا عن الوحيين بالأخبار والقرآن
فالحكم ما حكمنا به لا رأي أهـل الاختلاف وظن ذي الحسبان
آراءهم أحداث هذا الدين نا قضية لأصل طهارة الإيمان
آراءهم ريح المقاعد أين تلك الريح من روح ومن ريحان
قالوا وأنت رقينا وشهيدنا من فوق عرشك يا عظيم الشأن
إنا أئينا أن ندين ببدعة وضلالة أو إفك ذي بهتان

لكن بما قد قلته أوقاله من قد أتنا عنك بالفرقات
وكذاك فارقناهم حين احتياج الناس للأنصار والأعوان
كيلا نصير مصيرهم في يومنا هذا ونطمع منك بالغفران
فمن الذي منا أحق بأمنه فاختر لنفسك يا أخا العرفان
لا بد أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض العظيم الشأن
وهناك يسألنا جميعاً ربنا ولديه قطعاً نحن محتصمات
فتقول قلت كذا وقال نينا أيضاً كذا فإمامنا الوحيان
فافعل بنا ما أنت أهل بعد ذا نحن العبيد وأنت ذو الإحسان
أفتقدرون على جواب مثل ذا أم تعدلون إلى جواب ثان
ما فيه قال الله قال رسوله بل فيه قلنا مثل قول فلان
وهو الذي أدت إليه عقولنا لما وزنا الوحي بالميزان
إن كان ذلكم الجواب مخلصاً فامضوا عليه يا ذوي العرفان
تالله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان

حاصل كلام الناظم في هذين الفصلين أنه يحكي جواب المعطل والمثبت
عن قول كل واحد منها إذا سألهما الرب تعالى يوم القيامة ، ومعنى ما ذكره
أن المعطل يقول لربه إذا سأله يوم القيامة : يارب إني حكمت عليك بالعقل
والفكرة . وهذا أولى من المنصوص ، وقلت : إنك لست بداخل العالم ولا
خارجه ، وإنك لست فوق العرش ، وإنك لست بقاتل القرآن ، بل هو

عبارة أو حكاية عبر بها رسولك البشري وهو محمد ﷺ عن المعنى
النفسي ، وإن نسبته إليك نسبة تشريف كما يقال : بيت الله ، وكذا قلنا :
لست تنزل في الدجى لأن النزول من صفات الأجسام ، وكذا قلنا : لا وجه
لك ولا سمع ولا بصر ولا يدان ، وكذا قلنا : إنك لا ترى في الآخرة ؛
وكذا قلنا : ما فعلك حكمة ، وليس ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل ،
ومع ذلك فما من يقول : الحكمة ليست تقوم بالرحمن سبحانه ، لأن ذلك
يستلزم قيام الحوادث به تعالى ، وقلنا ما اقتضته عقولنا وعقول أشياخنا ،
وهم قد قالوا : لا تأخذوا بظواهر الوحيين ، بل فكروا بعقولكم أو فاقبلوا
رأي فلان وفلان ، قالوا : فلأجل هذا لم نحكم لفظ آثار ولا قرآن ، لأنها أدلة
لفظية لا تفيد اليقين ، وأما الآخرون وهم المثبتة فإنهم أتوا بما قد قاله الله ورسوله
من غير تحريف ولا كتمان ، وقالوا : تلقينا عقيدتنا عن الوحيين ، والحكم
عندنا ما حكما به ، لا رأي أهل الاختلاف والظنون الفاسدة . قالوا : لا بد
أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض ، وهناك يسألنا جميعاً ربنا فنقول :
قلت كذا وقال نبينا كذا ، فافعل بنا ما أنت أهل له ، فنحن عبيدك وأنت
ذو الإحسان ، أفقدرون أيها المعطلة على مثل هذا الجواب ؟ أم تجيبون
بجواب ليس فيه قال الله قال رسوله ؟ بل تقولون : قولنا مثل قول فلان ،
وهذا هو الذي أدت إليه عقولنا ، فإن كان هذا الجواب مخلصاً لكم فامضوا
عليه ، والله الموفق .

فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطين شهادة تؤدى عند رب العالمين .

يا أيها الباغي على أتباعه بالظلم والبهتان والعدوان
قد حملوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن
واشهد عليهم إن سألت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان
فوق السموات العلى حقاً على العرش استوى سبحانه ذي السلطان
والأمر ينزل منه ثم يسير في الأقطار سبحانه العظيم الشان
وإليه يصعد ما يشاء بأمره من طيبات القول والشكران
وإليه قد صعد الرسول وقبلة عيسى بن مريم كاسر الصليان
وكذلك الأملاك تصعد دائماً من ههنا حقاً إلى الديان
وكذاك روح العبد بعد مماتها ترقى إليه وهو ذو إيمان
واشهد عليهم أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
سمع الأُميين كلامه منه وأدا ه إلى المبعوث بالفرقان
هو قول رب العالمين حقيقة لفظاً ومعنى ليس يفترقان
واشهد عليهم أنه سبحانه قد كلم المولود من عمران

سمع ابن عمران الرسول كلامه منه إليه مسمع الآذان
واشهد عليهم أنهم قالوا بآب الله ناجاه بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم قالوا بآب الله نادى قبله الأيوان
واشهد عليهم أنهم قالوا بآب الله يسمع صوته الثقلان
والله قال بنفسه لرسوله إني أنا الله العظيم الشأن
والله قال بنفسه لرسوله إذهب إلى فرعون ذي الطغيان
والله قال بنفسه حمّ مع طه ومع يس قول بيان
واشهد عليهم أنهم وصفوا الإله بكل ما قد جاء في القرآن
وبكل ما قال الرسول حقيقة من غير تحريف ولا عدوان
واشهد عليهم أن قول نبيهم وكلام رب العرش ذا التينان
نص يفيد لديهم علم اليقين إفادة المعلوم بالبرهان
واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التّعطيل والتمثيل بالنكران
إن المعطل والممثل ماسما متيقنين عبادة الرحمن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبداً وهذا عابد الأوثان
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الأسماء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفا ت وهذه الأركان للإيمان

قالوا عليم وهو ذو علم ويعلم غاية الأسرار والإعلان
وكذا بصير وهو ذو بصر ويبصر كل مرئي وذو الأكوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويسمع كل مسموع من الأكوان
متكلم وله كلام وصفه ويكلم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر يا أخا السلطان
وهو المرید له الإرادة هكذا أبداً يريد صنائع الاحسان
حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات أن المثبتة قد حملوا المعطلة شهادة
تؤدي عند ربهم سبحانه بآيات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله من الصفات من
غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، وذلك كما هو الله تعالى على خلقه، ونزول
الأوامر منه سبحانه، وعود الكلام الطيب إليه، ومعرّاج الرسول إليه،
ورفع عيسى بن مريم عليه السلام إلى الله، وكذا صعود الملائكة إليه دائماً،
وكذا روح المصدق بعد الممات تصعد إليه، وأنه سبحانه متكلم بالروحي
والقرآن، وإن الأمين جبريل سمع كلامه، وأداه إلى الرسول ﷺ
وأنه قول رب العالمين حقيقة لفظه ومعناه . واشهد عليهم أيها المعطل
أنه سبحانه كلم المولود من عمران، وهو موسى عليه السلام،
وأن الله ناداه وتناجاه وكذا اشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله نادى قبله
الأبرين آدم وحواء، واشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله ينادي خلقه يوم القيامة
بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، واشهد عليهم أنهم قالوا: إن
الله سبحانه قال: بنفسه (حم) و (طه) و (يس) وأنهم وصفوه سبحانه

بكل ما قد جاء في القرآن ، وبكل ما قال الرسول ، من غير تحريف ولا عدوان ، واشهد عليهم أن كلام الله ورسوله عندهم نص يفيد علم اليقين ، واشهد عليهم أنهم أنكروا التعطيل والتمثيل ، وأن المعطل والممثل غير متيقنين عبادة الرحمن عز وجل ، لأن المعطل يعبد عدماً ، والممثل يعبد صنماً ، تعالى الله وتقدس ، واشهد عليهم أيها المعطل أنهم قد أثبتوا أسماء الرب تعالى وصفاته المقدسة ، وكذا أثبتوا أحكام الصفات ، وأنه سبحانه عليم يعلم ويعلم السر وأخفى ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه بصير وذو بصر ويبصر كل شيء ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه سميع وذو سمع ويسمع كل مسموع ، وأنه سبحانه متكلم وله كلام ، ويكلم من شاء سبحانه ، وكذا أثبتوا له سبحانه القوة بقوة هي وصفه وهو على كل شيء قدير ، وأثبتوا أنه تعالى مريد وله الإرادة ويريد سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والوصف معنى قائم بالذات والـ	أسماء إعلام له بوزان
أسماءه دلت على أوصافه	مشتقة منها اشتقاق معان
وصفاته دلت على أسمائه	والفعل مرتبط به الأمران
والحكم نسبتها إلى متعلقا	ت تقتضي آثارها بيان
ولربما يعني به الاخبار عن	آثارها يعني به أمران
والفعل إعطاء الإرادة حكمها	مع قدرة الفعال والإمكان
فاذا انتفت أوصافه سبحانه	فجميع هذا بين البطلان

أي إن صفاته سبحانه مغان قائمة بذاته ، والأسماء أعلام ، والأسماء تدل على الصفات ، وهي مشتقة منها ، وصفاته دلت على أسمائه . وتوضيح ذلك أنه لما اتصف سبحانه بالعلم اشتق له منه اسم العليم ، ولما اتصف سبحانه بالرحمة اشتق له منها اسم الرحمن ، وهكذا قوله : والحكم نسبتها الى متعلقات تقتضي آثارها بيان ، يعني أن أحكام الصفات تنسب الى متعلقات تقتضي آثارها وذلك أن نقول : هو سبحانه عليم ويعلم كل شيء ، بصير ويصير كل شيء ، سميع ويسمع كل شيء ، كما تقدم في الآيات .

قوله : فإذا انتفت أوصافه سبحانه الخ... أي : إذا انتفت صفاته سبحانه ، فجميع هذا باطل بغير شك ، وأهل الاثبات يشبتون جميع ذلك خلافاً للمعطلة القائلين بأنه سبحانه عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، بصير بلا بصر ، ونحو ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قالوا بهذا كله جهراً بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم برآء من تأويل كل محرف شيطان
واشهد عليهم أنهم يتأولون حقيقة التأويل في القرآن
هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به لا قائل الهديان
واشهد عليهم أن تأويلاتهم صرف عن المرجوح المرجحان

أي : واشهد عليهم أيها المفضل أنهم يتأولون ، ولكن لا بالمعنى المصطلح عليه عند كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترون به ، فهذا القسم

من التأويل باطل عند المثبتة ، والتأويل الذي يثبتونه هو بمعنى التفسير ، وهذا معنى قول الناظم : هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به الخ . وذلك كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين ، وبجاهد إمام المفسرين ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما : فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد معرفة تفسيره ،

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم حملوا النصوص على الحقيقة لا المجاز الثاني
إلا إذا ما اضطروهم لمجازها الممضطر من حس ومن برهان
فهنالك عصمتها إباحته بغير تجانف للآثم والعدوان
حاصل ما نتكلم به في هذه الأبيات أن نذكر كلام العلماء في المجاز وثبوتة أو نفيه ، ثم نتكلم على معنى الأبيات الثلاثة بما يسره الله تعالى (١)
فنقول : قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب « التحرير » في أصول الفقهاء الأربعة وغيرهم : المجاز واقع ، وخالف الأستاذ والشيخ وغيرهما وردوه إلى المتواطىء ، وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح ، وهو في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه . والأكثر ، وعنه : لا ، اختاره ابن حامد والتميمي ، والحرزي وغيرهم . وقيل : ولا في الحديث أيضاً . انتهى كلامه . ومعنى كلامه أن الأئمة الأربعة وغيرهم ذهبوا إلى وقوع المجاز ، وخالف في ذلك الأستاذ يعني الشيخ أبا إسحق الأسفراييني الشافعي ، والشيخ ، يعني به

(١) ذكر المصنف رحمه الله ما أراد ذكره من كلام العلماء ، ولكنه لم يتكلم على

معنى الآيات الثلاثة . (ابن مانع)

شيخ الاسلام رحمها الله تعالى ، وكلامه رحمه الله معروف في كتاب « الايمان » وهو أنه اختار نفي المجاز في الكتاب والسنة ولغة العرب . والناظم رحمه الله في هذا الموضع اختار في المسألة تفصيلاً . وهوان النصوص تحمل على الحقيقة إلا عند الاضطرار الى المجاز ، فتصرف اليه . وقد قال في كلام له : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : احدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً . والثاني : ما اطرده استعماله على طريقة واحدة في جميع موارد ، فانه نص في معناه لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً وان قدر تطرق ذلك الى بعض أفراد ، وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب اليه وإن تطرق الى واحد بمفرده .

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرده استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل لما يكون لظاهر قد ورد مثلاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج الى تأويله ليوافقها ، وأما اذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، (فقد) صارت بمنزلة النص وأقوى وتأويلها ممتنع . انتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره قد ذكره غيره من العلماء ، وهو أنهم قالوا : إن الأدلة إذا تكاثرت ودلت على معنى ، ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة ، وجب الأخذ بتلك الأدلة ، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها . وقد رأيت شيخ الاسلام أثبت المجاز في بعض كلامه ، قال في «الفتاى الدمشقية» واعلم ان من لم يحكم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي ، أو العرفي أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة ، وإما في المركبة ، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من

التركيب الذي يتغير به دلالة في نفسه ، وتارة بما اقتون به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً ، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه ، وسياق الكلام الذي يعين أحد احتمالات اللفظ ، أو يبين أن المراد به هو مجازه ... إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور ، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع . نعم إذا لم يقتون باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة تبين مراد المتكلم ، بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل ، فهذا أريد به خلاف الظاهر ، كالعموم الخصوص بدليل منفصل ... إلى أن قال : إن الألفاظ نوعان : أحدهما : ما معناه مفرد ، كلفظ الأسد ، والحمار ، والبحر ، والكلب ، فهذا إذا قيل : أسد الله وأسد رسوله ، أو قيل للبلد : حمار . أو قيل للعالم أو السخي أو الجواد : أمن الحيل بجرأ ، أو قيل للأسد : كلب ، فهذا مجاز ، ثم اقتوت به قرينة تبين المراد . كقول النبي ﷺ : لفرس أبي طلحة : « ان وجدناه لبحراً » وقوله : « إن خالداً سيف من سيوف الله سله الله على المشركين »^(١) وقوله لعثمان : « ان الله مقيمك قميصاً » .

(١) أورده هذا اللفظ الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » من رواية ابن عساكر عن عمر . ورمز له بالضعف . ولكن رواه أحمد في « المسند » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم عبد الله وأخو العشرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين » قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » رواه أحمد ، والطبراني بنحوه ورجالها ثقات ، ورواه الترمذي من رواية زيد بن أسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله » قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا يعرف لزيد بن أسلم سماع من أبي هريرة ، وهو حديث مرسل عندي . ورواه الطبراني عن أنس بن مالك قال : نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مؤتة على المنبر قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله » قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح . وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نعى أهل مؤتة قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله » خالد بن الوليد فتح الله عليه » قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وهو إمام ثبت

وقول ابن عباس : الحبر الأسود بين الله في الارض ، فمن استلمه وصافحه
حكماً بما يبيع ربه ، ^(١) أو كما قال ، ونحو ذلك ، فهنا اللفظ فيه تجوز. إلى آخر
كلامه . فهذا ظاهر في اثبات المجاز والله أعلم .

وأما الناظم رحمه الله تعالى فقد رأيت في كلامه في النظم ، وفي
كلامه الذي نقلناه عنه . ولكنه قد بالغ في كتاب « الصواعق المرسلة »
في إبطال المجاز ، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهاً . ورد على ابن جني
كلامه في المجاز من أوجه كثيرة والله أعلم .
قال الناظم رحمه الله تعالى .

واشهد عليهم أنهم لا يكفروا نكم بما قلتم من الكفران
اذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولي كفر ولا إيمان
لا تعرفون حقيقة الكفران بل لا تعرفون حقيقة الإيمان
الا اذا عاندتم ورددتهم قول الرسول لأجل قول فلان
فهناك أنتم أكفر الثقلين من انس وجن ساكني النيران

يأتي الكلام في مسألة التكفير ان شاء الله تعالى في النصل الذي أوله :
ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـأقدار واردة من الرحمن
واشهد عليهم أن حجة ربهم قامت عليهم وهو ذو غفران

(١) هذا الحديث روي موقفاً على ابن عباس ، وروي مرفوعاً بعدة روايات لا تخلو كلها

واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقة الطاعات والعصيان
والجبر عندهم محال هكذا نفي القضاء فبُست الرأيان
واشهد عليهم ان ايماء الورى قول وفعل ثم عقد جنان
ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا بالضد يسمي وهو ذو نقصان
والله ما ايمان عاصينا كايان الامين منزل القرآن
كلا ولا ايمان مؤمننا كايان الرسول معلم الايمان
واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا أهل الكبائر في حميم آن
بل يخرجون باذنه بشفاعة وبدونها لمساكن بجنان
واشهد عليهم أن ربهم يرى يوم المعاد كما يرى القمران
واشهد عليهم أن أصحاب الرسول خيار خلق الله من انسان
حاشا النبين الكرام فانهم خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم خلفاؤه من بعده وخيارهم حقاً هما العمران
والسابقون الأولون أحق بالتقديم ممن بعدهم ببيان
كل بحسب السبق أفضل رتبة من لاحق والفضل للزمان
قد تكلمنا على أكثر مضمون هذه الآيات في غرضون هذا الشرح .
وأمّا مسألة خلق أفعال العباد ، ومسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية و

يزيد وينقص ، فينبسط الكلام عليها بعض البسط ، لأنها من الأصول الكبار
لأهل السنة والجماعة ، فنقول :

قوله : واشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة الطاعات الخ . . . أي : أن
أهل الإثبات ، أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بالقدر خيره وشره . والإيمان
بالقدر على درجتين : كل درجة تتضمن شيئين . فالدرجة الأولى الإيمان بأنه
تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أولاً وأبداً ،
وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآجال ، ثم كتب الله في اللوح
المحفوظ مقادير الخلق . فأول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟
فقال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ^(١) ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ،
وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات
وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ وقال
تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها) الحديد : ٢٤ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه ، يكون
في مواضع جملة وتفصيلاً . فقد كتب في اللوح المحفوظ : فإذا خلق جسد
الجنين قبل نفخ الروح ، بعث إليه ملك ، فيأمر بأربع كلمات ، فيقال :
اكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، ^(٢) وأما الدرجة الثانية ،

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣١٧/٥) وسنده حسن ، ورواه أبو داود رقم
(٤٧٠٠) ورواه الترمذي في القدر وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأخرجه
في التفسير من هذا الوجه وقال : حديث غريب ، فالحديث بجموع طرقة صحيح .

(٢) يشير بذلك إلى ما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في
بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم
يرمى إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ،
وشقي أو سعيد . . . » الحديث

فهو مشيئة الله تعالى النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى ، لا يكون في ملكه ما لا يريد سبجانه ، وأنه سبجانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء ، إلا الله سبجانه خالقه ، ولا خالقه غيره ، ولا رب سواه . وقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسوله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبجانه يحب المتقين والمحسين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن ، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي . وللعباد قدرة على أعمالهم ، وإرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التكوير : ٢٨ ، ٢٩ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ « مجوس هذه الأمة » ^(١) ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجونه عن أفعال الله وحكمها ومصالحها .

قوله : والجبر عندهم المحال النح . . . اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر . قال الحلال في كتاب « السنة » الرد على القدرية ،

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٦٩١) وفي سنده انقطاع ، ورواه أحمد في « المسند » وفيه ضعف . ورواه الآجري في كتاب « الشريعة » ص (١٩٠) وفيه ضعف أيضاً ولكن ربما كان مجموع طرقه يصلح للاحتجاج .

وقولهم . إن الله أجبر العباد على المعاصي ، ثم روي عن عمر ، وابن عثمان عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ، ويقدر ، ويخلق ، ويجبل عبده على ما أحب . وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء ، والقدر ، والخلق ، والجبل ؛ فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين ، من أحسن الأجوبة .

أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري ، فإنه قال : أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، فنفي الجبر ، وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة ؛ هو إلزام الإنسان بخلاف رضاء ، كما يقول الفقهاء في باب النكاح : هل تجبر المرأة على النكاح ، أو لا تجبر ؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع ؟ فيعنون يجبرها ، إنكاحها بدون رضاها واختيارها ، ويعنون بعصلها ، منعها بما ترضاه وتختاره . فقال : الله أعظم من أن يجبر أو يعضل ، لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله ، ومبغضاً وكارهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ، فلا يكون العبد مجبوراً على ما يحبه ويرضاه ويريده ، وهي أفعاله الاختيارية ، ولا يكون معضولاً عما يتركه فيبغضه ويكرهه ، أو لا يريد ، وهي تروكه الاختيارية .

وأما الأوزاعي : فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ ، وإن عني به هذا المعنى ، حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل ، وذلك لا يسوغ .

فان قيل : إنه يراد به معنى صحيح . قال الحلال : أنا أبو بكر المروزي
قال : سمعت بعض المشيخة يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول :
أنكر سفيان الثوري الجبر وقال : الله جبل العباد . وقال المروزي : أظنه
أراد قول النبي ﷺ لأشج عبد القيس يعني قوله الذي في « صحيح مسلم »
« إن فيك لخلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة » فقال : أخلقين تخلقتهما ، أو
خلقين جبلت عليهما ؟ فقال : بل خلقين جبلت عليهما «^(١) فقال : الحمد لله الذي
جبلني على خلقين يحبهما الله . ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق أفعال العباد
بقوله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً . وإذا مسه
الخير منوعاً) المعارج : ١٩ - ٢١ فأخبر أنه خلق على هذه الصفة ، واحتج
غيره بقول الخليل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) إبراهيم : ٤٠
وقوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) البقرة : ١٢٨
وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي ، لأن الزبيدي نفى الجبر ، والأوزاعي
منع إطلاقه ، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً ، فنفيه قد يقتضي نفي
الحق والباطل ، كما ذكر الحلال ما ذكره عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة »
فقال : ثنا محمد بن بكار ، ثنا أبو معشر ، ثنا بن محمد بن كعب ، قال : إنما
سمي الجبار ، لأنه يجبر الخلق على ما أراد ، فإذا امتنع من إطلاق اللفظ المجمل
المشتبه ، زال المحذور ، وكان أحسن من نفيه ، وإن كان ظاهراً في المعنى
الفاقد ، خشية أن يظن أنه ينفي المعنيين جميعاً ، وهكذا يقال في نفي الطاقة
عن المأمور ، فإن إثبات الجبر في المحذور نظير سلب الطاقة في المأمور ،

(١) رواه مسلم عن ابن عباس بلفظ « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » وفي
رواية لمسلم أيضاً « إن فيك لخصلتين » . ورواه بالزيادة التي في الكتاب أبو يعلى في مسنده وغيره .

وهكذا كان يقول الامام أحمد وغيره من أئمة السنة . قال الحلال : أنبأ
المسيوني قال : سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يناظر خالد بن
خراش ، يعني في القدر ، فذكروا رجلاً فقال عبد الله : إنما كره من هذا أن تقول :
أجبر الله وقال : أنبأ المروزي ، قلت لأبي عبد الله : رجل يقول : إن الله
أجبر العباد . فقال : هكذا لا نقول ، وأنكر هذا . وقال : يضل من يشاء ،
ويهدي من يشاء . قال : أنبأ المروزي ، قال : كتب الى عبد الوهاب في
أمر حسن بن خلف العكبري ، وقال : إنه تنزه عن ميراث أبيه . فقال :
رجل قدرني . قال : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي ، فرد عليه أحمد بن
رجاء فقال : إن الله جبر العباد على ما أراد ، أراد بذلك إثبات
القدر ، فوضع أحمد بن علي كتاباً يحتج فيه ، فأدخلته على أبي عبد الله
فأخبرته بالقصة ، فقال : ويضع كتاباً ؟ ! وأنكر عليها جميعاً ، على ابن رجاء
حين قال : جبر العباد ، وعلى القدري حين قال : يجبر ، وأنكر على أحمد
ابن علي وضعه الكتاب ، واحتجاجه ، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب ، وقال
لي : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد ، فقلت لأبي
عبد الله : فما الجواب في هذه المسألة ؟ قال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء .
قال المروزي في هذه المسألة : إنه سمع أبا عبد الله لما أنكر على الذي قال :
لم يجبر ، وعلى من رد عليه جبر . فقال أبو عبد الله : كلما ابتدع رجل بدعة
أتسع الناس في جوابها ، وقال : يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثه ، وأنكر
على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن له فيها إمام تقدم . قال
المروزي : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبر ، ومعه مشيخة
وكتاب من أهل عكبر ، فأدخلت أحمد بن علي على أبي عبد الله فقال :

يأبأ عبد الله هو ذا الكتاب ، ادفعه الى أبي بكر حتى يقطعه ، وأنا أقوم على منبر عكبر ، وأستغفر الله عز وجل . فقال أبو عبد الله لي : ينبغي أن يقبلوا منه ، فرجعوا له . وقد بسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا الموضع . انتهى كلام شيخ الاسلام .

قوله : واشهد عليهم أن إيمان الوري قول وفعل الخ . . . هذه المسألة من مسائل الأصول الحكيمة ، ومذهب أهل السنة والجماعة ، أن الإيمان تصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، وقول باللسان ، وأنه يزيد وينقص . وذهب جهم ، والصاحلي ، والأشعري في المشهور من قوله ، إلى أن الإيمان هو تصديق القلب . وذهبت المرجئة ، إلى أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب . وذهبت الكرامية ، إلى أن الإيمان هو تصديق اللسان فقط . قال الامام الشافعي رحمه الله في « الأم » : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركتهم يقولون : إن الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، لا تجزى واحدة من الثلاثة الا بالأخرى .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ولهذا كان القول ! إن الإيمان قول ، وعمل عند أهل السنة ، ومن شعائر السنة .

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الجمال قال : أملى علينا اسحاق بن راهويه ، أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، لا شك أن ذلك كما وصفنا ، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة ، والآثار العامة المحكمة ، وأقوال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم جراً على ذلك ، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد ، لا يختلفون فيه ،

وكذلك في عهد الاوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالعراق ، ومالك بن أنس بالحجاز ، ومعمّر باليمن على ما فسرنا وبيننا أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وقال اسحاق : من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقتها ، الظهر إلى المغرب ، والمغرب إلى نصف الليل ، فإنه كافر بالله العظيم ، يستاب ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع وقال : تركها كفراً ، ضربت عنقه ، يعني تركها وقال ذلك ، وأما إذا صلى وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد . قال : واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم ، إلا من باين الجماعة ، واتبع الأهواء المختلفة ، فأولئك لا يعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة .

قوله : يزيد بالطاعات قطعاً النخ ؛ أي : أن أهل السنة والحديث ، على أن الإيمان يتفاضل ، وجمهورهم يقول : يزيد وينقص ، ومنهم من يقول : يزيد ، ولا ينقص ، كما روي عن مالك في إحدى الروايتين ، ومنهم من يقول : يتفاضل ، كعبد الله بن المبارك ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ، ولم يعرف فيه مخالف منهم ، فروى الناس من وجود كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة ، عن أبي جعفر ، عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : الإيمان يزيد وينقص . قيل له : وما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه ، فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا ، فذلك نقصانه .

وروى اسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد ، عن أبي الدرداء ، قال : الإيمان يزيد وينقص . وقال أحمد بن حنبل : ثنا يزيد ، ثنا جرير بن عثمان قال : سمعت أسيافاً أو بعض أسيافنا أن أبا الدرداء ، قال : من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أن يزداد

إيمانه ، أم ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أني تأتيه ؟

وروى أسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي ، عن أبي هريرة قال : الإيمان يزيد وينقص . وقال أحمد بن حنبل : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن زرقالا : كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيماناً ، فيذكرون الله عز وجل . وقال أبو عبيد : في « الغريب » في حديث علي : إن الإيمان يبدو ولمظة في القلب ، كلما ازداد الإيمان ، ازدادت اللمظة . وروي ذلك عن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي قال . الأصمعي اللحظة مثل النكتة أو نحوها .

وقال أحمد بن حنبل : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن هلال ، عن عبد الله ابن عكيم قال : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيماناً وإيقاناً وفقها .

وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد ، عن سواد بن هلال قال : كان معاذ بن جبل يقول للرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله تعالى . وروى أبو اليمان : ثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه يقول : قم بنا نؤمن ساعة ، ف يجلس في مجلس ذكر . وهذه الزيادة قد ذكرها الصحابة ، وأثبتوها بعد موت النبي ﷺ ونزول القرآن كله . وصح عن عمار بن ياسر أنه قال : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان . الانصاف من نفسه ، والانفاق من الاقتار ، وبذل السلام للعالم . ذكره البخاري عنه في « صحيحه » وقال جندب بن عبد الله : وابن عمر وغيرهما : تعلمنا الإيمان ، تعلمنا القرآن ، فازدنا إيماناً . والآثار في هذا كثيرة ، رواها المصنفون في هذا الباب عن

الصحابه والتابعين في كتب كثيرة معروفة . وقال الحافظ ابو عمرو بن عبد البر
في « التمهيد » أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان . قول وعمل ،
ولا عمل إلا بنية ، والايمان عندهم يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعصية ،
الطاعات كلها عندهم ايمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه ، فإنهم
ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا : إنما الايمان التصديق والإقرار ،
ومنه من زاد المعرفة ، وذكر ما احتجوا به ... إلى أن قال : وأما سائر
الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز ، والعراق والشام ، ومصر ، منهم
مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن
سلام ، وداود بن علي ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم ، فقالوا : الايمان
قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح
مع الاخلاص بالنية الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجل به من
فريضة ونافلة ، فهو من الايمان ، والايمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ،
وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملين للإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما
صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر . ألا ترى قوله ﷺ « لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ... » الحديث ^(١) يريد مستكمل الايمان ، ولم يرد به
نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك ، بدليل الاجماع على توريت الزاني ،
والسارق ، والشارب للخمر إذا صلوا الى القبلة ، وانتحلوا دعوة الإسلام ،
من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال ، واحتجوا على ذلك ثم
قال : وأكثر أصحاب مالك قالوا : إن الايمان والاسلام شيء واحد ، قال :

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما قول المعتزلة ، فالإيمان عندهم جماع الطاعات ، ومن قصر عن شيء منها فهو فاسق ، لا مؤمن ، ولا كافر ، وهو لا يهتم المحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين ... الى أن قال : وعلى أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الأثر ، والفقهاء من أهل الفتيا في الامصار .
وروى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ، وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ، ومعن بن عيسى ، وابن نافع أنه يزيد وينقص ، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله . ثم ذكر حجج المرجئة ، ثم حجج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقة ، ونحو ذلك ، وبالموارثة . ومحدث عبادة بن الصامت من أصاب ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له . وقال : الإيمان مراتب ، بعضها فوق بعض ، فليس ناقص الإيمان ككامل الإيمان . قال الله تعالى :
(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقاً) الأنفال : ٢-٤ . وكذلك قول صلى الله عليه وسلم « المؤمن من آمنه الناس ، من المسلم سلم الناس من لسانه ويده » ^(١) اي حقاً ، ومن هذا قوله « اكمل المؤمنين إيماناً » ^(٢) ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص . وقوله :

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان بلفظ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دماغيهم واموالهم » . وروى البخاري ومسلم الفقرة الأولى من هذا الحديث ،

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً » رواه احمد .
وابو داود ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة .

« أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله » ^(١) وقوله : « لا ايمان لمن لا امانة له » ^(٢) يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض ، وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره « من أحب الله وأبغض الله ... » ^(٣) الحديث . وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول ، وعمل ، ونية ، واصابة السنة . ومن حجج الجهمية على ان الأعمال ليست من الايمان أنهم قالوا : ان القرآن نفى الايمان عن غير هؤلاء كقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) الأنفال : ٢ - ٤ الايات . ولم يقل : ان هذه الاعمال من الايمان قالوا : فنحن نقول : من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أنهم سلموا أن هذه الأعمال لازمة لايمان القلب ، فإذا انتفت لم يبق في القلب ايمان ، وهذا هو المطلوب ، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزء ، نزاع لفظي :

الثاني : أن نصوصاً صرحت بأنها جزء كقوله : « الايمان بضع وسبعون شعبة ، أو ست وسبعون شعبة » . ^(٤)

(١) رواه احمد في « المسند » عن البراء بن عازب . والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه احمد في « المسند » وابن حبان ، والطبراني في « الأوسط » و« الصغير » وهو حديث حسن .

(٣) رواه ابو داود في « سننه » وسنده حسن . وقامه « واعطى الله ومنع لله فقد استكمل الايمان .

(٤) أخرجه الشيخان ، ولفظ : ست وسبعون شعبة ، من رواية ابي عوانة في صحيحه .

الثالث : أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال عن كل إيمان ، كان قولكم قول الخوارج ، وأنتم في طرف ، والخوارج في طرف ، فكيف توافقونهم في هذه الأمور ؟ ! ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والإجابة إلى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه ، وإن كفرتموه كان قولكم قول الخوارج .

الرابع : إن قول القائل إن انتفاء بعض هذه الأعمال يستلزم أن لا يكون في قلب الإنسان شيء من التصديق بأن الرب حق ، قول يعلم فساده بالاضطرار .

الخامس : أن هذا إذا ثبت في سائر الواجبات ، فيرتفع النزاع المعنوي . ومن حججهم العقلية أيضاً أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، ولهذا صنف الفخر الرازي « مناقب الإمام الشافعي » ذكر قوله في الإيمان ، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع الصحابة والتابعين ، فاستشكل الرازي قول الشافعي جداً ، لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الإيمان من الخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والكرامية ، وسائر المرجئة ، وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، لكن هو لم يذكر الاظهار شبهتهم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : والجواب عما ذكره هو سهل ، فإنه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء . والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون : إن الذنب يقدح في كمال الإيمان ، ولهذا نفى الشارع الإيمان عن هؤلاء ، فذلك المجموع الذي هو الإيمان لم يبق مجموعاً مع

الذنوب ، لكن يقولون بقي بعضه ، إما أصله وأكثره ، وإما غير ذلك ،
فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ، ويبقى بعضه . ولهذا كانت المرجئة
تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة ، لأنه إذا نقص لزم
ذهابه كله عندهم ، إن كان متعدداً متبعضاً عند من يقول بذلك ، وهم
الخوارج ، والمعتزلة . وأما الجهمية فهو واحد عندهم ، لا يقبل التعدد ،
فيثبتون واحداً لاحقيقة له ، كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ، ووحدانية
صفاته عند من أثبتها منهم . ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا
الاعتقاد ، اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان ، وبعض الكفر ،
أو ما هو إيمان ، وما هو كفر ، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين ،
كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هذا الإجماع وقعوا فيما
هو مخالف للإجماع الحقيقي ، إجماع السلف الذي ذكر غير واحد من الأئمة ،
بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الإيمان . انتهى
المقصود من كلامه . وقد بسط رحمه الله الكلام في الإيمان ، وكلام الناس
فيه ، وما لهم وعليهم في كتاب «الإيمان» الكبير ، فمن أراد ذلك فليراجعه ،
والله أعلم .

قوله : العمران ، يعني أبابكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا من

باب التغليب ، كما قالوا : سيرة العمرين .

فصل

في عهد المشين مع رب العالمين

يناصر الاسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
يامن هو الحق المبين وقوله ولقاؤه ورسوله ببيات
اشرح لدينك صدر كل موحد شرحاً ينال به ذري الايمان
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما قد قاله ذو الافك والبهتان
وانصر به حزب الهدى واكبت به حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانعش به من قصده إحياءه واعصمه من كيد امرىء فتان
واضرب بحقك عنق أهل الزيف والتبديل والتكذيب والطغيان
فوحق نعمتك التي أوليتني وجعلت قلبي واعى القرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى فقرأت فيه أسطر الايمان
ونشلتني من حباب الهوى بجبال من محكم الفرقان
وجعلت شرابي المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمان
وعصمتني من شرب سفل الماء تحسنت نجاسة الآراء والأذهان

وحفظتني مما ابتليت به الألى حكموا عليك بشرعة البهتان
نبدوا كتابك من وراء ظهورهم وتمسكوا بزخارف الهذيان
وأريتني البدع المضلة كيف يلـتقيها مزخرفة الى الانسان
شيطانه فيظل ينقشها له نقش المشبه صورة بدهان
فيظنها المغرور حقاً وهي في التـحقيق مثل الآل في القيعان
لأجاهدن عداك ما أبقيتني ولأجعلن قتالهم ديداني
ولأفضحهم على روس الملا ولأفرين أديمهم بلسان
ولأكشفن سرائر أخفيت على ضعفاء خلقت منهم ببيان
ولأتبعهم الى حيث انتهوا حتى يقال أبعد عبّادان
عبّادان بفتح العين وتشديد الباء الموحدة ، وفيه المثل المعروف : ليس
وراء عبّادان قرية . في « القاموس » عبّادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة
ساكبتين في بحر فارس . انتهى .

ولأرجنهم بأعلام الهدى رجم المريد بشاقب الشهبان
ولأقعدن لهم مراصد كيدهم ولأحصرنهم بكل مكان
ولأجعلن لحومهم ودماءهم في يوم نصرك أعظم القربان
ولأحملن عليهم بعساكر ليست تفر إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات والمعقول والمنقول بالاحسان

حتى يبين لمن له عقل من الـأولى بحكم العقل والبرهان
ولأنصحن الله ثم رسوله وكتابه وشرائع الإيمان
إن شاء ربي ذا يكون بحوله أو لم يشأ فالأمر للرحمن

قوله : نقش المشبه صورة بدهان . المشبه : المصور ، أي : كما ينقش
المصور الصور المنقوشة في الحيطان بالدهانات من أحمر ، وأخضر ، وأصفر
ونحو ذلك .

قال في « القاموس » النقش : تلوين الشيء بلونين أو ألوان ، كالتمنيش .
انتهى . قوله : الآل هو السراب .

قوله : القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئنة قد
انفجرت عنها الجبال والآكام ، جمع قيع ، وقيعة ، وقيعان بكسرهن ،
وأقواع ، وأقوع . انتهى .

قوله : ولأفرين . قال في « القاموس » : فراه يفريه شقه فاسداً أو
صالحاً ، كفراه وأفراء . انتهى . يقال : فلان يفري الفري ، أي : يعمل
العمل البالغ .

قوله : المرید ، مرد كنصر ، وكرم ، مروداً ، ومرادةً ، فهو وارد ،
ومريد ، ومتمرد : « قاموس » .

فصل

في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل انه ليس في السماء إله يعبد ولا
الله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله

إنا تحمّلنا الشهادة بالذي قلتم تؤذيها لدى الرحمن.
ما عندكم في الأرض قرآن كلا م الله حقاً يا أولي العدوان
كلا ولا فوق السموات العلى رب يطاع بواجب الشكران
كلا ولا في القبر أيضاً عندكم من مرسل والله عند لسان
هاتيك عورات ثلاث قد بدت منكم فغطوها بلا روغان
فالروح عندكم من الأعراض قا ثمة بجسم الحي كالألوان
وكذا صفات الحي قائمة به مشروطة بحياة ذي الجثمان
فاذا انتفت تلك الحياة فينتفي مشروطها بالعقل والبرهان
ورسالة المبعوث مشروط بها كصفاته بالعلم والإيمان
فاذا انتفت تلك الحياة فكل مشروط بها لدى الازهان
أقول: رأيت في كتاب « القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد » لبعض
الشافعية ، ونقلته من خط مصنفه .

قال : قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل » عن الشيخ أبي الحسن
الأمعري : إنه يعتقد إذا حاضت الجارية ، أو بلغ الغلام ونبت شعر عاتقه
ولم يعرف الله بالدليل والبرهان ، فكل منها كافر حلال الدم .

هذا قوله عنه في هذا الكتاب ، وهذا القول في غاية البشاعة ، وما رأيت هذا في كلام أبي الحسن الأشعري . وقد يكون أبو محمد اطلع على ما لم اطلع أنا عليه ، فانه لا يشك أحد في فضيلته وكثرة علمه ، وانما كان فيه حط على العلماء خصوصاً الأشعري ، فانه ذكر عنه أنه كان يعتقد أن الروح عرض ، وأن الانسان اذا مات لم يبق له وجود ، وسفه ابن حزم هذا الرأي ، وقال : انه يلزم منه خطأ كثير ، وإن سائر الأكلب من الخلق ، من الأنبياء ، والأولياء إذا قال أحد : صلى الله عليهم ، أو رحمهم الله ، كان الكلام فاسداً لا طائل فيه ، لأنهم ليسوا موجودين ، فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل ، وهذا الكلام مخالف للكتاب والسنة ، واستشهد على تزيف هذا القول بآيات من الكتاب العزيز ، وأحاديث صحيحة من السنة . وأما آيات الكتاب ، فقوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠ . ولا شك أن أبدانهم موتى مشاهدة بالحس ، فالكلام عن ارواحهم . قال تعالى عن آل فرعون : (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) غافر : ٤٦ . ولا شك أن أجسادهم غرقى بموات ، وأكل أكثرهم السبك ، وفنوا ، فهو عن ارواحهم . ومتى قال قائل : إن الموات الجماد أو الفاني يدرك أو يحس ، كان هذا الكلام سفسطة ، ويؤيد ذلك ماورد في السنة الشريفة من قوله ﷺ لما وقف على قلب بدر وفيه جثث المشركين « يا أبا جهل بن هشام ، يا غيبة وربيعه ابني شيبه ، يا فلان ، يا فلان ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم حقاً ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، أتخاطب الجمادات ؟ قال : « إنهم لأسمع منكم ، ولكن

لا يستطيعون الكلام»^(١) وليس ذلك إلا لأرواحهم . وقوله ﷺ في بعض خطبه « حتى إذا حمل الميت على نعشه ، رفرف روحه فوق النعش يقول : يا أهلي ، ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنة أغيري ، والتبعة علي ، فاحذروا ما حل بي » فهذا قول الروح والجسد ميت فوق النعش ، فلو كانت الروح عرضاً لعدمت عند عدم الجسم ، فان العرض يبطل ببطان الحامل له وهو الجسم ، فمتى كان يرفرف ويتكلم بذلك الكلام والجسم ميت؟! قال صاحب « القول المفيد » أقول: وبما يشد كلام ابن حزم أنه ﷺ صلى بالأنبياء ليلة الاسراء ، فلا يخلو إما أن يكون صلى بأرواحهم ، أو بأبدانهم ، لاجاز أن يكون بأبدانهم ، فإن الأبدان موتى مدفونين بالأرض ، فبقي أن يكون بأرواحهم . وان كان يقول : ان الله أحياهم على طريق المعجزة للنبي ﷺ وعليهم أجمعين .

فنعقول : إما أن يكون استمروا أحياء ، أو عادوا (ماتوا) لا يجوز القول بموتهم ، لقوله تعالى عن أهل السعادة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) . الدخان : ٥٦ فكيف يمكن أن يموت من وصل بهم أهل السعادة الى مرتبة السعادة مرتين ، وغيرهم مرة واحدة؟! هذا فاسد ، ولا يصح استمرارهم أحياء لقوله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »^(٢) وقوله عليه السلام : « أنا أول الناس بعثاً يوم القيامة »^(٣) فما بقي الا أن يكون صلى بأرواحهم ، والأشعري .

(١) رواه أحمد والشيخان ، والطبراني وغيرهم بألفاظ متقاربة . وهو حديث صحيح ..

(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ ، ورواه مسلم بلفظ « أنا أول من ينشق عنه القبر »

(٣) أورده الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا » .

وقال : رواه الترمذي ورمزه بالضعف .

لا يقول بالأرواح على ما ذكره عنه ابن حزم ، وأنها عرض ، والعرض يفنى عند فساد الأجسام ، فإن العرض وجوده بوجود الجسم ، فإذا فسد الحامل فسد المحمول . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الجيوش الإسلامية » وهذا القول في النبوة بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن ، كالحياسة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فإذا زالت بالموت تبعث صفاته فزالت بزوالها ، ونجا متأخروهم من هذا الالتزام ، وفروا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر ، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت ، وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الحجج لهم ، وبيان ما في ذلك في كتاب « الكافية الشافية » انتهى .

ونقل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في « طبقات الحنابلة » ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي أنه قال يوماً على المنبر : أهل البدع تقول : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم . ونقل الحافظ ابن رجب في ترجمة الامام شيخ الاسلام عبد الله ابن محمد الأنصاري الحنبلي عن محمد بن طاهر قال : سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادماً الأنصاري يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير الطوسي وكان أصحابه كلفوه الخروج إليه ؛ وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وأجله ، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة

بين يدي الوزير ، فان أجاب بما يجيب به (هراة) سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي ، يعرف بالعلوي الدبوسي ، فقال : يأذن الشيخ الامام أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل . فقال : لم تلعن فلاناً ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لما علم من جوابه ، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجبه . فقال : لا أعرف فلاناً ، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف ، وإن النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف ، فلم يكن أحداً أن يتكلم بكلمة من هيته وصلاته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كئنا نسمع أنه يذكر هذا (هراة) ، فاجتهدتم حتى سمعناه بأذاننا ، وما عسى أن أفعل به ، ثم بعث خلفه خلعة وصلة ، فلم يقبلها ، وخرج من فوره الى هراة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلق ان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك التراب واللبنة قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن

أترأه تحت الأرض حياً ثم لا يفقههم بشرائع الإيمان
ويريح أمته من الآراء والخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللات قد أثبتوها أوضحوا بيان؟

لما ذكر الناظم قول القائلين بأن الروح عرض، والعرض لا يقوم بنفسه،
بل لا يقوم إلا بغيره، كالألوان، أي : كما أن الألوان التي هي الأعراض
كالحمرة، والصفرة، والخضرة، ونحوها لا تقوم إلا بجسم، فإذا كانت الروح
عرضاً لا تقوم بغيرها، وفارقت الجسم، بطلت صفات الجسم، والرسالة
صفة للرسول ﷺ، فيلزمهم أن الرسول ﷺ لما مات انتفت صفة الرسالة،
فلما رأوا شناعة هذا اللازم، فروا إلى القول بأن الرسول ﷺ حي في قبره
كحياته على وجه الأرض، وهذا معنى قول الناظم : ولأجل هذا رام ناصر
قولكم ترفيعه الخ . فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول ﷺ لو كان حياً في
الضريح كحياته قبل الموت، فأى حاجة إلى دفنه؟ بل يكون فوق الأرض،
وهذه سنة الله في الأحياء، وكيف يكون حياً تحت الأرض كحياته على
وجهها، ثم لا يفتي أصحابه بالشرائع، ولا يريح أمته من الآراء والاختلافات
العظيمة التي حدثت بعده؟! فإن كان عاجزاً عن النطق، والجواب، والحركة
فما الحياة التي أثبتوها؟

قوله : الرجهان هو جمع رجم بالتحريك وهو القبر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ولم لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو في الأكون
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهم جواباً شافياً إن كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان
أي : إذا كان حياً في قبره كحياته على وجه الأرض ، فلم لم يشك
أصحابه إليه بأس الفاجر الفتان ، يشير إلى وقعة الحرة لما قاتلهم مسلم بن
عقبة المري ، وقتل من أهل المدينة من شاء الله ، واستباح المدينة المنورة
ثلاثة أيام ، وذلك بأمر الفاجر الفتان يزيد بن معاوية قوله : إذا كان ذلك دأبهم
ونبيهم حي يشاهدكم الخ . . أي : أن هذا دأبهم في حياته ﷺ ، منهم كانوا
يشكون إليه كما كانوا يشكون إليه إذا نزل بهم القحط ، وغير ذلك .
قوله : هل جاءكم أثر بأن صحابه الخ . . أي : هل جاءكم أثر بأن أصحابه
استفتوه بعد موته ﷺ فأجابهم بجواب حي ناطق وهو عندهم ﷺ ، هذا
مع شدة حرصه ﷺ على إرشادهم ، كما نفعه الله عز وجل بقوله (لقد جاءكم
رسول من أنفسكم) الآية . التوبة : ١٢٨ فهل يجوز أن يقال بأنه يشاهد
اختلافهم ، ويحكم التبيان ، حاشاه من ذلك .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

إن قلتم سبق البيان صدقتم قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذاوكم من أمر اشكل بعده أعني على علماء كل زمان
أو ماترى الفاروق ودّ بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان ؟

بالجد في ميراثه وكلالة ويبيض أبواب الربي الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو في الأكفان
أتراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم أعز حصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ولا يأتي لهم بيان
أفكان يعجز أن يجيب بقوله إن كان حياً داخل البنيان؟
يا قومنا استحيوا من العقلاء والـمبعوث بالقرآن والرحمن
والله لا قدر الرسول عرفتم كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله أن رسوله ميت كما قد جاء في القرآن
أفجاء أن الله باعته لنا في القبر قبل قيامة الأبدان؟
أثلاث موتات تكون لرسله ولاغيرهم من خلقه موتان؟!
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ في الأرض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا مات الورى أم هل لكم قولان؟!
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـءوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافعي الـأصوات حول القبر بالنكران؟
لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده ميتاً كحرمة لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا إنه حي فغضوا الصوت بالإحسان

لكنهم بالله أعلم منكم ورسوله وحقائق الإيمان
ولقد أتوا يوماً إلى العباس يستسقون من قحط وجذب زمان
هذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فبينهم حي ويستسقون غير نبيهم حاشا أولي الإيمان
يقول الناظم : إن قلتم : سبق البيان من الرسول ﷺ ، قلنا ، صدقتم ،
لكن يحسن تكرار البيان ، لاسيما لما وقعت تلك الحوادث المهمة والبدع
المدممة ، فيشهدهم ﷺ إلى الصواب ، ويريجهم من تلك الفتن الشديدة
الالتهاب ، ﷺ وكما أشكل بعده من الأمور . وفي « الصحيحين » عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ
عنهن : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا . فعلى هذا قد قصر الفاروق
رضي الله عنه عنكم ، فلما حالكم يقول : قصرت يا عمر هلا سألت رسول
الله ﷺ ، إذ هو عندك حي ، فهو يجيبك .

قواه : أنراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم النخ . . أنراهم بضم التاء
أي : أنظنهم يأتون إلى أمهم عائشة رضي الله عنها يسألونها ونبيهم حي يشاهدهم
ويسمعهم ، ثم لا يسألونه ولا يبين لهم ما أمشكلك عليهم ؟! هذا محال من أعظم
المحالات ، ولهذا قال : يا قومنا استحيوا من العقلاء ، فانكم لم تعرفوا قدر
الرسول ، ولا قدر النفس ، ومن كان هذا مبلغ علمه فالصمت أستر له ،
والكتمان أولى به .

قوله : ولقد أبان الله أن رسوله النخ . . أي : أن الله سبحانه قال في
القرآن (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر : ٣٠ فإذا صح وثبت أن الرسول
ﷺ قد مات ، فهل جاء عنه أن الله باعته في القبر قبل القيامة ؟! فإذا قلتم

بذلك ، فهل يكون للرسول ثلاث موثبات ولغيرهم موثبتين ؟! وذلك أنه عند النفخ في الصور لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات ، فإذا كانت الرسل أحياء عند النفخ في الصور، فهل يموتون ؛ أم يبقون إذا مات الناس ؟ فتكلموا بالعلم لا بالدعوى .

قوله : أعز حصان . بفتح الحاء ؛ أي : عفيفة ، ومنه : أحصنت فرجها ، وأحصنت المرأة ، أي : تزوجت ، وتأتي بمعنى العفة ، والحرية ، والاسلام . قوله : أو لم يقل من قلبكم المرافعي الأصوات حول القبر بالنكرات الى آخر الأبيات .

قوله : من قبلكم بفتح القاف . يشير الى ما رواه القاضي عياض في « الشفاء » من رواية : محمد بن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالمالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوماً فقال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية الحجرات : ٣ ومدح قوماً فقال : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية الحجرات : ٣ وذم قوماً فقال : (إن الذي ينادونك) الآية الحجرات : ٤ وان حرمة ميتاً كحرمة حياً ، فاستكان لها أبو جعفر . الى آخر الحكاية .

تنبيه : إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج والالزام ، والا فمحمد بن حميد ضعيف .

وقد أطال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في « الصارم المنكي » الكلام على هذه الحكاية ، وبين حال محمد بن حميد . . . الى أن قال : فانظر هذه الحكاية ، وضعفها ، رائقها ، ونكراتها ، وجهالة بعض رواتها ، ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء . انتهى .

قوله : ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون الخ . . يشير الى مارواه البخاري عن أنس أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا اذا وجدنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . أفترأهم يعتقدون حياة نبيهم ﷺ كحياته على وجه الأرض؟ ويستسقون بغيره؟! حاشاهم من ذلك .

فصل

فما احتجوا على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه	حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا	شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من	شهادتنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم يفسخ	ففساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره	منه واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه	حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائماً	في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وأن ذا	عين المحال وواضح البطلان؟!
أو لم يقل إني أرد على الذي	يأتي بتسليم مع الإحسان؟

أُريد ميتٌ السلام على الذي يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم أحياء في الأجداث ذابيان
وبأن أعمال العباد عليه تعرض دائماً في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشأن

معنى هذه الأبيات أن القائدين بحياة الرسل في القبور ، احتجوا بأشياء .
منها الشهداء ، فانهم أحياء بنص القرآن . كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩
والرسل أكمل من الشهداء بغير شك ، فهم أحق بالحياة من الشهداء .
واحتجوا أيضاً بأن عقد نكاحه ﷺ لم ينفخ من أزواجه ، وأنهن في عصمته ،
ولهذا لم يحل نكاحهن لغيره . واحتجوا أنه ﷺ رأى موسى أيلة المعراج
يصلي في قبره^(١) وبأنه ﷺ يرد السلام على المسلمين عليه ، كما في قوله ﷺ :
« ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »^(٢)
واحتجوا أيضاً بالحديث الذي جاء بأنهم أحياء في قبورهم . واحتجوا أيضاً

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره
عند الكتيب الأحمر » .

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه النووي في « رياض
الصالحين » و « الأذكار » .

بأن أعمال العباد تعرض عليه في يوم الخميس ، ويوم الاثنين^(١) .
ثم شرع الناظم في الجواب عن حججهم فقال :

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك — جتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونسأؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان

(١) لقد اشتبه على الشارح حديثان في حديث ، فحدث عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر يوم الخميس ويوم الاثنين . ونصه « حياقي خير لكم ، تحذثون ويحدث لكم فإذا ماتت كانت وفاة خيراً لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فإن رأيت خيراً أحدث الله ، وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم » رواه ابن سعد في « الطبقات » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا ، وأورده الحافظ عبد الغني المقدسي في كتاب « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا من طريقين . ورواه البزار موصولًا ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، فهو حديث ثابت ، وهو مراد الشارح . وحديث عرض الأعمال على الله تعالى الذي فيه ذكر يوم الاثنين ويوم الخميس ، رواه مسلم في « صحيحه » والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيفقر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلعا ، انظروا هذين حتى يصطلعا » . وفي رواية « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . . » الحديث .

هذا وإن الأرض تأكل لحمة
لكنه مع ذاك حي فارح
فأرسل أولى بالحياة لديه مع
وهي الطرية في التراب وأكلها
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا
فانظر إلى قلب الدليل عليهم
خرفاً بجرف ظاهر الشيطان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أن دليل القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم، هو حجتنا عليهم . ولهذا قال : فيقال : أجل دليلكم في ذاك هو حجتنا عليكم ، وهو أن الشهيد ثبت حياته بالنص ، وهو قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء) آل عمران : ١٦٩

قوله : مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً . يعني قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون) البقرة : ١٥٤ . فمع ثبوت حياة الشهيد بالنص لا بالقياس ، فساؤه حل لنا من بعده بالنكاح ، وماله مقسوم بالميراث مع هذه الحياة ، ومع النهي المؤكد عن أن ندعوه ميتاً ، والأرض والسباع والديدان تأكل لحمة ، ولكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الله ، كما في قوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) آل عمران : ١٧٠ . فأرسل أولى بالحياة مع موت جسومهم وهي طرية في التراب . وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما في قوله ﷺ : « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليمتها ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا :

كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي : بليت . فقال : إن الله حرم
على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١)

قوله : ولبعض أتباع الرسول يكون ذا . أي : أن بعض أتباع
الرسول يكون كذلك . أي : أن الأرض لاتأكل لحمه ، وقد شوهد ذلك
رأي عيان ، أي : رؤي ذلك بعين المشاهدة ، فانظر كيف قلبنا الدليل
عليهم حرقاً بجرف ، وهذا ظاهر بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخترن الرسول لصحة الإيمان
شكر الإله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الإحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه معلوم بلا شك ولا حسابان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الآخرة يقيناً واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن أتين بعدة شرعية فيها الحداد وملزم الأوطان

يشير الناظم الى الجواب عن قولهم : إن نساءه ﷺ لم ينفسخ نكاحهن ،
وإنهن حرمن على غيره . ووجه ذلك أن الله سبحانه خيرهن بين رسوله ،

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْحَاكِمُ

وَمُسْنَدُهُ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ

وبين من سواه ، فاختار الرسول ﷺ ، لصحة إيمانهم ، فشكر الله لهم ذلك ، وقصر رسوله عليهم بقوله : (لا يحل لك النساء من بعد) الأحزاب : ٥٢ رحمة منهم ومن وشكراً لهم . وكذلك أيضاً قصرهن عليه ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة . ولذلك حرمن على من سواه بعده ، ولكن مع ذلك لما توفي ﷺ أتين بعده شرعية والله أعلم .

قوله :

هذا ورؤيته الكليم مصلياً في قبره أثر عظيم الشأن
في القلب منه حسيكة هل قاله فالحق ما قد قاله البرهان
ولذلك أعرض في الصحيح محمد^(١) عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الإمام أعله براوية معلومة التبيين
أنس يقول رأى الكليم مصلياً في قبره فاعجب لذا الفرقان
فرواه موقوفاً عليه وليس بالمرفوع واشوقاً إلى العرفان
بين السياق إلى السياق تفاوت لا تطرحنه فما هما بيان
لكنه تقلد مسالماً وسواه ممن صح هذا عنده ببيان
فرواته الأثبات أعلام الهدى حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكن هذا ليس مختصاً به والله ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره خبراً صحيحاً عنده ذا شأن

(١) أي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح »

فيه صلاة العصر في قبر الذي قدمات وهو محقق الإيمان
فتمثل الشمس التي قد كان ير عاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصلي العصر قبل فواتها قالوا ستفعل ذلك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي حكيت لنا بشوته القولان

قوله : هذا ورؤيته الكليم مصلياً الخ . . أي : وأما احتجاجهم برؤيته
ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ففيه نظر ، وذلك أن الامام الدارقطني
أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في « صحيحه »
وأما مسلم فرواه موقوفاً وتقرده عن البخاري ، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً
بموسى عليه السلام ، فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
« ان الميت اذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه قال :
فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن
شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند
رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى
عن يمينه فيقول الصيام : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة :
ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة ،
والصلة ، والمعروف ، والاحسان ، ماقبلي مدخل ، فيقول له : اجلس ،
فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب فيقول له : هذا الرجل
الذي كان فيكم ماتقول فيه ؟ وما تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي ،
فيقولون : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه . . . » الحديث . وقد رواه الامام
أحمد في « المسند » (١)

وقوله : هذا مع الموت المحقق الخ . أي : أن هذا المذكور في هذا الحديث يحقق الموت ، وقد طلب الصلاة وهي في القبر ، والصلاة في القبر ليست مختصة بموسى عليه السلام .

وقوله : لا الذي حكيت به القولان . أي : أن صلاة موسى عليه السلام في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث ، وتقدم أن الدارقطني أعلمه بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولهذا لم يروه البخاري في « صحيحه » وأما مسلم فرواه مرفوعاً ، فهذا معنى قول الناظم : لا الذي حكيت به القولان . قال الناظم رحمه الله تعالى :

هنا وثابت البناني قد دعى الرحمن دعوة صادق الايقان
أن لا يزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من إنسان

أي : أن ثابت البناني رحمه الله قد دعى الله أن يرزقه الصلاة في قبره كما قال ابن سعد في « الطبقات » وابن أبي شيبة في « المصنف » والإمام أحمد في الزهد معاً ، أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني قال : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . وروى أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال : سمعت ثابتاً يقول لحمد الطويل : هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره . وروي أيضاً عن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ، ومعني حميد الطويل ، فلما سويينا عليه اللبن سقطت لبنته ، فاذا أنا به يصلي في قبره ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها ، فما كان الله ليورد دعاءه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن رؤيته لموسى ليلة المعراج فوق جميع ذي الأكران
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجب بلا نكران
ولذا ظن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسري به ليراه ثم مشاهداً بعيان
فراه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان

أي : أن رؤيته موسى عليه السلام ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب
الصحاح جميعهم ، وهو مقطوع بصحته ، ولذلك ظن معارضاً لصلاته في
قبره ، ولكن أجيب عنه كما قال الناظم بأنه أسري به ﷺ ليراه هناك ،
ورآه أيضاً في الضريح ، وهذا ليس بتناقض ، لأن ذلك ممكن . أي : أن
رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة ، والله أعلم . وقد قال الناظم في كتاب
« الروح » وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى قائماً يصلي في
قبره ليلة الاسراء ، ورآه في السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها
اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه ، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويرد سلام
من يسلم عليه ، وهي في الرفيق الأعلى ، ولا تنافي بين الأمرين ، فإن شأن
الأرواح غير شأن الأبدان ، وهذا جمع حسن ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ورد نينا لسلام من يأتي بتسليم مع الاحسان
ماذا ك محتصاً به أيضاً كما قد قاله المبعوث بالقرآن

من زار قبر أخ له فأتى بتسليم عليه وهو ذو إيمان
رد الإله عليه حقاً روحه حتى يرد عليه رد بيان

يشير إلى ما رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »^(١) ويجاب عنه بأن ذلك ليس خاصاً به ﷺ . فقد روى أبو عمر ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » .

تنبيهه : اعلم أن القائلين بحياة الأنبياء في القبور أشكل عليهم قوله ﷺ « إلا رد الله علي روحي » وأجابوا عند مجوابين : أحدهما : ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى : إلا وقد رد الله علي روحي ، يعني أن النبي ﷺ بعد ما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه ، واستمرت في جسده ﷺ .

الجواب الثاني : أنه محتمل أن يكون ردّاً معنوياً ، وأن تكون روحه الشريفة مشغولة بشهود الحضرة الإلهية والملائكة الأعلى عن هذا العالم ، فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه .

والجواب أن في كل واحد من الجوابين نظر ، أما الأول وهو الذي ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم ، فمضمونه رد روحه ﷺ بعد موته إلى جسده ، واستمرارها فيه قبل سلام من يسلم عليه ، وليس هذا المعنى مذكوراً في الحديث ، ولا هو ظاهره ، بل هو مخالف لظاهره ، فإن قوله : « إلا رد الله علي روحي » بعد قوله :

(١) قال الامام النووي في « رياض الصالحين » : رواه أبو داود بإسناد صحيح ..

« ما من أحد يسلم علي » يقتضي رد الروح بعد السلام؛ ولا يقتضي استمرارها في الجسد . وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها الى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ، ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح الى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت ، وقد ثبت في حديث البواء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه^(١) ، وفي بيان الميت وحاله ، أن روحه تعود الى جسده مع العلم بأنها غير مستمرة فيه ، وأن هذه الاعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت ، بل هي نوع حياة برزخية ، والحياة جنس تحتها أنواع ، وكذلك الموت ، فإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »^(٢) وتعلق الروح بالبدن واتصالها به يتنوع أنواعاً :

أحدها : تعلقها به في هذا العالم يقظة ومناماً .

الثاني : تعلقها به في البرزخ ، والأموات متفاوتون في ذلك ، فالذي للرسول والأنبياء أكمل بما للشهداء ، ولهذا لا تبلى أجسادهم ، والذي للشهداء أكمل بما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء . والثالث : تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر . ورد الروح الى البدن في البرزخ ، لا يستلزم الحياة المعهودة ، ومن زعم استزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة

(١) رواه احمد ، وابو داود .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » عن حذيفة وابي ذر ، ومسلم عن ابي البواء ، واصحاب السنن عن حذيفة ولفظ الترمذي « الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد ما أماتني واليه النشور » وقال حديث حسن صحيح .

للحسن ، والشرع ، والعقل . وهذا المعنى المذكور في حديث أبي هريرة من رده عليه السلام على من يسلم عليه ^(١) قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه كما تقدم ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح وظاهر النكران
فانظر الى الاسناد تعرف حاله ان كنت ذا علم بهذا الشأن

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم ، وهو ما رواه أبو يعلى ، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه ، أنه عليه السلام قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » وقد أجاب الناظم عنه بأنه غير صحيح ، ولكن على تقدير صحته ، فلا شك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقة ، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها ، من أعمال ، وتكليف ، وعبادة . ونطق ، وغير ذلك ، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها ، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية الى تلك الحياة البرزخية ، وهذا معنى قول الناظم :

هذا ونحن نقول هم أحياء لكن عندنا كحياة ذي الأبدان
والترب تحتهم وفوق رؤوسهم وعن الشئائل ثم عن أيهان
مثل الذي قد قلموه معاذنا بالله من إفك ومن بهتان
بل عند ربهم تعالى مثلاً قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهم أجل وحالهم أعلى وأكمل عند ذي الاحسان

(١) هو حديث أبي داود عن أبي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » .

قوله : لكن عندنا كحياة ذي الأبدان ، هذا موصوف صفة ؛ أي :
مثل الذي قد قلموه . : لانقول بذلك ، معاذ الله من ذلك ؛ أي : لانقول
كما قلمت : إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض . نعوذ بالله من إفك
ومن بهتان ، بل هم أحياء عند الله كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ لكن
حياة أجل وأعلى من حياة الشهداء ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وأما عرض أعمال العبا د عليه فهو الحق ذو إمكان
وأتى به أثر فإن صح الحديث به فحق ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصاً به أيضاً بآثار روين حسان
فعلى أبي الانسان يعرض سعيه وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعيّاً صالحاً فحوا به واستبشروا بالذلة الفرحان
أو كان سعيّاً سيئاً حزنوا وقا لو ارب راجعه إلى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى هذا الحديث عقيبه بلسان
يارب إني عائد من خزية أخزى بها عند القريب الداني
ذاك الشهيد المرتضى ابن روا . المحبوس بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي للمصطفى ما يعمل الثقات

يريد ما رواه ابن حبان وغيره ، من حديث أوس رضي الله عنه مرفوعاً
« أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

الصعقة ، فأكثرُوا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا :
وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (اي بليت) فقال عليه الصلاة
والسلام : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »^(١) وقد
أجاب عنه الناظم بأن هذا ليس من خصائصه ﷺ كما روى أحمد ، وابن
مندة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم
وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيراً استبشروا ، وإن كان غير ذلك
قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » وروى الحكيم الترمذي ،
وابن أبي الدنيا في كتاب المناجات ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن
النعمان بن بشير ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتقوا الله في إخوانكم
من أهل القبور ، فإن أعمالكم تعرض عليهم » وروى ابن أبي الدنيا ،
والاصمهاني في « الترغيب » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تقضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم ، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل
القبور »

قوله : ولذا استعاذ من الصحابة من روى الخ روى ابن المبارك ،
والاصمهاني ، عن أبي الدرداء قال : « إن أعمالكم تعرض على موتاكم ، فيسرون
ويسألون ، ويقول : اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً تخزي به عبد الله
ابن رواحة ، ولكن يجاب عن ذلك أيضاً بأنه مع ذلك لا يجوز أن يطلب
منهم شيء ، ولا يسألون شيئاً بعد وفاتهم ، سواء كان بلفظ استغاثة ، أو

(١) ورواه أبو داود رقم (١٠٤٧) وسنده صحيح ، ورواه النسائي وابن

توجه ، أو استشفاع ، أو غير ذلك ، فجميع ذلك من وظائف الألوهية ، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية ، ولا ملازمة بين مسألة الحياة ، وبين مسألة الاستغاثة . وما يقطع به أن أحداً في زمانه عليه السلام أو من بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالنجاة والصدق - وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب - بالاستغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه ، بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ، ولم يعبدوا إلا إياه . ولقد جرت عليهم أمور مهمة ، وشدائد مدلهمة في حياته عليه السلام وبعد وفاته ، فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، أو قالوا : إنا مستغيثون بك يا رسول الله ، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور ، كلا لا يمكن لهم ذلك ، بل الأمر بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الأنفال : ٩ . مبيناً سبحانه أن هذه الاستغاثة هي اخص الدعاء وأجل أحوال الالتجاء ، ففي استغاثة المضطرين بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي نهايات لأقدام الورى	في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحق فيه ليس تحمله عقو	ل بني الزمان لغلظة الأذهان
ولجلهم بالروح مع أحكامها	وصفاتها للالف بالابدان
فارض الذي رضي الاله لهم به	أتريد تنقض حكمة الديان

هل في عقولهم بأن الروح في أعلى الرفيق مقيمة يجنات
وترد أوقات السلام عليه من أتباعه في سائر الأزمان
وكذلك إن زرت القبور مسالماً ردت لهم أرواحهم للآن
فهم يردون السلام عليك لـكن لست تسمعه بذى الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضرمسكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذي الأجسام لا تهمله شأن الروح أعجب شأن
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الأزمان
هذا وأمر فوق ذالو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذلك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت في الميدان

قال الناظم في كتاب « الروح » له مانصه : واما السلام على أهل
القبور وخطابهم ، فلا يدل على أن ارواحهم ليست في الجنة ، وأنها على
أفنية القبور ، فهذا سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام الذي روحه في أعلى
عليين مع الرفيق الأعلى يسلم عليه عند قبره ، ويرد سلام المسلم عليه ، وقد
وافق أبو عمر رحمه الله تعالى على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ويسلم عليهم
عند قبورهم ، كما يسلم على غيرهم ، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسلم
عليهم ، و كما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد ، وقد ثبت أن ارواحهم
في الجنة تسرح حيث شاءت ، كما تقدم ، ولا يضيق عطئك عن كون الروح

في الملاء الأعلى تسبح في الجنة حيث شاءت ، وتسمع سلام المسلم عليها عند قبورها وتندنو حتى ترد عليه السلام ، وللروح شأن آخر غير شأن البدن ، وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه ، رآه النبي صلى الله عليه وسلم له ستائة جناح منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب ، وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم يضع ركبته ويديه على فخذه ، وما أظنك يتسع بطانك أنه كان حينئذ في الملاء الأعلى فوق السموات حيث هو مستقره . وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو ، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له ، وأهملت لمعرفته ، ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيق أن يتسع للإيمان بالتنازل الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة ، وهو فوق سمواته على عرشه ، لا يكون فوقه شيء البتة ، بل هو العالي على كل شيء ، وعلوه من لوازم ذاته ، وكذلك دنوه عشية عرفة من أهل الموقف ، وكذلك مجيئه يوم القيامة نحاسية خلقه ، وإشراق الأرض بنوره ، وكذلك مجيئه إلى الأرض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد منها ، وكذلك مجيئه إليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى أحد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « فأصبح ربك يطوف في الأرض » وقد خلت عنه البلاد ، هذا وهو فوق سمواته على عرشه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولي إنها مخلوقة وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الأفك والبهتان
لداخل فينا ولا هي خارج عنا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمن أثبت ولا أرواحكم يامدعي العرفان

عظمت الأبدان من أرواحها والعرش عظم من الرحمن

قوله : هذا وقولي إنها مخلوقة الخ . هذه المسألة ذكرها الناظم في كتاب « الروح » وحاصل كلامه أنه قال : أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مبروبة ، وهذه معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله تعالى وحده الخالق ، وكل ماسواه له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم القرون المفضلة ، وهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها ، وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة من قصر فهمه في الكتاب والسنة ، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج لذلك أنها من أمر الله ، وأمر الله غير مخلوق ، وبأن الله أضافها إليه ، كما أضاف إليه علمه ، وكتابه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، ويده . وتوقف آخرون فقالوا : لانقول : مخلوقة ، ولا غير مخلوقة ، وقد سئل عن ذلك حافظ أصحابان أبو عبد الله بن منده فقال : أما بعد فإن سائلا سأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفوس الخلق وأبدانهم ، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح ، وزعموا أنها غير مخلوقة ، وخص بعضهم منها أرواح القدس ، وأنها من ذات الله . قال : وأنا أذكر أقاويل متقدمين ، وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر ، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم ، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم ، وأن كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه ، فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس . فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة . قال : وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتج بقول النبي ﷺ « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف » رواه الامام أحمد ، ومسلم

وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البخاري من حديث سلمان الفارسي ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عتبة رضي الله عنهم . والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتج بقول الله تعالى (قل الروح من أمر ربي) الأسراء : ٨٥

وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ، وحياة من حياته ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « إن الله خلق خلقه من ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره » وقام الحديث : « فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى ، وماتأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى ، وتقديست أسماءه ، فصار في المؤمن ، فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعاً ، لأن عيسى عندهم روح من الله فصار في مريم ، فهو غير مخلوق عندهم . وقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض : إن روح آدم عليه السلام مثل ذلك إنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله : (ونفخت فيه من روحي) الحجر : ٢٩ وقوله : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة : ٩ فزعموا أن روح ابن آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال : إن النور من الرب غير مخلوق ، قالوا : ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي ووصي ، إلى أن صار في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم في ابنة الحسن ، والحسين ، رضي الله عنهما ، ثم في كل وصي وإمام فيه يعلم الامام كل شيء ، لا يحتاج أن يتعلم من أحد .

قال : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح في آدم وبنيه ، وعيسى ومن سواه من بني آدم ، كلها مخلوقة ، الله خلقها وأنشأها وكونها ، وأخبر عنها ، ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف إليه سائر خلقه . قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية : ١٣

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف ، وكذلك أبو محمد ابن قتيبة .

قال الناظم في كتاب « الروح » قد تكلم في هذه المسألة طوائف من اكابر العلماء والمشايع ، ورد راعلي من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخراز ، وأبو يعقوب النهرجوري ، والقاضي أبو يعلى . وقد نص على ذلك الأئمة الكبار ، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام ، فكيف يروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه ، فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية . انتهى .

قوله : هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان الخ
قال الناظم في كتاب « الروح » في المسألة التاسعة عشرة : لما سئل عن حقيقة الروح ، وهل هي النفس أو غيرها ؟ وذكر مذاهب الناس في ذلك ، قال : وقالت طائفة ليست النفس جسماً ولا عرضاً ، وليست في مكان .

ولا لها طول ، ولا عرض ، ولا عمق ، ولا لون ، ولا بعض ، ولا هي في العالم ، ولا خارج العالم ، ولا بجانب له ، ولا مباينة . وهذا قول المشائين ، وهو الذي حكاه الأشعري عن أرسطاطاليس ، وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ، ولا بالجاورة ، ولا بالمساكنة ، ولا بالاتصال ، ولا بالمقابلة ، وإنما هو التدبير فقط ، واختار هذا المذهب البوشنجي ، ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، والغزالي ، وهو قول ابن سينا وأتباعه ، وهو أردأ المذاهب وأبطلها ، وأبعدها من الصواب ، ثم ذكر على إبطال هذا المذهب نحو مائة وستة عشر دليلاً ، ثم أجاب عن أدلة المنازعين بما ليس هذا موضع ذكره ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الاسلام وحصونه جيلا بعد جيل .

لا يفزعك قواقع وفراقع وجمعاع عريت عن البرهان
ما عندهم شيء يهولك غير ذا ك المنجنيق مقطوع الاوكان
وهو الذي يدعونه التركيب منصوبا على الاثبات منذ زمان
أرأيت هذا المنجنيق فانهم نصبوه تحت معاقل الايمان
بلغت حجارته الحصون فهدت الشرفات واستولت على الجدران

الله كم حصن عليه استولت الكفار من ذا المنجنيق الجاني
والله ما نصبوه حتى عبروا قصداً على الحصن العظيم الشأن
ومن البلية أن قوماً بين أهـل الحصن واطوهم على العدوان
ورموا به معهم وكان مصاب أهـل الحصن منهم فوق ذي الكفران
فتركبت من كفرهم ووافق من في الحصن أنواع من الطغيان
وجرت على الاسلام أعظم محنة من ذين تقديرأ من الرحمن
والله لولا أن تدارك دينه اللهـرحمن كان كسائر الأديان
لكن أقام له الاله بفضلله يزكاً من الأنصار والأعوان
فرموا على ذا المنجنيق صواعقاً وحجارة هدته للأركان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الجواب عن شبهتهم العظمى التي بها يصلون
وعمدتهم الكبرى التي بها يهللون ، وهي حجة التركيب . قوله : لا يفر عنك
فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الخفيفة .

قوله : المنجنيق . (آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق مغربة ، جمع
منجنوقات ، ومجانق ومجانيق ، وقد جنقوا يجنقون ، وحنقوا يحنقون)
قوله : معاقل الاسلام (جمع معقل ، وهو الحصن والمليح ، أي
حصون الاسلام)

فاسألهم ماذا الذي يعنون بالـتركيب فالتركيب ست معان
إحدى معانيه هو التركيب من متباين كتركب الحيوان
من هذه الأعضا كذا أعضاؤه قدركبت من أربع الأركان

أفلازم ذا للصفات لربنا وعلوه من فوق كل مكان
ولعل جاهلكم يقول مباحثاً ذا لازم الاثبات بالبرهان.
فأبهرت عندهم رخيص سعره حشواً بلا كيل ولا ميزان،

هذا هو المعنى الأول من معاني التركيب ، فان الناظم ذكر أن
للتكوين ست معان ، وهذا التركيب كما قال الناظم كتركيب الحيوان من هذه
الأعضاء ، وكذلك تركيب الأعضاء من الأركان الأربعة ، وهي الماء والهواء
والتراب ، والنار . والرب تعالى موصوف بصفاته العلى ، ولا يلزم
هذا التركيب .

وقوله : أفلازم ذا للصفات لربنا ؟ . وهذا استفهام انكار ، أي :
ليس بل لازم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثانيها فتركيب الجوارر وذاك بين اثنين يفترقان
كالجسر والباب الذي تركيبه بجواره محلله من باب
والأول المدعو تركيباً متزاجاً واختلاط وهو ذو تبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته أيضاً تعالى الله ذو السلطان ؟

هذا هو المعنى الثاني من معاني التركيب ، وهو تركيب الجوارر
كتركيب الباب على الجسر ، والأول يسمى تركيباً متزاجاً
قال الناظم رحمه الله تعالى :

والثالث التركيب من متماثل يدعى الجواهر فردة الأركان

هذا هو المعنى الثالث من معاني التركيب ، وهو التركيب من الجواهر المنفردة ، وإثبات ذلك هو قول بعض المتكلمين ، وإنكار ذلك هو قول ابن كلاب وأتباعه ، وهو قول المشائية ، والنجارية والضرارية ، وبعض الكرامية . ويستأني الإشارة الى بطلانه من كلام الناظم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والرابع الجسم المركب من هيو لاه وصورته لذي اليونان
فالجسم فهو مركب من ذين عند الفيلسوف وذاك ذو بطلان
ومن الجواهر عند أرباب الكلام م وذاك أيضاً واضح البطلان
هذا هو المعنى الرابع من معاني التركيب وهو التركيب من الهوى
والصورة عند الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالمشتبون الجوهر الفرد الذي زعموه أصل الدين والايان
تقالوا بأن الجسم منه مركب ولهم خلاف وهو ذو ألوان
هل يمكن التركيب من جزئين أو من أربع أو ستة وثمان
أو ست عشرة قد حكاه الأشعري لذي مقالات على التبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته وعلوه سبحانه ذي السبحان ؟
والحق أن الجسم ليس مركباً من ذا ولا هذا هما عدمان
والجوهر الفرد الذي قد أثبتوا ه ليس ذا أبداً وذا إمكان
لو كان ذلك ثابتاً لزم المحال ل ل واضح البطلان والبهتان

من أوجه شتى ويعسر نظمها جداً لأجل صعوبة الأوزان
أنكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء في شيء من الأذهان
إذ كان كل منهما أجزاؤه لا تنتهي بالعد والحسبان
وإذا وضعت الجوهريين وثالثاً في الوسط وهو الحاجز الوسطان
فلأجله افترقا فلا يتلاقيا حتى يزول اذاً فيلتقيان
ما مسه إحداهما منه هو الممسوس للثاني بلا فرقان
هذا محال أو تقولوا غيره فهو انقسام واضح التبيان
شرع الناظم رحمه الله تعالى في إبطال القول بالجواهر الفرد ، مع أن
القائلين به من المتكلمين يزعمون أن اثباته هو أصل الدين والإيمان .

قال أبو المعالي الجويني رحمه الله تعالى وغيره : اتفق المسلمون على أن
الأجسام تنتهي في تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفراداً ، ومع هذا فقد
شك هو فيه ، وكذلك شك فيه أبو الحسن البصري ، وأبو عبد الله الرازي .
قال شيخ الاسلام : ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين ،
ولا من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، ولا أحد من أئمة العلم المشهورين
بين المسلمين . وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة ،
وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ، ولكن حاكي هذا الاجماع ،
لما لم يعرف أصول الدين إلا ما في كتب الكلام ، ولم يجد إلا من يقول
بذلك ، اعتقد هذا إجماع المسلمين . والقول بالجواهر الفرد باطل ، والقول
بالمهيولى والصورة باطل . انتهى كلامه .

قوله : هل يمكن التركيب من جزئين الخ . أي : أن القائلين بالجواهر

الفرد اختلفوا ، هل يمكن تركيب الجسم من جزئين ، أو أربعة ، أو ستة ، أو ثمانية ، أو ستة عشر ، على خلاف بينهم ، حكاه الأشعري في المقالات .
وفي « العقل والنقل » لشيخ الاسلام : من يثبت الجوهر الفرد ويقول بمائل الاجسام ، وأن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث ، إنما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها ، وينكرون الاستحالة ، وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وإن كان يحيل الجسم الأول الى جرم آخر ، فلا يقولون : إن جرم النطفة باق في بدن الانسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة انتهى كلامه .

وقول الناظم : أتكون خردلة تساوي الطود الخ .. أي : أتكون الخردلة التي في غاية الصغر والحقارة تساوي الجبل العظيم ، بجامع أن أجزاء كل منهما لا تنتهي بالحد والحسبان ، هذا في غاية الاحالة . ثم ذكر الناظم دليلاً آخر على بطلان هذا المذهب ، فقال : وإذا وضعت الجوهريين وثالثاً الخ .. أي : إذا فرضنا جزءاً بين جزئين ، فاما أن يكون الوسط حاجباً للطرفين عن التماس ، أو لا ، فعلى الأول يكون للوسط طرفان ، بأحدهما يماس أحد الجزئين ، وبالأخر يماس الآخر ، فلا محالة يكون بين جهتيه امتداد قابل للقسمة ولو وهماً ، وكذا يكون للجزئين الطرفين جتهان ، بأحدهما يماس كل من ذينك الجزئين الوسط ، وبالأخر يكون فارغاً من لقائه ، فيكونان منقسمين ، وعلى الثاني ، فاما أن يكون الوسط متداخلاً في أحد الطرفين ، أو في كليهما ، فلا يحصل منهما حجم ، فلا يتألف منهما جسم ، أو لا يكون بين تلك الأجزاء ترتيب ، فلا يتصور منهما تركيب ، وللقائلين بإبطال الجوهر الفرد أدلة أخرى على بطلانه ، تركناها اختصاراً ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والخامس التركيب من ذات مع الـ أو صاف هذا باصطلاح ثان
سموه تركيباً وذلك وضعهم ما ذاك في عرف ولا قرآن
لسنا نقر بلفظة موضوعه بالاصطلاح لشيعة اليونان
أو من تلقى عنهم من فرقة جهمية ليست بذى عرفان
من وصفه سبحانه بصفاته العليا ويترك مقتضى القرآن
والعقل والفطرات أيضاً كلها قبل الفساد ومقتضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الأسماء بالألقاب ذات الشأن
هل من دليل يقتضي إبطال ذا التركيب من عقل ومن فرقان
والله لو نشرت شيو خكم لما قدروا عليه لو أقى الثقلان

هذا هو القسم الخامس من أقسام التركيب عندهم ، وهو التركيب من
ذات وصفات ، وهذا على اصطلاح اليونان ومن وافقهم من الجهمية ، وهو
من أظهر الأمور بطلاناً ، وسيأتي إبطاله في كلام الناظم وقول الناظم : لسنا نقر
بلفظة موضوعه الخ . كذا في جميع ما رأينا من النسخ (نقر) بالتحاق من الإقرار ،
وصواب اللفظة (نقر) بالفاء أي : ليس نقر بسبب هذا الاصطلاح الذي
اصطاحتموه ، من وصفه سبحانه بصفاته العليا ، والجار والمجروى وهو قوله :
من وصفه ، متعلق بـ (نقر) والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والسادس التركيب من ماهية ووجودها ما هاهنا شيان

ألا إذا اختلف اعتبارهما فذا في الذهن والثاني ففي الاعيان
فهناك يعقل كون ذا غير " لذا فعلى اعتبارهما هما غيران
أما اذا اتحدا اعتباراً كان نفس وجودها هو ذاتها لاثنان
من قال شيئاً غير ذا كان الذي قد قاله ضرب من الفعلان
هذا وكم خبط هنا قد زال بالتفصيل وهو الاصل في العرفان

هذا هو القسم السادس من أقسام التركيب ، وهو التركيب من الوجود
والماهية ، وحاصل كلام الناظم هنا أن الوجود والماهية اذا اختلف اعتبارهما
فأخذ أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فالوجود غير الماهية ، وإن أخذنا
ذهنين ، فالوجود هو الماهية ، وكذا إن أخذنا خارجيين ، فالوجود هو الماهية .
قوله : من الفعلان . هو بضم الفاء وإسكان العين ، يعني كلمة في وزن
الفعلان ، كالبهتان ، والبطلان ، ونحوهما ، وهذا كما في قول المتنبي في رثاء
يخت سيف الدولة ابن حمدان ، واسمها خولة

كأن فعلة لم تملأ مواكها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب
وذلك أن المتنبي لم يصرح باسمها استعظماً لكونها ملكة ، بل كنى عن
اسمها بفعلة ، فلفظ (فعلة) حكمها حكم موزونها ، تمتنع من الصرف العلمية
والتأنيث ، فكذا فعلة تمتنع . قال ابن جني : كنى بفعلة عن اسمها ،
واسمها خولة

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وابن الخطيب وحزبه من بعده لم يهتدوا لمواقع الفرقان
بل خبطوا نقلاً وبجناً أوجيا شكاً لكل ملدد حيران

هل ذات رب العالمين وجوده أم غيره فهما إذا شيئات
فيكون تركيباً محالاً ذاك إن قلنا به فيصير ذا إمكان
وإذا نفينا ذاك صار وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويل ثلاثاً ذينك الـ أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ إبطال والتشكيك للإنسان

قوله : ابن الخطيب : يعني الفخر الرازي ، وهو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي ، العلامة سلطان المتكلمين ، صاحب التصانيف أبو عبد الله القرشي ،
البكري ، التميمي ، الطبرستاني الأصل ، ثم الرازي ، ابن خطيبها المفسر ،
امام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف ،
رأس في الذكاء ، والعقليات ، ولكنه عري من الآثار ، وله تشكيكات
على مسائل من أصول الدين تورث حيرة . وقال الحافظ ابن حجر في
« لسان الميزان » مثل ما ذكرنا عن الذهبي في شأنه ، وزاد أنه كان يقول
مع تبخره في الأصول : من التزم دين العجائز فهو الفائز ، وكان يعاب
أيراد الشبه الشديدة ، ويقصر في حلها ، حتى قال بعض المغاربة : يورد
الشبهة نقداً ، ويحاجها نسيئة ، وقد ذكره ابن دحية ، فمدح وذم ، وذكره
أبو شامة ، فحكى عنه أشياء رديئة ، وذكر النجم الطوفي في « الأكسير
في علم التفسير » ما ملخصه : ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من
القرطبي ، ومن تفسير الإمام فخر الدين ، إلا أنه كثير العيوب ، فجذبتني
شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمساجي المغربي ، أنه صنف
كتاب « المأخذ » في مجلدين ، بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج ،

وكان ينقم عليه كثيراً . ويقول : يورد شبه المخالفين في المذهب والدين ، على غاية ما يكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهن . قال الطوفي : ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية ، حتى اتهمه بعض الناس ، ولكنه خلاف ظاهر حاله ، لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ، ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه ، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم ، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه ، لا يبقى عنده شيء من القوى ، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية ، وقد صرح في مقدمة « نهاية العقول » أنه يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك . وذكر ابن خليل السكوني في كتاب « الرد على الكشاف » أن الامام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول . إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح . وقال في تفسير قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) الأنفال : ٢٤ كلاماً يدل على أن مذهب الجبر هو الحق . حيث قال : وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك ، أي : العبد مجبور . نعوذ بالله من أمثال ذلك . وقال بصحة بقاء الأعراض ، وبنفي صفات الله الحقيقية ، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات ، كقول الفلاسفة ، وسلك طريق أرسطو في دليل التانع ، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فمجره إلى مصر ، وهموا به ، فاستتر . ونقل عنه أنه قال : عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم ، ومنها ما قاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين ، والمتكلم يستدل على القدم بوجود تأخر الفعل ، والفيلسوف يدل على قدسه باستحالة تمطل الفاعل عن أفعاله ، ثم أسند عن ابن الطباخ أن الفخر كان شيعياً يقدم محبة أهل البيت كمحبة الشيعة ، حتى قال في بعض تصانيفه : وكان علي

شجاعاً ، بخلاف غيره ، وعاب عليه تسميته لتفسيره «مفاتيح الغيب» ، ولخصره في المنطق : «الآيات البينات» ، وتقريره لتلامذته في وصفه بأنه الامام المجتبي أستاذ الدنيا ، أفضل العالم ، فخر بني آدم ، حجة الله على الخلق ، صدر صدور العرب والعجم ، هذا آخر كلامه ، وقد مات الفخر سنة ست وستائة بمدينة (هراة) وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده . انتهى عبارة «اللسان» . وبما قال فيه : إن له كتاب « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » سحر صريح خلعه تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى .

قلت : ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقيل : سنة ثلاث ، واستغل أولاً على والده ضياء الدين عمر ، وهو من تلامذة البغوي ، على الكمال السمناني ، والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى ، وأتقن علوماً كثيرة ، وبرز فيها وساد ، وقصده الطلبة من سائر البلاد ، وصنف في فنون كثيرة ، وكان له مجلس كبير في الرعظ ، يحضره الخاص والعام ، ويلحق فيه خال ووجد ، وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية محاسبات وفتن ، وأوذى بسببهم ، وكان ينال منهم في مجلسه ، وينالون منه . وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم . وقيل : كان يحفظ « الشامل » لإمام الحرمين في الكلام ، وندم على دخوله في الكلام . وروي عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي غليلاً ، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في التنزيه (والله الغني وأنتم الفقراء) محمد : ٣٨ وقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ . و (قل هو الله أحد) وقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ . (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ . (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ . وقرأ في أن الكل من عند الله (قل كل من عند الله) النساء : ٧٨ ثم قال :

وأقول من صميم القلب ، ومن داخل الروح : إنني مقر بأن كل ماهو الأفضل
الأعظم الأجل ، فهو لك ، وكل ماهو عيب أو نقص ، فأنت منزّه عنه .
وكانت وفاته بـ (هرة) يوم عيد الفطر ، سنة ست وستائة . قال أبو شامة :
وبلغني أنه خلف من الذهب ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك .
ومن تصانيفه التفسير الكبير لم يتمه في اثني عشر مجلداً كباراً ، أسماه « مفاتيح
الغيب » وكتاب « المحصول » و « المنتخب » وكتاب « الأربعين » و « نهاية
العقول » و « التبيان » و « البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان »
« المباحث العبادية في المطالب المعادية » « تأسيس التقديس في تأويل الصفات »
« إرشاد النظار إلى لطائف الاسرار » « المعالم في أصول الدين » « المعالم في
أصول الفقه » « شرح أسماء الله الحسنى » « شرح الاشارات » « الملخص في
الفلسفة » ويقال : إنه شرح نصف « الوجيز » للغزالي ، وشرح « سقط الزند »
للمعري . وله طريقة في الخلاف ، وشرح « كليات القانون » وصنف في
« مناقب الشافعي » رضي الله عنه ، إلى غير ذلك ، ورزق السعادة في مصنفاته
حتى انتشرت في الآفاق ، وأقبل الناس على الاشتغال بها .

وذلك أن الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال :
أحدها : أن الوجود مقول بالاستشراك اللفظي فقط . والثاني : أن وجود الواجب زائد
على ماهيته . والثالث : أنه وجود مطلق ليس له حقيقة غير الوجود المشروط
بسلب كل ماهية ثبوتية .

قال شيخ الاسلام : فيقال لهم : الأقوال الثلاثة باطلة ، والقول الحق
ليس واحداً من الثلاثة ، وإنما أصل الغلط هو توهمهم أنا إذا قلنا : إن الوجود
ينقسم إلى واجب ، ويمكن ، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه في
الواجب ، وهو نفسه في الممكن ، وهذا غلط ، فليس في الخارج بين الموجودين

شيء هو نفسه فيها ، ولكن لفظ الوجود ومعناه الذي في الذهن ، والخط الذي يدل على اللفظ يتناول الموجودين ، ويعمها ، وهما يشتركان فيه ، فشمول معنى الوجود الذي في الذهن لهما ، كشمول لفظ الوجود . والخط الذي يكتب به هذا اللفظ لهما ، فهما مشتركان في هذا ، فأما نفس ما يوجد في الخارج ، فانما يشتهان فيه من بعض الوجوه ، فاما أن تكون نفس هذا وصفته فيها شيء من ذات هذا وصفته ، فهذا بما يعلم فساد كل من تصوره ، ومن توقف فيه فلعدم تصوره له . وحينئذ فالقول في اسم الوجود كالقول في اسم الذات ، والعين ، والماهية ، والنفس ، والحقيقة ، وكما أن الحقيقة تنقسم الى حقيقة واجبة ، وحقيقة ممكنة ، وكذلك لفظ الماهية ، ولفظ الذات ، ونحو ذلك ، فكذلك لفظ الوجود . فاذا قلنا : إن الحقيقة ، والماهية ، تنقسم الى واجبة ، وممكنة ، لم يلزم أن تكون ماهية الواجب فيها شيء من ماهية الممكن ، فكذلك اذا قيل : الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لم يلزم أن يكون الوجود الواجب فيه شيء من وجود غيره ، بل ليس فيه وجود مطلق ، ولا ماهية مطلقة ، بل ماهية هي حقيقته وهي وجوده . واذا كان المخلوق المعين وجوده الذي في الخارج هو نفس ذاته وحقيقته ، وماهية التي في الخارج ليس فيه من الخارج شيئان ، فالخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يتركه فيه أحد ، وهو نفس ماهية التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيها في الخارج ، وأن الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كأن يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الانسان بحيوانية تخصه ، وكما أن السواد والبياض اذا اشتركا في مسمى اللون تميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر وهؤلاء ،

الضالون يجعلون الواحد اثنين ، والاثنين واحداً ، فيجعلون هذه الصفة هي هذه الصفة ، ويجعلون الصفة هي الموصوف ، فيجعلون الاثنين واحداً ، كما قالوا : إن العلم هو القدرة ، وهو الإرادة ، والعلم هو العالم ، ويجعلون الواحد اثنين ، كما يجعلون الشيء المعين الذي هو هذا الإنسان هو عدة جواهر : لإنسان ، وحيوان ، وناطق ، وحساس ، ومتحرك بالإرادة ، ويجعلون كلاً من هذه الجواهر غير الآخر . ومعلوم أنه جوهر واحد ، له صفات متعددة ، وكما يفرقون بين المادة ، والصورة ، ويجعلونها جوهريين عقليين قائمين بأنفسهما ، وإنما المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية ، مثل صورة الخاتم ، والدرهم ، والسمير ، والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر ، هو الفضة ، والخشب ، والغزل . وكذلك الاتصال ، والانفصال ، قائمان بجعل هو الجسم ، وهكذا يجعلون الصورة الذهنية ثابتة في الخارج ، كقولهم في المجردات المفارقات للمادة ، وليس معهم ما يثبت أنه مفارق ، إلا النفس الناطقة اذا فارقت البدن بالموت ، والمجردات هي الكليات التي تجردها النفس من الأعيان المشخصة ، فيرجع الأمر الى النفس وما يقوم بها ، ويجعلون الموجود في الخارج هو الموجود في الذهن ، كما يجعلون الوجود الواجب هو الوجود المطلق ، فهذه الأمور من أصول خلاهم ، حيث جعلوا مافي الخارج في الذهن ، ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتفياً ، والمستقي ثابتاً ، فهذه الأمور من أجناس خلاهم ، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضوع . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حتى أتى من أرض أمداً آخراً ثور كبير بل حقير الشان

قال الصواب الوقف في ذاكه والشك فيه ظاهر التبيان

هذا قصاري بجنه وعلومه إن شك في الله العظيم الشأن

الآمدي : هو أبو الحسن غلي بن علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، سيف الدين ولد بآمد سنة ٥٥١ قرأ على مشايخ بلده القراآت ، وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل ، وبقي على ذلك مدة ، فكان في أول اشتغاله حنبلي المذهب ، انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم رحل الى العراق ، وأقام في الطلب مدة ببغداد ، وحصل علم الجدل ، والخلاف ، والمناظرة ، ثم انتقل الى الشام ، واشتغل بفنون المعقول ، وحفظ منه الكثير ، وتهر فيه ، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم ، وصنف في أصول الدين ، والمنطق ، والحكمة ، والخلاف . وكل تصانيفه مفيدة ، وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ، ويهودها ، فاتهم لذلك في عقيدته ، ففر الى مصر خوفاً من الفقهاء سنة ٥٩٣ وناظر بها وحاضر ، وأظهر تصانيف في علوم الأوائل ، تعصبوا عليه فخرج من القاهرة مستخفياً ، ثم استوطن حماة أو دمشق ، وتولى بها التدريس ومات فيها سنة ٦٣١ . ومن مصنفاته « الماهر في علوم الأوائل والأواخر » خمس مجلدات ، وكتاب « أبكار الأفكار في أصول الدين » أربع مجلدات ، وكتاب « دقائق الحقائق » في الفلسفة ، وقد دفن في سفح قاسيون ، وكانت ولادته سنة ٥٥١ والآمدي نسبة الى آمد . وهي مدينة كبيرة في ديار بكر ، مجاورة لبلاد الروم .

قوله : آخرأ . هو بكسر الحاء ، أي : آخر الأمر . أي أن الآمدي

قوتف في هذه المسألة ، ولم أطلع أنا على كلامه في هذه المسألة ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا تعدوهما في اللفظ والأذهان
وكذلك الأعيان أيضاً إنما التركيب فيها ذانك النوعان
أي : الأولان اللذان هما تركيب الامتزاج والاختلاط ، وتركيب الجواد
أي : التركيب حقيقة في هذين النوعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

والأوسطان هما اللذان تنازع العقلاء في تركيب ذي الجثمان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيننا أتم بيان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيننا أتم بيان ؛ أي : التركيب من
الجواهر المنفردة ، ومن المادة والصورة

والآخران هما اللذان عليهما دارت رحى الحرب التي تريان
أنتم جعلتم وصفه سبحانه بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له بالنقل والمعقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثم نفيتم مضمونها من غير ما برهان

فجعلتم المراقبة للتعطيل هذا الاصطلاح وهذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لا حبر في هذا على إنسان
فنقول نفيكم بهذا الاصطلاح صفاته هو أبطل البطلان
وكذلك نفيكم به علوه فوق السماء وفوق كل مكان
وكذلك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن
وكذلك نفيكم لرؤيته له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذلك نفيكم لسائر ما أتى في النقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والاصابع والذي أبداً يسوؤكم بلا كتمان
وبودكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودكم والله لما قاله أن ليس يدخل مسمع الإنسان
قام الدليل على استناد الكون أجـمعه الى خـلاقه الرحمن
ما قام قط على انتفاء صفاته وعلوه من فوق ذي الأكروان
هو واحد في وصفه وعلوه مالتوري رب سواه ثاب
فلأني معنى يحددون علوه وصفاته بالفسر والهديان
هذا وما المحذور الا إن يقا ل مع الإله لنا إله ثان
أو أن يعطل عن صفات كاله هذان محذوران محظوران
أما إذا ما قيل رب واحد أوصافه أربت على الحسيان

وهو القديم فلم يزل بصفاته متوحداً بل دائم الإحسان
أي : لا محذور في إثبات صفات الكمال لله سبحانه ، وإنه واحد لم يزل
بصفاته لهماً واحداً ، وإنما المحذور أن يجعل مع الله إله آخر وتعطل صفات كماله ،
فهذان كما قال الناظم : محذوران محظوران .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبأي برهان نفيتم ذا وقلتم ليس هذا قط في الامكان
فلئن زعمتم أنه نقص فذا بهت فما في ذاك من نقصان
النقص في أمرين سلب كماله أو شرکه بالواحد الرحمن
أتكون أوصاف الكمال نقيصة في أي عقل ذاك أم قرآن ؟
إن الكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ذا واضح البرهان
ما النقص غير السلب حسب وكل نقص أصله سلب ، هذا واضح التبيان
فالجهل سلب العلم وهو نقيصة والظلم سلب العدل والاحسان
مستقص الرحمن سالب وصفه حقاً تعالى الله عن نقصان
وكذا الثناء عليه ذكر صفاته والحمد والتمجيد كل أوان
ولذلك أعلم خلقه أدراهم بصفاته من جاء بالقرآن
وله صفات ليس يحصيها سوا من ملائكة ولا انسان
ولذلك يثني في القيامة ساجدا لما يراه المصطفى بعيان

بشاء حمد لم يكن في هذه الدنيا ليحويه مدى الازمان
وثناؤه بصفاته لا بالسلو ب كما يقول العارفين
حاصل هذه الأبيات أنكم أيها المعطلة ، لماذا نفيت الصفات ؟ فان زعمتم
أنها نقص ، فهذا كذب وبهت ، وانما النقص في أمرين : إما سلب الكمال ،
أو إثبات شريك لله تعالى ، وأما أوصاف الكمال ، فحاشا أن تكون نقصاً ،
والكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ، اذ السلب المحض لا كمال فيه ، الا
إذا تضمن تنزيهاً عن نقص ، كما في سلب النوم ، والسنة ، واللغوب^(١) والطعم
عنه تعالى وتقدس .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعقل دل على انتهاء الكون أجـمعه الى رب عظيم الشأن
وثبوت أوصاف الكمال لذاته لا يقتضي إبطال ذا البرهان
والكون يشهد أن خالقه تعا لى ذو الكمال ودائم السلطان
وكذاك يشهد أنه سبحانه فوق الوجود وفوق كل مكان
وكذاك يشهد أنه سبحانه المـعبود لاشيء من الاكوان
وكذاك يشهد أنه سبحانه ذو حكمة في غاية الاتقان
وكذاك يشهد أنه ذو قدرة حي عليم دائم الاحسان
وكذاك يشهد أنه الفعال حقاً كل يوم ربنا في شان
وكذاك يشهد أنه المختار في أفعاله حقاً بلا تكران

(١) اللغوب : التعب والأعياء .

وكذلك يشهد أنه الحي الذي ما للممات عليه من سلطان
وكذلك يشهد أنه القيوم قا م بنفسه ومقيم ذي الاكوان
وكذلك يشهد أنه ذو رحمة وإرادة ومحبة وحنان
وكذلك يشهد أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
وكذلك يشهد أنه سبحانه الخلاق باعث هذه الأبدان
لا تجعلوه شاهداً بالزور والاستعطيل تلك شهادة البطلان
وإذا تأملت الوجود رأيته إن لم تكن من زمرة العميان
بشهادة الاثبات حقاً قائم لله لا بشهادة النكران
وكذلك رسل الله شاهدة به أيضاً فسل عنهم عليم زمان
وكذلك كتب الله شاهدة به أيضاً فهذا محكم القرآن
وكذلك الفطر التي ما غيرت عن أصل خلقها بأمر ثان
وكذلك العقول المستنيرات التي فيها مصابيح الهدى الرباني
أترون أنا تاركو ذا كله لشهادة الجهمي واليونان
هذي الشهود فان طلبتم شاهداً من غيرها سيقوم بعد زمان
إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر الحق المبين مشاهداً بعيان
هذه الآيات واضحة بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا نفيتم ذا وقلتم إنه ملزوم تركيب فمن يلحافى
إن قلت لاعقل ولا سمع لكم وصرخت فيما بينكم بأذان
هل يجعل الملزوم عين اللازم المنفي هذا بين البطلان
فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى عقل سليم ياذوو العرفان
قلتم نفينا وصفه وعلوه من خشية التركيب والامكان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
أو كان فوق العرش كان مركباً فالفوق والتركيب متفقان
فنفيتم التركيب بالتركيب مع تغيير إحدى اللفظتين بشأن
بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان
لو كان موصوفاً لكان كذلك موصوفاً وهذا حاصل البرهان
فاذا جعلتم لفظة التركيب بالـ معنى الصحيح اماراة البطلان
جئنا الى المعنى فخلصناه منها واطرحناها اطراح مهان
هي لفظة مقبوحة بدعية مذمومة منا بكل لسان
واللفظ بالتوحيد نجعله مكان اللفظ بالتركيب في التبيان
واللفظ بالتوحيد اولى بالصفاء ت وبالعلو لمن له أذنان

هذا هو التوحيد عند الرسل لا أصحاب جهنم شيعة الكفران

أي . أن الفلاسفة والجهمية يقولون : إن إثبات الصفات يلزم منه التركيب .

قال الناظم : فإذا نفيت الصفات ، وقلتم إنه ملزوم التركيب ، فكيف

تجعلون الملزوم الذي هو إثبات الصفات عين اللازم الذي هو إثبات الصفات ،

فصار المعنى إثبات الصفات ، يستلزم إثبات الصفات ، فيجب نفسه ، فهم

على هذا نفوا التركيب بالتركيب ، فإذا نفوا التركيب بكونه تركيباً ،

ففيه إبطال الشيء بنفسه ، وهو محال ، فإن الشيء لا ينفيه عنه ،

قال الناظم : بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان

وحاصل ما أبطلوا به إثبات الصفات ، بأن المعنى لو كان موصوفاً ،

لكان موصوفاً ، فتأمل قوله : فإذا جعلتم لفظة التركيب الخ . أي : إذا

جعلتم لفظة التركيب إماراة البطلان خلصنا المعنى الصحيح منها ، واطرحنا

تلك اللفظة ، وهي لفظة التركيب ، لأنها لفظة مقبوحة بدعية مذمومة ،

وأبدلنا ، وكأنها التوحيد ، لأنه أولى بالصفات وبالأعلى ، وهذا هو التوحيد

عند الرسل وأتباعهم ، لا أصحاب جهنم شيعة الكفران ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذاً أنواعه هي خمسة قد حصت أقسامها ببيان

توحيد أتباع ابن سينا وهو منسوب لآرسطو من اليونان
ما للاله لديهم ماهية غير الوجود المطلق الواجدان
مسلوب أوصاف الكمال جميعها لكن وجود حسب ليس بفان
ما إن له ذات سوى نفس الوجود دالمطلق المسلوب كل معان
فلذا لا سمع ولا بصر ولا علم ولا قول من الرحمن
ولذا قالوا ليس ثم مشيئة وإرادة لوجود ذي الأكوان
بل تلك لازمة له بالذات لم تنفك عنه قط في الأزمان
ما اختار شيئاً قط يفعل ولا هذا له أبداً بذى إمكان
وبنوا على هذا استحالة خرق ذا الـ أفلاك يوم قيامة الأبدان
ولذا قالوا ليس يعلم قط شيئاً ما من الموجود في الأعيان
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذاتك القمران
بل ليس يسمع صوت كل مصوت كلا وليس يراه رأي عيان
بل ليس يعلم حالة الانسان تفصيلاً من الطاعات والعصيان
كلا ولا علم له بتساقط الأوراق أو بمنابت الأغصان
عاماً على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الامكان
بل نفس آدم عندهم عين المحال ولم يكن في سالف الأزمان

ما زال نوع الناس موجوداً ولا يفنى كذاك الدهر والمملوءان
هذا هو التوحيد عند فريقهم مثل ابن سينا والنصير الثاني
قالوا وألجأنا الى ذا خشية التركيب والتجسيم ذي البطلان
ولذلك قلنا ماله سمع ولا بصر ولا علم فكيف يدان؟
وكذلك قلنا ليس فوق العرش إلا المستحيل وليس ذا إمكان
جسم على جسم كلا الجسمين محدود يكون كلاهما صنوان
فبذاك حقاً صرحوا في كتبهم وهم الفحول أئمة الكفران
ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الكفران ينحازوا ولا الايمان
والشرك عندهم ثبوت الذات والـ أوصاف إذ يبقى هناك اثنان
غير الوجود فصار ثم ثلاثة فلذا نفينا اثنين بالبرهان
تنفي الوجود فلا يضاف اليه شيء غيره فيصير ذا إمكان

قال الناظم : في « الصواعق »^(١) في بيان توحيد الفلاسفة : هو إنكار
ماهية الرب الزائد على وجوده ، وإنكار صفات كماله ، وأنه لا سمع له ،
ولا بصر ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا ارادة ، ولا كلام ، ولا وجه ،
ولا يدين ، وليس فيه معنيان يتميز أحدهما عن الآخر البتة ، قالوا : لأنه
لو كان كذلك لكان مركباً ، وكان جسماً مؤلفاً ، ولم يكن واحداً
من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ،

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة »

ولا يتميز منه جانب عن جانب ، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده ، وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده ، وقالوا : لو كان له صفة ، أو كلام ، أو مشيئة ، أو علم ، أو حياة ، أو قدرة ، أو سمع ، أو بصر ، لم يكن واحداً ، وكان مركباً مؤلفاً ، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء ، وهو التوحيد ، وسموا أصح الأشياء ، وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب بأقبح الأسماء ، وهو التركيب والتأليف ، فتولد من بين هذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته ، بل وجحد ماهيته وذاته ، وتكذيب رسله ، ونشأ من نشأ على اصطلاحهم ، مع إعراضه عن استقادة الهدى والحق من الوحي ، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطاحوا عليه ، فجعلوه أصلاً لدينه ، فلما رأى ما جاءت به الرسل يعارضه ، قال : إذا تعارض العقل والنقل ، قدم العقل . انتهى كلامه

قوله : بل نفس آدم عندهم عين المحال ؛ أي : أن نوع الانسان لم يزل ولا يزال ، فلا بداية له ، ولا نهاية ، فلم يوجد آدم فضلاً عن أن يكون النوع الانساني نسلاً له .

قوله : والشرك عندهم ثبوت الذات والأوصاف الخ ؛ أي : أنهم يقولون : إذا أثبتنا ذاتاً وصفات ، ووجوداً ، لزم التركيب ، فلهذا نفينا اثنين بالبرهان ، فيبقى الوجود فقط ، فوجود الرب عندهم وجود مطلق ، كما تقدم ذلك في كلام الناظم ، والله أعلم .

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الاتحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبــــــــــــعين وشيعته أولي البهتان
كل اتحادي حيث عنده معبوده موطؤه الحقان
توحيدهم إن الاله هو الوجو د المطلق المثبوت في الأعيان
هو عينها لاغيرها ماها هنا رب وعبد كيف يفترقان
لكن وهم العبد ثم خياله في ذي المظاهر دائماً يابجان
فلذا ك حكمها عليه نافذ فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فاذا تجرد علمه عن حسه وخياله بل ثم تجريدان
تجريده عن عقله أيضاً فان العقل لايدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها وهما وحساً ثم عقل وان
فالوهم منه وحسه وخياله والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشان فاخرقها و الا كنت محجوباً عن العرفان
هداوا كشفها حجاب الحس والمعقول ذانك صاحب الفرقان
فهنالك صرت موحداً حقاً ترى هذا الوجود حقيقة الديان

والشرك عندهم فتويع الوجود دوقولنا إن الوجود اثنان
واحتمج يوماً بالكتاب عليهم شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكننا التوحيد عند القائلين بالاتحاد فهم أولو العرفان
رب وعبد كيف ذاك وإنما الوجود فرد ماله من ثان
هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد للملحدين ، وهو توحيد الوجودية
القائلين بوحدة الوجود ، لعنهم الله تعالى ، وقد بينا مذاهبهم عند ذكر ركبهم
في أول هذا النظم ، ونشير الى ذلك هنا بعض الإشارة ، فالتوحيد عندهم كما
قال الناظم : (١) « إن الاله هو الوجود المطلق الثبوت في الأعيان ، وإنه عينها
لاغيرها ، وإنه ليس ثم عبد ورب ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب ،
كما قال صاحب « الفتوحات المكية » في أولها :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب أنى يكلف ؟
قالوا : ولكن الوهم والخيال يلجآن دائماً في المظاهر ، فاذا تجرد الانسان
عن العلم ، والعقل ، والحس ، والوهم ، والخيال ، حصل له هذا العرفان ،
وأكتفها حجاب الحس والمعقول ، فاذا خرق هذه الحجب ، صار موحداً
حقاً يرى هذا الوجود حقيقة الديان ، تعالى الله عن إفك الزائعين والملحدين
علواً كبيراً ،

قوله : واحتمج يوماً بالكتاب عليهم النع . . الذي قال هذا الكلام ، هو

العفيف التلمساني ، لعنه الله تعالى . فقد ذكر شيخ الاسلام ، والذهبي وغيرهما عنه أنه لما قرأ عليه « الفصوص » قيل له : القرآن يخالف فصوصكم . فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا . ف قيل له : فما بال نكاح البنت والأخت والأم حرام ؟ فقال . هو عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . والشرك عند هؤلاء ، هو تنويع الوجود ، وأن يقال : الوجود اثنان .

فصل

في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الاتحاد

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان نفى الصفات مع العلو كذاك نفسي كلامه بالوحي والقرآن فالعرش ليس عليه شيء بته لكنه خلو من الرحمن مافوقه رب يطاع ولا عليه للورى من خالق رحمن بل حظ عرش الرب عند فريقهم منه كحظ الأسفل التحتاني فهو المعطل عن نعوت كماله وعن الكلام وعن جميع معان وانظر الى ما قد حكيينا عنه في مبدا القصيد حكاية التبيان

هذا هو التوحيد عند فريقهم تلو الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم فاثبات الصفا ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركاً ذا وكل الرسل قد جاؤوا به يا خيبة الانسان
هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان

وقد تقدم شرح مذهبيهم وأتباعه في الصفات والعلو والقرآن بما أغنى عن
إعادته في اول هذا النظم .

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيد لدى جبريهم هو غاية العرفان
العبد ميت ماله فعل ولكن ماترى هر فعل ذي السلطان
والله فاعل فعلنا من طاعة ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل رب العالمين حقيقة ليست بفعل قط للانسان
فالعبد ميت وهو مجبور على أفعاله كالميت في الأكفان
وهو المألوم على فعال إلهه فيه وداخل جاحم النيران
يا ويحة المسكين مظلوم يرى في صورة العبد المظلوم التجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم في نفسه أدباً مع الرحمن

هذا هو التوحيد عند فريقهم من كل جبري خبيث جنان
والكل عند غلاتهم طاعاتنا ما ثم في التحقيق من عصيان
والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً غير الإله الممالك الديان
فانظر إلى التوحيد عند القوم ما فيه من الإشراك والكفران
ما عندهم والله شيء غيره هاتيك كتبهم بكل مكان
أترى أبا جهل وشيعته رؤوا من خالق ثان لذي الأكوان
أم كلهم جمعاً أقروا أنه هو وحده الخلاق للانسان
فاذا ادعيتهم أن هذا غاية التوحيد صار الشرك ذا بطلان
فالناس كلهم أقروا أنه هو وحده الخلاق ليس اثنان
إلا المجوس فانهم قالوا بأن الشرك خالقه إله ثان

وقد تقدم الكلام في ذلك أول هذا الشرح بما أغنى عن الاعادة

فصل

في توحيد الانبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذا توحيد رسل الله ثم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان

توحيدهم نوعان قولي وفعلي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيضاً في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب رذا نوعان أيضاً في كتاب الله مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما نوعان معروفان أما الثاني
شرع الناظم رحمه الله في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ، وذكر أنه
نوعان ، قولي ، وفعلي . ثم ذكر أن القولي نوعان أيضاً في القرآن أحدهما :
سلب وهو نوعان أيضاً : سلب النقائص والعيوب ، وهو نوعان أيضاً
أحدهما : سلب النقائص والعيوب المتصلة ، والثاني : سلب النقائص والعيوب
المنفصلة . وأشار بقوله : أما الثاني إلى سلب النقائص والعيوب المنفصلة ، فقال .
سلب الشريك مع الظهير مع الشفيع بدون إذن المالك الديان
وهذا كما في قوله تعالى (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايملكون
مقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير .
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ .
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك سلب الزوج والولد الذي نسبوا اليه عابدو الصليبان
وكذلك نفى الكف أيضاً والولي لنا سوى الرحمن ذي الغفران
اي : ومن العيوب المنفصلة سلب الزوج عنه تعالى ، والولد . أما نفى
الزوج والولد ، ففي قوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له
ولم تكن له صاحبة) الأنعام : ١٠١ ونفى الولد ، كما في قوله تعالى :

(وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية التوبة : ٣٠
وقال تعالى : (ولم يكن له كفواً أحد) الاخلاص : ١ وأما نفي الولي ففي قوله تعالى :
(أم اتخذوا من دونه أولياء فإله هو الولي . . .) الشورى : ٩ .
ثم أشار الناظم الى سلب النقائص والعيوب المتصلة بقوله :

والأول التنزيه للرحمن عن وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ينفي اقتدار الخالق المنان
والنوم والسنة التي هي أصله وعزوب شيء عنه في الأكوان
وكذلك العيب الذي تنفيه حكمته وحمد الله ذي الاتقان
وكذلك ترك الخلق إلهما لأسدى لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا أمر ولا نهى عليهم من إله قادر ديان
وكذلك ظلم عباده وهو الغني فماله والظلم للانسان
وكذلك غفلته تعالى وهو علام الغيوب فظاهر البطлан
وكذلك النسيان جل إلهنا لا يعتريه قط من نسيان
وكذلك حاجته الى طعم ورزق وهو رزاق بلا حسابان

وذلك ظاهر في كتاب الله تعالى . أما سلب الموت ففي قوله تعالى :
(وتوكل على الحي الذي لا يموت ...) الفرقان : ٥٨ الآية . وأما الإعياء
والتعب ، ففي قوله (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ وهو التعب والإعياء . وأما النوم والسنة
ففي قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ والعبث كما في قوله

تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون) المؤمنون : ١١٥
وأما ترك الخلق هملاً ففي قوله تعالى : (أيجسب الإنسان أن يترك سدى)
القيامة : ٣٦ وأما نفي الظلم ففي قوله تعالى : (إن الله لا يظلم الناس شيئاً)
يونس : ١١٥ الآية وفي قوله تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠
وأما نفي النسيان والغفلة فثني قوله تعالى : (وما كان ربك نسياً) مريم : ٦٤
وأما نفي الطعم ففي قوله تعالى : (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وفي قوله تعالى (وما خلقت
الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون
إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

ثم أشار الناظم إلى النوع الثاني من نوعي السلب فقال :

هذا وثاني نوعي السلب الذي هو أول الأنواع في الأوزان

أي : في قوله في اول الفصل إحداهما : سلب وذا نوعان . فذكر
الأول ، وهو سلب النقائص والغيوب ، ثم ذكر الثاني بقوله : هذا وثاني نوعي
السلب الخ . . .

تنزيه أوصاف الكمال له عن التشبيه والتمثيل والنكران
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخايه من أوصافه إن المعطل عابد البهتان

من مثل الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان

هذا هو الثاني من نوعي السلب ، وهو تنزيه صفات الرب تعالى التي

وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله عن التشبيه والتمثيل ، وعن التحريف والتعطيل ، بل ثبتت إثباتاً بلا تشبيه ، وينزه تنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال نعيم ابن حماد الخزاعي : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، ولا ما وصفه رسوله به تشبيهاً .

قوله : فهو النسيب الخ . قال في « القاموس » النسب ، والنسبة بالكسر : القرابة ، والمناسبة : المشاكلة . انتهى . والمراد هنا المشاكلة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول ، وهو الشبوت

أي : من نوعي التوحيد القولي الذي ذكره أول الفصل

هذا ومن توحيدهم إثبات أو صاف الكمال لرَبِّنا الرحمن
كعبلوه سبحانه فوق السموات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلى بذاته سبحانه إذ يستحيل خلاف ذا بيان
وهو الذي حقاً على العرش استوى قد قام بالتدبير للأكوان
حي مريد قادر متكلم ذو رحمة وإرادة وحنان
هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن هي أربع بوزان

ما قبله شيء كذا ما بعده شيء تعالى الله ذو السلطان
ما فوقه شيء كذا مادونه شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانظر إلى تفسيره بتدبر وتبصر وتعقل لمعانه
وانظر إلى ما فيه من أنواع معرفة الخالقنا العظيم الشان
وهو العلي فكل أنواع العلم وله فتأبته له بلا نكرات
تقدم الكلام على معاني هذه الآيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو العظيم بكل معنى يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف الجلال له محقة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والأفعال والأسماء بالبرهان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذه الفصول كثيراً من أسماء الرب
سبحانه ، وقد أفرد العلماء للكلام على معانيها مصنفات معروفة ، ككتاب
«الكلام على أسماء الله الحسنى» للناظم و «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»
للشيخ أبي عبد الله القرطبي ، والإمام أبي حامد الغزالي ، و «شرح الأسماء»
الحسنى «للحليسي» ، و «شرح أسماء الله الحسنى» لأبي حكيم ابن بروجان ،
و «شرح أسماء الله الحسنى» للحافظ أبي بكر البيهقي ، وغيرهم .

الاشيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان
وهو المجيد صفاته أوصاف تعظيم فشأن الوصف أعظم شأن
وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني
وهو البصير يرى ديب النملة السوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان
وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذاك الأمر ذا إمكان

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضاً مدي الأزمان
ملاً الوجود جميعه ونظيره من غير ماعد ولا حساب
هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الاحسان

قال الناظم رحمه الله في « بدائع الفوائد » تنبيهات : الاول : ما يجري
صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام : أحدها : ما يرجع الى نفس
الذات ؛ كقولك : ذات ، ووجود ، وشيء . الثاني : ما يرجع الى صفات
معنوية ، كالعلم ، والقدير ، والسميع ، والبصير . الثالث : ما يرجع الى أفعاله ،
نحو الخالق ، والرازق . الرابع : ما يرجع الى التنزيه المحض ، ولا بد من
تضمنه ثبوتاً ، اذ لا كمال في العدم المحض ، كالدوس ، السلام . الخامس :
مادل على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة ، بل هو دال على معان ،
نحو المجيد ، العظيم ، الصمد ، فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات
الكمال ، ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة ، والكثرة ، والزيادة .
ومنه قولهم : في كل شجرة نار ، واستمجد المرخ ، والعقار ، وأمجد الناقة
علفاً . ومنه : رب العرش المجيد ، لسعة العرش ، وعظمته . والعظيم : من
اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد . السادس : صفة
تحصل من اقتراب أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على
مفرديهما ، نحو الغني ، العفو ، القدير ، المجيد ، المجيد ، ونحو ذلك .
فان الغني من صفات الكمال ، والمجد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال
آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك
نظائرهما . وأما صفات السلب المحض ، فلا تدخل في أوصافه تعالى ، الا أن
تكون متضمنة لثبوت ، كالأحد المتضمن لسلامته من كل نقص ، وبرأته
من كل ما يضاف كماله ، وكذلك الاخبار عنه بالسلب ، إنما هو لتضمنها ثبوتاً ،
كقوله تعالى : (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ فانه متضمن للكمال
حياته وقيامته ، وكذلك قوله (وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ متضمن
لكمال قدرته ، وكذلك قوله (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في

الأرض ولا في السماء) يونس : ٦١ متضمن لكمال هلمه ، ونظائر ذلك .
الثاني : يجب أن يعلم ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في
باب أسمائه وصفاته ، كالشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه ، فان هذا يخبر
به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنی وصفاته العلی . الثالث : أسمائه الحسنی
أعلام وأوصاف ، فالوصف فيها لا ينافي العلمية ، وهذا بخلاف أوصاف العباد .
ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات : دلالة على الذات ، والصفة بالمطابقة ،
ودلالة على احدهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الأخرى بالزوم ، ولأسمائه
الحسنی اعتباران : أحدهما : من حيث الذات . والثاني : من حيث الصفات ،
فهو بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاختبار الثاني متباينة . انتهى كلامه . وهو
كلام نفيس جداً ، أثرت نقله لنفاسته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وهو المكلّم عبده موسى بتكليم الخطاب وقبله الأبوان
كلماته جلّت عن الإحصاء والتعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها أقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفذ بها كلماته ليس الكلام من الاله بفان .

وهو القدير وليس يعجزه اذا مارام شيئاً قط ذو سلطان
وهو القوي له القوى جمعاً تعـ الى رب ذي الأكوان والأزمان
وهو الغني بذاته فغنائه ذا تي له كالجود والاحسان
وهو العزيز فلن يرام جنبه أننى يرام جنب ذي السلطان؟!
وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هذه صفات
وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه من كل وجه عادم النقصان
قد شرح الناظم رحمه الله جميع هذه الأبيات في نفس النظم بما هو واضح.
قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الحكيم وذاك من أوصافه نوعان أيضاً ما هما عدمان
حكم وأحكام فكل منهما نوعان أيضاً ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا يتلازمان وما هما سياان
بل ذاك يوجد دون هذا مفرداً والعكس أيضاً ثم يجتمعان
لن يخلو المرئوب من إحداهما أو منهما بل ليس ينتفيان
لكنما الشرعي محبوب له أبداً ولن يخلو من الأكوان
هو أمره الديني جاءت رسله بقيامه في سائر الأزمان
لكنما الكوني فهو قضاؤه في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حق وعدل ذو رضى والشأن في المقضي كل الشأن
فلذا كثر رضى بالقضاء ونسخ الخط المقضي حين يكون بالعصيان
فإنهم يرضى بالقضاء ويسخط الخط المقضي ما الأمران متحدان
فقط صاؤه صفة به قامت وما الخط المقضي الا صفة الإنسان
والكون محبوب ومبغوض له وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس كل زمان
ويحل ما قد عقدوا بأصولهم وبحوثهم فافهمه فهم بيان
من وافق الكوفي وافق سخطه أفلم يوافق طاعة الديان ؟
فلذا لا يعدوه ذم أو فوا ت الحمد مع أجر ومع رضوان
وموافق الديني لا يعدوه أجـر بل له عند الصواب اثنان

حاصل ما ذكره الناظم في هذه الأبيات أن الحكيم من أوصافه سبحانه ،
وأن ذاك نوعان : أحدهما : حكم . والثاني : أحكام . ثم ذكر أن الحكم
شرعي ، وكوفي ، وأنها لا يتلازمان ، وهذا لا يتمشى على أصول من يجعل محبة
الرب ورضاه ومشئته واحدة ، فان من قال : كل ما شاء الله تعالى وقضاء
فقد أحبه ورضيه ، لا يحسن منه ولا عنده هذا التفصيل ، كما لا يخفى .
وأيضاً هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي ، والفعل غير المفعول ،
وهو مذهب السلف . وأما من لم يفرق بينهما ، فكيف يصح هذا عنده ؟
قال الناظم في « شرح منازل السائرين » (١) « إنما نشأ الاشكال من جعلهم

المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضياً محباً لذلك ، والتزم رضاهم به ، والذي يكشف هذه الغمة ، وينجي من هذه الورطة ، التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فليسوا واحداً ، ولا هما متلازمان ، بل قديشأن ما لا يحبه ، ويجب ما لا يشاء كونه ، فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون ، مع بغضه لبعضه . والثاني : كحجة إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فإننا نقرر هذا الأصل أن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضي ، وأن الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه ، وقد زالت الشبهات ، وأخلت الاشكالات . إذا عرف هذا ، فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب ، وهو أساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ، ولا منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض . قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً) النساء : ٦٥ فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه ، فالتحكيم في مقام الاسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الايمان ، والتسليم في مقام الإحسان . ومتى خالط القلب بشاشة الايمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحيي بروح الوحي ، وتمهدت طبيعته ، وانقلب النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى الاسلام بصدر منشرح ، فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله . انتهى

وقد أحبيت أن أذكر هنا الأبيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة ، وبعض جواب شيخ الاسلام عنها ، وقد ذكرها الحافظ محمد ابن عبد الهادي في « مناقب الشيخ » وذكرها ابن السبكي في « طبقاته » قال ابن السبكي في ترجمة الشيخ علاء الدين الباجي : ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة ، وكنتم اسمه ، وجعله على لسان بعض أهل الذمة ، وهو :

أيا علماء الدين ذمّي دينكم	تخيّر دلوّه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعيمكم	ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب عني فهل إلى	دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟
قضا بضلا لي ثم قال ارض بالقضا	فما أنا راض بالذي فيه شقوتي
فإن كنت بالمقضي يا قوم راضياً	فربي لا يرضى بشؤم شكيتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيدي؟	فقد حرت دلو في على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة	فهل أنا عاص في اتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه	فبالله فاشفوا بالبراهين علي

قال : أجاب الشيخ علاء الدين الباجي الشافعي فقال :

أيا عالماً أبدى دلائل حيرة	يروم اهتداء من أهيل فضيلة
لقد سرني أن كنت للحق طالباً	عسى نفحة للحق من سحب رحمة
فبالحق نيل الحق فالجأ ببابه	كأهل النهى واترك حبال حيلة
قضى الله قدماً بالضلالة والهدى	بقدره فعال بأحكم حكمة

إذا العقل بل تحسينه بعض خلقه وليس على الخلاق حكم الحقيقة
وأفعالنا من خلقه كذواتنا وما فيها خلق لنا بالحقيقة
ولكنه أجرى على الخلق خلقه دليل على تلك الأمور القديمة
عرفنا به أهل السعادة والشقا كما شاءه فينا بمحض المشيئة
لباس أثواب جعلن أماره على حالي حب وسخط لرؤية
تصاريفه فينا تصاريف مالك سيما عن سؤال الكيف والسببية
ألمات وأحيى ثم صار معافيا وقبح تحسين العقول الضعيفة
فكن راضياً نفس القضاء ولا تكن بمقضي كفر راضياً ذا خطيئة
وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع بأعذارنا في يوم بعث البرية
فعبر بسد أو بفتح وعد عن ضلالة تشكيك بأوضح حجة
وقد بان وجه الأمر والنهي واضحاً ولا شك فيه بل ولا وهم شبهة
قلت : هذا الجواب مبني على إنكار التحسين والتقبيح العقليين ، كما هو
مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ،
وأحمد ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

وأجاب شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فقال :

سؤالك يا هذا سؤال معاند تخاصم رب العرش باري البرية
وهذا سؤال خاصم الملائة العلى قديماً به إبليس أصل البلية

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة
فإن جميع الكون أوجب فعله
وذاة إله الخلق واجبة بما
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه
وفي الكون تخصيص كثير يدل من
وإصداره عن واحد بعد واحد
ولا ريب في تعليق كل مسبب
بل الشأن في الاسباب أسباب ما ترى
وقولك لم شاء الإله هو الذي
فإن المجوس القائلين بخالق
سؤالهم عن علة الشر أوقعت
وإن ملاحيد الفلاسفة الألى
بنوا علة للكون بعد انعدامه
وإن مبادي الشر في كل أمة
بخوضهم في ذاكم صار شركهم
ويكفيك نقضاً أن ما قد سألته

هو الخوض في فعل الإله بعله
مشيئة رب العرش باري الخليفة
لها من صفات واجبات قديمة
يقول فلم قد كان في الأزلية؟
وتحريمه قد جاء في كل شرعة
له نوع عقل أنه بارادة
أو القول بالتجويز رمية حيرة
بما قبله من علة موجبة
وإصدارها عن حكم محض المشيئة
أزل عقول الخلق في قعر حفرة
لنفع ورب مبدع للمضرة
رؤوسهم^(١) في شبهة المثوية
يقولون بالفعل القديم بعله
فلم يجدوا ذاكم فضلوا بضلة
ذوي ملة ميمونة نبوية
وجاء دروس اليبينات لفترة
من العذر مردود لدى كل فطرة

وهبك كفت اللوم عن كل كافر
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم
فلا تغضبني يوماً على سافك دماً
ولا شاتم عرضاً مصوناً وإن علا
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم
ولا شاهد بالزور إفكاً وفرية
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً
وكف لسان اللوم عن كل مفسد
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً
وهل في عقول الناس أو في طباعهم
كأكل سم أوجب الموت أكله
فكفرك يا هذا كسم أكلته
ألست ترى في هذه الدار من جنى
ولا عذر للجاني بتقدير خالق
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى
فدونك رب العرش فاقصده ضارعا
وذلل قياد النفس للحق واسمع
وكل غوي خارج عن محبة
من الناس في نفس ومال وحرمة
ولا سارق مალأ لصاحب فاقة
ولا ناكح فرجاً على وجه غية
ولا مفسد في الأرض من كل وجهة
ولا قاذف للمحصنات بريية
ولا حاكم للعالمين برشوة
ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة
على ربه من كل جاء بفرية
قيول لقول النذل ما وجه حيلتي
وكل بتقدير لرب البرية
وتعذيب نار مثل جرعة غصة
يعاقب إما بالقضا أو بشرعة؟
كذلك في الأخرى بلامثنوية
يتجيك من نار الاله العظيمة
مريداً لأن يهديك نحو الحقيقة
ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة

وما بان حق فلا تتركه ولا تعص من يدعو لأقوم ربيعة
وأما رضانا بالقضاء فائماً . أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وفقر ثم ذل وغربة وما كان من سوء بدون جريمة
وأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا ترضى مسخوطة لمشينة
وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى بفعل المعاصي والذنوب الكوبية
وقال فريق نرضى بقضائه ولا نرضى المقضي لأقبح خلة
وقال فريق نرضى باضافة اليه وما فينا فذلقي بسخطة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجهه كتاب بحيلة
وأطال رحمه الله تعالى ، وهو جواب في غاية النفاسة ، والوفاء بالمقصود ،
تركنا نقل جميعه اختصاراً .

قول الناظم : هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس الخ . أي :
إن هذا الذي ذكره في هذه المسألة يزيل جميع الاشكالات فيها قوله .
أي : من وافق الحكم القدري الكوني ، وافق سخطه الله ، إذ لم يوافق
الحكم الديني الشرعي ، فلا يعدوه أجر إن خطأ ، أو أجر إن أصاب ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والحكمة العليا على نوعين أيضاً حصلاً بقواطع البرهان

إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضاً ليس يفترقان
أحكام هذا الخلق إذ إيجاداً في غاية الإحكام والاتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضاً وفيها ذلك الوصفان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان

قال شيخ الاسلام رحمه الله لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى
وأحكامه قولان ، والأكثر على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن
الرب لا تقوم به ، أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضاً قولان ،
وهل يتسلسل الحكم ، أو لا يتسلسل ؟ أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك
كتبنا على بني إسرائيل) المائدة - ٣٢ وقوله (كي لا يكون دولة) الحشر : ٦
وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) البقرة : ١٤٠ ونظائرهما ،
لأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى (وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٦ والاجماع واقع على اشتغال الأفعال على
الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوباً عند المعتزلة ، فيفعل
ما يريد بحكمته ، والنافون للحكمة والعلة احتجوا أنه يلزم من قدم العلة قدم
المعلول ، وهو محال ، ومن حدوثها افتقارها الى علة أخرى ، وأنه يلزم
التسلسل . وقد أجلب الناظم وإطنب في كتابه « شرح منازل السائرين »^(١)
و « مفتاح السعادة » وغيرها ، فما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله

(١) هو « مدارج السالكين شرح منازل السائرين »

تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فدل على أن هذا الحكم بشيء قبيح ، يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة قبحه في نفسه ، لا من جهة كونه أنه لا يكون . ومن هذا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدى ، لا يأمرهم ولا ينهائهم ، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وأن هذا الحساب باطل ؛ والله يتعالى عنه لمنافاته لحكمته . فقال تعالى (أيجسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٥ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقبح ذلك واستهجاناً ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين . ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون : ١١٥ فتنزه نفسه سبحانه ، وباعدها عن هذا الحسبان ، وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبه ومنافاته الحكمة ، ثم إنه رحمه الله بسط القول في ذلك بسطاً كثيراً لا يحتمله هذا الموضع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

وهو الحي فليس يفضح عبده	عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره	فهو الستير وصاحب الغفران
وهو الحليم فلا يعاجل عبده	بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفو فعفوه وسع الورى	لولا غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتماً وتكذيباً من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللو حظ كيف بالافعال بالاركان
وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل بحفظهم من كل أمر عان
وهو اللطيف بعبده وابعده واللفظ في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة واللفظ عند مواقع الاحسان
فيريك عزته ويدي لفظه والعبد في الغفلات عن ذا الشان

قوله : وهو اللطيف الخ . فسر الناظم اللطف في اوصافه سبحانه بنوعين
من اللطف : أحدهما : إدراك أسرار الأمور بخبرة . والثاني : اللطف عند
مواقع الاحسان ، وهذا معنى قول من فسر اللطف بأنه هو الذي يوصل
إليك أربك في رفق . وقيل : هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية .

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمان
وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان
وهو المجيب يقول من يدعو أجبه أنا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر اذا يدعو في سر وفي اعلان
وهو الجواد فجوده عم الوجود جميعه بالفضل والاحسان
وهو الجواد فلا يخيب سائلا ولو انه من أمة الكفران
وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجب اغاثه للمهان

قوله : وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان
يعني : أن القرب المذكور في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني
قريب) البقرة : ١٨٦ . إن هذا القرب مختص بالداعي ، فهو سبحانه قريب
من دعاه كما في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي
ﷺ في سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير . فقال : « يا أيها الناس
اربعوا على أنفسكم ، فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا
قريبا ، إن الذي تدعونه أقرب الى احدكم من عنق راحلته » . وكذلك قول
صالح عليه السلام : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب
مجيب) فقوله قريب مجيب مقرون بالتوبة والاستغفار ، أراد قريب مجيب
لاستغفار المستغفرين التائبين إليه ، كما أنه رحيم ودود . وقد قرن القريب

بالمجيب . ومعلوم أنه لا يقال : إنه يجب لكل موجود ، وإنما الاجابة لمن سأله ودعاه

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للمنان
وهو الذي جعل المحبة في قلوبهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الاحسان حقاً لا معاً وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يجب شكورهم وشكورهم لا لاحتياج منه للشكران
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسابات
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الاجر العظيم الشان
كلاً ولا عمل لديه ضائع إن كان بالاخلاص والاحسان
ان عذبوا فبعده او نعموا فيفضله والحمد للمنان

قوله : وهو الودود . قال تعالى (وهو الغفور الودود) والبروج : ١٤ ؛ أي :
بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين ، لا يفضحهم بها ، بالغ المحبة للطيعين من
أوليائه . قال مجاهد : الواد لأوليائه ، فهو فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد :
معنى الودود الرحيم . وقيل : الودود بمعنى المودود ؛ أي : يوده عباده .
الصالحون ويحبونه ، كذا قال الأزهري . قال : ويجوز أن يكون فعولاً
بمعنى فاعل ؛ أي : يكون محباً لهم . قال : وكلتا الصفتين مدح ، لأنه
جل ذكره إن أحب عباده المطيعين ، فهو فضل منه ، وإن أحب عباده

«العارفون ، فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه ، قال ابن عباس :
«الودود الحبيب .

قوله : يجب شكورهم النخ الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر
يشكر منكراً فهو شكور ، والثاني بضم الشين . مصدر

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقرايها من غير شرك بل من العصيان
لأثاه بالغفران ملء قرايها سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بمنة المنان

يشير الى الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن أنس قال :
«سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك
مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت
ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو
أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرايها مغفرة»

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذي صمدت اليه الخلق بالاذعان

الكامل الاوصاف من كل الوجوه . كماله ما فيه من نقصان

قال شيخ الاسلام في مسألة حسن إرادة الله تعالى . رويانا من طريق غير واحد ، كعثمان بن سعيد الدرامي ، وأبي جعفر الطبري ، والبيهقي ، وغيرهم في تفسير علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى . (الصمد) قال : السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظته ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، وللعالم الذي قد كمل في علمه ، والحليم الذي قد كمل في حلمه . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته ، لا ينبغي إلا له ، ليس له كفاء وليس كمثلته شيء ، سبحانه الله الواحد القهار .

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان

لو لم يكن حياً عزيزاً قادراً ما كان من قهر ولا سلطان

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من انسان

وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من انسان

من قولهم جبارة للنخلة العملية التي فاتت لكل بنان

قوله : والجبرقي أوصافه قسمان . ذكر للجبر معنيين في أوصاف

الرب سبحانه : أحدهما : جبر الضعيف ، وكل قلب قد غدا الخ . ومنه

الحديث « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه سبحانه .
قوله : وله مسمى ثالث وهو العلو . والمعنى : أنه لا يدنو منه انسان ومنه قولهم : جبارة ، للخلعة العليا المرتفعة ، والله أعلم .

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية والحسب كافي العبد كل أوان
وهو الرشيد فقلوه وفعاله رشد وربك مرشد الخيران
وكلاهما حق فهذا وصفه والفعل للارشاد ذاك الثاني
والعدل من أوصافه في فعله ومقاله والحكم بالميزان
فعلى الصراط المستقيم إلهنا قولاً وفعلاً ذاك في القرآن
تقدم الكلام على قوله تعالى (ان ربي على صراط مستقيم) في
أوائل هذا النظم .

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن
وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان

والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن مولى الجميل ودائم الاحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلى والارض عن تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في اوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بدين كليهما عدلا واحسانا من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان ايضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والايمان والرزق المعد لهذه الابدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للنعمان
والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبار روليس بالاطلاق دون بيان

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن الرزق نوعان : رزق
القلوب ، العلم والايمان على يد عبده ورسوله محمد ﷺ ، والنوع الثاني :

الرّزق المعد للأبدان ، والله تعالى هو رازقه ، لكنه يساق الى الأعضاء ، ويكون من الحلال والحرام ، والله رازقه بهذا الاعتبار ، وهذه المسألة قد اختلف فيها . فقول : إن الحرام رزق ، وكل يستوفي رزقه حلالاً كان أو حراماً ، لحصول التغذي بها جميعاً ، غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام ، خلافاً للمعتزلة ، فانهم قالوا : الحرام ليس برزق ، وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك ، وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به ، وذلك لا يكون الا حلالاً ، فيلزمهم على التفسير الأول أن ماياً كله الدواب ليس برزق ، مع ظاهر قوله تعالى (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) هود : ٦ فيكون مصادماً للقرآن ، لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا ينفعهم زعمهم أن تسمية ماياً كله الدواب رزقاً مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فيأكله ، فيكون لفظ الرزق مجازاً عما تأكله الدواب ، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة ، لأننا نقول : هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن ، وهو خلاف المتعارف في اللغة ؛ فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة . ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس ، لدخول ملك الله تعالى ، وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضاً على الوجهين أن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلاً ، وهو خلاف الاجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة ، أن لا رازق الا الله ، وإن استحق العبد اللوم والذم على اكل الحرام ، والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق ، وكل أحد مستوف رزق نفسه ، حلالاً كان أو حراماً ، ولا يتصور أن يأكل الانسان رزقه ، أو يأكل غير رزقه ، لأن ما قدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ، ويمتنع أن يأكله غيره ، والله أعلم .

فصل

هذا ومن اوصافه القيوم والقيوم في اوصافه أمران
احدهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره والفقر من كل اليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شان عظيم هكذا موصوفه أيضاً عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكمال هما لأفق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـ اوصاف أصلاً عنها بيان
هو قابض هو باسط هو حافظ هو رافع بالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الدارين ذل شقاً وذل هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشاء بحكمة والله ذو سلطان

قوله : والقيوم في اوصافه أمران الخ ؛ أي : إن القيوم هو الذي
قام بنفسه ، وقام به الكون ، فالأول : هو استغناؤه عن غيره ، والثاني :
افتقار كل شيء اليه . قال المفسرون : (القيوم) القائم على كل نفس
بما كسبت . وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره . وقيل : القائم بتدبير خلقه
وحفظه . وقيل : هو الذي لا ينام . وقيل : الذي لا يبدل له . وقرأ جماعة

(القيام) بالالف . وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه و (الحي) يتلوه
(القيوم) فيها كما قال الناظم لأفق سماءها أي : الصفات قطبان ، فالصفات
لا تتخلف عنها كما مثل به من قوله : هو قابض هو باسط هو خافض الخ .

فصل

والنور من أسمائه ايضاً ومن اوصافه سبحانه ذي البرهان
قال ابن مسعود كلاماً قد حكاه الدارمي عنه بلا زكيران
ما عنده ليل يكون ولا نها ر قلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السموات العلى من نوره والارض كيف النجم والقمران
من نور وجه الرب جل جلاله وكذا حكاه الحافظ الطبراني
فيه استنار العرش والكرسي مع سبع الطباق وسائر الاكوان
قال عبد الله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور
السموات من نور وجهه .

وكتابه نور كذلك شرعه نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الايمان في قلب الفتى نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجاب لأحرق السبحات الاكوان
تقدم حديث ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار ، حجابہ النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » رواه مسلم .

وإذا أتى للفصل يشرق نوره في الارض يوم قيامة الابدان
قال تعالى (واشرق الأرض بنور ربها) الزمر: ٦٩ فاخبر أن الأرض
يوم القيامة تشرق بنوره ، وهو نوره الذي نوره ، فانه سبحانه يأتي لفصل
القضاء بين عبادہ ، وينصب كرسيه بالأرض ، فإذا جاء الله تعالى أشرق
الأرض ، وحق لها أن تشرق بنوره ، وعند المعطلة لا يأتي ولا يجيء ، ولا
له نور تشرق له الارض . كذا أفاده الناظم في كتاب « الصواعق »

وكذا كدار الرب جنات العلى نور تلاً لاً ليس ذا بطلان
والنور ذو نوعين مخلوق ووصف ما هما والله متحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين محسوس ومعقول هما شيئان
احذر تزل فتحت رجلك هوة كم قد هوي فيها على الازمان
من عابد بالجهل زلت رجله فهي الى قعر الحضيض الداني
لاحت له أنوار آثار العباد دة ظنها الانوار للرحمن
فأتى بكل مصيبة وبلية ماشئت من شطح ومن هذيان
وكذا الحلولي الذي هو خدنه من هاهنا حقاً هما أخوان
ويقابل الرجلين ذو التعطيل والسحب الكثيفة ما هما سيان

ذاني كثافة طبعه وظلامه وبظلمة التعطيل هذا الثاني
والنور محبوب فلا هذا ولا هذا له من ظلمة يريان

قوله : احذر تزل فتحت رجلك هوة النخ

قال الناظم رحمه الله تعالى : في « شرح منازل السائرين » في شرح الدرجة
الثالثة من منزلة العطش على قول صاحب « المنازل » ولا يعرج دونها على
انتظار بعد كلام سبق : ولا سبيل لأحد قط في الدنيا إلى مشاهدة الحق
ولما وصله إلى شواهد الحق ، ومن زعم غير هذا فإغلبة الوهم عليه ، وحسن
ظنه بترهات القوم وخيالاتهم . والله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة
فقال : من أين لنا مشاهدة الحق ؟ لنا شاهد الحق هذا ، وهو صاحب
السطحات المعروفة ، وهذا من أحسن كلامه وأبينه . وأراد بشاهد الحق
ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية ، من ذكره ، ومحبه ، واجلاله
وتعظيمه ، ووقاره بحيث يكون ذلك حاضراً فيها ، مشهوداً لها ، غير
غائب عنها . ومن أشار إلى غير ذلك فمغرور مخدوع ، وغايته أن يكون
في حقارة صدقه ، وضعف تمييزه وعلمه . ولا ريب أن القلوب تشاهد أنواراً
مجبب استعدادها ، تقوى تارة ، وتضعف أخرى ، ولكن تلك أنوار
الاعمال ، والايان ، ، والمعارف ، وصفاء البواطن والأسرار ، لأنها نور
الذات المقدسة ، فإن الجبل لم يثبت للسير من ذلك النور حتى تدكدك ،
وخر السكيم صعباً مع عدم تجليه له ، فما الظن بغيره ؟ ! فإياك ثم إياك
وترهات القوم ، وخيالاتهم وأوهامهم ، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب
النفس وأحكامها ، فإن المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب ،
وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها

ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن ، فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك ، ولا يقر لنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور المحمدية ، فرأى ما للناس فيه ، وما أعز ذلك في الدنيا ، وما أغربه بين الخلق ، وبالله المستعان . انتهى كلامه .

وقوله : هوة . قال في « القاموس » الهوة كقوة : ما انبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها ، كالهوانة ، كرمانة : انتهى :

قوله : والنور ذو نوعين النخ

قال الناظم في « الصواعق المرسلة » قد ورد النص . بتسمية الرب نوراً وبأن له نوراً مضافاً إليه ، وبأنه نور السموات والأرض ، وبأن حجابيه نور ، فهذه أربعة أنواع .

فالاول : يقال عليه سبحانه بالاطلاق ، فانه النور الهادي .

والثاني : يضاف إليه ، كما يضاف إليه حياته ، وسمعه ، وبصره ، وعزته وقدرته ، وعلمه . وتارة يضاف الى وجهه ، وتارة يضاف الى ذاته ، فالأول كقوله « أعوذ بنور وجهك » وقوله : « نور السموات والأرض من وجهه » والثاني كقوله تعالى : (وأشرق الأرض بنور ربها .) الزمر : ٦٩ وقول ابن عباس : ذاك نوره الذي اذا تجلى به .

وقوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمر « وإن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ... الحديث . والثالث : وهو إضافة نوره الى السموات والأرض ، كقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ الرابع : كقوله : حجابيه النور ، فهذا النور المضاف إليه يجيء على أحد الوجوه الاربعة . والنور الذي احتجب به سمي نوراً وفاراً ، كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح ، حديث أبي موسى الأشعري ، وهو قوله

« حجابة النور والنار ، فان هذه النار هي نور ، وهي التي كلم الله كلمه موسى منها ، وهي نار صافية ، لها إشراق بلا احراق ، فالاقسام ثلاثة : إشراق بلا احراق ، كنور القمر ، وإحراق بلا إشراق ، وهي نار جهنم فانها سوداء محرقة لا تضيء ، وإشراق باحراق وهي هذه النار المضئية ، وكذلك نور الشمس له الاشراق والاحراق ، فهذا في الأنوار المشهودة المخلوقة ، وحجاب الرب تبارك وتعالى نور ، وهو نار ، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها ، فنور وجهه حقيقة لا يجاز ، وإذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة ، فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة اليه أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس ؟ ! فكيف لا يكون هذا النور حقيقة . انتهى كلامه .

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الصفتان للأفعال تابعات
وهما صفات الذات أيضاً إذ هما بالذات لا بالغير قائمتان
ولذلك قد غلط المقسم حين ظن صفاته نوعين مختلفات
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا دقيماها بالفعل ذي الامكان
والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم ماها شيان
فلذلك وصف الفعل ليس لديه إلا نسبة عدمية ببيان
فجميع اسماء الفعال لديه ليست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن امور كلها نسب ترى عدمية الوجدان

هذا هو التعطيل للأفعال كالتعطيل للأوصاف بالميزات
فالحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم هذا مقتضى البرهان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالذات التي للواحد الرحمن
فهما إذاً نوعان أوصاف وأفعال فهذه قسمة التبيان
فالوصف بالأفعال يستدعي قيا م الفعل بالوصف بالبرهان
فالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما إن بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محال غير معقول لذى الأذهان
وأتموا إلى الأوصاف باسم الفعل قالوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر إليهم أبطلوا الأصل الذي ردوا به أقوالهم بوزان
إن كان هذا ممكناً فكذلك قول خصومكم أيضاً فذو إمكان
والوصف بالتقديم والتأخير كوني وديني وهما نوعان
وكلاهما أمر حقيقي ونسبي ولا يخفى المثال على أولي الأذهان
والله قدر ذاك أجمعه بأحكام واتقان من الرحمن
قوله ولذلك قد غلط المقسم ؛ أي : إن الجهمية ومن تبعهم من
المعتزلة والاشعرية قالوا : إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو الخلق ، وقد
أشترنا إلى ذلك فيما تقدم ، ولنزد ذلك أيضاً فنقول : قال النسفي

رحمه الله في « عقائده المشهورة » والتكوين صفة لله أزلية ، وهو تكوينه للعالم ، وكل جزء من أجزائه ، وهو غير المكون عندنا . قال شارحها المحقق سعد الدين التفتازاني : التكوين : هو معنى المبرع عنه بالفعل ، والخلق والتخليق ، والايجاد ، والاحداث ، والاختراع ، ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، صفة لله تعالى ، لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم ، مكون له ، وامتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء ، من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفا قائماً به أزلية لوجوه :

الأول : أن يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى .

الثاني : أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق ، فلو لم يكن في الأزل خالقا للزم الكذب ، أو العدول الى المجاز ؛ أي : الخالق فيما يستقبل أو القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة ، على أنه لو جاز إطلاق الخالق عليه بمعنى القادر ، لجاز إطلاق كل ما يقدر عليه من الاعراض

الثالث : أنه لو كان حادثاً ، فاما بتكوين آخر ، فيلزم التسلسل وهو محال ، ويلزم منه استحالة تكون ، مع أنه مشاهد ، وإما بدونه ، فيستغني الحادث عن المحدث والاحداث ، وفيه تعطيل الصانع .

الرابع : أنه لو حدث ، لحدث إما في ذاته تعالى ، فيصير محلالاً لحوادث ، أو في غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به ، فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه ، ولا خفاء في استحالة . ومبنى هذه الأدلة أن التكوين صفة حقيقة ، كالعلم ، والقدرة . قال : والمحققون من المتكلمين على أنه من الإضافات والاعتبارات العقلية ، مثل كون الصانع تعالى وتقديس قبل كل شيء ومعه وبعده ، ومذكوراً بالسنن ، ومعبوداً لنا ، وميتاً ، وحيياً ، ونحو ذلك قال : والحاصل في الأزل هو مبدأ التخليق ، والترزيق ، والإماتة والإحياء

وغير ذلك ، ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة ، والارادة .
وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء ، لكن مع انضمام
الارادة بتخصيص أحد الجانبين . قال : ولما استدل القائلون بحدوث
التكوين بأنه لا يتصور بدون المكون ، كالضرب بدون المضروب ، فلو
كان قديماً لزم قدم المكونات ، وهو محال ، أشار النسفي الى الجواب بقوله :
وهو أي التكوين تكوينه للعالم ، ولكل من أجزائه ، لافي الأزل ، بل
لوقت . وجوده على حسب علمه وارادته ، فالتكوين باق أزلاً وأبداً ،
والمكون حادث بحدوث التعلق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات
القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها ، لكون تعلقاتها حادثه ، وهذا
تحقيق ما يقال : إن وجود العالم إن لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته ،
لزم تعطيل الصانع ، واستغناء الحوادث عن الموجد ، وهو محال ، وإن تعلق ،
فإما أن يستلزم ذلك قدم ما يتعلق وجوده به ، فيلزم قدم العالم ، وهو باطل
أولاً ، فليكن التكوين أيضاً قديماً مع حدوث المكون المتعلق به . وما
يقال بأن القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه ، إذ القديم لا يتعلق
وجوده بالغير ، والحادث ما يتعلق به ، فمنظور فيه ، لأن هذا معنى القديم
والحادث بالذات على ما يقول به الفلاسفة . وأما عند المتكلمين ، فالحادث
ما لوجوده بداية : أي يكون مسبقاً بالعدم ، والقديم بخلافه ، وبمجرد
تعلق وجوده بالغير لا يستلزم حدوثه بهذا المعنى ، لجواز أن يكون محتاجاً
الى الغير صادراً عنه دائماً بدوامه ، كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه
من الممكنات ، كاهيولي مثلاً . نعم إذا أثبتنا صدور العالم عن الصانع
بالاختيار دون الإيجاب بدليل لا يتوقف على حدوث العالم ، كان القول
بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولاً بحدوثه . ومن هنا يقال : ان التنصيص

على كل جزء من أجزاء العالم إشارة الى الرد على من زعم قدم بعض الأجزاء كاليهودى ، وإلا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم ، لا بمعنى عدم تكونه بالغير .

والحاصل أنا لأنسلم أنه لا يتصور التكوين بدون المكون ، وأن وازنه معه وزان الضرب مع المضروب ، فإن الضرب صفة إضافية لا يتصور بدون المضافين . أعني : الضارب والمضروب . وقد بينا أن التكوين صفة حقيقة ، هي مبدأ الاضافة التي هي إخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، لا عينها ، حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحقيقها بدون المكون مكابرة وانكاراً للضرورة ، فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء ، فلا بد لتعلقه بالمفعول ، ووصول الألف الىه من وجود المفعول معه ، إذ لو تأخر لانعدم ، كذا قيل ، وهذا بالنسبة لفعل المخلوق ، وهو بخلاف فعل البارى ، فانه أزلي الدوام ، يبقى الى وقت وجود المفعول ، فالتكوين غير المكون عندنا ، لأن الفعل يغير المفعول بالضرورة ، كالضرب مع المضروب ، والأكل مع المأكول ، ولأنه لو كان نفس المكون ، لزم أن يكون المكون مكوناً مخلوقاً بنفسه ، ضرورة أنه مكون بالتكوين الذي هو عينه ، فيكون قديماً مستغنياً عن الصانع ، وهو محال وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه ، وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ، ضرورة تكونه بنفسه ، وهذا لا يوجب كونه خالقاً للعالم ، والعالم مخلوقاً ، فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه ، وهذا خلق ، وأن لا يكون الله مكوناً للأشياء ، ضرورة أنه لا معنى للمكون إلا من قام به التكوين ، والتكوين اذا كان عين المكون ، لا يكون قائماً بذات الله تعالى ، وإن يصح القول بأنه خالق سواد هذا الحجر أسود ، وهذا الحجر خالق السواد ،

إذ لا معنى للخالق والأسود إلا من قام به الخلق والسواد ، وهما واحد .
فمحلها واحد ، هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضرورياً .
ثم قال السعد التفتازاني : وهذا يعني إبطال القول بأن الفعل هو المفعول ،
لا يتم إلا باثبات أن تكون الأشياء ، وصدورها عن الباري تعالى يتوقف
على صفة حقيقية قائمة بالذات ، مغايرة للقدرة والارادة . قال : والتحقيق
أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده ، إذا نسب
للقدرة يسمى إيجابها له ، وإذا نسب الى القادر يسمى الخلق والتكوين ،
ونحو ذلك ، فحقيقة كون الذات بحيث تعلق قدرته بوجود المقدور لوقته ،
ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الأفعال ، كالترزيق ،
والتصوير ، والاحياء ، والإماتة ، وغير ذلك ، الى ما لا نهاية له . قال :
وأما كون كل من ذلك حصة حقيقة أزلية ، فمما تفرد به علماء ما وراء
النهر ، وفيه تكثير للقدماء جداً وإن لم تكن متغايرة . قال : والأقرب
ما ذهب اليه المحققون منهم ، وهو أن مرجع الكل الى التكوين ، فانه ان
تعلق بالحياة سمي إحياء ، وبالموت سمي إماتة ، وبالصورة تصويراً ، وبالرزق
ترزيقاً ، الى غير ذلك ، فالكل تكوين ، وإنما الخصوص بخصوص
التعلقات . انتهى .

قلت : مراده بقوله : بما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر ، علماء الكلام ،
والافيه مذهب السلف ، كما تقدمت الاشارة اليه ، وهو الذي دل عليه
الكتاب والسنة ، ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في
« شرح العقائد الاصفهانية » الصواب أن الخلق غير المخلوق . قال :
والذين يقولون : الخلق هو المخلوق ، قولهم فاسد ، وبين وجه فساد ، وما
ذكر من الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية الدالة على هذا الأصل شيئاً

كثيراً ، مثل (كل يوم هو في شأن) الرحمن : ٢٩ (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) محمد : ٢٨ وقوله : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفروا) تشكروا يرضه لكم (الزمر : ٧ فأخبر أن طاعته سبب لمحبه ورضاه ، ومعصيته سبب لسخطه وغضبه . وقال تعالى (فاذكروني اذ كركم) البقرة : ١٥٢ وجواب الشرط كالسبب مع السبب . وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « من ذكرني في نفسه ذكركه في نفسي ، ومن ذكرني في ملا ذكركه في ملا خير منهم ، ومن تقرب الي شبراً تقرب اليه ذراعاً ، ومن تقرب الي ذراعاً تقرب اليه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتته هرولة » وفي « الصحيحين » وغيرهما « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن بمن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته » وفي « الصحيح » « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة » وفي « الصحاح » و « والسنن » و « المساند » من هذا شيء كثير ، يتعذر أو يتعسر إحصاؤه . وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً ، ثم قال : وهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى ، القرآن والتوراة والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة ، يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة . انتهى .

قول الناظم : فلذلك وصف الفعل ليس الا نسبة عدمية الخ . يعني : لأن القائلين بأن الفعل هو المفعول عندهم أن صفة الفعل نسبة ، والنسب ، أمور عدمية ، فجميع أسماء أفعال عندهم نسب ، والنسب أمر عدمي ،

فهذا منهم تعطيل للأفعال ، كما عطلوا الصفات .

قوله : والحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم ؛ أي : بل مورد التقسيم ما قام بالذات ، وهي أوصاف وأفعال ، فالوصف بالأفعال يستدعي قيام الفعل بالموصوف بالبراهين القاطعة عقلاً ونقلاً .

قوله : ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان . أي : ومن العجائب أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في اثباتهم الاسماء دون معانيها . كقولهم : قدير بلا قدرة ، سميع بلا سميع ، بصير بلا بصير ، مريد بلا إرادة ، ونحو ذلك . ثم أتوا الى الأوصاف باسم الفعل فقالوا : لم يقم بالله تعالى ، فأبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة ، والله أعلم

فصل

هذا ومن أسمائه ما ليس يفسد بل يقال إذا أتى بقران وهي التي تدعى بمزدواجتها أفرادها خطر على الإنسان إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان كالمنايع المعطي وكالضار الذي هو نافع وكماله الأمران ونظير هذا القابض المقرون باسم الباسط اللفظان مقترنان وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجان وحديث أفراد اسم منتقم فو قوف كما قد قال ذو العرفان

ما جاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجابذو نوعان

قال الناظم في « بدائع الفوائد » بعد كلام سبق : السادس : حفة
تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على
مفرديهما ، نحو الغني ، الغفور ، القدير ، الحميد ، المجيد ، وهكذا عامة
الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فان الغناء صفة كمال ، والحمد
كذلك ، واجتماع الغناء مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من
حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزیز
الحكيم ؛ فتأمله فانه من أشرف المعارف . وقال في موضع آخر : ومنها
ما لا يطلق عليه بمفرده ، بل مقروناً بمقابله ، كالمانع ، والضار ، والمنتقم ،
فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ، فانه مقرون بالمعطي ، والنافع ، والعفو ،
فهو المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، العفو ، المنتقم ، المعز ، المذل ، لأن
الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله ، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية
وتدبير الخلق ، والتصرف فيهم ، عطاء ، ومنعاً ، ونفعاً ، وضراً ، وعفواً ،
وانتقاماً . وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار ، فلا يسوغ ،
فهذه الأسماء المزدوجة مجري الاسمان مجرى الاسم الواحد الذي يتمتع فصل
بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ،
ولذلك لم تجيء مفردة ، ولم تطلق عليه الا مقترنة ، فاعلمه ، فلو قلت : يامذل ،
ياضار ، يامانع . أو أخبرت بذلك ، لم تكن مثنياً عليه ، ولا حامداً خق .
تذكر مقابله . وأما الحديث الذي فيه لإفراد اسم المنتقم ، فهو موقوف ،
كما قال الناظم ، والله أعلم .

فصل

ودلالة الاسماء أنواع ثلاث كلها معلومة ببيان
دلت مطابقة كذاك تضمناً وكذا التزاماً واضح البرهان
أما مطابقة الدلالة فهي ان الاسم يفهم منه مفهوم
ذات الإله وذلك الوصف الذي يشتق منه الاسم بالميزان
لكن دلالة على إحداهما بتضمن فافهمه فهم بيان
وكذا دلالة على الصفة التي ما اشتق منها فالتزام ذات
وإذا أردت لذا مثلاً بياناً فمثال ذلك لفظة الرحمن
ذات الإله ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان
إحداهما بعض لذا الموضوع فهي تضمن ذات واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك المعنى لزوم العلم للرحمن
فلذا دلالة عليه بالتزام بين والحق ذو تبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أنواع الدلالات الثلاثة ، وهي المطابقة ،
والتضمن ، والالتزام ، وذلك مثل ما مثل به الناظم ، وهو لفظة الرحمن ،
فإنها دلت على الصفة المشتق منها ، وعلى ذات الرب سبحانه ، لكن دلالة على
إحداهما بالتضمن . وأما دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحياة ،
والعلم ، فهي بالالتزام ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » الاسم من أسمائه تبارك وتعالى ، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فانه يدل دلالتان آخرتان بالتضمن واللزوم ، فيدل على الصفة بفردتها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ؛ ويدل على الصفة الأخرى باللزوم ، فان اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها ، والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام . انتهى .
وهذا واضح في بيان كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

في بيان حقيقة الاتحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماءه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعات
إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالـ اشراك والتعطيل والنكران
فالملاحدون اذا ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموا بها أو ثانهم قالوا إله ثاب
هم شبهوا المخلوق بالخالق عكس مشبه الخلاق بالإنسان
وكذاك أهل الاتحاد فانهم اخوانهم من أقرب الإخوان

أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذي السلطان
والمشركون أقل شركاء منهم هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذا كانوا أهل شرك عندهم لو عموما ما كان من كفران

ذكر الناظم رحمه الله في أول الأبيات ، أن أسماءه سبحانه أوصاف مدح ،
فهي أعلام ، وأوصاف ، والوصف فيها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد ،
فإنها تنافي علميتهم ، لأن أوصافهم مشتركة ، ففاتها العلمية المختصة ، بخلاف
أوصافه تعالى .

قوله : مشتقة النخ . أي : إذا أطلق الاسم عليه تعالى ، جاز أن
يشق منه المصدر والفعل ، فيخبر عنه فعلاً أو مصدرًا ، نحو السميع ،
البصير ، القدير ، يطلق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة ، ويخبر عنه
بالأفعال من ذلك ، نحو (قد سمع الله) المجادلة : ١ وقد رأى الله (فنعم
القادرون) المرسلات : ٢٣ هذا إذا كان الفعل متعدياً فإن كان لازماً ، لم يخبر عنه
به ، نحو الحي ، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل ، فلا يقال : حي ،
كذا أفاده الناظم في « بدائع الفوائد » وينبغي أن يعلم أن الأسماء الحسنى
لها اعتباران : اعتبار من حيث الأسماء ، واعتبار من حيث الصفات ، فهي
بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة ، والله أعلم .

قوله : إياك والاحاد فيها النخ . اعلم أن الاحاد في أسمائه سبحانه ، هو
العدول بها وبجبهاتها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل ،
كما يدل عليه مادة (لحد) ومنه اللحد ، وهو الشق في جانب القبر الذي قد
مال عن الوسط ، ومنه الملحد في الدين : المائل عن الحق الى الباطل . قال
ابن السكيت : الملحد : المائل عن الحق : المدخل فيه ما ليس منه ، ومنه
الملتحد ، وهو مفتعل ، ومن ذلك قوله تعالى (ولن تجد من دونه ملتحداً) الجن : ٢٢

أي : من تعدل اليه ، وتهرب اليه ، وتلتجئ إليه ، وتبتل اليه غيره .
تقول العرب : التحد فلان الى فلان ، اذا عدل اليه .
إذا عرف هذا ، فالاحاد في أسمائه تعالى أنواع : أحدها : أن تسمى
الأصنام بها ، كتسميتهم اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم
الضم إلهاً ، وهذا إحد حقيقة ، فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .
قوله : وكذلك أهل الاتحاد الخ . أي : أن أهل الاتحاد القائلين بوحدة
الوجود ، أعطوا الوجود أسماءه تعالى ، والمشركون أقل منهم شركاً ، لأن
المشركين خصصوا العبادة بالأوثان ، وهؤلاء عموماً كل شيء بالعبادة ، قالوا :
وانما كانوا مشركين ، لأنهم خصصوا العبادة ببعض المظاهر ، ولو عموماً كل
شيء لما كانوا مشركين . تعالى الله عن قولهم ، كما قال في « الفصوص » في
قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ؛ وسواع ، ويعقوب ،
ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء ، ثم قال : فإن
للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، ويجله من جهله ، فالعالم يعلم
من عبد ، وفي أي صورة ظهر حتى عبد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والملمحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الاسماء والأوصاف بالأخبار والقرآن
فاذا هم احتجوا عليك فقل لهم هذا مجاز وهو وضع ثان

فاذا غلبت عن المجاز فقل لهم لا استفاد حقيقة الايقان
أني وتلك أدلة لفظية عزلت عن الايقان منذ زمان
فاذا تضافرت الأدلة كثرة وغلبت عن تقرير ذا بيان
فعليك حينئذ بقانون وضعناه لدفع أدلة القرآن
والكل نصر ليس يقبل أن يؤول بالمجاز ولا بمعنى ثان
قل عارض المنقول معقول وما الـ أمران عند العقل يتفقان
ما ثم إلا واحد من أربع متقابلات كلها بوزان
اعمال دين وعكسه أو تلغي الـ المعقول ما هذا بذى إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه ان تبطله يبطل فرعه التحتاني
فتعين الاعمال للمعقول والـ إلغاء للمنقول ذي البرهان
إعماله يفضي إلى إلغائه فاهجره هجر الترك والنسيان
والله لم نكذب عليهم اننا وهم لدى الرحمن مختصمان
وهناك يحزى الملحد وز من نفى الـ الحاد يحزى ثم بالغفران
فاصبر قليلاً انما هي ساعة يامشيت الأوصاف للرحمن
فلسوف تجني أجر صبرك حين يجني الغير وزر الاثم والعدوان
فالله سائلنا وسائلهم عن الـ إثبات والتعطيل بعد زمان
فأعد حينئذ جواباً كافياً عند السؤال يكون ذا تبيان

فوله ، والملحد الثاني فذو التعطيل الخ . هذا الحاد الطائفة الثانية من الملحدين ، وهو إلحاد أهل التعطيل الذين عطلوا الاسماء الحسنی من معانيها ، وجحدوا حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ، ولا معان ، فيطلقون عليه اسم السميع ، والبصير ، والحي ، والرحيم ، والمتكلم ، والمريد . ويقولون : لاجية آله ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً ، وشرعاً ، ولغة ، وفطرة ، وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فان أولئك أعطوا أسماء صفاته ، لآلهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحدوها وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذه الإلحاد ، فيهم العالي ، والمتوسط ، والمتلون ، وكل من جحد شيئاً بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله فقد ألد في ذلك ، فليستقل أو ليستكثر . قوله : فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة ، أي : أن هذا القسم من الملحدين قصدهم دفع النص عن معنى الحقيقة بالتحريف ، والتعطيل ، والنفي ، وقذف المثبتة ، ونزهم بالتجسيم ، ورميهم بالكفر ، ويقولون : إذا احتجبت المثبتة عليك بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، فادفعها بضروب من الدفع ، مثل دعوى أنها مجاز ، فاذا غلبت على المجاز ، فقل : هي أدلة لفظية . لا تقيد العلم واليقين ، فاذا تكاثرت الأدلة وتضافرت ، فعليك بالقوانين . الموضوعة لدفع أدلة القرآن ، ولكل نص لا يقبل التأويل ، وقل عارض . المنقول معقول . وإذا تعارض العقل والنقل ، فما ثم إلا واحد من أربع : إما أن نعملهما ، وإما أن نهملهما ، وإما أن نعمل النقل ونلغي العقل ، وهو غير ممكن ، لأن العقل أصل النقل ، والنقل فرع ، فان أبطلناه أبطلنا النقل ، لأننا صدقنا النقل به ، فأعماله يقضي إلى الغائه ، فتعين الأعمال للمعقول وإلغاء

المنقول بالقانون ذي البرهان! وقد بسط شيخ الاسلام رحمه الله الكلام على هذا أتم بسط في أول كتاب « درء تعارض العقل والنقل » فارجع اليه إن شئت ، وكذلك العلامة الناظم ، فانه بسط ذلك ، وأطنب في كتابه « الصواعق المرسلة » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالثهم فنأفيا ونا في ماتدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقرر بخالق أبدا ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعل الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة المأوى مع الغفران والرضوان
لا تحشنك غربة بين الورى فالناس كالأموات في الحيات
أو ما علمت بأن أهل السنة الغرباء حقاً عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الاحسان
من جاهل ومعاوند ومنافق ومحارب بالبغي والعدوان
وتظن أنك وارث لهم وما ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده في الله لا بيد ولا بلسان
ممتك والله المحال النفس فاستحدثت سوى ذا الرأى والحسبان
لو كنت وارثه لأذتك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

ذكر في هذا الفصل إلحاد الطائفة الثالثة من أهل الإلحاد ، وهو إلحاد النفاة

الجاحدين لله ، ولكتبه ، ورسله ، وهذا هو الإلحاد حقاً كما قال الناظم .
نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . شرع الناظم في تعزية أهل السنة ،
وأنتهم هم الغرباء في كل زمان . ولقد أحسن القائل :

قد عرف المنكر واستت كـر الجـهل في رتبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة
وللحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب كتاب « كشف الكربة في
وصف حال أهل الغربة » .

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد
المعطلين والمشركين .

هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالاسلام والإيمان والـإحسان في سر وفي إعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد كالركنين للبناء
وحقيقة الاخلاص توحيد المـرراد فلا يزاحمه مراد ثان
لكن مراد العبد يبقى واحداً ما فيه تفريق لدى الانسان

إن كان ربك واحداً سبحانه
إن كان ربك واحداً أنشاك لم
فكذلك أيضاً وحده فاعبده لا
والصدق توحيد الارادة وهو بذ
والسنة المثل لسالكها فتو
فلو احد كن واحداً في واحد
هذي ثلاث مسعدات للذي
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة
لله قلب شام هاتيك البرو
لولا التعلل بالرجاء تصدعت
وتراه يبسطه الرجاء فيثني
ويعود يقبضه الا يأس لكونه
فتراه بين القبض والبسط للذا
وبدا له سعد السعود فصار مسـراه عليه لاعلى الدبران
لله ذياك الفريق فانهم
شدت ركاتهم الى معبودهم
شرع الناظم رحمه الله تعالى في النوع الثاني من توحيد الانبياء والمرسلين .
وهو توحيد العبادة . والعبادة في اللغة : الذل . يقال : بعير معبد أي .
مذل . وطريق معبد : إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

وأما العبادة في اصطلاح العلماء، فقد عرفها طائفة بقولهم : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي . وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال شيخ الإسلام : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه . من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجihad للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والانابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل في العبادة . انتهى (١) وكل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد .

وإذا عرفت معنى العبادة ، فاعلم أن التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الألوية والعبادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ،

(١) قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أول كتابه « العبودية » وقد قام المكتب بطبعه طباعة متقنة وتخريج بعض أحاديثه ، وقدم له مقدمة مطولة الاستاذ الفاضل عبد الرحمن الباني مفتش التربية الإسلامية في وزارة التربية والتعليم في الشام .

ونزلت به الكتب ، فهو نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتكليمه بكتبه ، وتكليمه من شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه ، وقدره ، وحكمته . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الإفصاح ، كما في أول (الحديد) وسورة (طه) وآخر (الحشر) وأول (تنزيل السجدة) وسورة (الاخلاص) بكما لها ، وغير ذلك .

النوع الثاني : ما تضمنته سورة (قل يا أيها الكافرون) وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً .) آل عمران : ٦٤ الآية وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها ، وأول سورة (المؤمن) ووسطها وآخرها ، وأول سورة (الأعراف) وآخرها ، وجملة سورة (الأنعام) وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، شاهدة به ، داعية إليه ، فان القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرّمهم به في الآخرة ، فهو جزاء أهل توحيدهم ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . انتهى .

قال شيخ الإسلام : التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله إلا الله ، فلا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل

إلا عليه ، ولا يوالي إلا له ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات . قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وقال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) النحل : ٥١ وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) المؤمنون : ١١٧ وقال تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) الزخرف : ٤٥ وأخبر عن كل نبي من الانبياء أنهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة : ٤ وقال عن المشركين : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لناركوا آلهتنا لشارع مجنون) الصفات : ٣٥ ، ٣٦ وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل ، فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنهم إذا أشهدوا هذا وفتوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ، ونزعه عن كل ما يتنزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له . والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع ، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع ، واعتقد أن

هذا المعنى هو أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية ، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فان مشركي العرب كلوا مقرين بأن الله وحده خالق شيء ، وكانوا مع هذا مشركين . قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يوسف : ١٠٦ قال طائفة من السلف تسألهم : من خلق السموات والارض ؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره . قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الى قوله (فأنى تسجدون) المؤمنون : ٨٤-٨٩ فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه ، يوالى فيه ، ويعادي فيه ، ويطيع وسوله ، ويأمر بما أمر به ، وينهى عما نهى عنه ، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء ، وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً . قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أرلو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس : ١٨ وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتهم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وخل عنكم ما كنتم توعمون) الأنعام : ٩٤ وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها ، ويصوم ، وينسك لها ، ويتقرب اليها .

ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فإذا جعلتها سبباً وواسطة ، لم أكن مشركاً . ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن هذا شرك . انتهى كلامه .

قوله : والصدق والاخلاص ركننا ذلك التوحيد . جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق بما ذكر . وقال الناظم في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص والعزم ، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق ، فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص .

قوله : فلو احد . يريد به الاخلاص لله الواحد ، وهذا هو توحيد المراد .

قوله : كن واحداً . يريد به الصدق ، وهو توحيد الارادة .

قوله : في واحد . يريد به توحيد الطريق ، وهو اتباع الكتاب والسنة ، وذلك معني قوله : والسنة المثلئ لسالكها ، فتوحيد الطريق الخ . .

قوله : شام ، هو فعل ماض . يقال : شام يشم شيئاً ، إذا نظر من بعد .

فصل

والشرك فاحذرهُ فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أياً كان من حجر ومن انسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كـمـحبة الديان

والله ما ساووهمُ بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والرزاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهم لأجل الله ما عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي حباً له ماذا في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه إن المحبة يأخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض ما لا يرتضى بجانب
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبول السعي فافهمه من القرآن
والاتباع بدون شرع رسوله عين المحال وأبطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله وتبعته أمر النفس والشيطان
وتخذت أنداداً تحبهم كحسب الله كنت بجانب الإيمان

ولقد رأينا من فريق يدعى الإسلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسووهم به في الحب لا السلطان
والله ماساووهم بالله بل زادوهم حباً بلا كتمان
والله ما غضبوا إذا انتهكت محارمهم في السر والإعلان
حتى إذا ما قيل في الوثن الذي يدعونه ما فيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن وعدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتعزير ومن سب ومن سجان
والله لو عطلت كل صفاته ما قابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله نصاً صريحاً واضح التبيان
وتبعت قول مشيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان
حتى إذا خالفت آراء الرجا للسنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر العلماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم نسلهم حقاً لهم ليكون ذا كذب وذا عدوان
وإذا سلبت صفاته وعلوه وكلامه جهراً بلا كتمان
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمر والله العظيم يزيد فو ق الوصف لا يخفى على العميان

وإذا ذكرت الله توحيداً رأيت وجوههم مكسوفة الألوان
بل ينظرون إليك شزراً مثل ما نظر التيوس إلى عصا الجوبان
وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون بتباشر الفرحان
والله ماشوا روائح دينه يازكمة أعيت طيب زمان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى هذه في الآيات الشرك ، وذكر أن الله
لا يغفره ، كما قال تعالى (إن الله لا يغفر ان يشرك به) النساء : ٤٨-١١٦
وقوله : وهو اتخاذ الند للرحمن الخ ؛ أي : إن الشرك هو اتخاذ ند
من دون الله يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ،
ويخافه كما يخاف الله ، ويحبه كما يحب الله ، ونحو ذلك ، وهذا هو
الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه ، وتكفير
أهله ، واستباجة دمائهم وأموالهم .

قوله : والله ما ساووهم بالله في خلق الخ ؛ أي : إن المشركين ما
ساووا معبودهم بالله في الخلق ، والرزق ، والاحسان ، وإنما ساووهم بالله في
الحجة ، والخوف ، والرجاء ، والدعاء ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى عن
المشركين : أنهم يقولون لأئمتهم (تالله إن كنا لفي خلال مبين . اذ نسويكم
رب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ ومعلوم أنهم ما ساووهم بالله في الخلق
والرزق ، وإنما ساووهم به في الحجة والتعظيم ، وإلا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون
مربوبون ، كما قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون)
... الآيات المؤمنون : ٨٤ ، ٨٩ وقال تعالى عنهم (ما نعبدكم الا ليقربونا
الى الله زلفى) الزمر : ٢٥ وكان المشركون يقولون في تأييدهم : لبيك لا

شربك لك هو لك تملكه وما ملك . وقال تعالى (قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض) الاية سبأ : ٢٢

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » في الكلام على هذه
الآيات : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً
يعلم من تأمله وعرفه ، أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شافعياً ، فهو
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت . فقال
تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ومالهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ ٢٢ ، ٢٣ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما
يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون الا بمن فيه خصلة من هذه الأربع ،
اما مالكاً لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ،
فان لم يكن شريكاً له كان معيناً وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً
كان شافعياً عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من
الأعلى الى الأدنى ، فنفى الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يطلبها المشرك ،
أثبت شفاعة لانصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً
وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء
من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته
وتضمنه له ، ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا
هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمري الله إن كان أولئك
قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن
لهم كتناوله لأولئك . ثم قال : ومن أنواعه ؛ أي الشرك ، طلب الحوائج

من الموتى ، والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، كأنه لا يقدر أن يشفع عند الله الاباذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه ، وانما السبب كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعادات أهل التوحيد ، ونسبة أهله الى التنقيص بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم وعيهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبيين لهم ، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب سمعتهم الى الله ، واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وتركه على الله ، واستغاثته بالله ، والتجاء الى الله ، واستغاثته بالله ، وقصده الله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله ، فهو لله ، وبالله ، ومع الله . انتهى كلامه ،

قوله : ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام الخ . قد ذكر الناظم في « شرح المنازل » كلاماً كالشرح لكلامه هذا . قال رحمه الله تعالى : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فلا كبير لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار

(قاله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء ٩٧ ، ٩٨
مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربهم ، ومليكه ، وأن آلهتهم
لا تخلق ، ولا ترزق ، ولا تميت ولا تحيي ، وإنما كانت هذه التسوية في
الحبة والتعظيم والعبادة ، كما هو حال مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبودهم
ويعظمونها ، وبراؤها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون
آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم
إذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لتقص معبودهم وآلهتهم من المشايخ
أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وإذا انتهكت حرمة من
حرمات آلهتهم ومعبودهم ، غضبوا غضب اليتيم ، وإذا انتهكت
حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل إذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئاً أَرْضَوْا عنه
ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى
أحدهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ، ان قام ،
وان قعد ، وان عثر ، وان استوحى ، فذكر آلهه ومعبوده من دون الله
هو الغالب على قلبه ولسانه ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته
الى الله ، ومشفيعه عنده ، ووسيلته اليه ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء
وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ،
فأولئك كانت من الحجرة ، وغيرهم اتخذوها من البشر . قال تعالى حاكياً
عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعهم
الا ليقرّبونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) الزمر : ٣
ثم شهد عليهم بالكذب والكفر ، وأخبر أنه لا يهديهم ، فقال (ان الله
لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر : ٣ فهذه حال من اتخذ من دون الله
ولياً يزعم أنه يقرب الى الله ، وما أعز من تخلص من هذا ، بل

ما أعز من لا يعادي من أنكره ، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك . وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه ، وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله .

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله ، الشفاعة الصادرة عن أذنه لمن وحده ، والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ، ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء ، وعبادتهم ، وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع . ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة ، تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد في الشفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في الفصل الأول : (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة : ٢٥٥ وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الأنبياء : ٢٨ وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد ، واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولون والآخرون ، كما قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه

ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها ، لاشفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول الا توحيدہ واتباع رسوله ، فان الله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره في العبادة ، والموالاته والمحبة ، كما في الآية الأخرى (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله ، فانه يقول : لانحبههم كحب الله ، ولا نسويهم بالله ، ثم يغضب لهم ولحرمتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضبه الله ، ويستبشر بذكرهم ، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم ، من إغاثة اللهفات ، وتفريج الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم باب بين الله وعباده ، فتوى المشرك يفرح ويسر ، ويحن قلبه ، ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم ، والموالاته . وإذا ذكرت الله وحده وجردت توحيدہ لحقه وحشة ، وضيق ، وحر ج ، ورماءك بتنقص الآلهة التي له ، وربما عاداك . رأينا هذا والله منهم عياناً ، ورمونا بعداوتهم ، وبغوا لنا الغوائل ، والله مخزيمهم في الدنيا والآخرة ، ولم يكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا ، فقال : هؤلاء تنقصم مشايخنا ، وأبواب حوائجنا الى الله ؛ وهكذا قال النصراني للنبي ﷺ لما قال لهم : ان المسيح عبد . تنقصت المسيح ، وعبته ، . وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد ، ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها ، فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم ، حتى كأنهم قد تواصلوا به ، ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً . انتهى كلامه .

قوله : حرب ، يحتمل أنه يكون بسكون الراء ، وهو معروف ، جمعه حروب ،
ويحتمل أنه بفتح الراء مصدر حرب . قال في « القاموس » : حرب كفرح
ككلب ، واشتد غضبه فهو حرب .

قوله : مكسوفة الألوان ، هو بالسين المهملة . قال في « القاموس » :
ورجل كاسف البال ، سيء الحال ، وكاسف الوجه : عابسه .

قوله : شزر الخ . قال في « القاموس » : شزره ، واليه يشزره ، نظر
منه في أحد شقيه ، وهو نظر فيه إعراض ، أو نظر الغضبان يؤخر العين ،
أو النظر يمينا وشمالاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في صف العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رضى الحرب العوان
وتصاول الأقران .

العوان : بفتح العين أي : حرب بعد حرب

يا من يشب الحرب جهلاً ما لكم بقتال حزب الله قط يدان
أنى يقاوم جندكم لجنودهم وهم الهداة وعسكر القرآن
وجنودكم ما بين كذاب ودجا ل ومحتال وذو بهتان
من كل أرعن يدعي المعقول وهو ————— بجانب للعقل والإيمان

قال في « القاموس » الأرعن : الأهوج في منطقته ، الأحمق المسترخي ،
وقد رعن مثله رعونة ورعناً محرّكة ، وما أرعنه انتهى .

أو كل مبتدع وجهمي غدا في قلبه حرج من القرآن
أو كل من قددان دين شيوخ أهـ لـ الاعتزال البين البطلان
أو قاتل بالاتحاد وأنه عين الاله وما هما شيآن
أو من غدا في دينه متحيراً أتباع كل ملد حيران
وجنودهم جبريل مع ميكال مع باقي الملائك ناصري القرآن
وجميع رسل الله من نوح إلى خير الوري المبعود من عدنان
فالقلب خمستهم أولو العزم الألى في سورة الشورى أتوا بيان
في أول الأحزاب أيضاً ذكرهم هم خير خلق الله من إنسان

قوله : في سورة الشورى الخ . في قوله تعالى (شرع لكم من الدين
ما رضى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى . . .) الآية . وفي الأحزاب : ١٣ (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . . .) الأحزاب : ٧ الآية .

ولو أوهم بيد الرسول محمد والكل تحت لواء ذي الفرقان
وجميع أصحاب الرسول عصاة الاسلام أهل العلم والإيمان
والتابعون لهم بإحسان على طبقاتهم في سائر الأزمان
أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ فتوى وأصل حقائق العرفان

العارفون بربهم ونبيهم ومراتب الأعمال في الرجحان
صوفية سنية نبوية ليسوا أولي شطح ولا هذيان
هذا كلامهم لدينا حاضر من غير ما كذب ولا كتمان
فاقبل حوالة من أحال عليهم هم أملياً وهم أولو إمكان
أي : إن كلام المذكورين لدينا حاضر ، وقد أحلناكم عليه ، فاقبل أيها
الحال الحوالة ، كما قال ﷺ « من أحيل على مليء فليتب »

فاذا بعثنا غارة من أخريا ت العسكر المنصور بالقرآن
طحنتكم طحن الرحي للحب حتى صرتم كالبعر في القيعان
أنى يقاوم ذا العساكر طمطم أو تنكلوشا أو أخو اليونان
طمطم وتنكلوشا من فلاسفة الهند

أعني أرسطو عابد الأوثان أو ذاك الكفور معلم الألمان
ذاك المعلم أولاً للحرف والثاني لصوت بثت العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي وضعوا أساس الكفر والهذيان
يعني أن أرسطو هو معلم الحرف ، والمراد به المنطق ، لأنه أول من
وضع التعاليم المنطقية ، والمعلم الثاني هو الفارابي ، وهو محمد بن محمد أبو نصر
الفارابي التركي الفيلسوف ، وكان من أعلم الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوصل
بصناعته الى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء حرك ما يبكي ، أو
ما يضحك ، أو ما ينوم . وكان حاذقاً في الفلسفة ، ومن كتبه تفقه ابن سينا .
وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني ، وتخصيص المعاد للأرواح العالمة

لا الجاهلة . وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ،
فعليه أن مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله
ابن الأثير في « كامله » في سنة ٣٣٩ .

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ لحاد ذاك خليفة الشيطان
أعني ابن سينا ذلك المحلول من أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه أعداء رسل الله والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الاسلام أعظم محنة لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جعد أوجههم وأتباع لهم هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النظام ذا ك مقدم الفساق والمجان
والجعفران كذاك شيطان ويد عى الطاق لاحت من شيطان
وكذلك الشحام والعلاف والـنـجار أهل الجهل بالقرآن
والله ما في القوم شخص رافع بالوحي رأساً بل برأي فلان
وخيار عسكري فذاك الأشعري القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش واسـتولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طراً وقرر قول ذي الـإثبات تقريراً عظيم الشأن

لكنكم أكفرتوه وقتلتم من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم برآء إذ قربوا من الإيمان

تقدمت ترجمة ابن سينا ، والنصير الطوسي ، والجعفران : هما جعفر بن
مبشر ، وجعفر بن حرب ، وحفص : هو حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي ،
وهو من تلاميذ حسين النجار ، وبشر هو ابن غياث المريسي ، والنظام هو
ابراهيم بن سيار النظام ، وشيطان الطاق هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان
الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بشيطان الطاق من أجل أنه كان
صيرفياً بطاق الخامل من بغداد ، فاختلف هو وصيرفي في نقد دوهم فغلبه ،
فقال متبيحاً أنا شيطان الطاق ، فغلب عليه هذا الاسم ، والرافضة تنتحله
وتسنيه يسمون الطاق ، وله قضية مع أبي حنيفة رحمه الله ، وله شعر جيد .
قال بشار بن برد : شيطان الطاق أشعر مني ، ومذهبه أن الامامة لم تنزل الى
موسى بن جعفر الصادق ، فلما مات موسى قطع الامامة ، ووافق هشام
ابن الحكم في قوله : ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد وقوعها ، ولا يعلم أنها
ستقع ، وزعم أن الله تعالى على صورة الانسان ، لقوله عليه السلام : «إن
الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن»^(١) ليس يجسم . وله كتب عديدة ، منها

(١) أخرجه هذا اللفظ ابن ابي عاصم في السنه ، والطبراني من حديث ابن عمر ،
وأعله بعضهم . وقال بعضهم : المراد بالصورة الصفة ، والمعنى إن الله خلق آدم على صفته من
العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك

والذي في الصحيحين عن ابي هريرة : « إن الله خلق آدم على صورته » اي على
صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته الى موته ، لم تتفاوت فامته ، ولم تتغير هيئته ،
بخلاف بنيه ، فان كلاً منهم يكون نطفة ثم علقة ثم عظاماً
والحديث مخرج مخرج الزجر والتهويل ، لوروده عقب قوله : « لا تقولوا فيجب الله وجهك ،
فان الله خلق آدم على صورته » اي على صورة هذا الوجه المقبح .

كتاب « افعَل لما فعلت » وكتاب « افعَل لا تفعل » وعنده أن كبار الفرق أربعة : القدزية ، والخوارج ، والعامّة ، والشيعة ، فالناجى في الآخرة من الفرق الشيعة . ومن رأيه ورأى هشام الامساك عن الكلام في الله تعالى ، بقوله تعالى . (وأن الى ربك المنتهى) النجم : ٢٤ أي اذا بلغ الكلام الى الله تعالى فأمسكوا . قالوا : ولذلك أمسكنا عن القول في الله ، والتفكير فيه . وقيل له : ويحك أما استحييت ؟ أما اتقيت الله تعالى أن تقول في كتاب الامامة : إن الله لم يقل قط في القرآن (ثاني اثنين اذ هما في الغار) التوبة : ٤ فضحك طويلاً . وكانت وقاة في حدود الثمانين ومائة . ومن شعره

ولا تكن في حب الأخلاء مفراطاً وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل
فإنك لا تدري متى أنت مبغض صديقك أو تعذر عدوك فاعقل
وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف . والنجار هو الحسين بن محمد النجار .

قوله : القرم : السيد . أصله فحل الابل ، قال الخطابي : معناه المقدم في المعرفة بالأمور والرأي
وقوله : لكنكم كفرتموه الخ . هذا تكفير بالزوم . أي لأنهم كفروا
من قال بهذا القول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي العساكر قد تلاقت جهرة ودنا القتال وصيح بالأقران
صفوا الجيوش وعبئوها وبرزوا للحرب واقربوا من الفرسان

فهم الى لقيامكم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القربان
ولهم اليكم شوق ذي قرم فما يشفيه غير موائد اللحمان
قال في « القاموس » : القرم محركة شدة شهوة اللحم ، كثر حتى قيل
في الشوق الى الحبيب .

تبأ لكم لو تعقلون لكنتم خلف الحدود ركأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله والوحي والمعقول بالبرهان
ما عندكم الا الدعاوي والشكا وي أو شهادات على البهتان
هذا الذي والله نلنا منكم في الحرب إذ يتقابل الصفان
والله ما جئتم بقال الله أو قال الرسول ونحن في الميدان
إلا بجمعجة وفرقة وغمجمة وقعقة بكل شأن
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله أنتم بحاصلكم أولو عرفان
وبحقكم تحموا مناصبكم وان تحموا ما كلكم بكل سنان
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن سنن الرسول ومقتضى القرآن
قبح الإله مناصباً وما كلاً قامت على العدوان والطغيان
والله لو جئتم بقال الله أو قال الرسول كفعل ذي الإيمان
كنا لكم شاوئش تعظيم وإجلال كشاوئش لذي سلطان
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة وأردتم التعظيم بالبهتان

فصل

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحد الصفات لربنا في قالب التنزيه والسبحان
كلا ولا نفى العلو لفاطر الكوان فوق جميع ذي الكوان
كلا ولا غزل النصوص وانها ليست تفيد حقائق الإيمان
إذ لا تفيدكم يقيناً لا ولا علماً فقد عزلت عن الإيقان
والعلم عندكم ينال بغيرها بزبالة الأفكار والأذهان
قال في « القاموس » : الزبل بالكسر ، وكأثير : السارقين ، والزبلة
بضم الباء : ملقاه وموضعه . وزبل زرعه يزبله : سمده ، وكتاب :
ما تحمله النخلة

سميتوه قواطعاً عقلية وهي الظواهر حاملات معاني
أي إنكم سميت ما وضعتموه من الفعليات قواطع عقلية بزمكم ، وأما
الكتاب والسنة فهي أدلة لفظية محتملة لمعان ، وهي الاحتمالات التسعة أو
العشرة ، وقد تقدمت ، فذلك لا تفيد اليقين
كلا ولا إحصاء آراء الرجا لوضبطها بالحصر والحسبان

كلا ولا التأويل والتبديل والتحريف للوحين بالبهتان
كلا ولا الاشكال والتشكيك والوقوف الذي مافيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها عاديتمونا يا أولي العرفان
هذه الأبيات التي صدر بها الناظم هذا الفصل تشابه ما أنشده الحافظ مؤرخ
الاسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي رحمه الله تعالى .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاقة بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً حذراً من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه
قال الناظم :

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الاتحاد حزب جنكسغان .
قال في « القاموس » : الهدنة بالضم : المصالحة ، كالمهادنة

ياقوم صالحتم نفات الذات والـ أوصاف صلحاً موجباً لأمان
وأغرتهم وهنا عليهم غارة قعقعتهم فيها لهم بشناب
ماكان فيها من قتيل منهم كلا ولا فيها أسير عان
ولطفتم في القول أوصانعتهم وأتيتم في بحكم بدهان
وجلستم معهم محالكم مع الـ أستاذ بالآداب والميزان

وضرعتهم للقول كل ضراعة حتى أعاروكم سلاح الجاني
فغزوهم بسلاحهم لهما كرايات وإثبات والآثار والقرآن
ولأجل ذا صانعتموهم عند حربكم لهم باللفظ والإذعان
ولأجل ذا كنتم مخانيناً لهم لم تفتتح منكم لهم عينان
حذراً من استرجاعهم لسلاحهم فترون بعد السلب كالنسوان
يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم
لما ابتدعوا دليل الاكوان المعروف ، وقصدوا بذلك الرد على الفلاسفة .
قال شيخ الاسلام ، وقالوا : إن دين الاسلام إنما يقوم على هذا الأصل وأنه
لا يعرف أن محمداً رسول الله إلا بهذا الأصل ، فإن معرفة الرسول متوقفة
على معرفة المرسل ، فلا بد من إثبات العلم بالصانع أولاً ، ومعرفة ما يجوز
عليه وما لا يجوز عليه ، قالوا : وهذا لا يمكن معرفته إلا بهذا الطريق .
ويقول كثير منهم : إن هذه طريقة ابراهيم الخليل المذكورة في قوله (لأحب
الآفلين) الأنعام : ٧٦ قالوا : فإن ابراهيم استدل بالأفول ، وهو الحركة
والانتقال ، على أن المتحرك لا يكون لها . قالوا : ولهذا يجب تأويل ماورد
عن الرسول مخالفاً لذلك عن وصف الرب بالآتيان ، والحي ، والنزول ،
وغير ذلك ، فإن كونه نبياً لم يعرف إلا بهذا الدليل العقلي ، فلو قدح في
ذلك ، لزم القدح في دليل نبوته ، فلم يعرف أنه رسول الله ، وهذا ونحوه
هو الدليل العقلي الذي نقول : إنه عارض السمع ، ونقول : إذا تعارض
السمع والعقل امتنع تصديقها وتكذيبها ، وتصديق السمع دون العقل ،
لأن العقل هو أصل السمع ، فلو جرح أصل الشرع كان جرحاً له ، ولأجل

هذا الطريق نفت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية ، وقالوا : القرآن مخلوق ،
ولأجلها قالت الجهمية ببناء الجنة والنار ، ولأجلها قال العلاف بقاء حر كائنها ،
والتزم قوم لأجلها أن كل جسم له طعم ولون وريح . فقال لهم الناس :
أما قولكم : إن هذه الطريقة هو الأصل في معرفة الاسلام ، ونبوة الرسل ،
فهذا ما يعلم فسادها بالاضطرار من دين الاسلام ، فإنه من المعلوم لكل من
عرف حال الرسول وأصحابه ، وما جاء به من الإيمان والقرآن أنه لم يدع
الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم
باحسان ، فكيف تكون هي أصل الإيمان ؟ ! والذي جاء بالإيمان وأفضل
الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة ، ولا سلكها منهم أحد ، والذين علموا أن
هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض
السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكيها من الشك
والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته إلى النضر ، والخطابي ،
والخليسي ، والقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي بكر البيهقي ، وغير
هؤلاء . والثاني : قول من يقول : بل هذه طريقة باطلة في نفسها . ولهذا
ذمها السلف وعدلوا عنها ، وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك
ابن أنس ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وغير هؤلاء من السلف . وحفص
الفرد لما ناظر الشافعي في مسألة القرآن ، وقال : القرآن مخلوق ، وكفره
الشافعي ، كان قد ناظره بهذه الطريقة ، وكذلك أبو عيسى محمد بن عيسى
برغوث كان من المناظرين الإمام أحمد في مسألة القرآن بهذه الطريقة ، وقال
لهم الناس : إن هذا الأصل الذي ادعيت إثبات الصانع به ، وأنه لا يعرف
إثبات خالق للمخلوقات إلا به ، هو بعكس ما قلتم ، بل هذا الأصل يناقض كون
الرب خالقاً للعالم ، ولا يمكن مع القول به القول بحدوث العالم ، ولا الرد على

الفلاسفة ، فالتكلمون الذين ابتدعوه ، وزعموا أنهم به نصرُوا الاسلام ، وردوا به على أعدائه ، كالفلاسفة ، لا للاسلام نصرُوا ، ولا لعدوه كسروا ، بل كان ما ابتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الاسلام على من اتبعهم ، فأفسدوا عقله ودينه ، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين ، وفتحوا لعدو الاسلام باباً الى مقصوده ، فان حقيقة قولهم : ان الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل بمكنا له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة أو تقدير مدة لانهاية لها ، ثم انه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وجعلوا فعله وارادته بعلة قديمة أزلية ، والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وكل هذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الاسلام ، والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا : يريد جميع المرادات بارادة واحدة ، وكل كلام تكلم به ، أو يتكلم به ، انما هو شيء واحد ، لا يتعدد ولا يتبعض ، واذا رؤي رؤي لا بمواجهة ولا معاينة . وانه لم يسمع ، ولم يرى الأشياء حتى وجدت ، لم يقم به أنه موجود ، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحالهِ بعد ذلك . . الى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح ، والمنقول الصحيح . ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء ، وان هذا هو الاسلام الذي عليه هؤلاء ، علموا فساد هذا ، أظهروا قولهم بقدم العالم ، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن بمتنع ، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث ، فيكون الفعل دائماً ، ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها ، وهو أنه اذا كان الفعل دائماً لزم قدم الأفلاك والعناصر ، ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم

له رسولا ، معيناً ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك بما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يجيل اليهم بما ينتفعون اليه من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه . ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم : أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء ؟ على قولين لهم . إلى غير ذلك من انواع الالحاد والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى . وقول شيخ الاسلام : انهم ، يعني المتكلمين : لا للإسلام نصر ، ولا لعدوه كسروا ، هو معنى قول الناظم : وأغرتم وهناً عليهم غارة النخ .

قوله : ولطفتم في القول أو صانعتم . يعني أنكم لضعف دليلكم صانعتم الفلاسفة وتلطفتم بالرد عليهم ، لأن بعض المتكلمين يصرحون بتكافي الأدلة ، كما قال الامام شيخ الاسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري في كتاب « ذم الكلام » قال : وقد سمعت محمد بن زيد العمري النسابة ، أخبرنا المعافى ، سمعت أبا الفضل الحارثي القاضي بسرخس يقول : سمعت زاهر بن أحمد يقول : أشهد لمات فلان متحيراً لسبب مسألة تكافي الأدلة ، وذكر إماماً من أئمة المتكلمين ، ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « العقل والنقل » قال : وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم ، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن أنه قال عند الموت : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن يقتدر الى الواجب

ثم قال : الافتقار وصف عدي أموت وما علمت شيئاً ، وكذلك الاصبها في اجتماع بالشيخ ابراهيم الجعبري يوماً فقال له : بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض ، فما وجدته ، وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال ، أبيت بالليل وأستلقي على ظهري ، وأضع المصحف على وجهي ، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وماترجع عندي شيء ، كأنه يعني أدلة المتكلمين من الفلاسفة . انتهى كلام الشيخ .

قوله : قعقة فيها لهم بشنان ، القعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية ، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع .

قال النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش يققع خلف رجله بشن

مثل يضرب لمن لا يتضعع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعه ما لا حقيقة له .

ومعنى كلام الناظم رحمه في هذا الفصل : إنكم أيها النفاة صانعون الفلاسفة ، وناظرتموهم مناظرة ضعيفة ، لم تزدكم الاشراً وإغواء .

قوله : ولأجل ذا صرتم مخائناً لهم الخ . هذا كما يقال المعتزلة مخائنت الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبجستم مع صاحب الإثبات بالكفر والتضليل والعدوان
وقلبتم ظهر المحن له وأجلبتم عليه بعسكر الشيطان
والله هذي رتبة لا يختفي مضمونها إلا على الثيران

هذا وبينهما أشد تفاوت فتنان في الرحمن مختصان
هذا نفى ذات الاله ووصفه نفياً صريحاً ليس بالكتمان
لكن ذا وصف الاله بكل أو صاف الكمال المطلق الرباني
ونفى النقائص والعيوب كنفية التشبيه للرحمن بالانسان
فلأني شيء كان حربكم له بالجد دون معطل الرحمن
قوله : وبحثتم مع صاحب الاثبات الخ ؛ أي أنكم خرجتم عن الحد
في بحثكم مع صاحب الاثبات ، وكفرتموه وضللتموه واعتديتم عليه .
قوله : وقلبتهم ظهر المجن . قال في « القاموس » المجن ، والمجنه ، بكسرهما
والجنان بالضم : الترس ، وقلب مجنه أسقط الحياء ، وفعل ما شاء ، أو ملكه
أمره ، أو اشتد به .

قوله : هذا نفى ذات الاله ووصفه الخ . أي : إن المعطل نفى ذات
الرب سبحانه وصفاته ، وهذا من الناظم في نفى ذات الرب سبحانه على
سبيل الالتزام ، والمثبت أثبت صفات الكمال لربه سبحانه ونفى عنه النقائص
والعيوب ، فلاي شيء كان حربكم للمثبت بالحد ؛ أي : (حاربتموه أشد
الحرب)^(١) وأما المعطلة فصانعتهم وداهنتهم في البحث ، وتأديبتهم معهم
وإنما ذلك لحوف استرجاعهم سلاحهم الذي تسلحتهم على نفى صفات الرب سبحانه
قال الناظم :

قلنا نعم هذا المجسم كافر أفكان ذلك كامل الايمان ؟
لا تنظفي نيران غيظكم على هذا المجسم يا أولي النيران

فالله يوقدها ويصلي حرها يوم الحساب محرف القرآن
يا قومنا لقد ارتكبتم خطة لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتم أعداءكم بوقافكم لهم على شيء من البطلان
أي : لما قلنا للمتكلمين : لأي شيء كان حربكم المشبهة أشد الحرب ،
دون المعطلة . قالوا لنا في الجواب : إن الميثت كافر . فيقال لهم ، فهل المعطل
كامل الايمان ؟

قوله : وأعنتم أعداءكم بوقافكم النع ، أي إنكم معاشر المتكلمين
أعنتم أعداءكم المعطلة على شيء من الباطل ، كنفي صفات الرب سبحانه أو
بعضها ، وقولكم بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة ، وغير ذلك
قال الناظم :

أخذوا نواصيكم بها ولحاكم فغدت تجر بذلة وهوان
قلتم بقولهم وورتم كسرهم أنى وقد غلقوا لكم برهان
وكسرتم الباب الذي من خلفه أعداء رسل الله والايان
فأتى عدو مالكم بقتالهم وبجرهم أبد الزمان يدان

أي : إن المتكلمين لما قالوا ببعض أقوال المعطلة صعب الرد عليهم منهم
لأنهم قد غلقوا لهم برهان ، فلهذا عجزوا عن الرد عليهم .

قال الناظم :

فغدوتم أسري لهم بجبالهم أيديكم شدت الى الأذقان

حملوا عليك كالسباع استقبلت حمراً معقرة ذوي أرسان
 صالوا عليكم بالذي صلتم به أنتم علينا صولة الفرسان
 لولا تحيزكم إلينا كُنتم وسط العرين ممزقي اللحمان
 لكن بنا استنصرتم، وبقولنا صلتم عليهم صولة الشجعان
 وليتم الاثبات اذ صلتم به وعزلتم التعطيل عزل مهان
 وأتيتم تغزوننا بسرية من عسكر التعطيل والكفران
 من ذا بحق الله أجهل منكم وأحقنا بالجهل والعدوان
 تالله ما يدري الفتى بمصابه والقلب تحت الحتم والخذلان

قوله: لولا تحيزكم إلينا الخ . يعني إن المتكلمين في بعض الأحوال،
 يتعيزون إلى المبتة وأهل الحديث، كما صنف الامام أبو الحسن الأشعري
 المصنفات الكثيرة بعد رجوعه عن مذاهب المعتزلة في نصره أهل السنة
 وأصحاب الحديث. كـ«الابانة في أصول الديانة» و«مقالات الاسلاميين» و
 «رسائل الثغر» وغير ذلك، وكما قال الفخر الرازي في آخر مصنفاته،
 وهو كتاب «أقسام اللذات» لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية
 فما رأيتها تشفي عيلاً ولا تروي غليلاً؛ ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن
 أقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ و (اليه يصعد الكلم
 الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) وهو السميع
 البصير (الشورى : ١٠) (ولا يحيطون به علماً) طه : ١١٠ ومن جرب مثل تجربتي
 عرف مثل معرفتي .

قال الناظم :

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين .

الأسنة : جمع سنان بكسر السين ، وهو : الرمح .

وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل والكفران
وتراهم أسرى حقيراً شأنهم أيديهم غلت الى الأدقان
وتراهم تحت الرماح دريئة ما فيهم من فارس طعان
تقدم معنى الدريئة .

وتراهم تحت السيوف تنوشهم من عن شمائلهم وعن أيمان
وتراهم انسلخوا من الوحيين والعقل الصريح ومقتضى القرآن
وتراهم والله ضحكة ساخر ولطالما سخرُوا من الايمان
قد أوحشت منهم ربوع زادها السجبار إجحاشاً مدى الأزمان
قال في « القاموس » الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمع رباع ،
وربوع ، وأربع ، وأرباع ، والمحلة ، والمنزل ، والنفس ، وجماعة الناس ،
والموضع يرتبعون فيه في الربع ، كالربع ، كمقعد . انتهى .

وخلت ديارهم وشتت شملهم ما فيهم رجالان مجتمعان

قد عطل الرحمن أفئدة لهم من كل معرفة ومن إيمان
إذ عطلوا الرحمن من أوصافه والعرش أخلوه من الرحمن
بل عطلوه عن الكلام وعن صفاته كماله بالجهل والبهتان
فاقرأ تصانيف الامام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك السبحر المحيط بسائر الخلجان
الخليج من البحر : شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، وقيل جانباه : خليجاء
والجمع خليج بضمين . قاله في « مختار الصحاح »

واقراً كتاب العقل والنقل الذي مافي الوجود له نظير ثان
وكذلك منهاج له في رده قول الروافض شيعة الشيطان
وكذلك أهل الاعتزال فانه أرادهم في حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه أعجوبة للعالم الرباني

التأسيس المذكور : هو « تأسيس التقديس » للفخر الرازي في تأويل
الصفات الخبرية ، صنفه للملك العادل ؛ أي : بكر بن أيوب ، وقد نقض شيخ
الاسلام بكتاب « تخلص التليس من تأسيس التقديس » ويسمى أيضاً
« بيان تليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » ، وهو كتاب عظيم نفيس .
قال تلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في ترجمته المبسوطه : لو سافر رجل
الى الصين في تحصيله لما كان كثيراً ، وهو كما قال :

وكذلك أجوبة له مصرية في ست أسفار كتب سما

وكذا جواب للنصارى فيه ما يشفي الصدور وأنه سفران وهو المسمى بـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» .

وكذلك شرح عقيدة للاصبها في شارح المحصول شرح بيان
فيها النبوات التي إثباتها في غاية التقرير والتبيان
والله ما لأولي الكلام نظيره أبداً وكتبهم بكل مكان
وكذا حدوث العالم العلوي والسفلي فيه في أتم بيان
وكذا قواعد الاستقامة أنها سفران فيما بيننا ضخمان
وقرائت أكثرها عليه فزادني والله في علم وفي إيمان
هذا ولو حدثت نفسي أنه قبلي يموت لكان غير الشان
وكذلك توحيد الفلاسفة الألى توحيدهم هو غاية الكفران
سفر لطيف فيه نقض أصولهم بحقيقة المعقول والبرهان
وكذلك تسعينية فيها له رد على من قال بالنفساني
تسعون وجهاً بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوجدان

أي : إنه رحمه الله صنف الكتاب المسمى بـ «التسعينية» وهو رد على
القائلين بالكلام النفسي ، وان كلام الله تعالى معنى واحد قائم بالنفس
على ما هو معروف . وقوله : ذا الوجدان بالحاء المهملة ؛ أي : إنه
معنى واحد .

و كذا قواعده الكبار وانها أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها فأشرت بعض إشارة لبيان
و كذا رسائله الى البلدان والـ أطراف والأصحاب والـ اخوان
هي في الوري مبثوثة معلومة تتباع بالغالي من الأثام
و كذا فتاواه فأخبرني الذي أضحي عليها دائم الطوفان
بلغ الذي ألقاه منها عدة الأيام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كل يوم والذي قد فاتني منها بلا حسان
أي : إن فتاوله بلغت ثلاثين سفرًا

هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان
و كذا المقاريد التي في كل — ألة فسفر واضح التبيان
ما بين عشر أو تزيد بضعفها هي كالنجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الوري قد قامها لله غير جبان
نصر الاله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل مكان
وأصارهم والله تحت نعال أهل الحق بعد ملابس التيجان
وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الاعلام للبلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما منّا لهم إلا أسيرعات
فغدّت نواصيهم بأيدينا فلا يلقوننا الا بجبل أمان
وغدت ملوكهم ممالكنا لأنصار الرسول بمئة الرحمن
وأنت جنودهم التي صالوا بها منقادة لعساكر الايمان
يدري بهذا من له خبر بما قد قاله في ربه الفتات
والقدم يوحشنا وليس هناك فحضوره اوه غيبه سيات
حاصل كلامه في هذا الفصل ذكر بعض مؤلفات شيخه شيخ الاسلام
وذكر بعض مناقبه ، وهي بحر لا ساحل له . وقد أفردت المصنفات الكثيرة
في مناقبه كـ « العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » لتلميذه الحافظ
محمد بن عبد الهادي في مجلد ، وعدد أسماء تصانيفه في نحو كراس ، ومناقبه
لتلميذه ، أي حفص البزاز في كراسين ، وترجمته المفردة للحافظ ابي عبد الله
الذهبي ، وهي غير تراجمه التي ذكرها في « تواريخه » وقد ذكره الشيخ
أبو حفص عمر بن الوردي في « تاريخه » وأطنب في ترجمته ، وكذا ذكره
الامام أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري في تاريخه « مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار » وأسهب وأطنب ، والحافظ عماد الدين بن كثير في كتاب
« البداية والنهاية » والحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات
الحنابلة » والشيخ محمد بن شاكر في « ذيله على تاريخ ابن خلكان » والحافظ
ابن حجر العسقلاني ، والامام ابن العماد في « شذرات الذهب » وغيرهم ، ومن
أراد معرفة تصانيفه وعلومه العظيمة ، فليرجع الى هذه المصنفات ير فيها
ما يلج صدره ، والله تعالى يغفر له ويرحمه ويجزيه عن الاسلام خيراً .

تنبيه : قد نبغ في آخر القرن الثامن رجل يقال له : علاء الدين محمد بن محمد البخاري ، تكلم في شيخ الاسلام بما هو من كلام الطغام^(١) وأشباه الأنعام ، وزعم أن من سماه شيخ الاسلام فهو كافر ، وقد تصدى للرد عليه في هذه الضلالة ، وقبيح هذه المقالة : الشيخ الامام العلامة ، والمحدث الفهامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الشافعي رحمه الله تعالى بكتاب سماه « الرد الوافر على من زعم أن من سمي ابن تيمية شيخ الاسلام كافر » وقد أجاد فيه وأفاد ، وبلغ في إفحام الخصم الغاية والمراد ، وهو في مجلد لطيف ، وقد مدح هذا التأليف مشايخ الاسلام ، وقرظوه بما يشفي الأوام ، كشيخ الاسلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وقاضي القضاة ، شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، والعلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي ، والعلامة الحافظ قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ، والامام الهمام العلامة الفهامة أحمد ابن نصر الله البغدادي الحنبلي ، والشيخ الامام العالم الهمام ابراهيم بن محمد الحلبي ، والشيخ الامام العلامة مفيد القاهرة رضوان بن محمد أبو النعيم .

قوله : والفهم . قال في « القاموس » الفهم : العيني عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ الاجمق الجافي ، جمع فدام ، وهي بهاء ، فدام ككرم ، فدامة ، وفدومة . انتهى .

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء
التي ما أنزل الله بها من سلطان

يا قوم أصل بلائكم أسماء لم ينزل بها الرحمن من سلطان
هي عكستكم غاية التعكيس واقستلعت دياركم من الاركان
فهدمت تلك القصور وأوحشت منكم ربوع العلم والايمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من حق وأمر واضح البطلان
سميت عرش المهيمين حيزاً والاستواء تحيزاً بمكان
وجعلتم فوق السموات العلى جهة وسقتم نفى ذا بوزان
يعني أن المصيبة والبلاء الذي حل بأهل التعطيل والكفران من جهة
الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وذلك أنهم سموا عرش المهيمين
سبحانه ، حيزاً ، وسموا الاستواء تحيزاً وجهة . قال

وجعلتم الاثبات تشبيهاً وتجسيمياً وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسماً قابل الـ اعراض والأكوان والألوان

وجعلتم أوصافه عرضاً وهذا كله جسر الى النكران
أي أنكم أيها المعطلة سميتم الاثبات تشبيهاً وتجسيماً ، وقلتم : إذا وصفتم
الله بصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ، فقد قلتم بأن الله جسم
قابل للأعراض ، وهي الألوان ونحوها ، والاكوان الأربعة ، ، وهي
الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون . تعالى الله عن ذلك .
قال :

وكذلك سميتم حلول حوادث أفعاله تلقيب ذي عدوان
اذ تنفرا الاسماع من ذا اللفظ نفـرتـها من التشبيه والنقصان
فكسوتـم أفعاله لفظ الحوا دث ثم قلتم قول ذي بطلان
ليست تقوم به الحوادث والمرا د النفي للأفعال للديان
فاذا انتفت أفعاله وصفاته وكلامه وعلو ذي سلطان
فبأي شيء كان رباً عندكم يافرقه التحقيق والعرفان
والقصد نفـي فعـاله عنه بذا التـلقـيب فعل الشاعر الفتان
وكذلك حكمة ربنا سميتم عللا وأغراضاً وذان اسمان
لا يشعران بمدحه بل ضدها فيهون حينئذ على الاذهان
نفـي الصفات وحكمة الخلاق والـ أفعاله إنكاراً لهذا الشأن
وكذا استواء الرب فوق العرش قلتم إنه التركيب ذو بطلان
و كذلك وجه الرب جل جلاله و كذلك لفظ يد ولفظ يدان

سميتمُ ذا كله الاعضاء بل سميتموه جوارح الانسان
وسطوتم بالنفي حينئذ عليه كنفينا للعيب مع نقصان
قلتم نزهه عن الاعراض والاعراض والابعاض والجنان
وعن الحوادث أن تحل بذاته سبحانه من طارق الحدثان
والقصد نفى صفاته وفعاله والاستواء وحكمة الرحمن

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة سموا صفات الرب سبحانه وتعالى
أعراضاً ، وسموا حكمته أغراضاً وعللاً ، وسموا إثبات وجهه ويده أو يديه
سبحانه أبعاضاً ، وقالوا : سبحانه وتعالى منزّه عن الأعراض والأغراض
والابعاض ، وكذا سموا قيام أفعاله به سبحانه حلول الحوادث ، وذلك كله
لأجل التشنيع على من تبع مذهب السلف الذي دل عليه صحيح المنقول
وصريح المعقول . ولهذا قال الناظم ، فاذا انتفت أفعاله وكلامه وصفاته
وعلوه على عرشه ، فبأي شيء كان رباً عندكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس أكثرهم بسجن اللفظ محبوسون خوف معرفة السجان
والكل إلا الفرد يقبل مذهباً في قالب ويرده في ثان
والقصد أن الذات والاصاف والأفعال لا تنفى هذا الهذيان
سموه ماشئتم فليس الشأن في الأسماء بل في مقصد ومعان
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتجسيم للتعطيل والكفران
وجعلتموه الترس ان قلنا لكم الله فوق العرش والاكوان

قلتم لنا جسم على جسم تعا لي الله عن جسم وعن جثمان
وكذلك إن قلنا القرآن كلامه منه بدا لم يبد من انسان
كلا ولا ملك ولا لوح ولا كن قاله الرحمن قول بيان

تقدم معنى أن الكلام بدا منه تعالى، ومعنى بدايته

قلتم لنا إن الكلام قيامه بالجسم أيضاً وهو ذو حدثان
عرض يقوم بغير جسم لم يكن هذا بمعقول لدى الازهان
أي : قالت النفاة إذا قلتم : إن كلام الله تعالى بدا منه ، لم يبد من انسان
ولا ملك ، ولا من اللوح المحفوظ. «فتقول النفاة : الكلام عرض ، والعرض
لا يقوم بغير جسم، فكلامكم أيها المثبتة غير معقول

وكذلك حين نقول ينزل ربنا في ثلث ليل آخر أو ثلث
قلتم لنا إن النزول لغير أجسام محال ليس ذا إمكان
وكذلك إن قلنا يرى سبحانه قلتم أجسم كي يرى بهيان
أي إذا قلنا : إنه سبحانه يرى في الآخرة ، قالت المعطلة : يلزم أنه
جسم ، وأن له جهة

أم كان ذا جهة تعالى ربنا عن ذا فليس يراه من انسان
أما إذا قلنا له وجه كما في النص أوقلنا كذلك يدان
وكذلك إن قلنا كما في النص إن القلب بين أصابع الرحمن
وكذلك إن قلنا الأصابع فوقها كل العوالم وهي ذو رجفان

وكذلك ان قلنا يدها لأرضه وسمائه في الحشر قابضتان
وكذلك ان قلنا سيكشف ساقه فيخبر ذاك الجمع للاذقان
وكذلك ان قلنا يجيء لفصله بين العباد بعدل ذي سلطان
قامت قيامتكم كذلك قيامة ال آتي بهذا القول في الرحمن

أي : إذا قلنا : إن له تعالى وجهاً كما ورد به النص كما يليق بجلاله ،
أو قلنا : إن له سبحانه يدين ، أو قلنا كما في النص : « ان القلب بين أصابع
الرحمن » أو أن الاصابع فوقها العوالم ، وأنه يقبض أرضه وسمائه في الحشر ،
وأنه سيكشف عن ساق ، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء وغير ذلك
كما في كتاب الله ، أو في صحيح السنة ، وحسنها ، من غير تشبيه ، ولا
تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ؛ قامت قيامتكم ، ورميتونا بكل
حجر ومدر .

ولنبسط الكلام في الوجه واليدين ، فنقول : وجه الرب سبحانه حيث
ورد في الكتاب والسنة ، فليس بمجاز ، بل على حقيقته . واختلف المعطلة
في جهة التجوز في هذا . فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير :
(ويبقى ربك) (إلا ابتغاء به الأعلى) ويريدون ربهم . وقالت فرقة : الوجه
يعني الذات ، وهذا قول أولئك وان اختلفوا في التعبير عنه . وقالت فرقة :
ثوابه وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً ، قالوا : لأن الذي يراد هو الثواب .
قال عثمان بن سعيد الدرامي : وقد حكى قول المريسي انه قال في قول
النبي ﷺ « اذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه » يحتمل أن يقبل الله
عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب . فقوله :
(ويبقى وجه ربك) الرحمن ٢٦ أي : ما توجه به ربك من الأعمال الصالحة .

وقوله: (فأينا تولوا فتح وجه الله) البقرة: ١١٥ أي: قبله الله. قال الدارمي: لما فرغ المريسي من إنكار اليمين ونفيها عن الله، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه، كما نفى عنه اليمين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجلال والإكرام والجحود به، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوق، يتوجه بها إليه، وثواب وإنعام مخلوق يشب به العامل، وزعم أنه قبله الله، وقبله الله لاشك مخلوقة، ثم ساق الكلام في الرد عليه. وذكر الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا: لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه فقال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن: ٣٧ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله (ذو الجلال والإكرام) صفة للوجه، وأن الوجه صفة للذات.

قال الناظم في «الصواعق»: فتأمل رفع قول (ذو الجلال والإكرام) عند ذكر الوجه، وجره في قول (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) الرحمن: ١٧ فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام، لما كان القصد الإخبار عنه، وذو الوجه المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة، لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم، فتأمل.

ثم استدل رحمه الله تعالى على إبطال هذه التأويلات بأوجه، منها أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ما شبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقول القائل وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه النهار، فيقال للمعطل المشبه به: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل، لقولك: فإن وجه الحائط أحد جانيه، فهو مقابل لدبره، ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف

اليه ، فلما كان المضاف اليه بناء ، كان وجهه من جنسه ، وكذلك وجه الثوب
أحد جانبيه ، وهو من جنسه ، وكذلك وجه النهار أوله ، ولا يقال للجمع
النهار . وقال ابن عباس : وجه النهار أوله ، ومنه قولهم : صدر النهار .
قال ابن الاعرابي : أتيت بوجه نهار ، وصدر نهار ، وأنشد للربيع بن زياد
من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

ومنها أن حملة على الثواب المنفصل من أبطل الباطل . فان اللغة لا تحمل
ذلك ، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجاز . وأيضاً فالثواب مخلوق ،
وقد صح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال « أعوذ بوجهك الكريم أن
تضلني ، لا إله الا أنت الحلي الذي لا يموت ، والجن والانس يموتون » رواه
أبو داود وغيره . ومن دعائه يوم الطائف « أعوذ بوجهك الكريم الذي
أشرفت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة » ولا يظن برسول الله
ﷺ أن يستعيز بمخلوق .

ومنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « أسألك لذة النظر الى
وجهك ، والشوق الى لقاءك » ولم يكن يسأل لذة النظر الى ثواب المخلوق ،
ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً .

ومنها أن النبي ﷺ قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه » ومن سأل بوجه
الله فأعطوه » وفي « السنن » من حديث جابر عن النبي ﷺ قال « لا ينبغي
لأحد أن يسأل بوجه الله الا الجنة » فكان طاوس يكره أن يسأل الانسان
بوجه الله .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ،

يخفّض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور ، لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

ومنها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه . فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق ؟ أو يكون صلة لا معنى له ؟ أو يكون بمعنى القبلة والجهة ؟ وهذا مطابق لقوله عليه السلام « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » فأضاف النور إلى الوجه ، والوجه إلى الذات ، واستعاذ بنور الوجه الكريم ، فعلم أن نوره صفة له ، كما أن الوجه صفة ذاتية ، وهو الذي قاله ابن مسعود ، وهو تفسير قوله (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين غشت بصائرهم عن معرفة ذلك ، فخذ العلم عن أهله ، فهذا تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وجميع أهل السنة ، والحديث ، والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم ، متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . يونس : ٢٦

فروى مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : النظر إلى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد ، وإن أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب ، نسبتة إليه كنسبة النظر إلى العين ، وليس في الحقيقة عنده نظر ، ولا وجه ، ولا لذة تحصل للنّاظر .

ومنها أن تفسير وجه الله بقبلة الله ، وإن قاله بعض السلف ، كمجاهد ،
وتبعه الشافعي ، فإنما قالوه في موضع واحد لا غير ، وهو قوله تعالى (والله
للمشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجهه الله) البقرة : ١١٥ فهب أن هذا
كذلك في هذا الموضع ، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي
ذكر الله تعالى فيها الوجه ؟ فما يفيدكم هذا في قوله (ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والإكرام) الرحمن : ٣٧ وقوله (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل : ٢١
وقوله (إنما نطعمكم لوجه الله) الدهر : ١٠ على أن الصحيح في قوله (فثم وجه
الله) البقرة : ١١٥ أنه كقوله في سائر الآيات التي فيها ذكر الوجه ، فإنه قد
اُطرِد بجيئه في القرآن والسنة مضافاً إلى الرب تعالى على طريقة واحدة ، ومعنى
واحد ، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع ، غير الموضع الذي ذكره
في سورة البقرة ، وهو قوله (فثم وجه الله) وهذا لا يتعين حمله على
القبلة أو الجهة ، ولا يمنع أن يراد به وجه الرب حقيقة ، فحمله على موارد
ونظائره كلها أولى ،

ومنها أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ، ولا شرعاً ، ولا
عرفاً ، بل القبلة لها اسم يخصها ، والوجه له اسم يخصه ، فلا يدخل أحدهما
على الآخر ، ولا يستعار اسمه له . نعم القبلة تسمى وجهة ، كما قال تعالى
(ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا) البقرة : ١٤٨
وقد تسمى جهة ، وأصلها وجهة ، لكن أعلت بحذف فائماً ، كزنة ، وعدة
ولمّا سميت قبلة ، ووجهة ، لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه . وأما تسميتها
وجهاً فلا عهد به ، فكيف إذا أُضيف إلى الله تعالى ؟ مع أنه لا يعرف تسمية
القبلة وجهة الله في شيء من الكلام ، مع أنها تسمى وجهة ، فكيف يطلق
عليها وجه الله ؟ ولا يعرف تسميتها وجهاً . وإيضاً فن المعلوم أن قبلة الله

التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة ، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا إليها حيث كانوا لا كل جهة يولي وجهه إليها ، فانه يولي وجهه الى المشرق والمغرب والشمال وما بين ذلك ، وليست تلك الجهات قبلة الله ، فكيف يقال : أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله . فان قيل : هذا عند اشتباه القبلة على المصلي ، وعند صلاته النافلة في السفر . قيل : اللفظ لاشعار له بذلك البتة بل هو عام مطلق في الحضر والسفر ، وحال العلم والاشتباه ، والقدرة والعجز . يوضحه أن إخراج الاستقبال المفروض ، والاستقبال في الحضر وعند العلم ، والقدرة وهو أكثر أحوال المستقبل ، وحمل الآية على استقبال المسافر في التنقل على الرحلة وحال الغيم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها ، وما قصد بها ، فان (أين) من أدوات العموم ، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم ، كقوله (وحينما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة : ١٥٠ والآية صريحة في أنه أينما ولى العبد فثم وجه الله من حضر ، أو سفر في صلاة وغيرها ، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ، ولا لحكم الاستقبال ، بل سياقها لمعنى آخر ، وهو بيان عظمة الرب تعالى وسعته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأعظم منه ، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي ، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله (والله المشرق والمغرب) البقرة ١١٥ منهم أبذلك على ملكه لما بينها ، ثم ذكر عظمته سبحانه ، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء ، فأينما ولى العبد وجهه ، فثم وجه الله ، ثم ختم باسمين دالين على السعة والاحاطة ، فقال (إن الله واسع عليه) فذكر اسمه الواسع عقيب قول (فأينما تولوا فثم وجه الله) كالتفسير والبيان والتقرير له ، فتأمل ، فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه وإن دخل في عموم الخطاب حضراً وسفراً بالنسبة الى الفرض والنفل ، والقدرة والعجز ،

وعلى هذا فالآية باقية على عمومها ، وأحكامها ليست منسوخة ، ولا مخصوصة ، بل لا يصح دخول النسخ فيها ، لأنها خبر عن ملكه للمشرق والمغرب ، وأنه أينما ولى الرجل وجهه فثم وجهه الله ، وعن سعة وعلمه ، فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك ؟ ! وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب والرد على من جعل له عدلاً من خلقه الشركة معه في العبادة ؛ ولهذا ذكرها بعد الرد على من جعل له ولداً فقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض) الى قوله (كن فيكون) البقرة : ١١٦-١١٧ فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة ، ولا سياق الكلام لأجلها ، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وحلمه ، والواسع من أسمائه ، فكيف يجعلون له شريكاً بسببه وتمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه ، تسعون في خرابها ؟ ! فهذا للمشركين ، ثم ذكر ما ينسب اليه النصاري ، من اتخاذ الولد ، ووسط بين كفر هؤلاء وقوله تعالى (والله المشرق والمغرب) البقرة : ١١٥ فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والايان ، والرد على المشركين ، لا بيان فرع مغين جزئي .

ومنها أنه لو أريد بالوجه في الآية الجهة والقبلة ، لكان وجه الكلام ان يقال : فأينما تولوا فهو وجه الله ، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة ، فهي التي تولي نفسها ، وإنما يقال : ثم كذا إذا كان أمران ، كقوله تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) الدهر : ٢٠ فالنعيم والملك ، ثم لأنه نفس الظرف ، والوجه لو كان المراد به الجهة نفسها ، لم يكن ظرفاً لنفسها ، فإن الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه ، فتأمل . ألا ترى أنك إذا أشرت الى جهة الشرق والغرب لا يصح أن تقول : ثم جهة الشرق ، ثم جهة المغرب ، بل تقول : هذه جهة الشرق ، وهذه جهة الغرب . ولو قلت :

هناك جهة الشرق والغرب ، لكان ذكر الطرف لغواً ، وذلك لأن (ثم) إشارة الى المكان البعيد ، فلا يشار بها الى قريب ، والجهة والوجهة مما يحاذيك الى آخرها ، فجهة الشرق ، والغرب ، ووجهة القبلة ، مما يتصل الى حيث ينتهي ، فكيف يقال فيها ثم إشارة الى البعيد ؟ ! بخلاف الإشارة الى وجه الرب تبارك وتعالى ، فإنه يشار الى ذاته ، ولهذا قال غير واحد من السلف : فثم الله تحقيقاً ، لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته ، والإشارة اليه بأنه ثم كإشارة اليه بأنه فوق سمواته ، وعلى العرش ، وفوق العالم .

ومنها أن تفسير القرآن بالقرآن هو أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل ، ولهذا كان يعتمد عليه الصابة والتابعون والأئمة بعدهم ، والله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجه ، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف اليه ، فتفسيره في هذه الآية بنظائره هو المتعين .

ومنها أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة ، وجدت مفسرة الآية ، مشتقة منها ، كقوله ﷺ : « إذا قام أحدكم الى الصلاة فأنما يستقبل ربه » وقوله : « فان الله يقبل اليه بوجهه عنه » وقوله « إذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه » وقوله : « فان الله بينه وبين القبلة » وقوله : « ان الله يأمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت » رواه ابن حبان في « صحيحه » والترمذي وقال : « ان العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف ، أو يحدث حدث سوء » وقال جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه ، فإذا التفت أعرض الله عنه » وقال : « يا ابن آدم أنا خير من تلتفت

اليه ، فاذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فاذا التفت أعرض الله عنه .
انتهى كلام الناظم باختصار .

قوله : وكذلك لفظ يد ولفظ يدان . قال تعالى (بل يدها
مبسوطتان) المائدة : ٦٤ قالت الجهمية ومن تبعهم : هذا مجاز في النعمة أو القدرة ،
وهذا في الأصل قول الجهمية ، وتبعهم المعتزلة وبعض المتأخرين من ينتسب
الى الأشعري ، والأشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء ، ويدعونهم ،
ويثبتون اليد حقيقة . قال عبد العزيز بن يحيى الكناfi المالكي جليس
الشافعي والحصيص به وقد مات قبل الامام أحمد - في كتاب الرد على الجهمية
والزنادقة - قال : يقال للجهمي : أتقول : إن الله وجهاً ، وله نفس ،
وله يد ، فيقول : نعم ، ولكن معنى وجه الله هو الله ، ومعنى نفسه
عينه ، ومعنى يده نعمته . قال : والجواب أن يقال له ، فذكر كلاماً
يتعلق بالوجه والنفس ، ثم قال : وأما قوله في اليد : انها يد النعمة كما تقول
العرب : لك عندي يد ، فقد قال الله تعالى (بيدك الخير) آل عمران : ٢٦
وقال : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) يس : ٨٣ وقال : (تبارك
الذي بيده الملك) الملك : ١ وقال : (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠
وقال : (بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ قال : فزعم الجهمي أن
يد الله نعمته ، فبدل قولاً غير الذي قيل له ، فأراد : الجهمي أن يبدل كلام
الله ، إذ أخبر الله أن له يداً بها ملكوت كل شيء ، فبدل مكان اليد
نعمة ، وقال : العرب تسمي اليد نعمة . قلنا : له العرب تسمي النعمة يداً ،
وتسمي يد الانسان يداً ، فاذا أرادت يد الذات ، جعلت على قولها علماً
ودليلاً يعقل به السامع أنها أرادت يد الذات ، وإذا أرادت يد النعمة ،

جعلت على قولها علماً ودليلاً يعقل السامع كلامها أنها تريد يد النعمة ،
ولا تجعل كلامها مشتبهاً على سامعه ، ومن ذلك قول الشاعر :

ناولت زيداً بيدي عطية يسديها رمي كتاباً مخضب^(١)

فدل بهذا القول على يد الذات بالمناولة .. ، وبالباء حين قال (بيدي)
فجعل الباء استقصاء للعدد حين لم يكن له غير يدين . وقال الآخر حين
أراد يد النعمة :

اشكري يدين لنا عليك وأنعماً شكراً يكون مكافياً للمنعمة

فدل على يد النعمة بقوله : لنا عليك ، ثم قال : وأنعماً ، ثم قال
يدين ، فجعل النون مكان الياء ، لم يستقص بها العدد ، فهذا قول العرب
ومذهبها في لغاتها ، والله تعالى لم يسم في كتابه يداً بنعمة ، ولم يسم نعمة
يداً ، سمي سبحانه اليد يداً ، والنعمة نعمة في جميع القرآن ، فأما ما ذكره
سبحانه من يدين ويد ، فقد ذكرت ذلك في صدر الكلام . وأما النعمة
التي هي عن اليد ، فمن ذلك قوله : (واذكروا نعمة الله عليكم) آل عمران : ١٠٣
وقوله : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل : ٥٣ وقوله :
(وأتممت عليكم نعمتي) المائدة : ٤ وقوله (واذتقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه) الأحزاب : ٣٧ فسمى الله النعم باسم النعمة ، ولم يسمها
بغير اسمائها ، ومثل هذا في القرآن كثير ، وذكر الله تعالى أيدي المخلوقين
فسماها بالأيدي ، فقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الأسراء : ٢٩
وقال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة : ٣٨
وقال : (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام : ٩٣ فهذه أيد لانعمة ،
وذكر نعمته على يد ، ونعمة النبي ﷺ ، فسماها نعمة ، ولم يسمها يداً ،
ثم أخبر سبحانه عن يديه أنها يدان لثلاثة ، وجعل الباء استقصاء للعدد

(١) هذا البيت لم يكن ظاهراً في الأصل ، وكذلك وجدناه في «الصواعق المرسلة»
للتناظم غير منقوط ، ولم يتبين لنا صوابه ، ولعله كما أثبتناه .

حين قال : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فدل على
أنهما يدي الذات ، لا يتعارف العرب في لغاتها ولا أشعارها إلا أن هاتين
اليدين ، يدي الذات ، لاستقصاء العدد بالباء ، وأما نعم الله فهي أكثر وأعظم
من أن تحصر أو تعد كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) إبراهيم : ٣٤
قال : واعلم رحمك الله أن قائل هذه المقالة جاهل بلغة القرآن ، وبلغة العرب
ومعانيها وكلامها ، وذلك أن الله إذا افتتح الخبر عن نفسه بلفظ الجمع ، ختم الكلام
بلفظ الجمع ، وإذا افتتح الكلام بلفظ الواحد ، ختم الكلام بلفظ الواحد ، وإنما يعني
الخبر عن نفسه ، وإن كان اللفظ جمعاً ، فأما ما كان من لفظ الواحد ، فهو قوله تعالى
(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ فافتتح الخبر عن نفسه بلفظ الواحد ،
وبمثل ختم الكلام فقال : (ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ وقال
(رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الأسراء : ٢٤ وقال (ربكم أعلم بكم)
الأسراء : ٢٥ وأما ما افتتحه بلفظ الجمع ، فهو قوله : (وقضينا إلى بني
إسرائيل في الكتاب) الأسراء : ٤ فافتتحه بلفظ الجمع ، ثم ختمه بمثل
ما افتتحه به فقال (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا) الأسراء : ٥
ولما عني بذلك نفسه ، لأنها كلمة ملوكية تقولها العرب ، وروي أن ابن
عباس لقي أعرابياً ومعه ناقة ، فقال : لمن هذه ؟ فقال الأعرابي : لنا .
فقال له ابن عباس : كم أنتم ؟ فقال : أنا واحد . فقال ابن عباس : هكذا
يقول الله تعالى (نحن) و (خلقناه) و (قضينا) أنا يعني نفسه ، والمبهم
يرد إلى الحكم ، فكل كلمة في القرآن من لفظ جمع قبلها محكم من التوحيد
ترد إليه ، فمن ذلك قوله : (وقضينا إلى بني إسرائيل) الأسراء : ٤ يرد إلى
قوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ وقوله : (وخلقناكم
آزواجاً) النبأ : ٨ يرد إلى قوله : (أنا أمره) يس : ٨٢ وقوله

(لما جاء أمر ربك) هود : ١٠١ وكذلك قوله (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يرد إلى قوله (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فلما افتتح الكلام بلفظ الجمع فقال : (أولم يروا أنا خلقنا لهم) يس : ٣١ قال (أيدينا) ولما افتتح بقوله : (مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ ختم الكلام على ما افتتحه به ، فهذا بيان لقوم يفقهون . وقد كان أكثر قسم النبي ﷺ إذا أقسم أن يقول : « لا والذي نفس محمد بيده » وهذا لا يليق به النعمة ، وهذا قول النبي ﷺ يصدق كتاب الله . انتهى كلامه . والاشعري في كتبه يصرح بأثبت الصفات الخيرية في كتبه كلها ، ومعلوم أن أحداً لا ينكر لفظها ، وإنما أنكروا حقائقها ومعانيها الظاهرة ، وكلام الأشعري موجود في « الابانة » و « الموجز » و « المقالات » وموجود في تصانيف أئمة أصحابه ، وأجلهم على الإطلاق القاضي أبو بكر بن الطيب ، وقد ذكر ذلك في كتاب « الابانة » و « التمهيد » وغيرها ، وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام ابن كلاب ، وكلام الأشعري ، وذكره البيهقي في « الأسماء والصفات » و « الاعتقاد » وذكره أبو القاسم القشيري في كتاب « الشكاية » له ، وذكره ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المفتري » حتى الفخر الرازي والسياف الآمدي حكوا ذلك عن الأشعري ، وأنه أثبت اليمين حقة لله ، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين في ذلك ، وهذه كتبه كلها ليس فيها إلا الاثبات ، فهو الذي يحكيه عن أهل السنة ، وينصره ، ويحكي خلافه عن الجهمية والمعتزلة . نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ، ثم رجع عنه ، وصرح بخالفهم ، واستمر على ذلك حتى مات . قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « الابانة » الذي ذكر ابن عساكر أنه آخر كتبه ، وعليه اعتمد في ذكر مناقبه واعتقاده . قال : فإن سألنا سائل فقال : أنقولون : إن الله يدين ؟

قيل : نعم ، نقول ذلك لقول الله تعالى (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠
ولقوله ﷺ « خلق الله آدم بيده ، وغرس جنة عدن بيده » وقال تعالى
(بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وفي الحديث « كتبا يديهم » وليس يجوز
في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا
وكذا بيدي ، وهو بمعنى النعمة ، اذا كان الله خاطب العرب بلغاتها ، وما
تجده مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، واذا لا يجوز في خطابها أن
يقول القائل : فعلت بيدي ؛ ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى بيدي النعمة ،
وساق الكلام في إنكار هذا التأويل وأطاله جداً ، وقرر أن لفظ اليدين على
حقيقته ، وظاهره ، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لا تحتمل ما تأولته
الجهمية . وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في
كتاب « التمهيد » وهو أشهر كتبه : فان قال القائل : فما الحجة في أن الله
وجهاً ويدين ؟ قيل : قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)
الرحمن : ٣٧ وقوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فأثبت
لنفسه وجهاً ويدين ، فان قالوا : انما أنكرتم أن يكون المعنى : خلقت
بيدي ، أنه خلقه بقدرته ؛ لأن اليدين في اللغة تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى
القدرة ، كما يقال : لفلان عندي يد بيضاء ، وهذا الشيء في يد فلان ،
وتحت يده ، ويقال : رجل أيد ، اذا كان قادراً كما قال تعالى (خلقناهم
مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يريد : عملنا بقدرتنا .

وقال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عراية باليمن

وكذلك قوله (خلقت بيدي) ص : ٧٥ يعني بقدرته ونعمته . قال : فيقال

له : هذا باطل ، لأن قوله (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما حفة له ؛ فلو

كان المراد بها القدرة، لوجب أن يكون له قدرة ، ولا ترعون أن الله تعالى قدرة واحدة ، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين ؟! وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لا يجوز أن يكون الله تعالى قدرتان ، فبطل ما قلتم ، وكذلك لا يجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين ، لأن نعم الله تعالى على آدم وغيره لا تحصى ، ولأن القائل لا يجوز أن يقول : رفعت الشيء ، أو وضعته بيدي ، أو توليته بيدي ، وهو يريد نعمته ، وكذلك لا يجوز أن يقال : لي عند فلان يدان ، يعني نعمتين ، وإنما يقال : لي عنده يدان بضاوان ، ولأن : فعلته بيدي ، لا يستعمل إلا في اليد التي هي صفة الذات ، ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه ، لم يغفل عن ذلك إبليس ، وأن يقول : وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضاً بيدك خلقتني ؟! وفي العلم أن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه ، دليل على فساد ما قالوه . فان قال القائل : فما أنكرتم أن يكون يده ووجهه جارية ، إذ كنتم لاتعقلون يداً ووجهاً هما صفة الجارية ، قلنا : لا يجب ذلك ، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم ذلك على الله ، وكما لا يجب إذا كان قائماً بذاته أن يكون جوهرأ ، لأننا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم إن قالوا : فيجب أن يكون عامة ، وكلامه ، وحياته ، وسائر صفاته أعراضاً ، أو أجساماً ، أجناساً ، أو حوادث ، أو اغياراً له تعالى ، ومحتاجة إلى قلب . انتهى .

والله لو قلنا الذي قال الصحابة والأئمة من بعدهم بلسان

لرجعتمونا بالحجارة إن قدرتم بعد رجم الشتم والعدوان

والله قد كفرتم من قال بعض مقالهم يا أمة العدوان

وجعلتم الجسم الذي قدّرتُم بطلانه طاغوت ذي البطلان
ووضعتم للجسم معنى غير معـروف به في وضع كل لسان
وبنيتُم نفى الصفات عليه فاجـتمعت لكم إذ ذاك محذوران
كذب على لغة الرسول ونفى اثبات العلو لقاطر الاكوان
أي: إنكم أيها المعطلة، وضعتم للجسم معنى غير معناه المعروف في لغة العرب،
وسميتُم كل ما هو مركب من المادة والصورة، أو من الجواهر المنفردة،
أو ما يقبل الاشارة الحسية جسمًا، وليس هذا معنى الجسم في لغة الصحابة
التي جاء بها القرآن، كما قال الجوهرى في «صاحبه المشهورة» قال أبو زيد:
الجسم الجسد؛ وكذلك الجثمان، والجئان. وقال الأصمعي: الجسم
والجسمان: الجسد، والجئان، والشخص. قال: والأجسم: الضخم البدن.
قال شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول: وقد ادعى طوائف
من النفاة أهل الكلام أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم
لفظ الجسم في كل ما يشار اليه موافق للغة، قالوا: لأن كل ما يشار اليه،
فانه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك، فهو مركب من
الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ، ولا يتميز منه جانب عن
جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض
الفلاسفة، قالوا: وإذا كان هذا مركبًا مؤلفًا، فالجسم في لغة العرب هو
المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجل جسيم، وزيد أجسم من
عمرو، إذا أكثر ذهابه في الجهات، ليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: أجسم
وجسيم الا لمن كثرت الأجزاء المتضمنة والتأليف، لأنهم لا يقولون: أجسم
فيمن كثرت علومه، وقدره، وسائر تصرفاته، غير الاجتماع، حتى إذا

كثير الاجتماع فيه بزيادة أجزائه قيل : أجسم ، ورجل جسيم ، فدل ذلك على أن قولهم : جسم يفيد التأليف ، فهذا أصل قول هؤلاء النفاة ، وهو مبني على أصلين : سمعي لغوي ، ونظري عقلي فطري ، أما السمعي اللغوي ، فقولهم : ان أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب ، وهم استدلوا عليه بقولهم : هو أجسم إذا كان أغلظ وأكثر ذهاباً في الجهات ، وإن هذا يقتضي أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء . فيقال : أما المقدمة الأولى ، وهو أن أهل اللغة يسمون كل ما له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسماً ، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة ، ولا يمكن أحداً أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسماً ؛ ولا يسمون روح الانسان جسماً ، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح ، ولهذا قال تعالى (وإذا دأبهم تعجبك أجسامهم) المنافقون : ٤ يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة ، وقد ذكر نقلة اللغة أن الجسم عندهم هو الجسد ، ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة ، فلا يسمون به الأشياء القائمة بنفسها إذا كانت لطيفة ، كالهواء ، وروح الانسان ، وان كان لذلك مقدار ، يكون بعضه أكبر من بعض ، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسماً ؛ ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر : هذا أجسم من هذا ، ولا يقولون : هذا المكان الواسع أجسم من هذا المكان الضيق ، وإن كان أكبر منه ، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء ، ليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسماً ، ولا يوجد في الكلام قبض جسمه ، ولا صعد بجسمه الى السماء ، ولا أن الله يقبض أجسامنا كيف يشاء ، إنما يسمون ذلك روحاً ، ويفرق بين مسمى الروح ومسمى الجسم ، كما يفرق بين البدن والروح ، وكما يفرقون بين الجسد والروح ، فلا يطلقون لفظ

الجسد على الهواء ، فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد . قال الجوهري :
الجسد والبدن . تقول : فيه تجسد ، كما تقول : الجسم تجسم ، كما تقدم نقله
عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد ، فعلم أن هذين اللفظين مترادفان ، أو
قريبان من الترادف ، ولهذا يقولون : لهذا الثوب جسد ، كما يقولون : له
جسم ، إذا كان غليظاً ثخيناً صفيحاً . وتقول العلماء : النجاسة قد تكون
مستخبئة ، كالدم ، والميتة ، وقد لا تكون مستخبئة ، كالرطوبة ، ويسمون
الدم جسداً ، كما قال النابغة :

فلا لهمرو الذي قد ذرته حججاً وما أريق على الانصاب من جسد

المقدمة الثانية : أنه لو سلم ذلك ، فقولهم : إن هذا يطلقونه عند تزايد
الأجزاء ، هو مبني على أن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، وهذا لو
قدر أنه صحيح ، فأهل اللغة لم يعتبروه ، ولا قال أحد منهم ذلك ، فعلم أنهم
إنما لحظوا غلظه ، وكثافته ، وأما كونهم اعتبروا كثرة الأجزاء أو قلتها ،
فهذا لا يتصوره أكثر عقلاء بني آدم ، فضلاً عن أن ينقل عن أهل اللغة قاطبة
أنهم أرادوا ذلك بقولهم : جسم ، وأجسم ، والمعنى المشهور في اللغة ،
لا يكون مسماه ما لا يفهمه إلا بعض الناس ، وإثبات الجواهر المنفردة أمر
خص به بعض الناس ، فلا يكون مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه إلا
بعض الناس ، وهو المركب من ذلك . وأما الأصل الثاني العقلي ، فقولهم :
إنما يشار إليه بأنه هنا وهنا ، فانه مركب من الجواهر المنفردة ، أو من المادة
والصورة ، وهذا بحث عقلي ، وأكثر عقلاء بني آدم من أهل الكلام وغير
أهل الكلام ، ينكرون أن يكون ذلك مركباً من الجواهر المنفردة ، أو
من المادة والصورة ، وإنكار ذلك قول ابن كلاب وأتباعه الكلابية ، وهو
قول المشامية ، والنجارية ، والضرارية ، وبعض الكرامية ، وهؤلاء الذين

أثبتوا الجوهر الفرد ، وزعموا إننا لم نعلم لا بالحق ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئاً قائماً بنفسه ، وأن جميع ما نشهده مخلوقاً ، من السحاب ، والمطر ، والحيوان ، والنبات ، والمعدن ، بني آدم وغير بني آدم ، فلما فيه أنه أحدث أكوأناً في الجواهر المنفردة ، كالجمع ، والتفريق ، والحركة ، والسكون . وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبدأناً قائماً بأنفسها ، أو شجراً ، أو ثغراً ، أو شيئاً قائماً بنفسه ، وإنما أحدث عندهم أعراضاً . وأما الجواهر المنفردة ، فلم تزل موجودة . ثم من يقول : إنها محدثة ، منهم من يقول : إنها محدثة ، ومنهم من يقول : إنهم علموا حدوثها بأنها لم تخل من الحوادث ، وما لم يخل من الحوادث ، فهو حادث ... الى أن قال : ولهذا صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئاً من الصفات ، كان ذلك مستلزماً لأن يكون الموصوف عندهم جسماً ، وعندهم الأجسام متماثلة ، فصاروا يسمونه مشبهاً بهذه المقدمات التي يلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم ، وهي متناقضة ، لا يتصور أن ينتظم منها قول صحيح ، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء ، وفيها من تغيير اللغة والمعقول ما دخل بسببه هذه الأغاليط والشبهات ، حتى يبقى الرجل حائراً لا يهون عليه إبطال عقله ودينه ، والخروج عن الإيمان والقرآن ، فان ذلك كله متطابق على إثبات الصفات ، ولا يهون عليه التزام ما يلزمونه من كون الرب مركباً من الأجزاء أو مماثلاً للمخلوقات ، فانه يعلم أيضاً بطلان هذا ، وأن الرب عز وجل يجب تزييه عن هذا ، فانه سبحانه أحد صمد ، والأحد ينفي التمثيل ، والصمد ينفي أن يكون قابلاً للتفريق والتجسيم والبعضية ، سبحانه وتعالى ، فضلاً عن كونه مؤلفاً مركباً ألف من الأجزاء ، فيفهمون من مخاطبونه أن ما وصف به الرب نفسه لا يعقل الا في بدن ، مثل بدن الانسان ، بل وقد يصرحون بذلك ويقولون : الكلام لا يكون

إلا من صورة ، وصورة مركبة ، مثل فم الانسان ونحو ذلك بما يدعونه ،
وإذا قال النفاة لهم : متى قلتم : إنه يرى ؟ لزم أن يكون مركباً مؤلفاً ،
لأن المرئي لا يكون إلا بجهة من الرائي ، وما يكون بجهة من الرائي لا يكون
إلا جسماً ، والجسم مؤلف مركب من الأجزاء ، وقالوا : إذا تكلم بالقرآن
أو غيره من الكلام ، لزم ذلك ، وإذا كان فوق العرش ، لزم ذلك ، صار
المسلم العارف بما قال الرسول ﷺ ، يعلم أنه يرى في الآخرة ، لما تواتر عنده
من الأخبار عن الرسول ﷺ بما يدل على ذلك مع ما يوافق ذلك من القضايا
الفطرية التي خلق الله بها عباده ، وإذا قالوا : هذا يستلزم أن الله مركب من
الأجزاء المنفردة ، والمركب لا بد له من مركب ، فلزم أن يكون الله
محدثاً ، إذ المركب يقتدر الى أجزائه ، وأجزاؤه تكون غيره ، وما اقتدر
إلى غيره لم يكن غنياً واجب الوجود بنفسه ، خيره وشكوكه إن لم يجعلوه
مكذباً لما جاء به الرسول ﷺ ، مرتداً عن بعض ما كان عليه من الإيمان ،
مع أن شكه وحيرته تقدر في إيمانه ، ودينه ، وعلمه ، وعقله . فيقال : أما
كون الرب سبحانه وتعالى مركباً مركباً غيره ، فهذا من أظهر الأمور
فساداً ، وهذا معلوم فساد بضرورة العقل . ومن قال هذا ، فهو من أكفر
الناس وأجهلهم ، وأشدهم محاربة لله ، وليس في الطوائف المشهورة من يقول
بهذا ، وكذلك إذا قيل : هو مؤلف أو مركب بمعنى أنه كانت أجزاؤه
مفرقة ، فجمع بينهما كما يجمع بين أجزاء المركبات ، من الأطعمة ، والأدوية
والثياب ، والأبنية ، فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من أكفر الناس
وأظلمهم ، ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة ، بل أكثر العقلاء
عندهم أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب ، وإنما يقول بهذا من
يثبت الجواهر المنفردة ، وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف ، بمعنى
أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة ، فهذا من أكفر الناس وأجهلهم .

وقوله : شر من قول الذين يقولون : إن الله ولدأ ، بمعنى أنه انفصل منه
خصار ولدأ له . وقد بسطنا الكلام على هذا في تفسير (قل هو الله أحد)
وفي غير ذلك . وأطال الكلام رحمه الله ، وهذا الذي سقناه من كلامه
كالشرح لهذه الآيات ، فرحمه الله ، ورضي عنه .

قال الناظم رحمه تعالى :

وركبتكم إذا ذاك تحريفين تحريف الحديث ومحكم القرآن
وكسبتهم وزيرين ووزر النفي والتحريف فاجتمعت لكم كفلان
وعداكم أجران أجر الصدق والإيمان حتى فأتكم حظان
وكسبتهم مقتين مقت الحكم والمؤمنين فنالكم مقتان
وليستم ثوبين ثوب الجمل والظلم القبيح فبست الثوبان
وتخذتم طرزين طرز الكبر والسيئه العظيم فبست الطرزان
ومددتم نحو العلى باعين لـكن لم تطل منكم لها الباعان
وأتيتموها من سوى أبوابها لكن تسورتم من الحيطان
وغلقتم بابين لو فتحا لكم فزتم بكل بشارة وتهات
باب الحديث وباب هذا الوحي من يفتحهما فليهنه البابان
وفتحتم بابين من يفتحهما تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نهيتهم عنه والباب الحريق فمنطق اليونان
فدخلتم دارين دار الجهل في الدنيا ودار الخزي في النيران

وطعمتم لونين لوز الشك والتشكيك بعد فبشت اللوان
وركبتهم أمرين كم قد أهلكا من أمة في سالف الأزمان
تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن
والثاني نسبتهم الى الألفاظ والتليس والتدليس والكتان
ومكرتم مكرين لو تمالكتم لتفصمت فينا عرى الإيمان
أطفأتم نور الكتاب وسنة الهدى بهذا التخريف والهديان
لكنكم أوقدتم للحرب ناراً بين طائفتين مختلفان
والله مطفيها باللسنة الألى قد خصهم بالعلم والإيمان
والله لو غرق المجسم في دم التمجسيم من قدم إلى الأذان
فالنص أعظم عنده وأجل قد رأ أن يعارضه بقول فلان
قوله : طرزين . قال في « القاموس » : الطرز : الهيئة ، والطراز
بالكسر : علم الثوب ، معرب ، وطرزة تطريزاً : أعلمه ، فطرز . ومزاد
الناظم : الهيئة ، أي : اتخذتم هيتين ، هيئة الكبر ، وهيئة الشبه ، والله أعلم

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

أهون هذا الطاغوت لاعز اسمه طاغوت ذي التعطيل والكفران
كم من أسير بل جريح بل قتيــــــــل تحت ذا الطاغوت في الأزمان
وترى الجبان يكاد يخلع قلبه من لفظه تبا لكل جبان
وترى المخنث حين يقرع سمعه تبدو عليه شمائل النسوان
ويظل منكوحاً لكل معطل ولكل زنديق أخي كفران
وترى صبي العقل يفزعه اسمه كالغول حين يقال للصبيان
كفران هذا الاسم لاسبحانه أبداً وسبحان العظيم الشان

قوله : الطاغوت ، هو مشتق من طغا ، وتقديره : طغوت ، ثم قلبت
الواو ألفاً ، قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من
دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكرون مؤنث . قال الله تعالى : (يريدون
أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) النساء : ٦٠ فهذا
في الواحد . وقال في الجمع : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات) البقرة : ٢٥٧ وقال في المؤنث (والذين اجتنبوا
الطاغوت أن يعبدوها) الزمر : ١٧ قال النووي : قال الليث ، وأبو عبيدة ،
والكسائي ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله .
وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن ، والشيطان ، وكل رأس في الضلال .

قوله : أهون بذات الطاغوت ، هي صيغة تعجب ، أي : ما أهونه .
 قوله : تباً . التب ، والتبيب ، والتباب ، النقص ، والحسار .
 قوله : الخنث . هو اسم مفعول من خنث ، فهو مخنث ، وهو بضم الميم
 وفتح الحاء والنون وتشديدها . قال في « القاموس » : الخنث ككتف :
 من فيه الخنثاء ، أي : تكسر وتثن . وقد خنث كفرح ، وخنث ، والخنث .
 قوله : شمائل النسوان . الشمل : الطبع ، جمع شمائل ، قاله في « القاموس » .
 قوله : كالغول . الغول بضم الغين : اسم ، وجمعه أغوال ، وغيلان .
 قال أبو السعادات : الغول واحد الغيلان ، وهو جنس من الجن ، والشياطين ،
 كانت العرب تزعم أن الغول في الفلوات تتراءى للناس ، تتلون تلوناً في صور
 شتى ، وتقولهم ، أي : تضلهم عن الطريق ، وتملكهم : فنفساه النبي ﷺ
 وأبطله . انتهى .

ومعنى كلام الناظم أن اسم الغول إذا ذكر لصبي العقل ، لاصبي السن ،
 أفزع ، وهاله ، كما يفزع الصبي إذا خوف بالغول .
 قوله : كفران ، هذا الاسم هو مصدر كفر يكفر كفراناً .

كم ذا التترس بالمحال أما ترى قد مزقته كثرة السهمان
 قال في « القاموس » الترس معروف ، جمع أتراس ، وترسة ، وتراس ،
 وتروس ، والتراس صاحبه وصانعه ، والتراسة صنعته ، والتريس والتترس :
 التستر به .

جسم وتجسيم وتشبيه أما تعيون من فشر ومن هذيان
 أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثم به نفيتم موجب القرآن
 وجعلتموه شاهداً بل حاكماً هذا على من يأولي العدوان

أعلى كتاب الله ثم رسوله؟ بالله فاستحيوا من الرحمن
فقضاؤه بالجور والعدوان مثل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه بالجور والعدوان والبهتان
كم ذا الجمعاجع ليس شيء تحتها إلا الصدى كالبوم في الخربان
قوله : إلا الصدى . قال في « مختار الصحاح » الصدى ذكر البوم ،
والصدى أيضاً الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، وقد أصدى الجبل .
قوله : كالبوم ، قال في « القاموس » البوم واليومة بضمها : طائر ، كلاهما
للذكر والأنثى ، وبومة لقب محمد بن سليمان المحدث .

ونظير هذا قول ملحدكم وقد جحد الصفات لفاطر الأكوان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد هدمنا دياركم إلى الأركان
والله ربي قد أعان بكسر ذا وبقطع ذا سبحانه ذي الإحسان
أي أن الله سبحانه قد أعان بكسر الطاغوت ، وبقطع المنجنيق بالحجج
الساطعة والبراهين القاطعة .

فلئن زعتم ان هذا لازم لمقالكم حقاً لزوم بيان
فلنا جوابات ثلاث كلها معلومة الايضاح والتبيان
منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة من البرهان
لا يرتضيها عالم أو عاقل بل تلك حيلة مفلس فتان
فلئن زعتم أن منع لزومه منكم مكابرة على البطلان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذه الآيات : إنكم معاشر المعطلة
ألزمتهم المثبتة إذا أثبتوا صفات الباري سبحانه التجسيم والتركيب .
قوله : فلئن زعمتم أن هذا لازم لمقالكم الخ .

قوله : فلنا جوابات ثلاث الى قوله : منع لزوم وما بأيديكم سوي
دعوى مجردة بلا برهان ، أي : أن ذلك لا يلزم المثبتة ، لأن لازم المذهب
ليس بمذهب .

قوله : فلئن زعمتم أن منع لزومه . أي : إذا قلنا باثبات الصفات ،
لم يلزمنا تجسيم ، فإن زعمتم أن ذلك مكابرة ، فلنا جواب ثان ؛ وهو قوله :

فجوابنا الثاني امتناع النفي في ماتدعون لزومه ببيات

إن كان ذلك لازماً للنص فالملزوم حق وهو ذو برهان

والحق لازمه فحق مثله أنى يكون الشيء ذا بطلان

ويكون ملزوماً به حقاً فذا عين المحال وليس ذا إمكان

فتعين الإلزام حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن

وجعلتم أنبياءه ماتسترا خوفاً من التصريح والكفران

والله ما قلنا سوى ما قاله هذي مقالتنا بلا كتمان

فجعلتمونا جنة والقصد مفهوم فنحن وقاية القرآن

يقول الناظم : الجواب الثاني للنفاة : إنا لم نقل إلا بما دلت عليه النصوص

القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فإن كان لازمها التجسيم كما زعمتم ، فاذا صح

ذلك ، فالملزوم حق ، لأننا لم نتبع إلا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ،

لأنه من المحال أن يكون الشيء باطلاً في نفسه ، وتكون ملزوماته حقاً ،
فحينئذ على قول الرسول وحكم القرآن ، وأنها لم يدلا إلا على
التجسيم والتشبيه ، فرميت أتباع الرسول بالتشبيه ، والتجسيم ، والتركيب ،
تستراً ، وهذا معنى قوله : ماتسترا ، خوفاً من أنكم إذا نسبتم الكتاب
والسنة الى التشبيه والتجسيم ، نسبتم الى الكفر والضلال ، والا فالمنتهى لم
يقولوا إلا بما قاله الله ورسوله ، لكن جعلتم تشنيعكم على أتباعه جنة ، وقصدكم
مفهوم ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالث مانحيب به هو استفساركم يافرقة العرفان
ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ألزمتونا أوضحوا ببيان
تعنون ماهو قائم بالنفس أو عال على العرش العظيم الشان
أوذا الذي قامت به الأوصاف أو صاف الكمال عديمة النقصان
أو ماتركب من جواهر فردة أو صورة حلت هيولى ثان
أو ماهو الجسم الذي في العرف أو في الوضع عند مخاطب بلسان
أو ماهو الجسم الذي في الذهن ذا ك يقال تعليمي ذي الأذهان
ماذا الذي من ذلك يلزم من ثبو ت علوه من فوق كل مكان
فأتوا بتعيين الذي هو لازم فاذا تعين ظاهر التبيات
فأتوا ببرهانين برهان اللزوم ونفي لازمه فذان اثشان
والله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا ولو واطاهم الثقلان

إن كنتم أنتم فحولاً فابرزوا ودعوا الشكاوي حيلة النسوان
وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكاوي إلى الوحيين لا القاضي ولا السلطان
هذا هو الجواب الثالث من أجوبة المثبتة للنفاة ، وهو استفسار المثبتة
لنفاة ، ما مرادهم بالجسم ؟ هل هو القائم بنفسه ، كالهواء ، وروح الانسان ،
ونحوهما ، أو ماهو عال على العرش ، أو ما قامت به الصفات ، أو هو الجسم
التعليمي ، وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث ،
أعني : الطول والعرض والعمق ، سمي جسماً تعليمياً ، لكونه موضوعاً
للحكمة التعليمية ، أعني : الحكمة الرياضية ، والذي يدل على تغير المعنيين
أنك إذا أخذت شمعة بعينها ، وشكلتها بأشكال مختلفة ، بأن جعلتها تارة كرة ،
وتارة مكعباً ، وتارة أسطوانة مثلاً ، فالجسم الطبيعي باق بعينه ، وقد
تغيرت كميته السارية في جهاته تغيرات شتى .

قوله : أو صورة حلت هيولى ثان ، أي : وهل المراد بالجسم المركب
عند الفلاسفة المشائين من الهيولى والصورة ، أو مرادكم الجسم الذي في العرف ،
أو في الوضع ، فإذا بينتم مرادكم بالجسم ، أجبتكم حينئذ بالجواب المركب ،
وهذا معنى قوله :

فنجيب بالتركيب حينئذ جواً بآ شافياً فيه هدى الحيران
الحق إثبات الصفات ونفيها عين المحال وليس في الإمكان
فالجسم إما لازم لثبوتها فهو الصواب وليس ذا بطلان
أو ليس يلزم من ثبوت صفاته فشناعة الإلزام بالبهتان
فالمنع في إحدى المقدمتين معلوم البيان إذاً بلا ذكران

المنع إما في الزوم أو انتفا ٤ اللازم المنسوب للبطلان
هذا هو الطاغوت قد أضحى كما أبصرتموه بمنة الرحمن
شرع الناظم رحمه الله في الجواب القاطع المركب ، وهو أن الحق إثبات
الصفات ، ونقيها عين المحال ، وأبطل الباطل ، وحينئذ فالجسم ، إما لازم
لثبوتها ، فيكون هو الصواب ، وإما أن يكون ليس بلازم ، وإنما الإلزام
به من تشنيع المعطلة .

قوله : فالمنع في إحدى المقدمتين ، وهما القول بالجسم ، أو انتفاء
اللازم ، معلوم بغير إنكار ، ونحن نمنع إحدى المقدمتين ، ونقول : إن
كان الكتاب والسنة قد دلا على التجسيم والعياذ بالله ، فهو حق بهذا الاعتبار ،
ولكن نحن نمنع الزوم ، وهو المقدمة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في مبدء العداوة الواقعة بين المشبتهين الموحدين وبين النفاة المعطلين

يا قوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا في قديم زمان؟
إننا تحيزنا إلى القرآن والنقل الصحيح مفسر القرآن
وكذا إلى العقل الصريح وفطرة الرحمن قبل تغير الإنسان
هي أربع متلازمات بعضها قد صدقت بعضاً على ميزان
والله ما اجتمعت لديكم هذه أبداً كما أقررتم بلسان

إذا قلتم العقل الصحيح يعارض المنقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثم نصرف الـ المنقول بالتأويل ذي الألوان
فإذا عجزنا عنه ألفيناه لم نعبأ به قصداً الى الاحسان
ولكم بهذا سلف لهم تابعتم لما دعوا للأخذ بالقرآن
صدوا فلما ان أصيبوا أقسموا لمرادنا توفيق ذي الاحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال اذا حصلتها أسمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى متعوضين زخارف الهذيان

معنى كلام الناظم في هذه الآيات أنه يقول : تدرون أيها المعطلة مامبدء
العداوة الواقعة بيننا وبينكم ؟ وما الذي أحدثها ؟ ثم أخذ في بيان ذلك
فقال : إنا نحيزنا الى القرآن ، والنقل الصحيح ، والعقل الصريح ، والقطرة .
وأنتم أخذتم فيما زعمتم بالعقل ، وقلتم : إذا تعارض العقل والنقل ، فإما أن
نردهما جميعاً ، وإما أن نقبلها جميعاً ، ولا سبيل الى ذلك ، وإما أن نقبل
النقل ونترك العقل ، وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو صدقنا النقل
وكذبنا العقل ، لأفضى ذلك الى تكذيب النقل ، لأن العقل أصل النقل ،
فلذلك قدمنا العقل ، ثم صرفنا النقل الخائف بزعمهم للعقل ، وذلك إما
بالتأويل إن أمكن ، وإما بالتفويض .

قوله : ولكم بهذا سلف الخ . هؤلاء السلف هم المنافقون الذين
ذكرهم الله تعالى بقوله في سورة النساء (وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) النساء : ٦١-٦٣ الآيات

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في « العقل والنقل » وفي هذه الآيات أنواع من العبر دالة على خلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه ، وأن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية ، وبين ما يسميه هو عقليات ، من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب ، وغير ذلك من انواع الاعتبار ، فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والايمان مثلاً ، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبيل التي نهى عنها ، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله ، فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنياً وظاهراً ، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ، فهذا مغفور له خطؤه ، كما قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) إلى قوله : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ انتهى كلامه

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واضرب لهم مثلاً بشيخ القوم اذ يأبى السجود بكبر ذي طغيان
ثم ارتضى ان صار قواداً لأر باب الفسوق وكل ذي عصيان
قوله : واضرب لهم مثلاً بشيخ القوم الخ . المراد به إبليس عليه
اللعنة ، وذلك أن الله أمره بالسجود لآدم ، فعضى كبراً وطغياناً ، ثم
ارتضى بأن صار قواداً لكل فاسق وعاص ، نعوذ بالله ، وهذا مأخوذ
من قول أبي نواس .

عجبت من إبليس في كبره وفي الذي أظهر من نخوته
تاه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

قَالَ : نَحْوَتَهُ ، قَالَ فِي « الْقَامُوس » نَحَا يَنْحُو ، نَحْوَةٌ : افْتَخَرُ
وَتَعْظُم . وَكَذَا قَوْلُهُ : تَاه ، أَي ، تَكْبَر .

وَكَذَا أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا بَشَرٍ أَتَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
ثُمَّ ارْتَضَوْا أَنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ
أَي : أَنْ أَهْلَ الشِّرْكِ تَكْبَرُوا وَقَالُوا : اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ
يُرْسَلَ بِشَرًّا ، ثُمَّ ارْتَضَوْا بِأَنْ جَعَلُوا آلِهَتَهُمْ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ وَالْجُمَادِ
أَخْسَ حَالًا مِنَ الْحَيَوَانِ

وَكَذَلِكَ عِبَادُ الصَّلِيبِ حَمَا بَنَاتُ رُكْهِمُ مِنَ النِّسْوَانِ وَالْوُلْدَانِ
وَأَتَوْا إِلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ الْعَلِيِّ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِنَ الذَّكَرِ
أَي : بَنَ عِبَادُ الصَّلِيبِ ، وَهُمْ النَّصَارَى نَزَهُوا بِتَارِكِهِمُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ ،
ثُمَّ جَعَلُوا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَدًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ : الْبَتْرُكُ الْأَكْبَرُ هُوَ لَوْ قَا النَّاقِلُ
عَنْ بُولَسَ عَنْ يُوْحَنَّا عَنْ شَمْعُونِ عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَأَصْلُ التَّرْتِيبِ
عِنْدَهُمْ أَنَّ الْقَارِيءَ لِلانْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ شَمَاسَ ، فَإِنْ تَأَوَّلَهُ وَاتَّقَنَ حِفْظَهُ
صَارَ قَسِيصًا ، وَيَدُومُ كَذَلِكَ مَا دَامَ عِنْدَهُ زَوْجَةٌ ، وَإِنْ بَلَغَ فِي الْعِلْمِ مَا بَلَغَ ،
فَإِنْ مَاتَتْ زَوْجَتُهُ ، فَإِنْ تَزَوَّجَ خَرَجَ عَنْ مَرَاتِبِ الْعِلْمِ ، وَيُسَمَّى سَالِخًا
الْقِسُوسِيَّةَ ، فَإِنْ تَنَزَّهَ عَنِ الزَّفْرِ وَمَا يُخْرِجُ مِنَ الْأَرْوَاحِ ، صَارَ بَتْرُكًا فِي
مَذْهَبِ الْأَرْمَنِ . وَأَمَّا الرُّومُ وَالْيَعَاقِبَةُ وَالنَّسْطُورِيَّةُ ، فَيُرُونَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ بَتْرُكًا إِلَّا مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ النِّسَاءِ وَأَكَلَ الْأَرْوَاحَ ، وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا
مِنْ أَوَّلِ عَمَرِهِ ، إِلَّا الْعَسَلَ ، وَالسَّمَكَ ، لِأَنَّهُ خَلِيفَةُ الْمَسِيحِ ، وَطَاعَةُ هَؤُلَاءِ
فَرَضٌ عَلَى النَّصَارَى . وَأَمَّا الْأَسْقَفُ ، وَالْمَيُورُونُ ، وَالرَّاهِبُ ، فَأَسْمَاءُ لِلْمَتَعَبِدِينَ
خَاصَّةً ، فَلَمَّا كَثُرَ فِي الْقَلَّةِ مَيُورُونُ ، وَكَثُرَتِ السِّيَاحَةُ أَسْقَفَ ، وَتَارَكَ النِّسَاءَ

فقط راهب . وشرط الروم ملازمته لبس المسوح ، وخدمة الدير ، وأن لا يصلي خارج الكنيسة .

وكذلك الجهمي نزه ربه عن عرشه من فوق ذي الاكوان
حذراً من الحصر الذي في ظنه أو أن يرى متحيزاً بمكان
فاصأره عدما وليس وجوده متحققاً في خارج الاذمان
لكننا قدماؤهم قالوا بأن الذات قد وجدت بكل مكان
جعلوه في الآبار والأنجاس والخانات والخربات والقيعان

قال في « القاموس » الحان : الحانوت ، أو صاحبه ، وخان التجار معروف
قوله القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئة قد
انفرجت عليها الجبال والآكام ، جمع قيع وقبعة ، وقيعان بكسرهن ، أي :
أن الجهمية نزهوا الله عن أن يكون مستوياً على عرشه ، حذراً من أن
يكون محصوراً أو متحيزاً ، ثم قالوا : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ،
ولا متصل ولا منفصل ، فأوقعوا عليه صفة المعدوم .

قوله : لكننا قدماؤهم قالوا بأن الذات الخ أي : أن قدماء الجهمية
قالوا بأنه سبحانه موجود بكل مكان ، تعالى الله عن ذلك ، ولكن هذا
ليس قول الجهمية الأولين جميعهم ، فان هذا قول التجارية ، والضرارية ، كما
تقدم ذلك في أوائل هذا الشرح ، ففي كلامه مسأحة .

والقصد أنكم تحيزتم الى الآراء وهي كثيرة الهذيان
فقلونتم بكم فجتتم أنتم متلونين عجائب الالوان
وعرضتم قول الرسول على الذي قد قاله الاشياخ عرض وزان

وجعلتم أقدوالهم ميزان ما قد قاله والعدل في الميزان
أي : أن هذا ميزان عاثل جائر . قال في « القاموس » عال : جار
عن الحق والميزان ، نقص .

ووردتم سفلى المياه ولم نكن نرضى بذلك الورد للظمان
وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحن سرناني الطريق الأعظم السلطان
بنيات الطريق هي الطرق الصغار تشعب من الطريق الأعظم ثم ترجع اليه
وجعلتم ترس الكلام مجنة تبا لذلك الترس عند طعان
ورميتم أهل الحديث بأسمهم عن قوس موتور القواد جبان
فترسوا بالوحي والسنن التي تتلوه نعم الترس للشجعان
تقدم تفسير الترس .

قوله : موتور . هو اسم مفعول ، من وتره يتره . قال في « القاموس »
وتره يتره ، وترأ ، وتره ، والقوم جعل شفعم وترأ ، كما وترهم ،
والرجل أفرعه وأدركه بمكره ، ووتره ماله : نقصه لياه . انتهى .
قلت : ومنه الحديث « الذي تفوته صلاة العصر كأننا وتر أهله وماله »

هو ترسهم والله من عدوانكم والترس يوم البعث من نيران
أفتاركوه لفشركم ومحالكم لا كان ذاك بمنة الرحمن
ودعوتونا للذي قلتم به قلنا معاذ الله من خذلان
فاشد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتفاقم الأمران
وتأصلت تلك العداوة بيننا من يوم أمر الله للشيطان

بسجوده فعصى وعارض أمره بقياسه وبعقله الخوان
فأتى التلاميذ الوقاح - فعارضوا أخباره بالفشر والهديان
ومعارض للأمر مثل معارض الـ أخبارهم في كفرهم صنواف
من عارض المنصوص بالمعقول قد ما أخبرونا بأولي العرفان
أو ما عرفتم أنه القدري والجبري أيضاً ذاك في القرآن
إذ قال قد أغويتني وفتنتني لأزين لهم مدى الازمان
فاحتج بالمقدور ثم ابان أن الفعل منه بغية وزيان
فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب والميراث بالسهمان
فسألتكم بالله من ورائه مناومكم بعد ذا التبيان

حاصل كلام ناظم في هذه الأبيات ، أن أصل العداوة بيننا وبينكم
بامعشر من عارض أمر الله بقياسه وعقله ، من حين أمر الله إبليس بالسجود
لآدم فعصى وعارض أمر الله بالعقل والقياس ، وذلك فيما حكى الله
عنه ، وهو قوله : (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون)
الحجر : ٣٣ وقوله : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)
الأعراف : ١٢ يعني النار خير وأفضل من الطين ، فأنا خير من آدم ، فهذا
معارضة اللعين للأمر بالعقل والقياس .

وقوله : وأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره الخ . أي : ان النفاة
عارضوا الأخبار بالفشر والهديان ، وقالوا : العقل يعارض النقل ، والقواطع
تعارض الظواهر اللفظية ، والأدلة اللفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك

من الفسر والهديان ، وهذا معنى معارضتهم للخبر ، وهو معنى قول الناظم
ومعارض للأمر مثل معارض الاخبار الخ

قوله : من عارض المنصوص بالمعقول قدماً الخ . أي : أن إبليس حين
احتج بالقدر ، وهو قوله : (فيما أغويتني لأزوين لهم في الأرض ولأغوينهم
أجمعين) الجبر : ٣٩ فاحتج أولاً بالقدر والجبر ، وهو قوله : (فيما
أغويتني) ثم قال : (لأزوين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فتبعته
القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر ، وأنهم مجبورون على أفعالهم ، وتبعته
القدرية النفاة ، وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة في قوله : (لأزوين
لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر ، والقدرية
النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد ، فالطائفتان قد عارضتا المنصوص
بالمعقول ، وهذا معنى قول الناظم : فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب
كما هو ظاهر ، والله أعلم . وقد تقدم الكلام في مذهب أهل السنة والجماعة
في « خلق أفعال العباد » وفي رد مذهب الجبرية .

هذا الذي ألقى العداوة بيننا اذ ذاك واتصلت الى ذا الآن
اء لمتتم اصلاً وأصل خصمكم اصلاً فحين تقابل الاصلان
ظهر التباين فانتشت ما بيننا الحرب العوان وصيبح بالاقران
أصلتم رأي الرجال وخرصها من غير برهان ولا سلطان
هذا وكم رأي لهم فبرأي من نزل النصوص فأوصخوا ببيان
كل له رأي ومعقول له يدعو ويمنع أخذ رأي فلان

والخصم اصل محكم القرآن مع قول الرسول وفطرة الرحمن
وبني عليه فاعتلى بنيانه نحو السما أعظم بهذا البيان
وعلى شفا جرف بنيتم أنتم فأتت سيول الوحي والايمان
فعلت أساس بنائكم فتمددت تلك السقوف وخر للاركان
الله أكبر لو رأيتم ذلك السبنيان حين علا كمثل دخان
تسمو اليه نواظر من تحته وهو الوضع ولو يرى بعيان
فاصبر له وهناك ورد الطرف نلقاه قريباً في الحضيض الداني
ثم شرع الناظم رحمه الله في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفر ،
وأن الاثبات أساس العلم والايمان . فقال :

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايمان

من قال إن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم به قيام معان
كلا وليس الامر أيضاً قائماً بالرب بل من جملة الالكوان
أي : من قال : إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والأمر
هو المأمور ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك .
قوله : قيام معان ، هو بفتح الميم ، أي : قياماً معنوياً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

كلا وليس الله فوق عباده بل عرشه خلو من الرحمن
فثلاثة والله لا تبقي من الـ ايمان حبة خردل بوزان
وقداستراح معطل هذي الثلاث ث من الاله وجملة القرآن
ومن الرسول ودينه وشريعته الـ اسلام بل من جملة الاديان
قوله : خلو ، بكسر الحاء ، أي : خال .

قوله : هذي الثلاث ، وهن القول بأن فعله تعالى وأمره لا يقومان به ،
والقول بنفي الفوقية والعلو لا يبقي من الايمان حبة خردل .

وتمام ذاك ججوده لصفاته والذات دون الوصف ذوالبطلان
أي : وتمام ذاك ججود صفات الرب تعالى ، مع أن وجود ذات
بغير صفات باطل .

وتمام ذا الايمان إقرار الفتي بالله فاطر هذي الاكوان
فاذا أقربه وعطل كل مفروض ولم يتوق من عصيان
لم ينقص الايمان حبة خردل أنى وليس بقابل النقصان ؟!
هذا هو القول بالايمان ، هو التصديق والمعرفة ، كما هو قول الجهمية
والأشعري في المشهور من قوله ، وأنه لا يزيد ولا ينقص .

وتمام هذا قوله إن النبوة ليس وصفاً قام بالانسان
لكن تعلق ذلك المعنى القديم بواحد من جملة الانسان

هذا وما ذاك التعلق ثابتاً في خارج بل ذاك في الازهان
فتعلق الاقوال لا يعطي الذي وقفت عليه الكون في الأعيان
هذا اذا ما حصل المعنى الذي قلتم هو النفسي في البرهان
لكن جمهور الطوائف لم يروا ذا ممكناً بل ذاك ذو بطلان
ما قال هذا غيركم من سائر النظار في الآفاق والازمان
تسعون وجهاً بينت بطلانه لولا القريض لسقتها يوزان
أي : وتام هذا قوله : إن النبوة ليس وصفاً قام بالنبي ، وإن المعنى
القديم وهو المعنى النفسي ، تعلق به ، ومع ذلك ، فالتعلق ليس ثابتاً
في الخارج ، بل هو في الذهن ، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبتته الأشاعرة .
قوله : ما قال هذا غيركم الخ . أي : ما قال هذا القول أحد غيركم
معشر الأشعرية .

قوله : تسعون وجهاً الخ . هذه الأوجه ساقها شيخ الاسلام في رسالته
المعروفة « بالتسعينية »
قوله : لولا القريض . قال في « القاموس » قرضه يقرضه ، قطعه ، وجازاه
كقارضه ، والشعر قاله .

يا قوم أين الرب أين كلامه أين الرسول فأوضحوا ببيان
ما فوق عرش الرب من هو قائل طه ولا حرفاً من القرآن
ولقد شهدت ان هذا قولكم والله يشهد مع أولي الايمان
وارحمته لكم غبستم حظكم من كل معرفة ومن ايمان

ونسبتم للكفر أولى منكم بالله والايان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها فقد ارتضى بالجهل والخسران
وتمام هذا قولكم في مبدء ومعادنا أعني المعاد الثاني
هذا على قول مثبتي الجوهر الفرد ، وقد تكلموا في معاد الابدان
على هذا الاصل ، فمنهم من يقول : يفرق الاجزاء ثم يجمعها ، ومنهم من
يقول : يعدمها ثم يعيدها . واختلفوا ههنا فيما إذا أكل حيوان حيواناً ،
فكيف يعاد ؟ وادعى بعضهم أن الله يعدم أجزاء العالم ، ومنهم من يقول :
هذا لا يمكن أن يعلم ثبوته ولا انتفاؤه ، والمعاد عندهم يقتصر الى أن يبتدىء
هذي الجواهر ، والجهم بن صفوان منهم يقول : يعدمها بعد ذلك ، ويقول :
بقضاء الجنة والنار . وأبو الهذيل العلاف يقول : تعدم الحركات .
قال ابن العربي في « عقيدته الوسطى » اختلف أهل السنة في الاعادة
هل بالجمع والتفريق ، أو بعد محض العدم ؟ والحق التوقف ، وهو اختيار
امام الحرمين ، اذ كلاهما جائز عقلا في قدرته تعالى ، ولا قاطع في ذلك ،
فالأحوط التوقف . انتهى

وفي شرح الرسالة ، للشيخ أبي القاسم ابن ناجي . قال بعض الشيوخ : أجمع
أهل الحق على القول برد الجواهر بأعيانها ، وانما اختلفوا : هل عن عدم أو
تفريق ؟ قال أبو المعالي : لا دليل قاطع بأحدهما ، والظواهر تقتضي الاعدام
لا بالتفريق ، وعليه فترد بأعيانها ، وكون الابتداء والاعادة بالعلم والقدرة
والارادة . وأما إن قلنا بالتفريق لا بالاعدام ، فتجمع الجواهر ، ثم يخلق
تعالى فيها الصفات بأعيانها كما كانت أول مرة ، وكل ما هو ممكن ، فالقدرة
صالحة لا يقاها انتهى .

وقال شارح « المواقف » وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها ، أم
يفرقها ويعيد تأليفها ؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء ، فلا نجزم فيه نقياً
ولا إثباتاً ، لعدم الدليل على شيء من الطرفين ، وليس في قوله تعالى

(كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ دليل على الاعدام ، لأن التفريق هلاك كالأعدام ، فهلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف كذلك ، ومثله يسمى فناء عرفاً ، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى (كل من عليها فان) الرحمن : ٣٧ على الاعدام أيضاً ، والله تعالى أعلم . انتهى كلامه .

فهذا قول النفاة في المعاد ، أما قولهم في المبدأ ، فقد تقدم الكلام عليه ، والله أعلم .

وتمام هذا قولكم بفناء دا والخلد فالداران فانيتان
أي : إن الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار

يا قومنا بلغ الوجود بأسره الد نيامع الاخرى مع الايمان
والخلق والامر المنزل والجزا ء منازل الجنات والنيران
والناس قد ورثوه بعد فتنهم ذو السهم والسهمين والسهمان
بشس المورث والمورث والترا ث ثلاثة أهل لكل هوان
يا وارثين نبههم بشراكم ماراثكم مع إرثهم سيان
شتان بين الوارثين وبين مو روئيها وسهام ذي سهمان
يا قوم ماصح الأئمة جدهم بالجهم من أقطارها بأذان
الا لما عرفوه من أقواله وما لها بحقيقة العرفان
قول الرسول وقول جهم عندنا في قلب عبد ليس يجتمعان
نصحوكم والله جهد نصيحة مافيهم والله من خوات
فخذوا بهديهم فربي ضامن ورسوله أن تفعلوا بيجنان
أي : إن قول أهل النفي والتعطيل ، قد بلغت شئاعته الوجود بأسره

الدنيا والآخرة ، والخلق والأمر ، والجزاء ، والجنة ، والنار . وقد توارث الناس تلك الضلالات والشناعات ، فمنهم من ورث السهم ، ومنهم من ورث سيرة السهمين ، ومنهم من ورث السهمان .

قوله : والله ما صاح الأئمة جهدهم الخ . أي : ما كثر تشنيع الأئمة الكبار في جميع المدن والأقطار ، وتحذيرهم من جهنم وأقواله إلا لما عرفوا من مآلها المنافي للدين المبين للحق واليقين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فاذا أيتيم فالسلام على من اتبع الهدى وانقاد للقرآن
سيروا على نجب العزائم واجعلوا بظهورها المسرى الى الرحمن
سبق المفرد وهو ذا كر ربه في كل حال ليس ذا نسيان
يشير الى ما رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : حمدان
فقال : سيروا ، هذا حمدان ، سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون
يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » روي لفظ
(المفردون) من التفريد ، ومن الافراد ، والمشهور الذي قاله الجمهور هو التشديد

لكن أخا الغفلات منقطع به بين المفاوز تحت ذي الغيلان
صيد السباع وكل وحش كاسر بئس المضيف لأعجز الضيفان
قال في « القاموس » كسر الطائر كسراً وكسوراً : ضم جناحيه «
يريد الوقوع ، وعقاب كاسر .

وكذلك الشيطان يصطاد الذي لا يذكر الرحمن كل أوان
والذكر أنواع فأعلى نوعه ذكر الصفات لربنا المنان
وثبوتها أصل لهذا الذكر والثنائي لها داع إلى النسيان
فلذا كان خليفه الشيطان ذا لامرخباً بخليفة الشيطان
والذاكرون على مراتبهم فأعلامهم أولو الايمان والعرفان
بصفاته العلياء اذ قاموا بحمد الله في سر وفي إعلان
وأخص أهل الذكر بالرحمن أعلمهم بها هم صفوة الرحمن
وكذاك كان محمد وأبوه إبراهيم والمولود من عمران
وكذاك نوح وابن مريم عندنا هم خير خلق الله من انسان
لمعارف حصلت لهم بصفاته لم يؤتها أحد من الانسان
وهم أولو العزم الذين بسورة الاحزاب والشورى أتوا ببيان
وكذلك القرآن مملوء من الـ أوصاف وهي القصد بالقرآن
ليصير معروفاً لنا بصفاته ويصير مذكوراً لنا بجنان
ولسان ايضاً مع محبتنا له فلاجل ذا الاثبات في الايمان
مثل الأساس من البناء فمن يرم هدم الأساس فكيف بالبنان؟

يعنى الناظم رحمه الله تعالى ، أن الذكر أنواع . فأعلاها ذكر الصفات ،
وثبوت صفاته سبحانه أصل لهذا الذكر ، وثاني الصفات داع إلى نسيانها ،
وهو خليفة الشيطان ، والذاكرون على مراتب ، فأعلام أولو الايمان

والعرفان بصفاته سبحانه ، ولذلك قاموا بحمد الله في السر والاعلان ،
وأخص أهل الذكر بالله ، أعلمهم بصفاته ، ولذلك كان أولو العزم من
الرسل ، وهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة
والسلام ، هم خير خلق الله ، له معارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه ، بحيث
لم يؤثّر فيها غيرهم ، ولذلك القرآن مملوء بصفاته سبحانه ، وهي القصد بالقرآن ،
ليكون معروفاً لعباده بصفاته ، مذكوراً لهم بقلوبهم ، وهو معنى قوله :
مذكوراً لهم بجنان ، وهو القلب ، ونحو من هذا قول الناظم في المقدمة :
وليس حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ،
ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه ، والزلفى عنده ،
ولا سبيل إلى هذا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلمة كان العبد بها أعلم ، كان
بالله أعرف ، وله أطلب ، واليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ، كان بالله أجمل ،
والله أكره ، ومنه أبعد ... إلى آخر ما ذكره . قال الناظم رحمه الله تعالى
في كتاب « الكلم الطيب » المذكور نوعان . أحدهما : ذكر أسماء الرب وصفاته
والثناء عليه ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لا يليق به ، وهذا أيضاً نوعان . أحدهما :
إنشاء الثناء عليه بهما من الذاكِر ، وهذا النوع هو المذكور في الإخادِيث ،
نحو : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . سبحان الله وبحمده .
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء
قدير . ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو سبحان الله
عدد خلقه . فهذا أفضل من نحو : سبحان الله . وقولك : الحمد لله عدداً ما خلق في
السماء ، وعدداً ما خلق في الأرض ، وعدداً ما بينهما ، وعدت ما هو خالق .
أفضل من نحو قولك : الحمد لله . ولهذا جاء في حديث جويرية أن النبي ﷺ
قال لها : « لقد قلت بعدك أربع كلمات - ثلاث مرات - ، لو وزنت بما قلت

اليوم لوزنتهن ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم . وفي الترمذي و « سنن أبي داود » عن سعد ابن أبي وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك »

النوع الثاني : الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحمهم من آبائهم ذاماتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحلته ، ونحو ذلك . وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى عليه رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع : حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد : الاخبار عنه بصفات كماله ، مع محبته والرضى عنه ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً ، حتى يجتمع له المحبة والثناء ، فإن كرر الحمد شيئاً بعد شيء ، كان ثناء ، وإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك ، كان مجداً . وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة ، فاذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) قال حمدي عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثني علي عبدي ، وإذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدي عبدي .

والنوع الثاني من الذكر ، ذكر أمره ونهيه وأحكامه ، وهذا أيضاً
نوعان : إلى آخر كلامه ، وهو كلام نفيس .

قوله : أولو العزم الذين يسورة (الاحزاب) و (الشورى) قال
تعالى في سورة الاحزاب ٧ : (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)
وفي سورة الشورى : ١٣ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ...) الآية .

قوله : فلأجل ذا الاثبات في الايمان مثل الاساس من البناء ، يعني أن
« الاثبات في الايمان مثل الأساس مع البناء ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى :
« الاثبات أمكن ، نقله عنه الخطابي .

والله ما قام البناء لدين رسول الله بالتعطيل للديان
ما قام الا بالصفات مفصلاً اثباتها تفصيل ذي عرفان
فهي الاساس لديننا ولكل دين قبله من سائر الايات
وكذا كزندقة العباد أساسها التمتعيل يشهد ذا اولو العرفان
والله ما في الأرض زندقة بدت الا من التمتعيل والسكران
والله ما في الأرض زندقة بدت من جانب الاثبات والقرآن
هذي زنادقة العباد جميعهم ومصنفاتهم بكل مكان
ما فيهم أحد يقول الله فو ق العرش مستول على الاكوان
ويقول ان الله جل جلاله متكلم بالوحي والقرآن

ويقول ان الله كلم عبده موسى فأسمعه بذى الآذان
ويقول ان النقل غير معارض للعقل بل أمران متفقان
والنقل جاء بما يحار العقل فيه لا المحال اليين البطلان
فانظر الى الجهمي كيف أتى الى أس الهدى ومعاقل الايمان
بمعاول التعطيل يقطعها فما يبقى على التعطيل من ايمان
يدري بهذا عارف بما أخذ الـ أفوال مضطلع بهذا الشأن
والله لو حدثتم لرأيتم هذا وأعظم منه رأي عيان
لكن على تلك العيوز غشاوة ماحيلة الكحال في العميان

أقسم الناظم رحمه الله في البيت الذي أوله : والله ما قام الأساس لدين
رسل الله الخ . . إن دين الرسل عليهم السلام ما قام بالتعطيل ، وإنه ما قام
إلا بآثبات الصفات مفصلة ، ثم أخبر أن زنادقة العباد أساسها التعطيل ، فانظر
زنادقة العباد ومصنفاتهم بكل مكان ، فانه ليس فيهم من يثبت علو الله تعالى
على خلقه ، أو يقول : ان الله سبحانه متكلم بالوحي والقرآن ، وإن الله كلم
عبده موسى فأسمعه النداء .

قوله : ويقول : إن النقل غير معارض للعقل الخ . أي : إن المعطلة
تقول : إن العقل يعارض النقل ، وحاشا من ذلك ، لكن النقل جاء بمحارات
العقول ، أي : بما تحير فيه العقول . وأما أن النقل يجيء بالحال الباطل ، فكلاهما
ومعاذ الله .

فصل

في بَهِتِ أَهْلَ الشَّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِبْطَاتِ بِتَنْقِيصِ
الرَّسُولِ ﷺ

قَالُوا تَنْقُصْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَاعْجَبُوا لِهَذَا الْبَغْيِ وَالْبَهْتَانِ
عَزَلُوهُ أَنْ يَحْتَجَّ قَطُّ بِقَوْلِهِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
عَزَلُوا كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولَهُ عَنْ ذَلِكَ عِزْلًا لَيْسَ ذَا كِتْمَانٍ
جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْكُفْرِ الصَّرِيحِ الْبَيْنِ الْبَطْلَانِ
قَالُوا وَظَاهِرَهُ هُوَ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّمْثِيلِ حَاشَا ظَاهِرَ الْقُرْآنِ
مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ الْإِخْبَارِ وَالْفَرْقَانِ
فَهُوَ الْمَشَبَّهِ وَالْمُمَثَّلُ وَالْمَجْسَمُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنُ
تَاللَّهِ قَدْ مَسَخَتْ عُقُولُكُمْ فُلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا قَطُّ مِنْ نَقْصَانٍ
وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجَنَدَهُ بِمَصَابِكُمْ يَافِرَقَةُ الْبَهْتَانِ
وَجَعَلْتُمْ التَّنْقِيسَ عَيْنَ وَفَاقِهِ أَذِلُّهُ يُوَافِقُ ذَلِكَ رَأْيِي فَلَا
أَنْتُمْ تَنْقُصْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْقُرْآنَ وَالْمُبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ
نَزَهْتُمُوهُ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
وَجَعَلْتُمْ ذَا كُلِّ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّجْسِيمِ ذَا الْبَطْلَانِ

وكلامكم فيه الشفاء وغاية التحقيق يا عجباً لذا الخذلان
جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما فيها من الأخبار والقرآن
وكلامه لا يستفاد به اليقين لأجل ذا لا يقبل الخصمان
تحكيمه عند اختلافهما بل المعقول ثم المنطق اليونان
أي التنقص بعد ذا لولا الوقاحة والجراءة يأولي العدوان

معنى كلامه في هذه الآيات أن أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما
جردوا التوحيد ، والمتابعة ، وأفردوا الله تعالى بجميع أنواع العبادة خوفاً ،
ورجاء ، وتوكلاً ، وخشية ، وقالوا : لا يجوز صرف العبادة ولا شيء منها
لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وقد مواءموا أقوال الرسول على غيره ، فلأجل ذلك رموهم
بتنقص الرسول ، والمعطلة مع ذلك قد تنقصوا الله تعالى ورسوله وكتابه ، أما تنقصهم
الله تعالى ، فانهم سلبوه صفات كماله ، ونزوهه عن الكلام والفوقية ، وجعلوا ذلك تشبيهاً
وتجسيماً ، وأما تنقصهم الرسول ، فانهم عزلوه أن يحتج بقوله في العلم بالله ، وأما تنقصهم
القرآن ، فانه عندهم لا يفيد اليقين ، اذ هو أدلة لفظية عارضتها القواطع العقلية
بزعمهم ، وأن القرآن لا يحكم عند الاختلاف ، وإنما يرجع الى العقول والمنطق ،
وأما أهل الاثبات ، فانهم حكموا الرسول ﷺ وما جاء به في الدق والجل ،
ولهذا قال : أي التنقص بعد ذا لولا الوقاحة والجراءة الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يا من له عقل ونور قد غدا يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان

الرب رب والرسول فعبده حقاً وليس لنا إله ثان
 فلذلك لم نعبد مثل عبادة الرحمن فعل المشرك النصراني
 كلا ولم نغلو الغلو كما نهى عنه الرسول محافة الكفران
 لله حق لا يكون لغيره ولعبدته حق هما حقان
 لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان
 فالجج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
 وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا مثاب العبد من عصيان
 وكذا التوكل والابانة والتقوى وكذا الرجاء وخشية الرحمن
 وكذا العبادة واستعانتنا به اياك نعبد ذاك توحيدان
 وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركبان
 وكذلك التسييح والتكبير والتهليل حق إلهنا الديان
 لكننا التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن
 والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
 هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجعلوها يا أولي العدوان
 حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
 من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السبيان
 ورسوله فهو المطاع وقوله المسموع إذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الحتم لا تخيير فـيـه عند ذي عقل وذو إيمان .
من قال قولاً غيره قمنا على أقواله بالسير والميزان
إن وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان .
أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالي على أمر الوزى وأمر ذي السلطان
وهم المقدم في محبتنا على أهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمها الجنيات

شرع الناظم رحمه الله في بيان الحقوق التي لله ورسوله ، فذكر أن حق الله سبحانه ، هو عبادته بأمره ، لا بهوى النفس ، وذلك ، كالج والصلاة ،
والذبح ، والعبود ، والنذر ، واليمين ، والتوبة ، والتوكل ، والابانة ،
والتقى ، والرجاء ، والخشية ، والاستعانة ، والتكبير ، والتهليل ، ونحوها ،
فكل هذا حق لله ، لا يشركه فيه غيره ، لأمك مقرب ، ولا نبي مرسل .
وأما المختص بالرسول ﷺ ، فهو التعزير ، والتوقير ، كما في قوله تعالى
(لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) الفتح : ٩ وأما الحب والإيمان
والتصديق ، فهي مشتركة بين الله ورسوله ، فقد وضحت الحقوق الثلاثة ،
وهذا معنى قوله : هذي تفاصيل الحقوق الثلاثة الخ .

قوله : ورسوله فهو المطاع وقوله الخ . يدل على هذا قوله تعالى (فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) النساء : ٦٥ الآية

قوله : فهو المقدم في محبتنا الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . قول عمر رضي الله عنه : يا رسول الله لأنت أحب الي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك » فقال عمر : إنك الآن أحب الي من نفسي . فقال « الآن يا عمر » رواه البخاري .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا قول أعداء المسيح من النصارى عابدي الصليبان
انا تنقصنا المسيح بقولنا عبد وذلك غاية النقائص
لو قلتم ولد إله خالق وفيتموه حقه بوزان
وكذاك أشباه النصارى مذغلوا في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحاب والاخوان

أي : ونظير غلوهم في الرسول ﷺ غلو عباد الصليب من النصارى في المسيح ، لما قال لهم النبي ﷺ : « ان المسيح عبد » فقالوا له : تنقصت المسيح وعبته ، وقد تقدم من كلام الناظم في « شرح منازل السائرين » ما يتضح به في معنى هذه الأبيات في الفصل الذي أوله : والترك فاحذره فترك ظاهر الخ .

فانظر الى تبديليهم توحيدهم بالترك والإيمان بالكفران
وانظر الى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن
واجمع مقالاتهم وما قد قاله واستدع بالنقاد والوزان
عقل وفطرتك السليمة ثم زن هذا وذا لاتطغ في الميزان

فهنالك تعلم أي حزيننا هو الـممتنقص المنقوص ذو العدون
رامي البريء بدائه ومصابه فعل المباغت أوقح الحيوان
كمعيّر للناس بالزغل الذي هو ضربه فاعجب لذا البهتان
الزغل بفتح الزاي

يافرقة التنقيص بل ياأمة السدعوى بلا علم ولا عرفان
والله ما قدمتم يوماً مقبلاً لته على التقليد للانسان
والله ما قال الشيوخ وقال إلا كنتم معهم بلا كتمان
والله أغلاط الشيوخ لديكم عين الصواب ومقتضى البرهان
ولذا قضيتم بالذي حكمت به جهلاً على الاخبار والقرآن
والله انهم لديكم مثل معصوم وهذا غاية الطغيان
تباً لكم ماذا النقص بعد ذا لو تعرفون العدل من نقصان
والله ما يرضيه جعلكم له ترساً لشرككم وللعدون
وكذاك جعلكم المشايخ جنة لخلافه والقصد ذو تبيان
والله يشهد ذا بجذر قلوبكم وكذاك يشهد أولو الإيمان

قوله : بجذر قلوبكم النخ . الجذر بالذال المعجمة . قال في « مختار الصحيح »
جذر كل شيء أصله ، بفتح الجيم عن الاصمعي ، وبكسرهما عن أبي عمرو . وفي
الحديث : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال » .

والله ما عظمتوه طاعة ومحبة يا فرقة العصيان
أنى وجهكم به وبدينه وخلافكم للوحي معلومان؟
أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان
خالقتم قول الشيوخ وقوله ففعدا لكم خلفان متفقان

أي : إنكم معاشر النفاة خالفتم قول الرسول ﷺ ، وخالفتم أقوال
الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى ، فانهم أوصوكم ، بخلاف أقوالهم اذا خالفت قول
الرسول ﷺ كما قد تقدم بعض أقوالهم ، فخالقتم الرسول ﷺ ، وخالفتم الأئمة في ترك
أقوالهم اذا خالفت أقواله ، وهذا معنى قول الناظم : ففعدا لكم خلفان متفقان ،
وهما خلاف قول الرسول ﷺ ، وخلاف قول الأئمة رضي الله عنهم .

والله أمركم عجب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتمعان؟!
كفرتم من جرد التوحيد جهلا منكم بحقائق الإيمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبسودع المضلة في رضى الشيطان
والله لم ينقص دسوى التجريد للتوحيد ذاك وصية الرحمن
ورضى رسول الله منا لا غلوا لشرك أصل عبادة الأوثان
والله لو رضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا الى الازعان
والله لو رضى الرسول سجودنا كنا نخر له على الأذقان
والله ما يرضيه منا غير اخلاص وتحكيم لذا القرآن

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعل النصارى عابدي الصليبان
ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
قوله : ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه الخ . يشير الى قوله ﷺ
« لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله
ورسوله » متفق عليه (١) .

قوله : ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً الخ . يشير الى حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا
تجعلوا قبوري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه
أبو داود باسناد حسن ، ورواته ثقات . وعن علي بن الحسين رضي الله عنه
أنه رأى رجلاً يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ،
فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ
قال « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فإن تسليمكم يبلغني أين
كنتم » رواه في « المختارة » ورواه أبو يعلى ، والقاضي اسماعيل . وقال سعيد
ابن منصور في « سننه » : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سبيل ابن أبي
صالح ، قال : رأيته الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم
عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم الى العشاء .
فقلت : لا أريده . فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي
ﷺ ، فقال : اذا دخلت المسجد ، فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ

(١) كذا في الأصل : متفق عليه ، ولم يروه مسلم ، فهو من رواية البخاري وحده
ورواه الترمذي ، والدارمي ، والطيالسي ، وأحمد .

قال : « لاتتخذوا قبوري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حينما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . وقال سعيد أيضاً : حدثنا حبان بن علي ، ثنا محمد بن عجلان ، عن أبي سعيد مولى المهري قال : قال رسول الله ﷺ « لاتتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني » قال شيخ الاسلام : فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين ، يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله ، وذلك يقتضي ثبوته عنده ، هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين ، فكيف وقد تقدم مسنداً .

وقال أيضاً : فانظر الى هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ، لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم ، فكأوا له أضبط . انتهى .

قوله : ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه الخ . قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعوا حيطاناً ترتبه ، وسدوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ، إذ كان مستقبل المصلين ، فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى النقيصا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . انتهى . وهذا معنى قول الناظم : حتي اغتدت أرجاؤه بدعائه الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واقعد غدا عند الوفاة مصرحاً باللعن يصرخ فيهم بأذان

وعنى الألى جعلوا القبور مساجداً وهم اليهود وعابدو الصلبان

والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان

قصدوا الى تسنيم حجرته ليمستنع السجود له على الأذقان

قصدوا موافقة الرسول وقصدوا التجريد للتوحيد للرحمن

قوله : ولقد غدا عند الوفاة الخ . يشير الى حديث عائشة رضي الله عنها

قالت : لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق طفق خميسة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه .

قولها : غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . روي بفتح الحاء ، وضمها ، فعلى الفتح هو الذي خشي ذلك ﷺ ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة ، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة . غلوا وتعظيماً بما أبدى وأعاد من النهي عنه ، والتحذير منه ، ولعن فاعله .

قوله : قصدوا الى تسنيم حجرته الخ . تقدم كلام القرطبي رحمه الله .

تعالى في ذلك . ولعل الناظم أخذ هذا المعنى من كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يا فرقة جهلت نصوص نبهم وقصوده وحقيقة الإيمان

فسطوا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان

لا تعجلوا وتبينوا وتثبتوا فصابكم ما فيه من جيران

قلنا الذي قال الأئمة قبلنا وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الرحمن واجبة على الأعيان
ورحلتنا شدت إليه من بقا ع الأرض قاصيها كذاك الداني
من لم يزر بيت الإله فماله من حجه سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحلتنا للمسجد النبوي خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الإطلاق فيه الخلف عند الناس منذ زمان
ونراه عند النذر فرضاً لكن النعمان يأبى ذا وللنعمان
أصل هو النافي الوجوب فانه ما جنسه فرض على الانسان
ولنا براهين تدل بأنه بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل ناظر طاعة بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا ما خلا ذا الحجر والأركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة في أجرها والفضل للنعمان
فاذا أتينا المسجد النبوي صلينا التحية أولاً ثنتان
بتام اركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم اثنتينا للزيارة نقصد القبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذل في السر والاعلان
فكأنه في القبر حي ناطق فالواقفون نواكس الاذقان

ملكتم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وأنتى المسلم بالسلام بهيمة ووقار ذي علم وذو إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أسـبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم انتشى بدعائه متوجهاً لله نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسكاً بشريعة الاسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزياره وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحق الذي جاءت به سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر سوى السـبـدع المضلة يا أولي العدوان
وحديث شد الرحل نص ثابت يجب المصير اليه بالبرهان

مراد الناظم رحمه الله انا قلنا بما قالت به الأئمة قبلنا ، ودلت عليه النصوص ،
فذكر أن حج البيت فريضة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام .
قوله : ورحالنا شئت اليه الخ . يشير الى الحديث المتفق عليه من حديث
أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... » الحديث
وكذا نشد رحالنا للمسجد النبوي الخ . أقول :

قوله هذه مسألة الزيارة ، وهي التي أفتى فيها شيخ الاسلام ، وحبس
بسببها حتي مات في الحبس ، ولنذكر جوابه في المسألة ، وذلك أنه سئل عن
رجل نوى زيارة قبر نبي من الأنبياء عليهم السلام ، مثل نبينا ﷺ وغيره ،

فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هي زيارة شرعية ، أم لا ؟
وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال « من حج فلم يزرني فقد جفاني » و« من
زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » وقد روي عنه أنه قال : « لا تشد
الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ،
ومسجدي هذا » .

أجاب الشيخ رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد
زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له القصر ؟ على قولين ، أحدهما
وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية ، كأبي
عبد الله ابن بطة ، وأبي الوفاء ابن عقيل ، وطوائف كثيرة من العلماء
المتقدمين أنه لا يجوز القصر في هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه . ومذهب
مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر
فيه ، والقول الثاني أنه يقصر ؛ وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم ،
كأبي حنيفة ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ، بمن
يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي
الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون :
إن هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله ﷺ « زوروا القبور » وقد يحتاج
بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ،
كقوله « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ،
وابن ماجه . وأما ما يذكره بعض الناس من قوله « من حج فلم يزرني فقد
جفاني » فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله « من زارني وزار
أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » فان هذا أيضاً باطل باتفاق
العلماء ، لم يروه أحد ، ولم يحتاج به أحد ، وانما يحتاج بعضهم بحديث الدارقطني

ونحوه ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور ، بأن النبي ﷺ كان يزور مسجد قباء ، وأجاب عن حديث « لا تشد الرحال .. » بأن ذلك محمول على نقي الاستحباب . وأما الأولون ، فانهم يحتجون بما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » - المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » وهذا الحديث انفق العلماء على صحته ، والعمل به ، فلو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه ، أو يسافر اليه ، غير هذه الثلاثة ، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي المسجد الحرام لحج أو عمرة ، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى ، لصلاة أو اعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قولي ، وأحمد ، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع . أما الجمهور ، فانهم يوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه .. » الحديث . رواه البخاري .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليها إذا نذره ، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في « الصحيح » من « تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه ، كان كعمرة » قالوا : ولأن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحباها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها ، فهذا مخالف للسنة واجماع الأمة ، وهذا بما ذكره أبو عبد الله ابن بطّة في « الابانة الصغرى » -

من البدع المخالفة للسنة ، والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد المقدسي ، فان زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يعلم لهم أن السفر اليه لا يجب بالنذر .

وقوله : إن قوله : « لاتشد الرحال » محمول على نفي الاستحباب .
يجاب عنه من وجهين : أحدهما : أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قرينة وطاعة ، ومن انتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وأنه قرينة وطاعة ، فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لا اعتقاد أنها طاعة ، فذلك محرم باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قرينة . ومعلوم أن أحداً لا يسافر اليها الا لذلك . وأما اذا قدر أن شد الرحل اليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

الوجه الثاني : أن الحديث يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ ، فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة منها بشيء ، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ، كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، مشروعاً ، أو مأثوراً عن النبي ﷺ ، لم يكرهه عالم المدينة . والإمام أحمد رضي الله عنه أعلم الناس في زمانه بالسنة ، لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك ، إلا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي بروحي حتى أرد عليه السلام » وعلى هذا اعتمد أبو داود في « سننه » . وكذلك مالك في « الموطأ » روى عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك

يأبى ، ثم ينصرف . وفي « سنن أبي داود » عن النبي ﷺ أنه قال :
« لا تتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني » . وفي
« سنن سعيد بن منصور » عن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب أنه رأى
رجلاً يختلف إلى قبر النبي ﷺ ، ويدعو عنده . فقال : يا هذا ، إن رسول
الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ؛ فإن
صلاتكم تبلغني » . فما أنت ورجل بالأندلس منه الاسواء ، وكان الصحابة
والتابعون ، لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمن الوليد
ابن عبد الملك لا يدخل عنده أحد ، لا صلاة هناك ، ولا مسح قبر ، ولا دعاء ،
بل هذا إنما كانوا يفعلونه في المسجد . وكان السلف من الصحابة والتابعين
إذا سلموا عليه ، وزادوا الدعاء ، دعوا مستقبلي القبلة ، ولم يستقبلوا القبر .
وأما الوقوف للسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه . فقال أبو حنيفة : يستقبل
القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر . وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند السلام
خاصة ، ولا يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة
تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر
عند الدعاء . واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي ﷺ ، ولا يقبله ،
وهذا كله محافظة على التوحيد ، فإن من أصول الشرك بالله سبحانه ، اتخاذ
القبور مساجد ، كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالوا لا تذرنا
آلهتنا ولا تذرنا وذراً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) نوح : ٢٣
وقالوا : هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا ، عكفوا على
قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدهوها .
وقد ذكر هذا المعنى البخاري في « صحيحه » عن ابن عباس ، وذكره محمد
ابن جرير الطبري وغيره في التفسير ، عن غير واحد من السلف ، وذكره

وثيمة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق . وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع . وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد أهل البدع الرافضة ، ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، ويعبد فيها وحده لا شريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً ، فإن الكتاب والسنة إنما فيها ذكر المساجد لا المشاهد . كما قال الله تعالى : (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الأعراف : ٣٩ وغير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم . انتهى .

واعلم أن من أدلة المجوزين لشدة الرحل إلى ما ذكره التقي السبكي في كتابه « شفاء السقام » من الأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله عليه السلام « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني . وفي رواية « حلت له شفاعتي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءني زائراً لا بعمله حاجة الا زيارتي ، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني . وقوله ﷺ « من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي » كتب له حجتان مبرورتان » رواه ابن عباس . وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ، والحديث الذي روي « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عمر ، وأطنب السبكي في الأدلة . وقد أجاب المانعون عن جميع ذلك ، كما قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه الذي سماه « الصارم المنكي في الرد على السبكي » مانصه : أما بعد ، فاني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال ، واعمال المطي إلى القبور ، وذكر

أنه سماه « شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة » ثم زعم أنه اختار أن يسميه « شفاء السقام في زياره خير الأنام » فوجدته كتاباً مشتلاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة ، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة ، والآثار القوية المقبولة ، أو تحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة ، ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلاً بمارياً ، معجباً برأيه ، متبعاً لهواه ، ذاهباً في كثير مما يعتقد به إلى الأقوال الشاذة ، والآراء الساقطة ، صائراً في أشياء مما يعتمد به ، إلى الشبه الخييلة ، والحجج الداحضة ، وربما خرق الإجماع في مواضع لم يسبق إليها ، ولم يوافق أحد من الأئمة عليها ، وهو في الجملة لون عجيب ، ونبأ غريب ، تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين ، فيكون مخطئاً في ذلك الاجتهاد ، ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه أنه من جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئاً في ذلك الاعتقاد ، ونسأل الله سبحانه أن يلهمنا رشدنا ، ويرزقنا الهداية والسداد ، هذا مع أنه إن ذكر حديثاً مرفوعاً أو أثراً موقوفاً وهو غير ثابت ، قبله إذا كان موافقاً لهواه ، وإن كان ثابتاً رده ، إما بتأويل أو غيره إذا كان مخالفاً لهواه . وإن نقل عن بعض الأئمة الأعلام كمالك أو غيره ما يوافق رأيه ، قبله ، وإن كان مطعوناً فيه غير صحيح عنه . وإن كان مما يخالف رأيه ، رده ولم يقبله وإن كان صحيحاً ثابتاً عنه ، وإن حكى شيئاً مما يتعلق بالكلام على الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل ، كالامام أحمد بن حنبل ، وأبي حاتم الرازي ، وأبي حاتم ابن حبان البستي ، وأبي جعفر العقيلي ، وأبي أحمد ابن عدي ، وأبي عبد الله الحاكم صاحب « المستدرک » وأبي بكر البيهقي وغيرهم من

الحفاظ وكان مخالفاً لما ذهب اليه ، لم يقبل قوله ، وردده عليه ، وناقشه فيه
وان كان ذلك الامام قد أصاب في ذلك القول ، ووافقه غيره من الأئمة
عليه ، وإن كان موافقاً لما صار اليه ، تلقاه بالقبول ، واحتج به ، واعتمد
عليه ، وإن كان ذلك الامام قد خولف في ذلك القول ولم يتابعه غيره من
الأئمة عليه ، وهذا هو عين الجور والظلم ، وعدم القيام بالقسط . نسأل الله
تعالى التوفيق ، ونعوذ به من الخذلان ، واتباع الهوى . هذا مع أنه حمله
بعجابه برأيه ، وغلبة اتباع هواه ، على أن نسب سوء الفهم والغلط في النقل
الى جماعة من العلماء الأعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم
وتحقيق معرفة الأحكام ، حتى زعم أن مانقله الشيخ أبو زكريا النووي
في « شرح مسلم » عن الشيخ أبي محمد الجويني ، من النهي عن شد الرحال
والعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، كالذهاب الى قبور الأنبياء والصالحين ،
والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك ، هو بما غلط فيه الشيخ أبي محمد ، أو
أن ذلك بما وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال : ولو قاله هو ، يعني
الشيخ أبا محمد ، أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط ، لحكمنا بغلظه ، وأنه لم
يفهم مقصود الحديث ، فانظر الى كلام هذا المعترض المتضمن لرد النقل
الصحيح بالرأي الفاسد ، واجمع بينه وبين ما حكاه عن شيخ الاسلام من
« الافتراء العظيم ، والافك المبين ، والكذب الصراح ، وهو مانقله عنه من
أنه جعل زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور سائر الانبياء عليهم السلام ، معصية
بالاجماع ، مقطوعاً بها ، هكذا ذكر هذا المعترض عن بعض قضاة الشافعية
عن الشيخ أنه قال هذا القول الذي لا يشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه
أنه كذب مفترى ، لم يقله قط ، ولا يوجد في شيء من كتبه ، ولأول
كلامه عليه ، بل كتبه كلها ، ومناسكه ، وفتاويه ، وأقواله ، وأفعاله

تشهد بطلان هذا النقل عنه ، ومن له أدنى علم وبصيرة ، يقطع بأن هذا مفتعل مختلق على الشيخ ، وأنه لم يقله قط . وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات : ٦ . وهذا المعارض يعلم أن ما نقله عن القاضي المشهور بما لا أحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام ، كذب ! مفترى ، لا يرتاب في ذلك ، ولكن يطفف ويداهن ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه . ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام مدة كثيرة ، ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب ، ويحظى لديه ، فخاب أملة ، ولم يتفق عنده ، وقد كان هذا القاضي الذي جمع المعارض كتابه لأجله من أعداء الشيخ المشهورين . وقد زعم هذا المعارض أيضاً مع هذا الأمر الفظيع الذي ارتكبه من التكذيب بالصدق ، والتصديق بالكذب ، أن الفتاوي المشهورة التي أجاب بها علماء اهل بغداد ، موافقة للشيخ ، مختلفة موضوعة ، وضعا بعض الشياطين ، هكذا زعم ، مع علم العام والخاص بأن هذه الفتاوي بما شاع خبرها وذاع ، واشتهر امرها وانتشر ، وهي صحيحة ثابتة متواترة عن أفتى بها من العلماء ، وقد رأيت أنا وغيري خطوطهم بها... الى ان قال : وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعارض ، أن شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ، لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ، ولم ينه عنها ، ولم يكرهها ، بل استحباها ، وحض عليها ، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور .

قال رحمه الله تعالى في بعض مناسكه : باب زيارة قبر النبي ﷺ
إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده ، فليقبل ماتقدم ، فاذا

دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد ، فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى ، وقال : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك . ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي ﷺ ، فيستقبل جدار القبر ، ولا يمسه ، ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ، ليكون قائماً وجاه النبي ﷺ ، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون ، منكسر الرأس ، غاض الطرف ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فبجزاك الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته ، اللهم آت الرسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعده ، يغطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرة ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه هسرباً رويلاً لانظماً بعده أبداً . ثم يأتي إنا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيقول : السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا عمر الفاروق ، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله تعالى عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيراً ، سلام عليكم بما صبرتم فنعهم عقبى الدار .

قال : ويزور قبور أهل البقيع ، وقبور الشهداء إن أمكن . هذا كلام الشيخ بحروفه ، وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور ، ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع ، ولا ذكر في ذلك خلافاً ، الا نقلاً غريباً ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم في مسألة شد الرحال واعمال المطي الى مجرد زيارة القبور ، وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين : أحدهما : القول بإباحة ذلك ، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي ، وأحمد . والثاني : أنه منهي عنه ، كما نص عليه إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولم ينقل عن الأئمة الثلاثة خلافة ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد . هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحال واعمال المطي الى القبور ، ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل ، واعمال مطي ، والسفر الى زيارة القبور مسألة ، وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى ، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألة واحدة ، وحكم عليها بحكم واحد ، وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما ، وبالغ في التنفير عنه ، فقد حرم التوفيق ، وحاد عن سواء الطريق . واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحل بالحديث المشهور المتفق على صحته ، من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، بحديث « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » هذا هو الذي نقله الشيخ رحمه الله تعالى ، حكى الخلاف في مسألة بين العلماء ، واحتج لأحد القولين بحديث متفق على صحته ، فأى عتب عليه في ذلك ؟ ! ولكن نعوذ بالله تعالى من الحسد ، والبغي ، واتباع الهوى ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا واخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من العمل الصالح ، والقول الجميل ، فإنه يقول الحق ويهدي السبيل . انتهى .

وهذا الذي ذكرناه شرح لما تضمنته هذه الأبيات التي تقدمت والله أعلم .
قوله : من بعد مكة أو على الإطلاق الخ . هذه المسألة فيها خلاف مشهور بين العلماء فذهب أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين ، إلى أن مكة أفضل ؛ وذهب مالك إلى أن المدينة أفضل ، وهو الرواية الثانية عن أحمد ، واحتج من فضل مكة بما رواه عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزرة في سوق مكة « والله أنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومى أخرجنى منك ما خرجت » رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح . واحتجوا أيضاً بأن مضاعفة الصلاة فيها أكثر . وأما الحديث المروي « اللهم لمنهم أخرجنى من أحب البقاع إلى ؛ فأسكنى أحب البقاع إليك » فهو حديث لا يعرف .

قال شيخ الاسلام : هو حديث موضوع كذب ، لم يروه أحد من أهل العلم .

واحتج من فضل المدينة بأخبار صحيحة تدل على فضلها ، لا على فضلها على مكة ، والله أعلم .

وقول الناظم رحمه الله : ونراه عند النذر فرضاً الخ . . اعلم أن العلماء اختلفوا فيمن نذر طاعة بشرط يرجوه ؛ كأن شفى الله مريضاً فعلي أن أتصدق بكذا ، ونحو ذلك ، فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب الوفاء بكل طاعة . وحكي عن أبي حنيفة أنه لا يجب الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم . أما ما ليس كذلك ، كالاعتكاف ، فلا يوجب الوفاء به . وحجة الجمهور قوله ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه » رواه البخاري . والله أعلم .

فصل

في تعيين ان اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران

يا من يريد نجاته يوم الحسا ب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأقوال والأعمال لا تخرج عن القرآن
وخذا الصحيحين اللذين هما العقيد الدين والإيمان واسطتان
واقراهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان
واجعلهما حكماً ولا تحكم على ما فيها أصلاً بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الأشياء تنصرها بكل أو ان
وانصر مقالته كنصرك للذي قلده من غير ما برهان
قدر رسول الله عندك وحده والقول منه اليك ذو تبيان
ماذا ترى فرضاً عليك معيناً ان كنت ذا عقل وذا إيمان
عرض الذي قالوا على أقواله أو عكس ذلك فذلك الامران
هي مفرق الطرقات بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان
قدر مقالات العباد جميعهم عدماً وراجع مطلع الإيمان
واجعل جلوسك بين صحب محمد وتلق معهم غنه بالإحسان

وتلق عنهم ماتلقوه هم عنه من الإيمان والعرفان
أفليس في هذا بلاغ مسافر يبغي الإله وجنة الحيوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الوصية بما ينجي يوم الحساب من العذاب والنار ، وبين أن ذلك يكون باتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال ، كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران : ٣١ ثم حث على لزوم « الصحيحين » أي : « صحيح البخاري » و « مسلم » واتخاذهما حكماً ، فيحكم بهما ، ولا يحكم عليهما ، وذلك بعد أن تتجرد من الهوى والتعصب والحمية . قال : واجعل مقالته كبعض مقالات الأشياخ ، أي : اجعل مقالته ^{صلى الله عليه وسلم} كبعض مقالات الأشياخ التي ينصرها المقلدون بكل أوان ، وكنصرك للذي قلده من غير برهان ، الذي غاية أقواله أن تكون سائغة الاتباع . وأما أقوال الرسول ﷺ ، فهي واجبة الاتباع ، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . . .) الآية النساء : ٦٥ . ثم قال : قدر رسول الله عندك وأنت تسمع كلامه منه بلا واسطة ، فهل ترى فرضاً عليك عرض أقواله على أقوال من قلده ، أو عكس ذلك ؟ أي : عرض أقوالهم على أقواله ، وهذان الأمران هما مفروق الطرق بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان .

قوله : قدر مقالات العباد جميعهم عدماً الخ . أي : قدر عدم مقالات العباد ، ثم راجع مطلع الايمان ، أي : الكتاب والسنة ، وقدر نفسك جالساً بين صحب محمد ﷺ وأنت تسمع منه ، فإذا كان فرض عليك اتباع ما جاء به ﷺ ، وعرض كلام الناس على كلامه لو كنت حاضراً بين يديه ، فما الذي أسقط هذا الفرض عنك وأنت تسمع كتابه الذي جاء به ، وسنته الصحيحة الصريحة غضة طارية :

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لولا التنافس بين هذا الخلق ما كان التفرق قط في الحسابات
فالرب رب واحد وكتابه حق وفهم الحق منه داف
ورسوله قد أوضح الحق المبين بغاية الإيضاح والبيان
ما ثم أوضح من عبارته فلا يحتاج سامعها الى تبيان
والنصح منه فوق كل نصيحة والعلم مأخوذ عن الرحمن
فلأشئ شي يعدل الباغي الهدى عن قوله لولا عمي الخذلان؟
فالنقل عنه مصدق والقول من ذي عصمة ما عندنا قولان
والعكس عند سواه في الأمرين يا من يهتدي هل يستوي النعلان؟
تالله قد لاح الصباح لمن له عينان نحو الفجر ناظران
وأخو العماية في عمايته يقو ل الليل بعد أيسوي الرجالان؟
تالله قد رفعت لك الأعلام ان كنت المشمر نلت دار أمان
وإذا جنيت وكنت كسلاناً فما حرم الوصول اليه غير جبان
فاقدم وعد بالوصل نفسك واهجر المقطوع منه قاطع الانسان
عن نيل مقصده فذاك عدوه ولو انه منه القريب الداني

ذكر الناظم في هذه الأبيات ، أنه لولا التنافس بين هذا الخلق ، لم يوجد
التفرق ، وذلك أن الرب سبحانه واحد ، وكتابه واحد ، وفهمه يسير ،
والرسول ﷺ قد أوضح الحق بغاية الايضاح ، فلا عبارة أوضح من عبارته ،

ولا نصح فوق نصحه ، وعلمه مأخوذ عن الله تعالى ، فعدول الباغى عن ذلك هو عين الخذلان ، ثم ذكر أن عكس الأمرين عند غيره ، وقد لاح الصباح لذي عينين ، وأخو العماية في عماية جهله ، نعوذ بالله من العمى .

فصل

في تيسير السير الى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين

ياقاعداً سارت به أنفاسه سير البزید وليس بالذملان
قال في « القاموس » : الذميل كأمير : السير اللين ما كان ، أو فوق
العنق ، ذمل يذرمل ويذرمل ذملاً وذرماً ، وذرماً ، وذرماً . وناقة
ذمول ، من ذمل .

حتى متى هذا الرقاد وقد سري وفد المحبة مع أولي الاحسان
وحدث بهم عزما تم نحو العلى لاحادي الركبان والاطعان
قوله : وحدث بهم عزما تم نحو العلى . قال في « القاموس » : حدا الإبل
حدواً ، وحداء : زجرها وساقها . انتهى .

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها وسروا فما حنوا الى نعمان
ساروا رويداً ثم جاؤوا أولاً سير الدليل يؤم بالركبان
ساروا باثبات الصفات اليه لا الاستعطيل والتحريف والنكران

عرفوه بالأوصاف فامتألت قلوبهم له بالحب والإيمان
فتطأيرت تلك القلوب إليه بالـأشواق إذ ملئت من العرفان
وأشدهم حباً له أدراهم بصفاته وحقائق القرآن
فالحب يتبع للشعور بحسبه يقوى ويضعف ذاك ذو تبيان
ولذلك كان العارفون صفاته أحبابه هم أهل هذا الشأن
ولذلك كان العالمون بربهم أحبابه وبشرة الإيمان
ولذلك كان المنكرون لها هم الساعداً حقاً هم أولو الشئان
ولذلك كان الجاهلون بذواذا بغضائه حقاً ذوي شئان
وحياة قلب العبد في شئئين من يرزقهما يحى مدى الأزمان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يكونان الحي ذا الرضوان والإحسان
ذكر الإله وجهه من غير إشراك به وهما فممتنعان
من صاحب التعطيل حقاً كما تمتا ع الطائر المقصوص من طيران
أحبه من كان ينكر وصفه وعلوه وكلامه بقران
لا والذي حقاً على العرش استوى متكماً بالوحي والفرقان
الله أكبر ذاك فضل الله يؤتاه لمن يرضى بلا حساب
وترى المخلف في الديار تقول ذا إحدى الأثان في خص بالحرمان
الله أكبر ذاك عدل الله يقضيه على من شاء من إنسان

وله على هذا وهذا الحمد في الأولى وفي الأخرى هما حمدان
 حمد لذات الرب جل جلاله وكذلك حمد العدل والإحسان
 يامن تعز عليهم أرواحهم ويرون غنا بيعها بهوات
 ويرون خسراناً مبنياً بيعها في إثر كل قبيحة ومهان
 ويرون ميدان التسابق بارزاً فيتاركون تقحم الميدات
 ويرون أنفاس العباد عليهم قد أحصيت بالعد والحسبان
 ويرون أن أمامهم يوم اللقا لله مسئلتان شاملتان
 ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتهم من أتى بالحق والبرهان
 هاتوا جواباً للسؤال وهيئوا أيضاً صواباً للجواب يداني
 وتيقنوا ان ليس ينجيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمانيات
 يشير إلى الحديث، وهو قوله ﷺ «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون،
 ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتهم المرسلين؟»

تجريدكم توحيدده سبحانه عن شركة الشيطان والأوثان
 وكذلك تجريد اتباع رسوله عن هذه الآراء والهذيان
 والله ما ينجي الفتى من ربه شيء سوى هذا بلا روغان
 يارب جرد عبدك المسكين را جي الفضل منك أضعف العبدان
 لم تنسه وذكرته فاجعله لا ينساك أنت بدأت بالإحسان

وبه ختمت فكنت أولى بالجميل وبالثناء من الجهول الجاني

فالعبد ليس يضيع بين فوائح وخواتم من فضل ذي الغفران

أنت العليم به وقد أنشأته من تربة هي أضعف الأركان

كل عليها قد علا وهوت الى تحت الجميع بذلة وهوان

وعلت عليها النار حتى ظن أن يعلو عليها الخلق من نيران

وأتى إلى الابوين ظناً أنه سيصيّر الابوين تحت دخان

فسعت الى الابوين رحمتك التي وسعتهما فعلاً بك الابوان

هذا ونحن بنوهما وحلومنا في جنب حامهما لدى الميزان

جزء يسير والعدو فواحد لهما وأعدانا بلا حساب

والضعف مستول علينا من جميع جهاتنا سيما من الإيمان

قوله : من تربة هي أضعف الأركان ، أي : إن الانسان مخلوق من تراب .

قوله : أضعف الأركان ، أي : الأركان الأربعة ، وهي الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب .

قوله : وعلت عليها النار الخ . يعني قوله تعالى عن ابليس العيين (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢

قوله : هذا ونحن بنوهما الخ . يعني أن عقولنا في جنب عقلها جزء يسير ، وعدوهما واحد ، وأعداؤنا بلا حساب .

يارب معذرة اليك فلم يكن قصد العباد ركوب ذا العصيان

لكن نفوس سولته وغرها هذا العدو لها غرور أمان
فتيقنت يارب أنك واسع الغفران ذو فضل وذو إحسان
ومقانا ماقاله الأيوان قبل مقالة العبد الظلوم الجاني
نحن الألى ظلموا وإن لم تغفر الذنب العظيم فنحن ذو خسران
يارب فانصرنا على الشيطان ليـس لنا به لولا حماك يدان

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذى عينين

والفرق بينكم وبين خصومكم	من كل وجه ثابت ببيان
ما أنتم منهم ولا هم منكم	شتان بين السعد والدبران
فاذا دعونا للقران دعوتكم	للرأي أين الرأي من قرآن
وإذا دعونا للحديث دعوتكم	أنتم الى تقليد قول فلان
وكذا تلقينا نصوص نبينا	بقبولها بالحق والاذعان
من غير تحريف ولا جحد ولا	تفويض ذى جهل بلا عرفان
لكن باعراض وتجهيل وتأ	ويل تلقيت مع النكران
أنكرتموها جهدكم فاذا أتى	ما لاسيل له الى نكران

أعرضتم عنه ولم تستنبطوا منه هدى لحقائق الإيمان
فاذا ابتليتكم مكرهين بسمعها فوضتموها لاعلى العرفان
لكن بجمل للذي سيقته له تفويض اعراض وجهل معان
فاذا ابتليتكم باحتجاج خصومكم أوليتموها دفع ذي صولان
فالجحدوالاعراض والتأويل والتجهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين والمعتلين من وحي رب العالمين

ولنا الحقيقة من كلام إلهنا	ونصيبكم منه المجاز الثاني
وقواطع الوحيين شاهدة لنا	وعليكم هل يستوي الأمران
وأدلة المعقول شاهدة لنا	أيضاً فقاضونا الى البرهان
وكذاك فطرة ربنا الرحمن شا	هدة لنا أيضاً شهود بيان
وكذاك إجماع الصحابة والأئمة	تبعوهم بالعلم والاحسان
وكذاك إجماع الأئمة بعدهم	هذا كلامهم بكل مكان
هذي الشهود فهل لديكم أنتم	من شاهد بالنفي والتكران

وجنودنا من قد تقدم ذكرهم وجنودكم فعساكر الشيطان
وهي قواطع الوحين ، وأدله المعقول والفطرة ، واجماع الصحابة
والتابعين والأئمة .

وخيامنا مضروبة بمشاعر الوحين من خبر ومن قرآن
وخياهكم مضروبة بالتيه فالسكان كل ملدد حيران
هذي شهادتهم على محصلهم عند الممات وقولهم بلسان
يعني الناظم رحمه الله ماتقدم عن بعض المتكلمين أنه قال عند موته :
لقد خضت البحر الحضم ، وتركت أهل الاسلام وعالمهم ، وخضت في الذي
نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ، وإلا فالويل لفلان ، ها أنا
ذا أموت على عقيدة أمة . وقال آخر : أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب
الكلام . وقال آخر عند موته : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن
يفتقر الى واجب ، ثم قال : الافتقار وصف عدمي ، أموت وما علمت شيئاً ،

والله يشهد أنهم أيضاً كذا تكفي شهادة ربنا الرحمن
ولنا المساند والصحاح وهذه السنن التي نابت عن القرآن
واكم تصانيف الكلام وهذه الآراء وهي كثيرة الهذيان
شبه يكسر بعضها بعضها كيست من زجاج خر للأركان
هو مأخوذ من قول القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هل ثم شيء غير رأي أو كلا م باطل أو منطق اليونان
ونقول قال الله قال رسوله في كل تصنيف وكل مكان
لكن تقولوا^(١) قال آرسطو وقال ابن الخطيب وقال ذو العرفان
ابن الخطيب ، هو الفخر الرازي .

شيخ لكم يدعي ابن سينا لم يكن متقيداً بالدين والإيمان
وخيار ما تأتون قال الأشعري وتشهدون عليه بالبهتان
أي : خيار ما تقولون قال الأشعري : وقد خالفتموه عن المخالفة ،
فانه يقول باثبات العلو والاستواء ، ويقول باثبات الصفات الحبرية ، وليس
له في ذلك قولان ، ومع ذلك خالفتموه في نفي العلو والصفات ، تعالى الله
عما يقول المعطلة علواً كبيراً .

فالأشعري مقرر لعلو رب العرش فوق جميع ذي الأكران
في غاية التقرير بالمعقول والمنقول ثم بفطرة الرحمن
هذا ونحن فتاركوا الآراء للنقل الصحيح ومحكم الفرقان
لكنكم بالعكس قد صرحتم ووضعتم القانون ذا البهتان
أي : نحن نترك الآراء للنقل الصحيح ، وأنتم صرحتم بالعكس ، وأعدتم
لدفع النصوص ضرباً من العدد ، وأنواعاً من القوانين .

والنفي عندكم على التفصيل والاثبات إجمالاً بلا نكران

(١) كذا الأصل بحذف النون من (تقولوا) والاصل أن يقول (تقولون)
ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

والمثبتون طريقهم نفي على الـ إجمال والتفصيل بالتيان
فتدبروا القرآن مع من منكم شهادة المبعوث بالفرقان
وعرضتم قول الرسول على الذي قال الشيوخ ومحكم القرآن
فالمحكم النص الموافق قولهم لا يقبل التأويل في الأذهان
لكننا النص المخالف قولهم متشابه متأول بمعان

أي : إن أهل التأويل عرضوا كتاب الله وسنة رسوله على ما قاله شيوخهم ،
وجعلوا النص الموافق لقولهم محكماً لا يقبل التأويل ، أما النص المخالف لقولهم ،
فهو عندهم متشابه محتمل لعدة معان .

وإذ تأدبتم تقولوا^(١) مشكل أفواضح يا قوم رأي فلان ؟
والله لو كان الموافق لم يكن متشابهاً متأولاً بلسان
لكن عرضنا نحن أقوال الشيوخ على الذي جاءت به الوحيان
ما خالف النصين لم نعبأ به شيئاً وقلنا حسينا النصان

قوله : والله لو كان النص موافقاً لقولكم لم يكن متشابهاً عندكم متأولاً
بعدة من التأويلات .

قوله : لكن عرضنا نحن أقوال الشيوخ الخ . أي : إن قولنا
عكس قولكم ، وذلك أنا عرضنا أقوال الشيوخ على الكتاب والسنة ، فما
وافقها قبلنا ، وما خالفها لم نعبأ به شيئاً ، وقلنا حسينا كتاب الله وسنة
رسوله .

والمشكل القول المخالف عندنا في غاية الاشكال لا التبيان

والعزل والابقاء مرجعه الى الـ آراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه الى قول الرسول ومحكم القرآن
والكفر والاسلام عين خلافه ووفاقه لا غير بالبرهان
والكفر عندكم خلاف شيو حكم ووفاقهم فحقيقة الايمان
هذي سبيلكم وتلك سبيلنا والموعود الرحمن بعد زمان
وهناك يعلم أى حزيننا على الحق الصريح وفطرة الديان
فاصبر قليلاً انما هي ساعة فاذا أصبت ففي رضى الرحمن
فالقوم مثلك يألون ويصبرون وصبرهم في طاعة الشيطان

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

يا طالب الحق المبين ومؤثراً علم اليقين وصحة الايمان
اسمع مقالة ناصح خبير الذي عند الورى مذشب حتى الآن
ما زال مذ عقدت يده ازاره قد شد مئزرة الى الرحمن
وتخلل الفترات للعزمات امـر لازم لطبيعة الانسان
وتولد النقصان من فتراته أوليس سائرنا بني النقصان ؟

طاف المذاهب يتبغي نوراً اليه وينجيه من النيران
وكأنه قد طاف يبغي ظلمة الليل البهيم ومذهب الخيران
والليل لايزداد إلا قوة والصبح مقهور بذا السلطان
حتى بدت في سيره نار على طود المدينة مطلع الايمان
فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع تلك القيود مناهها بأمان
لولا تداركه الاله بلطفه وتلى على العقبين ذا نكصان
لكن توقف خاضعاً متذالاً مستشعر الافلاس من أثمان
فأتاه جند حل عند قيوده فامتد حينئذ له الباعان
والله لولا ان تحل قيوده وتزول عنه ربة الشيطان
كان الرقي الى الشريا مصعدا من دور تلك النار في الامكان
فرأى بتلك النار آطام المدينة كالخيام تشوفها العينان
ورأى على طرقاتها الأعلام قد نصبت لاجل السالك الخيران
ورأى هنالك كل هاد مهتد يدعو الى الايمان والإيقان
فهناك هذا نفسه متذكراً ما قاله المشتاق منذ زمان
والمستهام على المحبة لم يزل حاشا لذكراكم من النسيان
لوقيل ما تهوى لقال مبادراً أهوى زيارتكم على الأجفان

تالله ان سمح الزمان بقربكم وحللت منكم بالحل الداني
لأعفرن الخلد شكراً في الثرى ولا كحلن بتربكم أجفاني
يخبر الناظم عما حصل له في سيره الى الله جلا وعلا ، وأنه طاف المذاهب
نعي نوراً ليهتدي به ، وينجوه من النيران ، وأنه لم يحصل له في طوافه ذلك الا
للمة والحيرة ، ومع إمعانه في ذلك والظلمة تزيد والحيرة تقوى ، حتى بدت
أنوار الهدى من الكتاب والسنة ، وكفى عن ذلك بقوله : حتى بدت له
سيره فارعلى طود المدينة ، فأنى ليقبسها فلم يمكنه ذلك مع تلك القيود التي
من الانقياد ، فلولا أن الله سبحانه تداركه بلطفه ، لرجع ونكص على
بيه ، فلما جاءه ذلك اللطف الالهي ، انحلت قيوده ، وسار الى الله مقتدياً
نوار الكتاب والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

زمرت تبصر ما ذكرت فغض طر فأ عن سوى الآثار والقرآن
راترك رسوم الخلق لاتعبأبها في السعد ما يغنيك عن دبران
حدق بقلبك في النصوص كمثل ما قد حدقوا في الرأي طول زمان
راكحل جفون القلب بالوحين واحذر كحلهم يا ثرة العميان
تالله بين فيها طرق الهدى لعباده في أحسن التبيان
م يحوج الله الخلائق معها لخيال فلتان ورأي فلان
نالوحي كاف للذي يعنى به شاف لداء جهالة الانسان
تفاوت العلماء في أفهامهم للوحي فوق تفاوت الأبدان

والجهل داء قاتل وشفاءه
أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة
وطيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث مالها
من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله
وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه
وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنة التي
جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق
بسواهما إلا من الهذيان

قال في « القاموس » حذلق : أظهر الحذق ، أو ادعى أكثر مما عنده
كتحذلق . انتهى .

يعني أن العلم ثلاثة أقسام : أولها : العلم بصفات الرب ، وأفعاله ، وأسمائه .
والثاني : علم الأمر والنهي . والثالث : علم المعاد ، والكل في القرآن والسنة .
قوله : بسواهما . يعني الكتاب والسنة .

ان قلتم تقريره فقرر بآتم تقرير من الرحمن
أو قلتم إيضاحه فبين بآتم إيضاح وخير بيان
أو قلتم إيجازه فهو الذي في غاية الإيجاز والبيان
أو قلتم معناه هذا فاقصدوا معنى الخطاب بعينه وعيان
أو قلتم نحن التراجع فاقصدوا المعنى بلا شطط ولا نقصان
أو قلتم بخلافه فكلامكم في غاية الإنكار والبطلان

و قلتم قسنا عليه نظيره فقياسكم نوعان مختلفان
يع يخالف نصه فهو المحال وذاك عند الله ذر بطلان
كلامنا فيه وليس كلامنا في غيره أعني القياس الثاني
اللا يخالف نصه فالناس قد عملوا به في سائر الأحيان
كنه عند الضرورة لا يصار إليه إلا بعد ذا فقدان
هذا جواب الشافعي لأحمد لله درك من امام زمان
والله ما اضطر العباد إليه فيما بينهم من حادث بزمان

قال الناظم رحمه الله تعالى في « أعلام الموقعين » بعد أن ذكر أن فتوى
لامام أحمد رحمه الله تعالى تدور على خمسة أصول : الأصل الرابع من أصول
لامام أحمد : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء
يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس ، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ،
لا المنكر ، ولا ما في رواه متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه والعمل به ،
بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ،
ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح
ضعيف . والضعيف عنده مراتب ، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا
قول صاحب ، ولا إجماعاً على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس ،
وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافق على هذا الأصل من حيث الجملة ، فإنه
ما منهم أحد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس ، فقدم أبو حنيفة
حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه ،
وقدم حديث الرضوء بنبذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه ،
وقدم حديث أكثر الحيض عشرة أيام ، وهو ضعيف باتفاقهم ، على محض

القياس ، فالذي تراه في الثالث عشر مساو في الحد وفي الحقيقة والصفة لدم
اليوم العاشر ، وقدم حديث « لا مهر أقل من عشرة دراهم » وأجمعوا على
ضعفه ، بل بطلانه ، على محض القياس ، فان بذل الصداق معاوضة في مقابلة
بذل البضع ، فما تراضيا عليه ، جاز قليلاً أو كثيراً . وقدم الشافعي تحريم
ضيد وج ، مع ضعفه ، على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة على ضعفه
ومخالفته لقياس غيرها من البلدان ، وقدم في أحد قوله حديث « من قاء أو
رغف فليتوضأ وليبن على صلاته » على القياس مع ضعف الخبر وإرساله .
وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل ، والمنقطع والبلاغات ، وقول الصحابي
على القياس ، فاذا لم يكن عند الامام أحمد في المسألة نص ، ولا قول الصحابة
أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ، عدل الى الأصل الخامس ، وهو
القياس فاستعمله للضرورة . وقد قال في كتاب « الحلال » سألت الشافعي
عن القياس فقال : انما يصار اليه عند الضرورة . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا رأيت النص عنه ساكتا فسكوته عفو من الرحمن
وهو المباح أباحة العفو الذي مافيه من حرج ولا نكران
فأضف إلى هذا عموم اللفظ والمعنى وحسن الفهم في القرآن
فهناك تصحيح في غنى وكفاية عن كل ذي رأي وذي حساب
قال الحافظ ابن رجب في « شرح الأربعين » على قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله
غرض فرائض فلا تضعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها .. » الحديث . قال :
وأما المسكوت عنه فهو ما لم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم ، فيمنع من معفو

عنه ، لاجرج على فاعله ، وعلى هذا دلت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا ، كحديث أبي ثعلبة الحُثي وغيره ... الى أن قال : ولكن بما ينبغي أن يعلم أن ذكر الشيء بالتحريم والتحليل بما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنة ، فان دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصريح ، وقد تكون بطريق العموم والشمول ، وقد تكون دلالاته بطريق الفحوى والتنبيه ، كما في قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) الاسراء : ٢٣ فان دخول ما هو أعظم من التأنيف من أنواع الأذى يكون بطريق الأولى ، ويسمى ذلك مفهوم الموافقة ، وقد تكون دلالاته بطريق مفهوم المخالفة ، كما في قوله ﷺ « في الغنم السائمة الزكاة » فانه يدل بفهمه على أنه لازكاة في غير السائمة . وقد أخذ الأكثرون بذلك ، واعتبروا مفهوم المخالفة ، وجعلوه حجة . وقد تكون دلالاته من المعنى موجوداً في غيره ، فانه يتعدى الحكم الى كل ما وجد في ذلك المعنى عند جمهور العلماء ، وهو من باب العدل والميزان الذي أنزله الله ، وأمر بالاعتبار به ، فهذا كله مما تعرف به دلالة النصوص على التحليل والتحريم ، فأما ما انتفى فيه ذلك كله ، فهنا يستدل بعدم ذكره بإيجاب أو تحريم ، على أنه معفو عنه . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومقدرات الذهن لم يضمن لنا تبيانها بالنص والقرآن
وهي التي فيها اعتراك الرأي من تحت العجاج وجولة الأذهان
لكن هنا أمران لو تما لما احتجنا إليه فحبذا الأمران
جمع النصوص وفهم معناها المراد بلفظها والفهم مرتبتان

احداهما مدلول ذاك اللفظ وضماً أو لزوماً ثم هذا الثاني
فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لم ينضبط أبداً له طرفان
فالشيء يلزمه لوازم جمّة عند الخبير به وذو العرفان
فبقدر ذاك الخبر يحصى من لوازمه وهذا واضح التبيان
قوله : ومقدرات الذهن الخ . أي : إن الأمور التي تقدرها الأذهان
كثيرة ، ولكن لم يضمن لنا تبيانها بالكتاب والسنة .
قوله : لكن هنا أمران الخ . أي : إن هذين الأمرين ، وهما جمع
النصوص ، وفهم معناها ، لو قلنا لم نحتاج الى الرأي .
قوله : والفهم مرتبتان إحداها مدلول ذاك اللفظ الخ . أي : فهم مدلول
اللفظ مطابقة أو لزوماً .

قوله : ثم هذا الثاني ، وهو الزوم ، فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لا ينضبط
ولذا كمن عرف الكتاب حقيقة عرف الوجود جميعه ببيان
وكذا كمن عرف جملة الشرع الذي يحتاجه الانسان كل زمان
علماً بتفصيل وعلماً بجمال تفصيله أيضاً بوحى ثان
وكلاهما وحيان قد ضمنا لنا أعلى العلوم بغاية التبيان
ولذا كمن عرف من صفات الله والأفعال والأسماء ذي الإحسان
ماليس يعرف من كتاب غيره أبداً ولا ما قالت الثقلاء
وكذا كمن عرف من صفات البعث بالتفصيل والاجمال في القرآن

ما يجعل اليوم العظيم مشاهداً بالقلب كالمشهود رأي عيان
وكذاك يعرف من حقيقة نفسه وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها مخلوقة مربوبة ببيان
وكذاك يعرف ما الذي فيها من الحاجات والاعدام والنقصان
وكذاك يعرف ربه وصفاته أيضاً بلا مثل ولا نقصان
وهنا ثلاثة أوجه فافطن لها إن كنت ذا علم وذا عرفان
بالضد والأولى كذا بالامتناع لعلمنا بالنفس والرحمن
فالضد معرفة الإله بضد ما في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان
قوله : بالضد . أي : إنه سبحانه ينزه عن العيب والنقصان ، إذ ضدهما
السلامة من العيوب والنقائص ، تعالى الله وتقدس .

قوله : والأولى الخ . بفتح الهمزة أي : إنما يستعمل في حق الرب تعالى
قياس الأولى ، وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق ، فالرب سبحانه أولى
به ، لأنه معطيه وواهبه ، وواهب الكمال أولى بالكمال ، وكل نقص تنزه
عنه المخلوق ، فالخالق أولى بالتنزه عنه .

قوله : بالامتناع الخ . أي بأن يقال : هذه صفة نقص ، فتمتنع على
الله سبحانه .

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

وكفاية النصين مشروط بتجريد التلقي عنها لمعان
وكذلك مشروط بخلع قيودهم فقيودهم غلّ الى الأذقان
وكذلك مشروط بهدم قواعد ما أنزلت ببيانها الوحيان
وكذلك مشروط باقدام على الآراء إن عريت عن البرهان
بالرد والإبطال لاتعبأ بها شيئاً إذا ما فاتها النصان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى شروط كفاية النصين ، وهي ثلاثة : أحدها :
تجريد التلقي عن الكتاب والسنة ، وعدم الالتفات الى غيرهما ، واتباعها
وترك ما سواهما . الثاني : خلع القيود التي توهن الانقياد كما قال شيخ الاسلام
في تعظيم الأمر والنهي : هو أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا
بتشديد غال ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد ، وذلك بأن يسلم لأمر الله
وحكمته ممثلاً ما أمر به ، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر ، فان ظهرت
له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حملة ذلك على مزيد الانقياد ، والبذل
والسليم ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه ، كما حمل ذلك كثيراً
من زنادقة الفقهاء والمنتسبين الى التصوف . الثالث : هدم القواعد المؤسسة
على الفساد ، والبطلان ، والأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان ، العارية عن
الدليل والبرهان .

لولا القواعد والقيود وهذه الـ آراء لاتسعت عرى الايمان
لكنها والله ضيقت العرى فاحتاجت الايدي لذلك توان
وتعطلت من أجلها والله أعلم - داد من النصين ذات بيان
وتضمنت تقييد مطلقها وإطلاق المقيد وهو ذو ميزان
وتضمنت تخصيص ماعتمته والتعميم للمخصوص بالاعيان
وتضمنت تفريق ما جمعت وجمعاً للذي وسمته بالفرقات
وتضمنت تضيق ما قد وسعته وعكسه فلتنظر الأمران
وتضمنت تحليل ما قد حرمته وعكسه فلتنظر النوعان
سكتت وكازسكوتها عفو أفلم تعف القواعد باتساع بطنان
وتضمنت إهدار ما اعتبرت كذا بالعكس والامران محذوران
وتضمنت ايضاً شروطاً لم تكن مشروطة شرعاً بلا برهان
وتضمنت ايضاً موانع لم تكن ممنوعة شرعاً بلا تبيان
إلا بأقيسة وآراء وتقليل بلا علم ولا استحسان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي
وضعوها ، والقيود التي قيدوا بها الكتاب والسنة ، والآراء التي خالفوا
بها الكتاب والسنة ، فذكر أنه تعطلت من أجلها أعداد من النصين ،
وتضمنت تقييد المطلق ، وإطلاق المقيد ، وتخصيص العموم ، وتعميم المخصوص
وتفريق ما جمعت النصوص بينه ، وجمع ما فترقت بينه ، وتضييق ما وسعته

وعكسه ، وتحليل ماحرمته ، وتحريم ماخللته ، وغير ذلك بما ذكره الناظم .
عمن أتت هذي القوا عد من جمـيع الصـحب والاتباع بالاحسان
ماأسسوا إلا اتباع نبيهم لا عقل فلتان ورأي فلان
قال في « القاموس » وفتلات المحسن ، هفواته وزلاته .

بل أنكروا الآراء نصحاء منهم لله والداعي وللقرآن
أو ليس في خلفها وتناقض ما دل ذال وذو عرفان ؟
والله لو كانت من الرحمن ما اختلفت ولا انتقضت مدى الازمان
شبه تهافت كالزجاج تحالها حقاً وقد سقطت على صفوان
والله لا يرضى بها ذو هممة علياء طالبة لهذا الشأن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أن هذه القواعد لم تأت عن أحد
من الصحابة وتابعيهم باحسان ، وأن القوم ما أسسوا الا اتباع نبيهم ﷺ ، ولم
يؤسسوا اتباع عقل فلان ، ورأي فلتان .

قوله : والله لو كانت من الرحمن الخ . هذا مأخوذ من قوله تعالى (ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ فالدليل
على أن هذه الآراء والقواعد من عند غير الله ، كثرة اختلافها ، وتناقضها ،
فلو كانت من عند الله لم تختلف ، ولم تنتقض الى آخر الدهر ، ولكنها
كما قال القائل :

شبه تهافت كالزجاج تحالها حقاً وكل كسر مكسور
قال الناظم :

فشالها والله في قلب الفتى وثباتها في منبت الايمان

كالزروع ينبت حوله دغل فيمنعه النما فتراه ذا نقصان
وكذلك الايماني قلب الفتى غرس من الرحمن في الانسان
والنفس تنبت حوله الشهوات والشبهات وهي كثيرة الأفنان
فيعود ذاك الغرس يبسا ذابياً أو ناقص الثمرات كل أو ان
فتراه يحرث دائماً ومغله نزر وذا من أعظم الخسران
والله لو نكش النبات وكان ذا بصر لذاك الشوك والسعدان
لأتى كأمثال الجبال مغله ولكن أضعافاً بلا حسابان
قوله : نزر . أي : قليل . قال في « القاموس » النزر القليل ،
كالنزر ، والمنزور .

قوله : نكش . قال في « القاموس » نكش الركية ، ينكشها ، وينكشها :
أخرج مافيه من الحمأة والطين ، كانتكشها ، والشئ أفناه ، ومنه فرغ .

فصل

هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها فعل الجهول الجاني
بل في التي قد خالفت قول الرسول ل ومحكم الايمان والفرقان
أو في التي ما أنزل الرحمن في تقريرها يا قوم من سلطان -
فهي التي كم عطلت من سنة بل عطلت من محكم القرآن

هذا ونرجو أن واضعها فلا يعدوه أجراً له أجران
اذ قال مبلغ علمه من غير ايـجاب القبول له على انسان
بل قد نهانا عن قبول كلامه نصاً بتقليد بلا برهان
وكذاك أوصانا بتقديم النصو ص عليه من خبر ومن قرآن
نصح العباد بذو خلاص نفسه عند السؤال لها من الديان
والخوف كل الخوف فهو على الذي ترك النصو ص لأجل قول فلان
وإذا بغى الاحسان أو لها بما لو قاله خصم له ذو شان
لرماه بالداء العضال منادياً بفساد ماقد قاله بأذان

ولما خشي الناظم رحمه الله تعالى من بعض الجهال أن يتوهم ذم الرأي
مطلقاً، دفع ذلك بقوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها الخ . أشار الى
أن الرأي نوعان : مذموم ، ومحمود ، فالمذموم : ما خالف الكتاب والسنة ،
والمحمود : ما وافق الكتاب والسنة ، وقد بسط الكلام في ذلك بسطاً
مستوفى في أول كتاب « اعلام الموقعين » وهذا معنى قوله : هذا وليس
الطعن بالاطلاق فيها كلها ؛ أي : لا يطعن فيها كلها وإنما يطعن فيما خالف
الكتاب والسنة فقط .

قوله : هذا ونرجو أن واضعها الخ ؛ أي : نرجو أن المجتهد إذا اجتهد
فأخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران ، كما صح في « صحيح
البخاري » عن النبي ﷺ قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ،
وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

قوله : إذ قال مبلغ علمه النخ ؛ أي : إن الأئمة رحمهم الله تعالى قالوا
بمبلغ علمهم ، ونهوا الناس عن قبول كلامهم إذا خالف النصوص ، وأوصوا
بتقديم النصوص عليه ، كالامام أحمد ، والشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ،
وغيرهم ، فرحمة الله عليهم ، فلقد نصحوا العباد ، وخلصوا أنفسهم عند سؤال
الرب تعالى لهم يوم القيامة .

قوله : والخوف كل الخوف النخ ؛ أي : ان الخوف العظيم ، والخطر
الشديد على الذين تركوا النصوص لأجل قول فلان وفلان ، وإذا أرادوا
الاحسان أولوها بالتأويلات الباطلة ، وحملوها على الاحتمالات البعيدة ، ومع
ذلك لو قال ذلك خصم لهم في تأويل كلام مشايخهم ، ومن يرضونه ، رموه
بالداء العضال ، ونادوا على فساد ما قاله .

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب ام لا ؟

ولوازم المعنى تراد بذكره من عارف بلزومها الحقان
وسواه ليس بلازم في حقه قصد اللوازم وهي ذات بيان
اذ قد يكون لزومها المجهول أو قد كان يعلمه بلا نكران
لكن عرته غفلة بلزومها اذ كان ذا سهو وذا نسيان
ولذا لم يك لازماً لمذاهب العلماء مذهبهم بلا برهان

ذكر الناظم في هذا الفصل أن لازم المذهب ليس بمذهب .
قوله : ولوازم المعنى الخ ؛ أي : إن لوازم المعنى تراد من عارف
بأزومها ، وأما سواه ، فليس ذلك بلازم في حقه ، إذ قد يكون جاهلاً
لأزومها ، أو يكون عالماً به ، ولكن عرته ؛ أي : حصل له سهو ونسيان
فلذا : لازم المذهب ليس بمذهب .

قال شيخ الاسلام في جواب له : وأما قول السائل : هل لازم
المذهب مذهباً ، أم ليس بمذهب ؟ فالصواب : أن لازم مذهب الانسان
ليس بمذهب له ، إذا لم يلتزمه ، فانه اذا كان قد أنكره ونفاه ، كانت
إضافته اليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ،
غير التزامه اللوازم التي يظهر أنها من قبيل الكفر والمحال ، فالذين قالوا
بأقوال يلزمها أقوال ، يعلم أنه لا يلتزمها ، لكن لم يعلم أنها تلزمه ، ولو
كان لازم المذهب مذهباً ، للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من
الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة ، فان لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون
شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة . انتهى .

فالمقدمون على حكاية ذلك مذ	هيبهم أولو جهل مع العدوان
لا فرق بين ظهوره وخفائه	قد يذهلون عن اللزوم الداني
سواء إذا ما كان ليس بلازم	لاكن يظن لزومه بيجان
لا تشهدوا بالزور ويحكم على	ما تلزمون شهادة البطلان
بخلاف لازم ما يقول آلهنا	ونسينا المعصوم بالبرهان
فلذا دلالات النصوص جليلة	وخفية تخفى على الأذهان

والله يرزق من يشاء الفهم في آياته رزقاً بلا حسيان
ولما ذكر الناظم رحمه الله أن المذهب ليس بمذهب ، شرع في ذكر
ما ألزمه أهل التعطيل أهل الاثبات ، فقال :

واحذر حكايات لأرباب الكلا م عن الخصوم كثيرة الهذيان
فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا لوا ذاك مذهبهم بلا برهان
كذبوا عليهم باهتين لهم بما ظنوه يلزمهم من البهتان
فحكى المعطل عن أولي الاثبات قو لهم بأن الله ذو جثات
وحكى المعطل أنهم قالوا بأب الله ليس يرى لنا بعيان
وحكى المعطل أنهم قالوا يجو زكلامه من غير قصد معان
وحكى المعطل أنهم قالوا بتحيز الاله وحصره بمكان
وحكى المعطل أنهم قالوا له أعضاء جل الله عن بهتان
وحكى المعطل أن مذهبهم هو الـ تشبيه للخلاق بالانسان
وحكى المعطل عنهم ما لم يقو لوه ولا أشياءهم بلسان
ظن المعطل أن هذا لازم فلذا أتى بالزور والعدوان
فعليه في هذا محاذير ثلا ث كلها متحقق البطلان
ظن اللزوم وقذفهم بلزومه وتام ذاك شهادة الكفران
حاصل هذه الأبيات أن الناظم رحمه الله يحكي أشياء بما ألزم بها أهل
التعطيل أهل الاثبات ، فحكى المعطلة عن المثبتة أنهم يقولون : إن الله

تعالى وتقدس جسم ، وحكوا عنهم أن مذهبهم أن الله لا يرى في الآخرة ، كما قال الفخر الرازي في « المعالم » أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يصح أن يرى . وأنكرت الفلاسفة والمعتزلة والكرامية والمجسمة ذلك ، ثم قال : أما إنكار الفلاسفة والمعتزلة ، فظاهر ، وأما إنكار الكرامية والحنابلة ، فلأنهم أطبقوا على أن الله تعالى لو لم يكن جسماً في مكان ، امتنع رؤيته . انتهى .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري في كتابه « غاية السؤل في علم الأصول » بعد أن حكى كلام الرازي هذا ، وما أدري أي الأمرين أسرع إلى فضيحته ، نقله أو تقريره ؟ أما نقله ، فلأن الحنابلة لا يختلف أولهم وآخرهم في أن المنكر لرؤية الله تعالى ، جاحد لكتابته ، وسنة رسوله ، واجماع أهل النقل ، وأما تقريره ، فلأن قوله : « أطبقوا على أنه لو لم يكن جسماً في مكان ، لامتنع رؤيته ، إنما هو استدلال يقتضي اثبات الجسم ، بدليل صحة الرؤية ، لأن التقدير يكون : لو لم يكن جسماً ، لامتنع رؤيته ، فيكون جسماً ، فمثل هذا لا يخفى على الفخر الرازي ، وإنما هو الهوى إذا غلب أعمى وأصم ، فإن كل لبيب يعلم من كلام هذا الرجل ، أن في قلبه من الحنابلة داء لا دواء له ، فانه أولاً أخرجهم عن أهل السنة ، فتراه يرى السنة ما ابتدعه في دين الاسلام والشرعة الحمديدية ، من المباحث الكلامية ، والشبه العقلية ، والآراء الفيلسوفية ، فحكم على من لا يقوم مقامهم بأنهم ليسوا من أهل السنة . وثانياً أطلق عليهم اسم التجسيم ، والتجسيم لا يمتقده مسلم ، وأطال الفزاري الكلام . قوله : وحكى المعطلة عنهم أنهم قالوا : يجوز كلامه من غير قصد معان . أقول : قال ابن السبكي في « جمع الجوامع » ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة ، خلافاً للحشوية . قال

المحلي في شرحه : أي في تجويزهم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، قالوا :
لوجوده فيه ، كالحروف المقطعة في أوائل السور . انتهى . قال بعض محبيه :
وقد اضطرب القائلون بهذا في معنى هذا . فقال الزركشي ، والكوراني :
إن أحد ألم يقل : إن في القرآن مالا معني له . وقال الآمدي : لا يتصور احتمال
القرآن الكريم على مالا معني له أصلاً ، وقد استدلت الحشوية أيضاً بآية
(وما يعلم تأويله الا الله) آل عمران : ٧ بالوقف ، فقالوا : الكون المتشابه
غير معلوم لنا ، فقد خاطبنا الله بما لا نفهمه ، وهو المهمل ، نقله الجخندي .
ومعلوم أن فواتح السور والآيات المتشابهات ، وإن فهم لها معنى صحيح ،
إلا أنه غير مقطوع بأنه مراد قائله تعالى ، ولذلك سلك كثير من المفسرين
هذا ، حيث قالوا في الفواتح : والله أعلم بمراده . ولما رأى الحشوية أن مثل
هذا غير مفهوم منه مراد قائله ، نفوا المعنى عنه أصلاً ، وقالوا : إنه لا معني
له ، لا بمعنى أنه غير موضوع ، بل بمعنى ما ذكرنا ، هذا ما في وسعي من
توجيه هذا الكلام الذي اضطربت فيه الأفهام ، ولم أر لأحد من كتب هنا
كلاماً شافياً . انتهى كلامه .

وحكت المعطلة عنهم أنهم قالوا بجواز ورود مالا معني له في القرآن
وأنهم يقولون بتحيز الله وحصره . وحكى المعطلة أنهم قالوا : له أعضاء ،
وأنهم شبهوا الله تعالى بخلقه . وحكت المعطلة عنهم غير هذا ، مما لم يقولوه ،
ولم نقله أشياخهم ، والأمر كما قال الناظم : إن المعطلة ظنوا أن هذا لازماً
لقولهم ، فحكوه عنهم ، وكذبوا عليهم ، واعتدوا ، لأن لازم المذهب
ليس بمذهب ، ولهذا قال الناظم : فعليه ؛ أي : على المعطل في نسبة ذلك إلى
أهل الإثبات ، معاذير ثلاث ، وكلها باطلة : الأول : ظن الزوم ، والثاني
قد فهم يلزومه . والثالث : شهادته عليهم بالكفر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياشاهداً بالزور ويحك لم تحف يوم الشهادة سطوة الديان
ياقائل البهتان غط لوازما قد قلت ملزوماتها بلسان
والله لازمها انتفاء الذات والـ أوصاف والأفعال للرحمن
والله لازمها انتفاء الدين والـ قرآن والاسلام والايمان
ولزوم ذلك بيّن جداً لمن كانت له أذنان واعيتان
والله لو لا ضيق هذا النظم بيست الزوم بأوضح التبيان
ولقد تقدم منه ما يكفي لمن كانت له عيان ناظرتان
إن الذكي ببعض ذلك يكتفي وأخو البلادة ساكن الجبان
شرع الناظم في بيان اللوازم التي تلزم المعطلة ، ويلزم منها انتفاء ذاته
تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، بل يلزم منها انتفاء الدين ، والاسلام ، والقرآن
وقد تقدم ما يعرف من ذلك في غضون هذا النظم .
قوله : ساكن الجبان . الجبان ، والجبانة : مشددتين : المقبرة ،
والصحراء ، قاله في « القاموس » :
قال الناظم :

يا قومنا اعتبروا بجهل شيوخكم بحقائق الايمان والقرآن
أو ما سمعتم قول أفضل وقته فيكم مقالة جاهل فتان
إن السموات العلى والأرض قبل العرش بالاجماع مخلوقان ؟
والله ما هذي مقالة عالم فضلاً عن الاجماع كل زمان

من قال ذا قد خالف الاجماع والسـخبر الصحيح وظاهر القرآن
فانظر الى ما جرّه تأويل لفـظ الإستواء بظاهر البطلان
زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان
كذب المعطل ليس ذا لغة الألى قد خوطبوا بالوحي والقرآن
فأصاره هذا إلى أن قال خلق العرش بعد جميع ذي الاكوان
يهينه تكذيب الرسول له وإجماع الهداة ومحكم الفرقان
لم أقف على تعيين قائل هذا القول ، ومعنى ذلك أن هذا القائل الجاهل
زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش بالاجماع ، واعجب لهذا
الجهل العظيم ، ومخالفة الاجماع ، والخبر الصحيح ، وظاهر القرآن . وذلك
أن للسلف قولين في أول المخلوقات ، ما هو ؟ أحدهما : أن العرش أول المخلوقات
والثاني : أن القلم هو أول المخلوقات ، فكان في هذا إجماع السلف ، على أن
المخلوقات العرش أو القلم ، وهذا الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان
قبل العرش ، فخرق الاجماع . والخبر الصحيح الذي أشار اليه هو ما رواه
مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً قال : « كتب
الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ،
وكان عرشه على الماء »

وقول الناظم : زعم المعطلة أن تأويل استوى بالخلق والاقبال ؛ أي :
إن المعطل زعم أن تفسير الاستواء بالاقبال يتضمن . أن الأرض والسموات
مخلوقان قبل العرش ، وهذا غاية الجهل

قوله : قول المعطل : إن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان ، أي :

نعم أن تأويل الاستواء بقولهم : أقبل على خلق السماء ، هو المعروف في لغة العرب ، وليس كذلك ، وإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ، فكيف يكون استواءه عمده إلى خلقه له ؟ ! لو كان هذا يعرف في اللغة أن الاستواء على كذا ، بمعنى أنه عمد إلى فعله ، وهذا لا يعرف قط في اللغة لاحقيقة ولا مجازاً لا في نظم ولا نثر ، ومن قال : استوى بمعنى عمد ، ذكره في قوله (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) فصلت : ١١ لأنه عدى بحرف الغاية كما يقال : عمدت إلى كذا ، ولا قصدت عليه ، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ، ولا هو قول أحد من مفسري السلف ، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك ، وإنما هذا القول وأمثاله ابتدع في الإسلام لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به ويفعلها بمشيئته وقدرته واختياره ، فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك ، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقاويلهم ، وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف ، فلا ، بل أقوال السلف الثانية عنهم متفقة في هذا الباب ، لا يعرف لهم فيه قولان ، كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات ، وإن اختلفت عباراتهم ، فمقصودهم واحد ، وهو إثبات علو الله على العرش . ثم قال الناظم على سبيل التهنيم : يهنيه تكذيب الرسول له واجماع الهداة ومحكم الفرقان .

فصل

في الرد عليهم تكفيرهم أهل العلم والايان وذ كر انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن
إذ خالفوا رأياً له رأيي ننا قضه لأجل النص والبرهان
وجعلتم التكفير عين خلافكم ووافقكم فحقيقة الايمان
فوافقكم ميزان دين الله لا من جاء بالبرهان والفرقان
ميزانكم ميزان باغ جاهل والعول كل العول في الميزان
أهون به ميزان جور عائل بيد المطفف ويل ذا الوزان
لو كان ثم حيا وأدنى مسكة من دين أو علم ومن ايمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كفر الناس بالبهتان والعدوان
هيبكم تأولتم وساغ لكم أيكفر من يخالفكم بلا برهان
هذي الوقاحة والجراعة والجهالة ويحكم يافرة الطغيان
الله أكبر ذا عقوبة تارك الوحيين والآراء والهديان
أي : ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث ، إذ خالفوا آراء الرجال
للتصوص ، فجعلتم الكفر والايان لأجل خلافكم ووافقكم ، فعلى هذا

فالميزان وفاقكم ، فمن وافقكم شهدتم له بالايان ، ومن خالفكم شهدتم عليه
بالكفران، ووافقكم فحقيقة الايمان، مبتدأ وخبر وفاقكم مبتدأ، وحقيقته خبره.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكننا نأتي بحكم عادل فيكم لأجل مخافة الرحمن
فاسمع إذا يامنصفاً حكيمها وانظر إذا هل يستوي الحكمان
هم عندنا قسمان أهل جهالة وذوو العناء وذانك القسمان
جمع وفرق بين نوعين هما في بدعة لاشك يجتمعان
وذوو العناد فأهل كفر ظاهر والجاهلون فانهم نوعان
متمكنون من الهدى والعلم بالأسباب ذات السر والامكان
لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا واستسهلوا التقليد كالعميان
لم يبدلوا المقدور في إدراكهم للحق تهويناً بهذا الشان
فهم الألى لاشك في تفسيقهم والكفر فيه عندنا قولان
والوقف عندي فيهم لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الايمان
والله أعلم بالبطانة منهم ولنا ظاهرة حلة الاعلان
لكنهم مستوجبون عقابه قطعاً لأجل البغي والعدوان
هيبكم عذرتهم بالجهالة إنكم ان تعذروا بالظلم والطغيان
والطعن في قول الرسول ودينه وشهادة بالزور والبهتان

وكذلك استحلال قتل مخالفينكم قتل ذي الاشراك والكفران
ان الخوارج ما أحلوا قتلهم الا لما ارتكبوا من العصيان
وسمعتهم قول الرسول وحكمه فيهم وذلك واضح التبيان
لكنكم أنتم أبجتم قتلهم بوافق سنته مع القرآن
والله ما زادوا التقير عليها لكن بتقرير مع الإيمان
فبحق من قد خصكم بالعلم والتحقيق والانصاف والعرفان
أنتم أحق أم الخوارج بالذي قال الرسول فأوضحوا بيان
هم يقتلون لعابد الرحمن بل يدعون أهل عبادة الأوثان
هذا وليسوا أهل تعطيل ولا عزل النصوص الحق بالبرهان

حاصل كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل والذي بعده ، تقسيم
أهل الجهل والتعطيل الى قسمين : أهل عناد ، وجهال ، ثم قسم الجهال الى
قسمين : القسم الأول : متمكنون من الهدى والعلم بالاسباب المتيسرة ،
ولكن أخذوا الى الجهالة ، واستسهلوا التقليد . والقسم الثاني : من الجهال
أهل عجز عن بلوغ الحق ، مع حسن قصد وإيمان بالله ورسوله ، ولقائه .
ثم قال : وهم اذا ميزتهم حزبان : الأول : قوم أحسنوا الظن بما قالته
الاشياخ وأهل الديانة عندهم ، ولم يجدوا سوى أقوالهم ، فرضوا بها .
والضرب الثاني من هؤلاء : فطالبوا الحق ، لكن صدمهم عن علمه أنهم طلبوا
الحقائق من سوى أبوابها ، وسلكوا طرقاً غير موصلة الى اليقين ، فتشابهت
الطرق عليهم ، وصاروا حيارى . فاما القسم الأول وهم أهل العناد والعياذ
بالله ، فحكم بكفرهم ، وقد أشار الى ذلك بقوله في هذا النظم :

فالكفر ليس سوى العناد وردما قال الرسول لأجل قول فلان

وأما القسم الأول من الجاهل . وهم المتمكنون من الهدى والعلم ،
ولكنهم أخذوا الى التقليد ، ولم يبذلوا وسعهم في طلب الحق ، فهؤلاء
حكم الناظم بفسقهم . وأما الكفر فقيه قولان ، واختار الوقف ، وأما
القسم الثاني : وهم أهل العجز عن بلوغ الحق مع إيمانهم بالله ورسوله ، ولكنهم
قلدوا المشايخ وأهل الديانة ، وقال فيهم الناظم :

فأولاء معذرون إن لم يظاهروا ويكفروا بالجهل والعبدوان

أي : إنهم وإن عذروا بالجهالة ، فهم غير معذورين بالظلم والطغيان
والطعن في قول الرسول ودينه ، والشهادة بالزور والبهتان ، واستحلال
قتل مخالفيهم من المثبتة الذين أثبتوا ما أثبتته الله ورسوله من الصفات ، من
غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ودعوى أنهم أهل
شرك وكفر ، فإن الحوارج لم يحل قتالهم إلا لما ارتكبه من العصيان ،
واستحلال قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، والطعن عليهم ، مع عبادتهم
العظيمة ، كما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع
صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يرقون من الاسلام
كما يرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً عند
الله لمن قتلهم » وقد صح الحديث في الحوارج من عشرة أوجه ، كما قاله
الأمام أحمد وغيره . فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بقتل الحوارج
مع عبادتهم العظيمة ، فأنتم أيها الجاهل المقلدة إذا استحلتم دماء المثبتة أحق من
الحوارج بالقتل . والقسم الثاني من هذا القسم ، فهم الذين طلبوا الحق ، لكن
من غير طريقه ، وغلب عليهم الشك والحيرة والوقف ، من غير شك في الله
أو دينه ، أو كتابه ، ولقائه . فقال :

فأولاء بين الذنب والأجرين أو احداهما أو واسع الغفران

هذا حاصل ما ذكره في هذا الفصل ، قسمهم الى أربعة أقسام ، وقد

ذكر الناظم في « شرح منازل السائرين » في ذكر أجناس ما يتساب منه ، وهي اثنا عشر جنساً : أربعة مذكورة في كتاب الله عز وجل . الأول : الكفر . والثاني : الشرك . فأنواع الكفر خمسة : كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر اعراض ، وكفر شك ، وكفر نفاق . وبين هذه الأنواع ، ثم قال : وأما الشرك الأكبر فهو نوعان ، ثم بين ذلك بأحسن بيان .

وقال شيخ الاسلام في رده على ابن البكري : فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك الخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للانسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام خلق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعالى ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله . وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين ، وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر ... الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً ، لأنني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال .

وقال شيخ الاسلام أيضاً في كلام له بعد كلام سبق : وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال : من قال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، وهذا كما هو في نصوص الوعيد ، فإن الله يقول : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) النساء : ١٠ فهذا أو نحوه من نصوص الوعيد حق ، لكن

الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار ، لجواز أن لا يلحقه الوعيد ، لقوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، ونحو ذلك ، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، أو لم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، أو لم يفهمها لشبهة عرضت له يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ، فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان ، سواء في المسائل النظرية أو العملية . هذا الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وجماهير أئمة الاسلام .

وقال رحمه الله تعالى في بعض أجوبته : فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ؛ ومن بمدح أهل العلم بخطؤون ولا يكفرون ، وسبب ذلك أن أحدهم يظن ما ليس بكفر كفراً ، وقد يكون كفراً ، لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول ، وسبب للخالف ، والآخر لم يتبين له ذلك ، فلا يازم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر اذا قاله ، أن يكفر من لم يعلم بحاله . قال : واذا كان - يعني الامام أحمد - رحمه الله يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله تعالى وصفاته ، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، وكان رضي الله عنه قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة قولهم وأمرهم ، وأنه يدور على التعطيل ، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة ، لكن ما كان يكفر أعيانهم ، فإن الذي يدعو الى القول أعظم من الذي يقوله ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه ، ومع هذا فالذين كلوا من ولادة الأمور يقولون بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، وإن الله لا يرى في الآخرة ، وغير ذلك من تعطيل أسمائه وصفاته ، ويدعون الناس الى ذلك ، ويمتنعونهم

ويعاقبونهم اذا لم يجيبوا ، ويكفرون من لم يجيبهم ، حتى انهم كانوا اذا قيدوه
الأسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية : ان القرآن مخلوق ، ولا يولون
مستول ، ولا يرزقون من بيت المال الا من يقول ذلك ، ومع هذا فالامام
أحمد ترحم عليهم ، واستغفر لهم ، لعلمه أنهم لم يتبين لهم أنهم يكذبون الرسول
ﷺ ، ولا جاحدون لما جاء به ، ولكن تأولوا فأخطؤوا ، وقلدوا من قال
ذلك ، وكذلك الامام الشافعي رضي الله عنه لما قال لحفص الفرد حين قال :
القرآن مخلوق ، كفرت بالله العظيم ، فبين بذلك أن هذا القول كفر ، لم يحكم
بردة حفص بمجرد ذلك ، لأنه لم تتبين له الحجة التي يكفر بها ، ولو اعتقد
أنه مرتد لسعي في قتله . وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء ،
والصلاة خلفهم ، وكذلك قال الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد في القدري :
ان جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم : ناظروا القدرية بالعلم ، فان أقرؤا
به خصموا ، وان جحدوه كفروا . وسئل الامام أحمد عن القدري : هل
يكفر ؟ فقال : إن جحد العلم كفر ، حينئذ فجاحده من جنس الجهمية ،
وأما قتل الداعية للبدع ، فقد يقتل لكف ضرره على الناس ، كما يقتل المحارب .
وان لم يكن في نفس الأمر كافراً ، فليس كل من أمر الشرع بقتله يكون
قتله لردته ، وعلى هذا يكون قتل غيلان القدري وغيره من أهل البدع قد
يكون على هذا الوجه . انتهى كلامه .

وقال رحمه الله تعالى بعد كلام سبق في ذكر ما عليه كثير من الناس
من الكفر والخروج عن الاسلام ، قال : وهذا كثير غالب ، لاسيما في
الأعصار والامصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من
عجائب الجبل ، والظلم ، والكذب ، والكفر ، والنفاق ، والضلال ،
ما لا يتسع لذكره المقال . واذا كان في المقالات الخفية ، فقد يقال : إنه

فيها مخطيء. خال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين الاسلام ، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها ، وكفر من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبين أو غيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معادات اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم ، وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدين وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون . . . الى أن قال : وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام ، كما صنف الرازي كتابه في « عبادة الكواكب » وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ، ورغب فيه ، وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين ، وإن كان قد يكون عاد الى الاسلام . انتهى (١) .

فانظر الى تفريقه بين المقالات الخفية ، والأمور الظاهرة . فقال في المقالات الخفية التي هي كفر : قد يقال : إنه فيها مخطيء. خال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة حكمها مطلقاً . وبما يصدر منها من مسلم جهلاً ، كاستحلال محرم ، أو فعل أو قول شركي بعد التعريف ، ولا يكفر بالأمور الخفية جهلاً ، كالجهل ببعض الصفات ، فلا يكفر الجاهل بها مطلقاً ، وإن كان داعية ، كقوله للجهمية : أنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال .

وقوله : عندي . يبين أن عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه ، لكنه اختياري ، وقوله في هذه المسألة خلاف المشهور في المذهب ، فان الصحيح من

(١) لم يخرج من الاسلام حتى يكون قد عاد اليه ، وإن كان له أخطاء .

المذهب تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن ، أو نفي الرؤية ، أو
الرفض ، ونحو ذلك ، وتفسيق المقلد .

قال الشيخ مجد الدين ابن تيمية رحمه الله : الصحيح أن كل بدعة
كفرنا فيها الداعية ، فانا نفسق المقلد فيها ، كمن يقول في خلق القرآن ، أو ان علم
الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة ، أو أنه لا يرى في الآخرة ، أو يسب الصحابة تديناً ، أو
يقول : إن الإيمان مجرد الاعتقاد ، وما أشبه ذلك ، فمن كان في شيء من
هذه البدع يدعو اليه ، وينظر عليه ، فهو محكوم بكفره . نص أحمد على
ذلك في مواضع . انتهى .

فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم ، والشيخ رحمه الله يختار عدم
كفرهم ، ويفسقون عنده ، ونحوه قول الناظم : فانه قال : وفسق الاعتقاد
كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويحرمون ما حرم
الله ، ويوجبون ما أوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله
جهلاً وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء
كالخوارج المارقة ، وكثير من الروافض ، والقدرية ، والمعتزلة ، وكثير
من الجهمية الذين ليسوا غلاة التجهم . وأما غلاة الجهمية ، فكغلاة الرافضة ،
ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من
الثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا : هم مباینون لله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو غ الحق مع قصد ومع ايمان
بالله ثم رسوله ولقائه وهم اذا ميزتهم ضربات
قوم دهاهم حسن ظنهم بما قالته أشياخ ذوو أسنان
وديانة في الناس لم يجدوا سوى أقوالهم فرضوا بها بأمان
لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا بدلاً به من قائل البهتان
فأولاء معذورون ان لم يظالموا ويكفروا بالجهل والعدوان
والآخرون فطالبون الحق — كن صدم عن علمه شيطان
مع بحثهم ومصنفات قصدهم منها وصولهم الى العرفان
احداهما طلب الحقائق من سوى أبوابها متسوري الجدران
وسلوك طرق غير موصلة الى درك اليقين ومطلع الايمان
فتشابهت تلك الأمور عليهم مثل اشتباه الطرق بالحيران
فغرى أفاضلهم حيارى كلها في التيه يقرع ناجذ الندمان
ويقول قد كثرت علي الطرق لا أدري الطريق الأعظم السلطاني

بل كلها طرق مخوفات بها الـ آفات حاصلة بلا حساب
فالوقف غايته وآخر أمره من غير شك منه في الرحمن
أو دينه وكتابه ورسوله ولقائه وقيامه الأبدان
فأولاء بين الذنب والأجرين أو إحداهما أو واسع الغفران
فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
وانظر إلى أحكامهم فينا لأجل خلافهم اذقاه الوحيان
هل يستوي الحكماء عند الله أو عند الرسول وعند ذي الإيمان
الكفر حق الله ثم رسوله بالشرع يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبداه قد كفراه فذاك ذو الكفران
فهل ويحكم نحاكمكم إلى النصين من وحي ومن قرآن
وهناك يعلم أي حزيننا على الكفران حقاً أو على الإيمان
فليهنكم تكفير من حكمت بإسلام وإيمان له النصف
لكن غايته كفاية من سوى الـ معصوم غاية نوع ذا الإحسان
فيصير الأجرين أجراً واحداً إن فاته من أجله الكفلات
إن كان ذاك مكفر يأمة الـ عدوان من هذا على الإيمان
قد دار بين الأجر والأجرين والكفر بالدعوى بلا برهان
كفرتهم والله من شهد الرسول بأنه حقاً على الإيمان

ثنتان من قبل الرسول وخصلة من عندكم أفأنتما عدلان؟!

فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان

كم ذا التلاعب منكم بالدين والـإيمان مثل تلاعب الصبيان
خسفت قلوبكم كما كسفت عـقولكم فلا تزكوا على القرآن
كم ذا تقولوا مجمل ومفصل وظواهر عزلت عن الإيقان
حتى إذا رأي الرجال أننا كم فاسمع لما يوحى بلا برهان
يقول الناظم رحمه الله : إنكم معاشر المخالفين للكتاب والنسة ، تلاعبتم
بالدين ، كتلاعب الصبيان ، فاذا احتج أهل الأثبات بنصوص الوحيين فحيلتم
في ردها بأنواع الحيل ، فتارة بدعوة الاجمال ، وتارة بالتأويل ، وتارة
بقولكم : ظواهر لفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك ، فاذا جاءت آراء الرجال
نزلوها منزلة النصوص ، ثم ضرب لهم مثلاً بقوله :

مثل الخفافيش التي ان جاءها ضوء النـها ففي كوى الحيطان
عميت عن الشمس المنيرة لاتـطيق هداية فيها الى الطيران
حتى إذا ما الليل جاء ظلامه جالت بظلمته بكل مكان
فترى الموحد حين يسمع قولهم ويراهم في محنة وهوان

وارحمته لعينه ولاذنه يا محنة العينين والأذنان

قوله : مثل الخفافيش الخ . قال في « القاموس » : خفاش كرمان : الوطواط ، سمي لصغر عينيه ؛ وضعف بصره . وأما الكوى فقال في « القاموس » : الكوة بفتح الكاف ويضم والكو : الحرق في الجائط جمع كوى ، وكواء ، وتكوى دخل مكاناً ضيقاً ، أي : إن هؤلاء المعطلة ، لضعف بصائرهم ، مثل الخفافيش ، متى سمعوا نصوص الوحيين ، ورأوا نور الكتاب والسنة ؛ لم تحتملها بصائرهم لضعفها ، فإذا جاءت ظلمة آراء الرجال ، جالوا بها وصالوا ، ولهذا قال الناظم : وارحمته لعينه ولاذنه ، أي : بما يرى ويسمع من كثرة الآراء والهذيان والشبه التي ما أنزل الله بها من سلطان . ولهذا قال الناظم :

إن قال حقاً كفره وإن يقو لوا باطلاً نسبوه للإيمان
حتى إذا مارد عادوه مثل عداوة الشيطان للإنسان
قالوا له خالفت أقوال الشيو خ ولم يبالوا الخلف للفرقان
خالفت أقوال الشيوخ فأنتم خالفتم من جاء بالقرآن
خالفتم قول الرسول وإنما خالفت من جرّاه قول فلان

أي : إن قال المبتدع بما دلت عليه نصوص الوحيين كفره ، وإن قالوا هم باطلاً نسبوه للإيمان ، فإن رده المبتدع عادوه مثل عداوة الشيطان للإنسان ، يحتمل أن مراده بالشيطان والانسان آدم وإبليس ، ويحتمل أن مراده الجنس ، أي : عادوه مثل عداوة الشيطان لجنس بني آدم .

قوله : قالوا : خالفت أقوال الشيوخ ، أي : قالوا له : خالفت أقوال
الشيوخ ، وهم قد خالفوا القرآن من غير مبالاة ، فيقول لهم المبتدئ : إن
كنت خالفت أقوال الشيوخ ، فلم أخالفها الا لأجل من جاء بالقرآن .

قوله : من جراه بضم الجيم والمد . أي : من أجل الرسول ﷺ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياحبذا ذاك الخلاف فانه عين الوفاق إطاعة الرحمن
أوما علمت بأن أعداء الرسول ل عليه عابوا الخلف بالبهتان
لشيوخهم ولما عليه قد مضى أسلافهم في سالف الأزمان
ما العيب الا في خلاف النص لا رأي الرجال وفكرة الازهان
أنتم تعيينون بهذا وهو من توفيقنا والفضل للعنان
فليهنكم خلف النصوص ويهتنا خلف الشيوخ أيستوي الخلفان
والله ما تسوى عقول جميع أهل الأرض نصاً صحيحاً ذاك تبيان
حتى نقدمها عليه معرضين مؤولين محرفي القرآن
والله ان النص فيما بيننا لأجل من آراء كل فلان
والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من انسان

أي : ينبغي لك أيها الناظر في هذا النظم أن تعلم أن أعداء الرسول
عابوا عليه ، خلاف آباءهم وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مقتدون . ومن معائبهم للرسول ﷺ أنهم يقولون له : ضللت آباءنا ، فيقول الناظم :
ما العيب الا في خلاف النص ، وأما خلاف آراء الرجال المخالفة للنصوص ، فهو

عين الرفاء لطاعة الرحمن ، ولهذا قال متمكماً بهم : فليهنكم خلف النصوص
وبهتنا الخ . ثم قال : والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من إنسان ،
أي : والله ما نقمتم علينا مرة واحدة خلاف النص ، ولما خلاف الأشعري ،
وأشار الى ذلك بقوله :

الإخلاف الأشعري يزعمكم وكذبتم أنتم على الانسان
كفرتم من قال من قد قاله في كتبه حقاً بلا كتمان
هذا وخالفناه في القرآن مثلاً خلافكم في الفوق للرحمن
فالأشعري مصرح بالاستواء وبالعلو بغاية التبيان
ومصرح أيضاً باثبات الديدن ووجه رب العرش ذي السلطان
ومصرح أيضاً بأن لربنا سبحانه عينان ناظرتان
ومصرح أيضاً باثبات النزول لربنا نحو الرفيع الداني
ومصرح أيضاً باثبات الأصابع مثل ما قد قال ذو البرهان
ومصرح أيضاً بأن الله يوم الحشر يبصره أولو الايمان
جهرأ يرون الله فوق سمائه رؤيا العيان كما يرى القمران
ومصرح أيضاً باثبات المجيء وأنه يأتي بلا نكران
ومصرح بفساد قول مؤول للاستواء بقهر ذي السلطان
ومصرح أن الألى قالوا بذات التأويل أهل ضلالة ببيان
ومصرح أن الذي قد قاله أهل الحديث وعسكر القرآن

هو قوله يلقي عليه ربه وبه يدين الله كل أوان

قال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين وذكر فيه فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ، ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث : جملة قول أصحاب الحديث ، وأهل السنة ، الاقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدآ ، وإن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأن له يدين ، بلا كيف ، كما قال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن أسماء الله لا يقال : إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله علماً كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) فاطر : ١١ وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفتته المعتزلة ، وأثبتوا الله القوة ، كما قال (أر لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فصلت : ١٥ وذكر مذهبهم في القدر . . . الى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال : غير مخلوق ، ويقولون أن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى

القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، وذكر قولهم في الاسلام ، والإيمان ، والحوض ، والشفاعة ، وأشياء الى أن قال : ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون : مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار . . الى أن قال : وينكرون الجدل والمرء في الدين ، والخصومة ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم ، ويسلمون الروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي جاء بها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ، لا يقولون (كيف) ولا (لم) لأن ذلك بدعة . . . الى أن قال : ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال : (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) . . . الى أن قال : ويرون بجانب كل داع الى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ، مع الاستكانة ، والتواضع ، وحسن الخلق ، مع بذل المعروف ، وكف الأذى . وترك النيبة ، والنمية ، والسعاية ، وتقصد المآكل والمشارب . قال : فهذه جملة ما يؤمر به ، ويستسلمون اليه ، ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا الا بالله ، وهو المستعان . وقال الأشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : هـ ولا يتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول : استوى بلا كيف . وأنه له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين ، كما قال (خلقت يدي) ص : ٧٥ وأن له عينين ، كما قال (تجري بأعيننا) البقرة : ١٤

وأنه مجيء يوم القيامة وملائكته ، كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)
الفجر : ٢٢ وأنه ينزل الى سماء الدنيا ، كما جاء في الحديث ، ولم يقولوا
شيئاً الا ما وجدوه في الكتاب ، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ .
وقالت المعتزلة : إن الله استوى على العرش ، بمعنى استولى ، وذكر مقالات
أخرى . وقال أيضاً أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه « الإبانة في
أصول الديانة » : وقد ذكر أصحابه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون
في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال : فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة .
فان قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية
والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها
تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك
بكتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث
ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله
وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون ،
لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ودفع به
الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيع الزائعين ،
وشك الشاكين ، فرحمه الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ،
وكبير مفهم .

وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاءوا به من
عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانزاد من

ذلك شيئاً ، ون الله واحد ، لا اله إلا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا
ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة
حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من
في القبور ، وأن الله مستو على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى)
طه : ٥ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)
الرحمن : ٢٧ وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت يدي) ص : ٧٥
وكما قال : (بل يدها مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف ،
كما قال : (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ ومن زعم أن أسماء الله غيره ، كان
ضالاً ، وذكر نحواً مما ذكر في الفرق . . إلى أن قال : ونقول : إن
الاسلام أوسع من الايمان ، وليس كل اسلام إيماناً ، وندين بأن الله يقلب
القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، يضع السموات على أصبع ،
والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم . . إلى
أن قال : وأن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونسلم للروايات الصحيحة
عن النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي
إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . إلى أن قال : ونصدق بجميع الروايات التي
يثبت بها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول :
هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ وسائر ما نقلوه وإثبتوه ، خلافاً لما قال
أهل الزيغ والتضليل . ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا ، وسنة نبينا ،
واجماع المسلمين ، وما كان في معناه ، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا
به ، ولا نقول على الله ما لا نعلم ، ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة ، كما
قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأن الله يقرب من

عباده كيف شاء ، كما قال : (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) ق : ١٦
وكما قال : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨ ، ٩
إلى أن قال : وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقي مما لم نذكره باباً باباً ،
ثم نتكلم على أن الله يرى ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن
غير مخلوق ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على من وقف في القرآن ،
وقال : لا أقول : إنه مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ورد عليه ، ثم قال : باب
ذكر الاستواء على العرش ، فقال : إن قال قائل : ما تقولون في الاستواء؟
قلنا له : نقول : إن الله مستو على عرشه . كما قال : (الرحمن على العرش
استوى) طه : ٥ وقد قال الله (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله إليه) النساء : ١٥٨ وقال : (يدبر
الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) السجدة : ٥ وقال حكاية عن
فرعون (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع
إلي الله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في
قوله : إن الله فوق السموات ، وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف
بكم الأرض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق
السموات قال : (أأمنتم من في السماء) لأنه مستو على عرشه الذي هو
فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السموات ، وليس
إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السماء ، وإنما أراد العرش الذي
هو أعلى السموات . ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال : (وجعل
القمر قين نوراً) نوح : ١٦ فلم يرد أن القمر يلاهن ، وأنه فيهن جميعاً ،
ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله على العرش

الذي فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش ، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحيطونها إذا دعوا إلى الأرض ، ثم ذكر رحمه الله فصلاً رد فيه على من تأول الاستواء بالاستيلاء من الجهمية ، والمعتزلة أبلغ رد ، واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب ، والسنة ، والاجماع والعقل . وقد تقدم ذلك ، وهذا الذي ذكرناه من كلام أبي الحسن الأشعري ، هو مضمون ما ذكره الناظم عنه .

قلت : ومن العجب أن المنتمين إلى الامام أبي الحسن الأشعري ، مع شدة تعظيمهم له ، قد خالفوه في أكثر مذاهب اليه وخالف فيه المعتزلة ، فانه في بدايته وأول أمره كان معتزلياً ، ودرس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة ، ثم لما بين الله له الحق رجع عن الاعتزال ، وتابذ المعتزلة ، ورد عليهم أبلغ الرد ، وصار متكلماً للسنة ، بل هو كما قيل فيه : إنه حيزر المعتزلة في قمع السمسة ، ثم قد خالفوه في أكثر ما رجع عنه ، ورجعوا إلى مذهب المعتزلة ، فتأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة أو القدرة ، والنزول بنزول الأمر والملائكة ، والجيء بمجيء الأمر والملائكة ، والرضى بالاثابة ، والغضب بالانتقام ، والرحمة بالانعام ، أو ارادة الانعام ، بل لعلمهم زادوا على المعتزلة في التأويلات الباطلة ، والتحملات العاطلة ، فنعود بالله من موجبات غضبه .

وقول الناظم : هذا وخالفناه في القرآن الخ . أي : خالفناه في قوله : إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي ، وإن القرآن عبارة عن ذلك المعنى ، كما خالفتموه في الاستواء ، والعلو ، واثبات الصفات الحسية ، فلم كان خلافنا له كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟ ! وخالفتم النصوص أيضاً ، ونحن خالفنا آراء جهنم ذي البهتان .

ثم أقسم الناظم : والله مالكم جواب غير تكفير النخ أي : ليس لكم جواب غير تكفيرنا بلا علم . ثم قال متهمكما : أستغفر الله العظيم النخ . أي : لكم جواب آخر وهو الشكوى إلى السلطان بغير علم ولا برهان . قوله ، والله لا الأشعري تبعتم النخ . أي إنهم لم يتبعوا الأشعري ، ولا النصوص ، ولكنهم وافقوا المعتزلة في أكثر مذهبوا اليه . كما تقدم ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم :

لكنه قد قال إن كلامه معنى يقوم بربنا الرحمن
في القول خالفناه نحن وأنتم في الفوق والأوصاف للديان
لو كان نفس خلافنا كفرأ وكا ن خلا فكم هو مقتضى الايمان
هذا وخالفتم لنص حين خا لفنا لرأي الجهم ذي البهتان
والله مالكم جواب غير تكفير بلا علم ولا ايقاف
أستغفر الله العظيم لكم جواب غير ذي الشكوى إلى السلطان
فهو الجواب لديكم ولنحن منتظرون منكم يا أولي البرهان
والله لا للأشعري تبعتم كلا ولا للنص بالاحسان
يا قوم فانتبهوا لأنفسكم وخسبوا الجهل والدعوى بلا برهان
ما في الرياسة بالجمالة غير ضحكة عاقل منكم مدى الأزمان
لا ترضوا برياسة البقر التي رؤساؤها من جملة الثيران
لما ذكر الناظم رحمه الله أن النفاة لم ينقموا علينا والله الحمد أنا خالفنا

النصوص ، وإنما نقوموا علينا مخالفة الأشعري ، أخذ يبين كذب هذه الدعوى ، ويوضح أنهم خالفوه أعظم المخالفة ، فإنه رحمه الله قد صرح باثبات الاستواء والعلو ، واثبات اليبدين ، والوجه ، والعينين ، والنزول الى سماء الدنيا ، والأصابع ، وصرح باثبات رؤية الله تعالى بالابصار يوم القيامة ، وصرح باثبات المجيء ، وصرح بفساد قول أهل التأويل للاستواء بالقهر ، وصرح باثبات الصفات الخبرية ، وصرح بأنه يقول بجميع ما قاله أهل الحديث ، كما تقدم نقل ذلك عنه ، ولكن نحن قد خالفناه في قوله بالكلام النفسي وأتم معاشر النفاة خالفتموه في الفوق ، واثبات الصفات ، فلاي شيء كان خلافنا له كفرأ ، وخلافكم له إيماناً ؟! ومع خلافكم له ، فقد خالفتم النصوص القطعية ، ونحن خالفناه في ذلك لأنه خلاف المنقول الصحيح ، والمعقول الصريح . ثم أقسم الناظم : أنه لا جواب لهم إلا التكفير بغير علم ولا حجة ، ثم استثنى أن لهم جواباً آخر ، وهو شكاية مخالفهم الى السلطان اذا غلبهم بالحجة والبرهان ، ومع هذا قد خالفوا النصوص وخالفوا الاشعري ، فحاصل كلامهم كثرة الدعاوى بلا برهان ، وتكفير أهل العلم والايمان ، نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصته ولا يبغض الانصار
رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

يا مبغضاً أهل الحديث وشائماً أبشر بعقد ولاية الشيطان
أو ما علمت بأنهم أنصار دين الله والايان والقرآن؟
أو ما علمت بأن أنصار الرسول ل هم بلا شك ولا نكران؟
هل يبغض الأنصار عبد مؤمن أو مدرك لروائح الايمان؟
شهد الرسول بذلك وهي شهادة من أصدق الثقلين بالبرهان
أو ما علمت بأن خزرج دينه والأوس هم أبداً بكل زمان؟
ما ذنبهم إذ خالفوك لقوله ما خالفوه لأجل قول فلان
لو وافقوك وخالفوه كنت تشهد أنهم حقاً أولو الايمان
لما تحيزتم الى الأشياء وانحازوا الى المبعوث بالقرآن
نسبوا اليه دون كل مقالة أو حالة أو قائل ومكان
هذا انتساب أولي التفرق نسبة من أربع معلومة التبيان

قوله نسبة من أربع الخ. وهي النسب المعروفة وهي الماثلة والموافقة والمناسبة والمخالفة (١)

فلذا غضبتهم حينما انتسبوا إلى غير الرسول بنسبة الاحسان
فوضعتم لهم من الألقاب ما تستقبحون وذا من العدوان
تقدمت الألقاب التي وضعوها لأهل الحديث ومعانيها .
هم يشهدونكم على بطلانها أفتشهدونهم على البطالة ؟!
ماضرهم والله بغضكم لهم إذ وافقوا حقاً رضى الرحمن
يا من يعاديهم لأجل ما كل ومناصب ورياسة الاخوان
تهنيك هاتيك العداوة كم بها من حسرة ومذلة وهوان
ولسوف تجني غيها والله عن قرب وتذكر صدق ذي الايمان
فاذا تقطعت الوسائل وانتهت تلك المآكل في سر يع زمان
فهناك تقزع سن ندمان على التفريط وقت السير والامكان
وهناك تعلم ما بضاعتك التي حصلتها في سالف الأزمان
إلا الوبال عليك والحسرات والـ بخسران عند الوضع في الميزان
قليل وقال ماله من حاصل الا العناء وكل ذي الأذهان

(١) وعلى هامش الأصل : الظاهر ان النسب الاربع هي ما أشار اليه الناظم بقوله :
نسبو اليه ، يعني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون الانتساب الى مذهب أو غيره من
الأربع المذكورات في البيت والله أعلم . قال ذلك شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقري
عفا الله عنه .

والله ما يجدي عليك هناك إلاّ ذا الذي جاءت به الوحيان
والله ما ينجيك من سجن الجحيم سوى الحديث ومحكم القرآن
والله ليس الناس إلا أهله وسواهم من جملة الحيوان
ولسوف تذكر برذي الأيماز عن قرب وتقرع ناجذ الندمان
رفعوا به رأساً ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان
فهم كما قال الرسول ممثلاً بالماء مهبطه على القيعان
لالماء يمسكه ولا كلابها يرعاه ذوكبد من الحيوان

يشير الى الحديث الذي في الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي
ﷺ أنه قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب
أرضاً ، فكان منها طائفة قبلت الماء ، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ،
وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب
منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل
من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم
يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

هذا إذا لم تحرق الزرع الذي بجوارها بالنار أو بدخان
والجاهلون بذوا وهذا هم زوا ن الزرع أي والله شرزواني
وهم لدا غرس الاله كمثل غرس الدلب بين مغارس الرمان

قوله : زوان . قال في « القاموس » الزوان : الذي يخاط البر .

قوله : الدلب . قال في « القاموس » : الدلب بالضم : الصغار .

واحدته بهاء ، وأرض مدلبة : كثيرة . وفي « مختار الصحاح » : الدلب : شجر ، الواحدة دلبة .

يمتص ماء الزرع مع تخصيبه . أبداً عليه وليس ذا قنوان
 ذا حالهم مع حال أهل العلم أنصار الرسول فوارس الايمان
 فعليه من قبل الاله تحية والله يبقيه مدى الأزمان
 لولاه ماسقي الغراس فوق ذا لك الماء للدلب العظيم الشأن
 فالغرس دلب كله وهو الذي يسقى ويحفظ عند أهل زمان
 فالغرس في تلك الحضارة شارب فضل المياه مصاوة البستان
 لكننا البلوى من الخطاب قـ طاع الغراس وعافر الحيطان
 بالنفوس يضرب في أصول الغرس كي يجثمها ويظن ذا إحسان
 ويظل يحلف كاذباً لم أعتمد في ذا سوى الشيت للعيان
 يا خيبة البستان من خطابه ما بعد ذا الخطاب من بستان
 في قلبه غل على البستان فـ موكـ بالقطع كل أوان
 فالجاهلون شرار أهل الحق والعلماء سادتهم أولو الاحسان
 والجاهلون خيار أحزاب الضلال وشيعة الكفران والشيطان
 وشرارهم علماؤهم هم شر خلق الله آفة هذه الأكوان
 يشير الى الحديث الذي ورد « علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم
 خرجت الفتنة ، وفيهم تعود »

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت فرضاً من الامصار الى بلدته عليه السلام

يا قوم فرض الهجرتين بحاله والله لم ينسخ الى ذا الآن
والهجرة الاولى الى الرحمن بالـإخلاص في سر وفي إعلان
حتى يكون القصد وجه الله بالأقوال والأعمال والإيمان
ويكون كل الدين للرحمن ما لسواه شيء فيه من انسان
والحب والبغض للذان هما لكل ولاية وعداوة أصلان
لله أيضاً هكذا الاعطاء والمنع للذان عليهما يقفان
والله هذا شطر دين الله والتحكيم للمختار شطر ثان
وكلاهما الإحسان لن يتقبل الرحمن من سعي بلا إحسان
والهجرة الأخرى الى المبعوث بالـإسلام والإيمان والاحسان
ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن فرض الهجرتين باق لم ينسخ ،
فالهجرة الاولى الى الله تعالى ، وذلك بالاخلاص له في السر والعلن ، وأن
يكون القصد وجهة الله بالأقوال والأعمال والإيمان ، وأن يكون الدين كله
لله ، وأن يكون الحب والبغض لله تعالى ، وكذلك الإعطاء والمنع ، وهذا
شطر الدين ، وشطره الثاني تحكيم المختار ﷺ ، كما قال الناظم : والهجرة

الثانية هي الهجرة الى الرسول ﷺ ، باتباعه في الدق والجل ، ورد ما
تنازع الناس فيه إلى سنته ، ورد كل قول لقوله .

أترون هذي هجرة الابدان لا والله بل هي هجرة الايمان
قطع المسافة بالقلوب اليه في درك الأصول مع الفروع فذان
ابدأ إليه حكمها لا غيره فالحكم ما حكمت به النسان
يا هجرة طالت مسافتها على من خص بالحرمان والحذلان
يا هجرة طالت مسافتها على كسلان منخوب الفؤاد جهان
قال في « القاموس » : رجل نخب ، ونخب ، ونخبة ، ونخب ، كهجف ،
ومنتخب ، ومنخوب ، ونخب ، ونخب : جبان ، جمع نخب . انتهى .

يا هجرة والعبد فوق فراشه سبق السعادة لمنزل الرضوان
ساروا أحث السير وهو فسيره سير الدلال وليس بالذملان
قوله : الدلال . قال في « القاموس » : أدل عليه : انبسط ، كتدل .
قولو : الذملان حركة : هو السير اللين .

قال في « القاموس » العلم حركة : الجبل الطويل ، أو عام ، جمع
أعلام ، وعلام . انتهى . وقاع ، وأرض وقعة ، لا تنكاد تنشف الماء ، قاله
في « القاموس » .

رفعت له أعلام هاتيك النصو صرؤوسها شابت من النيران
نار هي النور المبين ولم يكن ليراه إلا من له عينان

مكحولتان بمروءة الوحيين لا بمراود الآراء والهذيان
فلذا كثر شمر نحوها لم يلتفت لا عن شمائله ولا أيمان
ياقوم لو هاجرتم لرأيتم أعلام طيبة رؤية بعيان
ورأيتم ذاك اللواء وتحتة الرسل الكرام وعسكر القرآن
أصحاب بدر والألى قد بايعوا أذكى البرية بيعة الرضوان
وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذا أنصار أهل الدار والايان
والتابعون لهم باحسان وسا لك هديهم أبداً بكل زمان
لكن رضيتم بالاماني وابتليتـتم بالحظوظ ونصرة الاخوان
بل غركم ذاك الغرور وسولت لكم النفوس وساوس الشيطان
ونبذتم غسل النصوص وراءكم وقنعتكم بقطارة الأذهان
قال في « القاموس » القطارة بالضم : ما قطر من الشيء ، والقليل من الماء

وتركتكم الوحيين زهداً فيها ورغبتكم في رأي كل فلان
وعزلتكم النصين عما وليا للحكم فيه عزل ذي عدوان
وزعمتم ان ليس يحكم بيننا الا العقول ومنطق اليونان
فهما يحكم الحق أولى منهما سبحانهك اللهم ذا السبحان
حتى اذا انكشف الغطاء وحصلت الأعمال هذا الخلق في الميزان
واذا انجلي هذا الغبار وصار ميدان السباق تناله العينان

وبدت على تلك الوجوه سماتها وسم المليك القادر الديان
مبيضة مثل الرياض بجنة والسود مثل الفحم للنيران

معنى هذه الأبيات أنكم معاشر النفاة لما تركتم الوحين ، وهما الكتاب
والسنة ، وعزائم النصين ، وزعمتم أن ليس يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه
إلا العقول والمنطق ، فإذا انكشف الغطاء ، وذلك يوم القيامة ، وحصلت
أعمال الناس ، وانجلي الغبار ، وصار ميدان السباق ، وبدت على الوجوه
سماتها ، أي علاماتها ، وصارت وجوه مبيضة في الجنة ، ووجوه مسودة في
النار ؛ عرفتم حاصلكم ومحصلكم ، ورأيتم ما أوجبه لكم أصولكم .

فهنالك يعلم راكب ما تحته وهناك يقرع ناجذ الندمان
وهناك تعلم كل نفس ما الذي معها من الارباح والخسائر
وهناك يعلم مؤثر الآراء والشطحات والهديان والبطلان
أي البضائع قد أضاع وما الذي منها تعوض في الزمان الفاني
قوله : فهنالك يعلم راكب الخ أي : إذا انجلي الغبار ، عرف راكب
مناحته ، أفرس أم حمار ؟ وهناك يقرع الندمان ناجذ الندم وهناك تعلم نفس
ما الذي معها من الربح والخسائر ، وهناك يعلم مؤثر شطحات الصوفية
وآراء المتكلمين وهديانهم وأباطيلهم على الكتاب والسنة أنه فاتة أعظم بضاعة ،
وأنه تعوض أخسر بضاعة ، وأخس نصيب ، وأنه فاتة أعظم الربح ، تعود
بالله من موجبات غضبه .

سبحان رب الخلق قاسم فضله والعدل بين الناس في الميزان
لو شاء كان الناس شيئاً واحداً ما فيهم من تائه حيرات

لكنه سبحانه يختص بالفضل العظيم خلاصة الانسان
وسواهم لا يصلحون لصالح كالشوك فهو عمارة النيران
وعمارة الجنات هم أهل الهدى الله أكبر ليس يستويان
فصل الهداية من أزمة أمرنا بيديه مسألة الدليل العاني
قوله : لو شاء كان الناس شيئاً واحداً الخ . هذا كما قال تعالى : (ولو
شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ...) هود : ١١٨
الآية ، ولكنه سبحانه يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله ، كما
قال تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
يونس : ٢٥ فعم بالدعوة ، وخص بالهداية

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعد له أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع
قال الناظم :

وسل العباد من اثنتين هما اللتان بهلك هذا الخلق كافتان
شر النفوس وسيىء الأعمال ما والله أعظم منهما شران
ولقد أتى هذا التعمود منهما في خطبة المبعوث بالقرآن

يشير إلى خطبة الحاجة : وهي ما روى ابن مسعود قال : علمنا رسول
الله ﷺ خطبة الحاجة « الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا
هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... »

الحديث رواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذي ، حديث حسن .

لو كان يدري العبد أن مصابه في هذه الدنيا هو الشراب
جعل التعوذ منهم ديدانه حتى نراه داخل الأكفان
وسل العياذ من التكبر والهوى فهما لكل الشر جامعتان
وهما يصدان الفتى عن كل طر ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنع هواه تارة والكبر أخرى ثم يشتركان
والله ما في النار إلا تابع هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منها لأنت اليك وفود كل تهان

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين .

والفرق بين الدعوتين فظاهر جداً لمن كانت له أذنان
فرق مبين ظاهر لا يختفي ايضاحه إلا على العميان
فالرسل جاؤونا بأبواب العلم—ولربنا من فوق كل مكان
وكذا أتونا بالصفات لربنا الرحمن تفصيلاً بكل بيان
وكذلك قالوا إنه متكلم وكلامه المسموع بالأذان

وكذلك قالوا انه سبحانه المرئي يوم لقائه بعيان
وكذلك قالوا إنه الفعال حقاً كل يوم ربنا في شان
وأتيتمونا أنتم بالنفي والتعيطل بل بشهادة الكفران
للمشبتين صفاته وعلوه ونداءه في عرف كل لسان
شهدوا بإيمان المقر بأنه فوق السماء مابين الأكوان
وشهدتم أنتم بتكفير الذي قد قال ذلك ياأولي العدوان
وأنتى بأين الله إقراراً ونطقاً قلتم هذا من البهتان
فسؤالنا بالالين مثل سؤالنا ما الكون عنكم هما شيئان ؟
وكذا أتونا بالبيان فقلتم باللغز أين اللغز من تبيان
إذ كان مدلول الكلام ووضعه لم يقصدوه بنطقهم بلسان
والقصد منهم غير مفهوم به ما اللغز عند الناس الا ذان
ياقوم رسل الله أعرف منكم وأتم نصحاً في كال بيان
أتروهم قد ألغزوا التوحيد إذ ينتموه ياأولي العرفان ؟
أتروهم قد أظهروا التشبيه وهو لديكم كعبادة الأوثان
مضمون ما ذكره الناظم في هذه الأبيات ، هو اثبات الفرق بين دعوة
المرسلين ، ودعوة المعطلين ، وذلك أن الرسل جاؤوا باثبات العلو والفوقية

واثبات الصفات تفصيلاً، وأنه سبحانه متكلم بكلام مسموع ، وأنه سبحانه يرى يوم القيامة رؤية العيان ، وأنه الفعال سبحانه ، وأنه كل يوم في شأن . وأما المعطلون فأثروا بالنفي والتعطيل ، بل شهدوا بالكفر لمثبتي علوه سبحانه فوق عباده بائناً عن الخلقات ، أثروهم أيها المعطلة قد ألغزوا التوحيد وينتموه أنتم ؟ أو أنهم أظهروا التشبيه بزعمكم والعياذ بالله

ولأي شيء لم يقولوا مثل ما قد قلتموا في ربنا الرحمن ؟
ولأي شيء صرحوا بخلافه تصريح تفصيل بلاكتاف ؟
ولأي شيء بالغوا بالوصف بالاثبات دون النفي كل زمان
ولأي شيء أنتم بالغتم في النفي والتعطيل بالقفران
فجعلتم نفي الصفات مفصلاً تفصيل نفي العيب والنقصان
وجعلتم الاثبات أمراً مجملاً عكس الذي قالوه بالبرهان

أي ما بال الرسل أيها المعطلة لم يقولوا مثل ما قلتم في الله تعالى ؟ !
بل صرحوا دائماً بخلافه تصريحاً على التفصيل بغير كتمان ، وأما أنتم فبالغتم في النفي والتعطيل بالقفران . القفيز : مكيال ثمانية مكايك ، ومن الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، جمع أقفزة ، وقفران ، قاله في « القاموس » فجئتم بنفي مفصل ، واثبات مجمل . وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فجاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، ولهذا قال :

أترأهم عجزوا عن البيان واستوليتهم أنتم على التنيان ؟
أثرون أفراخ اليهود وأمة التـعـطـيل والعباد للنيران

ووقاح أرباب الكلام الباطل المذموم عند أئمة الايمان
من كل جهمي ومعتزل ومن والاها من حزب جنكسخان
بالله أعلم من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن
أي أترى الرسل عليهم الصلاة والسلام عجزوا عن التبيان ، واستوليت
أيها المعطلة عليه ؟ أم هل ترون أفراخ اليهود ، والمعطلة ، وأبناء الجوس
عباد النيران ، وأوقاح أهل الكلام وغيرهم من الجهمية والمعتزلة ومن والاهم
من حزب جنكسخان أعلم بالله من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن ؟
ثم قال رحمه الله تعالى :

فسلوهم بسؤال كتبهم التي جاؤوا بها عن علم هذا الشأن
وسلوهم هل ربكم في أرضه أو في السماء وفوق كل مكان ؟
أم ليس من ذا كله شيء فلا هو داخل أو خارج الاكوان
فالعلم والتبيان والنصح الذي فيهم يبين الحق كل بيان
لكنما الألفاظ والتليس والكتمان فعل معلم الشيطان

فصل

في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لها الى الرحمن

لما كان أهل التعطيل يشكون أهل الحديث والسنة الى السلاطين ،

ویرمونهم بالعظام والبهت ، قابلهم أهل السنة بالشكایة الى الرحمن سبحانه .
یارب هم يشكوننا أبدأ ببغهم وظلمهم إلى السلطان
ويلبسون عليه حتی أنه لیظنهم هم ناصروا الایمان
فیرونه البدع المضلة فی قوا لب سنة نبویة وقران
ویرونه الاثبات للأوصاف فی أمر شنیع ظاهر التكران
فیلبسون علیه تلبیسین لو كشفنا له باداهم بطعان
یافرقه التلبیس لا حیتم أبدأ وحیتم بكل هوان
لكننا نشكوهم وصنیعهم ابدأ الیک فأنت ذو السلطان
فاسمع شکایتنا وأشك محققنا والمبطل اردده عن البطلان
أشك بقطع الهمة .

راجع به سبل الهدی والطف به حتی تریه الحق ذا تیان
وارحمه وارحم سعيه المسکین قد ضل الطريق وتاه فی القیعان
یارب قد عم المصاب بهذه الـ آراء والشحطات والبهتان
هجروا لها الوحین والفقارات والـ آثار لم یعبوا بذال هجران
قالوا وتلك ظواهر لفظیة لم تغن شیئاً طالب البرهان
فالعقل أولى أن یصار الیه من هذی الظواهر عند ذی العرفان
ثم ادعی کل بأن العقل ما قد قلته دون الفريق الثانی

يارب قد حار العباد بعقل من يزنون وحيك فأت بالميزان
وبعقل من يقضي عليك فكلمهم قد جاء بالمعقول والبرهان
يارب أرشدنا إلى معقول من يقع التحاكم أننا خصمان

هذا كما قال شيخ الاسلام في « الحموية » : ثم المخالفون للكتاب والسنة
في أمر مريب ، فان من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر
فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علماً وقدره ، وأن يكون كلامه غير
مخلوق ، ونحو ذلك ، يقول : إن العقل أحال ذلك ، فاضطر إلى التأويل ،
بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة ،
يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن زعم أن الله
ليس فوق العرش ، يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ،
ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة
فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر
أن العقل أحاله ، فياليت شعري ، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضي
الله عن مالك بن أنس الامام حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من
رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟! انتهى قوله .

جاءوا بشبهات وقالوا إنها معقولة ببداية الأذهان
كل يناقض بعضه بعضاً وما في الحق معقولان مختلفان
وقضوا بها كذباً عليك وجرأة منهم وما التفموا إلى القرآن
يارب قد أوهى النفاة حبائل القرآن والآثار والايمان
يارب قد قلب النفاة الدين والايمان ظهرا منه فوق بطان

يارب قد بلغت النفاة وأجابوا بالخيل والرجل الحقير الشان
 نصبوا الحبال والغرائل للألى أخذوا بوحيك دون قول فلان
 ودعوا عبادك أن يطيعوهم فن يعصيههم ساموه شر هوان
 وقضوا على من لم يقل بضالهم باللعن والتضليل والكفران
 وقضوا على أتباع وحيك بالذي هم أملة لاعسكر الفرقان
 وقضوا بعزلهم وقتلهم وحبسهم ونفيهم عن الأوطان
 وتلاعبوا بالدين مثل تلاعب الـحمر التي نفرت بلا ارسان
 حتي كأنهم تواصوا بينهم يوصي بذلك أول للثاني
 هجروا كلامك هجر مبتدع لمن قد دان بالآثار والقرآن
 فكأنه فيما لديهم مصحف في بيت زنديق أخي كفران
 أو مسجد بجوار قوم همهم في الفسق لا في طاعة الرحمن
 وخواصهم لم يقرؤوه تدبرا بل للتبرك لالفهم معان
 وعوامهم في السبع أو في ختمه أو تربة عوضاً لذي الاثمان
 هذا وهم حرفية التجويد أو صوتية الأنغام والالخان
 يارب قد قالوا بأن مصاحف الـاسلام ما فيها من القرآن
 إلا المداد وهذه الأوراق والـجلد الذي قد سل من حيوان

هذا كما حكى الحافظ أبو محمد بن حزم في كتاب « الملل والنحل » قال :
 ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية

ينطح المصحف برجله . قال : فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك تفعل هذا الفعل بالمصحف وفيه كلام الله عز وجل ؟! فقال لي : ويحك والله ما فيه الا السخام والسواد . وأما كلام الله تعالى فلا ، أو كلاماً هذا معناه . قال أبو محمد : وكتب إلي أبو المرجى علي بن زوار المصري رحمه الله تعالى أن بعض ثقات إخوانه من طلاب السنن أخبره أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول : ان الله تعالى قال : (قل هو الله احد . الله الصمد) ألف لعنة . قال أبو محمد : بل على من ينكر أن الله تعالى قالها ألف لعنة . وعلى من ينكر أنه يسمع كلام الله عز وجل ويقرأ كلام الله عز وجل ألف لعنة . تترى عليه من عند الله عز وجل ، ثم من ملائكته ، وأنبيائه ، وجميع الصالحين من الانس والجن ، فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن ، وتكذيب رسول الله ﷺ ، ومضادة جميع أهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة . انتهى كلامه .

قوله : وعوامهم في السبع . قال في « القاموس » السبع بالضم وكأُمير : جزء من سبعة .

قوله : أو في ختمة . ختم الشيء ختماً : بلغ آخره .

والكل مخلوق ولست بقائل أء لا ولا حرفاً من القرآن

إن ذاك الا قول مخلوق وهل هو جبرئيل أو الرسول فذان

قولان مشهوران قد قالتها أشياخهم ياحنة القرآن

يشير إلى قول الأشاعرة : إن كلام الله عز وجل هو المعنى النفسي ، وإن الفاظ القرآن مخلوقة ، ولكن هل الذي أنشأها جبريل ، أو محمد ﷺ ؟ على قولين لهم مشهورين .

لو داسه رجل لقالوا لم يطأ إلا المداد وكاغد الانسان

يارب زالت حرمة القرآن من تلك القلوب وحرمة الايمان
وجرى على الافواه منهم قولهم ما بيننا لله من قرآن
ما بيننا إلا الحكاية عنه والتعبير ذاك عبارة بلسان
هذا وما التالون عمالاً به إذ هم قد استغنوا بقول فلان
إن كان قد جاز الخاجر منهم فيقدر ما عقلوا من القرآن
والباحثون فقدموا رأي الرجا ل عليه تصريحاً بلا كتمان
عزلوه إذ ولوا سواه وكان ذا لك العزل قائدهم إلى الخذلان
قالوا ولم يحصل لنا منه يقين فهو معزول عن الايقان
إن اليقين قواطع عقلية ميزانها هو منطق اليونان
هذا دليل الرفع منه وهذه أعلامه في آخر الأزمان
يارب من أهلوه حقاكي يرى أقدامهم منا على الأذقان
أهلوه من لا يرتضي منه بديلاً فهو كافهم بلا نقصان
وهو الدليل لهم وهاديهم إلى الـ ايمان والايقان والعرفان
هو موصل لهم إلى درك اليقين حقيقة وقواطع البرهان
يارب نحن العاجزون مجبهم بإقالة الأنصار والأعوان

فصل

في أذان أهل السنة الاعلام بصريحها جهرآ على رؤوس منابر الاسلام

ياقوم قد حانت صلاة الفجر فان تبهوا فاني معلن بأذان
لا بالملحن والمبدل ذاك بل تأذين حق واضح التبيان
وهو الذي حقاً أجابته على كل امرئ وفرض على الأعيان
هذا تأذين لغوي ، لأن الأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى
(وأذان من الله ورسوله ...) التوبة : ٣ الآية .

الله أكبر أن يكون كلامه الهجري مخلوقاً من الأكوان
والله أكبر أن يكون رسوله المملكي أنشأه عن الرحمن
والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان
خلفاً للجهمية والمعتزلة ، والله أكبر أن يكون رسوله المملكي أنشأه
عن الرحمن ؛ أي : جبريل عليه السلام كما يقوله القائلون بالكلام النفسي ،
والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان . أي : محمد ﷺ ،
كما هو أحد القولين للقائلين بالكلام النفسي .

هذه مقالات لكم ياأمة التشبيه ما أنتم على إيمان
أي : إنهم شبهوا الرحمن تعالى بالأصنام التي لا تتكلم ، ثم بين وجه التشبيه

بقوله :

شبهتم الرحمن بالأوثان في عدم الكلام وذاك للأوثان
ما يدل بأنها ليست بألهة وذا البرهان في القرآن
في سورة الأعراف مع طه وثا لثها فلا تعدل عن القرآن

يعني قوله تعالى في سورة الأعراف : ١٤٨ (واتخذ قوم موسى من
بعده من حلبيهم عجلاً جسداً له خوار لم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً)
الآية وفي سورة طه : ٨٨ (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم
واله موسى فأنسى أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً) الآية .

أيصح كون الجاحدين لكونه متكلاً بحقيقة وبيان
هم أهل تعطيل وتشبيه معاً بالجامدات عظيمة النقصان
لاتقذفوا بالداء منكم شيعة الرحمن أهل العلم والعرفان
أي : لاتسروا أهل الحديث والسنة مشبهة ، فانكم أهل التشبيه ،
لأنكم شبهتم الرحمن بالجامدات في عدم الكلام .

ان الذي نزل الأمين به على قلب الرسول الواضح البرهان
هو قول ربي اللفظ والمعنى جميعاً اذ هما أخوان مصطحبان
لاتقطعوا رحماً تولى وصلها الرحمن تنسلخوا من الايمان
ولقد شفانا قول شاعرنا الذي قال الصواب وجاء بالا حسان
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الاشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقات
الرق بفتح الراء والرق .

والله أكبر من على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

والله أكبر ذو المعارج من السبل عليه تعرج الملائك كل أوان

والله أكبر من يخاف جلاله أملاكه من فوقهم ببيان

والله أكبر من غدا لسريه أط به^(١) كالرحل للركبان

والله أكبر من أنانا قوله من عنده من فوق ست ثمان

نزل الأمين به بأمر الله من رب على العرش استوى رحمان

والله أكبر قاهر فوق العبا دفلا تضع فوقية الرحمن

من كل وجه تلك ثابتة له لاتهضموها يا أولي العدوان

قهر أو قدر أو استواء الذات فوق العرش بالبرهان والقرآن

أي : إن أنواع العلو ثابتة لله سبحانه ، وهي علو القهر ، وعلو القدر ، وعلو الذات .

فبذاته خلق السموات العلى ثم استوى بالذات فافهم ذان

فضمير فعل الاستواء يعود للذات التي ذكرت بلا فرقان

أي : إن الضمير في قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ يعود على الله أي : استوى هو .

(١) لا يصح في أطيح العرش حديث .

هو ربنا هو خالق هو مستو بالذات هذي كلها بوزان
والله أكبر ذو العلو المطلق المعلوم بالفطرات للانسان
فعلوه من كل وجه ثابت فالله أكبر جل ذو السلطان
والله أكبر من رقى فوق الطبا ق رسوله فدنا من الديان
واليه قد عرج الرسول حقيقة لانكروا المعراج بالبهتان
ودنا من الجبار جل جلاله ودنا اليه الرب ذو الاحسان^(١)
والله قد أحصى الذي قد قلتم في ذلك المعراج بالميزان
قلتم خيلاً أو أكاذيباً أو الممعراج لم يحصل إلى الرحمن
إذ كان ما فوق السموات العلى رب اليه متمى الانسان
والله أكبر من أشار رسوله حقاً اليه بأصبع وبنان
في مجمع الحج العظيم بموقف دون المعرف موقف الغفران
قد تقدم الحديث في ذلك .

من قال منكم من أشار بأصبع قطعت فعند الله يجتمعان
هذا اشارة الى قول من قال من المعطلة : إن من اشار بأصبعه الى
السماء ، وإن الله تعالى فوق خلقه ، تقطع أصبعه .

والله أكبر ظاهر ما فوقه شيء وشأن الله أعظم شأن
والله أكبر عرشه وسع السما والارض والكرسي ذا الاركان
وكذلك الكرسي قد وسع الطبا ق السبع والأرضين بالبرهان

(١) هذا على من قال بأن الرب عز وجل هو الذي دنا قنلى ، وهو غير صحيح
وهو أيضاً خلاف ما اختاره المصنف في بعض كتبه ، كمدارج السالكين وغيره .
والصحيح أن جبريل عليه السلام هو الذي دنا قنلى . انظر الجزء الأول صفحة (١٩٩) و(٤٠٠) .

والله فوق العرش والكرسي لا يخفى عليه خواطر الانسان
لا تحصروه في مكان إذ تقو لوا ربنا حقاً بكل مكان
نزهتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه في مكان ثان
إشارة الى قول النجارية ، والضرارية : إنه تعالى في كل مكان .

لا تعدمونه بقولكم لاداخل فينا ولا هو خارج الأكوان
إشارة الى قول الجهمية وأتباعهم : إنه تعالى لا داخل العالم ، ولا
خارجه ، فان ذلك صفة المعدوم .

الله أكبر هتكت أستارك وبدت لمن كانت له عينان
والله أكبر جل عن شبه وعن مثل وعن تعطيل ذي كفران
والله أكبر من له الأسماء والـ أوصاف كاملة بلا نقصان

والله أكبر جل عن ولد وصا حبة وعن كفء وعن أخذان
والله أكبر جل عن شبه الجما د كقول ذي التعطيل والكفران
هم شبهوه بالجماد وليتهم قد شبهوه بكامل ذي شان
الله أكبر جل عن شبه العبا دفذان تشييبان ممتنعان

الله أكبر واحد صمد وكـ ل الشأن في صمدية الرحمن
نفت الولادة والأبوة عنه والكفء الذي هو لازم الانسان
وكذاك أثبتت الصفات جميعها لله سالمة من النقصان

والله يصمد كل مخلوق فلا صمد سواه عز ذو السلطان
تقدم الكلام في تفسير الصمد بما يعني عن الاعداء .

لا شيء يشبهه تعالى كيف يشبهه خالقه ماذا في الامكان
لكن ثبوت صفاته و كلامه وعلوه حقاً بلا زكوان
لا تجعلوا الاثبات تشبيهاً له يافرقه التليس والطغيان
كم ترتقون بسلم التنزيه للتعطيل ترويحاً على العميان
أي انكم تسون التعطيل تنزياً للترويح على العميان والجهال ،
فاستعار لفظة السلم لهذا المعنى .

فالله أكبر أن تكون صفاته كصفاتنا جل العظيم الشأن
هذا هو التشبيه لا إثبات أو صاف الكمال فما هما سيان

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لاشك مصطحبان
أبداً فكل معطل هو مشرك حتماً وهذا واضح التبيان
فالعبد مضطر إلى من يكشف السبلوى ويعني فاقة الانسان

واليه يصمد في الحوائج كلها واليه يفزع طالب لأمان
فاذا انتفت أوصافه وفعاله وعلوه من فوق كل مكان
فزع العباد إلى سواه وكان ذا من جانب التعطيل والنكران
فيعطل الأوصاف ذاك معطل الـتوحيد حقاً ذان تعطيلان
قد عطلا بلسان كل الرسل من نوح إلى المبعوث بالقرآن
والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع أبداً بذى امكان
إحدى الطوائف مشرك بالله فإذا دعاه دعاً الهاً ثاني
هذا وثاني هذه الأقسام ذا لك جاحد يدعو سوى الرحمن
هو جاحد للرب يدعو غيره شر كاً وتعطيلاً له قدمانه
هذا وثالث هذه الأقسام خير الخلق ذاك خلاصة الانسان
يدعو الاله الحق لا يدعو سوا ه قط في الاكوان والأزمان
يدعوه في الرغبات والرهبات والـحالات من سر ومن اعلان
لما ذكر في هذا الفصل أن الشرك والتعطيل متلازمان ، ذكر أن الناس
ثلاث طوائف أحدها : المشركون وهم الذين جعلوا مع الله الهاً آخر . والثانية :
الجاحدون الذين يدعون غير الله ويمجدونه ، وهؤلاء قد جمعوا الشرك والتعطيل .
والثالثة : الموحدون خلاصة الانسان الذين يدعون الله سبحانه في الرغبات
والرهبات وجميع الحالات ، ثم قال :

توحيدہ نوعان علمی وقصـدی کما قد جرد النوعان

في سورة الاخلاص مع تال لنصر الله قل يا أيها ببيان
ولذلك قد شرعاً بستة فجرنا . وكذلك سنة مغرب طرفان
فيكون مفتوح النهار وختمه تجريدك التوحيد للديان
وكذلك قد شرعاً بخاتم وترنا ختماً لسعي الليل بالآذان
وكذلك قد شرعاً بركعتي الطوا ف وذاك تحقيق لهذا الشأن
فهما إذاً أخوان مصطحبان لا يتفارقان وليس ينفصلان
فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ذو الشرك فهو معطل الرحمن
أو بعضى أوصاف الكمال له فيحقق ذا ولا تسرع إلى النكران

يقوله : توحيده قصدي الخ . شرح هذه الآيات ما ذكره الناظم رحمه
تعالى في «بدائع الفوائد» في الكلام على سورة (قل يا أيها الكافرون) قال :
ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بها وب (قل هو الله أحد) في سنة الفجر ، وسنة
المغرب ، فان هاتين السورتين سورتنا الاخلاص ، وقد اشتملا على نوعي التوحيد
الذي لا خلاف للعبد ولا نجاة الا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن
تنزية الله عما لا يليق به من الشرك ، والولد ، والوالد ، وأنه إله أحد صمد ،
لم يلد . فيكون له فرع ، ولم يولد فيكون له أصل ، ولم يكن له كفواً
أحد فيكون له نظير ، ومع هذا الذي قد اجتمعت له صفات الكمال كلها ،
فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله ، من صفات الكمال ، ونقي ما لا
يليق به من الشريك أصلاً وفرعاً ونظيراً ، فهذا توحيد العلم والاعتقاد ،
والثاني توحيد القصد والارادة ، وهو أن لا يعبد الا الله ، فلا يشرك به في
عبادته سواء ، بل يكون وحده هو المعبود . وسورة (قل يا أيها الكافرون)

مشملة على هذا التوحيد ، فانتظمت السورتان نوعي التوحيد ، وأخلصت له ، فكان النبي ﷺ يفتح بها النهار في سنة الفجر ، ويختم بها في سنة المغرب . وفي « السنن » أنه كان يوتر بها فيكونا خاتمة عمل الليل ، كما كانا خاتمة عمل النهار . انتهى .

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

لكن أخوات التعطيل شر من أخى الإشراك بالمعقول والبرهان
إن المعطل جاحد للذات أو لكاملها هذان تعطيلان
متضمنان للقدح في نفس الالوهة كم بذاك القدح من نقصان
والشرك فهو توسل مقصوده الزلفى من الرب العظيم الشأن
بعبادة المخلوق من حجر ومن بشر ومن قبر ومن أوثان
فالشرك تعظيم بجهل من قيا س الرب بالأمرء والسلطان
ظنوا بأن الباب لا يغشى بدو ن توسط الشفعاء والاعوان
ودهاهم ذاك القياس المستبين فساده ببديهة الانسان
الفرق بين الله والسلطان من كل الوجوه لمن له أذنان

إن الملوك لعاجزون وما لهم علم بأحوال الدعا بأذان
كلا ولا هم قادرون على الذي يحتاجه الانسان كل زمان
كلا وما تلك الارادة فيهم تقضي حوائج كلما انسان
كلا ولا وسعوا الخليفة رحمة من كل وجه هم أولو النقصان
فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسائط حاجة منهم مدى الأزمان

ذكر رحمه الله في هذه الأبيات أن المعطل شر من المشرك ، ثم بين ذلك بقوله : إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها الخ . وذلك يتضمن القدح في الألوهية ، وأما الشرك فهو توسل ، أي تقرب مقصوده الزلفى ، أي : تقريباً من الرب سبحانه ، وذلك بعبادة الخلق ، سواء كانت حجراً ، أو قبراً ، أو بشراً ، أو وثناً . وأصل الشرك تعظيم الله سبحانه ، لكن يجهل ، وذلك أن المشركين قاسوا الرب سبحانه بالملوك ، قالوا : إن الملك لا يحصل القرب منه إلا بتوسط الشفعاء ، وهذا القياس من أبطل الباطل ، وفساده ظاهر ببديهة العقل ، وذلك أن الملوك عاجزون لا علم لهم بأحوال الرعايا ، ولا قدرة لهم على حوائج الخلق ، ولا وسعوا الخلاق رحمة ، بل هم عاجزون ، ناقصون ، فقراء إلى الله سبحانه فقرراً ذاتياً ، والفرق بين الله تعالى وبين الملوك ظاهر من جميع الوجوه . ثم بين غناء الرب سبحانه وكمال علمه وقدرته ، وأن الخلق جميعهم في قبضته ، وهم فقراء إليه ، وهو الغني عنهم غناء ذاتياً ، وهم في غاية الحاجة إليه ، فقال :

أما الذي هو عالم للغيب مستدر على ما شاء ذو إحسان
وتخافه الشفعاء ليس يريد منهم حاجة جل العظيم الشأن

بل كل حاجات لهم فإليه لا لسواه من ملك ولا انسان
وله الشفاعة كلها وهو الذي في ذاك يأذن للشفيع الداني
لمن ارتضى ممن يوحدده ولم يشرك به شيئاً كما قد جاء في القرآن
سبقت شفاعته اليه فهو مشفوع اليه وشافع ذو شان
فلذا أقام الشانعين كرامة لهم ورحمة صاحب العصيان
فالكل منه بدا ومرجعه اليه وحده ما من اله ثان
غلط الألى جعلوا الشفاعة من سوا ه اليه دون الإذن من رحمن
هذي شفاعة كل ذي شرك فلا تعتقد عليها يا أخا الايمان
والله في القرآن أبطلها فلا تعدل عن الآثار والقرآن
وكذا الولاية كلها لله لا لسواه من ملك ولا انسان
تقدم بسط الكلام في معاني هذه الايات بما أغنى عن الاعداد .

والله لم يفهم أولو الاشراك ذا ورآه تنقيصاً أولو النقصان
إذ قد تضمن عزل من يدعى سوى الرحمن بل أحديّة الرحمن
بل كل مدعو سواه من لدن عرش الاله إلى الحضيض الداني
هو باطل في نفسه ودعاء عا بذه له من أبطل البطلان
فله الولاية والولاية مالنا من دونه وال من الأكوان

فإذا تولاه امرؤ دوز الوري طراً تولاه عظيم الشات
الولاية الأولى بفتح الواو لا غير ؛ أي الحجة والنصر . والثانية بكسر
الواو : الامارة . قوله طراً ؛ أي : جميعاً .

وإذا تولى غيره من دونه ولاه ما يرضى به لهوات
في هذه الدنيا وبعد مماته وكذلك عند قيامة الأبدان
حقاً يناديهم ندأ سبحانه يوم المعاد فيسمع الثقلان
يا من يريد ولاية الرحمن دو ن ولاية الشيطان والأوثان
فارق جميع الناس في إشراكهم حتى تنال ولاية الرحمن
يكفيك من وسع الخلائق رحمة وكفاية ذو الفضل والاحسان
يكفيك من لم تخل من احسانه في طرفه تتقلب الأجفان
يكفيك رب لم تزل أطافه تأتي اليك برحمة وحنان
يكفيك رب لم تزل في ستره ويراك حين تجيء بالعصيان
يكفيك رب لم تزل في حفظه ووقاية منه مدى الأزمان
يكفيك رب لم تزل في فضله متقبلاً في السر والاعلان
يدعوه أهل الأرض مع أهل السما ء فكل يوم ربنا في شان
وهو الكفيل بكل ما يدعونه لا يعتري جدواه من نقصان
فتوسط الشفعاء والشركاء والظہراء أمر بين البطلان

مافيه إلا محض تشبيه لهم بالله وهو فأقبح البهتان
مع قصدهم تعظيمه سبحانه ماعطوا الأوصاف للرحمن
لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفي أين النفي من إيمان
والقلب ليس يقر إلا بالتعبـد فهو يدعو إلى الأكوان
فترى المعطل دائماً في حيرة متنقلاً في هذه الأعيان
يدعو إلهاً ثم يدعو غيره ذا شأنه أبداً مدى الأزمان
وترى الموحد دائماً متنقلاً بمنازل الطاعات والاحسان
مازال ينزل في الوفاء منازل وهي الطريق له إلى الرحمن
لكنها معبوده هو واحد ماعنده ربان معبودان

قوله : لا يعترني جدواه من نقصان .

قوله : جدواه الخ . الجدا بكسر الجيم والجدى بالقصر والجدوى
العطية ، وجداه واجتداه واستجداه ، أي : طلب جدواه ، وأجداه : أعطاه
الجدوى ، قاله في « مختار الصحاح » وهذا كما في الحديث القدسي حديث
أبي ذر الذي رواه مسلم : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
اجتمعوا في صعيد واحد ، ثم سألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك
بما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر »

وقوله ﷺ « بين الله مألئ لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار
أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه ،
وبيده الأخرى القسط ، يخفض ويرفع إلى يوم القيامة » ثم ضرب الناظم

مثلاً للمشرك والمعطل فقال :

فصل

في مثل المشرك والمعطل

أين الذي قد قال في ملك عظيم لست فينا قط ذا سلطان
ما في صفاتك من صفات الملك شيء كلها مسلوقة الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو دبرت أمر الملك والسلطان
أو قلت مرسوماً تنفذه الرعا يا أو نطقت بلفظة ببيان
أو كنت ذا أمر وذا نهى وتكليم لمن وافى من البلدان
أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا علم وذا سخط وذا رضوان
أو كنت قط مكلاماً متكلاماً متصرفاً بالفعل كل زمان
أو كنت تفعل ما تشاء حقيقة الفعل الذي قد قام بالأذعان
أو كنت حياً فاعلاً بمشيئة وبقدرة أفعال ذي السلطان
فعل يقوم بغير فاعله محال غير معقول لذي الانسان
بل حالة الفعل قبل ومع وبعد هي التي كانت بلا فرقان
والله لست بفاعل شيئاً إذا ما كان شأنك منك هذا الشأن

لا داخلا فينا ولست بخارج عنا خيالاً درت في الأذهان
فبأي شيء كنت فينا مالكاً ملكاً عظيماً قاهر السلطان
إسماً ورسماً لاحقيقة تحته شأن الملوك أجل من ذا الشأن
هذا وثان قال أنت مليكننا وسواك لانرضاه من سلطان
إذ حزت أو صاف الكمال جميعها ولا أجل ذا دانت لك الثقلان
وقد استويت على سرير الملك واسـتـوليت مع هذا على البلدان
لكن بابك ليس يغشاه امرؤ إن لم يجيء بالشافع المعوان
ويذل للبواب والحجاب والشـفـعاء أهل القرب والاحسان
أفيستوي هذا وهذا عندكم والله ما استويا لدى نسان
والمشركون أخف في كفرانهم وكلاهما من شيعة الشيطان
إن المعطل بالعداوة قائم في قالب التنزيه للرحمن
حاصل كلام الناظم في هذا الفصل أنه ضرب مثلاً للمشرك والمعطل ،
فلسان حال المعطل يقول في إلهه سبحانه : إنك لست فينا ذا سلطان ، لأنك
لم تستوي على سرير الملك ، ولم تدبر أمر الملك والسلطان ، ولم تكلم ولا تتكلم
ولست بفاعل فعلاً حقيقة ، بل فعلك هو المفعول ، بل حالك قبل الفعل
ومعه وبعده سواء ، ولست داخلاً في العالم ولا خارجاً منه ، بل أنت خيال
في الأذهان ، فبأي شيء كنت فينا مالكاً ؟! تعالى الله عما تقول المعطلة
علواً كبيراً .

قوله : هذا وثان الخ . هذا هو الشرك ؛ أي : إن المشرك قال :
يا رب أنت ملكنا وخالقنا ، والمتصرف فينا ، وقد حزت أوصاف الكمال
جميعها ، وقد استويت على سرير الملك ، واستوليت على المخلوقات والا كوان ،
ولكن بابك لا يغشى إلا بالشفعاء ، ولا بد مع ذلك من الذل للبواب
والحجاب والشفعاء المقربين ، أفيستوي هذان عندكم ؟! حاشا وكلا ، بل
المشركون أخف في كفرانهم ، والكل من شيعة الشيطان ، ولكن المعطل
يزيد على المشرك بأنه قائم بالعداوة في قالب التنزيه .

فصل

فما أعد الله تعالى من الاحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم عند فساد الزمان .

هذا والمتمسكين بسنة المختار عند فساد ذي الزمان
أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للإنسان
فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني
أثراً تضمن أجر خمسين امرئ من صحب أحمد خيرة الرحمن
إسناده حسن ومصدق له في مسلم فافهمه فهم ييات
ان العبادة وقت هرج هجرة حقاً إليّ وذلك ذو برهان
هذا فكم من هجرة لك أيها السني بالتحقيق لا بأمان

هذا وكُم من هجرة لهم بما قال الرسول وجاء في القرآن
ولقد أتى مصداقه في الترمذي لمن له أذنان واعيتان
في أجر محيي سنة ماتت فداك مع الرسول رفيقه بجنان
هذا ومصداق له ايضاً أتى في الترمذي لمن له عيتان
تشبيهه أُمته بغيث أول منه وآخره فمشتهبان
قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته . والحديث الذي يروى « مثل أمتي
كمثل الغيث لا يدري أوله خير أم آخره » قد تكلم في اسناده ، وبتقدير
صحته إنما معناه أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشبهه على
بعض الناس أيها خير ، كما يشبهه على بعض الناس طرفا الثوب ، مع القطع
بأن الأول خير من الآخر ، فانه قال : لا يدري ، ومعلوم أن هذا السلب
ليس عاماً ، فانه لا بد أن يكون معلوماً أيها أفضل .

فلذا لا يدري الذي هو منها قد خص بالتفصيل والرجحان
ولقد أتى أثر بأن الفضل في الطرفين أعني أولاً والثاني
والوسط ذو شجب فأعوج هكذا جاء الحديث وليس ذانكران
ولقد أتى في الوحي مصداق له في الثلثين وذاك في القرآن
أهل اليمين فتلة مع مثلها والسابقون أقل في الحساب

قال في « القاموس » : الشج محرّكة : وسط الشيء ، ومعظمه . قال
الله تعالى : (إنا أنشأناهم إنشاء . فجعلناهم أكراراً . عرباً أتراباً . لأصحاب

اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين (الواقعة : ٣٥ - ٤٠ : الثلة : الجماعة التي لا يحصيها عدد . قال الزجاج : معنى ثلة : فرقة ، من ثلث الشيء ، إذا قطعته ، والمعنى أنهم جماعة ، أو أمة ، أو فرقة ، أو قطعة من الأولين ، وهم من لدن آثم إلى نبينا ﷺ . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك : ثلة من الأولين بمعنى من سابقى هذه الأمة ، وثلة من الآخرين من هذه الأمة .

أخرج مسدد ، وابن المنذر بسند حسن ، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ في الآية قال : « جميعها من هذه الأمة » وعنه قال : « هما جميعاً من هذه الأمة » . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « هما جميعاً من أمتي » . أخرجه عبد بن حميد ، وابن عدي ، والفرياني ، وغيرهم . قال السيوطي : بسند ضعيف ، وعنه قال : « الثلثان جميعاً من هذه الأمة » وبه قال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك ، وهو اختيار الزجاج فان قيل : كيف قال قبل هذا (وقليل من الآخرين) ثم قال هنا (وثلة من الآخرين) الواقعة : ٤٠ قيل ذاك في السابقين الأولين ، وقليل من يلحق بهم من الآخرين ، وهذا في أصحاب اليمين ، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعاً .

ما ذاك إلا ان تابعهم هم الغرباء ليست غربة الاوطان
لكنها والله غربة قائم بالدين بين عساكر الشيطان
فلذاك شبههم به متبوعهم فى الغربتين وذاك ذوتبيان
لم يشبهوهم في جميع امورهم من كل وجه ليس يستويان
فانظر الى تفسيره الغرباء بالـمحيين سنته بكل زمان

طوبى لهم والشوق يحدوهم الى أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبؤوا بنجاته — أفكار او بزبالة الاذعان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا ثم قاصدين لمطلع الايمان
طوبى لهم لم يعبؤوا شيئاً بذى الآراء اذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وامامهم دون الورى من جاء بالايمان والفرقان
والله ما اتمموا بشخص دونه الا اذا مادلهم ببيان
في الباب آثار عظيم شأنها أعيت على العلماء في الأزمان
اذا أجمع العلماء ان صحابة — مختار خير طوائف الانسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بين اثنين ما حكيت به قولان
فلذلك ذي الآثار أعزل امرها وبغواها التفسير بالاحسان
فاسمع اذا تأويلها وافهمه لا تعجل برد منك أو نكران
از البدار برد شيء لم تحط علماً به سبب الى الحرمان
الفضل منه مطلق ومقيد وهما لأهل الفضل مرتبتان

قوله : والفضل منه مطلق ومقيد ، معنى ذلك أن الفضل منه مطلق
ومقيد ، فالفضل المطلق كفضل رسول الله ﷺ ، وفضل أصحابه على من
بعدهم ، والفضل المقيد ، مثل خلق الله سبحانه آدم بيده ، فهذا الفضل المقيد
لا يوجب تفضيله على سيدنا محمد ﷺ ، وكذا خصائص من أتى من بعد آدم

من الرسل لا يوجب تفضيلهم عليه ﷺ ، وكذا الأثر الذي فيه أن المتمسك
بدينه في آخر الزمان له أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ، لا يوجب
ذلك أفضلية على رسول الله ﷺ ، لأنه في آخر الزمان ، وغربة الدين ،
قد عدم المعين ، وصعب عليه القيام في وجوه أعداء الدين . وأما الصحابة
رضي الله عنهم ، فهم ذرء أعوان وأنصار .

والفضل ذرء التقييد ليس بموجب فضايل على الإطلاق من انسان
لا يوجب التقييد أن يقضى له بالاستواء فكيف بالرجحان؟!
إذ كان ذرء الإطلاق حاز من الفضل ثل فوق ذي التقييد بالاحسان
فاذا فرضنا واحداً قد حاز نو عالم يحزه فاضل الانسان
لم يوجب التخصيص من فضل عليه ولا مساواة ولا نقصان
ما خلق آدم باليدين بموجب فضلا على المبعوث بالقرآن
ولذا خصائص من أتى من بعده من كل رسل الله بالبرهان
فحمد أعلامهم فوقاً وما حكمت لهم بمزية الرجحان
فالحائز الخمسين أجراً لم يحز ها في جميع شرائع الايمان
هل حازها في بدر أو أوحداً والفتح المين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد عدم المعين وهم فقد كانوا أولي أعوان
والرب ليس يضيع ما يتحمل المتحملون لأجله من شأن
فتحمل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدو وقلة الأعوان

عما يدل على يقين صادق ومحبة وحقيقة العرفان
أي : تحمل العبد مع ضعفه للمشايق لأجل رضى ربه ، يدل على صدق
يقينه ، وشدة محبته له ، ومعرفة به .

يكفيه ذلاً واغتراباً قلة الـ أنصار بين عساكر الشيطان
في كل يوم فرقة تغزوه ان ترجع يوافيه الفريق الثاني
فصل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عدى بلا حسابان
هذا وقد بعد المدى وتناول الـ عهد الذي هو موجب الاحسان
ولذلك كان كقابض جمرأ فصل أحشاه عن حر ذي النيران
يشير الى الحديث « القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر » (١)

والله أعلم بالذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنان
في القلب أمر ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للانسان
بر وتوحيد وصبر مع رضى والشكر والتحكيم للقرآن
سبحان قاسم فضله بين العبا فذلك مولى الفضل والاحسان
فالفضل عند الله ليس بصورة الـ أعمال بل بحقائق الايمان
وتفاضل الأعمال يتبع مايقو م بقلب صاحبها من البرهان
حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان

هذا وبينهما كما بين السما والأرض في فضل وفي رجحان
ويكون بين ثواب ذاو ثواب ذا رتب مضاعفة بلا حساب
هذا عطاء الرب جل جلاله وبذلك تعرف حكمة الديان
أي : إن الفضل عند الله بحسب ما في القلوب من الايمان واليقين ،
لا بحسب صور الأعمال وكثرتها ، كما قال بكر بن عبد الله المزني : ما سبقهم
أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في قلبه .

فصل

فيا أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة
يا خاطب الحور الحسان وطالبا لوصالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جعلت السعي منك لها على الأجنان
ولقد وصفت طريق مسكنها فان رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحث السير جهداً انما مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدث بالوصال النفس وابذل مهرها مادمت ذا امكان
واجعل صيامك قبل لقياها و يوم الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

لما حث الناظم رحمه الله تعالى على طلب الوصال للحوار العين كما قال
بعضهم : وصم عن لذات الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، شرع في ذم
الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة فقال :

لا يلينك منزل لعبت به أيدي البلى منذ سالف الأزمان
البلى : بكسر الباء .

فلقد ترحل عنه كل مسرة وتبدلت بالهم والأحزان
سجن يضيق بصاحب الإمان — كن جنة المأوى لذى الكفران
سكانها أهل الجهالة والبعث لة والسفاهة أنجس السكان
والذهم عيشاً فأجهلهم بحسب الله ثم حقائق القرآن
عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والإيمان
قد آثروا الدنيا ولذة عيشها — فاني على الجنات والرضوان
صحبوا الأمانى وابتلوا بحظوظهم ورضوا بكل مذلة وهوان
كدحاً وكدأ لا يفتر عنهم مافيه من غم ومن أحزان
والله لو شاهدت هاتيك الصدور رأيتها كمرجل النيران
المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر .

ووقودها الشهوات والحسرات والالام لا تنجو مدى الأزمان
أبدانهم أحداث هاتيك النفوس اللاء قد قبرت مع الأبدان

أرواحهم في وحشة وجسومهم في كدحها لافي رضى الرحمن
 هربوا من الرق الذي خلقوا له فلبوا برق النفس والشيطان
 أي : إنهم والعياذ بالله هربوا من الرق الذي خلقوا له ، وهو عبادة الله
 وحده ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات :
 ٥٦ فلبوا برق النفس والشيطان ؛ أي : فاستخدمتهم الشياطين ، واسترققتهم
 في تحصيل الشهوات الفانية ، وجمع عرض الدنيا الحسيس ، وحطامها الفاني ،
 فأعقبهم ذلك الحسرة والندامة ، وصار عاقبة ذلك العذاب الأليم ، نعوذ بالله
 من موجبات سخطه

لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم فقد ارتضوا بالذل والحرمان
 لو ساوت الدنيا جناح بعوضة لم يسق منها الرب ذا الكفران
 لكنها والله أحقر عنده من ذا الجناح القاصر الطيران
 هذا معنى الحديث « لو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً
 منها شربة ماء » (١)

ولقد تولت بعد عن أصحابها فالسعد منها حل في الدبران
 لا يرتجي منها الوفاء لصبا أين الوفا من غادر خوان
 طبعت على كدر فكيف تنالها صفواً أهذا قط في الامكان؟
 يا عاشق الدنيا تأهب للذي قد ناله العشاق كل زمان
 أو ما سمعت بل رأيت مصارع العشاق من شيب ومن شبان

(١) رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقال : حديث حسن صحيح

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذا أوصافها وصفاتها تيك المنازل ربة الاحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنه — زل عسكر الايمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتها مائة وما بين اثنتين فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبينها ذي الأرض قول الصادق البرهان
لكنّ عاليها هو الفردوس مسـتوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجناز وعلوها فلذاك كما نت قبة من أحسن البنيان
منها تفجر سائر الأنهار فالـمنبوع منه نازل بجنان

« في مسند الامام أحمد » ، من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » وفيه أيضاً من حديثه ﷺ « إن في الجنة مائة درجة ، ولو ان العالمين اجتمعوا في احدا من وسعهم » وفيه عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة » حتى يقرأ آخر شيء معه « قال الناظم رحمه الله في « حادي الأرواح » وهذا صريح في أن درج الجنة تريد على مائة درجة . وأما حديث أبي هريرة عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة مائة درجة » فاما ان هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن يكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها ، ويدل على المعنى الأول حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى الصلوات الخمس ، وصام شهر رمضان ، كان حقاً على الله أن يغفر له هاجراً ، وقعد حيث ولدته أمه » قلت : يا رسول الله ألا أخرج فأؤذن الناس ؟ قال : « لا ، دع الناس يعملون ، فإن في الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين مثل ما بين السماء والارض ، وأعلاها درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة » ، فاذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس » رواه الترمذي . وروي أيضاً عن عبادة بن الصامت نحوه . وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « ان في الجنة مائة درجة » ورواه أحمد بدون لفظة « في » فان كان المحفوظ ثبوئها ، فهي من جملة درجاتها ، وان كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة ، وتقديرها بالخمس ، لاختلاف السير في

السرعة والبطء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « في الجنة مائة درجة ، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض ، وأبعد ما بين السماء والأرض » قلت : يا رسول الله لمن ؟ قال : « للمجاهدين في سبيل الله عز وجل » انتهى كلامه .

فصل

في أبواب الجنة

أبوابها حقاً ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الاحسان باب الجهاد وذاك أعلاها وباب الصوم يدعى الباب بالريان ولكل سعي صالح باب ورب السعي منه داخل بأمان ولسوف يدعى المرء من ابوابها جمعاً اذا وفى حلى الايمان منهم ابو بكر هو الصديق ذا لك خليفة المبعوث بالقرآن

في « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون » وفيها من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة : يا عبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ،

ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الرياء . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال : « نعم » وأرجو أن تكون منهم .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » زاد أبو داود والامام أحمد « ثم يرفع نظره إلى السماء » وعند أحمد عن أنس يرفعه « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله الخ . وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه ، وعبد الله بن أحمد .

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين منها قدرت بالعد والحسبان .
هذا حديث لقيط المعروف بالخبر الطويل وذا عظيم الشأن .
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان .
قال الناظم في « حادي الأرواح » رويننا في « معجم الطبراني » عن عاصم
ابن لقيط بن عامر ، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال : قلت : يا رسول
الله ، فما الجنة والنار ؟ قال : لعمرؤ الهك ، ان النار سبعة أبواب ، ما منها
بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وان للجنة ثمانية أبواب ، ما منها
بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . « الحديث بطوله » وهذا الظاهر
منه أن هذه المسافة بين هذا الباب والباب ، لان بين مكة وبصرى ، لا يحتمل
التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، بقوله « ما منها بابان » .
انتهى كلامه .

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكنَّ بينهما مسيرة أربعين رواة خبر الأئمة الشيباني في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان ولقد روى تقديره بثلاثة أيام لكن عند ذي العرفان أعني البخاري الرضى هو منكر وحديث راويه فذونكران عن أبي هريرة في حديث الشفاعة بطوله قال صلى الله عليه وسلم « فأنتلق وآتي العرش ، فأفزع ساجداً لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحدا قبلي ، ولا يقمه أحداً بعدي ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن » وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة » وفي لفظ « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته ، وفي لفظ خارج الصحيح باسناد « ان ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر » وفي خطبة عتبة بن غزوان : لقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » فهذا موقوف ، والذي قبله مرفوع . فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر لهم

ذلك ، كان هذا سعة ما بين باب من أبوابها ، ولعله الباب الأعظم ، وان كان
الذاكر غير رسول الله ﷺ ، لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم ،
ولكن قد روى أحمد عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ
قال : « أنتم موفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين
مصرعين من مصاريح الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله
كظيظ » وقدرناه ابن أبي داود عنه يرفعه « ما بين كل مصرعين من مصاريح
الجنة مسيرة سبع سنين » وفي « مسند عبد بن حميد » ثنا الحسن بن موسى ،
ثنا ابن لهيعة ، ثنا دراج أبو السرح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ،
عن رسول الله ﷺ قال « إن ما بين مصرعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة »
وحديث أبي هريرة أصح ، وهذه النسخة ضعيفة ، والله أعلم .

وروى أبو الشيخ عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال :
« الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد » ثلاثاً « ثم انهم
ليضطغون عليه ، حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه أبو نعيم عنه . وهذا
مطابق للحديث المتفق عليه « ان ما بين المصرعين كما بين مكة وبصرى »
فان الراكب الجود غاية الاجادة على اسرع هجين لا يقر ليلاً ولا نهاراً ،
يقطع هذه المسافة في هذا القدر ، أو قريب منه . وأما حديث حكيم بن معاوية
فقد اضطرب رواه ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري « أربعين عاماً »
وخالد ذكر عنه « سبع سنين » . وفي حديث أبي سعيد المرفوع « أربعون
عاماً » وفي طريقه دراج . قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم الرازي :
ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي ، فالصحيح المرفوع السالم عن
الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته ، على أن
حديث حكيم ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج في الحديث
موقوف ، فيكون كحديث عتبة بن غزوان ، والله أعلم . انتهى كلام
الناظم في « حادي الارواح ، ملخصاً فهذا كلامه في « حادي الأرواح »

وظاهره ترجيح روايه التقدير بثلاثة أيام ، ولهذا جمع بينه وبين حديث ابي هريرة المتفق عليه الذي فيه « ان ما بين المصرعين لكما بين مكة وبصرى » وفي هذا النظم ذكر عن البخاري أنه منكر ، والله اعلم .

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن الا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الاخلاص والتوحيد تلك شهادة الايمان
أسنانه الاعمال وهي شرائع الاسلام والمفتاح بالاسنان
لاتلغين هذا المثال فكم به من حل إشكال لذي العرفان
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الجنة
شهادة ان لا اله الا الله » رواه احمد . وذكر البخاري في « صحيحه » عن
وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ،
ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح ،
والا لم يفتح . وعن أنس قال : قال أعرابي : يا رسول الله ، ما مفتاح الجنة ؟ -
قال : « لا اله الا الله » رواه ابو نعيم . وذكر ابو الشيخ عن يزيد بن
سخبرة أن السيوف مفاتيح الجنة . وفي « المسند » من حديث معاذ بن جبل

قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على باب من أبواب الخير ؟ قلت : بلى .
قال : « لاحول ولا قوة الا بالله » .

قال الناظم في « حادي الارواح » : وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب
مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ،
ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال ،
وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر
ومفتاح الولاية المحبة ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح
الايان التفكير فيما دعا الله عباده الى التفكير فيه ، ومفتاح الدخول على الله ،
إسلام القلب ، وسلامته له ، والاخلاص له في الحب والبغض له ، والفعل والترك
ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن ، والتضرع بالاسحار ، وترك الذنوب ،
ومفتاح حصول الرحمة ؛ الاحسان في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبده ،
ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة الله
ورسوله ، ومفتاح الاستعداد الآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة
في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل . وهذا
باب عظيم من أنفع ابواب العلم ، وهو معرفة مفاتيح الحيو والشر ، ولا
يوفق لمعرفة ومراعاته الا من عظم حفظه وتوفيقه ، فان الله سبحانه جعل
لكل خير وشر ومفتاحاً وباباً يدخل منه اليه ، كما جعل الشرك والكبر
والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره ، والقيام بحقه مفتاحاً
للتار ، كما جعل الحمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغناء مفتاح الزنا ، وجعل اطلاق
النظر في الصور مفتاح العشق والطلب ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الحية
والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ،
وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير

حله ، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول ﷺ مفتاح كل بدعة وضلال ،
وهذه أمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به
ما في نفسه ، وما في الوجود من الخير والشر ، فينبغي للعبد أن يعتني كل
الاعتناء بمعرفة المفاتيح ، وما جعلت مفاتيح له ، والله من وراء توقيقه
وعدله ، له الملك ، وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، ولا يسأل عما يفعل
وهم يسألون .

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها .

المنشور : ما كان غير مختوم من كتب السلطان .

هذا ومن يدخل فليس بداخل الا بتوقيع من الرحمن
وكذاك يكتب للفتى لدخوله من قبل توقيعان مشهوران
إحداهما بعد المات وعرض أر واح العباد به على الديان
فيقول رب العرش جل جلاله للكاتبين وهم أولو الديوان
ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك ديوان الجنان مجاور المنان
ديوان عليين أصحاب القرا ن وسنة المبعوث بالقرآن
فاذا انتهى للجسر يوم الحشر يعطى للدخول اذا كتاباً ثاني
عنوانه هذا كتاب من عزيز ن راحم لفلان ابن فلان

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار تفعت ولكن القطوف دواني
هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الارحام قبل ولادة الانسان
بل قبل ذلك وهو وقت القبضتين كلاهما للعدل والاحسان
سبحان ذي الجبروت والملكوت والاجلال والاكوام والسبحان
والله أكبر عالم الاسرار والاعلان واللحظات بالأجفان
والحمد لله السميع لسائر الأصوات من سر ومن اعلان
وهو الموحّد والمسيح والممجد والحميد ومنزل القرآن
والأمر من قبل ومن بعد له سبحانك اللهم ذا السلطان

قال الله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين . وما أدراك ما عليون .
كتاب مرقوم . يشهده المقربون) المطففين : ١٨-٢١ فأخبر تعالى أن كتابهم
كتاب مرقوم ، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقة ، وخص كتاب
الابرار بأنه يكتب ويوقع لهم به ، بشهد المقربين من الملائكة والنبيين ، ولم
يذكر شهادة هؤلاء كتاب الفجار تنويعاً بكتاب الابرار ، وما وقع به لهم
واشهاداً له ، واظهاراً بين خواص خلقه ، كما تكتب الملوك تواقع من
تعظمه من بين الامراء وخواص أهل المملكة ، تنويعاً باسم المكتوب ،
واشارة بذكره ، وهذا نوع من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده .

وروى أحمد ، وابن حبان ، وابو عوانة في « صحيحهما » من حديث
البراء بن عازب الطويل في شأن القبر مرفوعاً « فيقول الله عز وجل : اكتبوا
كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه الى الارض » وقال : « فيقول الله عز وجل

اكتبوا كتابه في سبعين في الارض السفلى ، وتطرح روحه طرْحاً . ورواه
ابو داود بطوله ، فهذا التوقيع والمنشور الأول ، وأما المنشور الثاني وهو
التوقيع الثاني الذي ذكره الناظم ، فعن سلمان الفارسي قال : قال
رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم »
هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » رواه
الطبراني في « معجمه » وعنه أن النبي ﷺ قال « يعطى المؤمن جوازاً على
الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ،
أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » أخرجه الطبراني في « معجمه » .
قوله : هذا وقد كتب اسمه النخ . أي : إن المؤمن وقع في قبضة
اصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفع الروح فيه ،
ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ،
والله المستعان . فهذا ما اشتمل عليه هذا الفصل .

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وان صفوفهم عشرون مع مئة وهذي الامة الثلاثان
يرويه عنه بريدة اسناده شرط الصحيح بمسند الشيباني
وله شواهد من حديث أبي هريرة . وابن مسعود وحبر زمان
أعني ابن عباس وفي اسناده رجل ضعيف غير ذي إتقان .

ولقد أتانا في الصحيح بأنهم شطروا واللفظان مختلفان
إذا قال أرجو أن تكونوا شطروهم هذا الرجاء منه للرحمن
أعطاه رب العرش ما يرجو وزاد من العطاء فعال ذي الاحسان

في « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون
أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : اني لأرجو أن
تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار الا
كشعة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ
مسلم . وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « أهل الجنة
عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه أحمد والترمذي ،
واسناده على شرط الصحيح . ورواه الطبراني في « معجمه » من حديث ابن
عباس ، وفي سنده خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه . ورواه أيضاً من
حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم وربع الجنة لكم ،
ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كيف أنتم وثلاثها ؟
قالوا : ذاك أكثر . قال : كيف أنتم والشرط لكم ؟ قالوا : ذاك أكثر .
قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً » . قال الطبراني :
تفرد به خالد بن زياد . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة قال : لما
نزلت (ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ١٣ ، ١٤ قال رسول الله ﷺ :
« أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلث
أهل الجنة » قال الطبراني : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وروى
خيثمة بن سليمان ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال :

« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، أنتم ثمانون صفاً » .

قال الناظم : وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها ، واختلفت مخارجها ، وصح سند بعضها ، ولاتنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله ، وزاد عليه سداً آخر . وروى أحمد عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، فقال : أرجو أن يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم .

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوهم كالبدليل الست بعد ثمان
السابقون هم وقد كانوا هنا أيضاً أولي سبق إلى الاحسان

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الاخرى كأضوء كوكب في الافق تنظره به العينان
أمشاطهم ذهب ورشحهم فسك خالص ياذلة الحرمات

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يصقون ، ولا يتمخطون فيها ، آئتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » وفيها أيضاً عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، وأخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » .

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان

ماذاك محتصاً برسل الله بل لهم وللصديق ذي الايمان

في « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكواكب الدري العابر من الافق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول

الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولفظ البخاري « في الافق » وهو أبين .
الغابر : هو المذهب الماضي الذي قد تدلى للغروب . وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس قائدتان ، إحداهما بعده عن العيون ، والثانية أن الجنة درجات ، بعضها أعلى من بعض ، وإن لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ، والله تعالى أعلم .
قال الناظم : في « حادي الأرواح »

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلام فناظر ربه في كل يوم وقته الطرفان
لكن أدناهم وما فيهم دني إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلقى مسافة ملكه بسنين ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤ يته لأدناه القريب الداني
أو ما سمعت بأن آخر أهلها يعطيه رب العرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمثال لها سبحان ذي الاحسان
عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمته ، وسرره ، مسيرة

ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجهه يومئذ ناضرة إلى ربه ناظرة) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ رواه الترمذي وقال : روي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر غير مرفوع . وزواه ابن الجبر موقوفاً .

قلت : ورواه الطبراني في « معجمه » مرفوعاً « إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أذناه ، ينظر إلى أزواجه وسريره ، وخدمه ... الحديث » ورواه أبو نعيم أيضاً عنه مرفوعاً .

قوله : أو ما سمعت بأن آخر أهلها الخ . روى مسلم من حديث المغيرة ابن شعبه ، عن النبي ﷺ « ان موسى سأل ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له ! أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت رب . قال : رب فأعلام منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر »

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبواً ، فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قال : فيأثمها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة »

قال : فيأتيا فيخيل اليه أنها ملاي ، فيرجع فيقول : يارب وجدت ما ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فان لك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا . قال : فيقول : أتسخر بي ، أو تضحك بي وأنت الملك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . قال : فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنهم ثلاث مع ثلاثين التي هي قوة الشباب
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على حد سواء ماسوى الولدان
ولقد روى الحذري أيضاً أنهم أبناء عشر بعدها عشرين
وكلاهما في الترمذي وليس ذا بتناقض بل هاهنا أمران
حذف الثلاث ونيف بعد العقود وذكر ذلك عندهم سيان
عند اتساع في الكلام فعندما يأتوا بتحرير فبالميزان

قال الناظم : روى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكلمين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً ، في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد . وروى الترمذي واستغربه عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال « يدخل

أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين . وروى أبو بكر ابن أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم ، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جرداً مردأً مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة ، فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

قوله : ولقد روى الحذري الخ . قال الناظم في « حادي الأرواح » عن أبي سعيد الحذري قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يردون بني ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » رواه الترمذي . قال الناظم : فان كان محفوظاً لم يناقض ما قبله ، فان العرب اذا قدرت بعدد له نيف ، فان لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرز ، وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرداً مردأً مكحلين » وروى ابن وهب عن أبي هريرة أنه قال ﷺ : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سرهم » وفي « الصحيحين » « أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » والرواية « على خلق » بفتح الخاء وسكون اللام ، والخلق كما تكون جمعاً للخلق بالضم ، فهي جمع للخلق بالفتح ، والمراد تساوئهم في الطول والعرض والسن ، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وأما أخلاقهم وقلوبهم ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة « إن أول زمرة

تتلج الجنة ... الحديث ، وفيه « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون لكن عرضهم سبع بلا نقصان
الطول صح بغير شك في الصحيحين اللذين هما لنا شمسان
والعرض لم نعرفه في احدهما لكن رواه أحمد الشيباني
هذا ولا يخفى التناسب بين هذا العرض والطول البديع الشأن
كل على مقدار صاحبه وذا تقدير متقن صنعة الانسان
قد تقدمت الأحاديث في طول أهل الجنة في « الصحيحين » وغيرهما .
وأما العرض فهو كما قال الناظم : ليس في « الصحيحين » لكن قد رواه
أحمد . قال الناظم : وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ،
فانه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة ، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات
اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل في اليوم
الواحد إلى مائة عذراء ، ولا يخفى التناسب بين هذا الطول والعرض ، وأنه
لو زاد أحدهما على الآخر ، فات الاعتدال وتناسب الخلقة ، ويصير طولاً
مع دقة ، أو غلظاً مع قصر ، وكلاهما غير مناسب ، والله أعلم . انتهى .

فصل

في حلاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لحى جعد الشعور مكحلوا الأجفان
هذا كمال الحسن في أبقارهم وشعورهم وكذلك العيمان
اللحى بضم اللام جمع لحية بكسرهما ، وقد تقدمت الأحاديث بذلك ،
كالحديث الذي رواه الترمذي عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال :
« يدخل أهل الجنة الجنة جرذاً مردأً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين » وروي
عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرذاً مردأً بيضاً جعاداً
مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذواً في عرض
سبعة أذرع » .

فصل

في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم بالمنطق العربي خير لسان
لكن في استاده نظر فقيه راويان وماهما ثبوتان

أعني العلاء هو ابن عمرو ثم يحيى الأشعري وذان مغموزان

تقدم حديث أنس بن مالك عند ابن أبي الدنيا ، وفيه « يدخل أهل
الجنة الجنة على لسان محمد ﷺ » وروي عن ابن عباس قال : لسان أهل
الجنة عربي . وكذا قال الزهري .

فصل

في ريح الجنة في مسيرة كم يوجد

والريح يوجد من مسيرة أربعين وان تشأ مائة فرويان
وكذا روي سبعين أيضاً صح هـ ذا كله وأتى به أثنان
ما في رحالهما لنا من مطعن والجمع بين الكل ذو إمكان
ولقد أتى تقديره مائة بخمسة عشر ضربها من غير ما نقصان
إن صح هذا فهو أيضاً والذي من قبله في غاية الامكان
أما بحسب المدركين لريحها قريباً وبعداً ما هما سيان
أو باختلاف قرارها وعلوها أيضاً وذلك واضح التبيان
أو باختلاف السير أيضاً فهو أنسواع بقدر إطاقة الانسان
ما بين ألفاظ الرسول تناقض بل ذاك في الافهام والاذهان

روى الطبراني عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه « وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » وصححه . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : واسناده عندي على شرط الصحيح ، وعند الطبراني مرفوعاً « وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » وعن أبي بكره عنده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » .

قال الناظم : وهذه الألفاظ لاتعارض فيها . وفي « الصحيحين » من حديث انس في قصة عمه قال : فشهد مع رسول الله ﷺ أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له : الجنة ورب الكعبة إني لأجد ريحها من دون أحد . فقال : فقاتلهم حتى قتل .

قال الناظم : وريح الجنة نوعان ، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لاتدركه العبارة ، وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجدته أنس بن النضر ، يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » وروى الطبراني عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « ريح الجنة يوجد من مسيرة الف ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم » وروى أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها

ليوجد من مسيرة خمسين عاماً » وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار من آثار الجنة وأنموذجاً منها ، من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهية ، والمناظر البهية الحسنة ، والنعيم والسرور وقرة العين . وقد روى أبو نعيم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل للجنة طيبي لأهلك » فتزداد طيباً ، فذلك البود الذي يجده الناس في السحر . والله أعلم

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظير هذا سبق أهل الفقر للـجـنـات في تقديره أئـثـران مائة بخمس ضربها أو أربعين كلاهما في ذلك محفوظان فأبو هريرة قد روى أولاها وروى لنا الثاني صحابيان هذا بحسب تفاوت الفقراء في استحقاق سبقهم إلى الاحسان أو ذا بحسب تفاوت في الاغنيا ، كلاهما لا شك موجودان روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يدخل فقراء المسلمين إلى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم » وهو خمسمائة ، وصححه الترمذي ، ورجال اسناده احتج بهم مسلم في « صحيحه » وروى الترمذي عن جابر أنه قال : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً » . وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً » وروى الطبراني عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام . » الحديث بطوله ، والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً ، فاما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً ، ويختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة ، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جزائهم

قال الناظم رحمه الله :

هذا وأولهم دخولاً خير خلق الله من قد خص بالقرآن
والأنبياء على مراتبهم من التفضيل تلك مواهب المنان
روى مسلم في « صحيحه » من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن
أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة
فأستفتح فيقول الحازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت
أن لا أفتح لأحد قبلك » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيهم إذا أنصتوا ،
وقائدهم إذا وفدوا ، وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا يسوا ، لواء الحمد
بيدي ، ومفتاح الجنة بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي .
ولا فخر ، يطوف علي ألف خادم ، وكانهم اللاؤاؤ المكنون » رواه الترمذي
والبيهقي واللفظ له . وفي « صحيح مسلم » من حديث المختار بن فلفل عن
أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا
أول من يقرع باب الجنة » .

وروى الطبراني عن أنس مرفوعاً « فيقوم الحازن ، فيقول : لا أفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك » وروى الدارقطني عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال الدارقطني : غريب

هذا وأمة أحمد سبّاق باقي الخلق عند دخولهم لجنان وأحَقهم بالسبق أُسبِقهم إلى الإسلام والتَّصديق بالقرآن وكذا أبو بكر هو الصديق أُسبِقهم دخولاً قول ذي البرهان وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناهم بعدهم ، فاختلفوا ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » وفي « الصحيحين » عنه عن النبي ﷺ قال : نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناهم بعدهم »

قوله : وكذا أبو بكر الصديق الخ . روى أبو داود في « سننه » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فأخذ بيدي ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ، فقال أبو بكر : يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه . فقال : « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »

وروى ابن ماجه أن أولهم يصا فحه الله العرش ذو الاحسان ويكون أولهم دخولاً الجنة الفردوس ذلك قانع الكفران

فاروق دين الله ناصر قوله ورسوله وشرائع الايمان
لكنه أثر ضعيف فيه مجروح يسمى خالداً ببيان
لو صح كان عمومه المخصوص بالصدق قطعاً غير ذي نكران
روى ابن ماجه في « سننه » عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله
ﷺ « أول من يصفحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ
بيده ، فيدخله الجنة »

قال الناظم في « حادي الأرواح » : هو حديث منكر جداً ، قال أحمد :
دارد بن عطاء ليس بشيء . وقال البخاري : منكر الحديث ، ثم لو صح
لكان مخصوصاً بالحديث الذي تقدم ، وفيه قوله ﷺ « أما إنك يا أبا بكر
أول من يدخل الجنة من أمتي »

هذا وأولهم دخولاً فهو حماد على الحالات للرحمن
ان كان في السراء أصبح حامداً او كان في الضراء فحمد ثاني
هذا الذي هو عارف بالله وصفاته وكلامه الرباني
وكذا الشهيد فسبقه متيقن وهو الجدير بذلك الاحسان
وكذلك المملوك حين يقوم بالحقين سباق بغير توان
وكذا فقير ذو عيال ليس بالملحاح بل ذو عفة وصيان
وفي « صحيح مسلم » من حديث عياض بن حمار الجاشعي رضي الله
عنه مرفوعاً قال : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ،
ورجل وحم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال »

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ، النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا الله في الجنة » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة ، وباقي الحديث على شرطه .

فصل

في عدد الجنات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة جداً ولكن أصلها نوعان ذهبيتان بكل ما حوته من حلي وآنية ومن بنيان وكذلك أيضاً فضة ثنتان من حلي وبنيان وكل أوان لكن دار الخلد والمأوى وعدن والسلام إضافة لمعان أو صافها استدعت إضافتها اليهما مدحة مع غاية التبيان لكنما الفردوس أعلاها وأوسطها مساكن صفوة الرحمن أعلاه منزلة لأعلى الخلق من منزلة هو المبعوث بالقرآن وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة خلصت له فضلاً من الرحمن

قوله : والجنة اسم الجنس الخ . أي : إنها أجناس كثيرة ، ولهذا قال : اسم جنس ، لأن الجنس يصدق على بعض أفرادها ، فالجنة اسم شامل

جميع ما حوته من البساتين ، والمساكن ، والقصور ، وهي جنات كثيرة جداً ، ولكن أصلها نوعان . وفي حديث أنس يرفعه : « إنها جنان ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » أخرجه البخاري . وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من ذهب آليتهما وحليتهما وما فیهما ، وجنتان من فضة آليتهما وحليتهما وما فیهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » :

قال الناظم : وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن : ٤٥ فذكرهما ، ثم قال : (ومن دونهما جنتان) الرحمن : ٦١ فهذه أربع . قالت طائفة : من دونها أي : أقرب منها إلى العرش ، فيكونان فوقها . وقالت طائفة : تحتها ، وهذا في لغة العرب . وفي الصحاح دون نقيض فوق . ويقال : دون هذا ، أي أقرب منه ، والسباق يدل على تفضيل الجنتين الأولين بوجوه ، أحدها قوله : (ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٧ جمع فنن ، وهو الغصن أو جمع فن ، وهو الصنف ، أي : أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما . الثاني (فيها عينان تجريان) الرحمن : ٤٩ وفي الآخرين (فيها عينان نضاختان) الرحمن : ٦٥ وهي الفواردة . والجارية السارحة وهي أحسن من الفواردة ، لأنها تتضمن الفواردة والجريان . الثالث : (فيها من كل فاكهة زوجان) الرحمن : ٥١ وفي الآخرين (فيها فاكهة ونخل ورمان) الرحمن : ٦٧ ولا ريب أن الأول أكمل . قالت طائفة : الزوجان . الرطب واليابس ، وفيه نظر . وقالت طائفة : صنف معروف ، وصنف من شكل غريب . وقال آخرون : نوعان ، ولم يزيدوا ، والظاهر أنه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، لأن اختلاف أصناف الفواكه أعجب وألذ

للعين والفهم ، والله أعلم . الرابع : (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق)
الرحمن : ٥٣ وهذا تنبيه على فضل الظاهر وخطرها وفي الآخرين (متكئين
على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وفسر الرفرف بالمجالس ،
والبسطة ، والفرش ، وعلى كل فلم يصفه بما وصف به فرش الأولين . الخامس
(وجنى الجنتين دان) الرحمن : ٥٤ أي قريب سهل ، يتناولونه كيف شاؤوا ،
ولم يذكر ذلك في الآخرين . السادس : (فيهن قاصرات الطرف) الرحمن
٥٦ أي على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وقال في الآخرين (حور مقصورات
في الخيام) الرحمن : ٧٢ ومن قصرت طرفها على زوجها أكمل ممن قصرت
بغيرها . السابع أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون واشراقه
وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها . الثامن (هل جزاء الاحسان إلا
الاحسان) الرحمن : ٦٠ وهذا يقضي أن أصحابها من أهل الاحسان المطلق
الكامل ، فكان جزاؤهم باحسان كامل . التاسع : أنه جعلها جزاء لمن خاف
مقامه . والحاثفون نوعان ، مقربون ، وأصحاب يمين ، فذكر جنتي المقربين ،
ثم جنتي أصحاب اليمين . العاشر : أنه قال : (ومن دونها جنتان) الرحمن :
٦٢ السياق يدل على أنه نقيض فوق ، فكان المقربين منهم الجنتان العاليتان ،
ولأصحاب اليمين اللتان دونها ، والراجع أن لكل واحد جنتان . وقيل :
لمجموع الحاثفين ، يشتركون فيها ، ويرجع الأول قوله ﷺ « هما شأنان في
رياض الجنة ، إحداها جزاء أداء الأوامر ، والثانية جزاء اجتناب المحارم »
انتهى كلامه .

قوله : إضافة لمعان . أي : إنها سميت دار الخلد ، وجنة المأوى ،
وجنات عدن ، ودار السلام ، ونحو ذلك ، للمعاني التي تدل عليها هذه

الأسماء ، فسميت دار الخلد لأن أهلها لا يظعنون عنها ، كما قال تعالى (عطاء غير مجذود) هود : ١٠٨ وقال تعالى (إن هذا الرزقنا ماله من نفاذ) ص : ٥٤ وقال (أكلها دائم وظلها) الرعد : ٣٥ وقال : (وما هم منها بمخرجين) الحجر ٤٨ وأما اسمها دارا لمقامة ، فقد قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله) فاطر : ٣٤ ، ٣٥ قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها ، أبداً لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبداً . وقال الفراء والزجاج : المقامة مثل الإقامة . يقال : أقمت بالمسكان إقامة ، ومقامة ، ومقاماً . وأما جنة المأوى فقد قال تعالى (عندها جنة المأوى) النجم : ١٥٠ والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به . قال عطاء عن ابن عباس : هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة . وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء . وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر يرتقي فيها أرواح الشهداء . وقال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) النازعات : ٤٠ وأما جنة عدن . فقيل : اسم لجنة من الجنان . قال الناظم : والصحيح أنه اسم لجملة الجنات ، فكلمها جنات عدن . قال تعالى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) مريم : ٦١ وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) فاطر : ٣٣ وقال تعالى : (ومساكن طيبة في جنات عدن) الصف : ١٢ والاستشفاق يدل على أن جميع جنات عدن ، فانه من الإقامة والدوام . يقال : عدن بالمسكان إذ أقام به ، وعدنت البلد ، وتوطنته ، وعدنت الأبل بمسكان كذا : لزمته فلم تبرح منه . قال الجوهري : ومنه جنات عدن ، أي جنات الإقامة ، ومنه سمي

المعدن بكسر الدال، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه ، والعدان ، الناقة المقيمة في المرعى ، وأما اسمها دارالسلام فقد سماها الله تعالى بهذا الاسم في قوله : (لهم دار السلام عند ربهم) الانعام ١٢٧ وقوله : (والله يدعوا إلى دار السلام) وهي أحق بهذا الاسم ، فانها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهي دار الله ، واسمه سبحانه (السلام) الذي سلمها وسلم أهلها ، ونجيتهم فيها سلام ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولاً من رب رحيم) وكلامهم كاء فيها سلام ، أي لا لغو فيها ، ولا فحش ، ولا باطل ، كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) مريم : ٦٢ وقد ذكر الناظم رحمه الله تعالى للجنة اثني عشر اسماً في كتابه «حادي الأرواح» وتكلم عن معانيها وبسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قوله : لكننا الفردوس أعلاها الخ . عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرآ ، ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » أخرجه مسلم . وروى أحمد عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : « إذا صليت علي فاسألوا الله لي الوسيلة » قيل : وما الوسيلة قال « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » وجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون (أنا) فصلاً ولا توكيداً ، بل مبتدأ . وفي « الصحيحين » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين

يسمع النداء « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، الا حلت له الشفاعة يوم القيامة » قال الناظم : هذا لفظ الحديث مقاما بالتنكير ليوافق لفظ الآية ، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه ، جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا لفظ من جهل (الذي وعدته) بدلاً ، فتأمله ، وفي « المسند » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فاسألوا الله لي الوسيلة » ورواه ابن أبي الدنيا وقال : « فيه درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتيها على رؤوس الخلائق » وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، ومعنى الوسيلة والوصلة والقربة والزلفى واحد ، ولهذا كانت أفضل الجنة ، وأشرفها وأعظمها نوراً . قال فضيل بن عياض : تدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفا . وقال ابن عباس : نور سقف مساكنكم نور عرشه . وقال الحسن : إنما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور المعدنية الفضل على سائر الحور . وفي الوسيلة معنى القرب الية بأنواع الوسائل . قال الكلبي : اطلبوا اليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف الله سبحانه هذا المعنى بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الاسراء : ٥٧ فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير الوسيلة . ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه ، وأعلمهم وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له حبة ، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة . وقوله « حلت عليه » يروى عليه وله ، فمن رواه باللام

فمعناه حصلت له ، ومن رواه (على) فمعناه وقعت عليه شفاعتي . انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

ولقد أتى في سورة الرحمن تفضيل الجنان مفصلاً ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان و يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفضليان لأوجه عشر ويعسر نظمها بوزان
وإذا تأملت السياق وجدتها فيه تلوح لمن له عينان
تقدم الكلام على مضمون هذه الآيات ، وذكرنا الأوجه العشرة في
تفضيل الجنتين الأولين من كلام الناظم .

سبحان من غرس يده جنة الفردوس عند تكامل البنيان
ويده أيضاً أتقنت لبنائها فتبارك الرحمن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما تفضيله من أجل هذا الشأن
عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله بنى الفردوس
بيده ، وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر » رواه الحسن بن سفيان
وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله تبارك
وتعالى ثلاثة أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس
الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ، ولا الديوث »
رواه الدارمي ، والنجاد ، وغيرهما .

قال الناظم : المحفوظ أنه موقوف ، وفيه أبو معشر متكلم فيه . وقال
ابن عمر : خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم ،

ثم قال لسائر الخلق (كن) فكان ، رواه الدارمي . وعن ميسرة : إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده . ونحوه عن كعب ، زاد ثم قال لها : تكلمي فقالت : (قد أفلح المؤمنون) المؤمنون : رواها الدارمي ، وذكر البيهقي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أحاط حائطها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وغرس غرسها بيده ، وقال لها تكلمي ، فقالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال طوبى لك منزل الملوكة » . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصابؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا يجاؤني فيك نجيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن : ١٩ . فتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده ، لمن خلقه بيده ، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وأظهاراً لفضل ما خلقه بيده ، وشرفه بذلك عن غيره ، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان .

لكننا الجهمي ليس لديه من ذا الفضل شيء فهو ذونكران
ولد عقوق عق والده ولم يثبت بدا فضلا على الشيطان
فكلاهما تأثير قدرته وتأ ثير المشيئة ليس ثم يدان
إلاهما أو نعمته وخلقهما كل بنعمة ربه المنان
أي أن الجهمية لما أنكروا يده سبحانه ، وقالوا : هي يد القدرة ، أريد

النعمة ، فلم يثبتوا فضيلة لأبهم آدم عليه السلام ، لأن اليد إذا كان معناها القدرة ، استوى آدم وابلis ، فإن كلاهما مخلوق بقدرة الله تعالى ، وقد عقوا إياهم آدم عليه السلام بذلك ، أي فآدم والشيطان كلاهما تأثير قدرته ومشيئته ، أو نعمتيه ، فإن الكل مخلوق بنعمة ربه . والله أعلم .

لما قضى رب العباد العرش قال ل تكلمي فتكلمت ببيان

قد أفلح العبد الذي هو مؤمن ماذا ادخرت له من الاحسان

يشير إلى حديث أنس الذي رواه ابن أبي الدنيا قال : قال رسول الله ﷺ :

« خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصابؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، قال لها : انطقي قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك نجيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن : ١٦ .

ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذا لك عويم أثراً عظيم الشأن

يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الايمان

مامثله أبداً يقال برأيه أو كان يأهلاً بذا العرفان

فيه النزول ثلاث ساعات فاحـداهن ينظر في الكتاب الثاني

يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة وبعزة وبرحمة وحنان

فترى الفتى يسي على حال ويصبح في سواها ما هما مثلاً

هو نائم وأموره قد دبّرت ليلا ولا يدري بذاك الشان
والساعة الأخرى إلى عدد مسا كن أهله هم صفوة الرحمن
الرسل ثم الأنبياء ومعهم الصديق حسب فلا تكن بيجان
فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به الأذنان
كلا ولا قلب به خطر المثل ل له تعالى الله ذو السلطان
والساعة الأخرى إلى هذي السما ويقول هل من تائب ندمان
أو داع أو مستغفر أو سائل أعطيه إني واسع الاحسان
حتى تصلي الفجر يشهدا مع ال أملاك تلك شهادة القرآن
هذا الحديث بطوله وسياقه وتماه في سنة الطبراني

قوله : ولقد روى حقاً أبو الدرداء الخ ، أي أن أبا الدرداء روى
هذا الأثر موقوفاً عليه . ومثله لا يقال بالرأي . قوله : أو كان ؛ أي : أو كان قاله
برأيه ، فيا أهلاً بذلك ، ولفظه « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات
يبقين من الليل ، فينظر الله تعالى في الساعة الأولى في الكتاب الذي لا ينظر
فيه غيره ، فيمحو ما يشاء ، ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن
وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء
والصديقون ، وفيها ما لم يره أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر
ساعة من الليل ، فيقول : ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له ، ألا سائل يسألني
فأعطيه ، ألا داع يدعوني فأستجيب له ، حتى يطلع الفجر » رواه الطبراني
في « معجمه » .

فصل

في بناء الجنة

وبناؤها اللبنة من ذهب وأخرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ ووزبرجد أو فضة أو خالص العقيقان
وكذلك من در وياقوت به نظم البناء بغاية الانتقائ
والطين مسك خالص أو زعفران ن جاذبا أثرا من مقبولان
ليسا بمختلفين لانتكروهما فهما الملاط لذلك البنيات

قال الناطم في « حادي الأرواح » : روى أبو بكر بن مردويه ، عن
ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ، فقال : « من يدخل الجنة
يحيى لايوت ، وينعم لا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » قيل : يا رسول
الله ، كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها مسك
أذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتراها الزعفران ، هكذا جاء في هذه
الأحاديث أن تراها الزعفران ، وكذلك روى يزيد بن زريع ، عن أبي
هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من
فضة ، تراها الزعفران ، وطينها المسك » وفي « الصحيحين » عن أبي ذر أن
رسول الله ﷺ قال : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا تراها
المسك » وهو قطعة من حديث المعراج . وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري
أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء ،

مسك خالص. فقال : صدق . وروى سفيان بن عيينة عن جابر بن عبد الله في قصة اليهود : فلما أن جاؤوه ، قالوا : يا أبا القاسم كم عدد خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلمتها « هكذا ، وهكذا » وقبض واحدة ، أي تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله ﷺ « مازية الجنة ؟ » فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : خبزة ، فقال : « الخبزة من الدرمة » فهذه ثلاث صفات في تربتها ، لاتعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للتوعين المسك والزعفران . قال مغيث بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتل معنيين آخرين ، أحدهما أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكاً ، والطين يسمى تراباً . ويدل على هذا قوله : « ملاطها المسك » والملاط الطين ، ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد « ترابها الزعفران ، وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة ، وماؤها طيباً فأنظم أحدهما إلى الآخر حدث لها طيب آخر فصار مسكاً . الثاني : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكاً باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون في البهجة ، والاشراق في لون الزعفران ، والرائحة في رائحة المسك ، وكذلك شبهها بالدرمك ، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة ، مع لينها ونعومتها ، وهو معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن مجاهد أن أرض الجنة من فضة ، وترابها المسك ، فاللون في البياض لون الفضة ، والرائحة رائحة المسك . وروى ابن أبي شبة عن ابن عمر قال : قيل : يا رسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : « لبننة من فضة ، ولبننة من ذهب ، وملاطها مسك أذفر ، وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » وروى أبو الشيخ عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « قلت ليلة أسري بي : يا جبريل : انهم يسألوني عن الجنة قال : فأخبرهم أنها من درة بيضاء ،

وأن أرضها عقيان ، والعقيان الذهب ، فإن كان محفوظاً فهي أرض الجنين .
الذهبيتين ، فيكون جبريل أخبر بأعلى الجنين وأفضلها ، والله أعلم . آخر كلامه .
قوله : وقصورها من لؤلؤ وزبرجد الخ . في « الصحيحين » من حديث
أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة حُيمة من
لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم
المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ومن حديث ابن أبي أوفى وأبي هريرة .
وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ : هذه خديجة أقرأها السلام ربها ،
وأمره أن يشرها ببيت في الجنة من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب .
والقصب ههنا اللؤلؤ المجوف . وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« إن في الجنة لقصرأ من لؤلؤ ، ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل
لحليله إبراهيم » .

فصل

في أرض الجنة وحصائها وترايبها

والأرض مرمرية كخالص فضة . مثل المرأة^(١) تنالها العينان
في مسلم تشبيهها بالدرمك الصافي وبالمسك العظيم الشاه .
هذا لحسن اللون لكن ذا لطيب الريح صار هناك تشبيهان
حصباء وها در وياقوت كذا ك لآلىء نثرت كثر جمان .

(١) أي المرأة ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

وترابها من زعفران أو من السمسك الذي ما استل من غزلان

تقدم شرح هذا الفصل في الفصل الذي قبله

فصل

في صفة غرفاتها

غرفاتها في الجوّ ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان

سكانها أهل القيام مع الصيا موطيب الكلمات والاحسان

ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضاً لهم ثنتان

روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ورواه ابن وهب عن ابن عمرو ، ولفظه « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » قال محمد بن عبد الواحد ، وهذا عندي إسناد حسن . وفي حديث أبي سعيد « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم ، كما تراؤن الكوكب الغابر في الأفق » وروى الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « ان في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » فقام اعرابي ، فقال : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى بالليل والناس نيام »

فصل

في خيام أهل الجنة

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ قد جوفت هي صنعة الرحمن
ستون ميلاً طولها في الجوف كل الزوايا أجمل النسوان
يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم بعضاً وهذا لا تسامح مكان
فيها مقاصير بها الأبواب من ذهب ودر زين بالمرجان
وخيامها منصوبة برياضها وشواطئ الأنهار ذي الجريان
ما في الخيام سوى التي لو قابلت للنيرين لقلت منكسفات
لله هاتيك الخيام فكم بها للقلب من علق ومن أشجان
فيهن حور قاصرات الطرف خيـرات حسان هن خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجهاً فالحسن والاحسان متفقان

قد تقدم حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال « إن المؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤ واحدة بحoque ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضاً » متفق عليه . وعن ابن مسعود في قوله (مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال : « در مجوف » وروى ابن المبارك عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من هر .

فصل

في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي من سرر علي—من الحجال كثيرة الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دوزها تيك الحجال وذاك وضع لسان
بشخانة يدعونها بلسان فا رس وهو ظهر البيت ذي الأركان
قال تعالى (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) الطور :
٢٠ وقال تعالى (ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة
متكئين عليها متقابلين) الواقعة : ١٣ - ١٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة)
الغاشية : ١٣ فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ،
ليس بعضها خلف بعض ، ولا بعيداً من بعض ، والوضن في لغتهم النضة
والنسيج المضاعف بعضه فوق بعض . وقال الليث : الوضن نسيج السرير
وأشباهه . قالوا : موضونة : منسوجة بقصات الذهب ، مشبكة بالدو
والياقوت والزبرجد . قال ابن عباس : سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر
والياقوت والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة . وقال الكلبي : طول السرير
في السماء مائة ذراع ، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس
عليه ، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه . وأما الأرائك ، فهي جمع أريكة
حتى يكون السرير في الحجلة ، فان كان سرير بغير حجلة لا يكون أريكة ،
وان كانت حجلة بغير سرير لم يكن أريكة ، ولا يكون أريكة إلا والسرير

في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة . وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال .
وقال الليث : الأريكة : سرير حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة . وقال أبو
ابو اسحق : الأرائك الفرش في الحجال .

قال الناظم في « حادي الأرواح » قلت : هاهنا ثلاثة أشياء ، أحدها
السرر ، والثاني الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه ، والثالثة الفراش الذي
على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة حتى يجتمع ذلك كله . وفي « الصحاح »
الأريكة : سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو
حجلة . وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة ، وهو الزر الذي
يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها .

قوله : بشخانة يدعونها النخ . أي : إن الأريكة تسمى بلسان
الفرس بشخانة .

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجارها نوعان منها ماله	في هذه الدنيا مثال ثان
كالسدر أصل النبق مخضودمكا	ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
هذا وظل السدر من خير الظلا	ل ونفعه الترويح للأبدان
وثماره أيضاً ذوات منافع	من بعضها تقريح ذي الأحزان

والطلح وهو الموز منضود كما نضدت يد بأصابع وبنات
أو أنه شجر البوادي موقراً حملاً مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرمان والأغاب والسنخل التي منها القطوف دراني
ذكر الناظم في هذا الفصل أن أشجار الجنة نوعان ، منها ماله نظير في
هذه الدنيا ، والنوع الثاني مالا نظير له في الدنيا ، وبدأ بالتنوع الأول وهو
الذي له مثل في هذه الدنيا . وقد قال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب
اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب .
وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٢٧ - ٣٣ وقال تعالى
(ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٨ جمع فتن وهو الفصن . وقال (فيها فاكهة
ونخل ورمات) الرحمن : ٦٨

قال الناظم في « حادي الأرواح » والمخضوض الذي قد خضد شوكة ،
أي : نزع وقطع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ،
وقتادة ، وأبي الأحوص ، وقسامه بن زهير . واحتجوا بحجتين . الأولى :
أن الخضد في اللغة القطع . خضدت الشجر : قطعت شوكة ، فهو خضيد ،
ومخضود . والثانية : ما روى ابن أبي داود عن عتبة السامي قال : كنت
جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : أسمعك تذكر في الجنة
شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكة منها ، يعني الطلح . فقال رسول الله ﷺ :
« إن الله قد جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود ،
فيها سبعون لونا من الطعام ، لا يشبه لونا آخر » الملبود الذي قد اجتمع شعره
بعضه إلى بعض . وروى ابن المبارك عن سليم بن عامر قال : أقبل أعرابي
يوماً فقال : ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية ، وما كنت أرى في الجنة

شجرة تؤذي صاحبها . قال : وما هي ؟ قال : السدر ، فإن له شوكة مؤذياً
قال : أليس يقول عز وجل (في سدر مخضود) الواقعة : ٢٨ خضد الله
شوكه ، فجعل مكان كل شوكه ثمرة . وقالت طائفة : هو الموقر حملاً ،
ولم يصب الذي أنكروا هذا القول ، وهو صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله
لما خضد شوكه فأذهبه وجعل مكان كل شوكه ثمرة أوقره بالحمّل ، والحديثان
المدكوران يجمعان القولين ، ومن قال المخضود ما لا يعقر ولا يرد اليد منه شوك
ولا أذى ، فقد فسرّه بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم
المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراد تارة ، ومثلاً من أمثله ، فيحكمها
الجامعون للغة والسبب أقوالاً مختلفة ، ولا اختلاف بينها . وأما الطلع ،
فأكثر المفسرين أنه شجر الموز ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي
هريرة ، وأبي سعيد الخدري . وقالت طائفة : بل هو شجر عظام طوال من
البيوادي الكثير الشوك ، وله نور ورائحة طيبة ، وظل ظليل . قال ابن
قتيبة : هو الذي نضد بالحمّل أو بالورق ، فليس له ساق بارز . وقال مسروق :
ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وانهارها تجري من غير أخدود .
وقال الليث : الطلع شجر أم غيلان ، من أعظم العضاة شوكة وأصلبه عوداً ،
وأجوده صمغاً . قال أبو اسحاق : له نور طيب الرائحة ، وليس في الجنة بما
في الدنيا إلا الأسامي ؛ والظاهر أن التفسير بالموز تمثيل به لحسن نضده ، والا
فالطلع في اللغة هو الشجر العظام من البوادي . والله أعلم

هذا ونوع ماله في هذه الدنيا نظير كي يرى بعيان
يكفي من التعداد قول إلّٰهنا من كل فاكهة بها زوجات
وأتوا به متشابهاً في اللون مختلف الطعوم فذاك ذو ألوان

أو أنه متشابهاً في الاسم مختلف الطعم فذاك قول ثاني

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات إن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأننا به متشابهون) البقرة : ٢٥ . قال الناظم : قال مجاهد : ما أشبهه به . وقال ابن زيد : يعرفونه . وقال آخرون : قيل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم ، وهو أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو . قال أبو عبيدة : كلما نزع ثمرة عادت مكانها أخرى . قال الحسن وقتادة وابن جريج وجماعة : خيار كله لا رذل فيه ، وعلى هذا ، فالمراد بالمشابهة التوافق والتأثر . وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهاً في اللون والرائحة ، وليس يشبه الطعم الطعم . وقال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذلك قال الربيع ابن أنس . وقال يحيى ابن أبي كثير : عشب الجنة الزعفران ، وكتبانها المسك . ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ، ثم يأتون بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفاً فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . وقال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، وليس هو مثله في الطعم ، واختاره ابن جرير .

أو أنه وسط خيار كله فالفحل منه ليس ذا ثنيات

أو أنه لثارتا ذي مشبه في اسم ولون ليس يختلفان

لكن ليهجتها ولذة طعمها أمر سوى هذا الذي تجدان

فيلذها في الأكل عند منالها وتلذها من قبله العيان
قال ابن عباس وما بالجنة العليا سوى أسماء ما تريان
يعني الحقائق لاتماثل هذه وكلاهما في الاسم متحدان
ياطيب هاتيك الثمار وغرسها في المسك ذاك التراب للبهستان
وكذلك الماء الذي يسقى به ياطيب ذاك الورد للظمان
تقدم شرح ماتضمنته هذه الآيات

وإذا تناولت الثمار أتت نظيرتها فحلت دونها بمكان
لم تنقطع أبداً ولم ترقب نزول الشمس من حمل إلى ميزان
وكذلك لم تمنع ولم تحتج إلى أن ترتقي للقنـو في العيدان
قال الله تعالى (وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٢ ،
٣٣ روى الطبراني عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا
نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى »
قوله : لم تنقطع أبداً الخ . قال الله تعالى (لا مقطوعة ولا ممنوعة)
أي : لاتكون في وقت دون وقت ، ولا يمنع من أرادها .

بل ذلت تلك القظوف فكيفما شئت انتزعت بأسهل الامكان

قال الله تعالى (قظوفها دانية) الحاقة : ٢٢ القظوف : جمع قطف ،
وهو مايقطف ، أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف شاء . قال
البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو قائم . وقال تعالى (ودانية عليهم ظلالها -
وذلك قظوفها تذليلاً) الدهر : ١٤ قال ابن عباس : إذا هم أن يتناولوها تدلت
إليه حتى يتناول مايريد . وقال غيره : قربت إليهم مذلة كيف شاؤوا ، فهم

يتناولونها قياماً وقعوداً، ومضجعين، فيكون كقوله (قطوفها دانية) الحاقة: ٢٢.
ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله . وفي نصب (دانية) وجهان ، أحدهما
أنه على الحال عطفاً على قوله (متكئين) والثاني أنه صفة الجنة .

وكذلك لم تمنع ولم يحتج إلى أن يرتقي للقنو في العيدان

القنو واحد الأقناع ، والعيدان جمع عيدانه ، وهي النخل الطوال

بل ذلت تلك القطوف فكيفما شئت انتزعت بأسهل الامكان

ولقد أتى خبر بأز الساق من ذهب رواه الترمذي ببيان

روي الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما

في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب »

قال ابن عباس وهاتيك الجذو ع زمرد من أحسن الألوان

ومقطعاتهم من الكرم الذي فيها ومن سعة من العقيان

وثمارها ما فيه من عجم كأمثال القلال فجبل ذو الاحسان

روى ابن المبارك عن ابن عباس قال : نخل الجنة جذوعها من زمرد

أخضر ، وكرها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، فيها مقطعاتهم

وحللهم ، وثمرها أمثال القلال ، والدلاء أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من

العسل ، وألين من الزبد ، ليس له عجم .

وظلالها ممدودة ليست تقي حراً ولا شمساً وأنى ذان؟

أو ما سمعت بظل أصل واحد فيه يسير الراكب العجلان

مائة سنين قدرت لا تنقضي هذا العظيم الأصل والأفنان

ولقد روى الحُدري أيضاً أن طو بن قدرها مائة بلا نقصان

تتفتح الأكام فيها عن لبا سهم بما شأوا من الألوان

في « الصحيحين » عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وأقرؤوا ان شتم (وظل بمدود) الواقعة ٣ : وروى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال : الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال : فيشتم بعضهم ويذكر هو الدنيا ، فيرسل الله رجلاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا . وروى ابن وهب عن أبي سعيد الحُدري قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما طوبى ! قال « شجرة في الجنة مسير مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » وقد رواه حرمله عنه بزيادة في أوله أن رجلاً قال : طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » وروى أبو يعلى عن سلمى بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الفتن منها الراكب مائة سنة » أو قال : « يستظل في الفتن منها مائة ركب فيها فراش من الذهب ، كأن ثمارها القلال » رواه الترمذي وقال : منك يحيى ، وهو حديث حسن غريب

فصل

في سماع اهل الجنة

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتشير أصواتاً تلذ لمسمع الـ انسان كالنغمات بالأوزان
بالذة الأسماع لأتتعوضي بلذاة الأوتار والعيدان
أو ما سمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان
واهاً لذياك السماع فانه ملئت به الأذنان بالاحسان
واهاً لذياك السماع وطيبه من مثل أقمار على أغصان
واهاً لذياك السماع فكم به للقلب من طرب ومن أشجان
واهاً لذياك السماع ولم أقل ذياك تصغيراً له بلسان
ما ظن سامعه بصوت أطيب الـ أصوات من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خيرا ت كاملات الحسن والاحسان
لسنا نموت ولا نخاف ومالتا سخطوا لاضغن من الأضغان
طوبى لمن كنا له وكذلك طو بى للذي هو حظنا لفظان
في ذاك آثار روين وذكرها في الترمذي ومعجم الطبراني

ورواه يحيى شيخ الاوزاعي تفهيماً — سيراً للفظه يجبرون أغان
قوله : واهاً قد تقدم تفسير ذلك .

قال الله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا و عملوا
الصالحات فهم في روضة يحبرون) الروم : ١٥ قال يحيى بن أبي كثير :
الحبرة : اللذة والسماع ، ولا يخالف هذا قول ابن عباس : يكرمون .
وقول مجاهد وقناة : ينعمون . فلذة الاذن بالسماع من الحبرة والنعم . وروى
الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لمجتمعاً
للحور العين يرفعن أصواتهم ، لم تسمع الخلائق بمثلاً ، يقلن : نحن الخالدات
فلا نبئد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى
لمن كان لنا وكناله » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن في الجنة نهراً
طول الجنة ، حافته العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعها
الخلائق ، ما يرون في الجنة لذة مثلاً . قلنا يا أبا هريرة ، وما ذلك الغناء ؟
قال : إن شاء الله التسبيح ، والتقديس ، والتحميد ، وثناء على الرب عز وجل .
هكذا رواه موقوفاً جعفر الفرياني . وروى أبو نعيم عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب ، وفروعها من زبرجد
واؤلؤ ، فتهب لها ريح فتصفق ، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد
منه » وروى جعفر الفرياني عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول
الله ﷺ قال « ما من عبد يدخل إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان
من الحور العين ، تغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن ، وليس
بزامير الشيطان » وروى الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ
« إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط . إن مما

يغنين به : نحن الحيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعيان ،
وإن بما يغنين به : نحن الحالدات . فلا تمتنه ، نحن الآمات فلا تحفنه ، نحن
المقيات فلا تظعننه . تفرد به ابن أبي مريم . وروى ابن وهب أنه قال رجل من
قريش لابن شهاب : هل في الجنة مماع ، فانه حبيب إلي السماع ؟ فقال : إي
والذي نفس ابن شهاب بيده ، ان في الجنة شجر أحمله الأولؤ والزبرجد ،
تحته حور ناهدات ، يغنين بألوان ، يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن
الحالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً ، فأجبن الجوارى :
فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر ، ولهم سماع أعلى من
هذا . وروى ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال : بلغني أنه ليس من خلق
الله أحسن صوتاً من اسرافيل ، فيأمره الله تعالى ، فيأخذ في السماع ، فما يبقى
ملك إلا وقطع عليه صلاته ، فيكث بذلك ما شاء الله أن يكث ، فيقول
الله عز وجل : وعزني لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري . وعن محمد
ابن المنكدر قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا ينزهون
أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان ؟ أسكنوهم رياض
المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم تمجيدي وتمجيدي . وروى ابن أبي
الدنيا عن مالك بن دينار في قوله تعالى : (وإن له عندنا لزلقى وحسن
مآب) ص : ٤٠ قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع ، فيوضع في
الجنة ، نوذي يداود مجدي بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجديني
به في دار الدنيا ، قال : فيستفرع صوت داود نعيم أهل الجنة . وروى حماد
ابن سلمة ، عن شهر بن حوشب أن الله جل ثناؤه يقول للملائكة : إن عبادي
كلو يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعون له من أجلي ، فأسمعوا عبادي .

فيأخذون بأصوات ، من تسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط . وعن ابن عباس قال : في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها ، فيشبه بعضهم ، فيذكر هو الدنيا ، فيرسل الله رجلاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا ، ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله ، وسلامه عليهم ، وخطابه ، ومحاضرتهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل ذلك . روى أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقرأ عليهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم وأحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد

نزه سماعك ان أردت سماع ذياك الغنا عن هذه الألحان
لا تؤثر الأذنى على الأعلى فتحرم ذا وذا يا ذلة الحرمان
إن اختيارك للسمع النازل الـ أدنى على الأعلى من النقصان
والله إن سماعهم في القلب والـ إيمان مثل السم في الأبدان
والله ما انفك الذي هو دأبه أبداً من الاشرار بالرحمن
فالقلب بيت الرب جل جلاله حباً و إخلاصاً مع الاحسان
فاذا تعلق بالسمع أصاره عبداً لكل فلانة وفلان

حب الكتاب وحب الحاز الغنا في قلب عبد ليس يجتمعان
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الايمان
واللهو خف عليهم لما رأوا مافيه من طرب ومن ألحان
قوت النفوس وانما القرآز قوت القلب أنى يستوي القوتان؟!
ولذا تراه حظ ذي النقصان كالجسهال والنسوان والصبيان
وألذهم فيه أفلهم من العقل الصحيح فسل أخا العرفان
يالذة الفساق لست كلذة الابرار في عقل ولا قرآن
شرع الناظم رحمه الله تعالى في التحذير من سماع الأغاني والألحان .
وللعلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة مصنفات مفردة ، كالامام أبي بكر
الطوطوشي ، والقاضي أبي الطيب الطبري ، وللحافظ ابن رجب « نزهة
الاسماع في مسألة السماع » وغيرهم ، وهو من مكائد الشيطان التي كادها من
قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع
المسكاه والتصديه . والغناء بالآلات المحرمة ، هو الذي يصد القلوب عن القرآن ،
ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان ، والحجاب الكثيف
عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنا ، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة
غاية المنى ، كادبه الشيطان النفوس المبطله ، وحسنه لها مكرآ منه ، وغرورآ ،
وأوحى اليها الشبه الباطلة على حسنه ، فقبلت النفوس وحيه ، واتخذت لأجله
القرآن مهجورآ ، فلو رأيتهم عند ذاك السماع وقد خشعت منهم الأصوات ،
وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصبأها انصبأة

واحدة اليه ، فبما يلوأله كتايل النشوان ، وتكسروا في حر كاتهم ورقصهم ،
ولا تحرك الخنايت والنسوان ، ويحق لهم ذلك وقد خالط خمارة النفوس ،
ففعل فيها أعظم بما يفعله حميا الكؤوس ، فلغير الله ، بل للشيطان قلوب
هناك تمزق ، وأثواب تشقق ، وأموال في غير طاعة الله تنفق ، حتى إذا
عمل السكر في عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله ، واستفزم بصوته
وحيله ، وأجلب عليهم بخيله ورجله ، وخز في صدورهم وخزاً ، وأزهم إلى
ضرب الأرض بالأقدام أزاً ، فطوراً يجعلهم كالمحير حول المدار ، وثارة كالذباب
يتوقص وسط الديار ، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام ،
وامسواتا من أشباه الحمير والأنعام وشماقة أعداء الاسلام بالذين يزعمون أنهم
خواص الاسلام . قال الامام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه في تحرير
السماع : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
ونسأل الله أن يرينا الحق حقاً فنطيعه ، والباطل باطلاً فنجتنبه ، وقد كان
الناس فيما مضى يتستر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ، ثم يستغفر الله ويتوب
اليه منها ، ثم كثر الجهل ، وقل العلم ، وناقص الأمر ، حتى صار أحدهم
يأتي بالمعصية جهاراً ، ثم ازداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا
المسلمين ، وفقنا الله واباهم ، استزلم الشيطان ، واستغوى عقولهم في حب
الأغاني واللو وسماع الطقطقة والتغبير ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم
إلى الله ، وجاهرت به جماعة المسلمين ، وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت
الفقهاء والعلماء وحمة الدين (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ -
فرايت أن أوضح الحق ، وأكشف من شبه أهل الباطل بالحجج التي
تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور

الفتيا عليهم في أقاصي الأرض وأدانيها ، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها ، والله ولي التوفيق . ثم قال : أما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، قال : وإذا استرى جارية فوجدها مغنية ، فله أن يردها بالعيب . وسئل مالك عما ترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق . قال : وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكذلك مذهب أهل الكوفة ، سفيان ، وحماد ، وإبراهيم ، والشعبي وغيرهم ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولانعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه . قال الناظم رحمه الله تعالى : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالزمار ، والدف ، وحتى والضرب بالفضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك قالوا : إن السماع فسق ، والتلذذ به كفر ، هذا لفظهم . ورووا في ذلك حديثاً لا يصح رفعه ، قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . وأما الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب إليه حله ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي إسحاق ، وابن الصباغ . قال الشيخ أبو إسحاق في « التنبية » ولا يصح يعني الإجارة على منفعة محرمة ، كالغناء والزمر ، وحمل الخمر ، ولم يذكر فيه خلافاً . وقال في « المذهب » : ولا يجوز على المنافع المحرمة ، لأنه محرم ، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم ، فقد تضمن كلامه أموراً . أحدها : أن منفعة الغناء بمجرد منفعة محرمة . الثاني : أن الاستئجار عليها باطل .

الثالث : أن أكل المال به أكل مال باطل ، بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم . الرابع : أنه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغني ، ويجرم عليه ذلك ، فإنه بذل ماله في مقابلة محرم ، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة . الخامس : أن الزمر حرام ، فإن كان الزمر الذي هو أخف آلات اللهو حراماً ، فكيف بما هو أشد منه ؟ ! كالعود والطنبور ، واليراع ، ولا ينبغي لمن شمه رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك ، فأقل ما فيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر ، وقد تواتر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : خلقت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير ، يصدون به الناس عن القرآن ، فإذا كان هذا قوله في التغبير ، وتعليله أنه يصد عن القرآن ، وهو شعر مزهد في الدنيا ، يعني به مغن ، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب نطع ، أو بخدة على توقيع غناه ، فليت شعري ما يقول في سماع التغبير عنده كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وكل محرم ؟ ! فالله بين دينه وبين كل متعلم مقتون ، وعبد جاهل ، وأما مذهب الامام أحمد ، فقال عبد الله ابنه : سألت أبي عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني ، ثم يذكر قول مالك : لما يفعله عندنا الفساق . قال عبد الله : وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة بقول أهل الكوفة في النبيذ ، وأهل مكة في المتعة ، لكان فاسقاً . قال أحمد : وقال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم ، اجتمع فيك الشر كله ، ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية ، وإرادوا بيعها ، قال : لاتباع إلا على أنها ساذجة ، قالوا : إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفاً أو نحوها ، وإذا بيعت ساذجة لآتساوي ألفين ، ، فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة . ولو كانت

منفعة الغناء مباحة ، لما فرت هذا المال على الأيتام . وقد أحسن الناظم رحمه الله تعالى في قوله :

تلي الكتاب فأطرقوا لاختيفة	لكنه إطراق ساء لاهي
وأبى الغناء فكالحمير تناهقوا	والله مارقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونعمة شادن	فمتى شهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا	تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى	زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن	شهواتها يا ويحها المتناهي
وأبى السماع موافقاً أغراضها	فلأجل ذا غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع	أسبابه عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه	خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شربه	وانظر إلى النشوان عند ملاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه	من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
واحكم بأي الخمرتين أحق بالتحريم والتأثم	عند الله

وقد أكثر العلماء الكلام على هذا السماع الشيطاني المحدث ، ولكن آثرنا الاختصار ، والله أعلم .

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخذود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه وهو اشتراك قام بالأذهان
روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك قال : إنكم تظنون أن أنهار
الجنة أخذود في الأرض ، لا والله إنها لساخنة على وجه الأرض ، إحدى
حافتيها اللؤلؤ ، والآخر الياقوت ، وطينه المسك الأذفر ، قال معاوية بن
قرة : ما الأذفر ؟ قال : الذي لا خلط له . رواه ابن مروان في تفسيره .
عن أنس مرفوعاً هكذا ، وروى أبو خيثمة عن أنس أنه قرأ هذه الآية
(إنا أعطيناك الكوثر) فقال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر ، فإذا
هو نهر يجري ، ولم يشق شقاً ، وإذا حافته قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي
إلى تربته ، فإذا مسك أذفر ، وإذا حصاؤه اللؤلؤ » وروى سفيان الثوري
عن مسروق في قوله تعالى (وماء مسكوب) الواقعة : ٣١ قال : أنهار تجري
في غير أخذود ، ونخل طلعتها هضيم من أصلها إلى فرعها ، أو كلمة نحوها .

قوله : من تحتهم تجري النخ . قد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) طه : ٧٦ وفي موضع (تجري تحتها الأنهار) التوبة : ١٠٠ وفي موضع (تجري من تحتهم الأنهار) الأنعام : ٦ وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . والثاني : أنها إجارية لا واقفه . والثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ، كما هو المعهود في أنهار الدنيا . وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم ، وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وهؤلاء أتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهارها وإن جرت في غير أخدود ، فهي تحت القصور ، والمنازل ، والغرف ، وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها . وقد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا . فقال (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأوض ما لم نكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) الأنعام : ٦ فهذا على المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه عن قول فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الزخرف : ٥١ وقال تعالى (فيها عيمان نضاختان) الرحمن : ٦٦ أي بالماء والفواكه ، قاله سعيد . وقال أنس : بالمسك والعنبر تنضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا . وقال البراء : اللتان تجريان أفضل من النضاختين . رواها ابن أبي شيبه ، وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) محمد : ١٥ فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ،

وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ، وهذا من آيات الرب تعالى أن يجري أنهاراً من أجناس لم تجر العاده في الدنيا بأجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا ، من الصداق ، والغول ، واللغو ، ونزف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كريمة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان ، توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو الى الزنا ، وربما دعت الى الوقوع على البنت ، وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الحزي والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الانسان ، وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الاسماء والصفات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرناه ، وكلها منفية عن خمر الجنة .

فصل

في طعام أهل الجنة

وطعامهم ما تشتهي نفوسهم	ولحوم طير ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مناهم	ياشيعه كملت لذي الايمان
لحم وخمر والنساء وفواكه	والطيب مع روح ومع ريحان
وصحافهم ذهب يطوف عليهم	بأكف خدام من الولدان

وانظر إلى جعل اللذادة للعيون ن وشهوة للنفس في الشيطان
للعين فيها لذة تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران
سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى ما نالت العينان

قال تعالى (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه ما يشتهون كلوا واشربوا
هنيئاً بما كنتم تعملون) المرسلات : ٤١ وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد
المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) الواقعة : ٢٥ وقال تعالى
(وأمددناهم بغاكة وحلم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا
تأثيم) الرعد : ٣٥ وفي « صحيح مسلم » من حديث جابر قال : قال رسول
الله ﷺ « يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يتمخطون ، ولا يتغوطون
ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد .
وفي « المسند » والنسائي بسند صحيح ، عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل
من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون
ويشربون ؟ قال « نعم » ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة
رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة . قال : فإن الذي يأكل ويشرب
يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : « يكون حاجة أحدهم رشحاً
يفيض من جلودهم كريح المسك فيضربطنه » . ورواه الحاكم في « صحيحه »
بنحوه ، وروى الحسن بن عرفة عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله
ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهي ، فيخرج من يدك مشوباً »
وروى الحاكم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة طيراً
أمثال البخاتي » فقال أبو بكر : إنها لناعمة يا رسول الله . قال « أنعم منها من

يأكلها، وأنت بمن يأكلها». وروى الحاكم عن قتادة في قوله تعالى (ولحم طير بما يشتهون) الواقعة : ٢١ نحوه بلفظة أخرى . وعن ابن عمرو في قوله تعالى (ويطاف عليهم بصحاف من ذهب) الزخرف : ٧١ قال : بسبعين صحيفة ، كل صحيفة فيها لون ليس في الأخرى . وروى الدراوردي عن أنس بن مالك أنه قال في الكوثر : ويرفعه فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال : عمر : إنها للناعم ، فقال : أكلها أنعم منها ، وفي رواية (أبوبكر) بدل (عمر) . وقال تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبتهم أولئاً منشوراً) الدهر : ٣٠ قال أبو عبيدة والنخعي : مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون . وقال آخر : مخلدون مقرطون مسورون ، في آذانهم القرطة ، وفي أيديهم الأساور ، وهذا ابن الأعرابي . قال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : لا يموتون ، وهذا قول مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، وجمعت طائفة بين القولين ، لا يعرف لهم الكبير والمهرم ، وفي آذانهم القرطة ، وشبههم بالؤلؤ لما فيه من البياض وحسن الحلقة . وفي كونه منشوراً فائدتان : أحدهما : أنهم غير معطين ، بل مشوثون في خدمتهم وجوانحهم . والثاني : أن اللؤلؤ إذا كان منشوراً لاسياً على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره ، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان . وفي حديث أنس عن النبي ﷺ « أنا أول الناس إذا بعثوا » وفيه يطوف على ألف خادم ، كأنهم أولؤ مكنون . المكنون : المستور المصون الذي لم تبتذله الأيدي .

وقول الناظم : وانظر إلى جعل اللذذة للعيون الخ . أي : انظر إلى اللذذة التي تحصل بالعيون بسبب النظر إلى ألوان الذين هم كالؤلؤ المنشور . وشهوة النفس لما في الصحاف التي يطوفون بها ، فاجتمع لهم لذة النظر ولذة

الشهوة ، لما في الصحف ، وذلك يوجب لذة أخرى ، فتكمل لهم اللذة .
والله أعلم .

فصل

في شراهم

يسقون فيها من رحيق ختمه بالمسك أوله كمثل الثاني
من خمرة لذت لشاربها بلا غول ولا داء ولا نقصان
والخمر في الدنيا فهذا وصفها تغتال عقل الشارب السكران
وبها من الأدواء ما هي أهله ويخاف من عدم لذي الوجدان
فنفي لنا الرحمن أجمعها عن الخمر التي في جنة الحيوانات
قال تعالى (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون) المطففين : ٢٦ ، ٢٥ رحيق مختوم ، أي : الخمر ختم بالمسك . وعن
ابن مسعود : ختامه مسك ، أي : خلطه ، وليس بخاتم ختم .

قال الناظم : قلت : يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه ، فهو من
الحامئة ، ليس من الخاتم ، وهو قول علقمة ومسروق ، قال : يجدون عاقبتها
طعم المسك ، وقال مجاهد : طيبه مسك ، كأنه يريد ما يبقى في أسفل الأناء

من الدردى . وقال أبو الدرداء : هو ، أي : ختامه مسك ، شراب أبيض مثل
الفضة ، يهتمون به آخر شرايهم ، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده
فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . رواه الحاكم .

قوله : من خمرة لذت لشاربها الخ . نفى الله سبحانه عن خمر الجنة جميع
آفات خمر الدنيا من الصداق ، والغول ، والمغو ، والآنزاف ، وعدم اللذة
فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا : تغتال العقل ، وتكثر اللغو على شربها ،
بل ولا يطيب شربها ذلك إلا باللغو ، وتنزف في نفسها ، وتنزف المال ،
وتصدع الرأس ، وهي كريمة المذاق ، وقد تقدم بعض آفاتنا في فصل
أنهار الجنة . والله أعلم .

وشرايهم من سلسيل مزجه الخ — كافور ذاك شراب ذي الاحسان
هذا شراب أولي اليمين ولكن الخ — أبرار شرايهم شراب ثافي
يدعى بتسليم سنام شرايهم شرب المقرب خيرة الرحمن
صقى المقرب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان
لكن أصحاب اليمين فأهل مزج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجواهم الخ — أعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليطه مزجى أمره والحكم فيه لربه الديان

قال تعالى (ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . غينا يشرب
بها عباد الله يفجرونها تفجيروا) الدهر : ٧٦ قال بعض السلف : معهم قضبان
الذهب حيثما مالوا مالت معهم . قيل : الباء بمعنى من ، أي : يشرب منها .

وقيل : يروى بها ، وهذا أصح وألطف وأبلغ . وقيل : الباء الظرفية ، والعين اسم للمكان . وقال تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عينا فيها تسمى سلسيلاً) الدهر : ١٧ ، ١٨ فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ان شراب الابرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الاعمال كلها لله تعالى فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا ، فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسليم . عينا يشرب بها المقربون) المطففين ٢٥ ، ٢٨ فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ، بالكافور ، وبالزنجبيل ، فما في الكافور من البرد ، وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ، ويجيء أحدهما على الآخر حالة أخرى أكل وأطيب وألذ من كل منها بانفراده ، وتعديل كيفية كل منهما بكيفية الآخر . وما ألفت ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فان شرابهم مزج أولاً بالكافور والزنجبيل بعده فيعده ، والظاهر أن الكأس الثانية غير الاولى وأنها نوعان لذيدان من الشراب ، أحدهما مزج بالكافور ، والثاني بالزنجبيل . وايضاً فانه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والايثار ، والصبر ، والوفاء ، بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعافها وهو ما أوجبه على انفسهم بالنذر على الوفاء : باعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم ، ولهذا قال : (جزاهم بما صبروا جنة وحريراً) الدهر : ١٢ فان في الصبر الحشونة ، وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى ان يكون في اجزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والحشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال بواطنهم كما جملوا في الدنيا

ظواهرهم بشرائع الاسلام ، وبواطنهم بحقائق الايمان ، أفاده الناظم رحمه
الله تعالى .

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم وضممه

هذا وتصريف الماء كل منهم عرق يفيض لهم من الابدان
كروائح المسك الذي مافيه خلط غيره من سائر الالوان
فتعود هاتيك البطون ضوئاً تبغي الطعام على مدى الازمان
لا غائط فيها ولا بول ولا عذو ولا بصبق من الانسان
ولهم جشاء ريحه مسك يكو ز به تمام الهضم بالاحسان
هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم ولاحمد الأثران

قوله : هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم الخ . تقدم الحديث الذي رواه مسلم
في ذلك من حديث جابر ، وتقدم الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي
من حديث زيد بن أرقم قال : جاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى
الله عليه وسلم . . . الحديث . قوله هذا وهذا اصح عنه الخ . أي أن تصريف
ما كل اهل الجنة قد بينه النبي ﷺ ، ففي حديث جابر أن ذلك جشاء و
بورشح كرشح المسك . وفي حديث زيد بن أرقم أن ذلك يكون رشعاً
يفيض من جلودهم كرشح المسك : قوله . ولاحمد الأثران ، اي ان حديث

جابر وحديث زيد بن أرقم قد رواهما الامام أحمد، وأما مسلم فلم يرو.
الاحديث جابر، ومع ذلك فهما صحيحان ، والله اعلم

فصل

في لباس اهل الجنة

وهم الملوك على الأسرة فوقها تيك الرؤوس مرصع التيجان
ولباسهم من سندس خضرو من إستبرق نوعان معروفان.
ماذاك من دود بني من فوقه تلك البيوت وعاد ذو طيران
كلا ولا نسجت على المنوال نس ج ثيابنا بالقطن والكتان.
لكنها حلل تشق ثمارها عنها رأيت شقائق النعمان.
بيض وخضر ثم صفر ثم حم ر كالرباط بأحسن الالوان
لا تقرب الدنس المقرب للبل ماللي فيهن من سلطات
ونضيف إحداهن وهو خمارها ليست له الدينا من الاثمان
سبعوز من حلل عليها لاتعو ق الطرف عن مخ ورا الساقان
لكن يراه من ورا ذا كله مثل الشراب لدى زجاج أوان

قال الله تعالى (ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون . يلبسون من سندس
وإستبرق متقابلين) الدخان: ٥٣، ٥٤ وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا

لأنضيق اجر من أحسن عملا. أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار
يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق
متكئين فيها على الأرائك) الكهف : ٣١، ٣٠ قال جماعة من المفسرين : السندس :
من مارق الديباج والاستبرق ما غلظ منه. وقال آخرون : المراد به الصفيق. وقال
الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر والبني للملابس
الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس ، والتذاذ العين به ، وبين نعومته
والتذاذ الجسم به . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« من يدخل الجنة ينعم فلا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ». قال الناظم في
« حادي الأرواح » : والظاهر أن الثياب المعينة لا يلحقها البلى ، ويحتمل أن
المراد الجنس ، بل لا تزال عليه الثياب الجدد ، كما أنها لا ينقطع أكلها في
جنسه ، بل كل ما كول يخلفه ما كول آخر ، والله أعلم . وروى أحمد عن
أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قيد سوط أحدكم من الجنة خير من
الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم خير من الدنيا ومثلها معها ، ونصف
امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها » قلت : وما النصف ؟ قال :
« النحر » وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله
ﷺ « إن الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة
فتضرب على منكبيه ، فيظهر وجهه في خدها أصفى من المرأة ، وإن أدنى
لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلام ، ويسألها
من أنت فتقول : أنا المزيد ، وأنه ليكون عليها سبعون حلة ثوباً ، أدناها
مثل النعمان من طوبى ، فينقدها بصره حتى يرى منق ساقها من وراء ذلك ،
وإن عليها التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب »

وروى احمد عن ابن عمر ومرفوعاً ، وفيه : فقام آخراي اعرابي فقال : اخبرني عن ثياب اهل الجنة ، أتخلق خلقاً او تنسج نسجاً ؟ فضحك بعض القوم . فقال ﷺ «تضحكون من جاهل يسأل علماً؟» فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال : « أين السائل ؟ » قال : ها هو ذا يا رسول الله . قال : تشفق عنها ثمار الجنة ثلاث مرار . وروى البيهقي عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء اليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه وجعله رفيق السفرة البررة ، واذا كان يوم القيامة كان القرآن له حبيباً ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، الا فلاناً كان يقوم بي آناء اليل والنهار ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، يقول : رب فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملك ثم يكسوه من حلال الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ، فيقول : يارب أرغب في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ثم يقول هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري ، ان رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى (يحلون فيها من اساور من ذهب) الكهف : ٣١ فقال : ان عليهم التيجان ، إن ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب . قوله : المنوال . قال في «القاموس» : والنول الوادي السائل ، وحبل السفينة . وخشبة الحائك كلنوال ، والمنوال جمع أنوال . انتهى كلامه .

فصل

في فرشهم وما يتبعها

والفرش من إستبرق قد بطّنت ماظنكم بظاهرة لبطان
مرفوعة فوق الأسرة يتسكي هو والحبيب بخلة وأمان
يتحدثان على الأرائك ماترى حين في الخلوات يستحيان
هذا وكم زربية ونمارق ووسائد صفت بلا حسابان
قال الله تعالى (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) الرحمن : ٥٤ .
قال تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ فوصف الفرش بكونها مبطنة .
بالإستبرق ، وهذا يدل على أمرين ، أحدهما أن طهارتها أعلى واحسن من بطائنها .
لأنها للأرض ، وظواهرها للجمال والزينة والمباشرة . قال سفيان الثوري : عن
عبد الله في قوله (بطائنها من إستبرق) قال : هذه البطائن قد خبرتم عنها ،
فكيف بالظواهر ؟ الثاني : أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة ،
والظاهرة . وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد
ارتفاع محلها . كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله
تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض
ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ، واستغربه الترمذي . وقيل : معناه ان
الارتفاع المذكور للدراجات والفرش عليها . وروى ابن وهب عنه عن النبي .

ﷺ قال « بين الفراشين كما بين السماء والارض » وهذا أشبه ان يكون هو المحفوظ. وروى الطبراني عن كعب قال : مسيرة أربعين سنة . وعن أبي أمامة عند الطبراني قال : سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة . قال : « لو طرح فراش في أعلاها لوقع الى قرارها مائة خريف » وفي رفع هذا الحديث نظر . فقد روى ابن أبي الدنيا عنه قال : لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً . وأما البسط ، والزراي ، فقد قال تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونهارق مصفوفة . وزواي مبثوثة) الغاشية : ١٣ . ١٦ عن سعيد بن جبیر قال : الرفرف رباح الجنة ، والعبقري عتاق الزراي . وقال الحسن : هي البسط ، وبه قال أهل المدينة . وأما النارق ، فقال الواحدي : هي الوسائد واحداً تمرقة بضم النون وكسرهما . قال مقاتل : هي الوسائد مصفوفة على الطنافس ، وزراي ، يعني : البسط . والطنافس واحداً زريبة في قول جميع أهل اللغة والتفسير ، ومبثوثة مبسوطة ، منشورة . قوله : فوق الأسرة يتكبي النخ . الأسرة : جمع سرير . متكئين . قال في « القاموس » نوکاً عليه تحامل واعتمد ، وانما جعل له متكأً .

وقوله ﷺ « أما أنا فلا آكل متكأً » أي : جالساً جلوس المنكمش المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل ، بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً ، مقعياً غير متربع ولا متمكن ، وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة ، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتعمم البدن ، بخلاف المريض المهوم .

وقوله تعالى (متكئين على فرش ..) الآية الرحمن : ٥٤ منصوب على الحال من فاعل قوله (ولمن خاف مقام ربه) الرحمن : ٤٦ وانما جمع حملاً على معنى من . وقيل : منصوب على المدح . وقيل : عاملها محذوف « والتقدير : يتمتعون متكئين ، أي : مضطجعين أو متربعين

فصل

في حلي اهل الجنة

والحلي أصفى لؤلؤ وزبرجد وكذاك أسورة من العقيان
ماذاك يختص الاناث وانما هو للاناث كذاك للذكرا
التاركين لباسه في هذه الدنيا لأجل لباسه بجنان
أوما سمعت بأن حليتهم الى حيث انتهاء وضوئهم يوزان
وكذا وضوء أبي هريرة كان قد فازت به العضدان والساقان
وسواه أنكر ذا عليه قائلا ما الساق موضع حليه الانسان
ماذاك الاموضع الكعبيين والزندين لا الساقان والعضدان

قال الله تعالى (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضع اجر من
أحسن عملا . اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يطون فيها من
أساور من ذهب . . .) الكهف : ٣٠ ، ٣١ الآية يحتمل ان يكون اساور
من لؤلؤ ، وان تكون مركبة منها معاً . والله اعلم . وروى ابن ابي الدنيا
عن وهب قال : ان لله عز وجل منذ يوم خلق بصوغ علي اهل الجنة . وعن
الحسن : الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء . وروى أحمد ابن
منيع عن سعد ابن ابي وقاص عن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلا من أهل الجنة

أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، وروى ابن موهب عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ حدثهم ، وذكر حلي أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر ، عليهم كاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب جرد مكحلون » وفي « الصحيحين » والسياق لمسلم عن أبي حازم قال : كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة وكان يمد يده حتى يبلغ إبطه . فقلت : يا أبا هريرة هذا الوضوء فقال : يا بني فروخ ، انتم ها هنا ، لو علمت انكم ها هنا ما توضأت بهذا الوضوء : سمعت خليلي ﷺ يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

وكذلك أهل الفقه مختلفون في هذا وفيه عندهم قولان والراجح الأقوى انتهاء وضوئنا للمرفقين كذلك الكعبان هذا الذي قد حدد الرحمن في القرآن لا تعدل عن القرآن واحفظ حدود الرب لا تتعداها وكذلك لا تنجح إلى النقصان وانظر إلى فعل الرسول تجده قد أبدى المراد وجاء بالنيان ومن استطاع يطيل عمره فهو قوف على الراوي هو الفوقاني فأبو هريرة قال ذا من كيسه فغدا يميزه أولو العرفان ونعيم الراوي له قد شك في رفع الحديث كذا روى الشيباني وإطالة الغرات ليس بممكن أبداً وذا في غاية التبيان قال الناظم في « حادي الأرواح » وقد ساق حديث أبي هريرة المتقدم « وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه

لا يستحب وهو قول أهل المدينة . وعن أحمد روايتان ، والحديث لا يدل على الاطالة ، فان الحلية انما تكون زينة في الساعد والمعصم ، لا في العضد والكتف . واما قوله : فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل . فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام ابي هريرة ، لا من كلام النبي ﷺ ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفي « مسند الامام أحمد » في هذا الحديث قال نعيم : فلا ادري قوله : فمن استطاع ان يطيل غرته فليفعل . من تمام كلام النبي ﷺ ، ارشده قاله ابو هريرة من عنده . وكان شيخنا رحمه الله يقول : هذه اللفظة لا يمكن ان تكون من كلام النبي ﷺ ، فان الغرة لا تكون في اليد ، لا تكون الا في الوجه ، وإطالها غير ممكنة ، اذ تدخل في الرأس ، ولا يسمى ذلك غرة .

فصل

في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالحن ومهورهن .

يا من يطوف الكعبة الحصن التي	حفت بذاك الحجر والاركان
ويظل يسعى دائماً حول الصفا	ومحسر مسعاه لا العلمان
ويروم قربان الوصال على منى	والخيف يحجبه عن القربان
فلذ تراه محرماً أبداً ومو	ضع حله منه فليس بدان
يبغي التمتع مفرداً عن حبه	متجرداً يبغي شفيح قران

فيظل بالجمرات يرمي قلبه هذي مناسكه وكل زمان
والناس قد قضوا مناسكهم وقد حثوا ركايبهم الى الأوطان
وخذت بهم همهم لهم وعزائم نحو المنازل اول الازمان
يعني الى الجنة التي أسكنها آدم وحواء عليهما السلام كما اشار الى ذلك
الناظم في الميسية بقوله :

وحي على جنات عدن فانها منازلك الأولى وفيها الخيم
ولكننا سي العدو فهل ترى نعود الى أوطاننا ونسلم
واشار الناظم بهذه الاستعارات

رفعت لهم في السير أعلام الوصا ل فشمروا يا خيبة الكسلان
ورأوا على بعد خياماً مشرفاً ت مشرقا نور والبرهان
فتيمموا تلك الخيام فأنسوا فيهن أقماراً بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغي سوى محبوبها من سائر الشبان
وقصرت عليه طرفها من حسنه والطرف في ذا الوجه للنسوان
أو أنها قصرت عليه طرفه من حسننها فالطرف للذكران
والاول المعهود من وضع الخطا ب فلا تحد عن ظاهر القرآن
ولربما دلت اشارته على الثاني فتلك اشارة للمعاف

قوله : من قاصرات الطرف الخ . . . قال الله تعالى (فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثنّهنّ انس قبلهم ولا جان) الرحمن : ٥٩ (كأنهنّ الياقوت والمرجان)

الرحمن : ٦٠ وصفهن سبعانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع : أحدها هذا ،
والثاني قوله في الصافات : ٤٨ (وعندهم قاصرات الطرف عين) والثالث قوله
في سورة ص : ٥٢ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على
ان المعنى قصر طرفهن على أزواجهن ، فلا يطمحن الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم :
قصر عليه طرفها من حسنه الخ . وقيل : قصر طرف أزواجهن عليهم ، فلا
يدعم حسنهن وجمالهن ان ينظروا الى غيرهن ؟ وهذا صحيح من جهة
المعنى دون اللفظ . قال مجاهد : والله ما هن متبرجات ، ولا متطلعات . وهذا
معنى قول الناظم : أو أنها قصرت عليه طرفه الخ . قوله : والأول المعهود
من وضع الخطاب . أي أن القول الاول وهو ان المعنى قصرت عليه طرفها
من حسنه هو ظاهر القرآن .

هذا وليس القاصرات كمن غدت مقصورة فهما اذا صنفان

قال تعالى (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ أي محبوسات في
الخيام ، قاله مقاتل . وقال ابو عبيدة : خدرن في الخيام . وقال الفراء محبوسات
على أزواجهن لا يطمحن الى من سواهم . قال الناظم : قلت : هذا معنى
قاصرات الطرف ، وهؤلاء مقصورات ، أي هن في الخيام . قال الناظم :

يا مطلق الطرف المعذب في الألى جردن عن حسن وعن احسان

لاتسيبك صورة من تحتها الداء الدوي تبوء بالخسران

قحب خلقتها وقبح فعلها شيطانة في صورة الانسان

تنقاد للأذال والارذال هم اكفأوها من دون ذي الاحسان

ماثم من دين ولا عقل ولا خلق ولا خوف من الرحمن
وجماها زور ومصنوع فإن تركته لم تطمح لها العينان
طبعت على ترك الحفاظ فمالها بوفاء حق البعل قط يدان
ان قصر الساعي عليها ساعة قالت وهل أوليت من احسان
اورام تقويماً لها استعصمت ولم تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكرو والكيد الذي قد حمار فيه فكرة الانسان
فجمالها قشر رقيق تحته ماشئت من عيب ومن نقصان
نقد رديء فوقه من فضة شىء يظن به من الاثمان
فالناس قدون يرون ماذا تحته والناس اكثرهم من العميان

شرح الناظم رحمه الله تعالى في ذكر عيوب نساء الدنيا، فقال: لا تسينيك صورة من تحتها الخ . أي : ان صورتها وان حسنت، فتحتها مالا يحصى من القبايح . قوله : تنقاد للانذال والارذال الخ . قال في «القاموس» : النذل والنذيل : الحسيس من الناس المحتقر في جميع أحواله ، جمع انذال ، ونذول ، ونذلاء ، ونذال . وقد نذل ككرم نذالة ، ونذولة . قال : والردل ، والردال ، والرذيل والارذل : الدون الحسيس ، او الرديء من كل شيء ، جمع أرذال ، ورذول ، ورذلاء ، ورذال ، وأرذلون . وقد رذل ككرم وعلم رذالة ، ورذولة بالضم . انتهى : قوله هم اكفاؤها الخ . أي : انها لنذالتها ورذالتها تنقاد للانذال والأرذال . قوله : طبعت على ترك الحفاظ

الخ . اي : انها طبعت على عدم الوفاء بحق الزوج . قوله : ان قصر الساعي عليها مائة الخ . يدل على ذلك الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ « يامعشر النساء تصدقن . ولو من حليكن ، فاني اطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء » فقامت امرأة جزلة فقالت : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « انكن تكفرن العشير ، وتكثرن الامن » قوله : أورام تقويا لها استعصت الخ . يشير الى ما في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج ما في الضلع اعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » متفق عليه . وفي رواية في « الصحيحين » « المرأة كالضلع لمن اقمته كسرتها ، وان استمعت بها استمعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمه كسرتها ، وكسرها طلاقها » قال الناظم :

أما جميلات الوجوه فخائنات بعولهن وهن للأخدان
الأخدان جمع خدن . قال في « القاموس » الخدن بالكسر وكأثير :
الصاحب ، ومن يخذلك في أمر ظاهر وباطن .

والاخذان : الاحباب يزنون بهن في السر . قال الحسن : المسافحة
هي ان كل من دعاها تبعته ، وذات خدن ، اي تختص بواحد لا تزني الا
معه ، والعرب تحزم الاولى ، وتجاوز الثانية .

والحافظات الغيب منهن التي قد أصبحت فرداً من النسوان
فانظر مصارع من يملك رمة من خلا من قبل من شيب ومن شبان .
وارغب بعقلك ان تبيع العالي الـ باقي هذا الادنى الذي هو فاني

ان كان قد أعياك خود مثما تبغي ولم تظفر الى ذا الآن
فاخطب من الرحمن خوداً ثم قدم مهرها مادمت ذا امكان
ذاك النكاح عليك أيسر اريكن لك نسبة للعلم والايمان
والله لم تخرج الى الدنيا للذة عيشها او للحطام الفاني
لكن خرجت لكي تعد الزادلا أخرى فجئت بأقبح الخسران
أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي أهلك عن ذا الشان
والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت أسفا من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الدنيا وسوف تفيق بعد زمان

قوله : خود . الخود : الحسنة الخلق الشابة الناعمة . قوله : والحافظات
: الغيب . أي : حافظات للفروج في غيبة الأزواج . وقيل : حافظات لسرهم .
وقيل : حافظات للغيب بحفظ الله . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ « خير النساء امرأة ، ان نظرت اليها سرتك ، وان
أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها » ثم تلا (الرجال
قوامون على النساء) النساء : ٣٤ الآية . قوله : فانظر مصارع من يليك ومن
خلا الخ . اي : انظر مصارع العشاق ، واقرأ ما صنفه العلماء في ذلك كـ « مصارع
العشاق » للشيخ ابي محمد جعفر السراج ، ترى ماجرى على عشاق الصور .
قوله : والله لو أن القلوب سليمة الخ . (لو) تدل على امتناع الشيء لا امتناع
غيره ، فاذا كان ما بعدها مثبتاً كان منقياً ، نحو : لوجاءني أكرمه . واذا

كان منفيًا كان مثبتًا، نحو: لو لم يسيء لم أعاقبه . هكذا ذكر النحاة ، فمعنى البيت على هذا : إن القلوب ليست بسليمة لأن ما بعد (لو) مثبت ، والله أعلم .

فصل

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان
حور حسان قد كملن خلائقا ومحاسناً من أجمل النسوان

قال الله تعالى (وزوجناهم بحور عين) الدخان : ٥٤ الحور جمع حوراء . وهي : المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين التي يحار الطرف فيها من رقة الجلد وصفاء اللون ، قاله مجاهد . والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين ، وهوشدة بياضها مع قوة سوادها ، فهو يتضمن الأمرين . وقال تعالى (وحور عين) . كأمثال اللؤلؤ المكنون (الواقعة : ٢٢ ، ٢٣ روى الطبراني عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (وحور عين) قال : « حور ، بيض ، عين ، ضخام العيون » . شقر ، الحوراء بمنزلة جناح النسر . قلت : أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال صفاؤهن صفاء الدر في الاصداف الذي لم تمسه الأيدي . قلت : أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) الرحمن : ٧٠ قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه . قلت : أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال : رقتن كركرة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ... الحديث .

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألست فالطرف كالخيران
ويقول لما أن يشاهد حسنها سبحانه معطي الحسن والاحسان
والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان
كملت خلائقها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان
فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليل وشمس كيف يجتمعان
فيقول سبحانه الذي ذا صنعه سبحانه متقن صنعة الانسان
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عنه حتى الصباح الثاني
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان

روى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « ان
الرجل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب
على منكبه ، فينظر رجهه في خدها أصفى من المرآة . . » الحديث . وروى
أبو يعلى الموصلي عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول
الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه ، فذكر حديث الصور . وفيه « والذي
بعثني بالحق نبياً ، ما أنتم في الدنيا بأزواجكم ومساكنكم من أهل
الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة بما
ينشئ الله ، وثنتين من ولد أم ، هما فضل على من أنشأ الله ، لعبادتها الله عز وجل

في الدنيا ، يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب
مكمل باللؤلؤ ، عليها سبعون حلة من سندس وإستبرق ، وانه ليضع يده
بين كتفها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ،
وإنه لينظر إلى مخ ساقها ، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت ، كبده
لها مرآة . . . إلى آخر الحديث ، هذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد
به اسمعيل بن رافع . وقد روى له الترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي :
ضعفه بعض أهل العلم . وسمعت محمد يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب . . .
الحديث .

قال الناظم : قال شيخنا أبو الحجاج الخافظ : هذا الحديث مجموع من
عدة أحاديث ، ساقه اسماعيل وغيره ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب
مفرد ، وما تضمنه معروف في الأحاديث ، والله أعلم .

حمر الحدود تغورهن لآلاً
سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها
فيضيء سقف القصر بالجدران
ولقد روينا أن برقاً ساطعاً
يبدو فيسأل عنه من يجنان ؟
فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك
في الجنة العليا كما تريات
لله لاثم ذلك الثغر الذي
في لثمه إدراك كل أمان

روى أبو نعيم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «سطة نور
في الجنة فرفعوا رؤوسهم ، فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»
وروى ابن أبي الدنيا عن يزيد الرقاشي قال : بلغني أن نوراً سطع في
الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه . فقيل : ما هذا ؟

قيل : خوراء ضحكت في وجه زوجها . قال صالح : فشبق رجل من ناحية المجلس ، فلم يزل يشبق حتى مات . ورواه الخطيب في « تاريخه » مرفوعاً ، ولم يذكر (الشبق)

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ب فغصنها بالماء ذو جريان
لما جرى ماء النعيم بغصنها حمل الثمار كثيرة الألوان
فالورد والتفاح والرومان في غصن تعالى غارس البستان
والقدر منها كالقضب اللدن في حسن القوام كأوسط الغضبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه عالي النقا أو واحد الكشبان
لا الظهر يلحقها وليس ثديها بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد فثديهن كألف الرمان

القضب : الغصن وهو واحد القضبان . الكشب : التل من الرمل . النقامن الرمل
والنقو والبقا : عظم العضد . وقوله : وليس ثديها هو بضم الثا وكسر الدال جمع ثدي

والجيد ذو طول وحسن في بياض وض واعتدال ليس ذا تكران
يشكو الحلي بعاده فله مدى الـ أيام وسواس من الهجران
والمعصمان فان تشأ شبههما بسبكتين عليهما كفان
كالزبد ليناً في نعومة ملمس أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سرّة هي مجمع الـ خصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله حبات مسك جل ذوالاقتان

وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً ما للصفات عليه من سلطان
ألا الحيض يغشاه ولا بول ولا شيء من الآفات في النسوان
فخذان قد حفا به حرساً له فجنابه في غرة وصيان

قوله : والجيد ذو طول النخ . وصف الجيد وهو الرقبة بأنه ذو طول
وحسن ، وأنه ليس بالطويل ولا بالقصير ، كما قال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي رضته ولا بمعطل
قوله : والمعصان النخ . المعصان تشية معصم ، وهو موضع السوار من
الزند . والزند : طرف الذراع الذي انحسر عنه اللحم .

قوله : ذات ثمان . قال العلامة الميمني : ١١ تكلم على المثل المشهور : أخفت
من هيت ، وذكر قوله لعبد الله بن أبي أمية : إن فتح الله عليكم الطائف ،
فسل ان تنفل بادية بنت غيلان بن سلمة ، فانها متبلة هيفاء شموع نجلاء ،
ثناصف وجهها في القسامة ، وتجزأ معتدلاً في الرسامة ، ان قامت تثنت ،
وان قعدت تبنت ، وان تكلمت تفتت ، أعلاها فضيب ، وأسفلها كتيب ،
إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان النخ ،

قوله : تقبل بأربع ، يعني : بأربع عكن في بطنها .
وقوله : وتذبر بثمان . يعني : أطراف هذه العكن الأربع في جنبها ،
لكل عكنة طرفان ، لأن العكن تحيط بالطرفين والجنبين ، حتى تلحق
بالمبتين من مؤخر المرأة . وقال : بثمان ، وإنما هي عدد الأطراف ، وواحد
طرف ، وهو مذكر ، لأن هذا كقولهم : هذا الثوب سبع في ثمان ، على
نية الأشار . انتهى .

تقاما بخدمته هو السلطان يبينها وحق طاعة السلطان
وهو المطاع أميره لا ينثني عنه ولا هو عنده بحيان
وجماها فهو الشفاء اصيبها فالصب منه ليس بالضجران
وإذا يجامعها تعود كما أتت بكراً بغير دم ولا نقصان
فهو الشهي وعضوه لا ينثني جاء الحديث بذا بلانكران

روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ
« إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم ، عدن أبكاراً » تفرد به يعلى . وروى
أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل : هل يس أهل الجنة أزواجهم ؟
قال : « نعم بذكر لايمل ، وفرج لا يخفى ، وشهوة لا تنقطع » .

ولقد روينا أن شغلهم الذي قد جاء في (يس) دون بيان
شغل العروس بعمره من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان
بالله لا تسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شان

قال عكرمة في قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)
يسن : ٥٥ أي اقتضاض الأبكار . رواه سعيد بن منصور . وروى عبد الله
ابن أحمد ، عن ابن مسعود في الآية المذكورة قال : شغلهم اقتضاض
العذارى . وروى الحاكم عن الأوزاعي في الآية المذكورة قال : شغلهم
اقتضاض الأبكار . ومثله قال ابن عباس فيها . رواه ابن أبي الدنيا .

واضرب لهم مثلاً بصب غاب عن محبوبه في شاسع البلدان

والشوق يزعجه اليه وماله بلقائه سبب من الامكان
وافي اليه بعد طول مغيبه عنه وصار الوصل ذا إمكان
أتلومه أن صار ذا شغل به لا والذي أعطى بلا حسابان
يارب غفراً قد طغت أقلامنا يارب معذرة من الطغيان
قوله : غفراً هو بفتح الغين مصدر منصوب . أي : اغفر غفراً ، والغفر
التغطية . يقال : غفر الله ذنبك ، أي : ستره . ومعنى قول « رب اغفر لي »
استر علي ذنبي في الدنيا وفي عقوبته في الآخرة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتفان
والساق مثل العاج ملموم يرى مخ العظام وراءه بعيان
والريح مسك والجسوم نواعم واللون كالياقوت والمرجان
وكلامها يسي العقول بنعمة زادت على الأوتار والعيدان
وهي العروب بشكلها وبدلها وتحجب للزوج كل أوان
وهي التي عند الجماع تزيد في حركاتها للعين والأذنان

لطفاً وحسن تبعل وتغنج وتحبب تفسير ذي العرفان
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا اطلاق هذا اللفظ وضع لسان
فملاحة التصوير قبل غناجها هي أول وهي المحل الثاني
فإذاهما اجتمعا لصب وامق بلغت به اللذات كل مكان

قوله : وهي العروب الخ. قال الله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن
أبكاراً . عرباً...) الواقعة : ٣٥ - ٥٧ الآية . عرباً جمع عروب ، وهن المتحبيات
إلى أزواجهن ، وزاد ابن الأعرابي : المطيعات لأزواجهن . وقال أبو
عبيد : الحسنة التبعل ، يريد حسن مواقعتها وملاطفتها عند الجماع ، وقال
المبرد : هي العاشقة لزوجها ، وذكر المفسرون في تفسير العرب : أنهن
العواتق ، المتحبيات ، الغنجات ، الشكلات ، الغلمات ، المغنوجات ،
كل ذلك من ألفاظهم . قال البخاري في « صحيحه » عرباً : متصلة ، واحدها
عروب ، تسمي أهل مكة العربية ، وأهل المدينة : الغنجة ، وأهل العراق :
الشكاة ، فجمع سبحانه بين حسن صورتها ، وحسن عشرتها ، وهذا غاية
ما يطلب من النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بهن ، فان لذته بالمرأة التي لم
يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي قوله : تبعل . قال في
« القاموس » تبعلت : أطاعت بعلها أو تزينت له .

قوله : تغنج . قال في « القاموس » ، الغنج بالضم وبضمين وكغراب :
الشكل ، غنجت الجارية كسمع ، وتغنجت ، وهي مغناج ، وغنجة ، وهذا
شرح ما ذكر الناظم في هذه الأبيات ، والله أعلم .

فصل

أتراب سن واحد متماثل سن الشباب لأجل الشبان
بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من انس ولا من جان
حصن عليه حارس من أعظم الحراس بأساً شأنه ذو شان
فإذا أحس بداخل الحصن ولى هارباً فتراه ذا إمعان
ويعود وهناً حين رب الحصن يخرج منه فهو كذا مدى الأزمان
وكذا رواه أبو هريرة إنها تنصاع بكرأ للجاع الثاني
لكن دراجاً أبا السمع الذي فيه يضعفه أولو الاتقان
هذا وبعضهم يصح عنه في التفسير كالمولود من حبان
فحديثه دون الصحيح وإنه فوق الضعيف وليس ذا إتقان
يعطى الجامع قوة المائة التي اجتمعت لأقوى واحد الانسان
لأن قوته تضاعف هكذا إذ قد يكون أضعف الأركان
ويكون أقوى منه ذانقص من الإيمان والأعمال والاحسان

قوله : أتراب . الأتراب جمع ترب ، وهو لدة الانسان .

قوله : سن الشباب . وهو ثلاث وثلاثون سنة ، كما تقدم .

قوله : بكرأ الخ . قال الله تعالى (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان)
الرحمن : ٥٦ أي لم يطمئن . قاله أبو عبيدة . وقال الفراء الطمئ : الافتضاض ،
وهو النكاح بالتدمية ، والطمئ هو الدم ، والطامئ هي الحائض . قال
المفسرون : لم يطمئن ، ولم يغشهن ، ولم يجامعن . هذه ألفاظهم . وقال
بعضهم : هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها ، قاله مقاتل . وبعضهم
يقول : يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً ، قاله الشعبي . وزاد : لم
يخس من أنشئن خلقاً . قال ابن عباس : هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً .
قال الناظم : قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة ليس من نساء
الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، وأما نساء الدنيا ، فقد طمئن الانس ،
ونساء الجن قد طمئن الجن ، والآية تدل على ذلك كما قال أبو اسحاق ،
ويبدل عليه التي بعدها (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال
الامام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور ، لأنهن خلقن للبقاء .
وفي الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ، أن مؤمني الجن في الجنة ، كما أن كافرهم
في النار ، وبوب عليه البخاري في « صحيحه » فقال : باب ثواب الجن وعقابهم
ونص عليه غير واحد من السلف .

قوله : وكذا رواه أبو هريرة الخ . هو ما روى ابن وهب عن أبي
هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أنطأ في الجنة ؟ قال :
« نعم والذي نفسي بيده ، دحماً ، دحماً ، فاذا قام رجعت مطهرة بكرأ »
بوذكر الناظم أن في اسناده دراجاً أبا السمع ، وهو ضعيف . قال أحمد :
عامه أحاديثه مناكير . وقال النسائي منكر الحديث . وقال أبو حاتم ،
والدارقطني . ضعيف ومتروك . وقال النسائي أيضاً : ليس بالقوي ، وساق

له ابن عدي أحاديث وقال : عامتها لا يتابع عليها ، وثقة يحيى . وأخرج عنه ابن حبان في « صحيحه » . وقال ابن المديني : ثقة .

قوله : وبعضهم يصح عنه في التفسير النخ . المراد أبو حاتم : ابن حبان وذكر الناظم في النظم أن حديثه دون الصحيح ، وفوق الضعيف ، والله أعلم .

قوله : يعطى المجامع النخ . روى أبو نعيم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة » فقلنا : يا رسول الله ، أوله قوة على ذلك ؟ قال : « انه ليعطى قوة مائة رجل » في اسناده أحمد بن حفص السعدي ، له مناكير .

ولقد رويناه أنه يغشى بيوم واحد مائة من النسوان
ورجاله شرط الصحيح ورواهم فيه وذا في معجم الطبراني
هذا دليل أن قدر نسائهم متفاوتت بتفاوت الايمان
وبه يزول توهم الاشكال عن تلك النصوص بمئة الرحمن
وبقوة المائة التي حصلت له أفضى إلى مائة بلا خوران
وأعفهم في هذه الدنيا هو الـ أقوى هناك ازدهه في الفاني
فاجمع قواك لما عندك وغمض العينين واصبر ساعة الزمان
ماها هنا والله مايسوى قلام ظفر واحدة ترى بجنان
ماها هنا الا النقار وسيء الـ أخلاق مع عيب ومع نقصان
همّ وغم دائم لا ينتهي حتى الطلاق وبالفراق الثاني

والله قد جعل النساء عوانياً شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فان تفعل رجعت بذلة وهوان

روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل الى
نساءنا في الجنة . فقال : « ان الرجل ليصل في اليوم الواحد الى مائة عذراء »
تفرد به الجعفي . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : رجاله عندي على شرط
الصحيح . وروى ابو الشيخ عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول الله ،
أنفسي الى نساءنا في الجنة كما تنفسي اليهن في الدنيا ؟ قال : « والذي نفس
محمد بيده ، ان الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء » فيه زيد
ابن أبي الخوارى ، وهو العمي . قال فيه ابن معين : صالح . وقال مرة :
لا شيء ، وقال مرة : ضعيف يكتب حديثه ، وكذلك قال ابو حاتم .
وقال الدارقطني : صالح ، وضعفه النسائي . وقال السعدي : متأسك .

قال الناظم : قلت : وحسبه رواية شعبة عنه ، والاحاديث الصحيحة
لأنما فيها « لكن منهم زوجتان » وليس في الصحيح زيادة على ذلك . فان كانت
هذه الاحاديث محفوظة ، فاما أن يراد بها لكل واحد من السراري زيادة
على الزوجين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة ،
كالخدم ، والولدان . واما أن يراد به أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد ،
ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال : له كذا وكذا
زوجة . قال : وقد روى الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يعطى
المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » قيل : يا رسول الله ، أويطيق
ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه

« يفضي الى مائة عذراء » بالمعنى ، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات ، والله اعلم .

قال : ولا ريب أن المؤمن في الجنة أكثر من اثنتين ، لما في « الصحيحين » من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ان للعبد المؤمن في الجنة حبة من لؤلؤة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للعبد المؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم ، لا يرى بعضهم بعضاً » . انتهى كلامه .

قوله : والله قد جعل النساء عوانياً الخ . قال في « القاموس » : العواني : النساء ، لأنهم يظمن ، فلا ينتصرن .

فصل

وإذا بدت في حلة من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحمله ورد وتفاح على رمان
وتبخترت في مشيها ويحق ذا كمثلها في جنة الحيوان
قوله : ورد الخ . الورد في الحدود ، والتفاح في الوجنات ، والرمان في الصدر ، وهما النهدان .

قوله : وتبخترت : البخترة والتبخترة : مشية حسنة ، والبختري : الحسني المشي والجسم ، والمحتال كالبختير ، قاله في القاموس .

ووصائف من خلفها وأمامها وعلى شمائلها وعن أيمن

كالبدر ليلة تمه قد حف في غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في دهش وإعجاب وفي سبحان
فالقلب قبل زفافها في عرسه والعرس إثر العرس متصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلاً أرايت إذ يتقابل القمران
فسل المتيم هل يحل الصبر عن ضم وتقييل وعن فلتان
وسل المتيم أين خلف صبره في أي وادأم بأي مكان؟
وسل المتيم كيف حالته وقد ملئت له الأذنان والعينان
من منطق رقت حواشيه ووجهه كم به للشمس من جريان
وسل المتيم كيف عيشته إذا وهما على فرشيهما خلوان
يتساقطان لآئماً منشورة من بين منظوم كنظم جمان
جمان كغراب: اللزوء وهنوات اشكال الازواء من فضة، الواحدة جمانة
قاله في « القاموس » .

قوله : بكواكب الميزان ؛ اي : كوكب الجوزاء .

وسل المتيم كيف مجلسه مع الـمـحـبـوب في روح وفي ربحان
وتدور كاسات الرحيق عليهما بأ كف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة والحدود أخرى ثم يتكئان
فيضمهما وتضمه أرايت معشـوـقـين بعد البعد يلتقيان

غاب الرقيب وغاب كل منكدر	وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضجرين من ذا العيش لا	وحياة ربك ما هما ضجران
ويزيد كل منهما حباً لصا	حبه جديداً سائر الأزمان
ووصاله يكسوه حباً بعده	متسلسلاً لا ينتهي بزمان
فالوصل محفوف بحب سابق	وبلاحق وكلاهما عنوان
فرق لطيف بين ذاك وبين ذا	يدريه ذو شغل بهذا الشأن
ومزبدهم في كل وقت حاصل	سبحان ذي الملكوت والسلطان
يا غافلاً عما خلقت له انتبه	جد الرحيل فلست باليقظان
سار الرفاق وخلفوك مع الألى	قنعوا بهذا الحظ الخسيس الفاني
ورأيت أكثر من ترى متخلفاً	فتبعتهم ورضيت بالحرمان
لكن أتيت بخطي عجز وجه	ل بعد ذا وصحت كل أمان
ممنك نفسك باللاحق مع القعو	د عن المسير وراحة الأبدان
ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا	ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟

والناس بينهم خلاف هل بها حبل وفي هذا لهم قولان
فتفاه طاووس وابراهيم ثم مجاهد وهم أولو العرفان
وروى العقيلي الصدوق ابورزيـن صاحب المبعوث بالقرآن
أن لا توالد في الجنان رواه تعلقيقا محمد العظيم الشاف
وحكاة عنه الترمذي وقال اسحاق بن ابراهيم ذو الاتقان
لا يشتهي ولدأ بها ولو اشتها هـ لكان ذاك محقق الامكان
وروى هشام لابنه عن عامر عن ناجي عن سعد بن سنان
ان المنعم بالجنان إذا اشتهى الولد الذي هو نسخة الانسان
فالحمل ثم الوضع ثم السن في فرد من الساعات في الأزمان
اسناده عندي صحيح قد رواه هـ الترمذي واحمد الشيباني
بورجال ذا الاسناد محتج بهم في مسلم وهم أولو إتقان
لكن غريب ماله من شاهد فرد بهذا الاسناد ليس بثان

لولا حديث أبي رزين كان ذا كالنص يقرب منه في التبيان
ولذلك أوله ابن ابراهيم بالشرط الذي هو متنفى الوجدان
وبذلك رام الجمع بين حديثه وأبي رزين وهو ذو إمكان
هذا وفي تأويله نظر فان اذا لتحقيق وذي إتقان
ولربما جاءت لغير تحقق والعكس في اذالك وضع لسان
حاصل هذا الفصل قد ذكره الناظم في « حادي الأرواح » ولنذكر
كلامه ملخصاً . قال : فصل في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة ؟
روى الترمذي واستقر به ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « إذا انتهى الولد في الجنة ، كان حملاً ووضع وسنه في
ساعة كما يشتهي » قال اسحق بن ابراهيم : ولكن لا يشتهي . قال بعضهم : في
الجنة جماع ، ولا يكون ولد . وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي
ﷺ قال « ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد » .

قال الناظم : قلت : حديث أبي سعيد على شرط الصحيح ، ورجاله محتج
بهم فيه ، ولكنه غريب جداً ، وتأويل اسحاق فيه فظ . وروى أبو نعيم
عن أبي سعيد المذكور قل : قيل : يا رسول الله ، أيولد لأهل الجنة ، فان
الولد من تمام السرور ؟ فقال : « نعم والذي نفسي بيده ما هو كقدر
ما يمتنى أحدكم فيكون حملاً ورضاعه وشبابه في ساعة واحدة » وروى الحاكم
مثله أيضاً عنه . قال البيهقي : وهذا إسناد ضعيف بكرة ، وفي حديث أبي
رزين الطويل الذي أشار اليه البخاري « غير أن لاتوالد » رواه احمد
والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن منده ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، وغيرهم .

على سبيل القبول والتسليم ، فهذا حديث صريح في انتفاء الولد .
وقوله : إذا اشتهى . معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ،
ولا المعلق به ، و (إذا) وان كانت ظاهرة في المحقق ، فقد تستعمل لمجرد التعليق
الأعم من المحقق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتبين ذلك بوجوه عشرة .
ثم ذكرها الناظم ، ثم قل : النافون للولادة في الجنة ، لم ينقوها لزيع
في قلوبهم ، ولكن لحديث أبي رزين « غير أن لا توالد » وقد حكى الترمذي
في ذلك قولين للساف والخنف ، وحديث الترمذي غريب ، فان كان رسول
الله ﷺ قد قاله ، فهو الحق الذي لا شك فيه ، ولا تناقض بينه وبين
حديث أبي رزين « غير أن لا توالد » إذ ذلك نفى للتوالد المعهود في الدنيا
لا ينفي ولادة حمل الولد ووضعه ، وسنه ، وشبابه في ساعة واحدة .
انتهى كلامه .

قوله : وروى هشام لابنه الخ . هذا هو حديث أبي سعيد الذي تقدم
أول الفصل .

قوله : عن سعد بن سنان . هو أبو سعيد ، سعد بن مالك بن سنان الحذري
رضي الله عنه .

قال الناظم :

واحتج من نصر الولادة أن في الجـنات سائر شهوة الانسان
والله قد جعل البنين مع النساء من أعظم الشهوات في القرآن
فأجيب عنه بأنه لا يشتهي ولدًا ولا جنًا من النسوان

واحتج من منع الولادة أنها ملزومة أمرين ممتنعان
حيض وإنزال المني وذانك الـ أمران في الجنات مفقودان
وروي صدي عن رسول الله أن منهم إذ ذاك ذو فقدان

بل لأمني ولا أمني هكذا يروي سليمان هو الطبراني
وأجيب عنه بأنه نوع سوى الممعهود في الدنيا من النسوان
فالنفي للمعهود في الدنيا من الـ ايلاذ والاثبات نوع ثاني
والله خالق نوعنا من أربع متقابلات كلها بوزان
ذكر وأنثى والذي هو ضده وكذاك من انثى بلا ذكران
والعكس أيضاً مثل حوا أمتا هي أربع معلومة التبيان
وكذاك مولود الجنان يجوز أن يأتي بلا حيض ولا فيضان
والأمر في ذا ممكن في نفسه والقطع ممتنع بلا برهان

قوله : واحتج من نصر الولادة الخ . أي : احتج من نصر القول بالولادة
في الجنة ، بأن في الجنة جميع الشهوات ، والنساء والبنين من أعظم الشهوات
كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين . .)
آل عمران : ١٤ الآية .

قوله : وأجيب عنه الخ . أي : أجاب من منع الولادة بأنه لا يشتهي
ولداً وحيداً .

قوله : واحتج من منع الولادة . أي : احتج مانعو الولادة بأنه يلزمها

أمران بمتنعان في الجنة ، وهما الحيض ، وانزال المني .

قوله : وروى حدي ، أي : روى أبو أمامة حدي بن عجلان ، عن رسول الله ﷺ أنه سئل : هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال « بذكر لائيل » وشهوة لاتنقطع ، دحماً دحماً » وفي لفظ عنه « دحماً دحماً ، ولكن لأمني ولا منية » أي : لا انزال ولا موت ، فهو صريح في انتفاء المني في الجنة . فاحتج من أنكر الولادة بأنه نوع سوى المعهود في الدنيا من النسوان ، فالنفي للمعهود في الدنيا من الايلاد ، والاثبات نوع آخر .

قوله : والله خالق نوعنا من أربع الخ . أي : إن الله خلق نوع الانسان من أربعة أشياء متقابلة ، من ذكر وأنثى ، كبنى آدم ، ولا من ذكر ولا أنثى ، كما دم عليه السلام ، وذكر بلا أنثى كحواء أمنا ، ومن أنثى بلا ذكر ، كعيسى عليه السلام ، فهذه أربع كما ذكره الناظم .

قوله : وكذلك مولود الجنان الخ . أي : ان مولود الجنان يجوز أن يوجد بلا حيض ولا فيضان ، أي مني ، وقدرة الله صالحة . والله أعلم .

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويروونه سبحانه من فوقهم رؤيا العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الايمان

وأتى به القرآن تصريحاً وتعريضاً هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسيره قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلم بصحيحه يروي صهيب ذا بلا لثمان
وهو المزيّد كذاك فسرّه أبو بكر هو الصديق ذو الايقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعوهم بعدهم تبعية الاحسان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل رؤية أهل الجنة ربهم تبارك
وتعالى بأبصارهم جبهة ، كما يرى القمر . وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ،
وجميع الصحابة والتابعين ، وأئمة الاسلام ، وإنكرها أهل البدع ، كالجمية ،
والمعتزلة ، والباطنية ، والرافضة .

قوله : وأتى به القرآن تصريحاً وتعريضاً الخ . التصريح كما في قوله تعالى (وجوه
يومئذ فاضرة . إلي ربها ناظرة) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ وقوله تعالى (اتقوا الله
واعلموا أنكم ملائكة) البقرة ٢٢٣ وقوله (تحيتهم يوم يلقونه سلام)
الاحزاب : ٤٤ وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف : ١١٠
وقوله (الذين يظنون أنهم ملائكة الله) البقرة : ٢٤٩ وأجمع أهل اللسان
على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة
والتعريض ، كقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين :
١٥ وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ .

قوله : وهي الزيادة قد أتت في يونس الخ . في « صحيح مسلم » عن
صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦
قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل

للجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم
يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويمجرتنا من النار ؟
فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر
إليه ، وهي الزيادة . وروى الحسن بن عرفة عن أنس عنه عليه السلام قال : « للذين
أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى ، وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى »

قوله : وهو المزيد . كذا فسرهُ أبو بكر النخ . يعني قوله تعالى (لهم
ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) ق : ٣٥ قال علي وأنس : هو النظر إلى
وجه الله تعالى ، وقاله من التابعين زيد بن وهب ، وغيره .

قوله : وعليه أصحاب الرسول وتابعوهم النخ . أي إن إثبات رؤيته سبحانه
هو قول أصحاب رسول الله عليه السلام ، وتابعيهم باحسان .

ولقد أتى ذكر اللقاء لرَبِّنا الـرحمن في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الـاجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم لغة وعرفاً ليس يختلفان

يعني قوله تعالى (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) البقرة : ٢٢٣ وقوله
تعالى (تحييتهم يوم يلقونه سلام) الأحزاب : ٤٤ وقد أجمع أهل اللسان على
أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى الرؤية والمعابنة ،
ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه) التوبة :
٧٧ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة ، على أن المنافقين يرونه في عرصات
القيامة والكفار أيضاً . كما في « الصحيحين » في حديث التجلي يوم القيامة .

وفي هذه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون . والثاني : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يروه بعد ذلك .
والثالث : يراه المنافقون دون الكفار ، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها في تكليفهم . ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد .

هذا ويكفي أنه سبحانه وصف الوجوه بنظرة بجنان
وأعاد أيضاً وصفها نظراً وذا لاشك يفهم رؤية بعيان
وأنت أداة (إلى) لرفع الوهم من فكر كذاك ترقب الانسان
وأضافه محل رؤيتهم بذلك الوجه إذ قامت به العيان
تا لله ما هذا بفكر وانتظار . ر مغيب أو رؤية لجنان
ما في الجنان من انتظار مؤلم واللفظ يأباه لذي العرفان
لا تفسدوا لفظ الكتاب فليس فيه حيلة يافرة الروغان
ما فوق ذا التصريح شي ، ما الذي يأتي به من بعد ذا التبيان ؟
لو قال أبين ما يقال لقلتم هو مجمل ما فيه من تبيان
قال الناظم في « حادي الأرواح » في الكلام على قوله تعالى (وجوه يومئذ
ناظرة ، الى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ وأنت إذا أجرت هذه الآية من
تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها فيما أراد منها ، وجدتها
منادية نداء صريحا : إن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن
أبيت التحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً ، فتأويل نصوص المع

والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا . واسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الاسلام لهذه الآية . روى ابن مردويه عن ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ قال : من البهاء والحسن (إلى ربها ناظرة) القيامة : ٣٣ وقال ابن عباس : تنظر إلى وجه ربها عز وجل . وقال عكرمة : (ناضرة) من النعيم إلى ربها (ناظرة) تنظر نظرا . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث . وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية ، فتواترة ، منها حديث أبي بكر الصديق عند أحمد في ذكر استشفاع الناس من نبي إلى نبي ، وهو طويل جداً ، فيه : « فاذا نظر إلى ربه عز وجل ، خر ساجداً » ومنها حديث أبي هريرة وأبي سعيد في « الصحيحين » أن أناساً قالوا : يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا . قال « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا . قال « فانكم ترونه كذلك . . . » الحديث . وفي « الصحيحين » عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال « انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا » لاتضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا . . . » الحديث . والأحاديث بذلك كثيرة ، وهي متواترة ، كما تقدم قوله : وصف الوجوه بنظرة يجنان ، والمراد الحسن والجمال . ثم قال (إلى ربها ناظرة) وهي الرؤية بالعيان . قوله : وأنت أداة (إلى) لرفع

الوهم من فكر الخ . أي : أن المعنى النظر الى الرب تعالى وأنت أداة (الى) الدفع توهم الانتظار ، وذلك كما يقول المؤرلة : إن معنى ناظرة : تنتظر الشواب ، قوله : وإضافة لحل رؤيتهم بذكر الوجه أي : إنه تعالى قال : (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ فاضاف النظر الى الوجوه لأن العينان فيه .

ولقد أتى في سورة التطهيف أن القوم قد حجبوا عن الرحمن فيدل بالمفهوم ان المؤمنين يرونه في جنة الحيوان وبذا استدل الشافعي واحد وسواهما من عالمي الازمان ، واتى بهذا المفهوم تصريحاً بآ خرها فلا تخدع عن القرآن ، واتى بذلك مكذبا للكافرين الساخرين بشيعة الرحمن ضحكوا من الكفار يومئذ كما ضحكوا هم منهم على الايمان وأثابهم نظرا اليه ضد ما قد قاله فيهم اولو الكفران فلذلك فسرهُ الأئمة انه نظر الى الرب العظيم الشأن لله ذاك الفهم يؤتيه الذي هو اهله من جاد بالاحسان يشير الى قوله تعالى في سورة المطففين عن الكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥ فمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه . قال الناظم في « حادي الأرواح » (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) . أي : عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ويسمعوا

كلامه ، كانوا أيضاً مجبورين عنه . وقد احتج بهذا الشافعي وغيره من الأئمة . انتهى كلامه .

قوله : واتي بذا المفهوم تصريحاً بآخرها الخ . يعني قوله تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون) المطففين : ٣٥ ، ٣٤ أي : ينظرون الى الرب سبحانه كما فسرهما الأئمة بذلك ، وذلك أن الكفار في الدنيا كانوا من المؤمنين يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، فجزاهم الله تعالى بأن جعلهم يضحكون على الكفار وهم على الأرائك ، كما كانوا يضحكون عليهم في الدنيا ، والله أعلم

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وروى ابن ماجه مسنداً عن جابر خبراً وشاهده ففي القرآن

بيناهم في عيشهم وسرورهم ونعيمهم في لذة وتهان

وإذا بنور ساطع قد أشرقت منه الجنان قصيها والداني

رفعوا اليه رؤوسهم فأروه نو ر الرب لا يخفى على انسان

وإذا برهم تعالى فوقهم قد جاء للتسليم بالاحسان

قال : السلام عليكم فيرونه جهرأ تعالى الرب ذو السلطان

مصدق ذا (يس) قد ضمنته عند القول من رب بهم رحمان

من رد ذا فعلى رسول الله رد وسوف عند الله يلتقيان

ففي ذا الحديث علوه ومجيئه وكلامه حتى يرى بهيان

هذي أصول الدين في مضمونه لا قول جهنم صاحب البهتان

يعني قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ روى ابن ماجه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ، ماداموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى فيهم بركته ونوره »

وكذا حديث أبي هريرة ذلك الـ... خبر الطويل أتى به الشيخان

فيه تجلى الرب جل جلاله ومحبيته وكلامه ببيان

وكذلك رؤيته وتكليم لمن يختاره من أمة الانسان

فيه أصول الدين أجمعها فلا تخدعك عنه شيعة الشيطان

وحكى رسول الله فيه تجد الدالـ... غضب الذي للرب ذي السلطان

إجماع أهل العزم من رسل الاله وذاك اجماع على البرهان

لا تخدعن عن الحديث بهذه الـ آراء فهي كثيرة الهذيان

أصحابها أهل التخرص والتناقض والتهاثر قائلو البهتان

حديث أبي هريرة الذي أشار اليه ، هو ما في « الصحيحين » واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها خسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ،

«يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ، إيتوا آدم ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اسفّع لنا الى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا ، فيقول آدم : ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الأرض ، وسمّاك الله عبداً شكوراً ، اسفّع لنا الى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى ابراهيم ، فيأتون الى ابراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اسفّع لنا الى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالاته ، وبكليمه على الناس ، اسفّع لنا الى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى عيسى ، فيأتون

عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد «
وكلمة منه ألقاها الى مريم وروح منه ، فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى
مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب
اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ،
نفسي ، نفسي ، اذهبوا الى محمد ، فيأتونني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله
وخاتم النبيين ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا الى
ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي
تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلمحني من محامده
وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك
سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب ، أمني أمتي ، فيقال :
يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب
الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفسي بيده
إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر « أو « كما بين
مكة وبصرى » .

يكفيك أنك لو حرصت فلن ترى فتمتين منهم قط يتفقان
الا اذا ما قلدا لسواهما فتراهما جيلا من العميان
ويقودهم أعمى يظن كبصر يا حنة العميان خلف فلان
هل يستوي هذا ومبصر رشده الله أكبر كيف يستويان
أو ما سمعت منادي الايمان يخبر عن منادي جنة الحيوان ؟
يا أهلها لكم لدى الرحمن وعد وهو منجزه لكم بضمان

قالوا أما يبيضت أوجهن كذا أعمالنا ثقلت في الميزان
وكذاك قد أدخلتنا الجنات حين أجرتنا من مدخل النيران
فيقول عندي موعد قد آران أعطيكموه برحمتي وحناني
فيرويه من بعد كشف حجاب جبراً روى ذا مسلم ببيان

روى مسلم في « صحيحه » عن صهيب أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل
أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم
عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ألم
يبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويتنجينا من النار ؟ فيكشف الحجاب ،
فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه .

ولقد أتانا في الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد قرآن
برواية الثقة الصدوق جرير البجلي عن جاء بالقرآن
أن العباد يرويه سبحانه رؤيا العيان كما يرى القمران
قد تقدم حديث جرير في الرؤية .

قوله : البردين . قال في « القاموس » البردان : الغداة
والعشي ، كالبردين .

فان استطعتم كل وقت فاحفظوا البردين ما عشتم مدى الأزمان
ولقد روى بضع وعشرون امرأة من صحب احمد خيرة الرحمن
أخبار هذا الباب عن قد أتى بالوحي تفصيلاً بلا كتمان
والذ شيء للقلوب فهذه الأخبار مع أمثالها هي بهجة الايمان

تقل الناظم في « حادي الارواح » قال الطبراني : فتحصل في الباب من
رى عن رسول الله ﷺ حديث الرؤية ثلاثة وعشرون نفساً ، ثم سرد
بما هم . قال : وروى الدارقطني عن يحيى بن معين قال : عندي سبعة
سر حديثاً في الرؤية كلها صحاح . وقال البيهقي : روينا في اثبات الرؤية
ن أبي بكر ومن تقدم غيرهم ، ولم يرد عن أحد نفيها ، ولو كانوا فيها
متلفين لنقل اختلافهم إلينا ، فعلمنا أنهم كانوا على القول برويته بالأبصار
الآخرة متفقين ، وقد دل القرآن والسنة المتوازنة واجماع الصحابة وإئمة
السلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ، ويزك الايمان ، وخاصة رسول
الله ﷺ ، على أن الله سبحانه يرى يوم القيامة بالابصار ، كما يرى القمر ليلة البدر
حرراً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ، فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه
ن ذلك حقيقة ، فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم ، لاستحالة أن يروه
يقف منهم ، أو خلفهم ، أو امامهم ، أو عن شمائلهم ، وان لم يكن لما أخبر
حقيقة كما نقوله فروخ الصابئة ، والفلاسفة ، والمجوس ، والفرعونية ،
المعتزلة ، والرافضة ، وغيرهم من أهل البدع ؛ بطل الشرع والقرآن ، فان
لي جاء بهذه الاحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشرعة ، والذي بلغها
والذي بلغ الدين ، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عظيم ، حيث يؤمن ببعض
يكفر ببعض ، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على
نه الاحاديث وفهم معناها انكارها ، والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت
سل ربنا بالحق . والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان :
عدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر . والثاني : من يزعم

أنه لا يرى في الآخرة البتة ، ولا يكلم عباده ، وما أخبر به الله ورسوله .
وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين ، وبالله التوفيق .

والله لولا رؤية الرحمن في البجنات ما طابت لذي العرفان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنة الحيوان
وأشد شيء في العذاب حجاب به سبحانه عن ساكني النيران
وإذ آراه المؤمنون نسوا الذي هم فيه مما نالت الينان

قوله : أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه الخ ؟ اي : أن أعلى نعيم أهل الجنة
هو نعيم رؤية وجه ربهم تعالى كما في حديث صهيب الذي رواه مسلم قال :
قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وقال : يكشف الحجاب ، فينظرون إليه ،
فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة . وفي الحديث الذي
رواه ابن ماجه مرفوعاً « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ،
فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال :
السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب
رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون
إليه ، حتى يحبب عنهم . . . » الحديث .

قوله : وأشد شيء في العذاب حجاب به الخ . دليله قوله تعالى (كلا أنهم
غن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥

فاذا توارى عنهم عادوا الى لذاتهم من سائر الألوان

فلهم نعيم عند رؤيته سوى هذا النعيم فحبذا الأمران
أو ما سمعت سؤال أعرف خلقه بجلاله المبعوث بالقرآن؟!
شوقاً إليه ولذة النظر الذي بجلال وجه الرب ذي السلطان
فالشوق لذة روحه في هذه الدنيا ويوم قيامة الأبدان
تلتذ بالنظر الذي فازت به دون الجوارح هذه العينان
يعني الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، والحاكم في « صحيحه » من
حديث زيد بن ثابت . وفيه « وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك ».

والله ما في هذه الدنيا ألد من اشتياق العبد للرحمن
وكذاك رؤية وجهه سبحانه هي أكمل اللذات للإنسان
لكنها الجهمي ينكر ذا وذا والوجه أيضاً خشية الحدثان
تباً له المخدوع أنكر وجهه ولقاءه ومحبة الديان
وكلامه وصفاته وعلوه والعرش عطله من الرحمن
فتراه في وادورسل الله في واد وذا من أعظم الكفران

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ حَقًّا يَكُ حَزْبُهُ بِجَنَانٍ؟
فَيَقُولُ جَل جَلَالَهُ هَلْ أَنْتُمْ رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذَوُ رِضْوَانٍ
أَمْ كَيْفَ لَانْرِضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ يَنْلَهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ
هَلْ تَمَّ شَيْءٌ غَيْرَ ذَا فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ الْمَنَانِ
فَيَقُولُ أَفْضَلَ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا يَغْشَاكُمْ سَخَطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَيَذْكُرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفُ الْأَزْمَانِ
مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ شَيْءٌ وَسَاطَةٌ مَا ذَاكَ تَوْبِيخًا مِنَ الرَّحْمَنِ
لَكِنَّ يَعْرِفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
وَيَسْلِمُ الرَّحْمَنُ جَل جَلَالَهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ

في « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لِيَبْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَانْرِضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . قَالُوا : رَبَّنَا

« وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط أبداً »
ومن تراجم البخاري عليه : باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة ،
وساق فيه عدة أحاديث ، وقد أخبر سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة ، وأن
ذلك السلام حقيقة ، وهو قوله (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ وقد فسر النبي ﷺ
الآية في حديث جابر في الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ، ويقول :
سلام عليكم يا أهل الجنة ، فيرونه عياناً . وفي هذا اثبات الرؤية والتكليم ،
والعلو . والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة ، وتكفر القائل بها ، وفي حديث
أبي هريرة في سوق الجنة قال النبي ﷺ « ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا
حاضره الله محاضرة ، فيقول : يا فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ »
الحديث . وفي حديث عدي بن حاتم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم
القيامة » وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « فيقول تبارك وتعالى للعبد :
ألم أكرمك وأسودك ؟ ... » الحديث . وحديث أنس في يوم المزيّد ومخاطبته
فيه لأهل الجنة مراراً . وبالجملّة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها التكليم .

وكذلك يسمعهم لذيذ خطابه سبحانه بتلاوة الفرقان
فكأنهم لم يسمعه قبل ذا هذا رواه الحافظ الطبراني
هذا سماع مطلق وسماعنا القرآن في الدنيا فنوع ثاني
والله يسمع قوله بوساطة وبدونها نوعان معروفان
فسماع موسى لم يكن بوساطة وسماعنا بتوسط الانسان
من صير النوعين نوعاً واحداً فمخالف للعقل والقرآن

روى أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريده قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والزمرد ، فلم تقرأ أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد .
قوله : فسمع موسى لم يكن بوساطة . أي : أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير وساطة ، وأما سماعنا كلام الله فهو بوساطة .
قوله : من صير النوعين نوعاً واحداً . أي : كالجهمية وأتباعهم ، ومخالفتهم للعقل والقرآن ظاهرة .

فصل

في يوم المزيد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة

أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيد وأنه شأن عظيم الشأن ؟! هو يوم جمعتنا ويوم زيارة الرحمن وقت صلاتنا وأذاننا والسابقون إلى الصلاة هم الأولى فازوا بذلك السابق بالاحسان سبق بسبق والمؤخر هاهنا متأخر في ذلك الميدان والأقربون إلى الامام فهم أولوا الزلفى هناك فها هنا قربان قرب بقرب والمباعد مثله بعد يبعد حكمة الديان .

ولهم منابر لؤلؤ وزبرجد ومنابر الياقوت والعقيان
هذا وأدناهم وما فيهم دنا من فوق ذاك المسك كالكشبان
ما عندهم أهل المنابر فوقهم بما يرون بهم من الاحسان
فيرون ربهم تعالى جهرة نظر العيان كما يرى القمران
ويحاضر الرحمن واحدكم محاً ضرة الحبيب يقول يابن فلان
هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيه مبارزاً بالذنب والعصيان
فيقول رب أماننت بغفرة قدماً فانك واسع الغفران
فيجيبه الرحمن مغفرتي التي قد أوصلتك إلى المحل الداني

يشير إلى حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عز وجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . قلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير قسم له ، أعطاه إياه ، وأليس له قسم ، إلا ذخره له ما هو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : وما تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفصح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم

حف الكرسي بتابو من نور ، ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكتب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتكم وغدي ، وأتمت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ، فيسألونه ، ويسألونه ، حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إلى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسيه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، درة بيضاء ، لافصم فيها ، ولا نظم ، أو ياقوتة حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، فيها غرفها وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا من كرامته عز وجل ، ويزدادوا نظراً إلى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيد . أخرجه عبد الله ابن أحمد في كتاب السنة .

قوله : والسابقون إلى الصلاة النخ . روى أبو نعيم وأبو النضر وجماعة قالوا : حدثنا المسعودي عن المنهال بن عمرو ، وعن أبي عبيدة عن عبد الله قال : سارعوا إلى الجمعة ، فإن الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كتب من كافور أبيض ، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة .

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

ويظلمهم إذ ذاك منه سحابة تأتي بمثل الواابل الهتان
بيناهم في النور إذ غشيتهم سيجان منشيها من الرضوان
فتظل تطهرهم بطيب مارأوا شهباً له في سالف الأزمان
فيزيدهم هذا جمالاً فوق ما بهم وتلك مواهب المنان

روى ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » عن سعيد بن المسيب أنه لقي
أهريرة ، فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة .
ل سعيد : أوفيهما سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله ﷺ ، أن أهل الجنة إذا
خلوها نزلوها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ،
يزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من
ياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من
برجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس
ناعم وما فيهم دني على كئبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب
كراسي بأفضل منهم مجلساً . قال : يا أبا هريرة : وهل ترى ربنا عز وجل ؟
ل : نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليله البدر ؟ قلنا : لا . قال :
كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره .

الله محاضرة ، حتى يقول : يا فلان بن فلان ، أأنذرك يوم فعلت كذا وكذا ؟
فيذكره ببعض عذراته في الدنيا ، فيقول : بلى ، أفلم تغفر لي ؟
فيقول : بلى ، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ، فينأهم على ذلك
غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل
ويحه شيئاً قط ، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا الى ما أعددت
لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتيتكم . قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها
الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون الى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر
على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتيناه ، ليس يباع ولا يشترى . وفي ذلك
السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة ، فيلقى
من هو دونه وما فيهم ديني ، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة ، فما
ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل له أحسن من ذلك ، وذلك أنه لا ينبغي
لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف الى منازلنا ، فيلقانا أزواجنا ،
فيقلن : مرحباً وأهلاً ، لقد جئتنا ، وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما
فارقتنا عليه ، فيقول : أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، ويحقر لنا أنه
ننقلب بمثل ما انقلبنا . ورواه الترمذي وابن ماجه .

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا الى ما قد ذخرت لكم من الاحسان

يأتون سوقاً لا يباع ويشترى فيه فخذ منه بلا أثام
قد أسلف التجار أثمان المبيع بعقدهم في بيعة الرضوان
لله سوق قد أقامته الملا نكة الكرام بكل ما احسان
فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولم يخطر على قلب امرئ فيكون عنه معبراً بلسان
غيرى امرءاً من فوقه في هيئة فيروعه ماتنظر العينات
فاذا عليه مثلها اذ ليس يلحق أهلها شيء من الأحزان
وهاذا السوق الذي من حله نال التهاني كلها بأمان
يدعى بسوق تعارف ما فيه من صخب ولا غش ولا أيمان
وتجارة من ليس تلهيه تجار ات ولا يبيع عن الرحمن
أهل المروءة والفتوة والتقى والذكر للرحمن كل أوان
يا من تعوض عنه بالسوق الذي ركزت لديه راية الشيطان
لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم تركن الى سوق الكساد الفاني

فصل

في حالهم عند رجوعهم الى أهليهم ومنازلهم

فإذا هم رجعوا الى أهليهم بمواهب حصلت من الرحمن
قالوا لهم أهلاً ورحباً ما الذي أعطيتكم من ذا الجمال الثاني؟
والله لا ازددتم جمالاً فوق ما كنتم عليه قبل هذا الآن
قالوا وأنتم والذي أنشاكم قد زدتم حسناً على الاحسان
لكن يحق لنا وقد كنا اذا جلساء رب العرش ذي الرضوان
فهم الى يوم المزيد أشد شوفاً من محب للحبيب الداني
تقدم حديث أبي هريرة في شرح ما تضمنه هذا الفصل في الفصل
قبلها ، والله أعلم .

فصل

في خلود أهل الجنة ودرام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحاله النوم
والموت عليهم .

هذا وخاتمة النعيم خلودهم ابدأ بدار الخلد والرضوان

أَوْ مَا سَمِعْتَ مَنَادِي الْإِيمَانِ يُخْبِرُ عَنْ مَنَادِيهِمْ بِحَسَنِ بَيَانٍ
لَكُمْ حَيَاةَ مَا بِهَا مَوْتٌ وَعَا فِئَةٍ بِبَلَاءِ سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانٍ
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا لَشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا نَوْمٍ وَمَوْتٍ بَيْنَنَا أَخْوَانٍ
هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْهَمِ مَقْتَضَى الْقُرْآنِ
وَالْجَهْمِ أَفْنَاهَا وَأَفْنَى أَهْلِهَا تَبَا لَذَاكَ الْجَاهِلُ الْفَتَانُ
طُرِدَ النَّفْسَ دَوَامَ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْمَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ
وَأَبُو الْهَذِيلِ يَقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ لِلسَّكَنِ
وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا وَثَمَارُهَا كَحَجَارَةِ الْبَنِيَانِ
فَالْوَاوِلُولَا ذَاكَ لَمْ يَثْبِتْ لَنَا رَبٌّ لِأَجْلِ تَسْلُسِلِ الْأَعْيَانِ
فَالْقَوْمُ إِمَّا جَا حُدُونِ لَوْ بِهِمْ أَوْ مَنَكُرُونَ حَقَاقَتِ الْإِيمَانِ

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
نادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تحبوا
: تموتوا أبدًا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا وإن لكم أن تنعموا
: تبأسوا أبدًا ، وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تلکم الجنة
رثموها بما كنتم تعملون) الأعراف : ٤٣ وروى نحوه عثمان بن أبي
بسة مختصراً .

قوله : هذا علمناه اضطراراً الخ . يعني قوله تعالى (ونودوا أن تلکم

« الجنة أورتتموها بما كنتم تعملون » وروى ابن مردويه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » وروى الطبراني عنه بلفظ قال : سئل نبي الله ﷺ فقيل : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » .

قوله : والجهنم أفناها الخ . تقدم الكلام في معنى فناء الجنة والنار عند الجهنمية ، وفناء حركانها عند أبي الهذيل بما أغنى عن الاعداد .

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال ان الذبح ملك الموت وان ذلك مجاز لاحقيقة له .

أو- ما سمعت بذبحه للموت يبين المتزلين كذبح كبش الضان حاشا لهذا الملك الكريم وانما هو موتنا المحتوم للانسان والله ينشي منه كبشا أملحاً يوم المعاد يرى لنا بعيان ينشي من الاعراض أجساماً كذا بالعكس كل قابل الامكان

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيتوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . يقال : فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل

النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وأنذرهم يوم الحسرة ...)
مریم : ٣٩ الآية . متفق عليه . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ
« إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، أتى بالموت حتى يجعل
بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، فيزداد
أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » وعن أبي
هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار
النار ، أتى بالموت ملبياً ، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ،
ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون
مستبشرين ، يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون
هذا ؟ فيقولون - هؤلاء - هؤلاء - قد عرفناه ، وهو الموت الذي وكل بنا ،
فيضع فيذبح ذبجاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ،
ويا أهل النار خلود لا موت » وواه النسائي ، والترمذي وقال : حديث
حسن صحيح .

قال الناظم في « حادي الأرواح » : وهذا الكبش ، والاضجاع ،
والذبح ، ومعاينة الفريقين ، ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه
بعض الناس خطأ قبيحاً ، قال : الموت عرض ، والعرض لا يتجسم فضلاً
عن أن يذبح ، وهذا لا يصح ، فإن الله سبحانه وينشئ من الموت صورة
كبش يذبح ، كما ينشئ من الأعمال صوراً لمعاينة يثاب بها ويعاقب ، والله
تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشئ من الأجسام
أعراضاً ، ومن الأجسام أجساماً ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك
وتعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال . ولا حاجة إلى تكلف من
قال : إن الذبح لملك الموت ، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله

ورسوله ، والتأويل الباطل الذي لا يوجه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم
لمراد الرسول من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس
العرض يذبح ، وظن غلط آخر أن العرض يعدم ويزل ، ويصير مكانه
جسم يذبح ، ولم يمتد الفريقان الى هذا القول الذي ذكرناه ، الى آخر
ما ذكره . ثم احتج الناظم لما ذكره بأن أعمال العباد توزن فتخف تارة ،
وتثقل أخرى ، فقال :

أفما تصدق أن أعمال العباد د تحط يوم العرض في الميزان؟
وكذاك تثقل تارة وتخف أخرى ذاك في القرآن ذو تبيان
وله لسان كفتاه تقيمه والكفتان إليه ناظرتان
ما ذاك أمراً معنوياً بل هو المحسوس حقاً عند ذي الايمان
أقول : يدل لما ذكره الناظم أن الأعمال توزن يوم القيامة ، فتثقل
تارة ، وتخف أخرى ، كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ...) الأنبياء
٤٧ الآية ، وذلك أمر محسوس ، فتوزن الأعمال بميزان له كفتان ولسان ،
وليس ذلك أمراً معنوياً ، بل هو محسوس ، والله أعلم .

أو ما سمعت بأن تسييح العباد د وذكرهم وقراءة القرآن؟
ينشيه رب العرش في صور تجا دل عنه يوم قيامة الأبدان
أو ما سمعت بأن ذلك حول عر ش الرب ذو صوت وذو دوران؟
يشفعن عند الرب جل جلاله ويذكرون بصاحب الاحسان

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ؟

فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سَنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشَّبَانِ

فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ ، وَتَسْبِيحِهِ ، وَتَحْمِيدِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ
يَتَعَاطَفُنَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، لِمَنْ دُوِيَ كَدُوِيَ النَّحْلِ ، يَذْكُرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ .
ذَكَرَهُ أَحْمَدُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ ، لِلصُّورَةِ الَّتِي
يَرَاهَا . فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ ، وَأَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئِ ،
وَهَذَا حَقِيقَةُ لَا خِيَالَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ لَهُ مِنْ عَمَلِهِ صُورَةَ حَسَنَةٍ ، وَصُورَةَ
قَبِيحَةٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ : بَلَّغْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا خَرَجَ
مِنْ قَبْرِهِ ، صُورَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ حَسَنَةٍ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأُرَاكَ أَمْرًا الصَّدَقِ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُورًا وَقَائِدًا إِلَى
الْجَنَّةِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ ، صُورَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ سَيِّئَةٍ ،
وَبَشَارَةً سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ : مَا أَنْتَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُرَاكَ أَمْرًا السُّوءِ ، فَيَقُولُ :
أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّى يَدْخُلَهُ النَّارُ .

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ مَا تَلُوهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعَمْرِ مِنْ قُرْآنٍ؟

يَأْتِي بِجَادِلٍ عَنْكَ يَوْمَ الْحُشْرِ لِلرَّحْمَنِ كِي يَنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ

فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ يَاحِبِذَا ذَاكَ الشَّفِيعِ الدَّانِي

أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صَدَقَ قَدَاتِي فِي سَوْرَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ؟

فَرَقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوءُ ذُو تَبْيَانٍ

شَبَهَهُمَا بِغَمَامَتَيْنِ وَازِثَتَانِ بَغْيَايَتَيْنِ هُمَا لِذَا مَثَلَانِ

هذا مثال الأجر وهو فعالنا كتلاوة القرآن بالاحسان
فالموت ينشيه لنا في صورة خلاقة حتى يرى بعبان
والموت مخلوق بنص الوحي والمخلوق يقبل سائر الألوان
في نفسه وبنشأة أخرى بقدر رة خالق الأعراض والألوان
أو ما سمعت بقلبه سبحانه أعيان من لون إلى ألوان ؟
وكذلك الأعراض يقلب ربه أعيانها والكل ذو إمكان
لم يفهم الجهال هذا كله فأتوا بتأويلات ذي البطلان
فكذب ومؤول ومحير ماذا طعم حلاوة الايمان
لما فسا الجهال في آذانه أعموه دون تدبر القرآن
فتنى لنا العطفين منه تكبراً وتبختراً في حلة الهذيان
إن قلت : قال الله قال رسوله فيقول جهلاً : أين قول فلان ؟

في « الصحيح » عن النواس بن سميان الكلبي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ، مانسيتهن بعد قال : « كأنهما غماتان ، أو ظلمات سوداوان بينهما شرق » ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبها قال النوري في « شرح مسلم » قال أهل اللغة : الغمامة والغياية : كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما . قال العلماء : المراد أن ثوابها يأتي كغماتين ، وقوله ﷺ « أو كأنهما فرقان من طير صواف » وفي الرواية الأخرى « كأنهما

حزقان من طير صاف « الفرقان بكسر الفاء واسكان الراء. والحزقان بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ومعناها واحد ، وهما قطيعان وجماعتان . يقال في الواحد : فرق ، وحزق ، وحزقة ، أي : جماعة .

قوله : « أو ظلتان سوداوان بينهما شرق » . الشرق بفتح الراء واسكانها ، أي ضياء ونور . وفي « الصحيح » عنه عليه السلام « نجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنها غمامتان ... » الحديث ، فهذه القراءة ينشئها الله تعالى غمامتين ، فان الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ، ويجعلها مادة لها . وذكر ابن المبارك في رقائقه : أخبرنا رجل عن يزيد بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة ، أحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفزعه شيء أمسه ، وكلما تخوف شيئاً هون عليه ، فيقول له : جزاك الله من صاحب خيراً ، من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ؟ أنا عملك كان والله حسناً ، فلذلك تراه حسناً ، وكان طيباً ، فلذلك تراني طيباً ، تعال فاركني فطالما ركنتك في الدنيا . وهو قوله سبحانه (وينجي الله الذين اتقوا بمقامتهم) الزمر : ٦١ حتى يأتي به إلى ربه ، فيقول : رب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته ، غير صاحبي قد شغل في نفسه ، فيقول الرب تبارك وتعالى : فما تسأل ؟ قال : المغفرة والرحمة ، أو نحو هذا ، فيقول : فإني غفرت له ، ثم يكسى حلة الكرامة ، ويجعل عليه تاج الوفاق ، وفيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ، ثم يقول : يارب إن أبوي قد كان شغل عنهما ، وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبوي من عمله ، فيعطيان مثل ما أعطي . ويمثل للكافر عمله

في صورة أقبح ما خلق الله وجهاً ، وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما
أفزعته شيء زاده ، وكلما تخوف من شيء زاده خوفاً ، فيقول : بشس صاحب
أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول : لا ، فيقول : أنا عمك
كان قبيحاً ، فلذلك تراني قبيحاً ، كان منتناً ، فلذلك تراني منتناً ، فطأطأ
رأسك أركبك فطأأ ركبتي في الدنيا « وهو قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم
كاملة يوم القيامة) النحل : ٢٥

فصل

في أن الجنة قيعان وان أغراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

أو ما سمعت بأنها القيعان فاغرس ما تشاء بذا الزمان الفاني
وغراسها التسبيح والتكبير والتمجيد والتوحيد الرحمن
تباً لتارك غرسه ماذا الذي قد فاته من مدة الامكان
يا من يقر بذا ولا يسعى له بالله قل لي كيف يجتمعان؟!
أرأيت لو عطلت أرضك من غراس ما الذي تجني من البستار؟
وكذلك لو عطلتها من بذرها تخرج المغل يكون كالكيان
ما قال رب العالمين وعنده هذا فراجع مقتضى القرآن

في « جامع الترمذي » من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ « لقيت ابراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد

قرأ امتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ،
 وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . قال الترمذي :
 حديث حسن غريب ، من حديث ابن مسعود ، وفي الترمذي من حديث
 في الزبير ، عن جابر عن النبي ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده غرست
 به نخلة في الجنة » قال : الترمذي : حديث حسن صحيح . وروى ابن ماجه
 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً . فقال : يا أبا
 هريرة ، ما الذي تغرس ؟ قال : غرساً . قال : ألا أدلك على غراس خير من
 هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يغرس لك بكل
 واحدة شجرة في الجنة .

وتأمل الباء التي قد عينت سبب الفلاح لحكمة الفرقان
 وأظن باء النفي قد غرتك في ذاك الحديث أتى به الشيخان
 ان يدخل الجنات أصلاً كادح بالسعي منه ولو على الأجفان
 والله ما بين النصوص تعارض والكل مصدرها عن الرحمن
 لكن بالاثبات والتسيب والـ بباء التي للنفي بالأثام
 والفرق بينهما ففرق ظاهر يدرية ذو حفظ من العرفان
 قال الناظم في « حادي الأرواح » : روى أبو نعيم من حديث جابر قال :
 سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، ولا يحيره من
 النار ، ولا أنا إلا بتوحيده الله » واسناده على شرط مسلم ، وأصله في الصحيح
 وههنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله ، وليس عمل
 لعبده مستقلاً بدخولها ، وان كان نبياً ، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في

قوله (بما كنتم تعملون) النحل : ٣٢ ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال .
في قوله « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين
أحدهما : ما ذكره سفيان وغيره ، قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو
الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال . ويدل
على هذا حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم .
رواه الترمذي . الثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعارضة التي
يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء
السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله .
وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله « سدّدوا وقاربوا ، واعملوا إن أحدًا
منكم لن ينجو بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا
يتغمّدني الله برحمته . ومن عرف الله سبحانه ، وشهد مشهده حقه عليه ، وشهد
تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه ، عرف ذلك ، وجزم به ،
والله المستعان . انتهى كلامه .

فصل

في إقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

المأتم كمقعد : كل مجتمع في حزن أو فرح ، أو خاص بالنساء ، قاله في « القاموس » .

بالله ما عذر أمرىء هو مؤمن حقاً بهذا ليس باليقظان ؟

بل قلبه في رقدة فاذا استفا ق قلبسه هو حلة الكسلان

تالله لو شأقتك جنات النعيم طلبتها بنفائس الأثمان
وسعيت جهدك في وصال نواعم وكواعب بيض الوجوه حسان
جليت عليك عرائس والله لو تجلى على صخر من الصوان
رقت حواشيه وعاد لوقته ينهال مثل نقى من الكشبان
لكن قلبك في القساوة جاز حد الصخر والحصباء في أشجان
لو هزلك الشوق المقيم وكنت ذا حسن لما استبدلت بالأدوان
أوصادفت منك الصفات حياة قلب كنت ذا طلب لهذا الشأن
خود تزف إلى ضرير مقعد يا محنة الحسناء بالعميان
شمس تزف إليه ما ذا حيلة العنين في الغشيان

ومعنى كلام الناظم : أنا تلونا عليك صفات الجنة ، ونعوت عرائسها ،
فلو صادف لك أدنى حياة قلب منك وإيمان ، لسعيت جهدك في طلبها ،
وآثرت النعيم الباقي على الحزف الفاني ، لكن قلبك أفسى من الصخر ،
ولكن نحن بما وصفنا لك من صفات الجنة وعرائسها بمنزلة من زف خوداً ،
وهي المرأة البيضاء الناعمة إلى ضرير مقعد ، أو زف أجمل النساء التي هي
كالشمس إلى عنين عاجز عن الجماع .

ياسلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
ياسلعة الرحمن ليس ينالها في الألف إلا واحد لا اثنان -
ياسلعة الرحمن ماذا كفؤها إلا أولو التقوى مع الإيثار

ياسلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سلفة الحيوان
ياسلعة الرحمن اين المشتري فلقد عرضت بأيسر الاثمان؟
ياسلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان؟
ياسلعة الرحمن كيف تصبر الخطاب عنك وهم ذوو ايمان؟
ياسلعة الرحمن لولا أنها حجت بكل مكاره الانسان
ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثاني
لكنها حجت بكل كريهة ليصد عنها المبطل المتواني
وتناولها الهمم التي تسمو الى رب العلى بمشيئة الرحمن

قوله : ولكنها حجت بكل كريهة الخ. روى البخاري ومسلم عن
أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت
النار بالشهوات »

قوله : حفت . أصل الحفاف : الدائر بالشيء المحيط به ، الذي لا يتوصل
اليه الا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك ،
فالجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره ، والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها
الا بتوك الشهوات ، وفطام النفس عنها . وروي عن النبي ﷺ أنه مثل
طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر ، فقال : طريق الجنة حزن وبروة ،
وطريق النار سهل وبسوة . والحزن : هو الطريق الوعر المسلك ، والبروة :
المكان المرتفع ، وأراد به أعلى ما يكون في الروايي . والسهوة بالسين المهلة :
هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة . والمكاره : كل ما يشق
على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله ، كالطهارة في السبرات ، وغيرها من

اعمال الطاعات ، والصبر على المصائب ، وجميع المكروهات . والشهوات :
كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ، ويوافقها . وذكر الناظم العلة في
حجب الجنة بالمكاره ، وحف النار بالشهوات ، وذلك ليصد عن الجنة
المبطل المتواني المتقاعد ، وتناها الهمم التي تسمو الى معالي الأمور ، وتؤثر
الأعلى على الأدنى ، ولو حصل من ذلك أعظم المشقة ، والله أعلم .

فاتعب ليوم معادك الأدنى تجدد راحاته يوم المعاد الثاني
واذا أبت ذال الشأن نفسك فاتهمها ثم راجع مطلع الايمان
فاذا رأيت الليل بعد وصبحة ما انشق عنه عموده لأذان
والناس قد صلوا صلاة الصبح وانستظروا طلوع الشمس قرب زمان
فاعلم بأن العين قد عميت فنا شربك المعروف بالاحسان

أي . إذا كان الصبح قد طلع والناس قد صلوا صلاة الصبح ، وقرب
طلوع الشمس ، وأنت لجهلك وغفلتك لاتعلم بطلوع الفجر ، وتظن أن
الليل لم يزل ، فاعلم بأن عينك قد عميت ، أي : عين بصيرتك ، فاسأل ربك
سبحانه ايمانا يباشر قلبك المحجوب .

واسأله إيماناً يباشر قلبك المحجوب عنه لتنظر العينان
واسأله نوراً هادياً يهديك في طرق المسير اليه كل أوان
والله ما خوفي الذنوب فانها لعل طريق العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضى بآراء الرجال وحرصها لا كان ذاك بمنه الرحمن

فبأي وجه ألتقي ربي اذا أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزله عما أريد لأجله عزلاً حقيقياً بلا كتاب
صرحت أن يقيننا لا يستفاد به وليس لديه من إتقان
أوليته هجراً وتأويلاً وتحريفاً وتفويضاً بلا برهان
وسمعت جهدي في عقوبة تمسك بعراه لا تقليد رأي فلان

يقول الناظم : والله ما أخشى الذنوب ، لأن أسباب غفرانها متعددة ،
وعفو الرب تعالى واسع ، وانما أخشى انسلاخ قلبي عن تحكيم الوحي المبين
من كلام رب العالمين ، وقول نبيه الصادق الأمين ، فبأي وجه ألقى الله
تعالى إذا فعلت ذلك وأعرضت عن الوحي المنزل من السماء ، ورضيت
بآراء الرجال وخرصها ، وقدمتها على كلام الله ورسوله ، وعزلت القرآن
عما أريد لأجله ، وهو أنه أريد بانزاله الهدى واليقين ، فما حجتي عند الله اذا
صرحت بأنه لا يفيد اليقين ، وأوليته هجراً وتأويلاً وتحريفاً وتفويضاً ،
ومع ذلك سمعت جهدي في عقوبة من تمسك بالوحي النازل من السماء وقدمه
على التقليد والآراء الهراء ، كما فعل ذلك من فعله من المبتدعين ، عياذاً بالله من
ذلك .

يامعرضاً عما يراد به وقد جد المسير فمتهاه داني
جدلاً لا يضحك آمناً متبخرأً وكأنه قد نال عقد أمان
خلع السرور عليه أو في حله طردت جميع الهم والاحزان
يحتال في حلل المسرة ناسياً ما بعدها من حلة الا كفان

ماسعيه الا لطيب العيش في الدنيا ولو أفضى الى النيران
قد باع طيب العيش في دار النعيم بهذا الحطام المضمحل الفاني
اني أظنك لا تصدق كونه بالقرب بل ظن بلا إيقان
بل قد سمعت الناس قالوا جنة ايضاً ونار بل لهم قولان
والوقف مذهبك الذي تختاره واذا انتهى الايمان للرجحان
أم تؤثر الأدنى عليه وقالت النفس التي استعلت على الشيطان
أتبيع نقداً حاضراً بنسيئة بعد الممات وطي ذي الاكوان
لو أنه بنسيئة الدنيا لها ن الأمر لكن في معاد ثان
دع ما سمعت الناس قالوه وخذ ما قد رأيت مشاهد بعيان
والله لو جالست نفسك خالياً وبحشتها بحثاً بلا روغان
لرأيت هذا كامناً فيها ولو أمنت لألقته إلى الآذان
هذا هو السر الذي من أجله اختارت عليه العاجل المتداني
نقد قد اشتدت اليه حاجة منها ولم يحصل لها بهوان
أتبيعه بنسيئة في غير هـذي الدار بعد قيامة الابدان؟
هذا وان جزمت بها قطعاً ولكن حظها في حيز الامكان
ما ذاك قطعي لها والحاصل السموجود مشهود برأي عيان
فتألفت من بين شهوتها وشبهتها قياسات من البطلان

واستجدت من هارضى بالعاجل الـ أدنى على الموعود بعد زمان
وأنتى من التأويل كل ملائم لمرادها يارقة الايمان
وصغت الى شبهات اهل الشرك والتعطيل مع نقص من العرفان
واستنقصت اهل التقى ورأتهم في الناس كالغرباء في البلدان
ورأت عقول الناس دائرة على جميع الحطام وخدمة السلطان
وعلى المليحة والمليح وعشرة الـ أحباب والاصحاب والاخوان
فاستوعرت ترك الجميع ولم تجد عوضا تلذبه من الاحسان
فالقلب ليس يقر إلا في إنا ءفهو دون الجسم ذو جولان
يبغي له سكنا يلذ بقربه فتراه شبه الواله الحيران
فيحب هذا ثم يهوى غيره فيظل منتقلا مدى الازمان
لو نال كل مليحة ورياسة لم يطمئن وكان ذا دوران
بل لو ينال بأسرها الدنيا لما قرت بما قد ناله العينان
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى واختر لنفسك أحسن الانسان
فالقلب مضطر الى محبوبه الـ أعلى فلا يغنيه حب ثاني
وصلاحه وفلاحه ونعيمه تجريد هذا الحب للرحمن
فإذا تخلى منه أصبح حائراً ويعرود في ذا الكون ذاهمان

قوله : جذلان . قال في « القاموس » : جذل جذولا : انتصب ،
ونبت ، وكفرح ، فرح فهو جذل وجذلان : انتهى .

فصل

في زهد أهل العلم والايان وايتارهم الذهب الباقي على الخرف الفاني .

لكنّ ذا الايمان يعلم ان هذا كاظلال وكل هذا فاني
كنخيال طيف ما استتم زيارة الا وصبح رحيله بأذاث
وسحابة طلعت بيوم صائف فالظل منسوخ بقرب زمان
وكزهرة وافى الربيع بحسنها او لامعاً فكلاهما اخوان
او كالسراب يلوح للظمآن في وسط الهجير بمستوى القيعان
او كالأماني طاب منها ذكرها بالقول واستحضارها يجنان
وهي الغرور رؤوس أموال المفان ليس الا على تجروا بلا أثمان
او كالطعام يلذ عند مساغه لكنّ عقباه كما تجدان
هذا هو المثل الذي ضرب الرسو ل لها وذا في غاية التبيان

كما في « المسند » أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان : أأنت تؤتى
بطعامك وقد ملح وقزح ، ثم تشرب عليه اللبن والماء ؟ قال : بلى قال : فأتى
مايصير ؟ قال : الى ماقد علمت ، قال : فان الله عز وجل ضرب مثل

الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم .

واذا أردت ترى حقيقتها فنخذ منه مثلاً واحداً ذا شان
أدخل بجهدك أصبعاً في اليم وانظر ما تعلقه إذا بعيان
هذا هو الدنيا كذا قال الرسو ل ممثلاً والحق ذو تبيان
قال ﷺ « ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ،
فلينظر بم يرجع »

وكذاك مثلها بظل الدوح في وقت الحرور لقائل الركبان
في قوله ﷺ « مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كمثل راكب قال تحت ظل
شجرة ثم راح وتركها »

هذا ولو عدلت جناح بعوضة عند الاله الحق في الميزان
لم يسق منها كافراً من شربة ماء وكان أحق بالحرمان
عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذي
وقال : حديث صحيح .

تالله ما عقل امرئ قد باع ما يبقى بما هو مضمحل فاني
هذا ويفتي ثم يقضي حاكماً بالحجر من سفه لذا الانسان
اذ باع شيئاً قدره فوق الذي يعتاضه من هذه الأثمان
فمن السفه حقيقه ان كنت ذا عقل وابن العقل للسكران؟!

معنى كلامه أن السفيه يحكم بالحجر عليه إذا باع شيئاً بأقل من قيمته ،
فأولى بالسفه من باع الآخرة التي هذا قدرها بالدنيا وهي لاتساوي عند
الله جناح بعوضة .

والله لو أن القلوب شهدن منا كان شأن غير هذا الشأن

نفس من الانفاس هذا العيش ان قسناه بالعيش الطويل الثاني

ياخسة الشركاء مع عدم الوفاء وطول جنونها مع الهجران

هل فيك معتر فيسلو عاشق بمصارع العشاق كل زمان

لكن على تلك العيون غشاوة وعلى القلوب أكنة النسيان

وأخو البصائر حاضر متيقظ متفرد عن زمرة العميان

يسمو الى ذاك الرفيق الأرفع الأعلى وخلي اللعب للصبيان

والناس كلهم فصبيان وإن بلغوا سوى الافراد والوحدان

واذا رأى ما يشتهيه قال مو عدك الجنان وجد في الأثمان

واذا أبت إلا الجماع أعضاها بالعلم بعد حقائق الايمان

ويرى من الخسران يبيع الدائم الباقي به يا ذلة الخسران

ويرى مصارع اهلها من حوله وقلوبهم كمر اجل النيران

حسراتها هن الوقود فان خبت زادت سعيراً بالوقود الثاني

جاؤوا فرادى مثل ما خلقوا ابلا مال ولا أهل ولا اخوان

ما معهم شيء سوى الاعمال فهي متاجر للنار او الجنان
تسعى بهم أعمالهم سوقاً الى الدارين سوق الخيل بالركبان
صبروا قليلاً فاستراحوا دائماً يا عزة التوفيق للانسان
حمدوا التقى عند الملمات كذا السرى عند الصباح فحبذا الحمدان
وخذت بهم عزما تهم نحو العلى وسروا فما نزلوا الى نعمان
باعوا الذي يفنى من الخزف الخسيس بدائم من خالص العقيان
رفعت لهم في اليسر اعلام السعيا دة والهدى يا ذلة الحيران
فتسابق الاقوام وابتدروا لها كتسابق الفرسان يوم رهان
وأخو الهويناء في الديار مخلف مع شكله يا خيبة الكسلان
قوله : وخذت بهم همم الخ . الوخذ للبعير : الاسراع ، أو أن يرمي
بقوائمه كمشي النعام ، أو سعة الخطو ، كالوخذان ، والوخيد . وقد وخذ
كوعد ، فهو واخذ ، ووخذاد ، ووخود . قاله في « القاموس » .
قوله : خزف . الخزف محرقة : الجر ، وكل ما عمل من طين وشوي
بالنار حتى يكون فخاراً . قاله في « القاموس »

فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والايان أن يتجرد لله
ويحكم عليها بما يوجب الدليل والبرهان، فان رأى حقاً قبله وحمد الله عليه، وإن
رأى باطلاً عرف به وأرشد اليه .

يا أيها القاري لها اجلس مجلس الحكم الأمين أتى له الحصان
واحكم هذاك الله حكماً يشهد العقل الصريح به مع القرآن
واحبس لسانك برهة عن كفره حتى تعارضها بلا عدوان
فاذا فعلت فعنده أمثالها فنزال آخر دعوة الفرسان
فالكفر ليس سوى العناد وردّ ما جاء الرسول به لقول فلان
فانظر اهلك هكذا دوز الذي قد قالها فتفوز بالخسران
فالحق شمس والعيون نواظر لا تحتفي الا على العميان
والقلب يعمى عن هداه مثما تعمى وأعظم هذه العينان

يقول الناظم : يا أيها القاري وهذه المنظومة المباركة ، اجلس مجلس الحكم
لأمين غير الخائن جلس اليه الحصان ، واحكم حكماً يشهد له العقل
لصريح مع محكم القرآن ، ولا تبادر بتكفير قائلها ، بل احبس لسانك
رهة ، أي : عن أن تحكم بكفره بمجرد هواك ، حتى تعارض ما قاله بغير

اعتداء ، فاذا فعلت ، أي : فعنده أمثالها ، وآخر الأمر يدعوك إلى
المبارزة والمنازلة .

قوله : فنزال هذا ونحوه . اسم مبني على الكسر ، كحزام ، وقطام
ونحوهما ، وهو بفتح أوله . ثم بين أن الكفر ليس إلا العناد ، ورد ما قال
الرسول لأجل قول فلان وفلان ، ثم قال : فانظر لعلك هكذا الخ . أي :
لعلك ممن يعاند ويرد قول الرسول ﷺ لأجل أقوال الناس . ثم أخذ
الناظم في الشكاية من الأربعة الذين ذكرهم فقال :

هذا وإنني بعده ممتحن بأر بعة وكلهم ذوو أضغان
فظ غليظ جاهل متمعلم ضخم العمامة واسع الأردان
متفهب متضلع بالجهل ذو ضلع وذو جلع من العرفان
مزجي البضاعة في العلوم وإنه زاج من الإيham والهديان
يشكو إلى الله الحقوق تظالماً من جهله كشكاية الأبدان
من جاهل متطبب يفني الوري ويحيل ذاك على قضا الرحمن
قوله : متفهب . قال في « القاموس » : تفهب في كلامه ، تنطع ،
وتوسع ، كأنه ملأ به فيه .

قوله : متضلع . تضلع : امتلأ شعباً أو رياً ، حتى بلغ الماء أضلاعه ،
قاله في « القاموس » .

قوله : ذو ضلع . قال في « القاموس » ضلع كمنع : مال وجنف وجار .
وفلاناً ضرب ضلعه . وضلع السيف كفرح : اعوج . والضالع : الجائر ،

والضلع محرّكة : الاعوجاج خلقة ، ويسكن ، ومنه : لأقسن ضلعك بالوجهين .

قوله : زاج . قال في « القاموس » : وبضاعة مزجاة : قليلة ، ولم يتم صلاحها ، والزجاء : النفاذ في الأمر ، وهو أزجى منه : أشد نفاذاً .

قوله : من جاهل متطبب الخ . قال الناس : أفسد ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوي . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

عجت فروج الخلق ثم دماؤهم وحقوقهم منه إلى الديان
ما عنده علم سوى التفكير والتبديع والتضليل والبهتان
فإذا تيقن أنه المغلوب عند تقابل الفرسان في الميدان
قال اشتكوه إلى القضاة فإنهم حكوا وإلا اشكوا إلى السلطان
قولوا له : هذا يحل الملك بل هذا يزيل الملك مثل فلان
فاعقره من قبل اشتداد الأمر منـه بقوة الأتباع والأعوان
وإذا دعاكم للرسول وحكمه فادعوه كلكم لرأي فلان
وإذا اجتمعتم في المجالس فالغطوا والغوا إذا ما احتج بالقرآن
هذا كما قال الشيخ نصر المنبجي ليبوس الجاشنكير^(١) : إن هذا يخشى
على الدولة منه - كما جرى لابن التومرت صاحب المغرب - يعني شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى .

واستنصروا بمحاضر وشهادة قد أصلحت بالرفق والاتقان .

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت البربري ، أبو عبد الله الملقب بالمهدي ، ويقال له : مهدي الموحدين ، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب .

لا تسألوا الشهداء كيف تحمّلوا وبأي وقت بل بأي مكان؟
وارفوا شهادتهم وشوا حالها بل أصلحوها غاية الامكان
فإذا هم شهدوا فزكوهم ولا تصغوا لقول الجارح الطعان
قولوا العدالة منهم قطعية لسنا نعارضها بقول فلان
أي : إذا قدح قادح في شهودكم ، فلا تلتفتوا لقوله ، ولا تصغوا له ،
وقولوا : الأصل في الناس العدالة ، ونحو ذلك .

ثبتت على الحكماء بل حكموا بها فالطعن فيها ليس ذا إمكان
من جاء يقدح فيهم فليخذ ظهراً كمثل حجارة الصوان
وإذا هو استعدهم فجوابهم أتردها بعداوة الأديان؟!
أي : قولوا : لا ترد شهادة العدول بعداوة الأديان .

فصل

في حال العدو الثاني

أو حاسد قد بات يغلي صدره بعداوتي كالمرجل الملائن
لو قلت : هذا البحر قال مكذباً هذا السراب يكون بالقيعان
أو قلت : هذي الشمس قال مباحثاً الشمس لم تطلع إلى ذا الآن
أو قلت : قال الله قال رسوله غضب الخبيث وجاء بالكتمان

أو حُرِف القرآن عن موضوعه تحريف كذاب على القرآن
صال النصوص عليه فهو بدفعها متوكل بالدأب والديدان
فكلامه في النص عند خلافه من باب دفع الصائل الطعان
فالقصد دفع النص عن مدلوله كي لا يصول إذا التقى الزحفان

فصل

في حال العدو الثالث

والثالث الأعمى المقلد ذينك الرجلين قائد زمرة العميان
فاللعن والتكفير والتبديع والتضليل والتفسيق بالعدوان
وإذا هم سألوه مستنداً له قال: اسمعوا ما قاله الرجلان
هذا العدو الثالث ، وهو الجاهل المقلد للعدوين اللذين تقدما ، وهما
الجاهل المتمعلم ، والحاسد .
قوله : قال : اسمعوا الخ . المراد بالرجلين : الجاهل ، والحاسد .

فصل

في حال العدو الرابع

هذا ورابعهم وليس بكتبهم حاشا الكلاب الآكلي الاثنان
خنزير طبع في خليقة ناطق متسوف بالكذب والبهتان
كالكلب يتبعهم يشمش أعظماً يرمونها والقوم للحمان
يتفكهون بها رخيصاً سعرها ميتاً بلا عوض ولا أثمان
هو فضلة في الناس لا علم ولا دين ولا تمكين ذي سلطان
فإذا رأى شراً تحرك يبتغي ذكراً كمثل تحرك الثعبان
قوله : كالكلب يتبعهم . الظاهر أن مراده أن هذا العدو الرابع يتبع
الأعداء الثلاثة في أكل لحوم العلماء أتباع الكتاب والسنة ، والتفكه بها .
قوله : فإذا رأى شراً . أي : إن هذا العدو إذا رأى شراً رفع رأسه
وتحرك يبتغي ذكراً كتتحرك الثعبان ، وهو كما في « القاموس » الحية
الضخمة الطويلة ، أو الذكر خاصة ، أو عام .

ليزول عنه أذى الكساد فينفق الكلب العقور على ذكور الضان
فبقاؤه في الناس أعظم محنة من عسكر يعزى إلى غازان
غازان من ملوك التتار . ثم أخذ الناظم في التشكي
من عدم نفاق بضاعته هذه ، وإن العلماء الكبار الذين هم أهل لها قد سافروا عن

هذه البلدان والأرطان، أي ماتوا ولم يجدوا إلا الصعافقة، وهم كافي «القاموس»
قوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال، فاذا استوى التجار شيئاً دخلوا
معهم، الواحد صعققي، وصعق، وصعق بالفتح، جمع: صعاقيق
أيضاً. انتهى.

هذي بضاعة ضارب في الأرض يبغى تاجراً يبتاع بالأثمان

وجد التجار جميعهم قد سافروا عن هذه البلدان والأوطان

إلا الصعافقة الذين تكلفوا أن يتجروا فينا بلا أثمان

فهم الزبون لها فبالله ارحموا من يبعه من مفلس مديان

أي: بالله يا معشر المسلمين ارحموا تاجراً قد جاء ببضاعة، فاذا التجار
قد سافروا ولم يجدوا إلا هؤلاء الصعافقة الذين لا مال لهم، بل هم مفاليس
مديونين.

يارب فارزها بحقك تاجراً قد طاف بالآفاق والبلدان

ما كل منقوش لديه أصفر ذهباً يراه خالص العقيان

وكذا الزجاج ودرة الغواص في تميزه ما إن هما مثلاً

ثم ختم الكتاب بالتوجه إلى الله تعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته أن ينصر
كتابه، ورسوله، ودينه، وأن ينصر حزب الإيمان على حزب الضلال
وعسكر الشيطان، فقال:

فصل

في توجه أهل السنة الى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله
وعبادته المؤمنين .

هذا ونصر الدين فرض لازم لا للكفاية بل على الأعيان
بيد وإما باللسان فإن عجزت فالتوجه والدعاء بجنان
مابعد ذا والله للإيمان حجة خردل ياناصر الأيمان
بحياة وجهك خير مسؤول به وبنور وجهك يا عظيم الشأن
قوله : بحياة وجهك الخ . لا يقال : هذا يعارض ما رواه أبو داود عن
جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » لأنه ورد في
دعاء النبي ﷺ منصرفه من الطائف ، حين كذبه أهل الطائف ومن في
الطائف من أهل مكة ، فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور « اللهم إليك أشكو
ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ،
وأنت ربي ، إلى من تكلني » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت
له الظلمات ... » الخ والحديث المروي في « الأذكار » « اللهم أنت أحق من
ذكر ، وأحق من عبد » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
السموات والأرض » . وفي حديث آخر « أعوذ بوجه الله الكريم ، وباسم
الله القديم ، وبكلماته التامة ، من شر السامة واللامة ، ومن شر ما خلقت
أي رب ، ومن شر هذا اليوم ، ومن شر مابعد ، ومن شر الدنيا والآخرة »
وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة ، فيجاء عن ذلك بأن ما ورد من ذلك

أنه سؤال ما يقرب من الجنة ، أو يمنع من الأعمال التي تمنعه من الجنة ، فيكون قد سأل بوجه الله ، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة ، كما في الحديث الصحيح « اللهم اني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل » وأما ما يختص بالدنيا كسؤال المال ، والرزق ، والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا ، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة ، فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله . والناظم إنما سأل بوجه الله ما يقرب إلى الجنة ، بل هو طريق إلى الجنة ، وهو نصره كتاب الله ، ورسوله ، ودينه . وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى . والله أعلم .

وبحق نعمتك التي أوليتها من غير ما عوض ولا أثمان
وبحق رحمتك التي وسعت جميع الخلق محسنهم كذاك الجاني
وبحق أسماءك الحسنی معا فيها نعوت المدح للرحمن
وبحق حمدك وهو حمد واسع الـ أكو ان بل أضعاف ذي الأكو ان
وبأنك الله الاله الحق معبود الوردى متقدس عن ثان
بل كل معبود سواك فباطل من دون عرشك للثرى التحتاني
وبك المعاذ ولا ملاذسواك أنت غياث كل ملدد لهفان
من ذاك المضطر يسمعه سواك يحيب دعوته مع العصيان
إنا توجهنا اليك لحاجة ترضيك طالبا أحق معان
فاجعل قضاها بعض أنعمك التي سبغت علينا منك كل زمان

أنصر كتابك والرسول ودينك العالى الذى أنزلت بالبرهان
واخترته ديناً لنفسك واصطفيت مقيميه من أمة الانسان
ورضيته ديناً لمن ترضاه من هذا الورى هو قيم الأديان
وأقر عين رسولك المبعوث بالدين الحنيف بنصره المتدانى
وانصره بالنصر العزيز كمثل ما قد كنت تنصره بكل زمان
يارب وانصر خير حزيننا على حزب الضلال وعسكر الشيطان
يارب واجعل شرح حزيننا فداً لخيارهم ولعسكر القرآن
يارب واجعل حزبك المنصور أهلاً لتراحم وتواصل وتدان
يارب واحمهم من البدع التى قد أحدثت فى الدين كل زمان
يارب جنبهم طرائقها التى تفضي بسالكها إلى النيران
يارب واهدهم بنور الوحي كي يصلوا اليك فيظفروا بجنان
يارب كن لهم ولياً ناصراً واحفظهم من فتنة الفتان
وانصرهم يارب بالحق الذى أنزلته يامنزل القرآن
يارب إنهم هم الغرباء قد لجؤوا اليك وأنت ذوالاحسان
يارب قد عادوا لأجلك كل هذا الخلق إلا صادق الايمان
قد فارقوهم فيك أحوج ما هم ديناً اليهم فى رضى الرحمن
ورضوا ولا تترك التى من نالها نال الأمان ونال كل أمان

ورضوا بوحيك من سواء وما ارتضوا بسواء من آراء ذي الهذيان
يارب ثبتهم على الايمان واجعلهم هداة الثائه الحيران
وانصر على حزب النفاة عساكر الـ إثبات أهل الحق والعرفان
وأقم لأهل السنة النبوية الـ أنصار وانصرهم بكل زمان
واجعلهم للمتقين أئمة وارزقهم صبراً مع الايقان
تهدي بأمرك لا بما قد أحدثوا ودعوا اليه الناس بالعدوان
وأعزم بالحق وانصرهم به نصراً عزيزاً أنت ذو السلطان
واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم فلأنت أهل العفو والغفران
ولك المحامد كلها حمداً كما يرضيك لا يفنى على الأزمان
ملء السموات العلى والأرض والـ موجود بعد ومنتهى الامكان
بما تشاء وراء ذلك كله حمداً بغير نهاية بزمان
وعلى رسولك أفضل الصلوات والتسليم منك وأكمل الرضوان
وعلى صحابته جميعاً والألى تبعوهم من بعد بالاحسان

وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ،
وسقيره بينه وبين عباده ، وسلم .

وقد كتب في آخر نسخة الأصل المخطوطة مايلي :

وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب بمعونة الملك الوهاب ، منتصف شهر رجب
من سنة ألف وثلاثمائة وأربعين ، بقلم الفقير الى غفر الواحد المنان ، سليمان بن عبد
الرحمن بن حمدان ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين والمسلمات ،
الأحياء منهم والأموات .

وعلى هامشها :

الى هنا بلغ التصحيح حسب الطاقة والامكان على نسخة
عليها خط المؤلف ، والتصحيح المذكور في حلقة التدريس ، على يد شيخنا
الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، نسأ الله في أجله ، وختم له بصالح عمله ،
غير أنا لم نتعرض لما فيه من التحريف من جهة الاعراب ، وتكسر
الاوزان ، بل أبقيناه على ما في الاصل^(١)

(١) هذا وقد قمنا بتصحيح ذلك حسب الطاقة والجهد . وعذر الشيخ
العنقري رحمه الله واضح ، حيث أن النسخة الخطية لا تقع - غالباً - الا بيد عالم عارف
بما فيها من خطأ ، وعذرنا أن النسخة المطبوعة تقع في كل يد ، فلا بد
من التصحيح .

بعون الله تبارك وتعالى ، تم طبع هذا الكتاب

بجزئيه : الأول والثاني ، للمرة الاولى في مطابع

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق

وذلك في ٢٥ من شوال ١٣٨٢ هـ .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ورحمهم الله الناظم والشارح ، وكل من ساعد

على طبعه وإخراجه .

دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ

فِيهَا سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
فصل في جنابة التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول .	٣
افتراق الأمة المحمدية إلى ثلاث وسبعين فرقة . . .	٣
الكلام على وقعة الحرة وما وقع فيها من الفتن	٣
ما جرى من الفتن بسبب التأويل	٥
ترجمة أحمد بن نصر الخزاعي	٧
بعض ما جره تأويل ابن سينا وغيره	٧
ما حصل في وقعة شقحب في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية	٨
بعض ما جره التأويل من البدع والمستحدثات .	١٠
معنى التأويل عند المتقدمين ، وبعداصطلاحاته عند المتأخرين	١٢
فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه	١٥
إلزام أهل التأويل بأربعة لوازم	١٦
فصل في طريقة ابن سينا وذويه في التأويل	١٧
تسلط أوغاد الناس على النصوص بالتأويل والتحريف	٢٠
مطالبة المؤولين بأدلة الاثبات وجوابهم عنها .	٢٣
تسمية المؤولين التحريف بالتأويل .	٢٤

٢٤	فصل في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءة أهل الاثبات بما رموهم به من هذه الشبه .
٢٥	التحريف والتبديل والكتمان من صفات اليهود
٢٨	فصل في بيان جهتان المعطلة في تشبيه أهل الاثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وإنهم أشباهه .
٣٠	فصل في بيان تدليس المعطلة وتلبيسهم الحق بالباطل
٣٠	معنى كلمة (استوى) الوارد ذكرها في القرآن
٣٢	الفرق بين الاستواء والاستيلاء
٣٣	المراد من العرش في قوله تعالى (ثم استوى على العرش)
٣٤	الاستواء المطلق له عدة معان
٣٦	معنى (الرحمن الرحيم) في القرآن
٣٧	فصل في بيان سبب غلط المعطلة في الالفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .
٣٨	الألفاظ قسيمان مفرد ومركب ، والمركب نص وظاهر ومجمل ، والخلاف فيها عند المؤولين ،
٤٠	دعوى القائلين بالاجمال الذين لم يعرفوا العلم
٤٠	تعريف الزنيم
٤٠	تعريف الدراهم الزيوف .
٤١	أكثر الناس ليسوا بأهل لمعرفة الزيوف
٤١	من أراد تجارة تنجيهِ من غضب الله وتقيدِه الجنات وروية الرحمن فليهيئ ثمناً تباع بمثله لا بدراهم زيوف

- ٤٣ اللفظ المركب تبين مراده القرائن المحفوفة به
- ٤٤ فصل في بيان شبه غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ بغلط
الفلاسفة في تجريد المعاني
- ٤٧ فصل في بيان تناقض النفاة وتعجزهم عن الفرق بين ما يجب
تأويله وما لا يجب .
- ٤٨ ادعائهم بأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد
اليقين فحرفها وسموه تأويلاً
- ٤٨ معنى التأويل في قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله
والراسخون في العلم)
- ٤٨ قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه .
- ٥١ بعض التأويلات الشنيعة التي تأولها القرامطة والباطنية
والرافضة .
- ٥٥ فصل في مطالبة المتكلمين بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول
من نصوص الكتاب والسنة .
- ٥٧ فصل في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه
- ٥٩ فصل في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً
- ٦٠ طريق النفاة عكس طريق أهل الاستقامة
- ٦٠ التقليد الاعمى هو الاخذ بقول الناس وان خالف نصوص
الكتاب والسنة
- ٦٣ فصل في بيان كذب اهل النفاة ورميهم أهل الحق بأنهم
أشباه الحوارج وبيان شبههم المحقق بالحوارج .
- ٦٥ الموازنة بين النفاة والحوارج .

٦٦. بعض ما نقوله الجهمية في الصفات من التأويلات
٧٢. بعض ما في كتب النفاة من الطامات
٧٥. ضرر النفاة على الدين
٧٦. فصل في تلقيب النفاة أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى
بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين ، وذكر أول
من لقب به أهل السنة من أهل البدعة ،
الحشوية وسبب تسميتهم بهذا الاسم .
٧٧. بعض الاحاديث الواردة في صفات الله وتسمية النفاة لمن
يعتقد بها بالحشوية
٨٠. أول من نطق بكلمة الحشوية : عمرو بن عبيد المعترلي
٨٠. من أهم أولى بتسميتهم حشوية
٨١. فصل في بيان عداوة النفاة في تلقيب أهل القرآن والحديث
بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث .
٨٥. فصل في بيان مورد أهل التعطيل وأنهم تعرضوا بالقلوط
عن مورد السلبيل
٨٦. فصل في بيان هدم أهل التعطيل لقواعد الاسلام والايمان
بعزلهم نصوص السنة والقرآن .
٨٩. لولا هبة الاسلام والقرآن لأتت المبتدعة بكل مصيبة
٨٩. امتحان المأمون الناس بأن القرآن مخلوق
٩٥. ترجمة المأمون
٩٢. طعن المعطلة في أصحاب الحديث

- ٩٤ النفاء والمعطلة نزلوا كتاب الله وسنة رسوله منزلة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي
- ٩٧ فصل في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين .
- ١٠١ الرد على القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين .
- ١٠١ معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) لغة وشرعاً
- ١٠٣ بيان بطلان قول النفاء وأنه خلاف الحس والعقل والنقل والفطرة
- ١٠٤ بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان
- ١٠٦ لو صح ما قاله المعطلة لانقطعت سبل العلم
- ١٠٧ المعطلة يقولون : إن اللغات أتت بنقل الآحاد
- ١٠٩ من المصائب التي تلبس بها المعطلة أنهم قالوا : إن لفظة (الله) فيها خلاف ، هل هي لفظ عربي أم سرياني
- ١١٠ فصل في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة
- ١١١ فصل في نكتة بديعة تبين ميوات الملحدين من المشركين والموحدين
- ١١٤ فصل في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الأنبياء
- ١١٥ تعريف التي والتيا
- ١١٥ تعريف كلمة (طلسم)
- ١١٧ ضلال الجبرية بقولهم : إن خالف الشرع فقد أظمت
- القدر والارادة
- ١١٨ بعض ما يعتقد أهله الإرجاء والجهنميون

- ١٢٠ فصل في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، اذا سئل
المعطل والمثبت عن قول كل واحد منها .
- ١٢٤ فصل في تحميل أهل الاثبات للمعطيات شهادة تؤدى عند
رب العالمين
- ١٢٩ كلام العلماء في المجاز وثبوته أو نفيه
- ١٣٤ أهل الاثبات يؤمنون بالقدر خيره وشره .
- ١٣٤ الايمان بالقدر على درجتين .
- ١٣٥ أئمة السلف أنكروا الجبر .
- ١٣٦ كلام الزبيدي والأوزاعي في الرد على أهل الجبر
- ١٣٩ مذاهب العلماء في الايمان وتعريفه
- ١٤٠ قول العلماء في زيادة الايمان ونقصانه
- ١٤٢ جمهور العلماء على أن الايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي
- ١٤٣ الايمان مراتب بعضها فوق بعض
- ١٤٣ بعض صفات المؤمنين
- ١٤٤ الجواب على الجهمية القائلين بأن الأعمال ليست من الايمان
من وجوه
- ١٤٧ فصل في عهد المثبتين مع رب العالمين
- ١٥٠ فصل في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل أنه ليس في
السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول
- ١٥١ تحطئة ابن حزم لمن يقول بأن الروح عرض وذكر بعض
الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك .
- ١٥٣ ثلاث عورات لأهل البدع

١٥٤	فصل في الكلام على حياة الأنبياء في قبورهم
١٦٠	فصل فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور
١٦٢	فصل في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة
١٦٤	ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
١٦٦	احتجاجهم برؤية رسول الله ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره
١٦٩	الجواب على حديث « مامن مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحه حتى أورد عليه السلام »
١٧٧	الكلام على الروح وأنها مخلوقة
١٧٢	فضل يوم الجمعة
١٧٨	السلام على أهل القبور وخطابهم ، والكلام على الروح
١٨٠	فصل في كسر انجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقلة الاسلام وحصونه جيلاً بعد جيل
١٨٢	للتركيب ست معان
١٨٤	ابطال القول بالجواهر الفرد
١٨٨	ترجمة الفخر الرازي وكلام العلماء عليه
١٩٠	أصح الطرق الكلامية طريقة القرآن
١٩١	الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال
١٩٤	ترجمة أبي الحسن الآمدي
١٩٥	فصل في أحكام هذه التركيب الستة
١٩٨	الرد على المعطلة نفاة الصفات
٢٠١	الفلاسفة والجهمية يقولون : إن اثبات الصفات يلزم منه التركيب ، والرد عليهم .

٢٠١.	فصل في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاء المعطين
٢٠٣.	بيان توحيد الفلاسفة وبطلان عقائدهم
٢٠٥.	فصل في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الاتحاد
٢٠٨.	فصل في النوع الرابع من أنواعه
٢٠٩.	فصل في توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطين
٢١٣.	فصل في النوع الثاني وهو الثبوت من أنواع التوحيد القولي
٢١٤.	بعض ما صنف في أسماء الله الحسنى
٢١٦.	ما يجري صفة أو خبراً على الرب تعالى أقسام
٢٢٠.	الرضى بالقضاء الديني واجب
٢٢١.	الآيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية عليها
٢٢٦.	لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان
٢٢٧.	فصل في بعض الصفات
٢٢٨.	فصل : وهو الرقيب على الخواطر والواظ . . .
٢٢٩.	فصل : وهو الرفيق يحب أهل الرفق . . .
٢٣٠.	فصل : وهو الودود يحبهم ويحب أهليهم . . .
٢٣١.	فصل : وهو الغفور فلو أتى بقرابها . . .
٢٣١.	فصل : وهو الإله السيد الصمد الذي . . .
٢٣٢.	معنى الصمد

فصل : وهو الحسيب كفاية وحماية ...	٢٣٣
فصل : هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه ...	٢٣٣
الرزق نوعان : رزق القلوب ورزق الأبدان	٢٣٤
فصل : هذا ومن أوصافه القيوم ...	٢٣٦
فصل : والنور من أسمائه أيضاً ومن أوصافه ...	٢٣٧
شرح قول الناظم : احذر تزل ؛ فتحت رجلك هوة ... الخ	٢٣٩
فصل : وهو المقدم والمؤخر ...	٢٤١
كلام التقطازاني في صفة التكوين لله تعالى	٢٤٣
امتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذاً الاشتقاق وصفاً قائماً به أزلية لوجوه أربعة	٢٤٣
لا يتصور التكوين بدون المكون	٢٤٥
الصواب أن الخلق غير المخلوق والدليل على ذلك من الكتاب والسنة	٢٤٦
فصل : هذا ومن أسمائه ما ليس يفرد بل يقال إذا أتى بقران	٢٤٨
فصل : ودلالة الأسماء أنواع ثلاث ...	٢٥٠
فصل في بيان حقيقة الاتحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحين	٢٥١
معنى الاتحاد في أسمائه تعالى	٢٥٢
خلال أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود	٢٥٣
الكلام على أهل التعطيل الذين عطلوا الأسماء الحسنى من معانيها وجحدوا حقائقها	٢٥٥
إلحاد النفاة الجاحدين لله	٢٥٦
فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين	٢٥٧

- ٢٥٨ تعريف العبادة لغة واصطلاحاً
- ٢٥٩ التوحيد نوعان ، توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد
- ٢٦٠ التوحيد الذي جاء الرسول ﷺ به إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده ...
- ٢٦٣ الصدق والاخلاص ركني التوحيد
- ٢٦٣ فصل : والشرك فاحذره ، وهو نوعان شرك ظاهر ، وشرك خفي .
- ٢٦٦ الشرك الذي لا يغفره الله .
- ٢٦٧ قطع الأسباب التي تتعلق بها المشركون
- ٢٦٨ الشرك نوعان أكبر وأصغر
- ٢٧٠ الشفاعة التي أثبتها الله تعالى والتي نفاه
- ٢٧٢ فصل في صف العسكرين وتقابل الصفيين واستدارة رحى الحرب العوان وتداول الأقران
- ٢٧٣ أرسطو والفارابي ومخالفة مذاهبهما للمسلمين
- ٢٧٥ الكلام على ابن سينا وأمثاله ممن خالفوا مذاهب المسلمين
- ٢٧٦ الكلام على شيطان الطاق المعتزلي الشيعي وأمثاله المخالفين لمذاهب المسلمين
- ٢٧٩ فصل : العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان..
- ٢٨٠ فصل في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الإلحاد
- حزب جنكس خان
- ٢٨١ الكلام على التعارض بين السمع والعقل . .

- ٢٨٣ الطريقة التي يدعو بها المسلم الى دين الاسلام وفساد طريقة
المتبعة وأهل الأهواء
- ٢٨٦ محاربة المتكلمين للمثبتة أهل السنة ومصانعتهم المعطلة
أهل البدعة
- ٢٨٨ أقرب الطرق في اثبات الصفات الكاملة لله تعالى ونفي الصفات
الناقصة عنه طريقة القرآن
- ٢٨٩ فصل في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين.
- ٢٩٣ ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وبعض من أطنب في ذكره
وتصانيفه التي تثلج الصدور
- ٢٩٥ فصل في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران
من جهة الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان
- ٢٩٩ الكلام على بعض صفات الرب عز وجل وتأويل المعطلة
والنفاة لها .
- ٣٠٠ الرد على تأويلات المعطلة والنفاة من عدة أوجه وذكر
الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة
- ٣٠٧ الكلام على بعض صفات الله تعالى والرد على المؤولين فيها
لغة وشرعاً
- ٣١٣ تعريف النفاة من أهل الكلام باسم ورد شيخ الاسلام ابن
تيمية عليهم
- ٣١٤ الكلام على الجوهر الفرد وكلام العلماء فيه
- ٣١٧ خلال من يزعم أن الرب مركب مؤلف من أجزاء

٣٢٠	فصل في كسر الطاغوت الذي نقوا به صفات ذي الملكوت والجبروت
٣٢٠	معنى الطاغوت لغة
٣٢٣	ثلاثة أجوبة في الرد على من ألزم التجسيم والتركيب للمثبتة
٣٢٦	فصل في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين
٣٢٨	ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة .
٣٢٩	عباد الصليب نزهوا بباركهم من النساء والولدان وجعلوا لله سبحانه ولداً
٣٢٩	ترتيب رجال الدين عند النصارى .
٣٣٢	معارضة النفاة الأخبار بالفشر والهديان
٣٣٤	فصل في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايمان
٣٣٧	الكلام على الجوهر الفرد وأجزاء الانسان
٣٣٨	الجهنمية قالوا بفناء الجنة والنار
٣٤٠	أنواع الذكر ومراتب الذاكرين
٣٤٤	التعطيل أساس الزندقة
٣٤٥	فصل في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والاثبات بتنقيص الرسول ﷺ
٣٤٦	أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما جردوا التوحيد
٣٤٨	بيان الحقوق التي لله ورسوله .
٣٥١	مخالفة النفاة لقول الرسول والأئمة

- ٣٥٢ النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً
- ٣٥٦ الكلام على شد الرحال الى مسجد النبي ﷺ وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام
- ٣٥٨ حكم السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة
- ٣٥٩ الكلام على حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... »
- ٣٥٩ السلام على النبي ﷺ وآدابه
- ٣٦١ أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ وكلام العلماء فيها
- ٣٦٥ آداب دخول مسجد النبي عليه الصلاة والسلام
- ٣٦٦ زيارة قبور أهل البقيع وقبور الشهداء
- ٣٦٧ اختلاف بعض العلماء : هل مكة أفضل أم المدينة ، وأقوال العلماء في ذلك .
- ٣٦٨ فصل في تعيين أن اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران
- ٣٦٩ اتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال منجاة يوم الحساب من العذاب .
- ٣٧٠ لولا التنافس بين الخلق لما وجد التفرق
- ٣٧١ فصل في تيسير الدير الى الله على المبتئين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين
- ٣٧٣ كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون ، ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟
- ٣٧٥ فصل في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذبي عيين .

فصل في التفاوت بين حظ المثبتين المعطلين من وحي رب العالمين .	٣٧٦
فصل في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء	٣٨٠
أنوار الهدى في الكتاب والسنة	٣٨٢
العلم ثلاثة أقسام	٣٨٣
الأخذ بالحديث المرسل والضعيف مقدم على القياس عند أكثر الأئمة	٣٨٤
المسكوت عنه هو ما لم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم	٣٨٦
فصل في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين	٣٨٩
بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي وضعت مخالفة للكتاب والسنة .	٣٩٠
فصل : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها . . .	٣٩٢
فصل في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا ؟	٣٩٤
ما ألزم أهل التعطيل به أهل الإثبات	٣٩٦
بيان اللوازم التي تلزم أهل التعطيل	٣٩٩
فصل في الرد على المعطلة لتكفيرهم أهل العلم والايان وذكر انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران	٤٠٢
تقسيم أهل الجهل والتعطيل الى أهل عناد وجهال	٤٠٤
أنواع الكفر خمسة	٤٠٦
أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم	٤٠٦
من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً	٤٠٧

٤١١	فصل : والآخرون فأهل عجز عن بلوغ الحق ...
٤١٣	فصل في تلاعب المكفرين لأهل السنة والايان بالدين كتلاعب الصبيان
٤١٧	اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث في الايمان بالله وصفاته
٤٢٥	فصل في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصة ولا يبغيض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر
٤٢٩	فصل في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت فرضاً من الأمصار الى بلدته عليه السلام
٤٣٤	فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين
٤٣٧	فصل في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما الى الرحمن
٤٣٩	المخالفون للكتاب والسنة في أمر مريب
٤٤٣	فصل في أذان أهل السنة : الاعلام بصريحها جهرأ على رؤوس مناير الاسلام
٤٤٥	أنواع العلو ثابتة لله عز وجل ، وهي علو القهر ، وعلو القدر ، وعلو الذات
٤٤٦	الضمير العائد في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى)
٤٤٨	فصل في تلازم التعطيل والشرك
٤٥٠	التوحيد نوعان ، توحيد العلم والاعتقاد ، توحيد القصد والارادة
٤٥١	فصل في بيان أن المعطل شر من المشرك
٤٥٦	فصل في مثل المشرك والمعطل

٤٥٨	فصل فيما أعد الله تعالى من الاحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان
٤٦٣	القابض على دينه عند فساد الزمان كالقابض من الحجر
٤٦٧	فصل في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل المنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة
٤٦٧	فصل في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين
٤٦٩	فصل في أبواب الجنة
٤٧١	فصل في مقدار ما بين الباب والباب منها
٤٧٢	فصل في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها
٤٧٤	فصل في مفتاح باب الجنة
٤٧٦	فصل في منشور الجنة الذي يوقع به اصحابها
٤٧٨	فصل في صفوف أهل الجنة
٤٨٠	فصل في صفة أول زمرة تدخل الجنة
٤٨٠	فصل في صفة الزمرة الثانية
٤٨١	فصل في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى
٤٨٢	فصل في ذكر أعلى أدل الجنة منزلة وأدناها
٤٨٣	فصل : هذا وسابع عشرها أخباره سبحانه في محكم القرآن
٤٨٤	الدليل السابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه
٤٨٩	ذكر الأدلة الدالة على ثبوت العلو لجمالاً
٤٩٢	فصل : هذا وثامن عشرها تنزيههم سبحانه عن موجب النقصان
٤٩٣	الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه

- ٤٩٤ ذكر قصة فنحاص اليهودي مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٤٩٦ ذكر شيخ الاسلام الانصاري الهروي ، واتهام بعض الأقران له بالتجسيم ، ووشايته عند السلطان .
- ٤٩٧ اتهام شيخ الاسلام ابن تيمية بالتجسيم ورميه بالافك من بعض أعدائه كما في رحلة ابن بطوطة المشهورة
- ٤٩٨ تكذيب الاتهام من الحافظ ابن رجب الحنبلي ، والحافظ ابن عبد الهادي المقدسي ، والحافظ ابن كثير الدمشقي
- ٤٩٩ معنى الوسيلة التي أعطىها رسول الله ﷺ
- ٥٠٠ ذكر بعض صفات الله تعالى وامرارها عند السلف كما جاءت وتأويلها عند الجهمية وغيرهم
- ٥٠٤ فصل في بناء الجنة
- ٥٠٦ فصل في أرض الجنة وحصائها وتربائها
- ٥٠٧ فصل في صفة غرفاتها
- ٥٠٧ فصل في خيام أهل الجنة
- ٥٠٩ فصل في أرائكها وسررها
- ٥١٠ فصل في أشجارها وثمارها وظلالها
- ٥١١ أشجار الجنة نوعان
- ٥١١ معنى الخضود في قوله تعالى (وسدر مخضود)
- ٥١٣ معنى المتشابه في قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)
- ٥١٤ معنى قوله تعالى (قطوفها دانية)

عظم شجر الجنة	٥١٦
فصل في سماع أهل الجنة	٥١٧
وصف الخور العين في الجنة	٥١٨
التحذير من سماع الأغاني والألحان وكلام العلماء في هذا	٥٢١
السماع الشيطاني المحدث	
فصل في أنهار الجنة	٥٢٦
فصل في طعام أهل الجنة	٥٢٨
فصل في شراب أهل الجنة	٥٤٧
فصل في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه	٥٣٤
فصل في لباس أهل الجنة	٥٣٥
فصل في فرشهم وما يتبعها	٥٣٨
فصل في حلي أهل الجنة	٥٤٠
فصل في عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصلتهن	٥٤٢
ومهورهن	
ذكر عيوب نساء الدنيا	٥٤٥
فصل : فاسمع عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان	٥٤٨
فصل : أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتقان	٥٥٤
فصل : أتراب سن واحد متماثل سن الشباب لأجل الشبان	٥٥٦
وطء نساء أهل الجنة	٥٥٩
فصل : وإذا بدت في حلة من إسهان قايلت كتهليل النشوان	٥٦٠
فصل في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟	٥٦٣
فصل في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم	٦٥٧
إلى وجهه الكريم	

بعض الأدلة من الكتاب والسنة على رؤية الله عز وجل في الجنة	٥٧٠
حديث شفاعة رسول الله ﷺ عند ربه يوم القيامة	٥٧٤
دلالة القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأهل الحديث على رؤية الله تعالى يوم القيامة	٥٧٨
أعلى النعيم رؤية وجهه تبارك وتعالى يوم القيامة	٥٧٩
فصل في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة	٥٨١
فصل في يوم المزيد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة	٥٨٣
فصل في المطر الذي يصيهم هناك	٥٨٦
فصل في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس	٥٨٧
فصل في حالهم عند رجوعهم الى أهلهم ومنازلهم	٥٨٩
فصل في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة النوم والموت عليهم	٥٨٩
فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال : ان الذبح لملك الموت ، وان ذلك مجاز لاحقية له	٥٩١
وزن الأعمال يوم القيامة	٥٩٣
تصوير عمل المؤمن في القبر بصورة حسنة ، وعمل الكافر بصورة سيئة	٥٩٤
فصل في حال العدو الثالث : والثالث الأعمى المقلد ذينك الرجلين قائد زمرة العميان	٦١٤
فصل في حال العدو الرابع : هذا ورابعهم وليس بكليم	٦١٥
فصل في توجه أهل السنة الى رب العالمين ان ينصر دينه ، وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين	٦١٧

الصنم الذي هوى

الكتاب الذي تعرف فيه حقيقة الشيوعية الظالمة .
فعليك يا أخي بالحصول على نسخة منه . وقد كتبه ستة
من كبار كتاب الغرب من الذين خدعهم الشيوعية ،
وبعد مدة انكشفت لهم حقيقة ما ، فكتبوا هذا الكتاب
القيم الذي ترجمه الأستاذ فؤاد حمودة ترجمة أدبية متمعة .

يطلب من

المكتب الاسلامي

دمشق - الجبوني

ص.ب. ٨٠٠ - هاتف : ١١٦٣٧ - برقية : (إسلامي)

